

DT  
107  
.8  
R13  
1955

CORNELL  
UNIVERSITY  
LIBRARY



BOUGHT WITH THE INCOME  
OF THE SAGE ENDOWMENT  
FUND GIVEN IN 1891 BY  
HENRY WILLIAMS SAGE

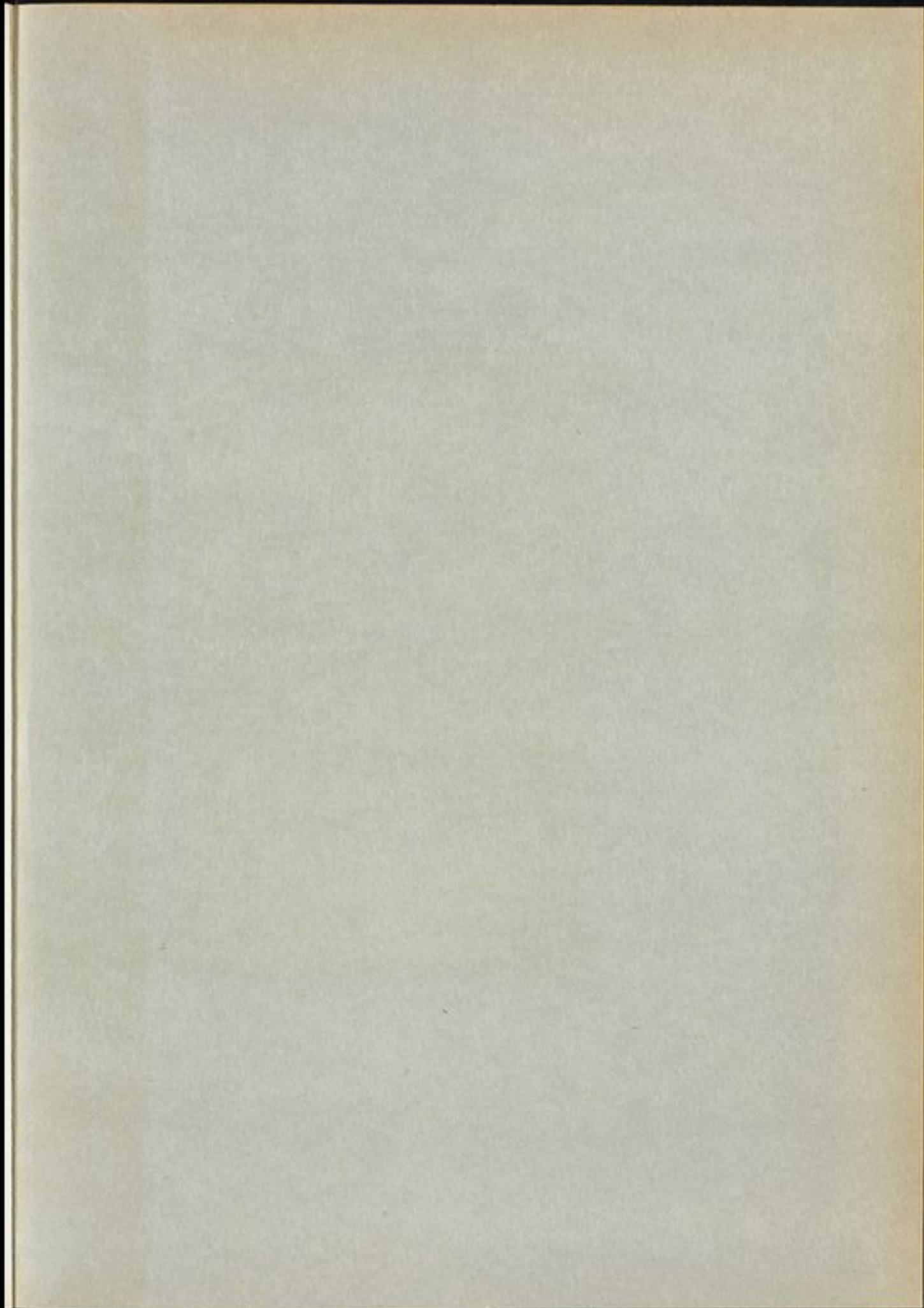
Cornell University Library  
DT 107.8.R13 1955  
v.1-2

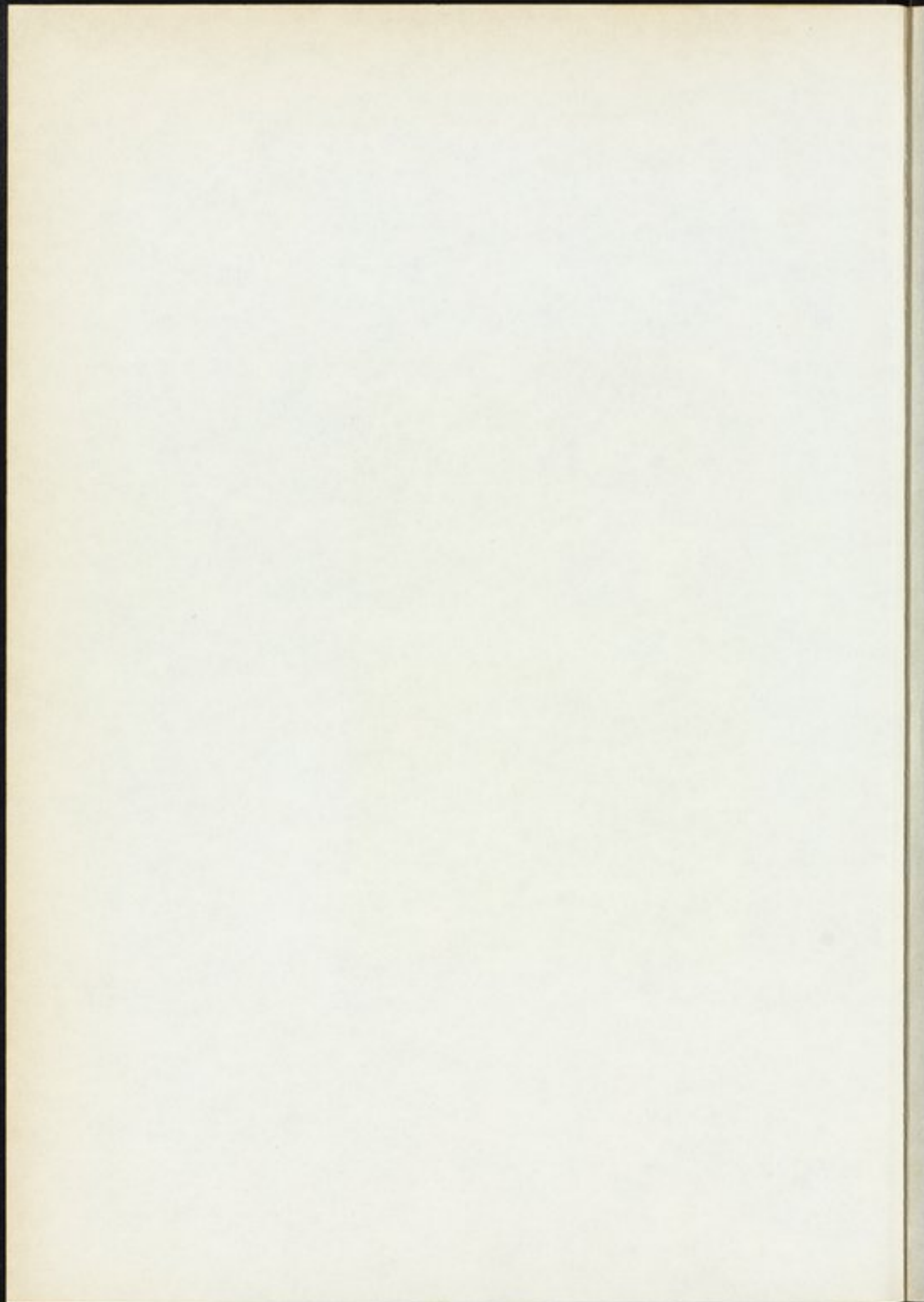
Thawrat sanat 1919 :

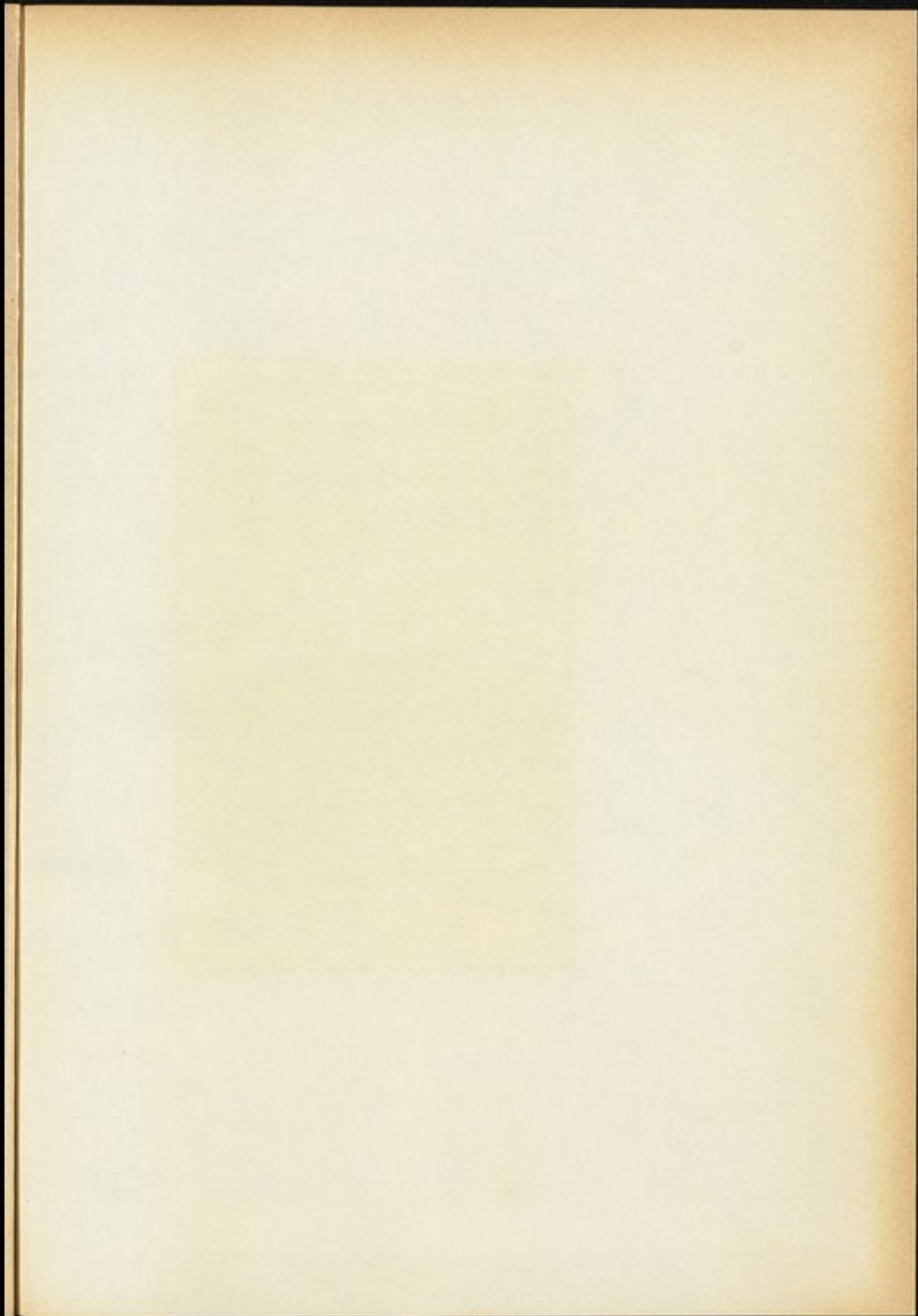


3 1924 028 729 915

000







# ثورة سنة ١٩١٩

تاريخ مصر القومي من ١٩١٤ سنة إلى ١٩٢١ سنة

بقلم

عبد الرحمن الرافعي

## الجزء الأول

يشتمل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وبيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة. وتطور الحوادث من بعد انتهاء الحرب إلى شبوب الثورة في مارس سنة ١٩١٩. ثم وقائع الثورة في القاهرة والأقاليم

## الجزء الثاني

مهادنة الثورة - استمرار الثورة - محاكمات الثورة - لجنة ملنر والحوادث التي لا يستها - مفاوضات ملنر - استشارة الأمة في مشروع ملنر - التبليغ البريطاني بأن الحماية علاقة غير مرضية - هل نجحت ثورة سنة ١٩١٩ وفيه نجحت؟ - وثائق تاريخية

الطبعة الثانية

١٩٥٥ - ١٣٧٤ م

٧٠  
نمن الكتاب

ملتزمة النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي بالقاهرة

DT  
107  
.8  
R13  
1955

B719782

55

5

85  
171





## مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في أبريل سنة ١٩٤٦ . وإني بإعادة طبعة سنة ١٩٥٥ أود أن أذكر أن الطبعة الثانية لا تختلف عن الطبعة الأولى في إيرادها الحوادث وتفسيرها والتعليق عليها ، ولا في العبارة والإخراج .

لقد أعقب ثورة سنة ١٩١٩ قيام ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ . ثورة الجيش المباركة التي تعيش البلاد في ظلها ، والتي أحدثت من التغييرات والإصلاحات الجوهرية في حياة الشعب السياسية والاجتماعية والقومية ما يزيد على نتائج ثورة سنة ١٩١٩ ، وهو ما سأزيده بيانا عندما تتاح لي الفرصة لتأريخها . على أن ثورة سنة ١٩٥٢ لا تغض من مكانة الثورة التي شبت سنة ١٩١٩ ، ومن ثم رأيت من الحق والإنصاف أن لا أغير شيئا من الطبعة الأولى لهذا الكتاب ، وعندى أن الحقائق التاريخية لا يجوز أن تكون موضع التعديل والتبديل ، ولا أن تعاد كتابتها بأسلوب جديد كلما تغيرت الظروف والعهود ، والتاريخ هو التاريخ ، وحقائقه وحوادثه يجب أن تكون بمنأى عن مثل هذا التغيير والتبديل ، فالحقائق التاريخية الثابتة يجب أن لا تتغير ، وقد يتغير تفسيرها والتعليق عليها ، ولم أجد في تفسيري للحوادث وتعليقي عليها ما يستدعى أى تغيير ، ولذلك فإن الطبعة الثانية من هذا الكتاب هي ذات الطبعة الأولى ، ولم أضف إليها سوى نبذة يسيرة عن صدى الثورة في دمياط ، جاءتني في رسائل بعض المواطنين بعد ظهور الطبعة الأولى . فأثبتتها في الطبعة الثانية ، وحرصت على إبراز إضافتها بالإشارة إلى ذلك في هامش الكتاب ، لكي يعرف القارى أنها مضافة ، ولكي يبقى الكتاب كما أخرجته أول مرة .

ثم إنى في الحديث عن زواج السلطان ( الملك ) فؤاد وعن مولد الملك السابق فاروق ،

وكلاهما في الجزء الثاني ، قد غيرت عنوان الحادئين ، فبعد أن كان عنوان الحادث الأول (القران السلطاني السعيد) جعلته (زواج السلطان فؤاد) . وكان عنوان الحادث الثاني (مولد الفاروق) ، فجعلته (مولد فاروق) ، وأوجزت الكلام في كليهما ، ولم أوجز القول ولم أغير شيئاً في غير هذين الموضوعين ، بحيث جاءت الطبعة الثانية طبق الأصل من الطبعة الأولى .

والله يهديننا سواء السبيل

عبد الرحمن الراقعي

اكتوبر سنة ١٩٥٥

## مقدمة الطبعة الأولى

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— ١ —

في هذا الكتاب عرضٌ وتاريخٌ لثورة سنة ١٩١٩ ، أعرضها وأورخها ، كما أرختُ الثورة العراقية من قبل ، فهما ثورتان متعاقبتان في تاريخ مصر الحديث ، تتشابهان في الأغراض والمقاصد ، وإن كانت الثانية تفضل الأولى في النتائج .

إن ثورة سنة ١٩١٩ هي مرحلة هامة في تاريخ مصر القومي ، شَبَّت في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وكانت ولا تزال الأساس لكل التطورات التي تعاقبت على البلاد في السبع والعشرين سنة الماضية ، وحوادث هذه الحقبة من الزمن لا تُعرف حق المعرفة إلا بدراسة هذه الثورة ، فهي جديرة بالتدوين والتحقيق ، في شتى نواحيها .

— ٢ —

لكل ثورة أسباب ومقدمات ينبغي أن نتعرفها ، لكي نفهم الثورة على حقيقتها ، وتبدو لنا صورتها واضحة جلية ، من أجل هذا مهدت لدراسة ثورة سنة ١٩١٩ ببحث أسبابها ومقدماتها ، وإذ كانت حالة مصر خلال الحرب العالمية الأولى ( سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ ) من أسباب تلك الثورة ومقدماتها ، فقد أفردتُ لها الفصل الأول من الكتاب ، ثم تفصّيت أسباب الثورة جميعها ، من سياسية واقتصادية واجتماعية ، ورجعت بها إلى عدة سنوات خلت ، فهي من الوجهة السياسية ترجع إلى تدمير الشعب من الاحتلال الأجنبي ، وإخلافه وعوده في الجلاء ، وتغلغله في شؤون البلاد كبيرها وصغيرها ، وإلغائه دستورها ، ومحاولته فصل السودان عنها ، ثم إعلانه الحماية الباطلة عليها في ديسمبر سنة ١٩١٤ إبّان الحرب ، ولقد كتم الشعب تدمره طيلة مدة الحرب ، تحت ضغط الأحكام العرفية ، حتى إذا عُقدت

الهدنة ، وبدا من الحكومة البريطانية إصرارها على تأكيد الحماية وتثبيتها ، ويئس الشعب من الوصول إلى حقوقه بالطرق السلمية ، جنح للثورة ، يعلن بها سحقه على الحماية والاحتلال ، ويحقق بها آماله في الحرية والاستقلال

وكان لمبادئ الرئيس ولسن أثرها في التمهيد للثورة ، بما أعلنه من حق الشعوب في تقرير مصيرها ، كما أن جهاد الحزب الوطني له الفضل الكبير في تهيئة البلاد لها ، وذلك بما بثه فيها ، على تعاقب السنين ، من روح الوطنية الصادقة ، وما غرسه مصطفى كامل ومحمد فريد وأنصارهما وتلاميذهما في نفوس الجيل من المثل العليا ، فترسخت الأمة خطاهم في الجهاد الخالص لله والوطن ، بحيث صارت في سنة ١٩١٩ على استعداد لأن تبذل في سبيل الاستقلال كل تضحية مهما عظمت

ثم جاء تأليف الوفد المصري في نوفمبر سنة ١٩١٨ برئاسة سعد ، معجلاً لظهور الثورة ، إذ كان موقف سعد وصحبه من الإنذار الذي وجهه إليهم الجنرال وطسن قائد القوات البريطانية في ٦ مارس سنة ١٩١٩ ، بمثابة دعوة للمقاومة العامة ، فلقد أُنذرتهم بأن لا يجعلوا الحماية موضع معارضة أو مناقشة ، وأن لا يعرفوا تأليف وزارة جديدة ، تخلف وزارة رشدي باشا المستقيلة ، وتوعدهم بأشد العقوبات العسكرية ، فلم يتراجعوا أمام هذا الإنذار ، واستمروا في المقاومة ، وأعقب ذلك اعتقال سعد وزملائه الثلاثة يوم ٨ مارس ، فكان بمثابة الشرارة التي أشعلت نار الثورة

فالثورة من الوجهة السياسية ترجع إلى كل هذه العوامل مجتمعة ، وهي من الوجهة الاقتصادية رد فعل ضد النظم المالية والاقتصادية التي عانتها البلاد قبل الحرب وفي خلالها ، فقد طغت المصالح الأجنبية على الاقتصاد القومي ، في ظل الاحتلال ، وتحت كنفه ورعايته ، وأفضى ذلك الطغيان إلى استعباد الشعب مالياً واقتصادياً ، إلى جانب ما عاناه من الاستعباد السياسي ، مما كان له أثره في دفع الناس إلى الثورة ، وكان للعوامل الاجتماعية أيضاً نصيب في التمهيد لها ، فإن انتشار التعليم ، وتطور الأفكار ، واتساع المدارك ، وارتقاء أساليب الحياة ، والنهضة الأدبية والعلمية والصحفية ، والنهضة النسوية ، كل أولئك قد ساعد على

نموّ الروح الوطنية ، وجعل المجتمع أكثر تطلعاً إلى الاستقلال ، وأشدّ تبرماً بالنظم الاستعمارية ، التي ترجع به إلى الوراء ، وتفقد كرامته الإنسانية ، وحقوقه الطبيعية

شبّت الثورة في شهر مارس سنة ١٩١٩ ، وبدأت بمظاهرات سلمية تطوف في شوارع العاصمة ، هاتفة بالاستقلال ، منادية بسقوط الحماية ، ولم يكن الظن بادى الأمر أنها الثورة ، إذ كان الكثيرون يعتقدون أنها مظاهرات وقتية ، تنتهي في يومها ، ولا يكون لها ما بعدها ، ولكنها استمرت في الأيام التالية ، وتصدّت لها السلطة العسكرية البريطانية بإطلاق الرصاص على المتظاهرين ، وسالت الدماء في الشوارع ، فلم يهرب المتظاهرون القتل ، واستمروا في مظاهراتهم ، وانضمت إليهم طوائف الشعب كافة ، وامتدت الحركة إلى الأقاليم ، فقلدت العاصمة في مظاهراتها وإضرابها ، وفاقمتها في بعض المواطنين في العنف والشدة ، واستهدفت الجماهير في المدن والقرى للقتل ، ولقيت ما لقيت من ضروب الأذى والنكال ، وقُطعت السكك الحديدية ، والأسلاك البرقية والتلفونية ، وتعطلت المواصلات في جميع النواحي ، فأدرك من كان في نفسه شك أنها « الثورة »

عمّت الثورة أرجاء البلاد ، دون أي تدبير أو تنظيم ، لم تكن ثمة هيئة أو جماعة تدعو إليها أو توجهها ، بل شملت البلاد فجأة ؛ وعلى غير انتظار ، وكان ذلك من مظاهر جلالها وروعيتها ، وظهر فيها فضل الشعب ، إذ أدرك بفطرته السليمة أن الحركة الوطنية إنما قامت ضد الاحتلال الأجنبي ، وكان مقصوداً منها بدهاء جلاء الاحتلال عن البلاد ، وأن الاستقلال الصحيح لا يتحقق إلا بالجلاء ، وعلى هذا الأساس قامت الثورة ، فبرنامج الثورة كان أوسع مدى من برنامج الوفد ، ولم تكن الثورة وليدة الوفد ، ولا وليدة سعد ، بل كلاهما وليد الثورة ، هذه حقيقة يقتضينا الإنصاف أن نذكرها ، تقريراً للواقع ، وإبرازاً لفضل الشعب في ثورة سنة ١٩١٩ ، فلقد أتجه وجهة الجلاء ، واحتمل في سبيل الجهاد ما احتمل من شدائد

وتوضيحات ، ولذلك عُنيت ضمن ما عُنيت به في تدوين وقائع الثورة بتسجيل توضيحات الشعب وجهاده ، واستنفدت الناحية الشعبية معظم صحائف الثورة ، ولا غرو فهي الناحية التي هداني البحث إلى أنها عماد الحركة القومية ؛ وليس هذا الاتجاه في التفكير جديداً عندي ، ولا أقصد منه أن أعظم حق الكبراء والعظماء ، بل هو الاتجاه الذي توافرت على صحته الحقائق والحوادث ، ولقد جعلته منذ نحو سبع عشرة سنة أساساً لدراسة التاريخ القومي ، وأوضحته هذا الأساس في مقدمة الجزء الأول ، من « تاريخ الحركة القومية » ، سنة ١٩٢٩ ، إذ قلت : « ما هي الجهود التي بذلتها الأمة في سبيل تحرير مصر من النير الأجنبي ، وفك قيود الاستبداد عنها ، وتقرير حقوق الشعب السياسية ؟ ما هي الجهود التي بذلتها ، والآلام التي احتملتها ، في سبيل تكوين مصر الحرة المستقلة ؟ ما هي الحوادث التي ارتبطت بهذه الجهود ، أو وقعت خلالها وناصرتها أو عرقلتها ؟ ما هي الأدوار التي تطورت إليها الحركة القومية من بدء ظهورها إلى اليوم ؟ ما هي نُظم الحكم التي تعاقبت على البلاد في خلال تلك الأدوار ، وما مبلغ أثرها في تطور الحركة القومية ؟ هذا هو موضوع الكتاب ، وتلك هي المسائل التي يبحثها جهد المستطاع على هدى الحقائق التاريخية<sup>(١)</sup> »

فالمنهج الذي اتخذته قاعدة لدراستي منذ ١٩٢٩ هو ذات المنهج الذي اتبعته في تاريخ ثورة سنة ١٩١٩ ، وهذا ما حدا بي إلى البحث عن أشخاص الشهداء الذين جادوا بأرواحهم فيها ، وتسجيل أسمائهم في صحائف هذا الكتاب ، ولعلك تلاحظ من تتبعهم أنهم في الغالب شهداء مجهولون ، من بيئات مجهولة ، ومن غير البيئات التي تنازعت مجد الثورة وثمرتها فيما بعد ، على أن هؤلاء الشهداء هم قوام الثورة وأساسها ، وهم فخرها وهم أبطالها ، فلهم علينا حقوق يلزمنا أن نرعاهما ، وفي ذمتنا لهم أمانة ينبغي أن نؤديها ، وإذا كان قد فاتني أن أذكرهم جميعاً ، وأعوّزني العثور على أسماء بعضهم ، فإني أرجو أن يوفق غيري إلى إكمال هذا النقص ، وأن ينبهني من يشاء إلى من فاتني ذكرهم ، فأضيف أسماءهم في طبعة الكتاب الثانية ، لأنه لا يجعل بنا أن نبخس أولئك الشهداء الأبرار حقهم ، وحسبهم أنهم ضحوا بحياتهم دون أن

(١) تاريخ الحركة القومية . الجزء الأول . الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ ص ٦

يرهبوا الشعب باقتضاء الأجر والمكافأة ، أو ينالوا على جهادهم جزاء ولا شكوراً ، ولعلنا تلقاء تضحياتهم نقوم ببعض ما يقتضيه الوفاء ، تخليداً لذكرياتهم المجيدة

### توقيت الثورة

دوّنت وقائع الثورة وأطوارها وملايساتها وتناججها في فصول الكتاب ، مما لا يغني عنه هنا تلخيص أو إجمال ، وإنما يلزمني في هذه المقدمة توقيت الثورة ، وتحديد مداها من الوجهة الزمنية ، لمعرفة مبدئها ومنتهاها ، فلقد بدأت في مارس سنة ١٩١٩ ، واستمرت حوادثها إلى شهر أغسطس ، وتجددت في أكتوبر ونوفمبر من تلك السنة ، أما وقائعها السياسية فلم تنقطع ، واستمرت متتابعة إلى شهر أبريل سنة ١٩٢١ ، أي أنها مكثت نيفاً وستين ، ثم أعقبها انقسام داخلي ، يختلف وإياها في الحوادث والاتجاهات ، ولذلك لم أدمجها في تاريخ الثورة ، ورأيت من حسن التنسيق أن أجعله جزءاً من كتاب « في أعقاب الثورة المصرية »

وإذا كنت قد أرخت ثورة سنة ١٩١٩ ومجدها ، فإني مع ذلك لا أدعو إلى الثورة ، في ذاتها ، وسيرى القارىء من ذكرياتي عن الثورة ( ص ١٧٤ ) أني لست من أنصار العنف ، ولا أدعو إليه ، بل أدعو إلى النضال بالوسائل السلمية ، أدعو إلى الإخلاص للوطن ، فإن عقيدة الإخلاص الذي لا نهاية له في نفس كل مواطن ، هي عُدّة الأمة في حياتها القومية ، وإن في القوة المعنوية للنفوس ، دون القوة الغشوم ، ما يكفل لها تحقيق آمالها ، وفي ميادين الجهاد السلمي ، وفي ساحات الكفاح السياسي والاقتصادي ، مجال فسيح ، لأعمال مجيدة ، تنهض بهذا الوطن ، وتحقق أهدافه ، وتردّ عنه أحداث الزمان

أسأل الله أن يلهمنا قول الحق ، ويجنبنا مسالك الهوى ، ويهدينا سواء السبيل ، عليه أعتمد ، وبه أستعين

## أقسام الكتاب

### الجزء الأول

- |                                    |              |
|------------------------------------|--------------|
| — مصر في أثناء الحرب العظمى الأولى | الفصل الأول  |
| — أسباب الثورة                     | الفصل الثاني |
| — تأليف الوفد المصرى وتطور الحوادث | الفصل الثالث |
| — مقدمات الثورة                    | الفصل الرابع |
| — الثورة                           | الفصل الخامس |
| — الثورة في الأقاليم               | الفصل السادس |
| — ذكر يأتى عن الثورة               | الفصل السابع |
| — مواجهة الثورة                    | الفصل الثامن |

### الجزء الثانى

- |   |                  |
|---|------------------|
| — مهادنة الثورة                                 | الفصل التاسع     |
| — استمرار الثورة                                | الفصل العاشر     |
| — محاكمات الثورة                                | الفصل الحادى عشر |
| — لجنة ملتر والحوادث حتى لا يستها               | الفصل الثانى عشر |
| — مفاوضات ملتر                                  | الفصل الثالث عشر |
| — استشارة الأمة فى مشروع ملتر                   | الفصل الرابع عشر |
| — التبليغ البريطانى بأن الحماية علاقة غير مرضيه | الفصل الخامس عشر |
| — هل نجحت الثورة؟ وفيم نجحت؟                    | الفصل السادس عشر |



## الفصل الأول

### مصر في أثناء الحرب العظمى الأولى

١٩١٤ - ١٩١٨

لا ريب في أن حالة مصر خلال الحرب العظمى الأولى تُعد من أسباب ومقدمات ثورة سنة ١٩١٩، من أجل ذلك يجدر بنا أن نصف هذه الحالة، ونرسم للقارى فكرة واضحة عنها، وعن حوادث مصر وتطوراتها في تلك الفترة التي انتهت إلى الثورة، ولقد ألمعنا إلى بعض الحوادث في الفصل الثالث عشر من كتاب (محمد فريد)، والآن نعود إلى بيانها في شيء من التوسع، وبالتفصيل الذي يقتضيه المقام

نشبت الحرب العظمى الأولى في يولييه - أغسطس سنة ١٩١٤، على أثر مقتل الأرشيدوق فرنسوا فردينند ولي عهد النمسا يوم ٢٨ يونيه بيد أحد الصربيين، إذ أعلنت النمسا الحرب على الصرب يوم ٢٨ يولييه، فهبت روسيا لنجدة الصرب، وأعلنت الحرب على النمسا، فانتصرت ألمانيا لحليفها النمسا، ثم وقفت فرنسا إلى جانب حليفها روسيا، وفي ٤ أغسطس ١٩١٤ دخلت بريطانيا العظمى الحرب إلى جانب فرنسا وروسيا

### مركز مصر الدولي قبل الحرب

كان مركز مصر الدولي قبل الحرب العالمية الماضية تحدده معاهدة لندن المبرمة سنة ١٨٤٠، التي كانت صكاً دولياً التزمت الدول باحترامه<sup>(١)</sup>، وأهم أحكام هذه المعاهدة الاعتراف باستقلال مصر المسكفول من الدول، وضمنان عرش مصر في أسرة محمد علي، ولم يكن يحد من هذا الاستقلال سوى قيد السيادة العثمانية التي قررتها معاهدة لندن، وقد تراخت هذه السيادة مع الزمن، حتى صارت سيادة اسمية، إذ لم يكن بقي من مظاهرها سوى الجزية

(١) راجع الحديث عن هذه المعاهدة في كتابنا عصر محمد علي ص ٣١٧ و ٣٤٣

السوية<sup>(١)</sup> التي التزمت مصر بها حيال تركيا ، وقد رهنتها الحكومة التركية إلى دائنيها من البيوت المالية الأجنبية بأن حولتها إليهم ، وقبلت الحكومة المصرية هذه الحوالة ، وتعهدت لأولئك الدائنين بأن تدفع لهم أقساط ديونهم خصما من الجزية لغاية سنة ١٩٥٥ فمصر إذن كانت من الوجهة الرسمية مستقلة استقلالاً مكفولاً بمعاهدة دولية ، لا يقيده سوى السيادة الإسمية لتركيا ، تلك السيادة التي كانت سائرة من نفسها نحو الفناء والزوال ، ولم يكن لهذه السيادة مظهر ما أو أثر عملي يحد من الاستقلال إذا قورنت بالامتيازات الأجنبية ، وفي ذلك يقول المارشال « ويفل » في كتابه عن « النبي » : « قليل من البريطانيين من كان يعرف أن مصر كانت تتمتع باستقلالها الذاتي تحت السيادة التركية منذ عهد محمد علي ، وأن هذا الاستقلال كاد أن يكون تاماً إذا استثنينا الامتيازات الأجنبية »

ذلك كان مركز مصر الدولي قبل الحرب العالمية الأولى ، ولكن الاحتلال البريطاني قد عصف باستقلالها منذ سنة ١٨٨٢ ، وإلى جانب الاستقلال الرسمي ، قام الاحتلال الفعلي ، الذي حمل في ثناياه الحماية المقنعة ، وأضحى المعتمد البريطاني هو الحاكم الحقيقي للبلاد ، وخضعت الحكومة الأهلية للسيطرة الإنجليزية ، التي استبدت بشئون البلاد كافة ، وحاولت فصل السودان عنها ، وألغت الدستور الذي كان قائماً قبل الاحتلال

## تفاهم الحالة

### عقب نشوب الحرب

لزمت مصر الحياد في تلك الحرب ، حتى خاضت إنجلترا غمارها ، فتغير موقفها تبعاً لسياسة إنجلترا ، وأخذت الحكومة المصرية بتأثير وجود الاحتلال البريطاني ، تقف من الدول المتحاربة موقف المستعمرات البريطانية ، فحولت إنجلترا حق التمتع بحقوق الحرب كافة في الموانئ المصرية ، وفي جميع جهات البلاد ، وأول عمل اتخذته في هذا الصدد هو القرار الذي أصدره مجلس الوزراء في ٥ أغسطس سنة ١٩١٤ ، أي عقب إعلان الحرب بين

(١) مقدارها ٧٥٠.٠٠٠ ر. جنيه عثماني (٦٨١.٤٨٦ جنيه مصري) .

انجلترا وألمانيا مباشرة « بشأن الدفاع عن القطر المصرى أثناء الحرب القائمة بين ألمانيا وبريطانيا العظمى »<sup>(١)</sup> ، فقد جاء فى ديباجته ما يدل على تبعيتها لانجلترا فى تلك الحرب ، قال :

« بما أنه قد قضى لسوء الحظ بإعلان الحرب بين جلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلنده والملحقات البريطانية فيما وراء البحار وإمبراطور الهند ، وبين امبراطور ألمانيا ، ونظراً لأن وجود جيش الاحتلال فى القطر المصرى يجعل هذا القطر عرضة لهجوم أعداء صاحب الجلالة البريطانية ، وبما أنه من الضرورى نظراً لهذه الحالة الفعلية التمكن من اتخاذ جميع الوسائل اللازمة لدفع خطر مثل هذا الهجوم عن القطر المصرى ، وبما أنه قد أشير على الحكومة المصرية تحقيقاً لهذا الغرض أن تتخذ الإجراءات الآتية ، فهذه البواعث ، يكون معلوما لدى جميع ذوى الشأن أن مجلس النظار فى جلسته المنعقدة فى يوم ١٣ رمضان سنة ١٣٣٢ (٥ أغسطس سنة ١٩١٤) تحت رئاسة عطوفتلو أفندم القائم مقام الخديوى قد قرر ما يأتى «  
وغوى القرار هو منع التعامل مع ألمانيا ورعاياها والأشخاص المقيمين فيها ، ومنع السفن المصرية من الاتصال بأى ثغر ألمانى ، وحظر التصدير إلى ألمانيا ، وتخويل القوات البريطانية الحربية والبحرية حقوق الحرب فى الأراضى والموانئ المصرية ، واعتبار السفن الألمانية الراسية فى الثغور المصرية سفناً معادية ، وحجزها فى تلك الثغور  
وفى ١٣ أغسطس سنة ١٩١٤ أصدر مجلس الوزراء قراراً آخر بسرمان أحكام القرار السابق على النمسا والمجر  
وفى شهر أغسطس أيضاً وضعت الرقابة على البرقيات والخطابات المرسلة بين مصر والخارج أو بينها وبين السودان

### قانون التجهر

وفى ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٤ وضعت الحكومة قانوناً لمنع التجهر والعقاب عليه ،

(١) الوقائع المصرية عدد ٦ أغسطس سنة ١٩١٤ .

واعتبر تجمهاً كل اجتماع من خمسة أشخاص على الأقل في طريق أو محل عمومي ولو لم يكن له قصد جنائي ، متى رأى رجال السلطة أنه يجعل السلم العام في خطر ، وخولهم هذا القانون أن يأمرؤا المتجمهريين بالتفرق ، ومن لم يطع هذا الأمر يعاقب بالحبس لمدة أقصاها ستة أشهر ، أو بغرامة أقصاها عشرون جنيتهاً ، ولم يكن في قانون العقوبات من قبل مثل هذه العقوبة ، واحتوى القانون على عقوبات أشد تصل إلى سنتين لمن يقاوم رجال السلطة في تفريق التجمهر

## إعلان الأحكام العرفية ووضع الرقابة على الصحف

٢ نوفمبر سنة ١٩١٤

وعلى أثر نشوب الحرب بين تركيا والروسيا في أول نوفمبر صار من المتوقع أن تشب الحرب بينها وبين إنجلترا ، فأعلن الجنرال السير جون مكسويل Sir John G. Maxwell قائد جيوش الاحتلال في مصر الأحكام العرفية فيها بموجب القرار الذي أصدره يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ ، وهذا نصه :

« ليكن معلوماً أني أمرت من حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بأن آخذ على مراقبة القطر المصري العسكرية لكي يتضمن حماؤه ، فبناء على ذلك قد صار القطر المصري تحت الحكم العسكري من تاريخه <sup>(١)</sup> »

تحريراً في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ (إمضاء) « مكسويل »  
( الفريق قائد الجيوش بمصر )

ووضعت الرقابة على الصحف تبعاً لإعلان الأحكام العرفية .

وأصدر الجنرال مكسويل إعلاناً آخر ، حذر فيه الأهلين من تكدير السلام العام ومساعدة أعداء إنجلترا وحلفائها ، ودعاهم إلى اتباع جميع الأوامر التي تصدرها السلطة العسكرية ، قال :

(١) الوقائع المصرية عدد غير اعتيادي ( ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ )

« أنا جون جرنفل مكسويل لفتنتت جنرال قومندان الجيوش البريطانية في القطر  
المصرى المنوط بتنفيذ الأحكام العرفية أعلن بهذا ما يأتى :

( أولاً ) « إن السلطة التى تستعمل تحت إشرافى بمعرفة الإدارة العسكرية ليس الغرض  
منها الحلول محل الإدارة الملكية ، بل تعتبر تكميلاً لها ، وعلى كل الموظفين الذين فى خدمة  
الحكومة المصرية الاستمرار على أداء واجباتهم بكل دقة فى وظائفهم »

( ثانياً ) « إن أحسن ما يمكن للأهالى عمله للصالح العام هو الامتناع عن كل عمل من  
شأنه تكدير صفو السلام العام ، أو التحريض على التنافر ومساعدة أعداء ملك بريطانيا  
وحلفائه ، والمبادرة باتباع جميع الأوامر التى تعطى لحفظ السلام العام وحسن النظام عن  
طيب خاطر ، ومتى اتبعوا ذلك لا يكونون معرضين لأى تداخل فى شؤونهم من  
السلطة العسكرية »

( ثالثاً ) « جميع الطلبات التى ربما تلزم الأحكام العسكرية من خدمات الأفراد أو مما  
يملكون تكون قابلة للتعويض التام ، وتحدد قيمتها بمعرفة سلطة مستقلة إن لم يحصل الاتفاق  
عليها بين الطرفين »

الإمضاء

مصر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤

« ج . ج . مكسويل »

إبلاغ هذا المنشور

إلى الحكومة المصرية

وأبلغ المستر ( السير ) ملن شيتهم Milne Cheetham القائم وقتئذ بأعمال المعتمد  
البريطانى<sup>(١)</sup> هذا المنشور إلى حسين رشدى باشا رئيس الوزارة والقائم مقام الخديو بخطاب  
قال فيه :

(١) كان اللورد كيتشر هو المعتمد البريطانى فى مصر ، وكان فى إنجلترا حين شبت الحرب ، ثم تولى  
منصب وزارة الحربية فيها ، ولما أعلنت الحماية عين السير هنرى مكماهون مندوباً سامياً لإنجلترا فى مصر .

« القاهرة في ٦ نوفمبر سنة ١٩١٤ »

« إلى صاحب العطفة حسين رشدي باشا رئيس مجلس نظار الحكومة المصرية  
« يا عطفة الوزير ، أتشرف بأن أرفع لعطوفتكم مع هذا صورة المنشور الذي أصدره  
جناب قائد الجيوش البريطانية العام في القطر المصري ، وترون عطوفتكم من هذا المنشور  
أن السلطة فيما يتعلق بالوسائل اللازمة للدفاع عن القطر المصري وبالتدابير التي  
يستدعيها هذا الدفاع أصبحت منحصرة في يد القائد العام ، وأن حضرات النظار لا يزال  
كل واحد منهم حافظاً للسلطة التي له في الأمور الملكية الخاصة بنظارته »  
فرد عليه رشدي باشا بالخطاب الآتي :

« القاهرة في ٦ نوفمبر سنة ١٩١٤ »

« إلى جناب المحترم المستر ملن شيتهم نائب معتمد بريطانيا العظمى في مصر  
« يا جناب الوكيل ، علمنا ما جاء في منشور قائد الجيوش البريطانية العام في القطر المصري  
والذي بعثتم به إليّ ، ونظراً لغياب سمو الجناب الخديوي الذي نستمد منه سلطتنا أتشرف  
بإبلاغكم بأننا سنستمر أنا وزملائي على إدارة أعمال نظاراتنا الملكية تجنباً للمضار التي  
تلقق بالبلاد إذا تعطلت حركة إدارتها الداخلية »

## الحرب بين إنجلترا وتركيا

### وإعلان الجنرال مكسويل

ثم دخلت تركيا الحرب ضد إنجلترا وحلفائها في ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ ، فأصدر الجنرال  
مكسويل إعلاناً نشر في الجريدة الرسمية « الوقائع المصرية » الصادرة في ٧ نوفمبر سنة  
١٩١٤ ، أعلن فيه دخول تركيا الحرب ، وأوضح وجه اعتدائها في ذلك ، وذكر أن إنجلترا  
تحارب لغرضين ، وهما الدفاع عن حقوق مصر وحريةها التي كسبها محمد علي في ميدان القتال ،  
واستمرار تمتع مصر بالسلام والرخاء ، وأن إنجلترا أخذت على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب  
وأنها لا تتطلب من الشعب المصري سوى الامتناع عن أعمال عدائية ضدها ، قال :

« قد كلفت بأن أعلن أنه من يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ أصبحت بريطانيا العظمى  
وتركيا في حالة حرب

« ولو أنه منذ ابتداء الحرب الناشبة بين جلالته وبين امبراطورى ألمانيا والنمسا قد أقدمت  
الحكومة العثمانية مراراً تحت تأثير نفوذ أعداء جلالته على خرق حرمة الحقوق المكتسبة  
لجلالته بمقتضى القوانين الدولية والمعاهدات ، فإن حكومة جلالته قد تحاشت مقابلة هذه  
الأعمال بمثلها تحاشياً دقيقاً ، حتى أرغمت على ذلك ، ليس فقط بسبب الاستعدادات الحربية  
في سوريا التي لا يمكن إلا أن تكون موجهة ضد القطر المصرى ، بل بسبب خرق حرمة  
الحدود المصرية بواسطة عصابات مسلحة ، و باعتداء قوات الدولة العثمانية البحرية على أملاك  
أحد حلفاء جلالته تحت قيادة ضباط ألمانين بدون سبب يحملها على هذا الاعتداء ، فإن  
بريطانيا العظمى تحارب الآن لغرضين ، وهما الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التي كسبها  
محمد على في الأصل في ميدان القتال ، واستمرار هذا القطر على التمتع بالسلم والرخاء اللذين تتمتع  
بهما مدة الاحتلال البريطانى في ثلاثين سنة

« ولعلم بريطانيا العظمى بما للسلطان بصفته الدينية من الاحترام والاعتبار عند مسلمى  
القطر المصرى ، فقد أخذت بريطانيا العظمى على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب بدون أن  
تطلب من الشعب المصرى أية مساعدة ، ولكنها مقابل ذلك تنتظر من الأهالى وتطلب  
إليهم الامتناع عن أى عمل من شأنه عرقلة حركات جيوشها الحربية أو أداء أى مساعدة  
لأعدائها »

« ليحيى الملك<sup>(١)</sup> »

وأعلن الجنرال مكسويل فى منشور آخر أصدره بتاريخ ٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ سريان  
قرار مجلس الوزراء الصادر فى ٥ أغسطس سنة ١٩١٤ على تركيا ، قال :

« انه لمناسبة الأحوال التي اقتضت إعلان الحرب بين بريطانيا العظمى وتركيا ، يقتضى  
أن كل ما جاء فى قرار مجلس نظار الحكومة المصرية الصادر بتاريخ ٥ أغسطس سنة ١٩١٤

(١) كذا فى الأصل

لما نشبت الحرب بين جلالة ملك بريطانيا العظمى وبين امبراطور ألمانيا يسرى مفعوله على الدولة العثمانية فيما يختص بالسفن التجارية العثمانية التي تكون داخل الموانئ المصرية أو داخله إليها ، فإنه لا يسمح لها بأى وقت بمبارحة الميناء الموجودة فيه »

### إعلان الحماية البريطانية

١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤

وفي ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ أعلنت إنجلترا حمايتها على مصر ، ونشرت « الوقائع المصرية » في اليوم نفسه إعلان الحماية ، وهذا نصه :

« إعلان بوضع بلاد مصر تحت حماية بريطانيا العظمى »

« يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر إلى حالة الحرب التي سببها عمل تركيا قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالاته ، وأصبحت من الآن فصاعداً من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية »

وبذلك قد زالت سيادة تركيا على مصر ، وستتخذ حكومة جلالاته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها »

« القاهرة في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ »

بهذا الإعلان حلت الحماية السافرة محل الحماية المقنعة التي فرضتها إنجلترا على مصر منذ سنة ١٨٨٢ ، ومن السهل أن تدرك ما في هذا الإعلان من معنى البغي والعدوان ، إذ ما علاقة موقف تركيا في الحرب بإعلان الحماية البريطانية على مصر ؟ لقد كانت النتيجة الطبيعية لهذا الموقف لو حسنت نية إنجلترا أن تعلن الاعتراف باستقلال مصر التام لأنه بزوال السيادة التركية عنها يصبح استقلالها تاماً ، أما ترتيب إعلان الحماية البريطانية على زوال السيادة التركية ، فأمر لا يفسر إلا بالعرض الذي كانت إنجلترا تسعى له ، وهو إهدار استقلال مصر الداخلي والتام ، وتلك كانت نيتها منذ سنة ١٨٨٢ ، أى منذ احتلالها غير المشروع



## خلع الخديو عباس الثانى

وتولية السلطان حسين كامل

١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

كان الخديو عباس حلمى الثانى غائبا عن مصر وقت نشوب الحرب ، فقد قصد إلى  
الاستانة فى أوائل الصيف ، وبقى بها إلى أن أعلنت الحرب بين إنجلترا وألمانيا ، وتردد فى  
عودته إلى مصر ، رغم إلحاح رشدى باشا عليه فى ذلك ، ولما اعتزم الرجوع إليها أظهرت  
الحكومة البريطانية رغبتها فى عدم عودته ، إذ كانت نيتها مبيتة على خلعه  
فى اليوم التالى لإعلان الحماية ، أعلنت خلعه ، وتولية الأمير ( السلطان ) حسين كامل  
عرش مصر ، ونشر إعلان ذلك فى الوقائع المصرية ( عدد ١٩ ديسمبر ) ، وهذا نصه :

« إعلان بخلع سمو عباس حلمى باشا عن منصب الخديوية »

« وارتقاء صاحب العظمة السلطان حسين كامل على عرش السلطنة المصرية »

« يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر لإقدام سمو عباس  
حلمى باشا خديو مصر السابق على الانضمام لأعداء الملك قد رأت حكومة جلالتة خلعه من  
منصب الخديوية ، وقد عرض هذا المنصب السامى مع لقب سلطان مصر على سمو الأمير  
حسين كامل باشا أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد على ، فقبله »

« القاهرة فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ »

تبليغ الحكومة البريطانية

إلى السلطان حسين كامل

وفى نفس اليوم الذى قبل فيه الأمير حسين كامل العرش ، وجهت إليه الحكومة

البريطانية تبليغاً على اسان السير ملن شيتهم القأم بأعمال المعتمد البريطاني ، أوضحت فيه الأسباب التي سوتت بها إحداث هذا الانقلاب ، وحددت النظام الذي فرضته على البلاد في عهد الحماية ، قال :

« يا صاحب السمو . كلفني ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أن أخبر سموكم بالظروف التي سببت نشوب الحرب بين جلالته وبين سلطان تركيا ، وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير في مركز مصر

« كان في الوزارة العثمانية حزبان ، أحدهما معتدل ، لم يبرح عن بآله ما كانت بريطانيا العظمى تبذله من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الإصلاح في تركيا ، ومقتنع بأن الحرب التي دخل فيها جلالته لا تمس مصالح تركيا في شيء ، ومرتاح لما صرح به جلالته وحلفاؤه من أن هذه الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح ، لا في مصر ولا في سواها ، وأما الحزب الآخر فشرذمة جنديين أفاقين ، لا ضمير لهم ، أرادوا إثارة حرب عدوانية بالاتفاق مع أعداء جلالته ، معللين أنفسهم أنهم بذلك يتلافون ما جرره على بلادهم من المصائب المالية والاقتصادية ، أما جلالته وحلفاؤه فمع انتهاك حرمة حقوقهم قد ظلوا إلى آخر لحظة وهم يأملون أن تتغلب النصائح الرشيدة على هذا الحزب ، لذلك امتنعوا عن مقابلة العدوان بمثله حتى أرغموا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة للحدود المصرية ، ومهاجمة الأسطول التركي بقيادة ضباط ألمانين ثغورا روسية غير محصنة

« ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو عباس حلمي باشا خديو مصر السابق قد انضم انضماما قطعيا إلى أعداء جلالته منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا ، وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا وللخديو السابق على بلاد مصر سقطت عنهما وآلت إلى جلالته

« ولما كان قد سبق لحكومة جلالة الملك أنها أعلنت بلسان قائد جيوش جلالته في مصر أنها أخذت على عاتقها وحدها مسؤولية الدفاع عن القطر المصري في الحرب الحاضرة ، فقد أصبح من الضروري الآن وضع شكل للحكومة التي ستحكم البلاد بعد تحريرها كما

ذكر من حقوق السيادة وجميع الحقوق الأخرى التي كانت تدعيها الحكومة العثمانية  
« بحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة تحت يدها لسكان القطر المصري جميع الحقوق  
التي آلت إليها بالصفة المذكورة ، وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في البلاد مدة سني  
الإصلاح الثلاثين الماضية ، وقد رأت حكومة جلالاته أن أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى  
بالمسئولية التي عليها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية بإعلانا صريحا ، وأن تكون حكومة  
البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقا لنظام ورائي يقرر فيما بعد

» بناء عليه قد كلفتنى حكومة جلالة الملك أن أبلغ سموكم أنه بالنظر لسن سموكم  
وخبرتمكم ، قد رؤى في سموكم أكثر الأمراء سلالة محمد على أهلية لتقلد منصب الخديوية مع  
لقب « سلطان مصر » ، واننى مكلف بأن أوكد لسموكم صراحة عند عرضي على سموكم  
قبول عبء هذا المنصب أن بريطانيا العظمى أخذت على عاتقها وحدها كل المسئولية في دفع  
أى تعد على الأراضى التي تحت حكم سموكم ، مهما كان مصدره ، وقد فوضت لى حكومة  
جلالاته أن أصرح بأنه بعد إعلان الحماية البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين أينما كانوا  
الحق في أن يكونوا مشمولين بحماية حكومة جلالة الملك

» و بزوال السيادة العثمانية تزول أيضاً القيود التي كانت موضوعة بمقتضى فرمانات  
العثمانية لعدد جيش سموكم وللحق الذى لسموكم في الإنعام بالرتب والنياشين

» وأما فيما يختص بالعلاقات الخارجية ، فترى حكومة جلالاته أن المسئولية الحديثة  
التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعى أن تكون المحادثات من الآن بين حكومة  
سموكم وبين وكلاء الدول الأجنبية بواسطة وكيل جلالاته في مصر

» وقد سبق لحكومة جلالاته أنها صرحت مرارا بأن المعاهدات الدولية المعروفة  
بالاتيازات الأجنبية المقيدة بها حكومة سموكم لم تعد ملائمة لتقدم البلاد ، ولكن من رأى  
حكومة جلالاته أن يؤجل النظر في تعديل المعاهدات إلى ما بعد انتهاء الحرب

» وفيما يختص بإدارة البلاد الداخلية على أن أذكر سموكم بأن حكومة جلالاته ، طبقا  
لتقاليد السياسة البريطانية ، قد دأبت على الجد بالاتحاد مع حكومة البلاد وبواسطتها في

حماية الحرية الشخصية ، وترقية التعليم ونشره ، وإثراء مصادر ثروة البلاد الطبيعية ، والتدرج في إشراك المحكومين في الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الأمة في الرقي السياسي ، وفي عزم حكومة جلالته المحافظة على هذه التقاليد ، بل إنها موقنة بأن تحديد مركز بريطانيا العظمى في هذه البلاد تحديداً صريحاً يؤدي إلى سرعة التقدم في سبيل الحكم الذاتي ، وستحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً ، كما تحترم الآن عقائد نفس رعايا جلالته على اختلاف مذاهبهم ، ولا أرى لزوماً لأن أؤكد لسموكم بأن تحرير حكومته لمصر من ربة أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الاستانة لم يكن ناجماً عن أى عداء للخلافة ، فإن تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على أن إخلاص المسلمين المصريين للخلافة لا علاقة له البتة بالروابط السياسية التي بين مصر والاستانة ، وأن تأييد الهيئات النظامية الإسلامية في مصر والسير بها في سبيل التقدم هو بالطبع من الأمور التي تهتم بها حكومة جلالته الملك مزيد الاهتمام ، وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة ، ولسموكم أن تعمدوا في إجراء ما يلزم لذلك من الإصلاحات على كل انعطاف وتأييد من جانب الحكومة الإنجليزية ، وعلى أن أزيد على ما تقدم أن حكومة جلالته الملك تعول بكل اطمئنان على إخلاص المصريين ورويتهم واعتدالهم في تسهيل المهمة الموكولة إلى قائد جيوش جلالته المكلف بحفظ الأمن في داخل البلاد ، ومنع كل عون للعدو ، وإني أتهز هذه الفرصة ، فأقدم لسموكم أجمل تعظيماتي «

« ملن شيتام »

بهذه الوثيقة أرادت الحكومة البريطانية تسوية الانقلاب الذي أحدثته في ديسمبر سنة ١٩١٤ ، ولعلك تلاحظ من تلاوتها والتأمل فيها مبلغ المغالطة في أسانيدها ، ووهن الحجج التي تضمنتها في تسوية الحماية التي فرضتها على البلاد ، فإذا كانت تركيا قد انضمت إلى أعداء إنجلترا ، فما ذنب مصر حتى تتحمل تبعه هذا الانضمام ؟ وتفقد من أجله استقلالها وحريتها ؟ « ولا تزر وازرة وزر أخرى »

لقد كان المنطق السليم يقتضى بعد زوال السيادة التركية أن تؤول هذه السيادة إلى

مصر ، فيصبح استقلالها تاما ، أما أن تؤول هذه السيادة إلى إنجلترا لمجرد دخول تركيا الحرب ضدها ، فهو منطق استعماري ، قوامه انتهاز الفرص لسلب استقلال مصر ، وتحقيق أغراض قديمة تسعى لها إنجلترا في وادي النيل منذ سنة ١٨٨٢ ، بل قبل ذلك بسنين

وكذلك ليس من المنطق السليم في شيء أن يؤدي موقف الخديو عباس الثاني إلى فرض الحماية على مصر ، فلقد سبق لإنجلترا أن أصرت في سنة ١٨٧٩ على خلع الخديو اسماعيل ، وكان خلعها استجابة لطلبها ، ولم يؤد خلعها إلى انتحالها حقوقا في البلاد

وفي الحق ان المرء ليحار في البحث عن رابطة سببية بين خلع الخديو عباس وأيلولة حقوقه إلى إنجلترا ، فلا نجد لذلك علة معقولة ولا مشروعة ، بل هي أكلة الغصب والعدوان فحسب

ومن المنطق المعكوس أيضاً أن تعد الحكومة البريطانية حقوق مصر وديعة تحت يدها ، وأن تفرض الحماية عليها ضمناً لهذه الحقوق !! فإن حقوق الشعوب لا تقبل هذا العبث وهذه السخرية ، وليست هذه الحقوق محلاً لأن تكون وديعة تحت يد دولة أخرى ، وكل أمة تفرط في هذه الوديعة تفقد حقوقها ، وترضى لنفسها بالتبعية لتلك الدولة

على أن نية الغصب والاستعمار تبدو من مجرد المقارنة بين سياسة إنجلترا بإزاء مصر ، وسياستها بإزاء بلجيكا في الحرب العالمية الأولى ، فلقد هبت لنصرتها تجاه الغزو الألماني ، وامتنقت الحسام دفاعاً عن حيادها واستقلالها ، ومع ذلك لم تدع لنفسها أخذ حقوقها وديعة في يدها ، ولا أعلنت حمايتها عليها تأييداً لهذه الحقوق ! ومن هذه المقارنة يبدو الفرق جلياً بين النية الخالصة الحسنة نحو بلجيكا ، والنية السيئة نحو مصر

ومن عجب أن تدعى إنجلترا لنفسها في هذه الوثيقة حقوقاً تقول إنها استعملتها في البلاد مدة سني الإصلاح الثلاثين التي سبقت إعلان الحماية ، فليت شعري ما هي تلك الحقوق التي ادعتها ؟ إذا كانت تقصد احتلالها البلاد منذ سنة ١٨٨٢ واعتدائها على استقلالها ، وإلغاءها دستورها ، وتغلغلها في شئونها ، ومحاولة فصل السودان عنها ، فهذه ليست حقوقاً ، بل هي مظاهر للغصب والاعتساف ، وإن في تعبيرها عن سني الاحتلال بأنها سني إصلاح فيه أيضاً

مخالفة للواقع ، لأن هذه السنين كانت كلها من ناحية التعليم والثقافة والصحة والصناعة والتجارة والجيش والبحرية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية والحرية السياسية سنوات تأخر وانحطاط ، لا سنوات تقدم وإصلاح<sup>(١)</sup>

ومع ذلك لم يدع أحد أن أى إصلاح يعمل لأمة على يد دولة أجنبية غاصبة يعدل استقلالها وحريتها ، لأن الاستقلال هو سر الحياة والكرامة للأمم جميعاً ، ولا يعوضه أى إصلاح مزعوم يحىء فى ظل الذل والعبودية ، وفى ذلك يقول اللورد دفرين فى تقريره عن مصر سنة ١٨٨٣ : « لو فعلنا ما فعلنا من الإصلاحات لرأى المصريون أنهم موضع الغدر والغبن فى شراء تلك المزايا ، ومن حقهم أن يروا ذلك ، إذ يكون ثمنها فاحشاً ، وهو ضياع استقلالهم الوطنى »

ولعلك تلاحظ فى شىء من التهمك المرير ما تشير إليه هذه الوثيقة من أن زوال السيادة العثمانية يزيل القيد الذى كان يحدد عدد الجيش المصرى بثمانية عشر ألف مقاتل ، أو بعبارة أخرى أنه يزيح العقبة التى تعوق تقدم الجيش المصرى وزيادة عدده ! فى حين أن الواقع أن هذا القيد لم يكن إلا إسمياً ، وأن مصر كانت قبل الاحتلال حرة فى أن تزيد عدد جيشها كما تشاء ، وأن هذا الجيش لم يصب بالضعف والانهلال إلا فى عهد الاحتلال والحماية ، وما بعد الحماية

أما حق الإنعام بالرتب والنياشين ، فإن ولى الأمر فى مصر كان يتمتع بحق الإنعام بها كما يشاء ، هذا إلى أن مسألة الرتب والنياشين ليست مما يؤبه له فى حياة الأمم ، بل هى فى بلاد الشرق وسيلة من وسائل الاستعباد والتأخر

وفى الوثيقة إشارة صريحة إلى إهدار شخصية مصر الدولية فى علاقاتها مع الدول الأجنبية إذ حتمت أن تكون هذه العلاقات بواسطة المعتمد البريطانى فى مصر ، وهذا القيد معناه إلغاء وزارة الخارجية التى كانت لمصر من قبل ، وحرمانها حق الاتصال بالدول الأجنبية

(١) راجع فى تفصيل ذلك الفصل الثانى عشر من كتابنا «مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال» (النتائج العامة للاحتلال الأجنبى) ص ١٩٧ وما بعدها

بغير وساطة المندوب البريطاني ، وهذا الحرمان من أحص مظاهر الحماية ، وقد ألغيت وزارة الخارجية فعلا في عهد الحماية ، وظلت ملغاة إلى أن أعيدت في مارس سنة ١٩٢٢

وفيا يتعلق بنظام الحكم قد أعلنت الوثيقة أن قاعدته هي « التدرج في إشراك المحكومين في الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الأمة في الرق السياسي » ، وهذه القاعدة هي استمرار للسياسة التي اتبعتها إنجلترا منذ سنة ١٨٨٢ ، وقوامها حرمان الأمة الاستقلال والنظام الدستوري الذي نالته قبل الاحتلال ، متعلقة بتلك الدعوى الباطلة ، وهي عدم كفاية البلاد للاستقلال والدستور ، وهذا معناه فرض الحكم المطلق على الشعب ، وعلى هذا الأساس وضعت إنجلترا النظم الصورية التي تعاقبت على البلاد منذ ١٨٨٣ ، كمجلس شورى القوانين ، والجمعية العمومية ، ثم الجمعية التشريعية ، فجاءت الوثيقة معلنة أن إنجلترا لا تحيد عن هذه السياسة التي تحرم الشعب حقوقه الدستورية ، فوق حرمانه حقوقه في الاستقلال ، فما أبعده الفرق بين ما أعلنته إنجلترا في هذه الوثيقة وبين عهودها ووعودها السابقة في الجلاء عن مصر !

هذا إلى أن في إعلان الحماية نقضاً صارخاً للمنشور الجنرال مكسويل الذي أذاعه في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ (ص ١٦) وأعلن فيه أن إنجلترا إنما تحارب للدفاع عن حقوق مصر وحريتها التي كسبها محمد علي في الأصل ميادين القتال ، فما هي إنجلترا قد سلبت هذه الحقوق وتلك الحرية ، ولم يمض على هذا المنشور أربعون يوما !

وصفوة القول ان التبليغ البريطاني للسلطان حسين كامل هو من أخطر الوثائق التي تضرب مثلاً في نقض العهود ، ونكث اللوائح ، وسلب الشعوب حقوقها في الاستقلال والدستور

وغنى عن البيان أن هذا التبليغ قد قوبل من الشعب بالسخط والألم ، كما قوبل اعتلاء السلطان حسين كامل عرش مصر على أساس هذا التبليغ بالدهشة والمرارة ، إذ رأى الشعب في تنصيبه سلطاناً على مصر بخطاب موجه إليه من المعتمد البريطاني أول مظهر للحماية وضياع الاستقلال ، وأدرك بفطرته السليمة أن السلطان الذي تعينه إنجلترا لا يمثل سيادة مصر ،

بل يمثل سيادة الدولة الحامية ، ومن ثم كان تعيينه بهذه الطريقة إهداراً للاستقلال وامتهاناً  
لكرامة الأمة والعرش والبلاد جميعاً

### تأليف وزارة حسين رشدي باشا

في غداة اليوم الذي أعلنت فيه الحماية ، وفي نفس اليوم الذي خلع فيه الخديو عباس  
الثاني وولى السلطان حسين كامل ( ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ ) ، تألفت وزارة حسين رشدي  
باشا ، التي كانت تتولى الحكم من قبل ، وبقي الوزراء في الوزارة الجديدة ، مع تعديل يسير  
في مناصبهم ، وتغيير خطير في نظام الحكم ، إذ صارت البلاد وحكومتها تحت الحماية  
البريطانية ، وألغيت وزارة الخارجية تبعاً لنظام الحماية ، وتم تأليف الوزارة بموجب كتاب  
أرسله السلطان حسين كامل إلى حسين رشدي بتكليفه تأليف الوزارة ، وجواب رشدي  
باشا بقبول هذه المهمة ، ثم صدر المرسوم السلطاني بتأليفها ، وقد تم ذلك كله يوم ١٩ ديسمبر  
ومن المؤلم حقاً أن يحدث هذا الانقلاب الخطير ، وتعلن الحماية على البلاد ؛ ويهدر  
استقلالها ، ولا يبدو من مصر الرسمية ، ولا من الجمعية التشريعية التي كانت لها بموجب  
القانون النظامي القديم صفة النيابة عن الأمة ، أي احتجاج على هذا الاعتداء الهائل ، بل  
تبقى الوزارة قائمة تقرر الحماية ، ولا يستقيل وزير ، ولا موظف كبير ، احتجاجاً على هذا  
الانقلاب الخطير ، وكذلك بقيت الجمعية التشريعية ساكنة صامتة ، كأن لم يحدث حدث  
في البلاد !! بل إن وكيلها المنتخب للرحوم سعد باشا زغلول كان في مقدمة المحتفين بالسير  
( هنري مكماهون ) أول مندوب سام بريطاني عين في ظل الحماية ، إذ استقبله على محطة  
العاصمة ساعة مجيئه ( يوم ٩ يناير سنة ١٩١٥ ) ، وقال عنه على مسمع من المستقبلين :  
« إن دلائل الخير بادية على وجهه » ، وأمل أن يجزل الله لمصر الخير على يده<sup>(١)</sup>

وإنا موردون هنا الوثائق الرسمية التي تألفت بمقتضاها وزارة رشدي باشا ، وهي  
وزارته الثانية :

(١) المقطم عدد ١١ يناير سنة ١٩١٥



## كتاب السلطان حسين كامل إلى حسين رشدي باشا

« عزيزي رشدي باشا : إن الحوادث السياسية التي وقعت في هذه الأيام أدت إلى بسط بريطانيا العظمى حمايتها على مصر ، وإلى خلو الأريكة الخديوية ، وبهذه المناسبة أرسلت الحكومة البريطانية إلينا رسالة نبعث بصورتها إليكم ، لنشرها على الأمة المصرية ، موجبة فيها نداءها إلى ما انطوى عليه فؤادنا من عواطف الإخلاص نحو بلادنا لكي ترتقي عرش الخديوية المصرية بلقب « السلطان » ، وستكون السلطنة وراثية في بيت محمد علي طبقاً لنظام يقرر فيما بعد

« وقد كان لنا بعد أن وقفنا حياتنا كلها إلى اليوم على خدمة بلادنا أن يكون الإخلاق إلى الراحة من عناء الأعمال مطمح أنظارنا ، إلا أننا بالنظر إلى المركز الدقيق الذي صارت إليه البلاد بسبب الحوادث الحالية قد رأينا مع ذلك أنه يتحتم علينا القيام بهذا العبء الجسيم وأن نستمر على خطتنا الماضية ، فنجعل كل ما فينا من حول وقوة وفقاً على خدمة الوطن العزيز ، هذا هو الواجب المفروض علينا لمصر ولجدنا المجيد محمد علي الكبير الذي نعمل على تخليد الملك في سلانته

« وبما فطرنا عليه من الاهتمام بمصالح القطر سنوجه عنايتنا على الدوام إلى تأييد السعادة الحسية والمعنوية لجميع أهاليه ، مواصلين خطة الإصلاحات التي بدى العمل فيها ، لذلك ستكون همه حكومتنا منصرفة إلى تعميم التعليم وإتقانه بجميع درجاته ، وإلى نشر العدل وتنظيم القضاء بما يلائم أحوال القطر في هذا العصر ، وسيكون من أكبر ما تعنى به توطيد أركان الراحة والأمن العام بين جميع السكان ، وترقية الشؤون الاقتصادية في البلاد

« أما الهيئات النيابية في القطر فسيكون من أقصى أمانينا أن نزيد اشتراك المحكومين في حكومة البلاد زيادة متوالية

« ونحن على ثقة بأننا في سبيل تحقيق هذا المنهاج سنجد لدى حكومة صاحب الجلالة البريطانية خير انعطاف في تأييدنا ؛ وإننا لموقنون بأن تحديد مركز الحكومة البريطانية

في مصر تحديداً واضحاً بما يترتب عليه من إزالة كل سبب لسوء التفاهم يكون من شأنه تسهيل تعاون جميع العناصر الساسية بالقطر لتوجيه مساعيها معاً إلى غاية واحدة ؛ وإننا نعتد على إخلاص جميع رعايانا لتعضيدنا في العمل الذي أمامنا . ولو ثوقنا بكمال خبرتكم وبما تحلّيتم به من الصفات العالية ، واعتماداً على وطنيتكم ، نطلب منكم مؤازرتنا في المهمة التي أخذناها على عاتقنا ، وندعوكم بناء على ذلك إلى تولي رئاسة مجلس وزرائنا وإلى تأليف وزارة تختارون أعضائها لمعاونتكم وتعرضون أسماءهم على تصديقنا العالی ، ونسأل الحق جلت قدرته أن يبارك لنا جميعاً فيما نبغيه من نفع الوطن وبنيه «

« حسين كامل »

١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

### جواب رشدي باشا

« مولاي : أقدم لسدة عظمتكم السلطانية مزيد الشكر على ما أوليتموني من الشرف السامي ، إذ تفضلتم عليّ بأمركم الكريم الذي فوضتم به إليّ تأليف هيئة الوزارة « نعم إنني كنت وكيلاً عن وليّ الأمر السابق ، ولكنني مصري قبل كل شيء ، وبصفتي مصرياً قد رأيت من المفروض عليّ أن أجتهد تحت رعايتكم السلطانية في أن أكون نافعاً لبلادي ، فتغلبت مصلحة الوطن السامية التي كانت رائدي في كل أعمال على جميع ما عداها من الاعتبارات الشخصية ، لهذا فإنني أقبل المهمة التي تفضلت عظمتكم السلطانية بتفويضها إليّ ، ولما كان زملائي بالأمس الموجودون الآن بمصر متشربين بنفس هذه العواطف وهم لذلك مستعدون للاستمرار على معاونتهم لي ، فإنني أشرف بأن أعرض على تصديق عظمتكم السلطانية وفق هذا المشروع المرسوم السلطاني بتشكيل هيئة الوزارة الجديدة وإنني بكل احترام وإجلال لعظمتكم السلطانية العبد الخاضع المطيع المخلص «<sup>(١)</sup>

تحريراً في ٢ صفر سنة ١٣٣٣ ( ١٩ ديسمبر ١٩١٤ ) « حسين رشدي »

وقد صدر المرسوم السلطاني بتأليف الوزارة على النحو الآتي :

(١) مجموعة القرارات والمنشورات سنة ١٩١٤ ، ص ٣٧٧

حسين رشدي باشا للرئاسة والداخلية ، اسماعيل سرى باشا للأشغال العمومية والحريرية والبحرية . أحمد حلمى باشا للزراعة . يوسف وهبه باشا للمالية . عدلى يكن باشا للمعارف . عبد الخالق ثروت للحقانية . اسماعيل صدقى باشا للأوقاف

## مظاهر الاحتجاج

على هذا الانقلاب

من الواجب أن نعترف أن انقلاب سنة ١٩١٤ ، وإن كان قد قوبل من الشعب بالألم والدهشة ، إلا أنه لم يقابل إلا باحتجاج يسير ضيق الأفق ، محدود الأثر . ولعل بسط الأحكام العرفية البريطانية على البلاد لأول مرة في تاريخها الحديث ، كان له دخل في إثارة الأمة جانب الصمت والوجوم ، وكبت الألم في النفوس . كما أن تدفق القوات المسلحة على البلاد كان ولا ريب أهم العوامل فيما عراها من ضعف واستسلام للقوة الغاشمة ، وهذا الأثر يحدث مثله في معظم البلدان التي تحتلها جيوش أجنبية

ومن الوسائل التي اتخذتها الحكومة لتدعيم الانقلاب واجتذاب الخاصة إليه التعظيم من شأن الوزراء في ظل الحماية ، وإحاطتهم بمختلف المزايا والمظاهر ، لكي يزدادوا تعلقاً بمناصبهم ، ويزداد الناس تهاافتاً عليها ، فمن ذلك اختصاصهم بالألقاب ميزتهم عن حملة الرتب والألقاب ، كتلقيب الوزراء بأصحاب «المعالى» ، بعد أن كانوا أصحاب «سعادة» فقط ، وتلقيب رئيس الوزراء بصاحب «دولة» ، بعد أن كان صاحب «عطوفة» ، فهذه الألقاب من مخلفات عهد الحماية ، وقد نص الأمر السلطاني الصادر في ١٨ إبريل سنة ١٩١٥ أن يكون لقب «صاحب المعالى» للوزراء ورئيس الجمعية التشريعية والسردار ورئيس الديوان السلطاني وكبير أمناء السلطان ، وأصحاب الوشاح الأكبر من نشان محمد على ، وحائزى رتبة الامتياز ، ولقب «حضرة صاحب السعادة» للفريق العسكرى وللحائزين لرتبة باشا ، و«صاحب السعادة» فقط للحائزين لرتبة اللواء العسكرية الخ

وعمد السلطان حسين إلى السخاء في منح رتب الباشوية والبكوية لكثير من الأعيان

والوجهاء والموظفين ، فكان لهذه الوسيلة أثرها في كسر حدة السخط والمعارضة ، وأخذ الأعيان يتطلعون كما دبتهم إلى التحلي بهذه الرتب ، من طريق الإخلاص للسلطان وللنظام القائم ، فاجتذبت الحكومة بذلك ولاء طبقة الأعيان والمثقفين في مختلف العواصم والمدريات ، وصار الانقلاب أمراً مألوفاً بين الفئة التي تمثل أقوى عناصر المجتمع في البلاد والآن نذكر بعض مظاهر الاحتجاج على هذا الانقلاب

### احتجاج « الشعب » عن الظهور

#### احتجاجاً على إعلان الحماية

كان معروفاً أن قرار الحماية سيصدر قبل إعلانه بمدة ، وكان محتماً على الصحف أن تنشره عند صدوره ، فأعلن المرحوم أمين بك الرافعي رئيس تحرير جريدة ( الشعب ) في عدد ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ أنه سيحتج من ذلك اليوم ، وأنه سيعود بمشيئة الله إلى الظهور ، وقد اتخذ رحمه الله هذا القرار على أثر مداولة قصيرة بينه وبين عبد الله بك طلعت مدير الجريدة وبيني ، فاتفق ثلاثتنا رأياً على وجوب وقف صدورها ، وكان الغرض من هذا الوقف أن لا ينشر في « الشعب » إعلان الحماية المشؤم والبلاغات التي تستتبعها الحماية

كان هذا الاحتجاج أول احتجاج من مصر على الحماية البريطانية ، وقد وقع في الوقت الذي بلغت فيه صحيفة « الشعب » ذروتها من حيث الانتشار والرواج والمكانة الصحفية ، إذ كانت أوسع الجرائد انتشاراً ، وكان الجمهور يتلقفها بلهف زائد ليتعرف منها أبناء الحرب العالمية ، ويتحسس فيها اتجاه الناحية الوطنية ، فكان إيقاف صدورها تضحية مالية كبيرة

### اضطهاد الوطنيين

تولت السلطة العرفية حكم البلاد في خلال الحرب ، فكان أول عمل لها اضطهاد الحزب الوطني ، ومطاردة رجاله ، فضبطت أوراقه ودفاتره ، وسجلاته ، وشتتت شمل أعضائه أو الذين اشتبهت بأنهم من أعضائه أو أنصاره ، واعتقلت الكثيرين منهم في سجن الاستئناف ،

وفي معتقلات درب الجمايز، وطرة، والجيزة، وسيدى بشر، وسجن الخدرة بالإسكندرية، ونفت بعضهم إلى مالطة وأوروبا، فمن الذين أصابهم الاعتقال أحمد بك لطفى . على فهمى كامل بك . عبد الله بك طلعت . عبد اللطيف بك الصوفانى ( وقد وضع تحت المراقبة فى دمنهور ) . الأستاذة عبد المقصود متولى . محمد زكى على . أحمد وفيق . أمين الرافعى . عبد الرحمن الرافعى . مصطفى الشوربجى . اسماعيل بك حافظ صهر محمد بك فريد . محمد فؤاد حمدى . ابراهيم رياض . الدكتور عبد الحليم متولى . الدكتور عبد الفتاح يوسف . أحمد أفندى رمضان زيان . اليوزباشى حافظ محمود قبودان . اليوزباشى أحمد حموده . محمد أفندى الشافعى . مصطفى أفندى حمدى . يعقوب أفندى صبرى . أحمد نبيه قبودان . اسماعيل أفندى حسين . الشيخ ابراهيم مهرونى الخ الخ

ومن نفوا إلى أوروبا الدكتور نصر فريد بك . وإلى مالطة الدكتور عبد الغفار متولى . الأستاذ محمد عوض محمد : الأستاذ محمود ابراهيم الدسوقى . الأستاذ محمد عوض جبريل . حامد بك العلابى . الدكتور حسن نور الدين . سلامه أفندى الخولى . الأستاذ على فهمى خليل . الأمير أفندى العطار . وغيرهم وغيرهم ، وقد لبثوا فى المعتقلات أو فى المنفى مدداً طويلاً ، ومنهم من لبث فى السجن أو المنفى إلى ما بعد الهدنة سنة ١٩١٨ ، أما من أفرج عنهم فقد قيدت حريتهم ، ووضعوا تحت المراقبة

## مظاهرة طلبة الحقوق

### يوم زيارة السلطان حسين

اعتزم السلطان حسين كامل زيارة معاهد العلم ، وزار بعضها ، وكان من مظاهر سخط الشباب على الحماية والانقلاب الذى استتبعه أنه لما جاء دور زيارته لمدرسة الحقوق انفق معظم طلبتها على الامتناع عن الحضور فى اليوم المحدد لهذه الزيارة السلطانية ( ١٨ فبراير سنة ١٩١٥ ) ، وأنفذوا عزمهم ، وتغيبوا عن الحضور فى ذلك اليوم ، فلما جاء السلطان لوحظ فراغ كبير فى صفوف الطلبة ، فكان هذا الإضراب شبه مظاهرة صامتة ضد الحماية

والانقلاب . وقد اهتمت الوزارة للأمر ، وأجرت تحقيقاً عن تقع عليهم مسئولية هذه المظاهرة ، وقررت توقيع العقوبات الآتية على من ثبتت إدانتهم ، وهام أولاء نذكر لك أسماءهم فيما يلي ، فلعل في بيان هذه الأسماء ما يعطيك فكرة عن ناحية من حياة الشباب في ذلك العصر ، وبخاصة لأن منهم من شغل فيما بعد مراكز ممتازة في عالم القانون أو السياسة

(أولاً) فصل أربعة وخمسين طالباً . وهم :

أحمد مرسي بدر . محمد صبرى أبو علم . أمين خليفة أبو زيد . أحمد أحمد عبد الله . السيد أحمد محمد ابراهيم . يوسف أحمد الجندى . أحمد اسماعيل فهمى . محمد فؤاد حمدى . عبد السلام يوسف . محمود محمود موسى . عبد العظيم محمد الهادى رسلان . عبد العزيز ابراهيم عبده . محمود حسن درويش . محمد نصر الدين . محمد سامى . أحمد محمود محمد . سليم خيرى . محمود وهيدان . محمد أمين صدقى . حافظ حسن عامر . عثمان فهمى . أحمد والى الجندى . خالد محمد مؤمن . محمد فريد كمال . ( من طلبة السنة الرابعة قسم انجليزية ) .

محمد فهمى كراهه . أحمد لطفى . ابراهيم رياض . محمد السيد واكد . ابراهيم السيد . محمود سامى الزارع . عبد الله بهجت . اسماعيل محمود حمدى . عمر عمر . قايد زكى . عبد العزيز محمد السوسى . محمد حميد . عبد العال السيد ( من طلبة السنة الثالثة قسم انجليزية ) .

محمد على صادق . صادق العجيزى . محمد خالد باشات . محمد مصطفى كمال الديب . أحمد عبد اللطيف . سليمان حافظ . محمد فكرى أباطه . على أحمد رضا . محمد أمين الشاهد رياض الشريف . عبد اللطيف أحمد . أحمد اسماعيل محمود . اسماعيل محمد دبوس . راتب حمزة . عبد الباقي عثمان . محمد عباس رفعت . حسن يسن ( من السنة الثالثة قسم انجليزية أيضاً )

(ثانياً) حرمان ثلاثة عشر طالباً امتحان آخر سنة ١٩١٥ وهم :

حسن مختار رسمى . حسن اسماعيل الهضيبي ( من طلبة السنة الرابعة قسم انجليزية ) ابراهيم صبحى . عبد العظيم حسن الهراس . محمود سامى جنينة ( من طلبة السنة الثالثة قسم

انجليزى) أحمد حسنى . محمد خليل . عباس حلمى محمد . خليفة جمعة . على بدوى . محمد سليم . محرز أحمد الحارتى . عبده محرم ( من طلبة السنة الثانية )

( ثالثاً ) حرمان ثمانية عشر طالباً امتحان آخر السنة مع إيقاف التنفيذ وهم :

محمود على ناصر . محمد عزيمى . محمد عبد الله عنان . محمد محمد محمود . محمد كامل محمود .  
راغب محمد عبد الله دويدار . عبد الحميد محمد عمر وشاحى . محمد أبو الوفا . مرسى فرحات .  
سليمان نجيب . محمود حلمى لهيطة . أحمد عبد الباقي راضى . عباس حسن هرجه . محمد  
البغدادى أبو الوفا . سيف النصر حسين حيدر . أنور على . عبد الغنى زيدان . محمد  
عمر دمرداش ( من طلبة السنة الأولى )

ثم صدر فى مارس/عفو سلطانى عن الطلبة المفصولين والمحرومين من الامتحان ،  
واستثنى من هذا العفو سبعة عشر طالباً الذين أثبت التحقيق أنهم كانوا المحرضين لزملائهم  
على التظاهر وهم : أحمد مرسى بدر . محمد صبرى أبو علم . محمود وهدان . محمد فؤاد حمدى .  
عبد العزيز ابراهيم عبده . أحمد والى الجندى . أحمد أحمد عبد الله . حافظ حسن عامر .  
أحمد لطفى . ابراهيم رياض . اسماعيل محمود حمدى . محمد فهمى كرامة . صادق العجيزى .  
على أحمد رضا . رياض الشريف . محمد أمين الشاهد . حسن يس .

وعُنى فى السنة المكتبية التالية عن هؤلاء السبعة عشر طالباً وعادوا إلى المدرسة

### الاعتداء على السلطان حسين كامل

تجاوز سخط الشعب على الحماية إلى السخط على المغفور له السلطان حسين الذى ارتضى

هذا النظام

وفى رأينا أنه وإن كان قد أخطأ بلا ريب فى قبول عرش مصر فى ظل الحماية الأجنبية ،  
وقبل الحماية فعلاً ، إلا أنه كان يعتقد أنه ينقذ بهذا القبول عرش محمد على ، ويحفظه لأسرته ،  
ولقد ذاعت الإشاعات فى ذلك الحين أن الإنجليز ربما أجلسوا على عرش مصر أميراً من  
أمرء الهند

ولقد كان من مظاهر هذا السخط أن اعتدى عليه مرتين ، الأولى بالقاهرة يوم الخميس ٨ ابريل سنة ١٩١٥ ، إذ أطلق عليه شاب يدعى محمد خليل تاجر خردوات من المنصورة عياراً نارياً حين مرور موكبه بشارع عابدين ، فأخطأه وأصاب العربة التي كانت تقله ، ولم يحدث بها سوى ثقب في جلدتها ، وقبض على الجاني وحوكم أمام مجلس عسكري بريطاني ، وحكم عليه بالإعدام شنقاً ، ونفذ فيه الحكم يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩١٥

وبعد مرور شهرين على هذا الحادث وقع اعتداء آخر لا يقل شططاً ونكراً عن الاعتداء الأول ، ففي يوم الجمعة ٩ يوليه سنة ١٩١٥ بينما كان السلطان سائراً بموكبه بالإسكندرية قبيل ظهر ذلك اليوم من قصر رأس التين إلى مسجد سيدي عبد الرحمن بن هرمز لأداء فريضة الجمعة ، أقيت عليه قنبلة من نافذة أحد المنازل المطلة على شارع رأس التين فسقطت القنبلة على ظهر جواد من جوادى المركبة السلطانية ، ثم تدرجت على الأرض ولم تنفجر ، وقد استغرق التحقيق في هذه الحادثة زمناً طويلاً لغموضها وصعوبة الكشف عن المتآمرين فيها ، وأسفر عن اتهام تسعة من الشبان بتدبير الحادث وهم : محمد نجيب الهلباوى . محمد شمس الدين . محمد فريد . محمود عنایت . شفيق منصور . أحمد سابق . عبد الفتاح يوسف . عبد الله حسن . على صادق . ثم استقر رأى النيابة على إدانة اثنين منهم وهما محمد نجيب الهلباوى ومحمد شمس الدين ، وحوكاً أمام مجلس عسكري بريطاني ، فحُكِمَ عليهما بالإعدام شنقاً ، وصدق القائد العام للقوات البريطانية<sup>(١)</sup> على الحكم ، ولكن السلطان حسين طلب تخفيفه ، فأبدله القائد العام بالأشغال الشاقة المؤبدة

ويدخل في هذا السباق حادث الاعتداء على ابراهيم فتحى باشا وزير الأوقاف<sup>(٢)</sup> ، ففي مساء ٤ سبتمبر سنة ١٩١٥ ، بينما كان واقفاً على رصيف محطة القاهرة مزعماً السفر بقطار الوجه القبلى اعتدى عليه شاب يدعى صالح عبد اللطيف ، وهو موظف بوزارة

(١) هو الجنرال السير أرشبلد مري الذى خلف الجنرال مكسويل فى قيادة الجيوش البريطانية فى مصر منذ أوائل سنة ١٩١٦ ، وبقى يتولى هذه القيادة إلى أن خلفه الجنرال اللنبى فى يونيه سنة ١٩١٧  
(٢) كان وزيراً للأوقاف منذ ٢٠ مايو سنة ١٩١٥ بدلا من إسماعيل صدق باشا المستقيل



المالية ، بأن طعنه بخنجر ثلاث طعنات جرحه جروحاً بليغة في كتفه ، ولكنه شفى منها بعد حين ، وحوكم الجاني أمام مجلس عسكري بريطاني ، وحكم عليه بالإعدام شنقاً ، ونفذ فيه الحكم يوم ١٣ أكتوبر

### تعطيل الجمعية التشريعية

كانت الجمعية التشريعية هي الهيئة شبه النيابية القائمة في ذلك العهد ، وقد انتهى الفصل التشريعي الأول ( الوحيد ) لها في شهر يونيه سنة ١٩١٤ ، قبيل نشوب الحرب ، فلما شبت الحرب رأت السياسة البريطانية تعطيل اجتماعها ، تفادياً من أن تصدر قرارات قد يكون فيها معنى الاحتجاج على الانقلاب

فصدر أمر عال في ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٤ بتأجيل ابتداء دور الانعقاد الثاني الذي كان محدداً له أول نوفمبر سنة ١٩١٤ إلى أول يناير سنة ١٩١٥ ، وورد في ديباجة الأمر بيان السبب الذي دعا إلى هذا التأجيل وهو « نظراً للظروف الحالية التي من شأنها أن توقف وضع منهاج خاص للإصلاحات التشريعية ، فضلاً عن أن تلك الظروف قد تضطر السلطة التنفيذية في كل حين إلى اتخاذ تدابير استثنائية ومستعجلة »

وفي ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ صدر مرسوم بتأجيل دور الانعقاد إلى فبراير سنة ١٩١٥ ، ثم صدر مرسوم آخر بتأجيله إلى ١٥ أبريل ، ثم إلى أول نوفمبر سنة ١٩١٥ ، ثم أجلت إلى أجل غير مسمى بموجب المرسوم الصادر في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩١٥ ، ولم تُدع بعد ذلك إلى الاجتماع ، وظلت البلاد محرومة أية هيئة نيابية أو شبه نيابية عشرة أعوام كاملة حتى أعلن الدستور سنة ١٩٢٣

### تدفق الجنود البريطانية على مصر

كثر تدفق الجيوش من مختلف أنحاء الإمبراطورية البريطانية على مصر ، حيث اتخذت قاعدة حربية عامة للحلفاء في الشرق الأوسط ، وقد أفاد الحلفاء وبخاصة إنجلترا من هذا

الموقف فوائده حربية وسياسية هامة كان لها أثرها في فوزهم ، فكانت مصر مركزاً لدعايتهم السياسية في سوريا وجزيرة العرب طيلة مدة الحرب ، كما كانت لهم قاعدة لجملة الدردنيل وجملة العراق ، ثم حملة فلسطين وسوريا التي أدت إلى النصر النهائي لانجلترا وحلفائها في الشرق وقد صدرت من كثير من هؤلاء الجنود تصرفات منكرة في القاهرة والإسكندرية ، وفي مختلف البنادر والثغور والقرى التي حلوا بها ، فوعدت منهم الاعتداءات الكثيرة على الناس في أموالهم وأرزاقهم ، بله الاعتداء عليهم بالضرب والقتل ، مما كان له أثر عميق في كراهية الناس للاحتلال ثم الحماية

### الجملة التركية على قناة السويس

زحفت حملة تركيا على حدود مصر من ناحية العريش واجتازت شبه جزيرة سيناء ، وتبين من تطور الحوادث أن الترك لم يكونوا يقصدون غزو مصر ، بل كانوا يرمون باتفاقهم مع الألمان إلى مناوشة البريطانيين ليحجزوا أكبر عدد من الجند في مصر ويخففوا الضغط عليهم في الميادين الأخرى

### واقعة طوسون

٣ فبراير سنة ١٩١٥

وفي ليلة ٢ - ٣ فبراير سنة ١٩١٥ حاول الترك اجتياز القناة من محطة طوسون ، فصددهم الجيش البريطاني بمعاونة كتيبة من الجيش المصري برئاسة الملازم الأول أحمد أفندي حلمي الذي كان يقود على الضفة الغربية للقناة البطارية الطوبجية المصرية الخامسة ، وقدمد الترك جسراً خفيفاً منصوباً على زوارق من الألومنيوم لعبور القناة عليه ، ولما أتموا تركيبه وبدءوا فعلاً بالسير عليه ليعبروا القناة فاجأهم الملازم الأول بنيران المدفعية ، فأحبط محاولتهم ، وقتل هو في المعركة ، وعرفت هذه الواقعة بواقعة طوسون

وقد كان اشتراك الجيش المصري في هذه الحرب التي كانت ترمى ( من الناحية

البريطانية) إلى تأييد الحماية على مصر ، أول نقض للعهد الجديد الذي أعلنته إنجلترا ، وهي أن لا تحمل مصر شيئاً من أعباء هذه الحرب ، ولعلك قد لاحظت في قرار مجلس الوزراء الصادر في ١٥ أغسطس سنة ١٩١٤ ( ص ١٣ ) - وكان صدوره باتفاق الوكالة البريطانية بل بإيعازها - أن وجود الجيش البريطاني في مصر هو الذي جعل مصر عرضة لهجوم أعداء إنجلترا ، فهذا الهجوم لم يكن موجهاً ضد مصر ، بل ضد وجود الإنجليز فيها ، ولذلك كان منطقياً ما أعلنه الجنرال مكسويل في منشور ٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ ( ص ١٧ ) من تعهد إنجلترا بأن تأخذ على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب ، ولا تطلب من الشعب المصرى سوى الامتناع عن أعمال عداوية ضدها ، لأنه لا يمكن أن يطلب من الشعب اشتراكه في أعباء حرب كان مقصوداً منها تثبيت الاحتلال والحماية عليه

### واقعة الرمانه

٤ أغسطس سنة ١٩١٦

وفي أغسطس سنة ١٩١٦ حاول الترك مهاجمة صحراء سيناء مرة ثانية ، وكان عددهم نحو ثمانية عشر ألف مقاتل ، فهاجموا في منتصف ليلة ٤ من هذا الشهر المواقع الحربية بين قطية والرمانه في معركة فاصلة عرفت بواقعة الرمانه (أوروماني) ، ولكنهم منوا بهزيمة كبيرة ، وارتدوا عن ميدان القتال ، وبلغت خسائرهم في هذا اليوم والأيام التالية نحو خمسة آلاف مقاتل ، منهم ٣٣٠٠ أسير ، ولم يفكروا بعد هذه الواقعة في استئناف الهجوم على قناة السويس ، ثم لم يلبثوا أن انسحبوا من شبه جزيرة سيناء ، وأخلوا رفح والعريش

وكان لفرقة العمال المصريين الفضل الأكبر في إحراز النصر في هذه المعركة ، فهي التي عيبت الطرق على مسافة أوف من الأميال في سيناء ، وورصفتها بالمكدام ، وجعلتها صالحة لسير السيارات المدرعة وأنواع المركبات كافة ، ومدت خطوط السكك الحديدية في هذه الصحراء القاحلة ، وحفرت الآبار في كل مكان ، وأوصلت المياه العذبة إلى كل نقطة ، وشادت الحصون والاستحكامات ، وحفرت الخنادق ، ونظمتها بمهارة كبيرة ، ومدت أنابيب

المياه وطمرتها تحت الرمال صيانة لها ، ونقلت أدوات التلفون والتلغراف ، ونصبتهما في أماكن معينة ، ونقلت المعونات والذخائر إلى مسافات شاسعة في أرض وعرة يصعب فيها السير لولا هذه الأعمال الباهرة التي كانت أساس الانتصارات العسكرية في هذه المنطقة

### حملة السنوسى على حدود مصر الغربية

وأعد السنوسى الكبير ( السيد أحمد الشريف السنوسى ) باتفاقه مع الترك حملة على مصر من حدودها الغربية ، وأنفذ هذه الحملة في نوفمبر سنة ١٩١٥ ، وانسحبت حاميتها « السلوم » و « سيدى برانى » ودخلهما السنوسيون ، واعتصم الإنجليز في « مرسى مطروح » واتخذوها مقرا لقيادتهم ، ودارت معارك عنيفة حولها في أواخر سنة ١٩١٥ وأوائل سنة ١٩١٦ ، انتهت بارتداد السنوسيين ، وزحفت قوات سنوسية أخرى جنوبا ، واحتلت سيوه والواحات البحرية والفرافرة والداخلة ، ثم زحف الجيش الإنجليزى من مرسى مطروح تؤيده السيارات المدرعة واشتبك والسنوسيين يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩١٦ في معركة ( أجاجية ) الواقعة في الجنوب الشرقى من سيدى برانى ، وعلى مسيرة خمسة عشر ميلا منها ، وانتهت باسترداد سيدى برانى

وفي مارس سنة ١٩١٦ استرد الجيش المصرى الإنجليزى مدينة السلوم ، وفي اكتوبر ونوفمبر سنة ١٩١٦ استرد الواحات الداخلة والبحرية والفرافرة ، وفي فبراير سنة ١٩١٧ استرد واحة سيوه ، وانتهت حملة السنوسى بالإخفاق والهزيمة

### في السودان

ويدخل في هذا السباق أن على بن دينار سلطان دارفور شق عصا الطاعة على حكومة السودان في سنة ١٩١٦ ، فأنفذت إليه حملة من الجيش المصرى ، اجتازت حدود دارفور في ابريل من تلك السنة ، فاحتلت الآبار الهامة ، وبذلك اضطرت جيش على دينار إلى البقاء في الفاشر ، وسدت في وجهه الطرق الرئيسية المؤدية إلى حدود بلاده ، وزحفت الحملة

على الفاشر عاصمة دارفور ، واشتبكت مع جيش ابن دينار في معركة فاصلة يوم ٢٢ مايو سنة ١٩١٦ انتهت بهزيمته وفراره إلى جبل مرة واحتلال الفاشر وخلع على ابن دينار ، وأرسل السلطان حسين كامل إلى حاكم السودان العام يهنئه ويهنئ الجيش المصرى بهذا النصر الباهر ، وأرسل إليه الملك جورج الخامس برقية تهنئة قال فيها : « تناولت بمزيد الارتياح الأنباء السارة عن احتلال جنود الجيش المصرى الفاشر عاصمة دارفور بقيادة اللفتننت كولونل كللى ، فأهنئ جميع صفوف الجيش على نجاح حركاتهم رغم المصاعب والمشقات التى حالت فى سبيلهم » ، وأشار حاكم السودان العام إلى فضل الجيش المصرى فى هذه الحملة فى خطبة له ألقاها بنادى الضباط المصريين يوم احتفالهم برأس السنة الهجرية ( ١٣٣٥ - ١٩١٦ ) إذ قال : « إنى بمزيد الفخر والإعجاب أذكر الخدمة العظيمة التى قام بها الجيش المصرى وضباطه البواسل فى دارفور ، فإنها ستبقى مسطورة بأحرف من الذهب فى تاريخ الجيش المصرى ، مما يحملنى ويحمل كل واحد منكم أن يتيه عجباً وسروراً عند ذكر هذه الحملة المدهشة ، فقد تغلب جيش الحكومة بمنتهى الصبر على الصعاب العظيمة ، التى كانت تعترضه من رمل وقلة مياه وصعوبات أخرى جبلية ، لكن الجيش الباسل تغلب على كل هذه الصعاب بصبره العجيب وشجاعته المشهورة ، ثم ضرب العدو فى عقرداره ضربة قاضية ، ومما يذكر بمزيد السرور أن خسائر جيشنا المظفر كانت دون الطفيف ولا يعتد بها ، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى »

وقد أدركت على بن دينار قوة من الجيش المصرى فى معقله بين جبل مرة ودارسلا على حدود دارفور غربا فى نوفمبر سنة ١٩١٦ ، فهزمته وقتل فى المعركة واستسلم بقية الثوار

### حشد السلطة العسكرية للعمال

وجمع الدواب والمؤن

أخذت السلطة العسكرية منذ بداية الحرب تجمع ما تستطيع من العمال والفلاحين

بطريق الإكراه لإرسالهم إلى مختلف النواحي في شبه جزيرة سيناء أو في العراق وفلسطين والدردييل وفرنسا للعمل في ما تحتاج إليه الجيوش

وكان ظاهر الدعوة جمع هؤلاء العمال بطريق الاختيار والتطوع ، ولذلك سموا « متطوعين » ، ولكن الحقيقة أنهم كانوا مكرهين ، يؤخذون بطريق التجنيد ، ووضعت الحكومة المصرية سلطتها وموظفيها رهن أوامر السلطة العسكرية البريطانية ، فكان الحكام الإداريون ، من المديرين إلى عمد البلاد وخفرائها يقومون بعملية جمع الرجال قسراً وتجنيدهم في هذه الأعمال ، واغتنم كثير من العمدة هذه الفرصة لسوق خصومهم إلى هذا التجنيد الذي كان بمثابة النفي والاستهداف للأخطار ، وكان كثير منهم أيضاً يتخذون الدعوة إلى هذا « التطوع » وسيلة للرشوة يبتزونها من الأهلين لإعفائهم من هذا التجنيد ، واشترك في الرشوة مع الأسف كثير من الحكام الإداريين .

و بلغ عدد العمال والفلاحين والمهجّانة المصريين الذين أخذوا من مصر بهذه الوسيلة حتى نهاية تلك الحرب نيفاً ومليون عامل<sup>(١)</sup> ، مات كثير منهم ، وكانوا عوناً كبيراً لانجلترا في إدراكها النصر ، وفي ذلك يقول اللورد ملنر في تقريره الذي سيرد الكلام عنه : « إن الشعب المصري تحمل التكاليف والقيود التي اقتضتها تلك الحرب بالصبر والرضا ، وإن الخدمات التي أداها الفيالق المصرية للعمال لا تقوم بضمن ، ولم يكن عنها غنى للحملة على فلسطين »

واستولت السلطة العسكرية على الدواب اللازمة لها ، فلم تبق على جمل أو حمار صالح للعمل إلا استولت عليه بأبخس الأثمان ، وكذلك فعلت فيما لزمها من الحبوب والمؤن وعلف المواشى ، فإنها أخذت ما أرادت منها بأسعار بخس حددها قسم مراقبة التموين ، حتى لم يجد الناس ما يلزمهم لقوتهم الضروري وعلف مواشيتهم ، وكذلك استولت على معظم الأشجار الخشبية لتنتفع بأخشابها .

(١) ١٧٠٠٠٠ ر ١ سموا ( فرقة العمال والجمالة ) ، وقد أوجب استبقاء هذا الجيش بهذا العدد استخدام نحو مليون ونصف مليون رجل

هذا إلى أن مصر قد اضطرت إلى إنقاص مساحة الأراضي المنزرعة قطناً لزيادة مساحة الأراضي المنتجة للحبوب ، وذلك لتموين الجيوش المتدفقة على مصر أو في ميادين القتال وجملة القول ان جميع موارد مصر من الرجال والمهمات والمؤن والمواشي والحاصلات الزراعية والصناعية ، كانت تحت تصرف السلطة العسكرية البريطانية ، وصارت الحكومة بجميع فروعها تعمل بلا انقطاع لتقديم كل المساعدات اللازمة للجيوش البريطانية ، حتى إن بعض المصالح خصصت نفسها لهذا العمل مهلة شؤون وظيفتها الأصلية ، وأرهقت السكك الحديدية بمحركات النقل الحربى ، وتلف بذلك عدد كبير من القاطرات والعربات والمهمات

### جمع الرديف

لم تكف السلطة العسكرية بجمع العمال والمؤن والدواب ، بل طلبت الرديف من الجيش المصرى لتستخدمه فى الأعمال الحربية ، وذلك على أثر هزيمة الحلفاء فى ميدان الدردنيل ، وفى ٢٠ يناير سنة ١٩١٦ أصدر اسماعيل سرى باشا وزير الحربية قراراً ببناء على ترخيص مجلس الوزراء بطلب جميع الرجال الموجودين بالرديف للخدمة العسكرية ما عدا المستخدمين منهم بمصالح الحكومة ، وظاهر من مذكرة وزير الحربية إلى مجلس الوزراء بشأن هذا القرار أن الباعث له هو الاستجابة لطلب قائد الجيش البريطانى بمصر ، إذ « كان هذا الجيش يعمل فى تنظيم فروع للتشهيلات اللازمة للدفاع عن قناة السويس ، وأن تنظيم هذه التشهيلات يجعله فى حاجة إلى طائفة من العمال المتعودين على النظام العسكرى كالذين يمكن الحصول عليهم من أفراد رديف الجيش » ، وبلغ عدد من جمعوا من الرديف تنفيذاً لهذا القرار نحو ١٣ر٠٠٠ مجند

### مظاهرة الرديف أمام سراى عابدين

تجمع الرديف قسراً من كل ناحية ، فوق تدمر شديد بين أفرادهم ، لسوء معاملتهم ، ورداءة الغذاء الذى كان يعطى لهم

وحدثت مظاهرة منهم أمام سراى عابدين يوم ٢٩ يناير سنة ١٩١٦ ، إذ اجتمع  
المجندون منهم بشكنات عين شمس ، وساروا فى شكل مظاهرة إلى ميدان عابدين ، وهناك  
ضجوا بالشكوى من سوء معاملتهم ، فاستدعى رئيس الوزراء على عجل إلى السراى ، فحضر  
ولما علم بتفاقم المظاهرة استدعى مندوبين عن الرديف ، ووعدهم بأن تنظر الحكومة  
فى شكواهم ، على أن يعودوا إلى ثكناتهم ، فعادوا

وتجددت المظاهرة فى اليوم التالى ، وجاءوا إلى ميدان عابدين وكانت الحكومة قد  
أخذت احتياطات عسكرية لمنع اجتماعهم ، فوقع تصادم بينهم وبين رجال البوليس الراكب ،  
وحدث هرج ومرج ، وأصيب بعض رجال الرديف بجروح بالغة ، وصارت هذه المظاهرة  
حديث الناس فى مجالسهم ، وكان لها صدى بعيد فى النفوس

### الجفاء بين السلطان حسين

#### والمندوب السامى البريطانى

كان السلطان حسين كامل فى بداية عهده بالعرش على وفاق تام مع دار الحماية  
والمستشارين البريطانيين فى الحكومة المصرية ، على أنه لم يلبث أن بدت منه فى أحاديثه  
ملاحظات على بعض تصرفات الموظفين الإنجليز ، وانتقادات بلغت حد الطعن فى السياسة  
البريطانية ، وتناول فى انتقاداته السير هنرى مكماهون Sir Henry Mac-Mahon المندوب  
السامى البريطانى ، فوقع الجفاء بينهما ، وكان كبار الموظفين البريطانيين يعززون هذا  
التطور فى نفسية السلطان حسين إلى أن شخصية المندوب السامى ليست من القوة بحيث  
يحسب لها حساباً كبيراً ، وكانوا يلاحظون فى أحاديثهم الخاصة أن السير مكماهون ليس على  
إلمام تام بدقائق الأحوال فى مصر ، ولم يسبق له العمل فيها قبل أن يشغل منصبه ، فلم يكن  
من هذه الناحية على غرار اللورد كرومر أو السير إدون جورست أو اللورد كتشنر ، الذين  
لم يعينوا فى منصب المعتمد البريطانى إلا بعد أن سبق لهم العمل فى مصر من قبل ، ولم يشذ  
عن هذه القاعدة سوى السير مكماهون ، وقيل إن اللورد كتشنر هو الذى اختاره بعد نشوب



الحرب العامة وإعلان الحماية ، على أن يشغل هذا المنصب مؤقتاً ويعود إليه كتشنر بعد انتهاء عمله في وزارة الحربية ( انظر ص ١٥ ) ، فلما وقع الجفاء بين السلطان حسين والسير مكماهون فكرت الحكومة البريطانية في أن تستبدل به مندوبا سامياً سبق له العمل في مصر والوقوف التام على أحوالها ، فلعله بذلك يكون أقدر منه على تدعيم الانقلاب وامتلاك زمام الحكومة

### تعيين السير رجنلد ونجت

مندوبا سامياً لبريطانيا في مصر

ففي نوفمبر سنة ١٩١٦ عينت الحكومة البريطانية السير رجنلد ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام مندوبا سامياً لبريطانيا في مصر ، بدلا من السير مكماهون ، وكان ونجت باشا في الخرطوم حين أعلن هذا النبأ ، فجاء مصر في أواخر ديسمبر ليشغل منصبه ، وقد أحيط بحميته بمظاهر العظمة والقمامة ، وكان له من سابق صلته بضباط الجيش المصري ، وعلاقته بكبار الحكام ، واستناده إلى الحماية والاحتلال ، ما جعله يفرض شخصيته ونفوذه على الحكومة والسراى ، ويتملك زمام الموقف ، فكان إليه الأمر والنهى في شؤون الحكومة عامة ، دون معارض أو رقيب ، وأخذ يزور الوزارات والمصالح زيارة الحاكم بأمره في البلاد ، وفي عهده وقعت مقدمات ثورة سنة ١٩١٩ كما سيحىء بيانه وقد أبقى السير ونجت لنفسه الإشراف على الجيش المصري وحكومة السودان بعد تعيينه مندوبا سامياً لانجلترا في مصر ، وعين السير لى ستاك باشا نائبا للسردار ونائبا لحاكم السودان العام إلى أن صدر مرسوم بتقليده هذا المنصب نهائياً في ٩ مايو سنة ١٩١٩ ، وجعل تعيينه سرداراً اعتباراً من أول ابريل سنة ١٩١٩

### وفاة السلطان حسين كامل

١٩ أكتوبر سنة ١٩١٧

في أوائل شهر اكتوبر سنة ١٩١٧ اشتد المرض بالسلطان حسين كامل ولزم الفراش ،

ويؤس الأطباء من شفائه ، وأخذت العلة تلحّ عليه ، حتى وافاه الأجل المحتوم يوم ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ ( ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ ) ، وشيعت جنازته في احتفال مهيب حيث نقل جثمانه من قصر عابدين إلى مدافن الأسرة المالكة في مسجد الرفاعي

### اعتذار الأمير كمال الدين حسين\*

عن عدم قبول العرش

وكان السلطان حسين قد عرض قبل وفاته على نجله الوحيد الأمير كمال الدين حسين عرش مصر ، ليخلفه عليه من بعده ، ولم يكن قد تقرر نظام لورانة العرش تحت الحماية ، ولكن الأمير تنحى عن القبول ، وأرسل إلى والده كتاباً في ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٨ قبل وفاته بيوم واحد يعتذر فيه عن عدم قبول وراثة العرش ، قال :

« يا صاحب العظمة السلطانية

« ذكّرتموني بعظمتكم بما اتفقتم عليه مع الحكومة البريطانية الحامية وقت ارتقاء عظمتكم عرش السلطنة المصرية من تأجيل وضع نظام وراثة العرش السلطاني إلى ما بعد بحثه ، وقد تفضلتم بعظمتكم فأعربتم لي عن رغبتكم في أن تكون وراثة عرش السلطنة المصرية منحصرة في الأكثر من الأبناء ، ثم بعده لأكثر أبنائه ، وهكذا على هذا الترتيب

« وإني لأذكر لعظمتكم هذه المنة الكبرى لما في هذه الرغبة من التشريف لي ، على أني مع إخلاصي التام لشخصكم الكريم وحكمكم الجليل ، مقنع كل الاقتناع بأن بقاءي على حالتي الآن يمكنني من خدمة بلادى بأكثر مما يمكن أن أخدمها به في حالة أخرى ، لذلك أرجو من حسن تعطفاتكم أن تأذنوا لي أن أتنازل عن كل حق أو صفة أو دعوى كان من الممكن لي أن أتمسك به في إرث عرش السلطنة المصرية بصفتي ابنكم الوحيد ، وإني بهذه الصفة أقرر الآن بتنازلي عن جميع ذلك ، وإني لا أزال لعظمتكم السلطانية  
النجل المخلص والعبد الكثير الاحترام

« كمال الدين حسين »

القاهرة في ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٧

## ارتقاء السلطان ( الملك ) أحمد فؤاد عرش مصر

١٩ أكتوبر سنة ١٩١٧

بعد أن اعتذر الأمير كمال الدين حسين ، ارتقى السلطان ( الملك ) أحمد فؤاد عرش مصر يوم ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ ، وأرسل إليه السير رجنلد ونجت المندوب السامى البريطانى تبليغاً من الحكومة الإنجليزية فى هذا الصدد ، هذا تعريبه (١) :

« يا صاحب العظمة السلطانية

« بأمر جناب وزير الخارجية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية أشرف بأن أعرب لعظمتكم عن فائق الأسف الذى شمل حكومة جلالة الملك حينما وصل إلى علمها نعى المغفور له صاحب العظمة السلطان حسين كامل الذى أ كبرت الأمة المصرية جميعها إخلاصه لكل ما فيه خيرها إخلاصاً لا يعتريه فتور ، وقدّرتة حق قدره ، فكانت وفاته لديها كارثة وطنية ، وإننى أشرف بإبلاغ عظمتكم السلطانية انعطاف حكومة جلالة الملك لما أصاب شخصكم الكريم من دواعى الحداد ، هذا وإننى مكلف فى الوقت نفسه بأن أحيط علم عظمتكم أنه لما كان نظام الوراثة على عرش السلطنة المصرية لم يوضع للآن ، وكنتم عظمتكم بعد طبقة البنين الوارث المتعين طبعاً لوراثة العرش ، فإن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوء هذا العرش السامى ، على أن يكون لورثتكم من بعدكم ، حسب النظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين عظمتكم

« وإن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تريد أن تجدد لعظمتكم بهذه المناسبة التأكيدات التى أعطتها لسلف عظمتكم عند ارتقائه العرش ، وهى مقتنعة أن فى استطاعتها أن تعتمد ، فى العمل مع عظمتكم ، على تلك الصداقة التى كانت شعاراً لحكم السلطان

(١) الوقائع المصرية عدد ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٧

المرحوم ، وعادت ثمراتها على البلاد بازدياد الرفاهة والنقدم ، ذلك الأمر الذى له من المكانة  
فى نفس الحكومة البريطانية ما لا يقل منزلته لدى عظمتكم

« وإنى أتهز هذه الفرصة فأقدم لعظمتكم السلطانية أجل احتراماتى »

القاهرة فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ « رجند ونبجت »

وقد بدانى طريقة ولاية السلطان فؤاد العرش — كما بدانى ولاية السلطان حسين كامل  
من قبل — مبلغ التدخل البريطانى فى أعظم المهام الداخلية شأننا ، إذ جعلت الحكومة  
البريطانية نفسها مصدر ولاية العرش ، بقولها فى هذه الوثيقة : « أن حكومة صاحب  
الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوء هذا العرش السامى » ، وهذا تكرار وتوكيد  
لما انتهت فى كتابها إلى السلطان حسين كامل ( ص ٢٠ ) ، كنتيجة لإعلانها الحماية على  
مصر ، فلا غرو أن قابل الشعب هذا التدخل وأساليبه بالسخط والوجوم

وقد تم الاحتفال بتنصيب السلطان فؤاد يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٧ ، وانتقل فى  
موكب من قصر البستان إلى سراى عابدين ، حيث استقبل المهنيين

### تأليف وزارة حسين رشدى باشا الثالثة

اعتبرت وزارة حسين رشدى شابا منحلة بوفاة السلطان حسين كامل ، على أن السلطان  
فؤاد لم يشأ تغييرها ، وأقرها فى الحكم ، وعهد إلى رشدى باشا تأليفها من جديد ، وأرسل  
إليه فى هذا الصدد الكتاب الآتى :

« عزيزى حسين رشدى باشا

« نعلم رعايانا أنه بسبب وفاة سلفنا وأخينا المحبوب المغفور له السلطان حسين الأول  
الذى اختطفته المنية قبل الأوان وملأت القلوب حزنا عليه ، قد تولينا بالاتفاق مع الدولة

الحامية عرش السلطنة المصرية على أن يكون هذا العرش من بعدنا لورثتنا طبقاً للنظام الوراثي الذي سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها

« منذ ثلاث سنوات كانت حدود بلادنا يظهر أنها مهددة ، وكانت ثروتها الزراعية توشك أن تصاب في مصادرها ، ولقد لبى سلفنا رحمه الله نداء الواجب وتقانى في إخلاصه لمرافق بلاده ، فلم يتردد في تحمل أعباء السلطنة ، مع ما كان يحف بها من المصاعب ، واعتماداً على ولاء رعاياه وعلى تأييد الدولة الحامية وقف نفسه مدة هذه السنوات الثلاث على تنفيذ المنهاج الذي اختطه في المرسوم الصادر منه إلى دولتكم عند ارتقائه عرش السلطنة ، وقد صار وضع أسس تعميم التعليم وبحث موارد ثروة القطر والشروع في الوسائل التمهيدية التي من شأنها إحلال مصر في مكانة الكرامة اللائقة بها في العالم الذي سيستجد على أثر انعقاد الصلح

« ونحن اليوم ننشد ذلك الولاء نفسه من رعايانا ، في ظروف هي أكثرُ يميناً وتوفيقاً ، فقد زالت الأخطار التي كان يظهر أنها تهدد بلادنا ، وعادت ثروة القطر إلى ما كانت عليه وبقى علينا أن نخصص أنفسنا بالاشتراك مع نواب الأمة اشتراكاً يزداد على الدوام لإتمام تنفيذ ذلك المنهاج الذي اختطه سلفنا ، وأن نحقق في جميع الفروع الإصلاحات التي من شأنها ضمان التقدم المادى والأدبى في بلادنا

« ولما كنا على يقين من خبرتكم ومن صفاتكم السامية ، فإننا نوجه إلى عهدتكم مهمة تأليف الوزارة ، ومن الله نلتمس الإعانة على ما نحن قادمون عليه من العمل »

القاهرة في ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٧ « فؤاد »

وفي هذا الخطاب تسجيلٌ للحماية ، واعترافٌ من ولى الأمر بأنه تولى العرش بالاتفاق مع الدولة الحامية ، فهو من الوثائق التي لا يغتبط لها التاريخ القومى ، كما أن كلمة ( رعايانا ) التي جاءت في مستهله ، وتكررت في صلبه ، إشارةً إلى الأمة ، هي من الأساليب العتيقة التي تنطوى على روح الزرابة بالشعب ، ومن الحق أن نقول إن ملابسات اعتلاء السلطان

عرش مصر — في تلك الظروف التي أوضاعها — كانت خليقة بأن تبعث في نفسه روح التواضع ، بدلا من الاستعلاء على الشعب  
ولقد استجاب رشدي باشا إلى طلب السلطان ، وألف الوزارة على نحو ما كانت عليه من قبل ، وكتب إلى عظمته الخطاب الآتي :

« يا صاحب العظمة السلطانية . إني لأشعر بالشرف العظيم الذي أوليتموني إياه بما تفضلتم عظمتكم به عليّ من دلائل الثقة الكبرى بتكليف تأليف الوزارة الجديدة ، وبالرغم من اعتلال صحتي لما تحملته من الإجهاد منذ ثلاث سنوات ، ولما نالني من الصدمة العنيفة بفقد سيّد ، كان في آن واحد صديقا لي ، فإني على وفاء إلى النهاية بالواجب المفروض عليّ ، بصفتي مصريا ، أقدم في ظل حكم عظمتكم ، لخدمة بلادى القليل الباقي لي من القدرة على العمل ، وبناء على ذلك فإني آخذ على عهدتي تأليف هيئة الوزارة الجديدة ، فأعرض على تصديق عظمتكم السلطانية تجديد الهيئة السابقة كما كانت ، وإنتى بكل احترام وإجلال لعظمتكم السلطانية »

القاهرة في ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٧      العبد الخاضع المطيع المخلص : حسين رشدي

وتألفت الوزارة يوم ١٠ أكتوبر على النحو الآتي : حسين رشدي باشا للرئاسة والداخلية .  
إسماعيل سري باشا للأشغال والحربية والبحرية . أحمد حلمي باشا للزراعة . يوسف وهبه باشا للمالية . عدلي يكن باشا للمعارف . عبد الخالق ثروت باشا للحقانية . إبراهيم فتحى باشا للأوقاف .

ثم حصل فيها تعديل يسير في ديسمبر سنة ١٩١٧ ، إذ استقال إبراهيم فتحى باشا ، وعين بدله أحمد زيور باشا ، واستمرت الحال على ما كانت عليه ؛ وأعباء السلطة العسكرية قنوء بها كواهل الأهلين

وصدر مرسوم سلطاني في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ بتشجيع الناس على « التطوع » في خدمة السلطة العسكرية ، ومنحهم امتيازات تحمهم على هذا « التطوع » ، وزادت حركة مصادرة الإبل والدواب ، فقد أصدرت السلطة العسكرية في نوفمبر ١٩١٨ بلاغا بأنها

ما زالت في حاجة إلى جمال ونياق وحمير تجمعها من مختلف المديرات ، وحتمت على أصحابها أن يحضروا مالديهم من هذه الدواب إلى المراكز والأقسام لمعاينتها تمهيداً لشرائها ، ولا يجوز لهم أن يتصرفوا فيها أو ينقلوها من جهة إلى أخرى إلا بإذن من المأمور المختص ، وكل جمل أو ناقة أو حمار لا يصلح للأعمال العسكرية يدمغ بعلامة مخصوصة بحيث إذا وجد حيوان غير مدموغ بتلك العلامة ولم تأخذه السلطة العسكرية يؤخذ ويعاقب صاحبه ، ومعنى ذلك أن السلطة العسكرية استولت على جميع الإبل والنياق والحمير الصالحة للأعمال العسكرية بأبخس الأثمان ، ولم تبق منها إلا ما يقرر الأطباء البيطريون عدم لياقته للخدمة

### منحة ثلاثة ملايين جنيه ونصف

#### للحكومة البريطانية

أنفقت الحكومة المصرية منذ نشوب الحرب لحساب الحكومة البريطانية ولأغراضها العسكرية مبالغ طائلة في مختلف المصالح ، وقيدت هذه المبالغ في حساب العهد على الحكومة البريطانية ، وقد خص معظم هذه النفقات مصلحة السكك الحديدية ، ووضع السير وليم برويت المستشار المالي بالنيابة كشفاً في أوائل سنة ١٩١٨ بالمبالغ التي أنفقتها الحكومة في هذا الصدد لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٧ ، فأرُبت على ٢٥٠٠٠٠٠٠ جنيه ، مع تقدير مبلغ نصف مليون جنيه آخر ، كان منظوراً صرفه حتى آخر تلك السنة المالية ، أي أن ما أقرضته الخزانة المصرية للحكومة البريطانية بلغ ثلاثة ملايين جنيه ، كان على هذه أن تؤديها لها ، ولكن الحكومة المصرية أظهرت سخاءاً هائلاً في شأن هذا القرض ، فقد اجتمع مجلس الوزراء برئاسة السلطان يوم ٩ مارس سنة ١٩١٨ ، وقرر من تلقاء نفسه أن تتحمل الخزانة المصرية المبالغ المذكورة لغاية ثلاثة ملايين جنيه « اعترافاً بمجميل بريطانيا العظمى التي حمت البلاد من خطر الغارات » ، وقرر أيضاً أن تدرج وزارة المالية نصف

مليون جنيه آخر للقيام بالمصروفات التي من هذا النوع في السنة التالية ، فبلغت منحة الحكومة البريطانية ثلاثة ملايين جنيه ونصفاً<sup>(١)</sup> ولقد كانت مرافق البلاد وإصلاح أحوالها الصحية والاجتماعية أولى بإنفاق هذه الملايين ، بدلا من بذلها إعانة لحرب كان الغرض منها تثبيت الحماية على مصر وتأمل في قول مجلس الوزراء عن هذه المنحة أنها اعتراف بجميل بريطانيا العظمى إذ حمت مصر من خطر الغارات ، ولعل مجلس الوزراء أراد بذلك أن يشير إلى فضل الحماية البريطانية على مصر ( في نظره ) ، وهذا من أعجب ما يُروى كدليل على السقوط المعنوي والأدبي للحكومات التي تتطوع لمكافأة الدولة الغاصبة على غصبها وعدوانها ، وسلبها البلاد حريتها واستقلالها

### عقد الهدنة وانتهاء الحرب

انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا وحلفائها ، وكانت أول دولة ألقى السلاح هي بلغاريا ، ثم أعقبها تركيا ، إذ عقدت الهدنة مع بريطانيا العظمى وحلفائها يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٨

وفي ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ عقدت الهدنة بين ألمانيا والحلفاء ، وانتهت هذه الحرب الطاحنة بانتصار إنجلترا وحلفائها

---

(١) علق اللورد ملر في تقريره على هذه المنحة بقوله : « إن حكومة السلطان أيدت رجال السطة البريطانية بأعظم تعاون حي ، والدلائل على ذلك كثيرة ، منها تنازلها عن ثلاثة ملايين جنيه إنجليزية من حساب الأمانات والمهد التي كانت قد أقرضتها لها ، وكان يحق لها المطالبة بها »



## الفصل الثاني

### أسباب الثورة

قد يكون السبب المباشر لثورة سنة ١٩١٩ هو اعتقال سعد زغلول وصحبه ، ولكن أسبابها الأصلية ترجع إلى عدة سنوات مضت ، ولا يمكن القول بأن اعتقال سعد هو السبب الوحيد للثورة ، فقد اعتقل للمرة الثانية في ديسمبر سنة ١٩٢١ ، وكانت منزلته من الشعب قد عظمت وعلت ، ومع ذلك لم تقم في البلاد ثورة للافراج عنه ، فاعتقاله أول مرة لم يكن السبب الوحيد لثورة سنة ١٩١٩ ، وإنما كان بمثابة الشرارة التي أشعلت النار في بركان الثورة ، فلنبحث إذن عن أسبابها القريبة والبعيدة ، وعلينا أن نتقصى هذه الأسباب ، لكي نتعرف الثورة على حقيقتها ، ونتابعها في تطوراتها ؛ لأن الثورات لا تفهم فهمًا صحيحًا بسرد وقائعها فحسب ؛ بل لا بد من دراسة عللها وأسبابها ؛ فما الثورة إلا مرحلة من التاريخ القومي ؛ تتصل بمراحل سبقتها ؛ وأخرى لحقتها ؛ وهي تشبه أن تكون طوراً من أدوار حياة الإنسان . يتصل بعضها ببعض ، ويشق بعضها من بعض ، فلكي نفهم ثورة سنة ١٩١٩ ، حق الفهم ، يجب أن نتعرف أسبابها ومقدماتها ، وعلى ضوء هذه الأسباب والمقدمات تبدو لنا صورتها كاملة واضحة جلية

لم تكن ثورة سنة ١٩١٩ ثورة دينية ، ولا ثورة اجتماعية ، ولحسن حظ مصر أنها لم تكن كذلك ، فكل النوعين من الثورات يفرق بين أبناء الوطن الواحد ، ويلقى العداوة والبغضاء بين طبقات الأمة ، وكلاهما يمزق أهلها شيعاً ، ويعود بالضرر والوبال على الجميع ، ومصر أحوج ما تكون على الدوام إلى التضامن بين أبنائها ، والتعاون بين طبقاتها

لم يكن إذن لثورة ١٩١٩ طابع ديني أو اجتماعي ، بل كانت ثورة سياسية بكل معاني الكلمة ؛ فأهدافها سياسية ، وتطوراتها سياسية ، ومن هنا كانت أسبابها العامة سياسية

أيضاً ، على أن لها إلى جانب ذلك أسباباً أخرى ، اقتصادية واجتماعية ، كان لها دخل في التمهيد لها ، وفي ظهورها وتطورها

فلنبداً بالأسباب السياسية ، ثم نقف عليها بالأسباب الاقتصادية والاجتماعية

### الأسباب السياسية

ترجع الثورة إلى تدمير الشعب من حالته السياسية ، وتطلعه إلى ما يصبو إليه من حرية واستقلال

ظلَّ الشعب المصري السنين الطوال يعاني احتلالاً أجنبياً ، أصيبت به البلاد منذ سنة ١٨٨٢ ، والاحتلال الأجنبي في ذاته يدعو إلى السخط والتبرم عند كل أمة تشعر بشيء من الكرامة والحياة ، ولم تكن مصر أقل من غيرها من الأمم المتمدنة شعوراً بالحياة القومية ، وكان الشعب يسمع من الحكومة البريطانية بين حين وآخر وعوداً وعهوداً بالجلء عن البلاد ، ولكنه شهد على مر السنين نقض هذه الوعود والعهود ، شهد الاحتلال على تعاقب الأعوام يوطد أقدامه ، ويتغلغل في شؤون الحكومة ، كبيرها وصغيرها

شهد السعي لفصل السودان وسلخه عن جسم الوطن ، واستئثار إنجلترا بحكمه ، وتقطيع أوصال الدولة المصرية التي امتدت على طول مجرى النيل وواديه العظيم  
شهد إلغاء الجيش المصري ، والبحرية المصرية ، وتجريد البلاد من كل قوة حربية  
شهد تعيين المستشارين الإنجليز في مختلف الوزارات ، واستئثارهم بالحكم والنفوذ ، وإسناد كبرى المناصب إلى البريطانيين ، في مختلف المصالح والدواوين

شهد مضرع الحكومة الأهلية ، وإهدار الاستقلال ، شهد إلغاء مجلس النواب ، وإبطال النظام الدستوري الذي نالته من قبل ، والذي كان أداة لمقاومة التدخل الأجنبي والحد من سلطة الفرد ، فلقد ألغاه الاحتلال سنة ١٨٨٣ ، وأنشأ بدله نظاماً صورياً قوامه مجلس شوري القوانين والجمعية العمومية ، ثم الجمعية التشريعية منذ سنة ١٩١٣ ، وكلها

هيئات شورية صورية لا حول لها ولا قوة ، فقدت البلاد في عهد الاحتلال استقلالها ودستورها ، ورزحت تحت نظام حكم استبدادي خاضع للسيطرة الأجنبية ، فاجتمع عليها الاستبداد والاحتلال الأجنبي معاً ، وهما شر ما تبتلى به الأمم في حياتها القومية

تعاقبت هذه الأحداث على البلاد ، وبينما كانت الأمة ترتقب أن تنجز أنجلترا وعودها وعودها في الجلاء ، إذا بالاحتلال يتفاقم ويزداد رسوخاً بإعلان أنجلترا حمايتها على مصر في ديسمبر سنة ١٩١٤ ، فصار احتلالاً مقروناً بحماية ، وبذلك ساء مركز مصر السياسي ، وازدادت بعداً عن أهدافها القومية ، إذ بعد أن كانت من الوجهة الرسمية دولة مستقلة استقلالاً محدوداً يشوبه الاحتلال ، فقدت ذلك الاستقلال ، وصارت بلداً من البلدان الخاضعة للحماية الأجنبية ، فعظم سخط الشعب على السياسة البريطانية ، ولئن مرت سنو الحرب ومظاهر الاحتجاج محصورة في دائرة ضيقة ، وشعور التذمر مكبوت في الصدور ، فلعل الأحكام العسكرية كانت السبب في الحيلولة بين الشعب وإعلان سخطه على الاحتلال والحماية ، والانتفاض عليهما ، وكان يرقب تطورات الحرب ، لعل نهايتها تدينه من اليوم الذي يحقق فيه آماله ، ولكنه رأى من أنجلترا بعد خروجها ظافرة من هذه الحرب إصراراً على تثبيت الحماية وتأييد الاحتلال ، فازداد برماً بها ، وحنقاً عليها ، وبخاصة حين رأى تنكرها لمصر بالرغم مما أفادته منها طيلة سنى الحرب ، فلقد اتخذت منها قاعدة حربية ، مكنت لها وحلفائها من إعداد حملاتهم على فلسطين وسوريا والعراق ، كما ساعدتهم من قبل على حشد جنودهم في حملة الدردنيل ، نعم إن هذه باءت بالخيبة ، إلا أن الحملات الأخرى يرجع معظم الفضل في انتصاراتهم فيها إلى ما أفادوه من مصر ، وما استخدموه من موقعها ومواصلاتها وثغورها ، وخدمات عمالها ورديفها ، وما أخذوه من مواردها ، كل ذلك قد جحدته الحكومة البريطانية بعد انتهاء الحرب ، فوقفت من الأهداف الوطنية موقف التحدى والخصومة ؛ وتحقق الشعب ما تضمنه له ؛ إذ صمت آذانها عن الاستماع إلى مطالبه ، ورفضت الترخيص لممثليه بالسفر إلى الخارج لرفع صوت مصر في مؤتمر الصلح ؛ ولم تكن بالرفض ؛ بل حتمت أن يقدم الشعب مقترحاته في شأن نظام الحكم إلى المعتمد البريطاني

في مصر ، على أن لا تخرج عن حدود الحماية ، في حين تواتت الأنباء بالترخيص لوفود الهند والحجاز وسورية ولبنان وأرمينيا وغيرها بالسفر إلى المؤتمر ، وتمثيل بعض هذه البلدان رسمياً في ساحته ، وتمكينها جميعاً من الدفاع عن حقوقها وإعلان مطالبها أمامه ، ولقد ظهر من هذه المقارنة مبلغ ما بينته أجتلترا لمصر من أسوأ النيات ، فلما يئس الشعب من الطرق السلمية في الوصول إلى أهدافه ، جنح للثورة ، يعلن بها سخطه على الحماية والاحتلال ، ويحقق بها آماله في الحرية والاستقلال

فثورة سنة ١٩١٩ هي إذن ثورة على الاحتلال والحماية ، ووثبة على نظام الحكم الذي تفرع عنهما ، وعلى النيات العدائية التي كانت تبينها السياسة الاستعمارية حيال مصر

### ... وعلى مظالم السلطة العسكرية

وهي أيضاً ثورة على المظالم التي عاناها الشعب من السلطة العسكرية البريطانية طيلة سنوات الحرب ، مما رأيت طرفاً منه في الفصل الأول

اجتمعت الأحكام العرفية إلى الاحتلال والحماية ، ورزحت البلاد تحت هذا النير الثلاثي ، أربع سنوات متوالية ، ضاع فيها كل حق ، وأهدرت كل كرامة

ضُربت الأحكام العرفية على البلاد ، ووضعت الرقابة على الصحف ، وعطلت الجمعية التشريعية ، ومنعت الاجتماعات ، واعتقل من اعتقل من أبناء البلاد ، ووضعوا رهن السجون والمعقلات ، أو في المنفى دون تحقيق أو محاكمة ، وأساء جنود الأمبراطورية البريطانية معاملة المصريين عامة ، مما أثار كرههم وحفيظتهم ، وجندت السلطة العسكرية من جندت من العمال والفلاحين ، في مختلف أرجاء البلاد ، لاستخدامهم في أعمال الجيش البريطاني ، وبلغ عددهم نيفاً ومليون مصري كما تقدم بيانه ، وكانوا يؤخذون كرهاً باسم المتطوعين ، وما هم بمتطوعين ، ويعاملون معاملة المعتقلين ، وما هم بالمدنبيين ، يُر بطون بالحبال ويساقون كالأنعام ، ويقام عليهم الحراس ، وينقلون بالقطارات في مركبات الحيوانات ، ويعاملون أسوأ معاملة ، ولا يعنى بصحتهم ، ولا بغذائهم وراحتهم ، وكانوا يوعدون بأن

يستخدموا لمدة محدودة ، ثم تمد على الرغم منهم ، ومات كثيرون منهم في ميادين القتال ،  
أو في صحراء سيناء والعريش ، أو في العراق وفرنسا ، وأصيب كثير منهم بالأمراض  
والعاهات التي جعلتهم عاجزين عن العمل

فلما انتهت الحرب ، وعاد من عاد منهم إلى بلادهم وقراهم ، كانت رواياتهم عن القسوة  
التي عوملوا بها من أكبر الدعايات ضد الحكم البريطاني

واجتمعت إلى تلك المظالم أخرى بما لجأت إليه السلطة العسكرية من مصادرة  
الناس في أرزاقهم وحاصلاتهم الزراعية ومواشيهم ودوابهم ، فقد استولت عليها بأبخس  
الأثمان وبأسعار تقل كثيراً عن أسعارها في الأسواق ، وفرضت على كل مركز من مراكز  
القطر المصري مقداراً معيناً من الحبوب يورده إلى الجيش بهذه الأسعار البخس ، فكان  
الأهلون يطلب منهم في بعض الأحيان أكثر مما عندهم ، فيضطرون تحت تأثير الضغط إلى  
شراء ما يطلب منهم بأسعار السوق ، ويقدمونه كرهاً بالسعر البخس ، ولقد أصابهم من  
جراه ذلك ما أصابهم من العنت والعسف والإرهاق

فالآلام التي عاناها الأهلون من السلطة العسكرية كانت من أهم أسباب نفقة الشعب  
على السياسة البريطانية ، وتحفزه للثورة ، وقد اعترف بذلك الكتاب الإنجليزي أنفسهم ،  
نشرت جريدة (رائد العمال) الإنجليزية في ٣ ابريل سنة ١٩١٩ مقالا عن الثورة ، وصفت  
فيه مظالم نظام « التطوع » الإجباري ، قالت :

« وُضع نظام للتطوع ظهر عدم كفايته ، فصدرت الأوامر بأخذ العمال من الحقول  
بالإكراه ، وطريقته أن يدخل رجال الحكومة القرية وينتظروا رجوع الفلاحين إلى  
منازلهم في الغروب ، فيحذقون بهم كالأنعام ، وينتقون خيرهم للخدمة ، فإذا رفض أحدهم  
هذا « التطوع الإجباري » جلد حتى الإقرار بالقبول ، وعلى هذا النحو ساقوا أطفالاً من  
سن ١٤ سنة ، وشيوخاً من سن السبعين ويزيد ! وأما الكشف الطبي فكان حديث  
خرافة ، فكانت تساق الجموع المريضة من هؤلاء المساكين لتأدية الأعمال الحربية ،  
والسكراباج كفيل بتسخيرهم من غير حساب في الأعمال الشاقة ، وأصبح الجلد من الأعمال

اليومية ، وكلف الأطباء بتنفيذ الجلد والكشف على المرضى في بقعة واحدة ، حتى خاف المرضى الخلط بين صفوفهم وصفوف المقدمين للجلد ، وإن سوء الغذاء ورداءة الكساء وقلة الغطاء ، فضلا عن عدم وجود الخيام ، حيث يلتحف هؤلاء المساكين السماء ويفترشون الغبراء ، جعل هؤلاء الأدميين فريسة الأمراض الباثية ، كالتييفوس وغيره ، وضاعف في تأثير ذلك الجوع والبرد ، فكانوا يموتون كالذباب في الصحراء ، وإن كشف شهداء الأمراض والموتى لضخم ، ولكن من أين لنا به ؟ ... وقد بلغت قسوة المعاملة حداً لم يأمن معه المرضى التقدم لطلب العلاج ، وكثيراً ما أعيد عمال القرى بعد أن أرجعوا لعدم لياقتهم ، وذلك بواسطة نظام « التطوع الإجباري » ، وكثيراً ما رُفض السماح لهؤلاء العمال بالعودة إلى بلادهم عند انتهاء مدتهم حسب الوعود المعطاة لهم ، فنشأ عن ذلك عدم قيام البريطانيين بالوفاء بعهودهم ، وبجانب مصادرتنا لهؤلاء الناس قد أعدنا مصادرة جملهم وحميرهم ودوابهم أيضاً ( الجيد منها على الأقل ) ، فأصبحت الأعمال الزراعية متعذرة ، وارتفعت أثمان الحاجيات بمصادرتنا للمحصولات الزراعية ، فعمّ الغلاء ، وأصبح العيش متعسراً ؛ وأجور العمال كما هي ؛ فساءت حالة الفقراء والعمال بدرجة عظيمة لم تتمالك الصحف رغم الرقابة الحربية من الإشارة إليها ؛ فهل بعد هذا نستغرب إذا بلغ الكره لنا والحقد علينا مبلغهما في قلوب المصريين ! وهل يرضى كل هذا جماعة الاستعمار ؟ »

وكتب المستر روبرتسون العضو بالبرلمان الإنجليزي مقالا بمجلة « الكونتيمبراري ريفيو » في شهر مايو سنة ١٩١٩ ، أشار فيه إلى أسباب الثورة ، قال :

« إذا شئنا أن نعرف منشأ هذا الاضطراب ، فلنرجع إلى المقال المهم الذي نشرته « مس درهام » في عدد ٢ ابريل سنة ١٩١٩ بجريدة الديلي نيوز ، حيث قالت : « أمت في مصر من نوفمبر سنة ١٩١٥ إلى ابريل سنة ١٩١٦ ، وإني أؤيد رأى الدكتور Guest إذ يقول : بأن هذا الاضطراب يرجع إلى سوء معاملتنا للمصريين ، ولقد ارتكب ولاية الأمور في مصر أسوأ الأغلاط ، إذ أتوا بجنود من المستعمرات إلى البلاد المصرية من غير أن يذكرنا لهم شيئاً عن السكان الذين سيعيشون بين ظهرانيهم ، وقد بلغ من جهل هؤلاء

الجنود أن كانوا يظنون أن مصر بلاد انجليزية ، وأن المصريين قوم دخلاء ، ويعجبون كيف سمح لهؤلاء العبيد أن يأتوا إلى هذه الديار ، ولقد سمعت غير واحد من الأستراليين يقول : لو كان الأمر بيدي لما أبقيت على واحد من المصريين في هذه البلاد ! » ، وكانوا يعاملون المصريين بأشد أنواع القسوة والاحتقار ، ولقد رأيت بعيني في السكتين الذي كنت به ، جندياً يضرب مقدمه خادماً مصرياً أميناً لا شيء سوى أنه لم يفهم أمراً أصدره إليه ، وأبصرت مرة أخرى جندياً يلصم شاباً متعلماً في صدره ، ويفتصب منه عصاً ثمينة اشتتمها نفسه ، وسمعت كثيراً من النزلاء الانجليز يقولون والأسف ملء قلوبهم : إن ما أحدثه هؤلاء الجنود في مصر لا يمحي أثره في قليل من السنين ، وأقسم لو كنت مصرية لما ترددت في بذل النفس والنفيس لطرد الانجليز من مصر ، وإني والحق يقال كنت أخجل أشد الخجل لانتسابي لبلادي ، وكثيراً ما أنبت الجنود الانجليز تأنيباً مرأ ، وأكدت لهم أنهم بأعمالهم هذه يبرهنون على أنهم أعداء الانجليز ، فإن كان الألمان يسيئون إلى أعدائهم فإنهم بأعمالهم هذه يسيئون إلى أنفسهم فيجعلون من كانوا أصدقاءهم بالأمس أعداء لهم اليوم ، وكان عجبهم من قولي هذا شديداً لأنهم كانوا يجهلون الحالة جهلاً تاماً ، ومما زاد الطين بلة أن الجنود عند مجيئهم وجدوا الخانات كلها مفتحة الأبواب ليل نهار ، فأدى ذلك إلى حدوث مخاز اشمأزت منها نفوس المصريين وملأت قلوبهم غيظاً واحتقاراً ، وقد شاع في ذلك الوقت أن الجنود السكاري يأخذون البراقع عنوة من فوق وجوه السيدات المصريات «

أضف إلى تلك المظالم جمع الأموال قسراً بواسطة الإدارة للصليب الأحمر البريطاني ، فقد كان الحكام يفرضون على الأهلين إتاوات ، في شكل تبرعات ، ويحصلونها منهم بطريق التوريط تارة ، أو الضغط والتهديد تارة أخرى ، فكان الأهلون يدفعونها ساخطين

### مبادئ\* الرئيس ولسن

أحدثت المبادئ\* التي أعلنها الدكتور ولسن الرئيس الأسبق للولايات المتحدة عند دخول أمريكا الحرب تأثيراً كبيراً في النفوس قاطبة

أعلن الرئيس هذه المبادئ في خطبه العديدة ، فاستمع الناس إلى قواعد ومعان جديدة في حكم الشعوب وتقرير العدل العالمي ، إذ نادى بحرية الشعوب ، كبيرها وصغيرها ، والاعتراف بحقها في تقرير مصيرها

قال في رسالته إلى مجلس الشيوخ الأمريكي في يناير سنة ١٩١٧ : « والرأى عندي أن تتفق الأمم على قبول مبدأ الرئيس منرو وتعميم تطبيقه في جميع أنحاء الأرض ، فلا يصبح لأمة أن تكره أمة أخرى على اتباع سياستها ، وإنما يجب أن يترك لكل شعب الحق وحده في تقرير سياسته ورسم طريقه الذي يراه مؤديا إلى التقدم بدون إحراج أو تهديد أو إرهاب ، لا فرق في ذلك بين شعب ضعيف وشعب قوى »

وأعلن في المبدأ الأخير من مبادئه الأربعة عشر التي نادى بها في خطابه يوم ٨ يناير سنة ١٩١٨ وجوب إنشاء جمعية أمم لوضع الكفالات لضمان الاستقلال السياسي وسلامة الأملاك لجميع البلدان صغيرها وكبيرها على السواء

وقال في خطبته التي ألقاها يوم ٤ يولييه سنة ١٩١٨ في مونت فرنون أمام تيرواشنطن : « إن الأمم المتحدة تحارب من أجل أغراض لا يتم السلام إلا إذا تحققت ، منها أن تسوية جميع المشاكل سواء كانت متعلقة بالأراضي أو بالسيادة أو بالعلاقات السياسية لا يجوز أن تقوم إلا على أساس قبول تلك التسوية قبولا اختياريا محضاً من جانب الشعب صاحب الشأن ، لا على أساس المصلحة المادية أو المنفعة التي تعود على أية أمة أو شعب آخر يرغب في تسوية أخرى لفائدة نفوذه وسيادته ، نحن لا نبغى سوى سيادة الحق القائمة على رضا الحكومين أنفسهم ، تلك السيادة التي يؤيدها الرأى العام للمنظم »

وقرر فيما قرر أن عهد الفتوحات والتوسعات قد مضى وانقضى ، وأصبح من الممكن لكل أمة تتفق آمالها مع العدل وسلام العالم أن تصرح الآن أو في أى وقت من الأوقات بالأغراض التي تصبو إليها ، وأن العدل إذا لم يمنح لكل الأمم فلا يمكن لأمریکا أن تحصل عليه هي أيضا ، وأن دعائم العدل الدولي يجب أن ترتكز على مبدأ تقرير العدل بالنسبة للشعوب قاطبة ، ولكل الجنسيات ، لا فرق بين قويتها وضعيفها ، وإلا فإن هذه الدعائم



تنهار ولا يبقى أثر لشيء منها ، وقرر أن الشعوب لا يجوز أن تنتقل من سيادة إلى أخرى بمؤتمر دولي ، أو باتفاق بين متنافسين وأعداء ، وأن الأمان القومي يجب أن نحترم ، ولا يجوز أن تساد الشعوب أو تحكم إلا بمحض إرادتها ورغبتها

قرر كل هذه المبادئ العادلة ، وأنكر على الدول القوية استعباد الشعوب الضعيفة واستخدامها في مصلحتها الذاتية ، كما أنكر مبدأ حكم الشعوب بسلطات مستبدة غير مسؤولة ( خطابه في ٨ يناير سنة ١٩١٨ وخطابه في ١١ فبراير و ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٨ )

كانت هذه المبادئ بمثابة دستور أو ميثاق عالمي يحق لكل أمة أن تتمسك به ، وقد استثارت هذه الخطب والبيانات روح الاستقلال والحرية في الشعوب بالرغم من إخلاف ويلسن لوعوده وعهوده ، وكانت الأمة المصرية بذكائها وحسن بصرها بالأمر أسبق الأمم الصغيرة إلى تمسكها بحقها في تقرير مصيرها ، وزادها تمسكاً به أن الحلفاء ومنهم بريطانيا العظمى وافقوا على مبادئ ويلسن ، فاستقر في أذهان الأمة أنها بقومتها ضد الاحتلال والحماية لا بد واصله إلى تقرير مصيرها ، وهو الحق المعترف به من الجميع ، وقد أيدته الحلفاء رسمياً في التصريح الإنجليزي الفرنسي للشعوب العربية الذي أعلن في نوفمبر سنة ١٩١٨ عن سورية ( وكانت تشمل لبنان وفلسطين ) والعراق ، فقد جاء فيه أن إنجلترا وفرنسا تتويان تحرير الشعوب التي أُنقذت من الحكم العثماني تحريراً نهائياً ، وتأسيس حكومات وإدارات أهلية تبني سلطتها على اختيار الأهالي الوطنيين لها اختياراً حراً وقيامهم بذلك من تلقاء أنفسهم<sup>(١)</sup> ،

(١) هذا تعريب التصريح المذكور : « إن الغرض الذي ترمى إليه بريطانيا العظمى وفرنسا بمواصلتهما في الشرق تلك الحرب التي أثارها الطمع الألماني هو تحرير الشعوب التي طالما ظلمها الترك تحريراً نهائياً ، وتأسيس حكومات وإدارات أهلية تبني سلطتها على اختيار الأهالي الوطنيين لها اختياراً حراً وقيامهم بذلك من تلقاء أنفسهم ، وتنفيذاً لهذه النيات قد حصل الاتفاق على تشجيع العمل لتأسيس حكومات وإدارات أهلية في سورية والعراق اللتين أم الحلفاء تحريرهما ، وفي البلاد التي يواصلون العمل لتحريرها على مساعدة هذه الهيئات والاعتراف بها عند تأسيسها فعلاً ، والحلفاء يعيدون عن أن يرغبوا سكان هذه الجهات على قبول نظام معين من النظمات وإنما همهم أن يحققوا بمعونتهم ومساعدتهم النافعة حركة الحكومات والإدارات التي ينشئها الأهالي لأنفسهم مختارين ، حركة منتظمة ، وأن يضمنوا لهم قضاء عادلاً واحداً للجميع ، وأن يسهلوا انتشار العلم في البلاد وتقدمها اقتصادياً وذلك بتحريك همهم الأهالي وتشجيعها وأن يزيلوا الخلاف =

فكان بديهيًا أن تنال مصر أيضًا حقها في الحرية والاستقلال ، لأنها أسبق إلى الاستقلال والنظم الحرة من هاتيك البلاد ، ولأن وعود إنجلترا لها بالجللاء أسبق بست وثلاثين سنة من وعود الحلفاء للشعوب العربية

هذا إلى أن الحروب العالمية الطويلة المدى ، هي للشعوب عامة مدرسة تتلقى فيها دروس الجهاد في سبيل المثل العليا ، لأن الحرب إنما تدور رحاها في نظر كل أمة على أساس الذود عن حياتها وكيانها ، فالسنوات الأربع التي اقتضتها الحرب العالمية الأولى قد نهبت الأذهان إلى أن حياة الأمة جديرة بأن يبذل لها جميع أفرادها كل ما لديهم من حول وقوة ، ومال وحياة ، فكانت ميادين القتال من هذه الناحية سجلًا رائعًا يزدهر بآيات الإقدام والبطولة ويبعث في نفوس الأمم روح الإخلاص والتضحية

فالحرب العامة ، ومبادئ الرئيس ويلسن ، كان لها ولا جرم أثرها في التمهيد لثورة

سنة ١٩١٩

### مصر بين أم الشرق

ومن الحق أن نعدّ ذكاء الأمة المصرية وسبقها الأمم الشرقية في مضار التقدم والنهوض ، من أسباب ثورة سنة ١٩١٩ ، فإذا تأملت في تطورها خلال مائة وخمسين سنة مضت ، تجد أنها كانت ولم تزل في طليعة أم الشرق أخذًا بأسباب النهضات القومية ، ففي أوائل القرن التاسع عشر امتازت بالنهضة العظيمة التي وضع أساسها محمد علي الكبير ، فسبقت أم الشرق في الرقي والإصلاح والعمران ، بينما كان كثير من الشعوب الشرقية غارقًا في سبات الجلود والتأخر ، وكانت الثورة العراقية — على ما اكتنفها في مرحلتها الثانية من خطأ وحظ عائر<sup>(١)</sup> — من أسبق الحركات القومية الشرقية التي قامت في وقت مبكر ( سنة ١٨٨١ )

---

= والتفريق الذي طالما استخدمته السياسة التركية ، ذلك هو ما أخذت الحكومتان الحليفتان على تسيهما القيام به في البلاد المحررة »

وغنى عن البيان أن فرنسا وإنجلترا قد تقضتا هذا التصريح بما فرضناه من قبل ومن بعد من النظم الاستعمارية في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق

(١) راجع كتابنا ( الثورة العراقية والاحتلال الإنجليزي )

للتحرر من حكومة الفرد ومن التدخل الأجنبي معاً ، وتقرير النظام الدستوري أساساً للحكم في البلاد ، وكانت مصر أسبق الأمم الشرقية إلى تقرير النظام الدستوري ، إذ أعلن فيها الدستور لأول مرة سنة ١٨٧٩ في أواخر عهد اسماعيل ، ثم في سنة ١٨٨٢ إبان الثورة العرابية<sup>(١)</sup> ، حقاً أن الدستور العثماني ( القانون الأساسي ) أعلن قبل ذلك في تركيا سنة ١٨٧٦ ، ولكن لم يكد البرلمان يجتمع في الاستانة حتى ألغى اجتماعه في أوائل سنة ١٨٧٨ بأمر من السلطان عبد الحميد ، ونفى واضح الدستور مدحت باشا ، وعاد الحكم المطلق في تركيا ، إلى أن هبت ثورة سنة ١٩٠٨ ، وكان إلغاء الدستور في تركيا بأمر من الحكومة الأهلية المستقلة ، أما إلغاء الدستور في مصر فقد وقع سنة ١٨٨٣ بإرادة الاحتلال الأجنبي ، فهي أعرق أصولاً من تركيا في النظام الدستوري

وكذلك كانت مصر أسبق الأمم الشرقية إلى الحركة الوطنية التي ترمى إلى تحرير البلاد من النير الاستعماري ، فقد ظهرت هذه الحركة من نيف ونصف قرن ، على يد باعثها « مصطفى كامل » ، فكانت مصر في طليعة الأمم الشرقية أخذاً بأسباب الجهاد القومي ، وأعطت الشرق مثلاً عالياً في فهم مرامي السياسة الاستعمارية ، والعمل على التخلص من شباكه ، ذلك حيث كان كثير من شعوب الشرق وبخاصة التابعة وتمتد للسلطنة العثمانية يحسنون الظن بتلك السياسة ، ويظنون أنها عنوان الحرية والحضارة ، وكانوا يخدعون في ظواهرها ، ويميلون إلى تصديق وعودها ، إلى أن اكتبوا بنارها بعد الحرب العالمية الأولى ، فقاموا يطالبون بحقوقهم الكاملة في الاستقلال التام ، وكانت مصر أيضاً أسبق الأمم الشرقية قاطبة إلى رفع لواء النهضة الجديدة وخوض غمار الجهاد عقب انتهاء تلك الحرب مباشرة ، فإنه لم يكد يعود السيف إلى غمده حتى رفعت مصر صوتها عالياً ، فهزت قلب الإنسانية بثورة سنة ١٩١٩ التي لفتت إلى أرض الكنانة أنظار الشعوب في الشرق والغرب ، فالغرب قد دهش لهذه الثورة التي قامت في الوقت الذي ظنت فيه الإنسانية أنها أنهت عهد الحرب واستقبلت عهد السكينة والسلام ، فكانت ثورة مصر نذيراً بهبوب

(١) راجع كتابنا ( عصر إسماعيل ) ج ٢ ص ٢٢٩

عاصفة الشعوب التي كان ساسة الدول المنتصرة يتآمرون عليها في مؤتمر فرساي ، ويعملون على القضاء على روح الحياة والاستقلال فيها ، وأما الشرق فقد هزرت ثورة سنة ١٩١٩ أعصابه ، وكانت لشعوبه مثالا يحتذى في اعتماد الأمم على نفسها واستعاتتها بقوتها ، وعدم تعويلها على الوعود الكاذبة التي كان المنتصرون يعلنونها وينادون بها قبل أن تضع الحرب أوزارها ، فكانت هذه الثورة ، وما انطوت عليه من الإقدام ، والمبادرة بالجهاد ، دليلا على ذكاء الأمة المصرية ، وصدق نظرها في إدراك الحقائق ، وإنها بهذه الثورة قد سبقت شعوب الشرق إلى حظيرة الجهاد القومي الحديث ، ولو استعرضنا الحركات والنهضات القومية التي ظهرت بعد انتهاء الحرب الماضية في أرجاء الشرق ، كالهند والأناضول وفارس والعراق وسورية وفلسطين وتونس وغيرها ، لوجدنا الثورة المصرية أسبقها إلى الظهور ، ولا شك أن هذا السبق قد أ كسب مصر منزلة ممتازة بين أمم الشرق يجب علينا أن نحفظ بها ، ولا يحمل بنا أن نتنكر لهذه المنزلة ، أو نعمل على تقيضها ، أو تهاون في الاحتفاظ بها ، أو نبخس الأمة حقها ، وننال من سمعتها مدفوعين باعتبارات شخصية أو نزوات وقتية ، فإن الأمم إنما تعز بتراثها الوطني ، وتدأب على استبقائه سليما ، وتنهض به حتى يبلغ الذروة ، وتسير به دائما إلى الأمام !

### جهاد الحزب الوطني

إن لجهاد مصطفى كامل ومحمد فريد وأنصارهما وتلاميذهما أثرا كبيرا في قيام ثورة سنة ١٩١٩ ، ذلك بما غرسوا في النفوس من الدعوة إلى الجهاد الخالص لله والوطن ، فالأمة كانت في أواخر سنة ١٩١٨ قد أدركت بفضلهم حظا كبيرا من الوطنية الصادقة ، بحيث صارت على استعداد عند سنوح أية فرصة لأن تبذل في سبيل الاستقلال كل تضحية مهما عظمت ، وليس يخفى أن الثورات كما قلت في كتابي عن ( مصطفى كامل ) ليست حركات ميكانيكية تبدو فجأة للناظرين ، بل هي حوادث اجتماعية تتمخض عنها حياة الشعوب تبعاً لدرجة استعدادها ، ونتيجة لسريان روح الوطنية في نفوس أبنائها ، فالسنوات التي قضاها

الحزب الوطني في الكفاح من سنة ١٨٩٠ ، على عهد مصطفى كامل ، ومنها إلى سنة ١٩١٩ على عهد محمد فريد ، قد مهدت للثورة ، إذ كانت هذه السنوات بمثابة المدرسة التي تلقت الأمة فيها مبادئ الوطنية الحقة ، وهي الفترة التي بعثت فيها الحركة القومية من مرقدتها<sup>(١)</sup> تكونت الروح الوطنية بتأثير جهاد مصطفى كامل ، وخطبه ، ومقالاته ، ورحلاته ، وأحاديثه ، ودعواته ، واستمعت إليه الأمة في وقت مبكر ، يدعو إلى الالتفاف حول راية الحرية والاستقلال ، ويحمل الحملات الصادقة على الاحتلال ، ويحارب اليأس ، وينادي بالثبات في الجهاد ، رغم الصدمات والعقبات ، فلبت نداءه على مر السنين ، وتلقت عنه آيات الوطنية والإخلاص ، رأت فيه منذ سنة ١٨٩٦ « روحا من نور الحرية الساطعة لا تستطيع الحياة في ظلمات الظلم والاستبداد »<sup>(٢)</sup> ، واستمعت إليه ينادي سنة ١٨٩٧ : « كل احتلال أجنبي هو عار على الوطن وبنيه »

ووعى الشباب قوله سنة ١٨٩٨ : « إن الوطنية هي أشرف الروابط للأفراد ، والأساس المتين الذي تبني عليه الدول القوية والممالك الشائخة ، وكل ما تروونه في أوروبا من آثار العمران والمدنية ، ما هو إلا ثمار الوطنية ، أصبح اليوم الوطن المصري ينتظر منكم ومن بقية أبنائه عدلا وإنصافا ، أصبحت مصر تؤمل منكم أن ترفعوها إلى منصة الحرية والاستقلال ، وأن تردوا إليها حقوقا وهبها إياها الخالق عز وجل ، ولا ريب أنكم معشر المتعلمين ، معشر النابغين في المعارف والآداب ، أول من يسأل عن خدمة مصر وتأييد مبدأ الوطنية الحقيقية ، فإنكم قرأتم في التاريخ الأمثال الكثيرة للوطنية ، وعرفتم سير أناس عديدين ماتوا محبة لبلادهم ، وإخلاصاً لأوطانهم ، فخيوا بموتهم ، وأدركتم أن الحياة سريعة الزوال وأن لا شرف لها بغير الوطنية والعمل لإعلان شأن الوطن وبنيه »

وتعلمت منه الأمة منذ سنة ١٨٩٨ أن « لا معنى للحياة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة » ، وتلقت عنه دروس الوطنية الصادقة ، كقوله في ديسمبر سنة ١٨٩٨ : « إنى ثابت

(١) راجع كتابنا (مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية) ثم كتاب (محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية)

(٢) من خطاب له إلى محمد بك فريد سنة ١٨٩٦

على خطتي حتى الممات ، لأن اعتقادي أن ثمر الدفاع وإن لم يجنمه المدافع الأول أو الثاني  
فلسوف يجنيه مصرى على مدى الأيام ، وإننا إذا لم نقتطف ثمر عملنا وجهادنا في حياتنا فإننا  
على الأقل نضع الحجر الأول لمن يبني بعدنا » ، وقوله عن مأساة السودان على أثر رفع العلم  
البريطانى فى الخرطوم<sup>(١)</sup> : « تنزلوا أيها المصريون إلى أعماق قلوبكم ، واسألوا سرائركم هل  
أنتم فى شقاء أم هناء ؟ وهل بالاستسلام وتسليم الأوطان تقابلون نعمة الله عليكم بمصر وهى  
جنة الأرض وأبدع البلدان ؟ وهل يليق بكم وأنتم سلالة أشرف الأمم أن ترضوا بهذا الهوان  
وتقبلوا هذه المذلة وأنتم صاغرون ؟ تمر الحوادث المزعجات علينا وتنفطر لها قلوبنا وتحزن منها  
أشد الحزن أفئدتنا ثم لا نجد لسانا ينطق بما يحتاج به الجنان ، بل نرى سكوتا فى سكوت  
واستسلاما فى استسلام ، فيزداد البلاء ويتضاعف الشقاء » إلى أن قال : « لقد بالغنا  
فى الاستسلام وأبدعنا فيه كل إبداع ، وما جئنا إلا الخيبة والفضيحة والعار ، فهذه بلاد  
السودان قد فتحتها مصر بأموالها وبدماء أبنائها الأعراء ، أى راية تحفق اليوم عليها ؟ وأى  
شرع يقام اليوم فيها ؟ وأى حق يعترف به للمصريين فى نواحيها ؟ ألم تقض سياسة الاستسلام  
بأن تجاهد جنود مصر الأبطال أجمل وأشرف جهاد وتبذل حياتها رخيصة فى سبيل استرداد  
السودان ثم تسلم إلى الدولة المحتلة هذه البلاد الزاهرة ، وهى من مصر الروح والفؤاد ؟ فأى  
فضيحة بعد هذه الفضيحة وأى عار بعد هذا العار ؟ أقام الإنجليز الأرض وأقعدوها بسبب  
غردون وثأر غردون ونسفوا قبر المهدي نسفاً وأخرجوا رأسه بأشنع صفة وأقبح مثال ،  
وعقدوا المجمع وألقوا الخطب تحية وسلاما على روح هذا الفقيد ، ورفعوا رايات الفرع والنصر  
للأخذ بثأره ، والمصريون ينظرون إلى هذه المناظر ويتساءلون : أليس لدماء من مات منا  
ثمن ؟ أليس لرجالنا قيمة ؟ أليس المصري فى شريعة الله إنسانا ككل إنسان ؟ أيموت منا  
الجنود والأبطال قبل استرداد السودان وفى سبيل استرداده ولا يُذكر بشيء بل يقوم منا من  
يهنىء الإنجليز بأخذ ثأر غردون ، أيبكون دم فرد من الإنجليز غالى الثمن رفيع القدر ودماء  
الآلاف من المصريين لا ثمن لها ولا تقابل بغير النسيان ؟ لقد تعاضم الخطب وأصبحت الحياة

(١) من خطبته بالقاهرة يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٩٨

مرة ، وبات الوطن في أشد الأخطار ، وكل منا يهمل واجباته وينتحل لنفسه عذراً ، فمننا من يطمع في الثروة والترقي ، ومننا من يخاف الذل والفقر ، ومننا من لا يشعر بالمسئولية ، ومننا من استولى على قلبه اليأس والقنوط ، ثم دعا إلى قيام كل مصري بواجباته الوطنية كعلاج لهذه الحال ، وقال عن إيمانه بمستقبل مصر<sup>(١)</sup> : « إنى أشد الناس أملاً في مستقبل أمتي وبلادي ، وأرى الشعب الذي أنا منه جديراً بالرفعة والسمو ، حقيقاً بالمجد والحرية والاستقلال ولولا هذا الأمل وهذا الاعتقاد لكنت فارقت الحياة وتركت الدنيا غير آسف على أحد ، وكيف لا أكون ذا أمل وهذه أمتي أجدر فيها روحاً جديدة وحياة صادقة ووطنية ناشئة قوية ، ومن منكم لا يرى ما أرى ؟ وهل ينكر أحد شعور الأمة بمحالتها وانتباهاها من رقتها وقيامها من هذبتها وعملها لخيرها وسعادتها » وقال في محاربة اليأس<sup>(٢)</sup> : « لاداء أضرر بالأمة وأشد وبالاً عليها مثل داء اعتقادها السوء في نفسها ويأسها من مستقبلها ، فجاهدوا ضد هذا الداء ما استطعتم واعلنوا عليه حرباً عواناً ، وبثوا في أبناء الأمة مبادئ الثقة بالنفس والاعتماد على المجموع ، وربوا البنين والبنات على محبة الوطن » ، وقال في هذا المعنى<sup>(٣)</sup> : « عجيباً وألف مرة عجيباً ! كيف تسيء الظن بنفسها أمة تغلبت على الأيام والحوادث وقاوت الليالي وما ولدت وقاومت تيارات الزمان أجيالاً طوالاً وأوقفتها وهي في منتهى قوتها ؟ كيف يقول بعض أبناء هذه الأمة عنها انها ماتت وزالت آثارها وأصبحت نسياً منسياً ، وهي التي اهتز لمجدها الشرق والغرب وسارت الركبان بأحاديث مفاخرها ؟ كيف يقضى اليأسون عليها وقد كانت قبل عهد محمد علي أكثر أدواء وأقل أملاً في الشفاء من الآن ثم عادت لها الحياة والقوة والجاه والعز ورفعة الشأن » ، وقال في سنة ١٩٠٤ : « إن الوطنية شعور ينمو في النفس ويزداد لهيبه في القلب ويرسخ في الفؤاد كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه » ، وقال سنة ١٩٠٧<sup>(٤)</sup> : « إن سلاسل الاستعباد هي سلاسل على كل حال سواء كانت من ذهب أو من حديد »

(١) من خطبته بالإسكندرية في يونيو سنة ١٩٠٠ (٢) من خطبته في إبريل سنة ١٩٠١

(٣) من خطبته في فبراير سنة ١٩٠٢ (٤) من كتابه إلى السير هنري كامبل

ماترمان رئيس الوزارة البريطانية

وتجلت قوة إيمانه وعظمته الوطنية في خطبته سنة ١٩٠٧ إذ يقول : « إننا لا نعمل لأنفسنا ، بل نعمل لوطننا ، وهو باق ونحن زائلون ، وما قيمة السنين والأيام في حياة مصر وهى التى شهدت مولد الأمم كلها وابتكرت المدنية والحضارة للنوع الإنسانى كله ؟ إن العامل الواثق من النجاح يرى النجاح أمامه كأنه أمر واقع ، ونحن نرى من الآن هذا الاستقلال المصرى ونبتهج به وندعوه لأنه حقيقه ثابتة ، وسيكون كذلك لا محالة ، فهما تعددت الليالى وتعاقبت الأيام ، وأتى بعد الشروق شروق وأعقب الغروب غروب ، فإننا لا نمل ، ولا نقف فى الطريق ، ولا نقول أبداً : لقد طال الانتظار ! إننا وجهنا قلوبنا ونفوسنا وقوانا وأعمارنا إلى أشرف غاية أتجهت إليها الأمم فى ماضى الأيام وحاضرها ، وأعلى مطلب ترمى إليه فى مستقبلها ، فلا الدسائس تخيفنا ، ولا التهديدات توقفنا ، ولا الشتائم تؤثر علينا ، ولا الخيانات تزعجنا ، ولا الموت نفسه يحول بيننا وبين هذه الغاية التى تصغر بجانبها كل غاية ؛ نعم لو أخذنا الموت من هذه الدار واحداً بعد واحد لكانت آخر كلماتنا لمن بعدنا : « كونوا أسعد حظاً منا ، وليبارك الله فيكم ، ويعمل الفوز على أيديكم ، ويخرج من الجماهير المئات والألوف بدل الآحاد ، للمطالبة بالحق الوطنى والحرية الأهلية والاستقلال المقدس ! » ، وقال فى تلك الخطبة :

— « هل يستطيع مصرى أن يتهور فى حب مصر ؟ مهما أحبها فلا يبلغ الدرجة التى يدعو إليها جماها وجلالها وتاريخها والعظمة اللاتمة بها ، ألا أيها اللأمون ، انظروها وتأملوها وطوفوها ، واقروا صحف ماضيها ، واسألوا الزائرين لها من أطراف الأرض هل خلق الله وطناً أعلى مقاماً وأسمى شأنًا وأجمل طبيعة وأجل آثاراً وأغنى تربة وأصفى سماء وأعذب ماء وأدعى للحب والشغف من هذا الوطن العزيز ؟ اسألوا العالم كله يجيبكم بصوت واحد : إن مصر جنة الدنيا ، وإن شعباً يسكنها ويتوارثها لأكرم الشعوب إذا أعزها ، وأكبرها جنابة عليها وعلى نفسه إذا تسامح فى حقها وسلم أزمتهما للأجنبي »

— « قد يرى السفهاء والطائشون أن الانتساب لشعب مستعبد كالشعب المصرى مما لا يليق بإنسان ، ولكن أى شرف يطمع الحرّ فيه أكبر من العمل لإحياء الأمة التى



سبقت الأمم كافة في العلم والمدنية والأدب؟ أي رفعة يسعى الشريف إليها أسمى من إنهاض شعب كان أستاذ الشعوب البشرية ومرهبي العالم كله؟»

— «إن مصر جديرة بأن تحب بكل قوة، بكل عاطفة، بكل جارحة، بكل نفس، بكل حياة»

— «لا قوام لأمة ولا سلامة لبلاد إلا بقوة العقيدة الوطنية»

— «إن من يتسامح في حقوق بلاده ولو مرة واحدة يبقى أبدا الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان»

— «الدعوة للاستقلال وبث الروح الوطنية هما المؤديتان إلى تحقيق آمال الأمة المصرية، فليكن معتقد المصريين جميعاً أن نجاة مصر لا تكون إلا بهم المصريين، وأن ارتقاءنا موكل إلى عزائمتنا، فلنطلب النهوض من أنفسنا ولنعمل له بالهمة والصدق والاتحاد» ورات الأمة في حياة محمد فريد مثال التضحية والإخلاص، وتمثلت لها بطولته في قوله: «إننا نعرف كيف نصبر على المكاره ولكننا لا نعرف التسليم في حقوقنا ولا التنازل عن مطالبنا»، ورات في تضحياته ومآقيه من الاضطهاد والسجن والنفي مثالا خالداً في افتداء الوطن بالنفس والولد، والمال والحياة<sup>(١)</sup>

ورأت في أنصاره وتلاميذه — الذين ثبتوا على العهد — رجالاً «صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً»

فجهود الحزب الوطني كان لها فضلها في ظهور الثورة، كما بقي لها بعد ظهور الثورة طابعها وأثرها المستمر على مرّ السنين في توجيه الحركة الوطنية وجهة الجلاء، والاستمسك بوحدة وادي النيل، والجهاد الخالص لله والوطن، ولعل فريداً رحمه الله قد أشار إلى هذا المعنى في رسالته إلى الأمة التي بعث بها إليها من منفاه في سبتمبر سنة ١٩١٩ قبيل وفاته<sup>(٢)</sup>، إذ قال: «نشكر الله على هذه النتيجة الحسنة التي دلت على أن ما ألقاه مؤسسو الحركة الوطنية من البذور في تلك الأرض الخصبية قد نبت وترعرع ساقه ثم أزهروا وظهرت ثماره»

(٢) توفي رحمه الله في ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩

(١) انظر أيضاً الفصل العاشر

فلكى نتعرف أسباب ثورة سنة ١٩١٩ ، يجب أن نتبينها ، لا في حوادث تلك السنة فحسب ، بل في تطور الروح الوطنية وتعمدها والجهاد في سبل بعثها طوال ثلاثين سنة خلت ، فهذا الجهاد الطويل المريع كان له الأثر البالغ في إعداد الأمة للثورة ، وهو لها على الدوام خير ذخيرة ، وأقوى عُدّة ، وأصلح عتاد ، ولقد أشار سعد رحمه الله إلى شيء من هذه الحائق بقوله في خطبته بفندق شبرد يوم ٢٠ ابريل سنة ١٩٢١ ، إذ قال : « إني أعلم أن البلاد تصبو إلى الاستقلال ، وأن حركتها الاستقلالية بدت من زمان طويل ، خصوصاً من يوم أن ظهر فيها المرحوم مصطفى كامل ، وتلاه المرحوم فريد بك ، هؤلاء الذين أسسوا وأيدوا ما أسسوا في النهضة الحاضرة » ، وقال في خطبته بالسرايق يوم ١٩ سبتمبر ١٩٢٣ : « لست خالق هذه النهضة كما قال بعض خطبائكم ، لا أقول ذلك ولا أدعيه ، بل لا أتصوره ، إنما نهضتكم قديمة تبتدى من عهد مؤسس الأسرة المالكة محمد علي ، وللحركة العرايية فضل عظيم فيها ، وكذلك للسيد جمال الدين الأفغانى وأتباعه وتلاميذه أثر كبير ، وللمرحوم مصطفى كامل باشا فضل غزير فيها أيضاً ، وكذلك للمرحوم فريد بك »

## تأليف الوفد المصرى

وموقف رشدى باشا

إن تأليف الوفد المصرى في نوفمبر سنة ١٩١٨ كان من أسباب قيام الثورة ، فإن المطالبة بالاستقلال التام هي في ذاتها دعوة إلى الانتفاض على الحماية ، كما أن التوكيلات التي نشرها الوفد في البلاد ، والتي سيحجىء الكلام عنها في الفصل الثالث ، كان لها أثرها في التمهيد للثورة ، بما نبّهت إليه الأذهان من وجوب التعاون والتضامن والعمل للاستقلال ، هذا إلى أن موقف سعد وصحبه من الإنذار الذي وجهه إليهم الجنرال وطسن في ٦ مارس سنة ١٩١٩ ، كان من الأسباب المباشرة للثورة ، فقد كان مثلاً صالحاً للمقاومة الوطنية ، وعدم المبالاة بالتهديد والوعيد ، فهذه المقاومة كان لها صداها في الجماهير ، إذ أنها صارت عنوان الدعوة إلى المقاومة العامة ، وأعقب هذا الموقف اعتقال سعد وزملائه الثلاثة

يوم ٧ مارس ، فكانت الشرارة التي أشعلت نار الثورة ، وإن اعتقلهم في ذاته وفي مرماه عمل ظالم يثير النفوس ويملؤها سخطاً وحنقاً ، لأنه فضلاً عما فيه من الظلم والاعتساف ، فإنه كان نذيراً بامتهان السياسة البريطانية لكرامة الشعب ، ووزايتها به ، وإصرارها على مناوآته في حريته واستقلاله ، وبقائه تحت ضغط الذل والعبودية

حقاً إن الثورة ليست وليدة سعد ، ولا وليدة الوفد ، بل هي وليدة الأسباب التي فصلناها مجتمعة ، وإنما كان سعد ، وكان الوفد كلاهما وليدة الثورة ، لأنهما لم يصلا إلى ما وصل إليه ، من نفوذ ومكانة إلا بفضل الثورة ، ولكن من الحق أيضاً أن نقول إن تأليف الوفد كان من الأسباب المهيئة لظهور الثورة

وكذلك كان انضمام حسين رشدي باشا رئيس الوزارة وقتئذ إلى الحركة الشعبية منذ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، من عوامل الثورة ، والمشجعة على ظهورها ، ولا شك أن موقفه من هذه الناحية يختلف بل يتناقض مع موقفه في أواخر سنة ١٩١٤ ، ولكن من الحق والإنصاف أن نفصل بين الموقفين ، كما يجب أن نفصل بين موقف سعد من الثورة ، وموقفه قبل الثورة ، فالثورة قد جعلت منه شخصية جديدة ، أصلح وأقوى من شخصيته السابقة ، والثورات كثيراً ما تفيد من رجال كانوا من قبل لا يدينون بها ، بل ربما كانوا خصوماً لها ، ذلك أن الانقلابات الكبرى في حياة الأمم تنشأ فيها روحاً فنية ، وتولد في نفوس أبنائها وزعمائها اتجاهات جديدة ، وكثيراً ما تغير من ماضيهم وشخصياتهم ، بل من طباعهم وأخلاقهم

فمن الحق أن نقول إن لرشدي وعدلى على ثورة سنة ١٩١٩ فضلاً كبيراً ، فإنهما بادرا في شهر نوفمبر ، إلى التحدث في مصير مصر السياسي ، واستقالا من الوزارة في ديسمبر اعتراضاً على وضع العقبات في سبيل رفع صوت مصر لتقرير مصيرها

حقاً إن برنامج رشدي باشا ، كما أن برنامج الوفد ، كانا ، في بداية الحركة ، في حدود ضيقة ، لكن هذه البرامج قامت على كل حال على أساس الانتقال على النظام المضروب وقتئذ على البلاد ، وهو نظام الحماية ، ثم تخطته الأمة إلى البرامج الطبيعية الصحيحة

كانت وزارة رشدي باشا تناصر الوفد من أول خطواته ، فساعد هذا الموقف على انتشار دعوته ، وانضمام الناس إليه ، وكانت بلا شك تؤيد توقيع التوكيلات له ، وجاءت استقالتها تأييداً علنياً له ، فكانت تمهيداً مباشراً لنشوب الثورة

وهنا تختلف ثورة سنة ١٩١٩ عن الثورة العراقية ، فالثورة العراقية قد شُبت سنة ١٨٨١ على كره من الوزارة القائمة وقتئذ (وزارة رياض باشا) ، وكان أول مطالبها إسقاط هذه الوزارة التي كانت تناوئها ، في حين أن ثورة سنة ١٩١٩ لقيت تأييداً كاملاً من وزارة رشدي باشا ، بل إن لهذه الثورة كما أسلفنا فضلاً كبيراً عليها ، إذ عبت لها الطريق ، ولولاها لكان من المحتمل أن لا تصادف ما صادفته من الفوز والتوفيق ، وفي هذا تفضل الثورة العراقية ثورة سنة ١٩١٩ لأن الثورة العراقية قامت على الرغم من مناوأة الحكومة القائمة لها ، على أنه من الحق أن نقول من ناحية أخرى إن ثورة سنة ١٩١٩ تفضل الثورة العراقية في أنها ثورة أمة عزلى من السلاح ، قامت في وجه دولة من أقوى دول الأرض ، على حين أن الثورة العراقية قامت على أكتاف الجيش ، وبقوة سلاحه وضباطه وجنوده ، وهذا لا يغض من فضل الثورة العراقية التي كانت مظهراً للنهوض القومي المبكر ، وقامت لغرض نبيل هو تحرير البلاد من الحكم الاستبدادي ومن التدخل الأجنبي معاً ، ولعلك تلحظ مشابهة بين الثورتين في السبب المباشر لظهورهما ، فالأولى ظهرت على أثر اعتقال الحكومة أحمد عرابي وصاحبيه على فهمي وعبد العال حلمي ، وإحالتهم إلى مجلس عسكري لمحاكمتهم بتهمة التمرد والعصيان ، فثار زملاؤهم الضباط ، وقادوا الجند إلى قصر النيل ، حيث كان الزعماء معتقلين ، فاقتحموه عنوة وأطلقوا سراحهم ، وكان ما كان من حوادث الثورة العراقية<sup>(١)</sup> ، وثورة سنة ١٩١٩ ظهرت على أثر اعتقال سعد زغلول وصحبه بأمر السلطة العسكرية البريطانية ، فكان ما كان من هياج الشعب وثورته ضد الحماية والاحتلال

(١) راجع كتابنا ( الثورة العراقية والاحتلال الإنجليزي )

## مشروع السير وليم برونيت

في القانون النظامي

ظهر هذا المشروع في نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وكان من الأسباب الهامة التي عجلت بالثورة كان السير وليم برونيت Sir William Brunyate يتولى قبيل شوب الثورة منصب المستشار المالي بالنيابة ، وكان مستشار دار الحماية ، وصاحب الحول والطول بين المستشارين البريطانيين في شؤون الحكومة كافة ، وكان عضواً في لجنة ألفها مجلس الوزراء بقراره الصادر في ٢٤ مارس سنة ١٩١٧ لوضع التعديلات التي يستدعي إدخالها في القوانين والنظم القضائية والإدارية ما كان محتملاً من زوال الامتيازات الأجنبية في ظل الحماية البريطانية ، والغرض الحقيقي من تأليف هذه اللجنة وضع القوانين والنظم التي تنسجم مع الحماية ، وقد سميت ( لجنة الامتيازات الأجنبية ) ، وكان السير وليم برونيت هو روح هذه اللجنة ومقررها ، وقد وضعت عدة مشروعات قوانين ، كقانون العقوبات ، وقانون تحقيق الجنايات ، وقانون المرافعات ، وبعض فصول من القانون المدني والتجاري ، وقطعت شوطاً بعيداً في وضع النظام القضائي الذي كان مزجاً وضعه على أساس إدماج القضاء الأهلي والقضاء المختلط وجعلهما نظاماً موحداً مختلطاً في قواعده وهيكله ، مع تغليب العنصر الإنجليزي ، وبما تقرر فيه بادى ذي بدء جعل النائب العام إنجليزياً

وضع السير وليم برونيت مشروع قانون نظامي لمصر ، ينزل بها إلى مرتبة المستعمرات التي يراد جعلها سوقاً لكل من نزل بها من رعايا الدول الأجنبية ، ويتلخص هذا المشروع في إنشاء مجلس نواب مصري ، يؤلف من المصريين ، ولكنه استشاري محض ، ليس له سلطة قطعية في أي أمر من الأمور . وبجانبه مجلس شيوخ ، يملك وحده السلطة التشريعية ، ولكنه خليط من المصريين والأجانب ! يؤلف من أعضاء رسميين ، وهم الوزراء المصريون والمستشارون الإنجليز ومن في مرتبتهم من الموظفين البريطانيين ، ثم من أعضاء منتخبين ، ينتخبون بطريقة كثيرة القيود والشروط ، منهم ٣٠ مصرياً و ١٥ أجنبياً !

بحيث تكون الأغلبية فيه للأعضاء الرسميين والأعضاء الأجانب المنتخبين ، والأقلية للأعضاء المصريين المنتخبين ! ولو نفذ هذا المشروع لصارت سلطة التشريع في يد شرذمة من الأجانب ، ولصار المصريون في بلادهم غرباء

لم يكن أحد من المصريين يعرف هذا المشروع ، ولكن أنباءه ذاعت حين قدم السير برونيت صورة منه إلى رشدي باشا في أواسط نوفمبر سنة ١٩١٨ ، فرد هذا عليه ، وحمل حملة صادقة على المشروع وأعلن استنكاره له ، وما كاد يذاع المشروع والرد عليه ، حتى عم السخط على السياسة البريطانية وعلى النيات التي كانت تضرها للمصريين ، لأن فيه إهدارا للاستقلال الداخلي التام الذي نالته البلاد منذ سنة ١٨٤٠ . ولأنه أشد إيلاماً لها من نظام الجمعية التشريعية الذي كان قائماً منذ سنة ١٩١٣<sup>(١)</sup> ، فالجمعية التشريعية ولو أن رأيها استشاري هي هيئة قومية مؤلفة من أعضاء أول شرط فيهم أنهم جميعاً مصريون ، أما الهيئة التشريعية العليا في مشروع السير ولیم برونيت فهي هيئة مختلطة الجنسيات ، غالبيتها تكاد تكون أجنبية ، ولا تقبل أمة تشعر بشيء ولو يسير من الكرامة أن تتولى التشريع فيها سلطة أجنبية ، لذلك كان هذا المشروع وحده كافياً كما أسلفنا لقيام الثورة ، ولولا الثورة لنفذ ولتحققت به فكرة اللورد كرومر التي ابتدعها في تقريره سنة ١٩٠٤ من إنشاء مجلس تشريعي مختلط ينزل بالأمة إلى حضيض الذل والمهانة

### الأسباب الاقتصادية

زعم بعض الكتاب المغرضين أن الرخاء في مصر كان من أسباب ثورة سنة ١٩١٩ ، وهذا مسخ وتشويه للحقائق ، إذ أن الثورة ، من الوجهة اقتصادية ، هي رد فعل ضد النظم المالية التي عانتها البلاد قبل الحرب ، وفي خلال الحرب ، فقبل الحرب أخذت الأمة تشعر على تعاقب السنين بأن المصالح والمرافق المالية الأجنبية نمت وازدهرت ، وطغت على الاقتصاد القومي في ظل الاحتلال ، وتحت كنفه ورعايته ، وأن النفوذ الأجنبي المائل في

(١) انظر كتاب محمد فريد ص ٣٤٧ وما بعدها

البنوك والشركات والمتاجر والمصانع والبيوت الأجنبية عامة قد تغفل في حياة البلاد الاقتصادية ، مما أفضى إلى استعباد الشعب مالياً واقتصادياً ، إلى جانب ما عاناه من الاستعباد السياسي<sup>(١)</sup> ، ولقد فطن الشعب لهذا الاستعباد ، ولمس آثاره في حياة الناس الفردية والاجتماعية ، واستظهر ما يحمله الاحتلال من تبعات في هذه الناحية ، إذ أنه كان بلا مرء مؤيداً ونصيراً للسيطرة الأجنبية المالية الاقتصادية في البلاد ، فمناصرة الاحتلال لهذه السيطرة كانت من أهم أسباب نقمة الشعب على السياسة البريطانية من الوجهة الاقتصادية

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى ، فزادت الناس تدمراً من هذه السياسة وأول مظهر لهذا التدمر الشكوى العامة من موقف الحكومة حيال هبوط أسعار القطن هبوطاً جسيماً في موسم سنة ١٩١٤ ، على أثر نشوب الحرب ، فلقد نزل سعر القطن تدريجاً إلى حوالي عشرة ريالات ، وكان سعره قبل الحرب أربعة جنيهات ، فعم الكساد ، واشتد الضيق بالمزارعين ، من ملاك وفلاحين ، وسرى الضيق إلى الطبقات الأخرى ، لأن القطن هو عصب الحالة الاقتصادية في مصر ، ووقفت الحكومة ، بتأثير المستشار المالي البريطاني ، جامدة بإزاء هذه الكارثة المفاجئة ، بل ساهمت في اشتدادها ، وزاد في تفاقمها أن البنوك قبضت يدها عن التسليف على القطن ، في حين أخذت البنوك العقارية تقسو في المطالبة بأقساطها ، وكان هم الحكومة في هذه المأساة أن يتم لها تحصيل الضرائب في مواعيدها ، فأصدرت تعليماتها إلى الحكام الإداريين والسيارة باستعمال الشدة في تحصيل الأموال الأميرية ومطلوبات البنك الزراعي القديم ، فبلغ الضيق غايته حين اجتمعت مطالبة الحكومة إلى مطالبة البنوك العقارية ، وساءت حالة الزراعة ، واضطر الكثيرون منهم إلى بيع أقطانهم بأدنى من الحد الذي هبطت إليه الأسعار ، حتى بيع القنطار في تلك السنة (١٩١٤) في كثير من القرى والبنادر بمائة وعشرين قرشاً ، وفي كثير غيرها بستين قرشاً ! ، فكانت هذه الأسعار هي الخراب بعينه ، وأكرهت الحكومة معظم الزراعة على بيع ما لديهم من مصاغ وحلى ذهبية ، وماشية ودواجن ،

(١) راجع في تفصيل ذلك كتابنا (مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال) ص ٢٠٦ وما بعدها

لأداء بقية المال المطلوب منهم ، واضطر الكثيرون إلى الاستدانة من المرابين بالربا الفاحش للغرض نفسه ، ووقفت الحكومة جامدة أمام هذه المأساة ، وبخاصة أمام اضطراب الناس إلى بيع ما لديهم من حلى ومصاغ ، وكل ما فعلته أن عينت مئتمنين ( جاشنجية ) لتحديد سعر تلك المصوغات والحلى الذهبية ، وأصدرت في ذلك إعلاناً بتاريخ ٩ سبتمبر سنة ١٩١٤ ، قالت فيه ما يأتى :

« اتصل بالحكومة أن فريقاً من الناس حاولوا بيع مصوغات وحلى ذهبية لكي يسدوا ما عليهم من الأموال الأميرية ولكنهم بسبب الاضطراب في المعاملات لم يفلحوا في الحصول على القيمة الحقيقية لتلك المصوغات والحلى وتحملوا في هذا السبيل خسارة لاسوغ لها ، فلأجل ملافاة مثل هذه الحوادث ومن باب التسهيل في تسديد الأموال الأميرية بكل الوسائل التي في مقدور الحكومة قد شرعت الحكومة في تدير طريقة من مقتضاها تعيين جاشنجية رسميين في المديرية المهمة وفي القاهرة يناط بهم تقدير القيمة الحقيقية لما يقدمه الجمهور إليهم من المصوغات والحلى الذهبية في نظير تسديد الأموال والعوائد المطلوبة للحكومة وبعد خصم مقدار الضرائب الأميرية من قيمة تلك المصوغات والحلى الذهبية يستلم أصحابها الباقي من قيمتها فوراً<sup>(١)</sup> ، فجاء هذا الإعلان اعترافاً من الحكومة باضطرابها الناس إلى بيع مصوغاتهم وحليهم لسداد الأموال الأميرية ، وليس هذا من شيمة الحكومة التي تعطف على الشعب في محنته

وكانت لجنة البورصة بالاسكندرية قد أصدرت قراراً في ٦ أغسطس سنة ١٩١٤ « بتقفيل » جميع عقود ( كونترات ) الأقطان بالسعر الذي وضعته اللجنة للمقاصة وهو ١٥٢ ربالاً ، أى بتحديد سعر أدنى لهذه العقود ، تفادياً من هبوطه إلى أقل من هذا السعر ، ولكن الحكومة بتوجيه المستشار المالى أصدرت مرسوماً في ٣ سبتمبر سنة ١٩١٤ بعدم العمل بهذا القرار<sup>(٢)</sup>

(١) الوقائع المصرية عدد ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٤

(٢) الوقائع المصرية عدد ٣ سبتمبر سنة ١٩١٤



ولم تفكر في وضع حد أدنى لسعر القطن ، ولا في التسليف عليه ، أو شراء جزء منه ولا في تأجيل تحصيل الأموال حتى تنكشف الضائقة أو تحصيل الأموال عينا في تلك الظروف الاستثنائية بأن تأخذ ما يقابل المال قطننا ، ولا فكرت في وقف البيوع الجبرية ، ولو لعدة شهور ، بل تركت البنوك العقارية والمرابين ينزعون أملاك مدينهم بأبخس الأثمان ، هذا في الوقت الذي أصدرت فيه المراسيم والقرارات بتأجيل دفع الديون التجارية والأوراق المالية ( مواتواريوم ) في أغسطس وما يليه من سنة ١٩١٤ ، ولعمري إن ديون المزارعين كانت أولى بالتأجيل من الديون التجارية

وبلغ ثمن محصول قطن ذلك العام ومقداره سبعة ملايين قنطار ١٦٥٠٠٠٠٠٠ جنيه ، مقابل ٢٩١٤٥٠٠٠٠ جنيه في السنة السابقة ( ١٩١٣ ) ، وهذا يعطيك فكرة عن مبلغ الخسارة الجسيمة التي لحقت البلاد في سنة ١٩١٤

ويهولك الأمر لو علمت مقدار ما نال المنتجين من تلك الستة عشر مليون جنيه ونصف ، ومبلغ ما عاد منه على الأهلين ، بعد ما احتجزه الوسطاء والتجار وبيوت التصدير ، ومعظمهم من الأجانب ، ولا تقل خسارة مصر في موسمي قطن سنة ١٩١٤ و ١٩١٥ عن عشرين مليون جنيه

وقفت الحكومة إذن جامدة بإزاء تلك المأساة ، في حين عنيت كل العناية بتثبيت مركز البنك الأهلي ( الأجنبي فعلا ) ، فبادرت منذ نشوب الحرب إلى تدعيم مركزه ، إذا جعلت لأوراق النقد التي يصدرها سعرا إلزاميا Cours forcé ، وذلك بأن أصدرت مرسوما في ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ ، نصت للمادة الأولى منه على أن « أوراق البنكنوت الصادرة من البنك الأهلي المصري تكون لها نفس القيمة الفعلية التي للنقود الذهبية المتداولة رسميا في القطر المصري ، وعلى ذلك فكل ما يدفع من تلك الأوراق لأي سبب وبأى مقدار يكون دفعا صحيحا وموجبا لبراءة الذمة كما لو كان الدفع حاصلا بالعملة الذهبية بصرف النظر عما يخالف ذلك من الشروط أو الاتفاقات الحاصلة أو التي تحصل بين أصحاب الشأن وذلك بصفة مؤقتة وإلى أن يصدر أمر جديد » ، ونصت المادة الثانية من هذا المرسوم على أنه

« يرخص للبنك الأهلي بصفة مؤقتة وإلى أن يصدر أمر جديد في تأجيل دفع قيمة أوراق البنكنوت التي تقدم إليه لهذا الغرض »<sup>(١)</sup>

وزاد هذا البنك من إصدار أوراقه النقدية ( البنكنوت ) ، في الوقت الذي سُمح له بأن يرسل إلى لندن معظم رصيده الذهبي الذي يحتم عليه القانون إبقاءه ضمناً لإصداره ، وأعني من الغطاء الذهبي لأوراقه النقدية ، إذا وافقت وزارة المالية بقرار منها نشر بالوقائع المصرية في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٦ على اعتبار السندات المصدرة على خزانة الحكومة البريطانية بمثابة ذهب ، وهاك نصه : « ليكن في علم الجمهور أنه من جهة ، بالنظر إلى الزيادة الكبيرة التي لاتزال تحدثها احتياجات موسم القطن في الطلب على أوراق البنكنوت ، ولما كان من جهة ثانية يحسن ألا يجمع من احتياطي الذهب مبلغ يزيد عن الحد الذي تقضى به الحكمة في الأحوال الحاضرة ، لذلك تقرر أن يتسامح مؤقتاً بعض التسامح فيما هو مفروض على البنك الأهلي المصري من إبقاء كمية من الذهب في الخزانة تعادل على الأقل نصف قيمة أوراق البنكنوت المصدرة ، وقد رُخص للبنك الأهلي أن يستبدل ببونات الخزنة الإنجليزية التي لأجل قصير المقدار الذي يلزم من احتياطي الذهب ، لجعل الاحتياطي المذكور معادلاً لنصف الأوراق المصدرة طبقاً لقانون البنك »

وهذا القرار معناه أن الحكومة أجازت للبنك الأهلي إصدار أوراق بنكنوت من غير أن يكون ملازماً بالاحتفاظ في خزائنه بما يعادل نصف قيمتها من الذهب ، ولا يزال هذا القرار نافذاً إلى اليوم ( ١٩٤٥ )<sup>(٢)</sup>

(١) الوقائع المصرية عدد ٣ أغسطس سنة ١٩١٤

(٢) لى قرار سنة ١٩١٦ يرجع ربط الجنيه المصري بالجنيه الإنجليزي ، وإن كانت تبعية العملة المصرية للاسترلينية ترجع في الواقع إلى بدء عهد الاحتلال البريطاني ، وذلك بتأثيره السياسي والاقتصادي ، ففي سنة ١٨٨٥ نظمت الحكومة العملة فقررت أن الجنيه المصري هو العملة الرسمية لمصر ، ولكنها امتنعت عن سكها إلا بمقدار ضئيل للزينة ، وحددت النقود الذهبية التي يجوز التعامل بها في البلاد إلى جانب الجنيه المصري ، فجعلتها قاصرة على الجنيه الإنجليزي والجنيه الفرنسي والجنيه التركي ، وحددت وزن القطعة الذهبية للجنيه المصري وكمية الذهب الذي يحويه بطريقة جعلت الميزة للجنيه الإنجليزي على العملة الفرنسية والعملية التركية ، فصار الجنيه المتداول فعلاً في مصر هو الجنيه الإنجليزي

ثم أخذت أسعار القطن في السنين التالية تصعد تدريجاً ، وتوقع المصريون أن يعرضهم هذا الصعود بعض ما خسروه في سنى الشدة ، ولكن الحكومة بتوجيه المستشار المالى قررت في يونيه سنة ١٩١٧ تحديد سعر القطن بثلاثة وعشرين ريالاً ، وهو يقل عن سعره الحقيقى ، ويحول دون استمرار الصعود الذى كان متوجهاً إليه ، واجتمع إلى ذلك ما قررتة الحكومة منذ نشوب الحرب من تخفيض المساحة المزروعة قطناً بناء على الطب السطات البريطانية ، وما وضع من عقبات سبيل تصدير القطن ، مما ينتحلونه عند اللزوم ويعزونه إلى قلة وسائل النقل البحرى ، ويبخسون بذلك أسعار القطن فى السوق المحلية

على أن الارتفاع النسبى فى أسعار القطن قد اقترن باشتداد الغلاء فى البلاد ، فارتفعت أسعار الحاجيات ارتفاعاً مطرداً ، واشتدت وطأة الغلاء على الطبقات الفقيرة والمتوسطة اليسار ، وهم السواد الأعظم من الشعب ، ففاضت نفوسهم سخطاً وحنقاً ، وفى ذلك يقول اللورد ملتر فى تقريره<sup>(١)</sup> عن أسباب ثورة سنة ١٩١٩ : « إن أسعار الأشياء ارتفعت فى مصر ارتفاعاً متوالياً لم يسبق له مثيل ولا سيما أسعار الحاجيات كالحبوب والأقمشة والوقود ، فنقلت وطأتها على الفقراء ، ولا سيما أن أجورهم لم تكن لتكفى النفقات التى يقتضيها غلاء المعيشة ، فى حين أنهم كانوا يرون عدداً من مواطنيهم ومن الأجانب غير المحبوبين عندهم يجمعون الثروات الكبيرة ، فإن عائلة مكونة من أربع أنفس ، رجل وزوجته وطفلين ، لم تكن تستطيع فى أوائل سنة ١٩١٩ الحصول على ما يكفياها من القوت إلاّ بثمان يفوق بكثير متوسط الأجرة وقتئذ ، فهذه العوامل المختلفة أفضت ولا ريب فى أواخر سنة ١٩١٨ إلى إلاستياء والقلق بين معاشر الفلاحين »

ومنحت الحكومة الموظفين علاوة لغلاء المعيشة ، ولكن هذه العلاوة لم تكن علاجاً ناجعاً للغلاء ، وزادت من دخلها لتعوض هذا المبلغ ، فرفعت أجور النقل السكك الحديدية ٥٠ ٪ علاوة على زيادتها من قبل فبلغت الزيادة ١٠٠ فى المائة

(١) سيرد الكلام عنه فى الفصل الرابع عشر

واحتكرت الحكومة البريطانية بذرة القطن جميعها من محصول سنة ١٩١٧ بسعر أقل من سعرها الحقيقي ، وألغت الحكومة في تلك السنة أوامر تصدير القطن ، وحصرتها في عدد محدود من بيوت التصدير ، وكلها أجنبية ، فكان هذا الاحتكار في يدها وسيلة للتحكم في أسعار ما تشتريه من المحصول ، وبهذه الوسيلة ربحت هذه البيوت الملايين من الجنيهات على حساب المنتج البائس

وأصيبت مصر بخسارة اقتصادية فادحة في موسم سنة ١٩١٨ ، إذ احتكرت الحكومة البريطانية محصول القطن جميعه في ذلك العام ، وحددت سعر شرائه بـ ٤٢ ريالاً (سبعة جنيهات و ٤٤٠ ملياً) للنطار من رتبة (فولى جود فير) ، وكان يباع فعلاً من أصحاب الأقطان بائنين وثلاثين ريالاً

وأصدرت الحكومة المصرية بلاغاً في ١٣ مارس سنة ١٩١٨ عن هذا الاحتكار ، سوغته بقولها : « نظراً إلى الأحوال الاستثنائية الناجمة عن الحرب والمتأثرة بها الآن تجارة القطن المصرى ولا سيما قلة بواخر النقل وتخفيض مساحة الأراضي المزروعة قطناً ، وأيضاً مراعاةً لضرورة الاحتفاظ بما للامبراطورية البريطانية وما للحلفاء من المواد الطبيعية سداً لحاجتهم الضرورية ، رأت حكومة صاحب الجلالة والحكومة المصرية بالاشتراك ، أن تتخذ التدابير اللازمة لإحراز محصول القطن ابتداءً من أول أغسطس سنة ١٩١٨ ، وقد عيّنت لهذا الغرض لجنة مراقبة للأقطان تتألف من المستر رونالد لندسى رئيساً والمستر هورز نل نائب الرئيس ومستر بزلى والمستر كارفر والمستر كنجج لويز أعضاء ، وتقوم بمساعدة هذه اللجنة لجنة استشارية تمثل مخازن التصدير ومنتجى القطن والبنوك ، ولجنة مراقبة الأقطان ستكون مستعدة ابتداءً من أول أغسطس سنة ١٩١٨ لحين صدور إعلان آخر لمشتري الأقطان سواء كانت من محصول الموسم القادم أو بقية المحصول الحاضر بأثمان قاعدتها ٤٢ ريالاً عن كل قنطار من فولى جود فير السكلاريدس واردة مخازن الاسكندرية ، وابتداءً من التاريخ المذكور فما بعد ، لا يرخص إلا بتصدير القطن الذى اشترته اللجنة ، وتصبح

الرخص التي أعطيت من قبل ملغاة إلا رخص الأقطان المودعة بإحدى الموانئ، والتي كان سبق بيعها قبل التاريخ المذكور بقصد التصدير»

وكان سعر القنطار في الخارج وقت صدور هذا القرار نحو أربعة وستين ريالاً، فتأمل في الغبن الذي لحق محصول سنة ١٩١٨ من جراء هذا الاحتكار، إذ بلغت خسارة المصريين فيه نحو اثنين وثلاثين مليون جنيه!

وتأمل في انتقال الحكومة المعاذير لتسويق هذا الغبن، وما يبدو في بيانها من المغالطة ومن الاعتراف بأن المراد من هذه العملية خدمة الإمبراطورية البريطانية، فهي تزعم أن أحوال الحرب وقلة بواخر النقل وتخفيض مساحة الأراضي المزروعة قطناً كل هذا قد دعاها إلى التسليم في محصول القطن بهذا الثمن البخس، على أن ظروف الحرب الاستثنائية كانت على العكس سبباً لصعود أسعار القطن، وكذلك تخفيض مساحة الأراضي المزروعة قطناً، أما قلة بواخر النقل فحجة مصطنعة، لأن محصول ذلك العام وما قبله وما تلاه قد نقلته البواخر جميعه إلى إنجلترا أو إلى الدول الخليفة والمحايدة، وفي البيان اعتراف صريح بأن الغرض من هذا الاحتكار وهذا التحديد للسعر هو الاحتفاظ للإمبراطورية البريطانية وحلفائها بالمواد الطبيعية التي يحتاجون إليها، ولقد كان العدل في المعاملة يقتضى ماداموا في حاجة إلى محصول القطن أن يدفعوا له ثمن المثل الذي كان يدفع في أمريكا وغيرها من دول الحلفاء

وقع هذا الغبن على محصول سنة ١٩١٨، وعلى ما كان مخزوناً من محصول سنة ١٩١٧ الذي لم يكن يبع بعد

وقد اعترف اللورد ملتر في تقريره بما كان لهذا الاحتكار من الأثر في التمهيد للثورة، قال في هذا الصدد: «وهناك ما يدل أيضاً على أن التحكم في أسعار القطن زاد استياء الناس لأن هذا التحكم يحرم الزراع مزية المزاومة في الأسواق الخارجية مع كون إيجار أطيانه في ازدياد»

ويدخل في سياق الأسباب الاقتصادية للثورة مصادرة الساطة العسكرية لأرزاق الناس وحاصلاتهم ومواشيهم ودوابهم، مما سبق الكلام عنه في موضعه، ثم تخفيض مساحة

الأراضي المنزرعة قطناً طيلة مدة الحرب توفيراً لمؤونة الجيوش البريطانية وحلفائها ، وجملة القول ان الأسباب الاقتصادية كان لها دخل كبير في قيام الثورة

### التاريخ يعيد نفسه

#### في الحرب العالمية الثانية

إن الصورة التي عرضناها عن حالة مصر المالية والاقتصادية خلال الحرب العالمية الأولى تدعونا إلى أن نضع إلى جانبها صورة من هذه الحالة خلال الحرب العالمية الثانية ( ١٩٣٩ — ١٩٤٥ ) ، فإن التاريخ يكاد يعيد نفسه ، مع اختلاف في الأساليب والأوضاع وضعت السلطات البريطانية يدها طيلة مدة الحرب على الحاصلات والمواد الأولية الموجودة في البلاد واللازمة للإنتاج ، واستولت على الأخشاب والأسلاك والمواد المصنوعة من الحديد ، كل ذلك مقابل أوراق النقد التي يصدرها البنك الأهلي ، بلا رصيد ولا ضابط ، ووضعت يدها على البواخر والسفن الشراعية المصرية وحمولتها نحو ثمانين ألف طن ، وحرمت البلاد بذلك استخدام ما عندها من أسطول تجارى ، لاستيراد حاجاتها وتصدير منتجاتها

وفرضت على البلاد كما فرضت في الحرب الأولى الدورة الزراعية ، وقل إنتاجها من محصول القطن وهو المحصول الرئيسى لأراضيها ، هذا إلى ما اتخذ من الوسائل لبخس سعره ففي الحرب العالمية الأولى فرض على البلاد حد أعلى لأسعار القطن كما تقدم بيانه ، وفي الحرب العالمية الثانية عدل حقا عن وضع حد أعلى لأسعار القطن ، وسارت الحكومة على قاعدة وضع حد أدنى مع ترك السوق حرة حتى تجرد المجال لارتفاع الأسعار ، ولكن الواقع أن جوهر السياسة البريطانية القطنية في الحرب العالمية الثانية لم يختلف كثيراً عما تبعه حيال مصر في الحرب الأولى ، فقد احتكرت اللجنة الإنجليزية ثم اللجنة الإنجليزية المصرية ، كل محصول القطن خلال سنى الحرب ، وحصر التصدير إلى إنجلترا والولايات المتحدة ، وأدى كل ذلك إلى منع التنافس ، فصار القطن المصرى يباع بأقل من سعره الحقيقي في الخارج ، وخسرت البلاد عدة ملايين من الجنيهات كل عام ، وصارت أية دولة

تريد شراء أية كمية من القطن لا تأتي للسوق المصرية مباشرة ، بل يجب عليها أن تستأذن الحكومة البريطانية ، وظل قرار اكتوبر سنة ١٩١٦ ( ص ٧٦ ) معمولاً به ، واستطاعت إنجلترا بفضلها أن تسحب من البنك الأهلي ، خلال هذه الحرب وبعدها ، نحو أربع مائة وخمسين مليون جنيه أوراق نقد ( بنكنوت ) اشترت بها من بلادنا ما أرادت ، وأنفقت منه على قواتها ما شاءت ، وهذا المبلغ الضخم هو ما يعبر عنه بالأرصدة الأسترلينية التي أدت إلى إفقار البلاد ، فضلاً عن أنها سببت الغلاء الفاحش في الأسعار وارتفاع تكاليف المعيشة ، مما وقع عبثه الطاحن على الطبقات الفقيرة والمتوسطة اليسار ، وهي السواد الأعظم من الأمة ، وقد بلغ ارتفاع تكاليف المعيشة رقماً قياسياً ، إذ وصلت في أواخر الحرب ، بل بعد انتهائها ، إلى أكثر من ٣٥٠ في المائة عما كانت عليه قبل الحرب ، في حين أنها لم تزد في إنجلترا عن ١٣٥ إلى ١٤٥ في المائة ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية عن ١٤٥ إلى ١٥٠ في المائة ، مع أن مصر تنتج حاجتها من المواد الغذائية ، والبلاد التي في هذه الحالة كجنوب أفريقيا وأستراليا لم تزد تكاليف المعيشة فيها عن ١٢٠ في المائة

وأدى ارتباط العملة المصرية بالعملة الأسترلينية مع فرض القيود على الاستيراد والتصدير وعدم وجود رقابة من الحكومة على إصدار البنك الأهلي لأوراق النقد إلى وضع البلاد في شبه حصار اقتصادي ، فلا تستطيع أن تستورد من غير منطقة الأسترليني ما تحتاج إليه ، حتى من أمريكا ، فإنها لا تستورد منها إلا ما تسمح إنجلترا بإعطائه لمصر من الدولارات ، وكذلك قامت العقوبات في سبيل صادراتنا إلى الخارج ، وما حدث للقطن حدث للأرز والسكر وما إلى ذلك ، فوجود هذه العقوبات قد شل تجارة البلاد الخارجية وألحق بحياتنا الاقتصادية أعظم المضار ، وبهذا التعليل تستطيع أن تفسر غلاء الأسعار بالنسبة لما تستورده البلاد مع انخفاض أسعار القطن وهو محصولها الرئيسي الذي يصدر معظمه إلى الخارج ، وهذا هو الحصار الاقتصادي الذي يزيد في عواقبه عن الحصار الحربي أو السياسي ، ويسبب للبلاد الفقر والحرمان

وهنا ، أنقل من كلمة قلتها في مجلس الشيوخ بجملة ١٨ أبريل سنة ١٩٤٤<sup>(١)</sup> ما يصور الضرر الذي لحق البلاد من تراكم الأرصدة الأسترلينية ، قلت :

« المسألة التي أريد أن أتحدث فيها هذه الليلة هي مسألة تضخم أوراق النقد لأنها مسألة فيما أعتقد لها أهمية كبرى ، ولقد تناولتها لجننتكم للمالية بالبحث ، ولتسمح لي اللجنة أن لا أشاطرها الرأي الذي تقدمت به في تقريرها

» تقول لجنة المالية إن الزيادة في أوراق النقد هي زيادة تستلقت النظر لأن أوراق النقد التي كانت متداولة قبل الحرب بلغت عشرين مليوناً من الجنيهات ، فأصبحت في شهر فبراير سنة ١٩٤٤ ١٠٢٧٠٠٠٠٠ من الجنيهات ، أي أنها صارت خمسة أمثال ما كانت عليه قبل الحرب ، هذه الزيادة في الواقع هي من أهم أسباب الغلاء الذي نشعر به في الوقت الحاضر ، وقد بحثت لجنة المالية في هذه الزيادة ، وهل تعتبر تضخماً مالياً أم لا ، فقالت في الصفحة الثانية من تقريرها ما يأتي :

« وهذه الزيادة الكبيرة تعبر عن أحد شيئين : إما إنها زيادة في النقد يقابلها زيادة في الثروات ، وفي هذه الحالة تعتبر إزاء طبيعياً ، وإما أن تكون زيادة في النقد لا يصحبها زيادة في الثروات بنسبة متقاربة ، وفي هذه الحالة تكون لهذه الزيادة نتائج لازمة ، وهذا ما يطلق عليه التضخم المالي »

« من ذلك ترون أن اللجنة وضعت قاعدة لا شك في صحتها ، فهي تقول : إن كانت الزيادة في أوراق النقد تقابلها زيادة في الثروات فتعتبر إزاء طبيعياً ، أما إذا لم تقابلها زيادة في ثروة البلاد فيعتبر هذا تضخماً مالياً ، ثم انتهت اللجنة من بحثها فقالت :

« إن ما قدمناه ليدل على أن كثرة النقود في مصر لا يعتبر تضخماً مما عرفته بعض البلاد الأخرى »

« فاسمحوا لي ولتسمح لي اللجنة للمالية أن أقول أن المقدمات التي ساقتها اللجنة في تقريرها لا تتفق مع النتيجة التي وصلت إليها

(١) لمناسبة المناقشة في السياسة المالية العامة



« إن أوراق النقد هي في الواقع وسيلة للشراء ، أى أنها ليست في ذاتها ثروة طبيعية ، وهذا ما توافق عليه اللجنة ، فإذا لم تكن زيادة أوراق النقد تقابلها زيادة في ثروة البلاد اعتبر ذلك بلا شك تضخماً مالياً ، فهل الزيادة التي بلغت ثمانين مليوناً في الوقت الحاضر تقابلها زيادة في الإنتاج أو زيادة في ثروة البلاد ؟ أظن أن الجواب على هذا السؤال لا يحتاج إلى عناء ، لأن إنتاج البلاد إذا كان قد زاد بعض الزيادة ، فإن هذه الزيادة لا تتناسب مطلقاً مع زيادة أوراق النقد المتداولة في البلاد ، الواقع أن هذه الزيادة في أوراق النقد أنقصت من قيمتها الشرائية ، وبمجرد النقص في القيمة الشرائية يدل على أن الإنتاج في البلاد لم يزد مطلقاً بالنسبة التي زادت بها أوراق النقد في مصر .

« ونقطة البحث التي يجب أن نتوجه إليها جميعاً هي من أين أتت هذه الزيادة في أوراق النقد مع أن الإنتاج لم يزد ؟

« إن هذه الزيادة نشأت عن الطريقة التي تباع بها حاصلات البلاد ومنتجاتها ، فلو كانت هذه الطريقة سليمة لما زادت أوراق النقد بهذه الكثرة الهائلة .

« الطريقة السليمة التي تتعامل بها الدول الأخرى فيما يتعلق بصاداتها ومنتجاتها أنها تصدر إلى البلاد الأجنبية صادراتها ولا تأخذ في مقابلها نقداً ، إنما تأخذ بدلا عنها واردات من تلك البلاد ، وتكون هذه الواردات بمثابة الزيادة الحقيقية في ثروات هذه البلاد ، وبناء على ذلك يكون التبادل قائماً على قواعد سليمة أى مع مراعاة الميزان التجاري .

« المسئولية في الطريقة المتبعة الآن في مصر من غير شك واقعة على الحكومة ، وأقصد بكلمة الحكومة الشخص المعنوي ولا أقصد الحكومة القائمة بالذات ، بل المسئولية موزعة على جميع الحكومات ومنها الحكومة القائمة .

« هذه الطريقة هي أن الحكومة لا تشترط أن يكون مقابل صادراتها واردات تأتي إليها من الخارج تماثلها في القيمة ، بل اكتفت بأن يدفع البنك الأهلي قيمة هذه الصادرات

أو المنتجات سواء بيعت في مصر أو في الخارج أوراق نقد لا يمكن أن تعد في الواقع ثروة حقيقية في البلاد

« ما السبب في هذا التضخم المالى ؟ ان السبب الحقيقي يرجع إلى أنه ليس لدينا استقلال في حياتنا المالية وحياتنا النقدية ، أى ليس لعملتنا استقلال ، لأن المسألة متروكة للبنك الأهلى ، ولا توجد مع شديد الأسف رقابة فعلية من الحكومة عليه فيما يتعلق بإصدار أوراق البنكنوت ، مع أنه في البلاد الأخرى تفرض رقابة تامة على البنوك التى تمنح امتياز إصدار أوراق البنكنوت

« إن الحاصل الآن أن كل ما يباع من السلع والمنتجات سواء أكانت في أسواق مصر أم خارجها ترد بثمنها تحاول على البنك الأهلى بضمان سندات الخزنة البريطانية ، فيصدر البنك الأهلى أوراقا مالية بقيمة الحاصلات ، ويدفعها لأصحابها ، فترتب على ذلك أن تكدست أوراق النقد وزادت حتى نقصت قيمتها الشرائية ، وحتى أصبح من المتعذر لكثرتها إيجاد طريقة لإنقاص عددها أو امتصاصها

« ولقد عملت الحكومة القائمة كل ما يمكن عمله في سبيل امتصاص جزء من هذه الأوراق ، ولجأت كما تعلمون حضراتكم إلى القرض الوطنى ، وهو عمل سليم لا غبار عليه ، ومع هذا لم يقلل هذا العمل من التضخم الموجود الذى وصل إلى مبلغ ١٠٢٧٠٠٠٠٠٠ جنيه ، مما يدل على أن الداء لا يزال قائما ، فإن لم نعمل على معالجته بطريقة سليمة ستستمر الزيادة في أوراق النقد بمضى الزمن ، ويزداد الغلاء

« الطريقة السليمة هى أن الحكومة توجب على البنك أنه عند ما يصدر أوراقا مالية لا يصدرها في مقابل سندات على الخزنة البريطانية ، إنما يصدرها في مقابل بضائع وعروض وبيع ترد إلى مصر مما تحتاج إليه البلاد ، وبذلك تزداد ثروة مصر الحقيقية ، هذه هى الطريقة الوحيدة التى يجب أن تتبع لعلاج هذا التضخم المالى

« أعود إلى مسألة انعدام الرقابة من الحكومة على البنك الأهلى ، فأقول مع الأسف أن الحكومة تترك حرية إصدار أوراق النقد إلى البنك الأهلى بدون قاعدة

« تركزت الحكومة البنك الأهلي يزيد في أوراق النقد كما يشاء ، مع أن القانون الأساسي للبنك الأهلي الذي صدر به ذكر يتو ٢٥ يونيه سنة ١٨٩٨ مذكور في المادة الرابعة والثلاثين منه صراحة أن لمدوبي الحكومة الرقابة على البنك في مراعاة الديكريتا بكل دقة وفي تنفيذ لوائح البنك وقانونه الأساسي الخاصة بصوالح الحكومة والثقة العامة ، ويراقبون بصفة خاصة إصدار الأوراق التي تدفع لحاملها أو عند تقديمها وهي أوراق البنكنوت »  
بمعنى هذا أنه يجب على الحكومة أن تراقب البنك الأهلي في إصدار أوراق البنكنوت

« المفهوم أنه حصل تساهل من الحكومة مع البنك في الماضي فيما يتعلق بإصدار أوراق البنكنوت ، ولكن إلى متى يستمر هذا التسامح ؟ إن ذكر يتو ٢٥ يونيه سنة ١٨٩٨ الذي تأسس البنك بموجبه يحتم على البنك الأهلي في مقابل إصدار أوراق البنكنوت أن يكون لديه نصف الرصيد ذهباً والنصف الآخر سندات مختارها الحكومة المصرية وتعينها ، ثم صدر ذكر يتو في ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ جعل لهذه الأوراق التي يصدرها البنك سعراً إلزامياً Cours forcé ، وقد كان المفروض الحتم من قبل أن يدفع البنك لحامل هذه الأوراق قيمتها ذهباً ، وذكر في هذا الذكر يتو أنه يعمل به بصفة مؤقتة ، ولكن هذه الصفة المؤقتة مع الأسف استمرت إلى اليوم ، وأكثر من ذلك أنه صدر قرار من وزارة المالية نشر في الوقائع المصرية عدد ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٦ بالتسامح مؤقتاً فيما هو مفروض على البنك من إيجاد نصف الرصيد ذهباً والترخيص له بأن يستبدله بسندات على الخزنة البريطانية ، وهذا لا يمنع أن النصف الآخر من الرصيد الذي يقابله سندات مالية أيا كانت يجب أن يكون باختيار الحكومة ، على أن هذا التسامح هو بصفة مؤقتة ، وهذا التأقت الذي حدث في سنة ١٩١٦ استمر مع الأسف إلى اليوم ، وهذا الشرط الجوهري الذي ورد في قانون البنك الأساسي وهو أن الحكومة تختار السندات لمقابلة النصف الآخر لم يعمل به مطلقاً ، ولم يعمل بهذه الرقابة ، ولذلك استمر البنك على إصدار أوراق البنكنوت بطريقة

متزايدة حتى تخمت السوق بهذه الأوراق ، وترتب على هذه التضخمة أن قلت قيمة أوراق النقد

« إذن ترون حضراتكم أن هذه الطريقة المتبعة في سداد أثمان حاصلاتنا ومنتجاتنا ليست طريقة سليمة في السداد ، لأننا إذا رجعنا إلى أوراق البنك نجد أنها عبارة عن كميالة أو سند على البنك ، وورقة البنك من أية قيمة مذكور فيها على لسان البنك : « أتعهد بأن أدفع عند الطلب مبلغ جنيه أو خمسة جنيهات أو عشرة جنيهات أو مائة جنيه لحامل هذا السند »  
« فهذه الورقة ليست إلا سنداً ، أو بعبارة أخرى ليست إلا كميالة على البنك الأهلي ، فهذه الكميالة على البنك الأهلي ، هل هي فيما يتعلق بالتبادل الدولي بين الدول ، تتفق مع الطريقة السليمة الدولية في السداد ؟

« كلا ! إن التبادل بين الدول يقناني مع هذه الطريقة ، لأن هذه الطريقة في السداد ليست إلا بيعاً بقرض ، فشانها شأن رجل يشتري بضاعة مهما كانت حاله من الغنى والثراء ويعطى بدل البضاعة التي يأخذها من البقال مثلاً سنداً بما اشتراه ، وكذلك شأنه مع الجزار أو الخبز وغيرها ، فليست هذه هي الطريقة السليمة في السداد ، وهي هي الطريقة التي نبيع بها حاصلاتنا ومنتجاتنا ، وبخاصة إذا لوحظ أن أوراق النقد التي يصدرها البنك الأهلي ، أو بعبارة أخرى الكميالات أو السندات ، يصدرها البنك في مقابل سندات على الخزانة البريطانية ، فبدلاً من أن يصدر هذه السندات في مقابل بضائع ترد إلينا وتوازي صادراتنا يكتفى بإصدار هذه السندات بضمانة سندات على الخزانة البريطانية ، فما معنى هذه الطريقة ؟

« معناها أننا ندائن البنك الأهلي ، أو بعبارة أخرى ندائن الخزانة البريطانية في مقدار هذه الزيادة التي زادت في أوراق البنكنوت ، هذا دينٌ غريب ، من نوع غريب ، فهو دين دولة فقيرة على دولة غنية ، دين دولة ضعيفة على دولة قوية ، دين لا تُعرف أحكامه ولا شروطه ولا قواعده ، ولا طريقة سداده ، ولا موعد هذا السداد ، فهذه ليست طريقة سليمة مطلقاً

« نحن لم نختار أن نكون دائنين للخزانة البريطانية ، و بعبارة أخرى هو دين إجباري ، ففرض علينا أن نقوم به ، فهذا الدين الذي لنا على بريطانيا العظمى والذي يتزايد كل يوم ، ما مصلحتنا فيه ! أليس الأسلم لنا بدلا من أن يتراكم هذا الدين أننا نأخذ في مقابل صادرانا واردات تزيد من ثروة البلاد وإنتاجها ؟ هذه هي الطريقة السليمة التي يسدّد بها ثمن ما نبيعه من هذه الحاصلات والمنتجات ، لأن الأمم لا تعيش بالسندات أو الكيبيالات ، وإذا استمرت الحالة على ما تجرى عليه الآن من تزايد أوراق النقد التي يصدرها البنك الأهلي فإننا سنصل إلى حالة من الغلاء لا تستطيع البلاد أن تواجهها ، سنصل إلى حالة من التسليف بحيث لا نستطيع أن نسترد هذا الدين بطريقة تفيد البلاد .

« الطريقة السليمة للحدّ من موجة الغلاء وللمحافظة على اقتصاديات البلاد ، أن تراقب الحكومة طريقة إصدار « البنكنوت » من البنك الأهلي ، وتشرط عليه أن لا يصدر أوراقا إلا في مقابل بضائع ترد فعلا للبلاد ، فإذا وردت البضائع للبلاد ، تراخت الأسعار ، وأقصد بهذه البضائع ما تحتاج إليه البلاد من خامات أو أقمشة أو سجاد ، أو حديد أو آلات أو غيرها ، فإنها تزيد من إنتاج البلاد ، ولكن إنتاج البلاد لا يزداد بأوراق نقد يصدرها البنك .

« أرجو ألا تعتبروا في كلامي شيئا من المبالغة أو المغالاة ، فإن هذا التعبير الذي ذكرته لحضراتكم يقرب كثيراً من تعبير النصفين من المفكرين البريطانيين ، ولذلك أتلو على مسامع حضراتكم ما جاء في مجلة « الإيكونومست » الإنجليزية ، وهي من أمهات المجلات العالمية ، فهذه المجلة ذكرت في عددها الصادر في ٥ يوليو سنة ١٩٤١ أن استثمار البلاد المرتبطة بالأسترليني لأموالها في أذونات الخزانة البريطانية هو بمثابة استثمار إجباري ، وقالت في عدد ٧ أغسطس سنة ١٩٤٣ صفحة ١٨٠ منها تحت عنوان ( ديون بريطانيا ) : إنها تقدر المبالغ المستثمرة في إنجلترا للبلاد المرتبطة بالأسترليني بألف مليون جنيه في منتصف سنة ١٩٤٣ ، وقدرت حصة مصر فيها بمبلغ واحد وسبعين مليوناً من الجنيهات في آخر سنة ١٩٤٢ ، وقد زاد بعد ذلك ، ثم قالت : إن عجز الميزانية البريطانية قد سُدّ جزئياً بإقبال

البلاد المرتبطة بالأسترليني على استثمار أموالها في بريطانيا بشراء سندات الخزانة البريطانية .  
« هذا هو التعبير الذي عبرت به صحيفة من أمهات الصحف البريطانية ، وهو تعبير يقرب كثيراً من التعبير الذي تقدمت به أمام حضراتكم ، لذلك أرجو من حضرات الزملاء — كما أرجو من الحكومة — أن تعيد النظر في الطريقة التي يصدر بها البنك الأهلي الأوراق المالية ، ولعلها إذا وفقت إلى ذلك وإذا وفقت إلى أن يكون في مقابل صادراتنا ومبيعاتنا واردات من البلاد الأخرى سواء كانت إنجلترا أو غيرها ، فإنها تؤدي إلى البلاد أعظم خدمة ، لأن هذه هي الطريقة السليمة في السداد ، والطريقة التي تمنع التضخم المالى الذى يتزايد يوماً بعد يوم ، وهذه الطريقة تؤدي إلى تراخي الأسعار وإلى زيادة الإنتاج وزيادة الثروة زيادة حقيقية في البلاد ، وأكرر القول أن البلاد لا تعيش بالسندات ، وإنما تعيش بالإنتاج والثروات الحقيقية التي تُضم إلى الثروة القومية »<sup>(١)</sup> .

هذا ، وقد بلغ دين مصر على إنجلترا من الأرصدة الأسترلينية إلى اليوم ( نهاية سنة ١٩٤٥ ) أربعمائة وخمسين مليون جنيه ، وهذا الدين قد اضطرت مصر إلى إفراضه من رأس مالها الحيوى ، ومن حاصلاتها ومنتجاتها التي هي أحوج ما تكون إليها أو إلى ثمنها الحقيقي ، لا الوهمي والخيالى ، وهكذا تجددت في الحرب العالمية الثانية للمساءة التي لا تختلف كثيراً عما عانتها مصر في الحرب العالمية السابقة

والآن ، فلنعد إلى الحديث عن أسباب ثورة سنة ١٩١٩ ، ولنتكلم عن أسبابها الاجتماعية

### الأسباب الاجتماعية

لا سراة في أن المجتمع المصرى سنة ١٩١٩ كان في الجملة أكثر تقدماً عما كان عليه في السنوات الماضية ، فإن انتشار التعليم ، وتطور الأفكار ، واتساع المدارك ، وارتقاء أساليب الحياة ، والنهضة الأدبية والعلمية والصحفية ، والنهضة النسوية ، كل أولئك قد ساعد على

(١) مضبطة جلسة مجلس الشيوخ — ١٨ إبريل سنة ١٩٤٤

نموّ الروح السياسية ، وجعل المجتمع أكثر تطلّعا إلى المثل العليا ، وأشدّ تبرّما بالنظم الاستعمارية أو الاستبدادية التي ترجع به إلى الوراء ، وتفقد كرامته الإنسانية ، وحقوقه الطبيعية

ويلزمنا أن ننوه على الأخص بما كان للأدب والصحافة من فضل كبير في بثّ الروح الوطنية في نفوس الجيل ، فإن الأدباء عامة ، والشعراء بوجه خاص ، قد ناصروا الحركة الوطنية في عهدنا الأول ، وغذوها بقصائدهم ومقالاتهم ، وسجلوا حوادثها البارزة ، وعبروا أصدق تعبير عن آمال هذا الشعب وآلامه ، وأشادوا بمفاخره ، وأهابوا به أن ينهض ويستعيد مجده القديم ، واستصرخوا الإنسانية تهتّب لنصرته ، وتنتصف من الظلم الذي يحيق به ، وإن كثيراً من روائع الأدب التي جادت بها قرائح الشعراء والأدباء ، كانت معالم للحركة الوطنية ، وكان الشباب يحفظها عن ظهر قلب ، فتذكى في نفوسه روح الوطنية والشجاعة والإخلاص ، وللصحافة الوطنية الفضل الأكبر في بعث هذه الروح بما كانت تنشر من الدروس والعظات التي تستخلصها من الحوادث الغابرة أو الحوادث اليومية التي كانت تقع في مصر والخارج ، فأدت واجبتها في تنقيف عقول النشء ، وتفهمهم الحقائق ، وتبصيرهم بما يُراد للبلاد من خير أو شر ، وما يُرجى لها من نفع أو يبيت لها من ضرر

ومن هنا صار المجتمع أكثر استعداداً لقبول الدعوة إلى الجهاد السلمي ثم إلى الثورة ، وبملا شك فيه أن هذا المجتمع كان في أواخر سنة ١٩١٨ أكثر إدراكاً وأقوى شعوراً مما كان عليه منذ عشر سنوات أو عشرين سنة مضت ، اعتبر ذلك فيما كانت تقابل به دعوة مصطفى كامل سنة ١٨٩٠ ، ومحمد فريد وأنصارهما وتلاميذهما على توالي السنين ، فقد كانت تُلبّي في بيئات محدودة ، ولا يظهر صداها إلا في دائرة ضيقة من الشباب ، وفريق من المثقفين والأعيان والمزارعين والعمال ، ولكن غالبية الشعب ، ومعظم الطبقات المثقفة التي تشغل المناصب الحكومية ، كانوا بمنأى عن الحركة الوطنية ، أما في سنة ١٩١٨ و١٩١٩ فقد اتسع مداها ، وانضمت إليها طبقات كانت من قبل بمعزل عنها ، كالموظفين والفلاحين ، وهذا ولا شك راجع إلى التقدم الاجتماعي ، فإن أحداً لم يكن يتوقع أن

يشارك الموظفون في الحركة الوطنية ويساهموا فيها إلى درجة الاحتجاج على نظام الحكومة ،  
ثم الإضراب عن العمل لغرض سياسي  
حقاً قد يكون الباعث المباشر لانضمام الموظفين إلى حركة سنة ١٩١٩ استياءهم من  
احتكار الإنجليز للمناصب الحكومية الكبرى ، وازدياد عددهم وتفاقم امتيازاتهم ، وسددهم  
طريق الترقى في وجوه الموظفين المصريين ، ولكن كل هذا لا يحول دون اعتبار هذه  
البواعث الشخصية من العوامل التي أذكت الروح الوطنية في نفوس الموظفين ،  
ولو إلى حين

كما أن أعيان البلاد كانوا — إلا النادر — لا يميلون من قبل إلى معارضة الحكومة  
ومناوأتها ، بل كان همهم توطيد علاقتهم بالحكومة والحكام ، والتودد إليهم حرصاً  
على مصالحهم ، ثم جرفهم التيار ، فانضموا إلى الحركة في سنة ١٩١٩ ، وبعضهم منذ  
سنة ١٩٢١ ، ومهما قيل من أن انضمامهم إليها لم يخل من قصد الانتفاع الشخصي ورعاية  
مصالحهم من طريق مساندة التطور السياسي الجديد ، فإن انضمامهم إلى الحركة كان على  
أى حال مظهرًا من مظاهر التقدم الاجتماعي للأمة

أما عن طبقة الفلاحين فلم يكن أحد يتوقع أن الفلاح الساذج ، البعيد بفطرته عن  
غمار السياسة وعواصفها ، يندمج فيها إلى درجة الثورة وخلع قضبان السكك الحديدية ،  
وقطع المواصلات ، وبذل الروح فداء للوطن  
كل هذا يدل على تقدم الأفكار في طبقات الموظفين والأعيان والفلاحين ،  
وبدلك على تقدم المجتمع في شتى نواحيه

وقد ظهرت نتائج التقدم الاجتماعي في كون الثورة قد لزمها شعور من الثبيل والترفع  
عن الدنيا ، فكانت ثورة سياسية بكل معاني الكلمة ، ولم يشبها التعصب الديني ،  
ولا الصراع بين الطبقات ، بل كان رائدها الوحدة القومية ، سواء بين المسلمين والأقباط ،  
أو بين طبقات المجتمع من أغنياء ومتوسطين وفقراء ، ولم تنتفض أى طبقة على الأخرى ،  
كما جرى في كثير من الثورات الدموية في فرنسا أو روسيا أو أسبانيا أو غيرها



وبلغ النضج السياسي والاجتماعي خلال الثورة أن حرص منظمو المظاهرات على رعاية مصالح الأجانب حتى لا يستهدفوا لعداوتهم ، فكانوا يدعون دائماً إلى عدم التعرض لهم بسوء ، وكان إذا وقع اعتداء عليهم يبديون شديد الأسف لوقوعه ، ويأخذون الحيطة لعدم تكراره

ومن مظاهر التقدم الاجتماعي مساهمة النساء في هذه الثورة ، واشترا كهن بأقلامهن وأفكارهن في إذكاء الروح الوطنية ، وحثهن الرجال على التضحية ، وتأليفهن المظاهرات والجمعيات واللجان للتعبير عن شعورهن ، والمساهمة في النهضة الوطنية ، وقد استهدفن أحياناً للعت والمشقة في سبيل اشتراكهن في الكفاح

وصفوة القول ان التقدم الاجتماعي كان له أثره في ظهور ثورة سنة ١٩١٩

والآن ، وقد انتهينا من بحث أسباب الثورة ، فلننتقل إلى الحديث عن تطور الحوادث التي أفضت إليها

## الفصل الثالث

### تأليف الوفد المصرى وتطور الحوادث

أشرفت الحرب العالمية الأولى على نهايتها ، واقترب موعد تقرير مصير الدول والشعوب ، فأخذ ذوو الرأى من المصريين يفكرون فى طريق عملى لرفع صوت مصر ، وتمثيلها فى مؤتمر الصلح ، وزاد فى هذه الحركة الفكرية ما ترى من أبناء الشعوب الصغيرة ، إذ أخذت تتأهب لإرسال وفودها إلى المؤتمر لتحقيق آمالها القومية تطبيقاً لمبادئ الرئيس ويلسن كان رجال الحزب الوطنى وعلى رأسهم محمد بك فريد مشتتين فى أوروبا ، والصلوات بينهم وبين زملائهم فى مصر منقطعة ، هذا إلى أن الجانب الذى كانوا يقاومونه ويجهدون فى استخلاص الاستقلال منه ، وهو جانب إنجلترا وحلفائها ، قد كتب له النصر النهائى فى تلك الحرب ، فكان طبيعياً أن يبرز فى الميدان شخصيات لم تعرف من قبل بطابع العداء الشديد لإنجلترا والاحتلال البريطانى

فى هذه الظروف تقدم سعد زغلول باشا الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية ، وأخذ يعمل على تأليف جماعة لرفع صوت مصر والمطالبة بحقوقها ، وتبادل الرأى فى هذا الشأن مع بعض من كانوا يتصلون به بصلة الزمالة فى الجمعية التشريعية أو الصداقة الشخصية ، وكانت وكراته للجمعية التشريعية ، وهى الهيئة الرسمية شبه النيابية القائمة فى ذلك الحين ، وزعامته للمعارضة فى هذه الجمعية ، واعتراف زملائه له بالزعامه ، وقوة شخصيته ، ومواهبه ومكائنه ، ومقدرته الخطابية ، كل أولئك كان يؤهله لرياسة هذه الهيئة والتحدث عن الأمة فى تقرير مصيرها

فاتفق مع عبد العزيز فهمى بك وعلى شعراوى باشا ، زميليه فى الجمعية التشريعية ، على أن يطلبوا من دار الحماية تحديد موعد لهم ليقابلوا السير رجنلد ونجت Sir Reginald Wingate المندوب السامى البريطانى ، للتحدث إليه فى طلب الترخيص لهم بالسفر إلى لندن ، لعرض مطالب البلاد على الحكومة الإنجليزية ، وكان هذا الطلب بنصيحة من حسين رشدى باشا

رئيس الوزارة ، و بوساطته طلبوا هذه المقابلة يوم الاثنين ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وهو إعلان الهدنة ؛ فأجابت دار الحماية طلبهم ، بوساطة رشدي باشا أيضاً ، وحددت لهم يوم الأربعاء ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ الساعة الحادية عشر صباحاً موعداً للمقابلة المطلوبة ، وقابل ثلاثتهم المندوب السامى فى الموعد المحدد ، ودار بينهم حديث طويل فى شأن المقابلة وأغراضها ، نذكره هنا ، نقلاً عن المحضر الذى وضعه الوفد عن هذه المقابلة ، لأن فيه بياناً للمقاصد التى ذهب إليها الثلاثة الزعماء فى بداية الحركة

### حديث ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨

بدأ السير ونجت الحديث بقوله :

إن الصلح اقترب مواعده وإن العالم يفتق بعد غمرات الحرب التى شغلته زمناً طويلاً ، وإن مصر سينالها خير كثير ، وإن الله مع الصابرين ، وإن المصريين هم أقل الأمم تألماً من أضرار الحرب ، وانهم مع ذلك استفادوا منها أموالاً طائلة ، وان عليهم أن يشكروا دولة بريطانيا العظمى التى كانت سبباً فى قلة ضررهم وكثرة فائدتهم

فأجابه سعد باشا : ما تكون إنجلترا فعلته خيراً لمصر فإن المصريين بالبداية يذكرونه لها مع الشكر ، وخرج من ذلك إلى القول بأن الحرب كانت كحريق انطفأ ولم يبق إلا تنظيف آثاره وانه يظن أن لا محل لدوام الأحكام العرفية ولا لمراقبة الجرائد والمطبوعات ، وان الناس ينتظرون بفروغ صبر زوال هذه المراقبة كى ينفسوا عن أنفسهم ويخففوا عن صدورهم الضيق الذى تولاهم أكثر من أربع سنين

فقال السير ونجت : حقاً إنه ميال لإزالة المراقبة المذكورة ، وانه تخابر فعلاً مع القائد العام للجيش البريطانى فى هذا الصدد ، ولما كانت هذه المسألة عسكرية فإنه بعد تمام المخاطبة والاتفاق مع القائد سيكتب للحكومة البريطانىة ، ويأمل الوصول إلى ما برضى ، ثم استمر قائلاً : يجب على المصريين أن يطمئنوا ويصبروا ويعلموا أنه متى فرغت إنجلترا من مؤتمر الصلح فإنها تلتفت لمصر وما يلزمها ولن يكون الأمر إلا خيراً

فقال سعد باشا : إن الهدنة قد عقدت ، والمصريون لهم الحق أن يكونوا قلقين على مستقبلهم ولا مانع يمنع الآن من أن يعرفوا ما هو الخير الذي تريده انجلترا لهم  
فقال : يجب ألا تتعجلوا وأن تكونوا متبصرين في سلوككم ، فإن المصريين في الحقيقة لا ينظرون للعواقب البعيدة

فقال سعد باشا : إن هذه العبارة مبهمة المعنى ولا أفهم المراد منها  
فقال : أريد أن أقول إن المصريين ليس لهم رأى عام بعيد النظر

فقال سعد باشا : لا أستطيع الموافقة على ذلك فإنى إن وافقت أنكرت صفتى ، فإنى  
منتخب فى الجمعية التشريعية عن قسمين من أقسام القاهرة ، وكان انتخابى بمحض إرادة  
الرأى العام مع معارضة الحكومة واللورد كتشتر فى انتخابى ، وكذلك كان الأمر مع زميلى  
على شعراوى باشا وعبد العزيز بك فهمى

فقال السير ونجت : انه قبل الحرب كثيراً ما حصل من الحركات والكتابات من  
محمد فريد وأمثاله من الحزب الوطنى ، وكان ذلك بلا تعقل ولا روية ، فأضرت مصر ولم  
تنفعها فما هى أغراض المصريين ؟

فقال على شعراوى باشا : إننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر  
لا العبد للحر

فقال السير ونجت : إذا أتم تطلبون الاستقلال ؟!

فقال سعد باشا : ونحن له أهل ، وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقي الأمم المستقلة ؟  
فقال السير ونجت : ولكن الطفل إذا أعطى من الغذاء أزيد مما يلزم تخم

فقال عبد العزيز بك فهمى : نحن نطلب الاستقلال التام وقد ذكرتم جنابكم أن الحزب  
الوطنى أتى من الحركات والكتابات بما أضرت ولم يفد ، فأقول لجنابكم أن الحزب الوطنى  
كان يطلب الاستقلال ، وكل البلد كانت تطلب الاستقلال ، وغاية الأمر ان طريقة الطلب  
التي سار عليها الحزب الوطنى ربما كان فيها ما يؤخذ علينا ، وذلك راجع إلى طبيعة الشبان

في كل جهة ، فلأجل إزالة الاعتراض الوارد على طريقة الحزب الوطني في تنفيذ مبدئه الأساسي الذي هو مبدأ كل الأمم ، وهو الاستقلال التام ، قام جماعة من الشيوخ الذين لا يظن فيهم التطرف في الإجراءات وأسسوا حزب الأمة وأنشأوا صحيفة « الجريدة » ، وكان مقصدهم هم أيضاً الاستقلال التام ، وطريقتهم أخف في الحدة من طريقة الحزب الوطني ، وذلك معروف عند الجميع ، والغرض منه خدمة نفس المبدأ المشترك بطريقة تمنع الاعتراض ، ونحن في طلبنا الاستقلال التام لسنا مبالغين فيه فإن أمتنا أرقى من البلغار والصرب والجبل الأسود وغيرها ممن نالوا الاستقلال قديماً وحديثاً

فقال السير ونجت : ولكن نسبة الأميين في مصر كبيرة لا كما في البلاد التي ذكرتها  
إلا الجبل الأسود والألبان على ما أظن

فقال عبد العزيز بك فهمي : إن هذه النسبة مسألة ثانوية فيما يتعلق باستقلال الأمم فإن لمصر تاريخاً قديماً باهراً وسوابق في الاستقلال التام وهي قائمة بذاتها وسكانها عنصر واحد ذو لغة واحدة وهم كثيرون والعدد وبلادهم غنية ، وبالجملة فشرط الاستقلال التام متوفرة في مصر ، ومن جهة نسبة الأميين للمتعلمين ، فهذه مسألة لا دخل لها في الاستقلال كما قدمت ، لأن الذين يقودون الأمم في كل البلاد أفراد قلائل ، فإني أعرف أن لإنجلترا وهي بلاد العظمة والحرية عند أهلها ثقة كبرى بحكومتها فأرباب الحكومة وهم أفراد قلائل هم الذين يقودونها وهي تتبعهم بلا مناقشة في كثير من الأحوال لشدة ثقتها بهم وتسليمها لهم ، ولذلك فمجلس نوابها ليس كل أفرادهم العاملين ، وإنما العامل منهم فئة قليلة ، فبلاد مصر يكفي أن يكون فيها ألف متعلم ، ليقوموا بإدارتها كما ينبغي وهي مستقلة استقلالاً تاماً — ونحن عندنا كثير من المتعلمين ، بدليل أن أولى الحل والعقد نسمع منهم في كثير من الأحيان أن التعليم زاد في البلد حتى صار فيها طائفة من المتعلمين العاطلين ، وأما من جهة تشبيهنا بالطفل يتختم إذا غذى بأزيد من اللازم فاسمحو لي أن أقول ان حالنا ليست مما ينطبق عليها هذا الشبه ، بل الواقع اننا كالمريض مهما أتيت له من نطس الأطباء استحال عليهم أن يعرفوا من أنفسهم موقع دائه ، بل هو نفسه الذي يحس بألم الداء ويرشد إليه ، فالمصري وحده هو

الذى يشعر بما ينقصه من أنواع المعارف وما يفيدده فى الأشغال العمومية وفى القضاء ، وغير ذلك ، فالاستقلال التام ضرورى لرقينا

فقال السير ونجت : أتظنون أن بلاد العرب وقد أخذت استقلالها ستعرف كيف تسير بنفسها ؟

فقال عبد العزيز بك : إن معرفة ذلك راجع إلى المستقبل ، ومع ذلك فإذا كانت بلاد العرب وهى دون مصر بمراحل أخذت استقلالها فمصر أجدر بذلك

فقال السير ونجت : قد كانت مصر عبداً لتركيا ، أفتكون أحط منها لو كانت عبداً لإنجلترا ؟

فقال شعراوى باشا : قد أكون عبداً لرجل من الجعليين وقد أكون عبداً للسير ونجت الذى لا مناسبة بينه وبين الرجل الجعلى ، ومع ذلك لا تسرنى كلتا الحالتين ، لأن العبودية لا أرضاها ولا تحب نفسى أن تبقى تحت ذلها ، ونحن كما قدمت نريد أن نكون أصدقاء لإنجلترا صداقة الأحرار لا صداقة العبيد

فقال السير ونجت : ولكن مركز مصر حريباً وجغرافياً يجعلها عرضة لاستيلاء كل دولة قوية عليها وقد تكون غير إنجلترا

فقال سعد باشا : متى ساعدتنا إنجلترا على استقلالنا التام ، فإننا نعطيها ضماناً معقولة على عدم تمكين أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة إنجلترا فنعطيها ضماناً فى طريقها للهند وهى قناة السويس ، بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء بل نحالفها على غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المخالفة من الجنود

ثم قال شعراوى باشا : يبقى أمر آخر عند هذا الحد وهو حقوق أرباب الديون من الأجانب ، فيمكن بقاء المستشار الإنجليزى بحيث تكون سلطته هى سلطة صندوق الدين العمومى

فقال سعد باشا : نحن نعرف الآن أن إنجلترا أقوى دولة فى العالم وأوسعها حرية وإنا نعرف لها بالأعمال الجليلة التى باشرتتها فى مصر ، فنطلب باسم هذه المبادئ أن تجعلنا

أصدقاءها وحلفاءها صداقة الحر للحر ، وإنا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك  
مشخصاً لهذه الدولة العظيمة ، وعند الاقتضاء نساfer للتكلم في شأنها مع ولاة الأمور في  
إنجلترا ، ولا نلتجئ هنا لسواك ولا في الخارج لغير رجال الدولة الإنجليزية ، ونطلب منك  
بصفتك عارفاً لمصر مطلعاً على أحوالها أن تساعدنا للحصول على هذه المطالب

فقال السير ونجت : قد سمعتُ أقوالكم وإني أعتبر محادثتنا محادثة غير رسمية بل بصفة  
حبية فإني لأعرف شيئاً عن أفكار الحكومة البريطانية في هذا الصدد وعلى كل فإني  
شاكر زيارتكم وأحب لكم الخير

فشكره الثلاثة على حسن مقابلته ، وانصرفوا حيث كانت الساعة الثانية عشرة

### تأملات في حديث ١٣ نوفمبر

في حديث ١٣ نوفمبر كلمات قيمة ، كقول علي شعراوي باشا : « إنا نريد أن نكون  
أصدقاء للإنجليز صداقة الحر للحر لا العبد للحر » ، وردّ سعد باشا على السير ونجت في دعواه  
أن ليس للمصريين رأى عام ، وقوله ان انتخابه عضواً عن دائرتين للجمعية التشريعية رغم  
معارضة الحكومة واللورد كتشنر دليل على وجود الرأى العام ، وقوله ان لا محل لبقاء  
الأحكام العرفية والرقابة على الصحف والمطبوعات مع انتهاء الحرب ، ودفاع عبد العزيز  
فهمى بك عن الحزب الوطنى إذ زعم السير ونجت أن جهاده كان بلا روية ، وهى تهمة يتهم  
بها الإنجليز كل هيئة تناضلهم وتمسك بإزائمهم بحقوق البلاد ، فرد عليه عبد العزيز بك  
بأن مبدأ الحزب الوطنى الأساسى هو مبدأ كل الأمم ، وهو الاستقلال التام ، وقوله أن  
لا مبالغة في طلب الأمة المصرية الاستقلال التام فإنها أرقى من كثير من الأمم التى نالت  
الاستقلال قديماً وحديثاً ، وتكلم في هذه الناحية كلاماً سديداً

على أن في الحديث مواطن ضعف مدهوسة ، لا يمكن السكوت عليها ، نذكر على  
سبيل المثال تعهد سعد باشا بإعطاء إنجلترا الضمانات المعقولة التى تكفل مصالحها في مصر وعدم  
تمكين أى دولة من استقلالها ، كأن مسألة مصر واستقلالها مسألة داخلية لإنجلترا ، وجعل

قناة السويس هي الضمان لطريقها للهند ، وتخويلها حق احتلالها عند الاقتضاء ، فإن إعطاء مثل هذه الضمانات التي منها احتلال قناة السويس كان نقطة الارتكاز لانجلترا في مشروعات المعاهدة التي عرضتها على مصر ، وسوغت فيها الاحتلال تحت أسماء مختلفة ، مما يتعارض قطعاً مع الاستقلال

أضف إلى ذلك اعتراف سعد باشا بأن لانجلترا أعمالاً عظيمة قامت بها في مصر ، وقوله للسير ونجت : « إننا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك شخصاً لهذه الدولة العظيمة ، وعند الاقتضاء نساfer للتكلم في شأنها مع ولاة الأمور في إنجلترا ، ولا نلتجئ هنا لسواك ، ولا في الخارج لغير رجال الدولة الإنجليزية » ، وبذلك جعل دعوته مقصورة على التفاهم بين مصر وإنجلترا مباشرة ، وأن يكون مجال التفاهم في مصر أو في إنجلترا بالذات ، وفي هذا ، مع ما سبق من الحديث ، معنى التنازل مقدماً عن الجلاء ، وهذا المعنى قد ظهر واضحاً في مشروع الاتفاق الذي وضعه الوفد سنة ١٩٢٠ ، كما سيجيء بيانه في الفصل الثالث عشر ، وفي هذا أيضاً يبدو الفرق جلياً بين حديث ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وحديث المرحوم محمد بك فريد سنة ١٩٠٨ ، حين سأله المستر كيتل العضو بمجلس العموم ( مجلس النواب ) البريطاني عما يطلبه المصريون من إنجلترا ، فأجابته على الفور : « نحن لا نطلب شيئاً منها سوى الجلاء ، فالجلاء هو الدواء الوحيد للاحتلال » ، ولقد أشار عليه وقتئذ المستر روبرتسن العضو بمجلس العموم ( النواب ) ، والمستر بريلسفورد مدير جريدة الديلي نيوز ، أن يتنازل عن طلب الجلاء لكي يظفر بمساعدة رجال السياسة في إنجلترا ، فرفض هذا الشرط ، وقال في هذا الصدد : « إن هؤلاء الساسة وضعوا لمساعدتهم شرطاً لا يمكن أن تقبله مطلقاً ، اشترطوا لتحقيق رغائبنا أن نمحو من بينها مسألة الجلاء ، فنحن إن رضينا بشرطهم هذا فإنما نعترف بهذا العمل العدواني وهو الاحتلال ، وهذا محال »

ومن هذه المقارنة تستطيع أن تعرف الفرق بين مذهبين مختلفين : مذهب التفاهم مع الاحتلال ، ومذهب الجلاء وعدم التعاون مع الاحتلال

وفي الحق ان الاستقلال الحقيقي لا يتفق وأى احتلال أجنبي في أى جزء من البلاد ،



لأن جوهر الاستقلال كما يجب أن تؤمن به مصر والشعوب الشرقية جمعاء يقتضى أن لا يوجد في أرضها قوة حربية أجنبية ، مهما كانت صفتها ومهما كان موقعها ، وهذه هي الحقيقة التي تفهمها الشعوب الغربية ، وليس هناك حقائق عن الاستقلال تختلف باختلاف موقع البلدان في الشرق أو في الغرب ، اللهم إلا إذا كان يراد بنا أن نصدق ما يقوله رديارد كيلنج شاعر الإنجليز : « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » ، وهذا ما لا يجوز لنا أن نقبله بحال

على أن الشعب لم يلق باله إلى تلك الملابسات ، وفهم بفطرته السليمة أن الحركة التي قامت في أعقاب الحرب العالمية الأولى كانت ضد الاحتلال ، وكان مقصوداً منها بدهاء جلاء الاحتلال الأجنبي عن البلاد ، وأن الاستقلال التام لا يتحقق إلا بالجلاء ، وعلى هذا الأساس قامت الثورة

### تأليف الوفد

عقب مقابلة ١٣ نوفمبر

كان سعد باشا وصاحبه على اتفاق مع حسين رشدي باشا على هذه المقابلة قبل حدوثها ، وقد قابلوه بعدها مباشرة ، بوزارة الداخلية ، إذ كان ينتظرهم ، فأفصوا إليه بما دار من حديث مع السير ونجت ، وكان مؤيداً لهم في مسعاهم ، ومطمئناً لهم بأن الوزارة ستشد أزهم ، وتقف في صفهم ، وأفضى إليهم من ناحيته بأنه قد أعد خطاباً ليرفعه إلى السلطان فؤاد باستئذانه بالسفر مع عدلي باشا إلى لندن ، وقد رفعه في ذلك اليوم كما سيجيء بيانه ، وبعد أن رفع كتابه إلى السلطان ، قابل السير ونجت في اليوم نفسه ، وكاشفه بعزمه هو أيضاً على السفر إلى لندن مع عدلي باشا ، واستطرد الحديث إلى مقابلة سعد وصاحبيه للسير ونجت ، ومما قاله عنهم انه يدهش أن ثلاثة رجال يتحدثون عن أمر أمة بأسرها ، دون أن يكون لديهم ما يخولهم صفة التحدث باسمها ، فأجابه رشدي باشا بأن لهم هذه الصفة ، إذ أن سعدا هو الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية ، وهي الهيئة التي كانت

تمثل الأمة ( من الوجهة النظامية ) ، وعبد العزيز بك فهمى وعلى باشا شعراوى  
عضوان فيها

وأبلغ رشدى سعداً بعد ذلك بما دار بينه وبين السير ونجت ، وشجّعهُ على المضيّ في  
سبيله ، فأخذ سعد يجتمع وصحبه للتشاور في الطريقة التي يعلنون بها صفتهم في التحدث عن  
الأمة ، فاتفقوا على تأليف هيئة تسمى « الوفد المصرى » ، إشارةً إلى أنها وفد مصر للمطالبة  
باستقلالها ، وأن تحصل هذه الهيئة على توكيلات من الأمة تخولها هذه الصفة

وقد تألف الوفد فعلاً يوم ١٣ نوفمبر على النحو الآتى : سعد زغلول باشا ( رئيساً ) . على  
شعراوى باشا . عبد العزيز فهمى بك ( باشا ) . محمد محمود باشا . أحمد لطفى السيد بك  
( باشا ) . عبد اللطيف المكباتى بك<sup>(١)</sup> . محمد على علوبة بك ( باشا ) . وكانت تجمعهم  
رابطة العضوية في الجمعية التشريعية ، عدا محمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك

وقد وضعوا للوفد قانوناً ورد في المادة الأولى منه تأليف الوفد من الأعضاء السبعة  
المتقدم ذكرهم ، وجاء في المادة الثانية منه « ان مهمة الوفد هي السعى بالطرق السلمية  
المشروعة حيثما وجد للسعى سبيلاً في استقلال مصر استقلالاً تاماً » ، وفي المادة الثالثة « ان  
الوفد يستمد قوته من رغبة أهالى مصر التي يعبرون عنها رأساً أو بواسطة مندوبهم بالهيئات  
النيابية » ، وفي المادة الثامنة « أن للوفد أن يضم إليه أعضاء آخرين مراعيّاً في انتخابهم  
الفائدة التي تنجم عن اشتراكهم معه في العمل »

وصدّق الأعضاء على قانون الوفد في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، بعد أن ضم إليه أعضاء  
آخرين كما سيذكره بيانه

(١) لم يكن اسمه الله يحمل رتبة البكوية ، وهذا أمر يشرفه ، على أن اسمه كان مقروناً عرفاً بلقب  
بك ، فخرينا على هذه التسمية

## كيف تألف الوفد

ومن تألف ؟

لم يكن يخلو مجتمع من المصريين المفكرين في أواخر الحرب الماضية من التحدث عن مصير البلاد ، وما يجب عمله لتحقيق أمانها في مؤتمر الصلح ، على أن أول من فكر في تأليف وفد للمطالبة بحقوق مصر في المؤتمر هو الأمير عمر طوسون ، وقد التقى بسعد باشا ليلة ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٨ في حفلة أقامها رشدي باشا بكازينو سان استفانوا احتفالاً بعيد جلوس السلطان ( الملك ) أحمد فؤاد ، وذلك قبل الهدنة ، فأفضى إليه بهذه الفكرة ، فأقرها سعد ووافق عليها ، ووعد الأمير بأن يفتح أصدقاءه بالقاهرة في تنفيذها ، وأعاد الأمير الكرة عليه يوم ٢٣ أكتوبر في حفلة شاي أقامها السير رجنلد ونجت تكريماً للسلطان فؤاد برمل الإسكندرية ، ثم التقى به غداة ذلك اليوم بالقطار الذي أقلهما إلى القاهرة ، وحادثه أيضاً في هذا الصدد ، ثم عاد الأمير إلى الإسكندرية ، منتظراً ما ينبثه به سعد باشا عن نتائج مسعاه مع أصدقائه ، فلم يتلق منه جواباً

وفي يوم الهدنة أي ١١ نوفمبر سافر الأمير إلى القاهرة والتقى بسعد ، فعلم منه أنه على موعد هو وزميلاه على شعر اوى باشا وعبد العزيز فهمى بك لمقابلة السير ونجت يوم ١٣ نوفمبر ، وظهر أن سعداً أراد أن ينفذ الفكرة التي فاتحه الأمير فيها ، ولكن بعيداً عن الأمير ، وبدا ذلك من أنه اتفق مع سعد حين مقابلته إياه يوم ١١ نوفمبر على عقد اجتماع يدعو إليه الأمير في قصره بشبرا ليوم ١٩ نوفمبر ، وأرسل فعلاً تذاكر الدعوة إلى المدعوين ، ولكن الحكومة المصرية قررت منع الاجتماع ، وأبلغ رشدي باشا الأمير هذا القرار ، وقيل انه اتخذ باتفاقه مع السلطان ومع سعد باشا ، فلم يكن من الأمير إلا أن أرسل إلى المدعوين تذاكر بتأجيل الاجتماع ، وقد تأيدت هذه الرواية من كون الأمير تلقى في غضون ذلك رسالة من السلطان على لسان أمين يحيى باشا بالكف عن التدخل في هذه المسألة

وظاهر من هذه الملابسات أن فكرة تأليف الوفد قد صدرت أول ما صدرت عن

الأمير عمر طوسون ، وتلقاها عنه سعد باشا وانفرد بها لكي لا تكون الرئاسة للأمير إذا ظل مشتركا في تنفيذها ، وقد يكون ما عرف عن الأمير من الجفاء بينه وبين الإنجليز من العوامل التي أقصته عن الوفد<sup>(١)</sup>

### توكيل الوفد

عمل الوفد على أن يثبت لهيئته صفة التحدث عن الأمة ، ورأى أن الوسيلة العملية في ذلك وضع صيغة توكيل يوقعها أعضاء الهيئات النيابية القائمة في ذلك الحين ، كالجمعية التشريعية ومجالس المديرية والمجالس البلدية وغيرها وأكثر عدد ممكن من ذوى الرأى والأعيان وسائر طبقات الشعب

### صيغة التوكيل الأولى

وضع الوفد صيغة أولى للتوكيل ، أذاعها في البلاد ، وهذا نصها :  
« نحن الموقعين على هذا ، قد أنبنا عنا حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ومحمد على بك وعبد اللطيف المكباتى بك ومحمد محمود باشا واحمد لطفى السيد بك ، ولهم أن يضموا إليهم من يختارون في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا في استقلال مصر تطبيقاً لمبادئ الحرية والعدل التي تنشر رايها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب »

(١) كان هذا الجفاء معروفاً من أول الحرب ، إذ كان الأمير عمر طوسون بأوروبا في صيف سنة ١٩١٤ ، فلما آزاد العودة إلى مصر بعد إعلان الحرب عارضت السلطة العسكرية البريطانية في عودته وظل وقتاً طويلاً تحت الملاحظة في مرسيليا إلى أن توسط له السلطان حسين كامل لدى السلطات البريطانية فأذنت له بالعودة إلى مصر

## موقف الحزب الوطنى

### وتعديل صيغة التوكيل

كان الحزب الوطنى على عهدہ بالاستمساک بالجللاء عن وادى النيل ، یرى فيه بحق عنوان الاستقلال الصحیح ، وكان ماضیه فى الجهاد قد جعله یرى فى الاحتلال العقبة الحقیقیة دون الاستقلال

فلم یرض عن صیغة التوكيل التى وضعها الوفد ، نخلوها من النص على الاستقلال التام ومنافاتها للكرامة القومیة ، إذ جعلت المطالبة باستقلال مصر فى حدود مبادئ العدل والحرية التى تنشر رایتها دولة بریطانیا العظمى ، فى حین أن جهاد الأمة وشكواها من الاحتلال إنما یرجعان إلى السیاسة التى اتبعتها بریطانیا العظمى منذ بدء الاحتلال أى منذ سنة ١٨٨٢ ، هذا إلى خلو التوكيل من الإشارة إلى السودان إطلاقا ، وعدم الإشارة إليه لا یتسق مع وحدة وادى النيل التى هى ركن هام من البرنامج القومى ، فلما نشرت هذه الصیغة وتداولتها الأیدی ، ذهب أربعة من أعضاء الحزب الوطنى النابهین وهم : الأستاذ عبد المقصود متولى . والأستاذ مصطفى الشوربجى . والأستاذ محمد زكى على . والأستاذ محمد عبد المجید العبد ، إلى دار سعد باشا ، وقابلوه وناقشوه فى التوكيل ، واعتراضوا على صیغته ، وقد اشتدت المناقشة بینهم حتى غضب سعد واعتبر فى هذا الاعتراض إهانة له ، وقال لهم كيف تسمحون لنفسكم بهذه الحدة وكيف تهینونى فى منزلى ؟ فأجابہ الأستاذ محمد زكى على الفور بأننا نعتبر أنفسنا فى بیت الأمة ، لا فى بیت سعد باشا الخاص ، فسر سعد لهذه التسمية ، وابتسم لمحدثیه وقال لهم متبسطا : لقد تنازلت عن ملاحظتى ، ومنذ ذلك الحین أطلق على بیت سعد « بیت الأمة »

وقد اجتمع الوفد عقب انتهاء هذه المقابلة ، وبحث فى تعديل صیغة التوكيل ، وأعاد النظر فیها على ضوء ملاحظات أعضاء الحزب الوطنى ، وانتهى إلى تعديل التوكيل على النحو الآتى :

« نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات . . . في أن يسعوا بالطرق السامية  
المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلا في استقلال مصر استقلالاً تاماً »<sup>(١)</sup>  
أما عن السودان فقد اعتبر الوفد أن كلمة مصر تتناول السودان ، وأعلن سعد هذا  
التفسير في خطبته بدار حمد باشا الباسل يوم ١٣ يناير سنة ١٩١٩ كما سيحيى بيانه ، وكان  
هذا تلبية لنداء الحزب الوطني

### جمع التوكيلات

طبعت الصيغة الأخيرة للتوكيل وأذيعت بين أعضاء الهيئات النيابية والجماعات المصرية  
على اختلاف طبقاتها ، للتوقيع عليها ، فأقبل الناس عن طيب خاطر وحماسة يوقعون عليها  
في مختلف الأوساط ، وانتشرت من العاصمة إلى الأقاليم ، فصادفت نفس الحماسة التي قوبلت  
بها في القاهرة

وإذ كانت وزارة رشدي باشا مؤيدة للوفد ، فقد أصدرت تعليماتها إلى مديري الأقاليم  
بعدم التعرض لحركة التوقيع على توكيل الوفد ، فساعد هذا الموقف على انتشار الحركة  
واتساع مداها

### تصدى السلطة العسكرية للتوكيلات

على أن السلطة العسكرية البريطانية حين رأت أن حركة التوكيلات آخذة في الاتساع  
في المدن والأقاليم ، وأنها توشك أن تكون أساساً لحركة عامة للمطالبة بالاستقلال التام ،  
أوجست منها خيفة ، وعملت على إحباطها ، فأصدر المستر هينز المستشار البريطاني لوزارة

---

(١) أشار الأستاذ محمود أبو الفتح إلى تغيير صيغة التوكيل في كتابه « المسألة المصرية و الوفد »  
ص ٤٤ بقوله « وكان قد روعى في وضع صيغة التوكيل الظروف الاستثنائية ، فلم ينس فيه صراحة على أن  
الاستقلال الذي تراد المطالبة به « تام » وكتبت عبارة تفيد الثقة أو نحوها بعدالة بريطانيا وميلها للحرية ،  
فقام معارضون من رجال الحزب الوطني وغيره يطالبون بتغيير صورة التوكيل وجعله صريحاً في النص على  
الاستقلال التام ، وبمجرداً من العبارات اللينة التي لا طائل تحتها ، وقد رأى الوفد في شدة حركة الاعتراض على  
نص التوكيل دليل حياة قوية في البلاد ، حياة يمكنه الاعتماد عليها في عمله ، فزاد شجاعة وقوة ، وغير  
صيغة التوكيل بصيغة أخرى صريحة لا يدخلها الشك »

الداخلية أو امره مباشرة إلى المديرين بمنع تداول التوكيلات أو التوقيع عليها بكل ما لديهم من قوة ، فلما علم الوفد بهذه الأوامر كتب سعد باشا إلى حسين رشدي باشا الخطاب الآتي يشكو من هذه الإجراءات ، ويطلب إليه بلهجة ودية أن يأمر بترك الناس أحراراً في التوقيع على التوكيلات ، قال :

« حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء ووزير الداخلية

« أتشرف بأن أرفع لدولتكم ما يلي : لا يخفى على دولتكم أنه على أثر فوز مبادئ الحرية والعدل التي جاهدت بريطانيا العظمى وشركاؤها لتحقيقها ألفت مع جماعة من ثقات الأمة ونوابها وأصحاب الرأي فيها وفداً لينوب عنها في التعبير عن رأيها في مستقبلها تطبيقاً لتلك المبادئ السامية — لذلك شرعنا في جمع هذا الرأي بصيغة توكيل خاص ، فوق ما لكثير منا من النيابة العامة ، فأقبل الناس على إمضاء هذا التوكيل إقبالا عظيماً مع السكينة والهدوء ، وهذا أقل مظهر نعرفه من مظاهر الإعراب عن رأي الأمة في مصيرها ، لكنه قد اتصل بنا أن وزارة الداخلية قد أمرت بالكف عن إمضاء هذه التوكيلات ، ونظراً إلى أن هذا التصرف يمنع من ظهور الرأي العام في مصر على حقيقته ، فيتعطل بذلك أجل مقصد من مقاصد بريطانيا العظمى وشركائها وتحرم الأمة المصرية من الانتفاع بهذا المقصد الجليل ، ألتمس من دولتكم باسم الحرية والعدل أن تأمروا بترك الناس وحريرتهم يتمون عملهم المشروع ، وإذا كانت هناك ضرورة قصوى أجأت الحكومة على هذا المنع ، فإني أكون سعيداً لو كتبتم لي بذلك حتى نكون على بصيرة من أمرنا ونساعد الحكومة بما في وسعنا على الكف عن إمضاء تلك التوكيلات

« وفي انتظار الرد ، تفضلوا يا دولة الرئيس بقبول شكري سلفاً على تأييد مبادئ

الحرية الشخصية وعظيم احترامي لشخصكم الكريم »

« الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية ورئيس الوفد المصري »

« سعد زغلول »

٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٨

وقد استمرت الإدارة في خطتها التي أملاها عليها مستشار الداخلية ، وزادت شدة

إذ صدرت بعض التوكيلات التي تم التوقيع عليها ، فأرسل سعد باشا خطاباً آخر إلى رشدي باشا بتاريخ ٢٤ نوفمبر ينهى إليه أمر هذه المصادرة ، ويلفتة إلى هذه المعاملة التي ياباها العدل ومبادئ العصر الحاضر ، قال :

« إلحاقاً لما حررت لكم أمس أشرف بإخبار دولتكم أن رجال الحكومة لم يقتصروا على منع التوقيع على التوكيلات بل تجاوزوه إلى مصادرة ما تم التوقيع عليه منها كما يتبين لدولتكم من صورة الخطاب طيه ، فألفت نظر دولتكم إلى هذه المعاملة التي ياباها عدلكم ومبادئ العصر الحاضر . وفضلوا ... الخ »

فرد رشدي باشا على الخطابين بخطاب في ٢٥ نوفمبر قرر فيه أن هذه الأوامر إنما صدرت من مستشار وزارة الداخلية ويرجع سببها إلى وجود الأحكام العرفية وإلى اعتبار التوكيلات مما يدعو إلى الإخلال بالنظام العام ، ولهجة الرد وأسلوبه يدلان على تنصل رشدي باشا من تبعه هذه الأوامر وإلقائها على عاتق المستشار البريطاني ، وعدم إقراره فيما فعل ، فكان الرد تأييداً ظاهراً للوفد وإحراجاً للسلطة البريطانية . قال :

« حضرة صاحب المعالي سعد زغلول باشا

« إجابة على كتابيكم المؤرخين ٢٣ و ٢٤ الجاري أشرف بإحاطتكم علماً أنه إذا كانت صدرت أوامر من جناب مستشار الداخلية لمنع إمضاء التوكيلات المشار إليها في كتابيكم المذكورين ، فإنما كان ذلك لأن القطر لا يزال تحت الأحكام العرفية ولأن مثل هذه التوكيلات قد اعتبرت مما يدعو إلى الإخلال بالنظام العام وفضلوا ... الخ »

وقد تبين من هذا الرد أن الوزارة على خلاف مع السلطة البريطانية في شأن حركة الوفاء ، وأن الحكومة لا تشاطر هذه السلطة وجهة نظرها ولا إجراءاتها ضد الوفاء ، فكان ذلك مما ساعد على نمو الحركة واتساعها ، وفعلاً لم تحل أوامر المستشار البريطاني دون استمرار التوقيع على التوكيلات ، لأنه كان من العسير على رجال الإدارة أن يمنعوا التوقيع عليها ، فضلاً عن مصادرتها ، هذا إلى شعورهم بأن الوزارة راضية عن الحركة ، فبدأ منهم التراخي في تنفيذ أوامر المستشار البريطاني



## مذكرة أمين بك الرافعي

### عن المسألة المصرية

وضع المرحوم أمين بك الرافعي في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ مذكرة سياسية ، بسط فيها المسألة المصرية بسطاً وافياً ، وترجمها إلى اللغة الفرنسية ، وقدمها لمعتدى الدول في مصر لإبلاغها إلى الرئيس ويلسن وإلى بقية رؤساء الحكومات المشتركة في مؤتمر الصلح ، ونشر أصلها باللغة العربية بين شباب مصر وجميع المشتغلين بقضيتها السياسية ، وطبعت غير مرة ، وصارت لهم مرجعاً لدراسة القضية المصرية على حقيقتها ، وكانت أول مذكرة سياسية وضعت بشأنها عقب الهدنة ، وإذ كانت من الوثائق الهامة التي وجهت الأفكار في ذلك الحين إلى التمسك بالأهداف الوطنية وكان لها أثرها في تنوير الأذهان وتبصير الرأي العام بمحائق القضية المصرية ، فإننا موردون هنا نصها ، لكي تطلع عليها فيما يهكمك الإطلاع عليه من الوثائق التاريخية لهذا العصر

استهلها رحمه الله بقوله : « رزح العالم تحت آصار القوة عصوراً طويلاً وأجيالاً متعاقبة ، وما كانت الحروب إلا وسائل لإرضاء طمع القوى وإذلال الضعيف ، وبالرغم من تقدم الحضارة لم تتألف محكمة ذات سلطة لتأخذ للضعيف حقه من القوى ولتضمن احترام قواعد القانون الدولي وتنفيذها فيسود العدل بين الأمم وتعلو كلمة الحق في كل مكان ، ولقد تألمت شعوب كثيرة من جراء هذا النظام الذي ساد العالم فتعكر صفو السلام بسببه وذهبت نحيته أرواح عزيزة وسفكت دماء ذكية »

مبادئ الرئيسى ولسن — غير أن صوتنا من العالم الجديد وهو صوت الرئيس ولسن أخذ ينادى بضرورة القضاء على هذا النظام الفاسد فسمع الناس مبادئ جديدة في حكم الشعوب وتقرير العدل وتاقت النفوس إلى تنفيذها ، لأن الآراء اتفقت على أنها الوسيلة الوحيدة لتأخي الشعوب وبقاء لواء السلام خافقاً فوق ربوع هذا العالم الذي ضج من كثرة

الحروب وشكا من الاعتداء على الضعيف ، ( واستدل ببعض أقوال الرئيس ولسن ) ، ثم قال : فنحن باسم هذه المبادئ نرفع صوتنا طالبين تقرير العدل الدولي بالنسبة لنا نحن المصريين ذلك العدل الذي ينادى باستقلال مصر ، وهو الاستقلال الذي يشمل الأراضي المصرية والسودانية وملحقاتها

المسألة المصرية — ليست المسألة المصرية بنت اليوم وليست هذه أول مرة سينظر فيها مؤتمر دولي ، وما هي بالمسألة الصغيرة التي تعنى سكان هذه البلاد وحدهم ، فإن مركز مصر الجغرافي ( وهي قائمة عند ملتقى ثلاث قارات ويمر فيها أكبر طريق تجاري في العالم ) جعل العالم يعنى بشأنها من قديم الزمن ، لأن تسلط دولة عليها يؤثر في التوازن الدولي في البحر الأبيض المتوسط تأثيراً كبيراً ، ولذلك كانت الشغل الشاغل لاساسة أوروبا حتى استقر قرارهم في سنة ١٨٤٠ على أن يجعلوا مركزها دولياً ويضمنوا استقلالها بمعاهدة دولية خشية أن تطمح أنظار إحدى الدول إليها ، فلا يستقيم التوازن الذي طالما كان اختلاله سبباً في اشتعال نار الحرب بين أمم متعددة

« ومن أجل هذا ما كادت إنجلترا تحتل مصر ذلك الاحتلال المخالف للمعاهدات ولقواعد القانون الدولي وأحكام العدل حتى ارتفعت أصوات الاحتجاج من كل صوب ، وكثيراً ما رفع المصريون أصواتهم مطالبين بجلاء الإنجليز عن بلادهم وبرد الاستقلال إلى مصر ، رفعوا هذه الأصوات هنا وفي أوروبا بل وفي كل مكان ولم يثن عزائمهم ما كان يسن لهم من القوانين الاستثنائية المضيق للحرية وما كان يتبع معهم من الإجراءات غير الشرعية ، فصحفهم ومؤتمراتهم وأحزابهم وأستهم وأقلامهم كانت موجهة في هذا السبيل القومي ، ولا جرم أن يكون المصريون أول المرشحين بأقوال الرئيس ولسن ومبادئه لأن في تحقيقها إدراك غايتهم التي لم يصمتوا يوماً واحداً عن المطالبة بها ، وما هذا الصوت المرفوع الآن إلا بمثابة ترديد لما سمعه العالم منهم قبل اليوم

« لنشرح الآن القضية المصرية مبينين مركز مصر الشرعي وحقيقة مركز الإنجليز في بلادنا من الوجهة الدولية متكلمين عن آمالنا القومية وأغراضنا الوطنية

« إن مصر الحديثة ترجع إلى سنة ١٨٤٠ ، وقانونها الأساسى هو معاهدة لندره الموقع عليها فى ١٥ يوليه من تلك السنة وكذلك الفرمان الصادر فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ والمؤيد والمتمم بفرمان أول يونيه سنة ١٨٤١ ، فهذه العقود الثلاثة هى أساس استقلال مصر وحريرتها وهى التى وضعت حداً للأزمة التركىة المصرىة التى أفلقت أوروبا من سنة ١٨٣١ إلى سنة ١٨٤١

« ويلاحظ أن هذه المعاهدة الدولىة وما يتبعها من فرمانات لم تسو مسألة مصر وحدها بل سوت أيضاً مسألة السودان فهو باعتبارها أرضاً مصرىة يسرى عليه ما يسرى على بقىة الأراضى المصرىة ، لا سيما ونحن نعلم أن محمد على يرجع إليه الفضل فى رد تلك البقاع إلى مصر وهو بعمله لم يفعل شيئاً سوى أنه أعاد لمصر الأراضى التى كانت تابعة لها منذ القرون الغابرة فإن آثار طيبة تثبت أن الملك تحوتمس الثالث من الأسرة الرابعة توغل لغاية منطقة البحيرات واحتل النقط الحربىة التى كانت على النيل

« وتأييداً لذلك صدر فرمان آخر فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ بتحويل محمد على إدارة مديريات النوبة ودارفور وكردفان وسنار وبعده ذلك صدرت فرمانات تؤيد ما سبقها وتجعل الأراضى السودانية وملحقاتها جزءاً من مصر فى الحكم وأهمها فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ و فرمان ٨ يونيه سنة ١٨٧٣ و فرمان أول يوليه سنة ١٨٧٥ و فرمان ٧ أغسطس سنة ١٨٧٩ و فرمان ٢٧ مارس سنة ١٨٩٢

« وبما هو جدير بالاعتبار أن هذه الامتيازات لم تعط لعائلة محمد على وحدها وإنما أعطيت لمصر فى الوقت نفسه ، فهى حق من حقوق المصرىين الشرعىة حصلوا بها على استقلالهم بضمانه أوروبا ومن واجبهم أن يتمسكوا بها ، فى فرمان ٧ أغسطس سنة ١٨٧٩ الموجه إلى توفيق باشا نص على ذلك صراحة إذ جاء فيه : « إن زيادة رفاهىة مصر وتوفر الأمن والسكىنة لأهلها يعدان من الأمور التى نعنى بها كل العناية ولقد أصدرنا تحقيقاً لهذا الغرض فرماناً يؤيد أيضاً الامتيازات القديمة لهذا الغرض » ، وجاء فيه أيضاً « ان الخديو لا يستطيع بأى حجة من الحجج ولا سبب من الأسباب أن يتنازل لأشخاص آخرين عن كل

الامتيازات الممنوحة لمصر أو جزء منها » وقد ورد هذا النص نفسه في فرمان ٢٧ مارس  
سنة ١٨٩٢

« فيتين من كل ما تقدم أن أوروبا وضعت استقلال مصر تحت ضماناتها ، وهذا  
ما يجعل باب المسألة المصرية مفتوحاً في كل وقت تنفيذاً لتلك الضمانة ويجعل كل احتلال  
أجنبي لها مطبوعاً بطابع عدم الشرعية لأنه مادام غير مرتكز على عقد قانوني فهو غير  
موجود شرعاً وغير طبيعي فعلاً

**كيف وقع الاحتلال الإنجليزي** — ولننتقل الآن إلى البحث في الاحتلال الإنجليزي  
وكيف وقع وما قيمته دولياً وعدلاً . في أوائل عام ١٨٨٢ حدثت في مصر بعض قلاقل  
سياسية لم تكن ذات شأن في أول أمرها ، لأن الأهالي كانوا هادئين ، ولم تتعد الحركة  
بعض السياسيين والضباط ( جريدة الطان عدد ١ فبراير و ٣٠ مايو سنة ١٨٨٢ ) ثم أخذت  
تكبر شيئاً فشيئاً ، وكان لعرابي اليد الطولى فيها ، ولا يخفى أن موقف هذا الرجل لا يزال  
محوطاً بأسرار كثيرة ، فإن التاريخ لم يكشف لنا حقيقة الدافع له على ما فعل ولم يبين لنا  
المؤثرات التي كان خاضعاً لها ، وقد كان من جراء هذه الحركة أن المسيو فريسينييه رئيس  
الوزارة الفرنسية اقترح على وزارة لندرة إرسال ست سفن حربية إلى الإسكندرية فوصل  
الأسطولان في يوم ٢٠ مايو سنة ١٨٨٢ ، ثم عاد فاقترح على الدول في ٣٠ مايو عقد مؤتمر  
دولى في الشؤون المصرية ، وقد اجتمع هذا المؤتمر في طرايا يوم ٢٣ يونيه ، وفي ٢٥ يونيه  
وقع أعضاؤه على البروتوكول المشهور ( المعروف بميثاق النزاهة ) الذى نص على ما يأتى :  
« تتعهد الحكومات التي يوقع مندوبوها على هذا القرار بأنها في كل اتفاق يقع  
بشأن تسوية المسألة المصرية لا تبحث عن احتلال شيء من أراضي مصر ولا على الحصول  
على امتياز خاص بها ولا على نيل امتياز تجارى لرعاياها يكون غير ممكن لرعايا الحكومات  
الأخرى نيله » ، ومع ذلك فبالرغم من هذا التعهد وبالرغم من استمرار المؤتمر منعقداً ، فإن  
انجلترا أخذت تضرب مدينة الإسكندرية بأساطيلها في صبيحة يوم ١١ يوليه ، وذلك بحجة  
أن المصريين كانوا يضعون بعض مدافع في الحصون تهدد الأسطول مع أن هذه الحجة

لم يكن لها محل ، فإن الأسطول الفرنسى كان واقفا بجانب الأسطول الإنجليزى ولم يدع أن طوابى الإسكندرية تهدده ، بل على النقيض من ذلك ، فإنه لما طلبت الحكومة الإنجليزية من الحكومة الفرنسية أن تشترك معها فى إرسال إنذار لحكومة مصر فى صدده هذه المدافع رفضت هذا الاشتراك واعتبرت أن إرسال إنذار لمصر يكون عملا غير شرعى ، وليس له مسوغ ، ولا سيما ان مؤتمر الأستانة قرر عدم الانفراد بالعمل ، وخوفا من أن تكون الحكومة الفرنسية مسئولة أصدرت أوامرها للأسطول الفرنسى بالانسحاب إذا أرسل إنذار إنجلترا إلى مصر ، وفعلا انسحب الأسطول ، أضف إلى ذلك أن الأسطول التمسوى والأسطول الإيطالى كانا موجودين فى الإسكندرية ، ولم يدعيا تلك الدعوى التى اتخذتها إنجلترا ذريعة لما فعلت

« ولقد احتجت الحكومة المصرية على إنذار الأدميرال سيمور وأرسلت إليه الجواب الآتى :

« ان مصر لم تفعل شيئا يبرر إرسال الأساطيل إلى مياهها ولم تقدم الحكومة على عمل يستوجب ما طلبه الأدميرال سيمور فإن الحصون باقية على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأسطول ، ولم يُصنع بها شيء سوى ترميمات ضرورية تقيها من التهدم ، وزيادة على ذلك فنحن هنا فى بلادنا فيحقق لنا ويجب علينا أن نستعد لرد عادية كل من يسعى لتكدير علائق السلام ، ولا يمكن لمصر ما دامت متمتعة بحقوقها ومحافظه على شرفها أن تسلم حصناً واحداً من حصونها ، ولا مدفعاً من مدافعها إلا إذا أرغمت عليه بالقوة ، وهى تحتج على تصريحاتك التى أعلنتها اليوم ، وتلقى تبعه كل النتائج التى تحدث من إطلاق القنابل أو هجوم الأسطول على الأمة التى تطلق أول قذيفة فى أوقات السلم على مدينة الإسكندرية الهادئة خارقة بذلك القوانين الدولية والقواعد الحربية »

« ضرب الإنجليز الإسكندرية وأنزلوا جنودهم إلى البر وكان المؤتمر منعقداً كما قدمنا ، فقرر فى ١٥ يوليه تكليف الباب العالى بإرسال جنود لقمع الفتنة ثم انفض على أن يجتمع عند الحاجة فانفردت إنجلترا بالأمر وأخذت تشتط على تركيا لإرسال جنودها شروطا

كثيرة لم يضعها المؤتمر ، وفي هذه الأثناء كان الجيش الإنجليزي يزحف على القاهرة حتى إذا دخلها أرسلت الحكومة الإنجليزية إلى الباب العالي تنبئه بأن لا حاجة إلى إرسال جنود لأن جيش عرابي قد تشتت ، وأن جزءاً من الجيش الإنجليزي استدعى ، فأجاب الباب العالي مستفهما عن رحيل بقية الجنود الإنجليزية ، فلم يتلق جواباً ، وهانحن أولاء نرى الاحتلال باقياً للآن

**امتلأ انجلترا لمصر غير شرعي** — أولاً : هل احتلها الإنجليز باعتبارها من الأراضى المباحة ؟ كان الاحتلال حتى في العصور الغابرة طريقة من طرق تملك الأراضى ، وقد عظم شأن هذه الطريقة في عصر الاكتشافات أى منذ القرن الخامس عشر ، وهو يعرف في المذهب الدولى الحديث بأنه ( حيازة أرض لا مالك لها — من الوجهة القانونية الدولية — في وقت وضع اليد عليها بقصد جعلها تحت سيادة حائزها ) ، فيقبن من هذا التعريف أن الشرط الأساسى لاحتلال أرض ما هو أن تكون هذه الأرض داخلية في دائرة الأراضى الممكن احتلالها ، أى أن الاحتلال لا يصح إلا بالنسبة للأراضى غير الخاضعة لأى سيادة من السادات ، وقال علماء القانون الدولى أيضاً : « لأجل أن يكون الاحتلال طريقة شرعية من طرق الملكية يجب أن تكون الأراضى غير مملوكة لأحد ، وأن لا يضر هذا الاحتلال بحقوق الغير ، أو بعبارة أخرى يجب أن لا تكون لأى دولة سيادة على هذه الأراضى أو تكون هذه السيادة قد أهملت وتنوزل عنها » ( القانون الدولى العام للأستاذ برى ص ٢٣٨ و ٢٣٩ )

« ولا جرم أن مصر ليست بالبلد المباح ، فضلاً عن ان احتلالها يلحق الضرر بحقوق الدول كلها التى تشبك مصالحها فيها ، ومن أجل هذا الاشتباك قرر مؤتمر الأستانة أن لا تختص دولة فى مصر بميزة أيا كان نوعها

« ثانياً — هل احتلت انجلترا مصر باعتبارها فاتحة لها ؟ قد يقال بأن انجلترا احتلت مصر وقت نشوب حرب ، كما تحتل الدول المتحاربة جزءاً من أراضى بعضها — وهو قول

مردود طبعاً — فإن إنجلترا عند ما حاربت عرابي وأنزلت جنودها إلى مصر كان ذلك بحجة إعادة الساطة إلى الخديو ، وهذا نص النشرة التي وزعها الجنرال ولسلي لما وصل إلى ثغر الإسكندرية :

« يعلن الجنرال ولسلي قائد الجيوش الإنجليزية أن الدولة البريطانية لم تقصد بإرسالها التجربة العسكرية إلى القطر المصري إلا تأييد سلطة الجناب الخديوي فجنودنا لا تقاتل إلا من كان شاكي السلاح خالفاً لطاعة الخديو . . . . ثم ان الجنرال قائد الجيوش يسر كثيراً وينشرح صدرأ من زيارة مشايخ البلاد وغيرهم ممن يود المساعدة في قمع العصيان وإلقاء القبض على العصاة الذين عصوا الجناب العالي الخديوي أمير البلاد وواليها الشرعي المعين من الحضرة السلطانية »

« فلم تكن هناك إذن حرب بين إنجلترا ومصر تحول للأولى احتلال الثانية ، ولو حدثت هذه الحرب لوجب على إنجلترا إعلانها وهو ما لم يحصل  
« ثالثاً — هل تنازل لها أحد عن مصر . كلا فإن الأمة المصرية ما فتئت تحتج بكل شدة على الاحتلال كما أن الدولة العثمانية كانت تفعل ذلك وتطالب بالجلاء  
« رابعاً — هل وكلتها الدول في احتلال مصر . كلا — فإن هذه الدول قررت عدم انفراد أية دولة فيما يتعلق بشئون مصر ولم تبيح لإنجلترا القيام بأى عمل في هذه البلاد وزيادة على ذلك لما دارت بين إنجلترا والباب العالي تلك المحادثات المعروفة بمخابرات درومند وولف لأجل الجلاء عن مصر وتم التوقيع على اتفاقية الاستانه في ٢٢ مايو سنة ١٨٨٧ رأت الدول أن هذه الاتفاقية تبيح لإنجلترا إعادة احتلال مصر إذا وقعت اضطرابات فيها فلم تقرها لما في إقرارها من تحويل إنجلترا حق النيابة عن أوروبا في شئون مصر ولذلك احتجت فرنسا وروسيا وقتئذ على هذه الاتفاقية ، وكان من وراء احتجاجهما أن السلطان لم يصدق عليها فصارت كأن لم تكن

« وعلى ذلك فإن مركز مصر الذي أوجده الدول في سنة ١٨٤٠ لم يطرأ عليه أى تغيير من جراء الاحتلال ولا يمكن لأحد أن يصنع هذا الاحتلال بصيغة شرعية ما

« قال الأستاذ دسبانيه في كتابه القانون الدولي العام : « إن قرارات مؤتمر لندره سنة ١٨٤٠ لا تزال مستمرة الوجود دائماً كما أن الاحتلال الإنجليزي لا يمكن أن تكون له غير الصبغة الوقتية بالرغم من جميع المحاولات التي تستعمل لجعله نهائياً » ( القانون الدولي العالم للأستاذ دسبانيه ص ١٢٨ )

« وقال العالم الكبير ( دى مارتنس ) أستاذ القانون الدولي : « إن مركز الحكومة المصرية وجد باتفاق أوروبا اتفاقاً شرعياً وهذا الاتفاق نفسه ضروري لتغيير هذا المركز » ( دى مارتنس ص ٣٣٦ ) ، وقال الأستاذ ( كوشري ) في كتابه المركز الدولي لمصر والسودان : « إن التدخل في شئون الأمم الأخرى ليس قانونياً لأن القوانين تقضى بأن تكون الأمم مستقلة بعضها عن بعض ، فبأى حق تدخلت إنجلترا في شئون مصر ، إنها كانت دائماً ضد مبدأ التدخل ، ولا سيما عند تدخل النمسا في إيطاليا سنة ١٨٢١ وفرنسا في أسبانيا سنة ١٨٢٣ فعلام غيرت إذن مبدأها ؟ هل لها أن تتذرع بدعوة السلطان ؟ كلا فإنه لم يوجد شخص رفع صوته أكثر منه محتجاً على التدخل الإنجليزي في وادي النيل كما أنه لم يوجد شخص ألح أكثر منه في أن يعيد بنفسه السكينة إلى مصر ، إن التدخل الذي خوله القانون الدولي الحديث لا يمكن أن يكون شرعياً إلا إذا قام به مجموع الدول وهو ما لا ينطبق على عمل إنجلترا ، وقصارى القول إنه بالرغم من إطلاق القنابل على الإسكندرية ، ومن التل الكبير ومن أم درمان ومن فاشودة ، فإن المسألة المصرية لا تزال مفتوحة ، وما مثل إنجلترا إلا كمثل الكاتب فوق الرمل » ( كوشري — المركز الدولي لمصر والسودان ص ٥٣ و ٥٤٤ و ٥٦٠ )

« وقال المسيو فرسيسيه في كتابه عن المسألة المصرية : « إن الاتفاق الأوروبى هو الذى أوجد الحكومة المصرية ، وهذا الاتفاق وحده هو الذى يملك نقض ما فعل »

« خامساً — تصريحات رجال الحكومة الإنجليزية . على أننا لورجعنا إلى تصريحات رجال الحكومة الإنجليزية أنفسهم قبل الاحتلال وبعده نجد أنهم يوافقوننا على هذه الآراء ويقروننا على أن الاحتلال غير شرعى ، ويعدوننا بالجللاء العاجل ، مصرحين بأن وقت الجلاء حان منذ زمن بعيد ، ( وأورد هذه التصريحات )<sup>(١)</sup>

(١) نشرناها بنصوصها في كتاب « مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال » ص ٢٤٣ وما بعدها



السودان المصري وملحقاته - قلنا إن المعاهدات والفرمانات صوت مسألة مصر  
والسودان معاً ، فركزها الدولى واحد ، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، ومن أجل ذلك  
نحن نطلب استقلال مصر والسودان ، أو بعبارة أخرى استقلال البلاد المصرية التى تدخل  
فيها أراضي السودان وملحقاته

« ولنتكلم الآن عن حوادث السودان : لما احتل الإنجليز مصر ذلك الاحتلال غير  
الشرعى طلبوا من الحكومة المصرية إخلاء السودان ، وكان شريف باشا وقتئذ رئيساً  
للوزارة ، فلما عرضت المسألة على مجلس النظار رفض المجلس الموافقة على هذا العمل ، واستقال  
شريف باشا بجوابه المشهور الذى قال فيه : « اقترحت علينا حكومة بريطانيا العظمى أن  
نخلى السودان ، على أننا لا نملك هذا الحق ، وقد طلبت أيضاً أن نعمل بنصائحها دون مناقشة  
فيها ، ولا يخفى أن هذه الاقتراحات مخالفة لفحوى النظمات الشورية الصادرة فى ١٨ أغسطس  
سنة ١٨٧٨ التى نص فيها على أن الخديو يحكم البلاد باشتراكه مع النظار ، فبناء على ذلك  
نضطر هنا إلى أن نطلب من مقامكم السامى أن تقبلوا استعفاءنا ، لأنه لا يمكننا والحالة هذه  
أن ندير البلاد على أصول شورية » ، ولقد استدعى نوبار باشا فتولى رئاسة النظار ووافق  
على الإخلاء فى ٨ يناير سنة ١٧٧٥ ، وتم الإخلاء فى السنة التالية

« ولا جرم أن هذا العمل لا قيمة له من الوجهة الدولية وليس من شأنه أن يفصل  
السودان عن مصر أو أن يجعله أرضاً مباحة ، وقد احتج الباب العالى لدى الدول وقتئذ على  
هذا العمل ، وعدم شرعية هذا الإخلاء ترجع إلى نصوص الفرمانات ( ولا سيما فرمان ١٨٧٩ )  
التي تصرح بأن الخديو لا يملك ترك قطعة أرض من الأراضي المصرية مطلقاً

« أخلى السودان بضغط الإنجليز وبعد ذلك أخذت إنجلترا تحتل بعض بقاعه وتعد  
اتفاقات تقضى باحتلال بعض الدول بقاعاً أخرى ثم عادت فأشارت على الحكومة المصرية  
بإعادة فتح السودان وعقدت مع الحكومة اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ القاضية بجعل السودان  
شركة بين إنجلترا ومصر ، فهل هذه التصرفات صحيحة وهل من شأنها أن تجعل للسودان  
وملحقاته مركزاً غير المركز الذى حددته المعاهدات والفرمانات ؟ اللهم كلا ، فإن أحكام

هذه المعاهدات والفرمانات صريحة ، كما أن قواعد القانون الدولي تنطق ببطلان هذه التصرفات ، ولقد تكلمنا عن بطلان الإخلاء الذي وقع في سنة ١٨٨٥ ، وما يؤيد هذا البطلان أيضاً ما صرح به رجال الحكومة الإنجليزية أنفسهم من أن السودان لم ينفصل في وقت من الأوقات عن مصر ، ولم يفقد صبغته المصرية بالرغم من إخلائه ، وقال اللورد سالسبوري في ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩٨ : « لقد أكدت بطريقة عامة فكرة أن وادي النيل كان ولا يزال مملوكاً لمصر ، وإن كل عقبة وقفت أمام هذه الملكية وكل نقص أصابها بسبب فتوحات المهدي قد تلاشيا بانتصار الجيش الإنجليزي المصري في أم درمان »

« ولا يجوز أن ننسى موقف إنجلترا في حادثة فاشودة ، فإنها حاجت فرنسا وقتئذ بأن السودان ملك لمصر ، وليس أرضاً مباحة و بناء على هذه الحجة غادرت حملة مارشان فاشوده اتفاقية سنة ١٨٩٩ — هذا من جهة مركز السودان بعد إخلائه وقبل اتفاقية ١٩ يناير

سنة ١٨٩٩ ، إما من جهة بطلان هذه الاتفاقية فالأدلة على ذلك متعددة

« ١ — لما كان التنازل الأول عن السودان باطلاً ، فكل ما يبنى عليه في المستقبل يعتبر باطلاً أيضاً لأنه ما دام السودان لم ينفصل عن مصر فلا يعد أرضاً مباحة وعلى ذلك لا يمكن احتلاله بالفتح وهذا رأي إنجلترا في حادثة فاشودة كما قدمنا

« ٢ — إذا كانت الفرمانات تحرم على الخديو التنازل عن السودان في سنة ١٨٨٤ ، فهي كذلك تحرم عليه إشراك دولة أجنبية معه فيه لأن هذا الإشراك يعد تنازلاً عن جزء مشاع فيه وليس له أن يفعل ذلك

« ٣ — إن الفرمانات تحرم على الخديو فوق ذلك ، إبرام معاهدات سياسية كاتفاقية السودان ، ( انظر فرماني ١٨٧٩ و ١٨٩٢ ) ولقد صدقت إنجلترا على هذه الفرمانات

« ٤ — إن عمل إنجلترا يعد اعتداء على ممتلكات الغير وهو يناقض ما تعهدت به

في عدة مواقف ، نذكر منها معاهدة لندره في ١٥ يولييه سنة ١٨٤٠ ، ومعاهدة باريس في ٢٠ مارس سنة ١٨٥٦ ، ومعاهدة برلين في ١٣ يولييه سنة ١٨٧٨ ، ومؤتمر الاستانة

سنة ١٨٨٢

« وهل يجوز لأمجلترا أن تلغى الامتيازات الأجنبية في السودان بمقتضى هذه الاتفاقية مع أنها من الحقوق التي اكتسبتها الدول ولا يمكن مسها بشيء إلا إذا أقر الجميع هذا الإلغاء ، ولقد قال المسيو فرسينيه في كتابه عن المسألة المصرية عند الإشارة إلى هذه الاتفاقية ( إنها من الوجهة الدولية باطلة بطلاناً تاماً )

« ماذا جنته مصر من هذه الشركة - هذه قيمة الشركة المصرية الإنجليزية من الوجهة الدولية القانونية ، فلننظر الآن فيما جنته مصر منها وهل عادت عليها بشيء من الفائدة أم أنها لم تجن منها إلا الخسارة

« يقولون إن السودان شركة ، ولكن هذا القول لا يسمع في كل وقت بل ينادى به عند ما تتطلبه ذلك مصلحة الإنجليز أي عند ما يراد دفع المال اللازم لهذه البقاع ، أما في غير ذلك ، فليس للمصري شيء في السودان والإنجليز وحده هو صاحب الكلمة والنفوذ يشاركونا مشاركة القوى للضعيف

« لقد تكلف علينا السودان من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٩١٢ نحو ثمانية عشر مليوناً من الجنيهات ( انظر النشرة الشهرية لمجلة العرفة التجارية الدولية بعددها الثاني السنة الحادية عشرة الصادر في فبراير سنة ١٩١٣ ) ، وليس هذا المبلغ هو الخسارة الوحيدة التي أصابتنا ، بل الخسارة الحقيقية هي أن هذا المبلغ الجسيم بالنسبة لميزانية مصر أخذ منها في وقت كانت محتاجة إليه أشد الاحتياج ، فتعطلت بسبب ذلك بعض المشاريع الضرورية للرى والصرف مما ألحق بالزراعة ضرراً كبيراً ، وقد كتب أحد كبار المالبين والمهندسين الزراعيين مقالات متعددة في مجلة ( الحياة المالية ) الفرنسية وفي النشرة التجارية الدولية التي سبقت الإشارة إليها شرح فيها هذه النظرية قائلاً : « إن متوسط محصول القطن نقص بمقدار ٣٠ في المائة على الأقل في خلال ١٢ عاماً من ١٨٩٨ إلى سنة ١٩٠٩ وقد قدرت بسبعين مليوناً من الجنيهات مبلغ الخسارة التي أصابت مصر من جراء ذلك ، وأثبت أن السبب الرئيسى لهذه الخسارة يرجع إلى أعمال الرى التي درست درساً رديئاً ، ونفذت بطريقة ناقصة نظراً لقله المال فإن الأموال كانت تتسرب إلى السودان ويظهر أنهم ضحوا بالاعتبارات الفنية الزراعية

في مسألة الري في سبيل الاعتبارات المالية ، وكان الرأي السائد في فكرة تغيير طريقة الري يرمى إلى الحصول على أكبر كمية من الماء في أقصى وقت لأخذ أقصى ضريبة عقارية ، وبذلك أكثروا من توزيع المياه دون أن يعنوا بطريقة صرفها على أنهم قرروا الآن أن يتهموا بما كان يجب البدء فيه وسينفقون ثلاثة أو أربعة ملايين من الجنيهات للقيام بأعمال الصرف التي كان يجب أن تسير جنباً لجنب من أعمال الري متى أجلوها لأنهم أرادوا أن يخدموا السودان قبل مصر »

« هذا شيء مما سببته الشركة لمصر ، أضف إلى ذلك أن السياسة المتبعة الآن في تعميم السودان ترمى إلى تحويل التجارة عن المرافئ المصرية إلى ميناء بور سودان ، فقد أنفقت أموال مصر على مد خطوط طويلة من السكك الحديدية في تلك البقاع ولم يفكر أحد في إيصال وادي حلفا بأسوان ، مع أن المسافة بينهما لا تتجاوز ٣٥٠ كيلومترا وذلك لعدم تسهيل المواصلات بين البلدين ، ولقد تحققت هذه الغاية وتحولت التجارة إلى بور سودان بكثرة عظيمة ينطق بها الجدول الآتي :

السنة	قيمة الواردات والصادرات لبور سودان بالجنية المصري	النسبة لمجموع تجارة السودان
١٩٠٨	٨٨٢٥٨٠	٣٦١ في الألف
١٩٠٩	١٠١٠٩٨١	٤٠٢ »
١٩١٠	١٥٦٣٥٥٨	٥٣٦ »
١٩١١	٢١٢٥١٣٩	٥٧٠ »

« وبذلك تقدمت تجارة بور سودان هذا التقدم العظيم ، بينما تجارة وادي حلفا سائرة إلى الوراء ، ولو اقتصر الأمر على ذلك لكان ، ولكن مسألة المسائل هي توزيع مياه النيل بين مصر والسودان ، فإن زيادة المساحة المزروعة في تلك البقاع ومشاريع الخزانات التي يريدون تنفيذها مما يهدد الري في مصر بالخطر مادام الإنجليز هم أصحاب السلطة في السودان ،

وليس الخطر الذي نشير إليه بخيالي ، فقد أثبتته كثير من كبار المهندسين وفي مقدمتهم السيو برمبت المفتش العام للقناطر والجسور الذي كانت الحكومة الفرنسية أوفدته لمصر ( في رسالته السودان والنيل التي تلاها في المجمع العلمي المصري في جلسته المنعقدة يوم ٢٠ يناير سنة ١٨٩٣ ) ، فقد قرر هذا العالم أن بناء قناطر في أعلى النيل يهدد مصر بالخطر إن لم يكن بالموت ، وذهب السير سكوت منكر يف وكيل الأشغال سابقاً في القاهرة إلى الأخذ بهذا الرأي في خطابه الذي ألقاه يوم أول أكتوبر سنة ١٨٩٥ ، وكتبت النشرة الشهرية للغرفة التجارية الدولية في مصر فصلاً مستفيضاً في هذا الموضوع أيضاً في عددها الصادر في شهر ديسمبر سنة ١٩١٢ ، ولقد حاول المستر توتنهام مفتش رى السودان العام أن يطمئن المصريين فيما يتعلق برى أراضيهم بالرغم من المشروعات التي تقضى بزيادة الأراضي المنزرعة في السودان ، ولكنه قال في تقريره العبارة الآتية : « حرصاً على سلامة ماء الرى اللازم للقطن المصري يحسن إنشاء مقياس دقيق في وادى حلفا ، ووضع اتفاق بين الحكومتين فتتمهد حكومة السودان بهذا الاتفاق أن تعطى القطن المصري كميات معينة من الماء لا تنقص عن أقلية مفروضة في كل فصل من فصول السنة وتكون هذه الكمية مبنية على حاجة القطن المصري وأقلية الماء الذي يكون في النيل بالأصل والباقي يعطى للسودان » ( تقرير السير جورسب عن عام ١٩١٠ )

« ونحن نسأل ماذا تكون النتيجة إذ امتنعت حكومة السودان وهي في يد أجنبي عن مصر عن إعطائنا الكميات المعينة من المياه ، اللهم إن حياة مصر تتطلب أن يكون السودان متحداً معها وجزءاً منها ، لا في يد أجنبية عنها ، أما شركة الضعيف مع القوى فلا تعود علينا إلا بالضرر

« ولقد ألقى المستر هاتون رئيس البعثة البريطانية في السودان خطبة في الاجتماع الذي أقامته جمعية تقدم القطن البريطانية بمدينة منشستر جاء فيها ما يلي : « لامنا الكثيرون صراحة ، لأن الحكومة البريطانية لاتدفع شيئاً من المال في السودان مطلقاً حتى انه عندما احتاجت الرايات البريطانية التي تحقق على المصالح بجانب الرايات المصرية إلى الإصلاح لم

تدفع ما يلزم لذلك من زهيد المال ، ثم هل من المعقول أو مما يجمل أن نطلب من الحكومة المصرية أن توجد الأموال التي يتمكن بها السودان من منافسة مصر في زراعة القطن «  
( جريدة المانشستر جارديان بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩١٢ )

« ولا يذهبن أحد إلى الظن بأننا نعدّ السودان مستعمرة لمصر ونريد ضمّه لنسوده ، وإنما نحن نعدّه جزءاً منها فما يسرى على الأراضي المصرية لا بد أن يتمشى عليه وما تتمتع به من نعمة الحرية لامناص من أن يشاركها فيها ، فهما توأمان حقوقهما متساوية ، ووجباتهما واحدة ، وما مثلهما إلا كمثل مقاطعتين في مملكة واحدة لاتفاضل بينهما

« وغير خفي أن سكان السودان يتكلمون لغتنا وأغليبتهم تدين بدين الأغلبية في مصر ، وهذا الاتفاق في الاعتقادات الدينية يدعو إلى الاتفاق في العادات والتقاليد والأخلاق والطبائع ، وقصارى القول ان بينهما روابط عديدة تجعل اتحادهما أمراً محتماً ، فكل منهما في حاجة إلى الآخر ، إذ مصر متممة للسودان ، والسودان متم لمصر ، وهما يكونان كتلة واحدة لا سبيل لانفصال أحدهما عن الثاني ، فكل هذه الحقائق والاعتبارات فضلاً عن مركز السودان من الوجهة الدولية يدعو إلى المطالبة بعدم انفصال السودان عن مصر ، وببطلان الشركة الإنجليزية المصرية التي لا توجد الآن إلا فعلاً لا قانوناً

« اتفاقية سنة ١٩٠٤ — في ٨ ابريل سنة ١٩٠٤ عقدت اتفاقية بين إنجلترا وفرنسا تعهدت فيها الأولى بأنها لاتنوى تغيير الحالة السياسية في مصر ، وتعهدت الثانية بأنها لاتعرق عمل إنجلترا في البلاد ، لا بطلب تحديد أجل للاحتلال الإنجليزي ، ولا بأى أمر آخر

« فهل هذه الاتفاقية غيرت مركز مصر الذي شرحناه أو صبغت الاحتلال بصيغة شرعية أو أكسبت الإنجليز حقاً في مصر ؟ اللهم كلا ، فقد قدمنا أن مركز مصر أو جدته وضمته الدول الأوروبية ، فاتحاد فرنسا وإنجلترا دون غيرها ليس له أى تأثير ، وهما وحدهما غير مختصتين بإدخال تغيير على مركز مصر ، ولا تملكان هذا الحق ، كإقال المسيو فرسيسيني في كتابه عن المسألة المصرية ص ٤٢٩

« على أن علماء القانون الدولي يقررون من جهة أخرى أن هذه الاتفاقية في ذاتها ،  
و بفرض أن لها تأثير دولياً ، لا تكسب الاحتلال صفة شرعية ، لأن تعهد فرنسا فيها مقصور  
على عدم عرقلة أعمال إنجلترا في مصر ، ولم يتناول اعتراف بشرعية بقائها في هذه البلاد  
» قال الأستاذ دسبانيه : « إن فرنسا باتفاقها مع إنجلترا في ٨ ابريل سنة ١٩٠٤ لم  
توافق ولم تصدق على المركز الواقعي الذي أوجدته إنجلترا لنفسها في مصر ، لأن هذه الموافقة  
وذلك التصديق لا يمكن أن يكونا إلا باتفاق جديد بين جميع الدول التي اشتركت في حوادث  
سنة ١٨٤٠ — ١٨٤١ وان فرنسا وافقت فقط على شيء واحد ، وهو أن لا تضع العراقيل  
في سبيل إدارة مصر بواسطة إنجلترا ، تلك الإدارة التي ليست لها إلا صبغة وقتية ، والتي لم  
تتحول إلى مركز شرعي صحيح مقبول » ( القانون الدولي العام للأستاذ دسبانيه ص ١٦٦ )  
وفضلا عن ذلك كله ، فقد قرر الرئيس ولسن مبدأ عادلا أتينا عليه في أول هذا البحث ،  
وقد وافق المتحاربون على هذا المبدأ في مكاتباتهم التي ضمنوها إقرارهم لمبادئ الرئيس كلها ،  
ونحن نشير هنا إلى قول الرئيس ولسن : « إن الشعوب لا تنتقل من سيادة إلى أخرى بمؤتمر  
دولي ، أو باتفاق بين متنافسين وأعداء » ، وقصارى القول ان اتفاق فرنسا وإنجلترا بعيد  
عن أن يؤثر أقل تأثير في عدم شرعية الاحتلال . والمسألة المصرية لا تزال حيث كانت من  
قبل ، ومركز مصر لم يطرأ عليه أى تغيير

« قناة السويس وحرية البحار — تقرررت حيدة قناة السويس بمعاهدة دولية ، في  
٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ ، وجعل الرئيس ولسن في مقدمة مبادئه حرية الملاحة في البحار  
في وقت السلم والحرب ، ولا ريب أن بقاء دولة قوية كالدولة الإنجليزية على ضفاف القناة  
مما يجعل هذه الحيدة مهددة ، كما يجعل حرية الملاحة غير مضمونة ، ولقد سبق لإنجلترا ، أن  
منعت الملاحة في قناة السويس في أثناء الثورة العربية يوم ٢٠ اغسطس ١٨٨٢ ، فاحتج  
المسيو دلسبس إذ ذاك على هذا العمل ، ومما يؤيد رأينا قول المسيو فريسينيه : « مادامت  
الجنود الإنجليزية محتلة مصر فالنصوص الضامنة لحرية الملاحة في القناة مدة الحرب ستكون  
لها قيمة ضئيلة من الوجهة العملية ( المسألة المصرية لفريسينيه ص ٤١٣ )

« وقال المسيو نوتوفتش في الفصل الذي كتبه عن قناة السويس بمؤلفه (أوروبا ومصر) عند ما تكلم على معاهدة سنة ١٨٨٨ : « ماذا يكون تأثير قصاصة الورق التي كتبت فيها هذه المعاهدة إذا شعرت إنجلترا المتسلطة على أرض مصر ومرافئ الإسكندرية ودمياط وبور سعيد والسويس والإسماعيلية بحاجتها إلى إغلاق القناة في وجه جميع السفن أو إذا رأت ضرورة إغراق مراكب أعدائها ، وهي تشق المياه المصرية » ، وقال أيضاً : « ان الإنجليز يحتلون القناة احتلالاً حريباً ، ومن أجل ذلك فهم ينظرون إلى معاهدة سنة ١٨٨٨ بكل سكينه واطمئنان ، وبعد أن وقع مندوبو الدول عليها اعترف السياسيون أنهم فعلوا أمراً لا فائدة فيه وإذا كانت هناك معاهدة أبرمت بقصد أن تخرق أحكامها وتنتهك حرمتها فلا بد أن تكون هذه ولا سيما في وقت الحرب »

« فهذه الأقوال والآراء تعزز قضيتنا ، لأنها تكسبنا دعامة أخرى نرتكز عليها للمطالبة باستقلال بلادنا وجلاء الإنجليز عنها احتراماً لحيدة القناة وتحقيقاً لمبدأ حرية الملاحة في البحار

« **عرائس المطالب المصرية** — وجملة القول ان قضيتنا واضحة ظاهرة لا يكاد يبحثها المنصف حتى يحكم لنا بطلباتنا ، إذ ليس استقلال مصر في مصلحتنا وحدنا ، بل هو في مصلحة جميع الأمم ، هو ضمانه من ضمانات التوازن الدولي ، هو قاعدة من قواعد السلام في العالم ، وإتنا نردد مع المسيو فريستنيه رئيس الوزارة الفرنسية قوله : « إن هناك مبدأ من مبادئ السياسة الأوروبية لا يطرأ عليه تغيير ، وهو أن مصر لا يجوز أن تملكها دولة من الدول العظمى ، لأن احتلالها يحول امتيازات من شأنها اختلال التوازن بين الممالك ، وإذا كانت مصر في يد دولة أجنبية فإنها تهدد مصالح الجميع ، والحل الذي يقرب على هذا المبدأ إنما هو جعل مصر على الحياد المضمون بالاتحاد الأوروبي » ( المسألة المصرية ص ٤٣٣ ) « على أنه يمكننا أن نبدل هذه العبارة بجمل الحل ( استقلال مصر المضمون بجمعية الأمم ) ، هذا وإن من يراجع المكاتبات السياسية التي دارت بين فرنسا وإنجلترا في صدد المسألة المصرية يجد أن الإنجليز كانوا قد اقترحوا نفس الاقتراح الذي ارتآه المسيو فريستنيه ،



ففي ١٦ يونيه سنة ١٨٨٤ أرسل اللورد جرانفيل مذكرة إلى المسيو وادنجتن سفير فرنسا في لندره وقتئذ خصص القسم الثالث منها بالتعهد بأن يقترح على الدول والباب العالى جعل مصر من البلاد المحايدة على قاعدة المبادئ المطبقة في بلجيكا ، وقد وافقت فرنسا على هذا الاقتراح ، وصرحت بقبولها في رد المسيو وادنجتن بمذكرته التي أرسلها للورد جرانفيل يوم ١٧ يونيه ١٨٨٤

« ففكرة استقلال مصر وجلاء الإنجليز عنها كانت محتمة في رؤوس رجال الحكومة الإنجليزية ، فلماذا لا ينفذونها الآن ، لا سيما وأن في تنفيذها احتراماً لمواثيقهم وعهودهم ، وتأيداً لمبدأ حرية الشعوب ، ذلك المبدأ الذي أخذت جميع الدول تنادى به الآن .

**النتيجة** — « حيث إن الاحتلال الإنجليزي لمصر غير شرعى لمنافاته للمعاهدات الدولية والفرمانات التي صدقت عليها الدول ، وقد صرح رجال الحكومة الإنجليزية في كثير من المواقف الرسمية وغيرها ، بأنهم لا يبنون البقاء في مصر ، وان زمن الجلاء جان من عهد بعيد ، وحيث إن الدول احتجت على هذا الاحتلال مرات عديدة  
« وحيث ان الأمة المصرية لم ترض بهذا الاحتلال ، بل رفعت صوتها في كل وقت ، وفي كل مكان طالبة الجلاء والاستقلال

« وحيث إننا كنا متمتعين قبل الاحتلال بالاستقلال الداخلى المضمون من الدول بمعاهدة لندن الموقع عليها في سنة ١٨٤٠ والتي لم يطرأ عليها أى تغيير من الوجهة الدولية  
« وحيث ان هذا الاستقلال الداخلى وحده بالرغم من اتساع دائرته لم يعد كافياً لنا ولا محققاً لآمالنا الوطنية ، إذ نحن أمة يزيد عدد سكانها على ستة عشر مليوناً من عنصر واحد ، لهم قومية معلومة ولغة واحدة ، وثروة كبيرة ، فنحن جديرون بالاستقلال التام ، ويجب أن تتمتع بما تتمتع به الشعوب الأخرى

« وحيث ان السودان غير منفصل عن مصر بمقتضى المعاهدات والفرمانات فضلاً عن أن بين البلدين روابط عديدة تجعل حياتهما متوقفة على اتحادهما ، كما أن كل حيولة بينهما تهددهما بمخطر جسيم

« وحيث ان السودان لم يكن أرضاً مباحة في أى وقت من الأوقات ، وإن اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ باطلة قانوناً

« وحيث ان مبادئ الرئيس ولسن تقضى بأن الشعوب لا تحكم ولا تساد إلا بمحض إرادتها ، وإن الأمم الضعيفة لها حق البقاء حرة كالأمم القوية ، وقد صرحت الدول المتحاربة كلها بأنها موافقة على هذه المبادئ وأصبح من الواجب علينا إعلان ما نرتثيه في مصير بلادنا ليكون هذا المصير موافقاً لرغبات الأمة

« وحيث ان للأجانب في مصر مصالح مالية وقضائية يجب احترامها ، فنحن نتعهد بالمحافظة عليها بالطرق المشروعة في ظل ذلك الاستقلال الذى ننشده

« وحيث ان قناة السويس يجب أن تكون حرة دائماً ومفتوحة في أوقات الحرب كما في زمن السلم لمرور جميع السفن ، فخرية الملاحة فيها تعنى الدول كلها ، وهى من المسائل التى ستكون فى مقدمة ما ينظره مؤتمر الصلح العام ، ويسرى على قناتنا ما يسرى على غيرها من البواغيز ، صناعية كانت أو طبيعية ، وللمؤتمر أن يكتفى بجعل الحكومة المصرية تتولى أمر المحافظة على حرية الملاحة فى قناة السويس مع تكليف وكلاء الدول بمراقبة تنفيذ ذلك كما أن له أن يعين لجنة دولية خاصة للقيام بهذه الوظيفة ، والذى يعيننا فى هذه المسألة أن لا يترك أمر المراقبة ، لدولة أو دولتين ، فقد قدمنا أن تسلط دولة أجنبية على قناة السويس يجعل حرية الملاحة فيها مهددة بالخطر

« وأخيراً حيث أن قرب انعقاد مؤتمر الصلح العام يقضى برفع صوت المصريين مطالبين بحقوقهم العادلة وفاقاً لمبدأ الرئيس ولسن الذى يقرر أن لكل أمة تتفق آمالها مع العدل وسلام العالم أن تنادى بالأغراض التى تصبو إليها

### فان ذلك

« نرفع أصواتنا مطالبين بجلاء الإنجليز عن بلادنا ، واستقلال مصر والسودان استقلالاً تاماً مع احترام حيدة قنال السويس والمحافظة على ما للأجانب من المصالح المالية والقضائية

بالطرق المشروعة في ظل ذلك الاستقلال ، وهذا الصوت المرفوع للمطالبة بالاستقلال التام يعبر عن رأى الأمة المصرية بأسرها ، وينطق بآمالها ومطالبها الوطنية ، وإن في استطاعة أعضاء مؤتمر الصلح العام أن يتبينوا هذه الحقيقة لو قرروا أخذ رأى أمة بطريقة حرة بعد أن ترفع الأحكام العرفية ، وتطلق حرية الصحافة ، وحرية الاجتماع ، من القيود التي قيدت بها قبل الحرب وبعد نشوبها ، فهناك يتحقق العالم بالأدلة المحسوسة والبراهين الدامغة أن الأمة المصرية بلا فارق بين الأديان والمعتقدات والمذاهب ، مجمعة على المطالبة بالاستقلال التام «

القاهرة في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٨

« أمين الرفاعي »

### ضم أعضاء آخرين إلى الوفد

لاحظ كثير من ذوى الرأى حين تألف الوفد أنه خلا تقريباً من تمثيل الحزب الوطنى ، مع أنه حزب الجلاء الذى احتمل عبء الجهاد على تعاقب السنين ، وكان رئيسه محمد بك فريد فى منغاه بأوروبا عنواناً لما لقي الحزب من اضطهاد الاحتلال ، وقد أبرزت أحداثه تعديل توكيل الوفد فضل الحزب فى الحركة الوطنية ، وزعامته للمبادئ السليمة ، فازداد الشعور بالنقص الكبير الذى نشأ عن خلو الوفد من عنصر الحزب الوطنى ، إذ لم يكن بينهم من يمثل فكرته سوى محمد على علوبه بك الذى كان أصلاً عضواً فى لجنته الإدارية ، وعبد اللطيف المسكبانى بك الذى كان يؤيده بشعوره وميوله ، وإلى هذه الفوارق أشار اللورد ملنز فى تقريره بقوله : « إن الهيئة المستحقة للاعتبار المعروفة بالوفد التى يرأسها سعد زغلول باشا والتى تتسلط على عقول المصريين تمام التسلط ، ولو فى هذا الحين على الأقل ، مؤلفة من أعضاء أكثرهم ليسوا من الغلاة المتطرفين ، بل أصلهم من حزب الأمة القديم الذى كان غرضه التقدم الدستورى تدريجياً ، بخلاف الحزب الوطنى الذى هو حزب الثورة ومعارضة البريطانيين »

وقد أدرك بعض أصدقاء الوفد هذا النقص في تكوينه ، فعرضوا عليه ضم أعضاء من الحزب الوطنى إليه ، وجرت في هذا الشأن مفاوضات بين الوفد والحزب ، قبل فيها الحزب مبدأ تمثيله في هيئة الوفد ، ولكن وقع الخلاف بينهما على الأعضاء الذين يمثلونه في الوفد ، ولما تعذر الاتفاق على الأشخاص ، اختار الوفد من تلقاء نفسه مصطفى النحاس بك ( باشا ) ، وكان قاضياً بالمحاكم الأهلية ، والدكتور حافظ عفيفى بك ( باشا ) ، عضوين بالوفد على اعتبار أنهما يمثلان الحزب الوطنى ، إذ كانا من المعتنقين لمبادئه

ثم ضمّ الوفد إليه أعضاء آخرين لاستكمال بعض العناصر التى تمثل طبقات الأمة أو لتحقيق بعض الرغبات ، وهم على التعاقب : حمد الباسل باشا . واسماعيل صدق باشا . ومحمود بك أبو النصر . وسينوت حنا بك . وجورج خياط بك . وواصف غالى بك . ثم حسين واصف باشا . وعبد الخالق مذكور ( باشا ) عضوى الجمعية التشريعية .

### تقرير الحزب الوطنى

#### إلى مؤتمر الصلح

وعكف الحزب الوطنى على وضع تقرير مسهب عن القضية المصرية والمطالب الوطنية ، نشره في أوائل ابريل سنة ١٩١٩ ، وقدمه إلى مؤتمر الصلح ، شرح فيه ماضى مصر في الاستقلال والحضارة ، وبطلان دعوى الاحتلال والحماية ، وأعمال الاحتلال في مصر ، وجهاد الأمة في سبيل الاستقلال ، وبرهن على أنه لا سلام للعالم بغير استقلال مصر ، ونادى بالجلاء ، وببطلان اتفاقية السودان ، وطالب بردّ السودان إلى مصر « لا باعتباره مستعمرة ، وإنما باعتباره جزءاً متما لمصر له مالها وعليه ما عليها »

وإنما ناقلون هنا بعض فقرات من هذا التقرير ، قال في مقدمته :

« يرجع شعور الأمة المصرية بالحاجة إلى الحرية والاستقلال إلى الوقت الذى شعرت فيه الأمم الأخرى بهذه الحاجة ، ولولا أن الدول العظمى قامت مجتمعة في سبيل غاية هذه الأمة لكانت الآن ركناً مكيناً في بناء الحضارة والمدنية وعضواً عاملاً في حفظ السلام العام

« بدأ نهوض الأمة في عهد محمد علي باشا ، ففي الوقت الذي قامت فيه الأمة الفرنسية في وجه الظلم والاستبداد ودكت سجن الباستيل الرهيب وأعلنت حقوق الإنسان ، ونشرت على العالم لواء الحرية والإخاء والمساواة ، قامت الأمم المغلوبة على أمرها على أتر فرنسا تحذو حذوها ، وقامت الأمة المصرية فاخترت محمد علي الضابط الصغير والياً على البلاد ، وأصرت على اختياره حتى أُلجأت بإصرارها الباب العالي على التصديق على هذا الاختيار رغم مساعي إنجلترا

« رأت الأمة المصرية بنظرها النافذ في محمد علي الضابط الصغير الرجل الكبير الذي يستطيع أن يخرج بها من الظلمات التي كانت فيها ، ويعيد إليها مجدها القديم ، ويحيي معالم شرفها المثلوم ، فانتخبته والياً ، وسلمته أموالها وأبناءها ، يتصرف فيهما تصرف نابليون وقتئذ في أموال الأمة الفرنسية وأبنائها . فأدى محمد علي الأمانة حق الأداء ، ورفع عن الأمة ظلم المالك وأبادهم ، ودفع عن البلاد الغزوة الإنجليزية ونظم شؤونها على اختلاف أنواعها . وبالجملة فقد نهض بهذه الأمة نهضة ذكرت العالم بعهداها القديم يوم كانت مصر معهدا جامعاً يؤمه أبناء البلاد الأخرى من كل فجج ويدرسون فيه قواعد الحضارة والنظام والعمران وينقلون عنه إلى بلادهم

« فبينما كانت إنجلترا وفرنسا تتزاحمان على امتلاك وادي النيل ، وبينما الدول تتحفز لاقتسام تراث الأمم الإسلامية ، إذا بالأمة المصرية وعلى رأسها محمد علي قد أشرقت شمسها في العالم ، وبرزت للوجود فجأة ، وانتفض ذلك الروح الذي كان يظنه العالم ميتاً عن روح شاب قوى سليم يطلب مقامه اللائق به في هذا الوجود ، باذلاً في سبيل ذلك . الدم والمال وكل شيء عزيز ، وإن التاريخ لشاهد عدل بأنه لولا تداخل الدول العظمى مجتمعة وعلى رأسها إنجلترا في سنة ١٨٤٠ لكانت مصر الآن في المركز الذي تستحقه ، لكانت دولة حرة مستقلة استقلالاً تاماً ، على أنها عادت من جهادها الطويل الذي بذلت فيه الأرواح والأموال بالاستقلال الداخلي »

إلى أن قال : « من هنا يتجلى للعالم أن نهضة مصر الوطنية قديمة العهد ترجع إلى مبدأ

القرن الثامن عشر — إلى الوقت الذي بدأت فيه الأمم الأوروبية ترفع صوتها بطلب حقوقها الطبيعية — وان النهضة استمرت بدون انقطاع ، وتطورت إلى حركة حكيمة مما يدل على صحتها وقوتها ، وأنها لا تزال قوية إلى الآن رغم ما أقيم في سبيلها من العقبات الهائلة ، وان في بقاء هذه الروح حية قوية نامية فوق قرن من الزمان لأحسن رد على الذين يرمون الأمة العريقة بأنها طبعت على الخضوع والاستبداد «

وقال في تمسكه بمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ :

كان الحزب الوطني المصري يطلب احترام معاهدة سنة ١٨٤٠ ، ولم يكن ذلك رغبة منه عن الاستقلال المطلق ، أو كما يقول أنصار الاستعمار الإنكليزي سعيًا في تغيير النير الإنكليزي بسيادة تركيا — كلا — قدمنا ان الحزب الوطني يتوخى الوسائل السلمية دون غيرها ، لذلك كانت سياسته الاحتفاظ بعضد الدولة العثمانية وتذكير الدول بمعاهداتها الضامنة لمصر الاستقلال الداخلي ، على أننا والحق يقال لم نشعر قط بسيادة تركيا الإسمية بجانب السلطة الإنكليزية ولم نرمها من سنة ١٨٤٠ افتياتا على استقلالنا الداخلي — لهذا كان من أسباب سكوتنا عن تركيا عدم شعورنا بثقل سيادتها ، أما الآن وقد وصلت الإنسانية إلى هذه الدرجة من الرقي وجئنا أمام محكمة عادلة تريد أن ترد الحقوق إلى أربابها فإن لنا أن نطلب كامل الحق — نطلب جلاء الإنجليز حالاً والاستقلال التام «

وبعد أن أثبت أن البلاد تأخرت في عهد الاحتلال قال عن عمل الأمة :

« لم تقف الأمة معقولة اللسان مكتوفة اليد أمام الاحتلال وعبثه في أمورها ، فلقد طالما رفعت صوتها محتجة على تداخله وتصرفه كاشفة الستار عن غاياته الخفية ومضار سياسته طالبة من حكومتها أن لا تصرف المال في غير أوجه الفائدة وان لاتنصن به على الأمة ، وكثيراً ما وقف الاحتلال أمام هذا الحق الذي ينادى به صاحبه موقفاً حرجياً ، فلجأ إلى الحيلة السياسية وحاول تسكين خاطر الأمة بإجابة القشور من طلباتها دون الجوهر ولكن الأمة لم تنخدع قط ومن جهة أخرى فقد عرفت الأمة أن من العبث طلب وسائل الاستقلال ممن يسعى في سلبها إياه فتكفلت هي بالقيام بما هو من شئون الحكومات في الأمم المستقلة ،

وإذا كانت هذه الأمة المجاهدة لم تبلغ بعد في شؤون الحياة الدرجة التي ترضيها فذلك يسبب العقبات التي تصادفها في طريقها لتناقض مصلحتها ومصلحة المتسلط فيها »  
وذكر الإنجليز بما كانوا ينادون به وقتاً ما من جعل مصر دولة مستقلة محايدة كسويسرا ، قال :

« دارت في سنة ١٨٨٤ بين المسيو وادنجتون سفير فرنسا في لوندرة وبين اللورد جرانفيل وزير خارجية إنجلترا مخابرات سياسية بشأن مصر ، فقال جرانفيل في خطابه المؤرخ ١٦ يونيه سنة ١٨٨٤ : « إن حكومة جلالة الملك ستطرح على الدول الأوروبية وعلى الباب العالي مشروعاً لجعل مصر دولة محايدة على قواعد حياد سويسرا » ، وردت الحكومة الفرنسية على هذا الخطاب بتاريخ ١٧ يونيه بتحييد هذا المشروع والموافقة عليه قائلة في ردها : « إنها سجلت هذا الوعد على إنجلترا » ، وفي ٢٣ يونيه عرض المسيو فيرى هذه المخابرات ذات الشأن على مجلس نواب فرنسا فقابلها المجلس بالاستحسان (ص ٣٣٥ - كتاب فرسينيه ) ، فكيف كانت إنجلترا ترغب في جعلنا دولة محايدة في سنة ١٨٨٤ ، ثم نسمع منها بعد ذلك طعنا في كفاءتنا ؟ ألا تكون الغاية الاستعمارية إذن هي رائد إنجلترا في هذا الطعن ، أم تريد إنجلترا أن تقول إن الأمة التي كانت تستحق الاستقلال في سنة ١٨٨٤ أصبحت لا تستحقه الآن ؟ »

وقال تحت عنوان ( لاسلام للعالم بغير استقلال مصر ) :

« نظرة واحدة على خريطة العالم تظهر لنا هذه الحقيقة ، فإن مصر بيد إنجلترا القوية تكون آلة هائلة لتحقيق مشاريع استعمارية واسعة وأخرى الاستئثار بخيرات العالم وتجارته وللتحكم في طرقه ومسالكه ، وتكون مثاراً لمسائل سياسية ذات شأن كبير كلما خبت مسألة هبت أخرى ، فإذا تركت مصر غنيمة لانجلترا استحلال بناء صرح السلام العام بناء لا يدركه الخلل ، ولا بد أن يأتي يوم قريب أو بعيد يختل فيه ميزانه ويندك كيانه وينقلب بنيانه رأساً على عقب »

إلى أن قال : « على أن ضرر امتلاك إنجلترا لمصر لا يقف عند هذا الحد فإن إنشاء

قناة السويس زاد في أهمية مركزها ، ولفت العالم إلى العناية بها أكثر من قبل ، كانت الدول قبل فتح القناة تهتم بمصر لذاتها ، فلما فتحت واكتشفت القارة الأفريقية صار الاهتمام لذات مصر وللقارة الأفريقية ولقناة السويس ، قال فورنييه فليكس في كتابه ( استقلال مصر والنظام الدولي لقناة السويس ) المطبوع سنة ١٨٨٣ ما يأتي ص ٥٨ : « فالطريق بين أوروبا والهند وبين أوروبا وأستراليا وبين أوروبا والصين وبين أوروبا واليابان وبين أوروبا وجزء من الأقيانوسية وبين أوروبا وأفريقيا الشرقية وبين أوروبا وأفريقيا الوسطى وبين هولندا ومستعمراتها وبين إسبانيا ومستعمراتها وبين فرنسا ومستعمراتها — هذا الطريق هو في يد إنجلترا تفتحه متى شاءت وتغلقه متى شاءت وتتحكم في ثلثي الكرة الأرضية ، بيدها الحرب وبيدها السلام ، ألا إن أمة من الأمم لم تنل مثل هذا الفتح وما نتيجة ذلك إلا التسلط على تجارة العالم »

« وقال المسيو فريسيني وزير فرنسا سابقا في كتابه ( المسألة المصرية ) ص ٤٣٨ : « فلو حصل خلاف بين دول أوروبا لا تستطيع هذه الدول استدعاء أساطيلها من آسيا إلا إذا شاءت إنجلترا وكذلك لو احتاجت إحدى الدول إلى حماية مصالحها في المحيط الهندي ، أو بحار الصين فلا يتسنى لها ذلك إلا إذا أذنت لها إنجلترا ، حقا لقد أدرك ذلك البرنس بسمارك بل ورأى أبعد من هذا ، رأى أن تسلط إنجلترا على مصر تسلطا يعززه ويصونه أكبر أسطول في العالم يمكن إنجلترا من السيطرة على آسيا الصغرى وسوريا وبلاد ما بين النهرين والتحكم في الإمبراطورية العثمانية وجميع الطرق البرية بين الاستانة وخليج العجم ، وهكذا تصبح سكة حديد بغداد وقناة السويس قيد إرادة واحدة هي إرادة إنجلترا »

« أضف إلى ذلك وجود بوزاز جبل طارق وجزيرتي مالطة وقبرص وبوزاز باب المندب وبلاد عدن ، وجود هذه كلها في يد إنجلترا ، فأنت ترى أن مصر ليست من البلاد التي تنكفي جرة قلم لا متلاكها ، وأن وراء المسألة المصرية مسائل كلها ذات شأن خطير . وراءها مسألة آسيوية ومسألة أفريقية ومسألة البحر الأبيض المتوسط ومسألة التجارة الدولية بل ووراءها أيضا مسألة إسلامية كما أشار إلى ذلك وزير خارجية فرنسا في منشوره الذي



أرسله إلى الدول سنة ١٨٨٧ وضمنه ملاحظاته على معاهدة درومند ولف لما لمصر من  
المكانة السامية والمركز الأدبي السامي في نفوس المسلمين<sup>(١)</sup> ، ولتعرض مكة والمدينة إلى  
خطر تسلط الإنجليز عليها — ووراءها فوق ذلك كله مسألة بيت المقدس وتسلط دولة  
بروتستانتية عليه

« تطوى مسألة مصر في بطنها جميع هذه المسائل ، وكل مسألة منها تكفي لتعريض  
السلام العام للخطر ولبقاء شبح الحرب ماثلاً للأبصار في كل وقت

« فعلى أقطاب الأمم أن يحلوا المسألة المصرية محلها من العناية ، عليهم أن يتمسكوا بجعل  
مصر مستقلة لا سلطة لآنجلترا فيها ، وإلا كانوا كمن يقيم قواعد السلام على أرض من الرمل  
فلا يلبث بناؤه أن ينقض وتذهب جميع مجهوداتهم في هذا السبيل هباء منثوراً . عليهم أن  
يتلافوا أسباب الداء فيستأصلونها ، وألا يكتفوا بمداواة أعراضه ، وإلا عاد المرض  
بأشد مما كان

« لقد تناول السياسيون مسألة مصر من قديم فلم يجدوا لها غير حل واحد هو  
الاستقلال ، وجعل مصر للمصريين . فإن لويس فليب ملك فرنسا أعلن للدول إبان  
حروب محمد علي مع الباب العالي أن وجود محمد علي السياسي ( أى وجود مصر كدولة  
مستقلة ) أمر ضروري للتوازن الدولي ، وقال المسيو كارتييه في أول يولييه سنة ١٨٣٩ ضمن  
خطبة له في مجلس نواب فرنسا : « يجب أن يدرج استقلال مصر في قانون فرنسا العام  
كبداً لا يقبل الجدل »

« وقال المسيو فريسينيه في كتابه عن مصر ص ٤٣٣ « ان من المبادئ الثابتة للسياسة  
الأوروبية أن لا تكون مصر تابعة لإحدى الدول فإن في امتلاكها إخلالاً بالتوازن الدولي  
وقضاء على مصالح الأمم الأخرى في مصر »

(١) ألف المستر بلنت كتاباً سماه « مستقبل الإسلام » أبان فيه مقاصد حكومة بلاده وأمانيتها في  
مستقبل الإسلام ، وبين أن مركز الخلافة يجب أن يكون مكة أو المدينة وأن يكون الخليفة محتاجاً إلى حليف  
وهو أنجلترا

« وخطب المسيو فريسينييه وزير فرنسا وقتئذ خطبة في مجلس النواب قال فيها<sup>(١)</sup> :  
« ان مصر كما قرر الآن المسيو دي لافوس ، وكما أجمع السياسيون قبله هي عبارة عن  
ملتقى لطرق الدنيا ، فهي نقطة الاتصال بين أوروبا وآسيا وأفريقيا ، وهي الطريق العظيم  
الموصل إلى جميع بلدان الشرق الأقصى ، وإن المسيطر عليها يتحكم في معظم البحر الأبيض  
المتوسط — فليس هناك أدنى شك في ما يصيب نفوذ فرنسا في البحر الأبيض المتوسط من  
الضرر إذا تمكنت إحدى الدول من توطيد سيادتها على مصر فعلى فرنسا إذن أن تحول  
بكل قواتها دون ما يؤدي لمثل هذه النتيجة »

« وقال المسيو فيري في مجلس نواب فرنسا من خطبة له : « إن مسألة مصر ما زالت  
ولن تزال مسألة أوروبية قبل كل شيء وفوق كل شيء »

« وقال الكولونيل شايي لونج الأميركي في كتابه « مصر وأقاليمها الضائعة » ص ٢٦٢ :  
« يقول السير شارل ديلاك إن مصر طريق دولي لتجارة جميع العالم — فمن أجل ذلك  
يجب أن يتقرر استقلالها في مؤتمر يحضره جميع الدول الأوروبية »

« ولما كانت المسألة المصرية كما قدمنا ذات تأثير كبير في كيان السلام العام اجتمع  
لها « مؤتمر السلام الدولي العام<sup>(٢)</sup> » في جنيف في سبتمبر سنة ١٨٨٢ على أثر دخول إنجلترا  
مصر ، وأصدر فيه القرار الآتي الذي نقله بحروفه نظراً لأهميته وليرى الناس أن ما نقوله  
اليوم هو ما كان يقوله هذا المؤتمر في سنة ١٨٨٢ وليروا أن الحل الذي نطلبه للمسألة المصرية  
الآن وهو الاستقلال التام هو نفس الحل الذي طلبه من قبل ، ويلاحظ أن هذا المؤتمر  
نظر إلى المسألة من وجهة قناة السويس فقط لأن نيات إنجلترا في إنشاء امبراطورية افريقية  
ونياتها في آسيا ما كانت انكشفت وقتئذ ، وإليكم قرار هذا المؤتمر :

« وحيث ان قناة السويس التي تنقل في الوقت الحاضر ( سنة ١٨٨٢ ) سنويا ما يربو

(١) فريسينييه ( المسألة المصرية ) ص ٧٦ و ص ٢٦٦

(٢) هو مؤتمر يمثل الشعوب لا الحكومات

على سبعة ملايين طن من البضائع والمتاجر<sup>(١)</sup> وما يزيد على ٨٠٠٠٠٠ سائح توفر على الجنس  
الإنساني من الوقت والمجهودات ما يمكن تقديره على الأقل بمبلغ مليار ونصف من  
الفرنكات (٦٠ مليون جنيه)

« وحيث ان أى تخريب لقناة السويس أو أى تقييد لحرية الملاحة فيها أو إعاقة  
المواصلات التى تحصل بواسطتها يكون مصيبة تصيب كل الأمم وتشعر فى الحال بنتيجتها  
« وحيث ان كل محاولة من أية أمة لتختص نفسها بحق على قناة السويس أو على  
ملحقاتها فتنتفع بها وحدها أو تمتلكها أو تحميها أو تحافظ عليها أو تراقب شؤونها يجب  
اعتبارها اعتداء موجهاً إلى الجنس البشرى كله ويجب بناء على ذلك أن يقضى على هذه  
المحاولة كما يقضى على القرصنة سواء بسواء

« وحيث انه بناء على ذلك فإن جميع الأمم لاسيما البحرية منها يتعين عليها وبحق  
لها أن تتحد فيما بينها بطريقة سلمية ، لتضع من النظم ما يضمن للجميع حرية الاتفاع  
بالقناة وملحقاتها بطريقة هادئة أمينة

« وحيث ان المؤتمر الذى عقد حديثاً فى تريبيا (الاستانة) من ممثلى دول انكلترا  
وألمانيا والنمسا وفرنسا وإيطاليا والروسيا وتركيا قد اعترف بالواجب الذى على الأمم فى  
ذلك وما لهن من الحق وقرر هذا المبدأ بإجماع الآراء

« وحيث ان ضمانه حرية قناة السويس وملحقاتها وتوطيد الأمن فيها لا يمكن  
تحقيقهما إلا إذا كانت على الحياد التام

« وحيث ان الأمم الأوروبية هى التى تملك تقرير هذا الحياد

« وحيث ان حياد قناة السويس يكون ناقصاً إذا كانت المصاعب التى تعرض تقرير  
هذا الحياد تحل بغير طريقة التحكم الذى تنفذ أحكامه قوة دولية مختلطة

(١) بلغ صافي الحمولة الرسمية للبواخر التى مرت سنة ١٩١٤ بقناة السويس ٦٧٧٤٦٣٩٤ طن  
حسب الإحصاء الرسمى

### فلرئيه الأسباب

« يعلن المؤتمر أن مسألة حياد قناة السويس وملحقاتها هي مسألة دولية عامة وأن جميع الأمم المتعدنة يجب عليها ويحق لها أن تقرر هذا الحياد وتضمن سلامته

« أما الحياد فمعناه فيما يختص بالقناة نفسها أن يكون المرور منها حراً في كل وقت وفي كل الأحوال وبأجر واحد وشروط واحدة لجميع السفن التجارية والحربية مهما كانت تبعيتها ومهما كان مشحونها وذلك على الشرطين الأساسيين الآتين : أولها أن لا تقوم هذه السفن في القناة أو في ملحقاتها بأى عمل حربي سواء كان ذلك مرة أو بأية واسطة أخرى وأن لا تنزل في أى نقطة من القناة أو ملحقاتها جنوداً أو أسلحة أو ذخيرة من أى نوع كان

« أما فيما يختص بملحقات القناة فمعنى هذا الحياد أن يكون شاطئها والمدن الواقعة عليها وموانئها وفروعها وترعها العذبة الآتية من النيل — أن يكون كل ذلك بعيداً عن أى اعتداء من أى مهاجم فى أى وقت من الأوقات ، وحينئذ لا تكون عرضة لاحتلال أو تخريب أو تعطيل أو تحويل أو سد مجراها من أى نوع كان

« ولكى يكون حياد قناة السويس حياً حقيقياً يجب أن تكون الأراضى المصرية أيضاً على الحياد وكذلك مياه البحر الأحمر الذى هو فى الحقيقة امتداد للقناة نفسها

« وإذا تقرر حياد الأراضى المصرية فإن من نتائجه الضرورية اللازمة الاعتراف باستقلال الأمة المصرية وحكمها لنفسها اعترافاً مطلقاً من كل قيد

« وإن هذا الاستقلال يستوجب حتماً زوال سيادة تركيا عن مصر وإلغاء كل القيود التى قررتها معاهدة سنة ١٨٤٠ وكذلك إلغاء كل الفرمانات المقررة لهذه السيادة

« ولكى تقرر الدول إلغاء هذه المعاهدة وما يتبعها من الفرمانات وحياد قناة السويس وملحقاتها مع حياد البحر الأحمر بشاطئيه ، وحياد الأراضى المصرية ذاتها ، واتخاذ الوسائل اللازمة لإقامة محكمة التحكيم الدولية وإيجاد قوة دولية تضمن تنفيذ أحكامها — لى تتمكن الدول من عمل كل ذلك يجب أن تؤلف الأمم الأوروبية مؤتمراً لا يقتصر على

الدول العظمى التي تألف منها مؤتمر تريايا فقط ، بل يجب أن تدعى جميع الأمم الأوروبية بغير استثناء لتناقش وتقرر ما تراه ، وكذلك تدعى إليه الأمة المصرية لما لها من الحق الطبيعي الثابت (١) »

« فهذا قرار مؤتمر السلام الدولي ، أصدره منذ ستة وثلاثين عاما . قرر بحق أن حياد قناة السويس لا يكون محترما إلا إذا كانت مصر مستقلة استقلالاً تاما . قرر وجوب تأليف مؤتمر دولي من جميع الدول بدون استثناء لتقرير هذا الحياد ونظامه ، والاعتراف باستقلال مصر استقلالاً مطلقاً

» قرر وجوب حضور ممثلين للأمة المصرية في هذا المؤتمر . قرر تشكيل محكمة دولية لضمان هذا الحياد وهذا الاستقلال . قرر وجوب تأليف قوة دولية لتنفيذ أحكام هذه المحكمة الدولية . وفي سبتمبر سنة ١٨٨٢ نظر مؤتمر جمعية القانون الدولي في لوزان المسألة المصرية ، فقرر أيضاً وجوب جعل القناة وملحقاتها على الحياد ، وانعقد مؤتمر السلام الدولي في أغسطس ١٩١٠ بمدينة استوكهلم ، فأظهر عطفه على الأمة المصرية ، وقرر إدراج قضيتها ضمن أعماله لينظرها في مؤتمره بروما في أكتوبر سنة ١٩١١ . ولكن هذا المؤتمر لم ينعقد في موعده بسبب الحرب الطرابلسية بين إيطاليا وتركيا ، ثم انعقد بمدينة جنيف في سبتمبر سنة ١٩١٢ . وقرر مطالبة إنجلترا بالجللاء عن مصر

» من ذلك نرى أن من المستحيل فصل القضية المصرية عن قضية قناة السويس ، لأنهما يكونان معاً كلاً غير قابل للتجزئة

» ولقد علمنا التاريخ كيف أن إنجلترا خالفت مقتضى حياد القناة عندما اقتضت مصلحتها ذلك سنة ١٨٨٢ ، كما أنها خالفت مقتضاه إبان الحرب الروسية اليابانية ، وللسياسيين آراء ثابتة في هذا الموضوع ، فقد قال المسيو كلنسو ضمن خطبته في مجلس نواب فرنسا سنة ١٨٨٢ ما ملخصه : « انه لا يصح بأي حال من الأحوال فصل مسألة القناة عن المسألة المصرية ، لأن مسألتها واحدة غير قابلة للتجزئة » ، وقال في موضع آخر من الخطبة

(١) يراجع كتاب ( استقلال مصر والنظام الدولي لقناة السويس ) تأليف فورنييه دى فلكنس

مانصه : « إذا تضاربت مصالحنا مع مصالح إنجلترا في برزخ السويس . . . . واشتبكت هكذا في حرب مع مملكة على شواطئ البحر الأبيض - أتظنون أن إنجلترا تتردد في الاستيلاء على قناة السويس ! إنها الآن في جزيرتي مالطة وقبرص . احتلت مالطة بصفة مؤقتة من سنة ١٨١٥ ( ضحك من المجلس ) ، ودخلت قبرص في ظروف تعلمونها ، ولم يكن دخولها طبعاً لغرض تدميرها . . . »

« وقال المسيو فريسينييه ص ٤٣١ من كتابه : « لقد سبق أن صرحتُ برأبي هذا فطالما تحتل الجنود الإنجليزية مصر ، فإن المعاهدات التي تضمن حرية قناة السويس أثناء الحرب تكون في الواقع عديمة القيمة » ، وقال ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ : « فلو أن إنجلترا اشتركت في إحدى الحروب لاستطاعت مصادرة القنال لأنه في قبضتها ، ولأن البلاد تحت رحمتها ، أما المعاهدات فهي حائل ضئيل بينها وبين تنفيذ غايتها ، فاتفاقية ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ الخاصة بحياد القناة لا يمكن تحسينها ، ولا يجوز الاكتفاء بإزالة قيودها ( كما حصل في اتفاق ٨ أبريل سنة ١٩٠٤ ) ، بل الواجب هو إزالة الاحتلال ذاته إذ لا ضمان لحرية القنال ما دام الاحتلال : هذه هي الحقيقة وما دونها وهم باطل »

« هذا ولا يفوتنا أن نقول بوجوب تكليف مصر وحدها بالمحافظة على قنال السويس ، وبتنفيذ النظام الذي ترسمه له الدول ، وتكليف مصر بذلك هو نتيجة لازمة لاستقلالها ، فضلا عن أنها ليس لها مطاعم يخشى منها على القنال وقد حافظت على حياده منذ أنشئ إلى سنة ١٨٨٢ حتى أن عرابي نفسه لم يخالف موجبات هذا الحياد بالرغم من مخالفة إنجلترا له « على أن في معاهدة قناة السويس الواقعة في أكتوبر سنة ١٨٨٨ ما يبرر ذلك إذ أن المادة التاسعة منها تنص على تكليف مصر بالمحافظة على تنفيذ هذه المعاهدة »

ثم نادى بإلغاء الامتيازات الأجنبية ، قال :

« من أهم القواعد الدولية أن تسرى أحكام القانون على جميع سكان البلد بلا تفریق بين وطني وأجنبي وأن تتناول السلطة القضائية بأحكامها جميع الخصومات بأنواعها بغير نظر إلى جنسية ذوى المصلحة فيها ، غير أن هذه القواعد التي ترتبط تمام الارتباط بالنظام العام

لم تتبع في مصر بسبب المنح التي أعطتها الدولة العثمانية للأجانب من عهد بعيد في بلادها  
وبسبب العادات التي وسَّعت دائرة هذه المنح في مصر توسيعاً كبيراً ، فالأجانب في مصر  
يحاكمون أمام المحاكم المختلطة بقوانين هذه المحاكم في المسائل المدنية والتجارية ، ما دام النزاع  
بين وطني وأجنبي أو بين أجنبي مختلفي الجنسية ، وكذلك يحاكمون أمام المحاكم في بعض  
المخالفات وجرائم التفاليس وجرائم أخرى معدودة لها ارتباط بسلطة هذه المحاكم ، أما فيما عدا  
ذلك فلا يحاكم الأجانب إلا أمام السلطة التابعة لدولهم المختلفة وحسب قوانين تلك الدول ، ولا  
ريب أن في هذا النظام مساساً كبيراً بنظام العدالة وسيرها في مصر وبشرف القضاء واحترامه  
أجنيباً كان أو مصرياً إذ أن أقرب نتائج تعدد السلطات القضائية صدور أحكام متعارضة  
في مسألة واحدة وعدم معاقبة الجرائم التي يعاقب عليها القانون المصري ، ولا يعاقب عليها  
قانون مرتكبها ، وغير ذلك من المضار التي بينها الكثيرون ، فلا حاجة إلى الإطالة فيه  
في هذا الموجز ، ولقد كانت العلة في منح هذه الامتيازات للأجانب في الماضي اختلاف  
القوانين والنظم القضائية في الشرق عن القوانين والنظم في الغرب مع عدم وجود دستور نيابي  
يضمن اتقان وضعها وتطبيقها في الشرق ، أما الآن وقد أصبحت قوانين بلادنا نسخة من  
القوانين الأوروبية ونظام قضائنا صورة صحيحة من نظامها ، فقد زالت العلة التي اقتضت  
وجود تلك الامتيازات ، لا سيما أن طلبنا إلغاء هذه الامتيازات هو نتيجة لازمة لاستقلالنا  
استقلالاً تاماً ، أول مقتضياته أن يعم تطبيق القوانين جميع السكان ، تلك القوانين التي  
سيضعها مجلس نيابي على النسق الأوروبي ، ولسنا نرى في إلغاء هذه الامتيازات ضرراً يلحق  
بالأجانب ، لأن المجلس النيابي من شأنه أن يلاحظ عند وضع القوانين مصلحة القاطنين  
بالبلاد على قاعدة المساواة بينهم بلا تفریق بين أجنبي ووطني ، فضلاً عن الرقابة التي تقوم  
بها الصحافة والرأي العام ، بل وكل قاطن بها مهما اختلفت جنسيته وصفته ، أضف إلى  
ذلك الضمانة الدولية العادية الناتجة من وجود ممثلي حكومات الأجانب في البلاد ورغبة مصر  
في بقاء الصلات الحسنة مع جميع الدول «

ثم قال : « وإذا طلبنا إلغاء الامتيازات من بلادنا لا نطلب بدعاً ، فقد سبقنا إلى مثل

ذلك كثير من الأمم التي ليست أكثرنا علماً واستعداداً ، فبلاد اليونان والصرب والبلغار ورومانيا التي كانت خاضعة لنظام الامتيازات بحكم تبعيتها إلى تركيا ألغتها بحكم استقلالها ، ولم يقف في سبيل ذلك وجود ١٠ في المائة من الأجانب في بعضها مثل رومانيا » ، إلى أن قال : « لم يكن الحزب الوطني قبل تقرير المبادئ الجديدة في العالم يطلب إلغاء الامتيازات ، وذلك للسبب الذي أبديناه آنفاً ، وهو أنه كان يطلب احترام معاهدة سنة ١٨٤٠ المقررة لسيادة تركيا الإسمية مانحة تلك الامتيازات ، أما وقد جاء هذا العهد الجديد عهد المساواة المطلقة بين الأمم قويتها وضعيفها — كما يقال — فليس لنا إلا طلب واحد هو طلب الاستقلال التام بجميع مقتضياته التي منها إلغاء الامتيازات »

ثم أسهب في الكلام عن وحدة مصر والسودان

وانتهى إلى مطالبه وهي : « الاستقلال التام لمصر والسودان والملحقات استقلالاً غير مشوب بأى احتلال أو حماية أو شبه سيادة أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال »

### طلب الوفد الترخيص له بالسفر

لما كانت البلاد وقتئذ تحت الأحكام العرفية ، فقد كان الترخيص بالسفر تتولاه السلطة العسكرية البريطانية ، ففي يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ طلب سعد باشا من قيادة الجيش الإنجليزي جوازاً له ولأعضاء الوفد بالسفر إلى إنجلترا فردت عليه السلطة العسكرية في اليوم التالي بأن طلبه سينظر فيه في أقرب وقت ممكن ، فلما أبطأت في الرد أرسل إليها في ٢٨ نوفمبر يستعجل النظر في طلبه ، فجاءه منها الرد في اليوم التالي بأنه « قد عرضت صعوبات تمنع من إجابته إلى طلبه في الوقت الحاضر ومتى زالت تلك الصعوبات تبادر بإعطائه وصحبه الجوازات التي يطلبونها »

فلما وصل هذا الرد ، وكان يدل على نية السلطة العسكرية في الرفض ، بادر سعد باشا بإرسال الخطاب الآتي تعريبه إلى المندوب السامي البريطاني بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ . قال :



« يا صاحب الفخامة ، أشرف بأن أعرض لفخامتكم أنه قد تألف وفد برياستي بقصد السفر إلى إنجلترا للمفاوضة مع أولى الحل والعقد البريطانيين بشأن مستقبل مصر ، وقد أرسلت لرياسة الجيش الإنجليزي بتاريخ ٢٠ الجاري خطاباً التمت فيه إعطائي أنا وزملائي جوازات السفر ، ففضلت السلطة العسكرية بإجابتي في اليوم التالي بأن طلبنا سينظر فيه في أقرب وقت ممكن ، ولما كانت المهمة التي أخذناها على عاتقنا تقضى بوجودنا بلندن من غير تأخير ، فقد حررنا أمس طالبين النظر في ملتسنا ، واليوم ورد لنا خطاب من السلطة العسكرية يتضمن أنه قد حدثت بعض صعوبات لم يتيسر معها إجابة طلبنا إلى اليوم ، وأنه بمجرد تذليل هذه الصعوبات تسارع إلى إجابتنا إلى موضوع طلبنا

« تلقاء هذه الإجابة ، ونظراً إلى أنه من الضروري أن يكون وفدنا بلندن قبل الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر ، جئنا بهذا راجين من فخامتكم أن تفضلوا باستعمال ما لكم من النفوذ لدى السلطة العسكرية لحصولنا على جوازات السفر سريعاً ، وفي الوقت المناسب

« إنا معتمدون كثيراً على تقاليد بريطانيا العظمى التي ما زالت تقدم للعالم كثيراً من الأمثلة على تمسكها بمبادئ الحرية الشخصية ، اعتماداً يجعل لنا ثقة في أن طلب التصريح لنا بالسفر ، سيفصل فيه عاجلاً

وإنا في انتظار إجابة ملتسنا تقدم لفخامتكم عظيم الاحترام والتبجيل »

## جواب دار الحماية

### رفض الترخيص بالسفر

وبعد أن تلقت دار الحماية تعليمات لندن أرسل اللفتنت كولونل سيمس Symes نائب السكرتير الخاص للمندوب السامي خطاباً إلى سعد باشا برفض الترخيص بالسفر ، وبدعوته إلى تقديم مقترحاته عن نظام الحكم في مصر إلى المندوب السامي نفسه ، على أن لا تخرج

عن الخطة التي رسمتها الحكومة البريطانية من قبل ، أى فى دائرة الحماية ، وهذا تعريب الرد :

« عزيزى زغلول باشا

« كلفت من قبل فخامة المعتمد السامى البريطانى بإحاطتكم علما بوصول خطابكم المؤرخ فى ٢٩ نوفمبر الماضى وبإخباركم بأن فخامته قد رأى بعد استشارة حكومة جلالة الملك أنه لا يستطيع التوسط لدى السلطة العسكرية فى هذا الموضوع

« وأضيف إلى ذلك أنكم إذا كنتم تريدون تقديم اقتراحات بخصوص كيفية الحكم فى مصر مما لا يخرج عن الخطة التى رسمتها حكومة جلالة الملك وأعلنتها من قبل ، فالأفضل أن مثل هذه الاقتراحات تقدم كتابة إلى فخامته ، وبهذه المناسبة ألفت نظركم إلى خطاب السير ملن شيتهم الذى أرسله بناء على أمر حكومة جلالة الملك إلى المرحوم السلطان حسين<sup>(١)</sup> عند توليته عرش مصر»

المخلص

« أول ديسمبر سنة ١٩١٨ » « ج . س . سيمس : السكرتير الخصوصى بالنيابة »

كان هذا الرد إيذاناً بعدم تمكين الرد من السفر إلى إنجلترا ، وتضييق مهمته ، وحصرتها فى تقديم ما لديه من مقترحات إلى المندوب السامى البريطانى فى مصر ، على أن تكون منصوره على نظام الحكم ، وأن لا تتخطى دائرة الحماية التى أعلنتها إنجلترا فى ديسمبر سنة ١٩١٤

فأثار هذا الرد اعتراض الوفد ، وأرسل سعد باشا بتاريخ ٣ ديسمبر إلى السير ونجت خطاباً باللغة الإنجليزية بمدلول هذا الاعتراض ، قال :

« أشرف بإخباركم بأنى تلقيت الكتاب المؤرخ فى أول ديسمبر الجارى المرسل إلينا من سكرتيركم الخاص رداً على خطابنا المؤرخ فى ٢٩ نوفمبر بشأن جوازات السفر المطلوبة لأعضاء الوفد المصرى ، وقد جاء بالكتاب المذكور أن سعادتكم مستعدون لقبول اقتراحات كتابية عن طريقة الحكم المطلوبة فى مصر بشرط أن لا تتعارض مع الخطة السياسية

(١) هو التبليغ الذى نشرناه بالصفحة ١٩ وما بعدها

الموضوعة من حكومة جلالة الملك ، ورداً على ذلك أبادر بإبلاغ سعادتكم بأنه ليس في وسعي ولا في وسع أى عضو من أعضاء الوفد أن يعرض اقتراحات لا تكون مطابقة لإرادة الأمة المصرية المعبر عنها في التوكيلات التي أعطيت لنا ، وإني أعرض على أنظاركم أن هذه التوكيلات قد أقبل على التوقيع عليها بشغف ، كثير من كبراء الأمة ومن بينهم أعضاء الجمعية التشريعية والهيئات الأخرى النيابية ، وكان من المنتظر أن يصل هذا الإقبال إلى الإجماع لولا تدخل الإدارة في منع تداولها ومصادرتها

« على أن سفرنا إلى إنجلترا لا نريد منه إلا أن نكون على اتصال برجال السياسة الممثلين للأمة الإنجليزية ، وللأشخاص الذين يتولون توجيه الرأي العام الإنجليزي الذين لا شك في تأثيرهم على القرارات الحكومية ، وسنغنى على هذا الخصوص بأن نجعل وجهتنا ذلك الرأي العام ، ونحن واثقون بأن نجاح قضيتنا يتوقف جزء كبير منه على العدالة والحرية وحماية حقوق الضعفاء التي امتاز بها الرأي العام الإنجليزي

« وتلاحظون سعادتكم أنه في هذه الظروف يكون من المستحيل علينا أن نصل إلى غايتنا بواسطة مخابرات بسيطة تعمل في مصر وحسب ، فإن القضية التي ندافع عنها يجب أن تعرض بادی ذی بدء على الرأي العام الإنجليزي الذي لا شك في أنه ، للاستنارة فيها ، في حاجة إلى الحصول على تفصيلات لا يمكن أن يبديها إلا الممثلون الطبيعيون الموكلون من الأمة المصرية ذاتها

« والصعوبات التي وضعت في سبيل سفرنا تجعل المأمورية التي أخذناها على عاتقنا غير محققة النفاذ وهي مأمورية إظهار إرادة الأمة ، ومن الصعب أن يلتئم هذا الموقف مع مبادئ الحرية والعدالة التي فتحت انتصار بريطانيا العظمى وحلفائها طريقها لخير الإنسانية ، ولتحقيق أمانى الأمم ، وتنازلوا ... الخ »

وكان رشدى باشا معترفاً من ناحيته السفر إلى لندن مع زميله عدلى باشا يكن لعرض مطالب الحكومة المصرية على بساط البحث ، وكان ينتظر من آن لآخر قبول الحكومة

البريطانية هذه المهمة منه ، فأرسل إليه سعد باشا يوم ٤ ديسمبر ، كتابا يبلغه فحوى الرد ، ويطلب إليه أن يستعمل نفوذه في تمكين الوفد من السفر ، قال :

« لما شرعنا في السفر إلى إنجلترا لنطلع أولى الشأن فيها على رأى الأمة المصرية في حكم نفسها ، تشرفنا بمقابلة دولتكم في ١٣ نوفمبر الماضى ، فصرحتم لنا بأنه حدثت صعوبات يتوقف على النظر فيها البت في أمر الجوازات ، فوسطنا فخامة المندوب السامى في ذلك ، فكان جوابه في أول ديسمبر الماضى أنه بعد مخابرة حكومته لا يستطيع المداخلة عند السلطة العسكرية في أمر تلك الجوازات وأنه إن كان لدينا اقتراحات تتفق مع خطة الحكومة الإنجليزية التى أعلنتها من قبل فلا بأس من تقديمها إليه بالكتابة ، لافتاً نظرنا في هذا الصدد إلى خطاب السير ملن شيتهم إلى المرحوم السلطان حسين عند توليته عرش مصر . فأجبنا فخامته أمس بأننا لا نستطيع أن نفاوض في ما لا ينطبق على رأى الأمة الذى عبرت عنه بالتوكيلات الصادرة لنا ، وأبنا له كيف أن إيقاف الرأى العام الإنجليزي على حقيقة الرأى العام المصرى غاية لا تدرك هنا ، بل بسفر وفد الأمة

« فهما يكن من تلك الصعوبات التى لا نعرف طبيعتها ، وتلقاء تصريح دولتكم المتقدم ذكره ، وما أعلن عن سفر دولتكم ومعالي وزير المعارف ، كوفد من قبل الحكومة ، فإننا لا نزال نتمتع بحق على عدلكم فى أن تصرفوا قبل سفركم جهدكم إلى تسهيل السفر على وفد الأمة أيضا ، وأنا شديد الثقة فى أنه يعز عليكم أن تفوت مصر هذه الفرصة الوحيدة لعرض مطالبها الحققة ، وفى انتظار الرد تفضلوا ، يادولة الرئيس ، بقبول عظيم احترامى »  
وأرسل الوفد فى اليوم نفسه إلى المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية احتجاجا برقيا على تصرفات السلطة العسكرية

### مطالب الوفد ونداؤه

#### إلى معتمدى الدول الأجنبية

وفى ٦ ديسمبر أرسل الوفد نداء إلى معتمدى الدول الأجنبية بتأليف الوفد ومقاصده

وخطواته الأولى ، وبموقف السلطة العسكرية البريطانية بإزائه ، وكان هذا بمثابة بيان بمطالب الوفد ، كما أرسل إلى الرئيس ويلسن نداء برقيا يطلب إليه تحقيق مسمى الوفد في السفر لحضور مؤتمر الصلح ، وهاك مطالب الوفد ، كما وردت في ندائه إلى معتمدى الدولى الأجنبية :

( ١ )

تطلب مصر الاستقلال التام

( ١ ) لأن الاستقلال حق طبيعى للأمم

( ب ) لأن مصر لم تهمل قط أمر المطالبة بهذا الاستقلال ، بل هى قد سفكت فى سبيله دم أبنائها . ولقد كان ما حازته من النصر فى ميدان القتال كافيا لرد السيادة إليها لولا إجماع الدول العظمى فى سنة ١٨٤٠ - ١٨٤١ ، وإكراهها على تقليل مطامعها إلى أدنى حد ممكن ، وجعلها تكتفى بالاستقلال الداخلى فقط وهو مع ذلك واسع النطاق يكاد يبلغ حد الاستقلال التام

( ج ) لأن مصر تعتبر نفسها الآن خالصة من آخر رباط كان يربطها بتركيا وهو رباط السيادة الإسمية ، إذ تركيا أصبحت بسبب نتائج الحرب لا تستطيع التمسك بهذه السيادة

( د ) لأن مصر ترى أن الوقت قد حان لأن تعلن استقلالها التام الذى يؤيده مركزها الجغرافى وأحوالها المادية والأدبية

( ٢ )

تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية ، وأن تراعى فى تفاصيل النظام حالة البلد الخصوصية من جهة ما للأجانب فيها من المصالح وأن تقوم بعمل إصلاحات اقتصادية

وإدارية واجتماعية تستعين على تحقيقها بذوى العلم من أهل البلاد الغربية كما كانت تلك  
عادتها فيما مضى

( ٣ )

تعلن مصر أن امتيازات الأجانب فيها ستحترم بكل دقة ، وإذا كان العمل أظهر أن  
بعضها يدعو إلى تحويل أليق بمقتضيات الأحوال فإنها تعرض ما يعن لها من وجود التعديل  
التي من شأنها المساعدة على تقدم البلاد مع صيانة المصالح المنظور فيها وتكون فيما تعرضه  
من ذلك واسعة الصدر ، غاية في الإخلاص والمجاملة

( ٤ )

تتعهد مصر بالبحث في وضع طريقة للمراقبة المالية لا تقل في أهميتها بالنسبة للبلاد  
الأجنبية ذوات المصلحة عما كان متبعاً قبل اتفاقية سنة ١٩٠٤ ، ويكون أهم قائم بها هو  
صندوق الدين العمومي

( ٥ )

تكون مصر مستعدة لقبول كل ما تراه الدول من الاحتياطات مفيداً للمحافظة على  
حياد قناة السويس

( ٦ )

تعتبر مصر نفسها حائزة لأكبر شرف بوضع استقلالها تحت ضمانات جمعية الأمم ، وأن  
تشارك بهذه المثابة بقدر ما لديها من الوسائل في تحقيق مبادئ العدل والحق على  
النمط الحديث

اجتماع بمنزل حمد باشا الباسل

وخطبة سعد باشا — ١٣ يناير سنة ١٩١٩

لم تفد المساعي التي بذلت لتمكين الوفد من السفر ، وقرب موعد اجتماع مؤتمر الحلفاء

بباريس<sup>(١)</sup> لتقرير شروط الصلح دون أن يرخص للوفد بمبارحة مصر ، فأعد لهذه المناسبة اجتماعاً ، دعا إليه حمد باشا الباسل بداره بشارع الداخلية ، تجاه بيت الأمة ، وحضره جمع من ذوى الرأي من مختلف الطبقات ، وبعد أن تناول المدعوون الشاي ألقى سعد باشا خطبة ، وهى أولى خطبه السياسية بعد تأليف الوفد ، أبان فيها كيف تألف الوفد والغرض الذى يرمى إليه وكيف حظرت عليه السلطة السفر إلى الخارج . قال :

« أيها السادة : إنى أشكر زميلى حمد الباسل باشا على أن هيا هذه الفرصة التى أتمهزها لأحدثكم عن تفاصيل هذه الأزمة التى تجتازها مصر فى الوقت الحاضر ، حتى لا يفوت بعض أولى رأى عندنا شىء من أعمال الوفد الذى شرفته البلاد بتوكيلها للسعى فى قضيتها الكبرى ، قضية الاستقلال

« ليست فكرة الاستقلال جديدة فى مصر بل هى قديمة يتأجج فى قلوب المصريين الشوق إلى تحقيقها كلما بدت بارقة أمل فيه وتخبو ناره كلما استطاعت القوة أن تحمد أنفاس الحق ، ولقد كان الوقت الحاضر أنسب فرصة لتحقيق هذه الفكرة لأن رابطة السيادة التركية أخذت تتضاءل حتى لم يبق شك فى انقطاعها وأن الاحتلال الفعلى لا يجد فرصة أنسب من هذه الفرصة ليحقق رجاء اللورد سالسبورى الذى قال فى ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٦ : « نحن لا نبحث إلا عن الخروج من مصر بشرف »

« قلب هذا الاحتلال الذى لم يكن له حق فى البقاء إلى حماية من بادى رأى الإنجليز ومن غير اتفاق مع مصر ، ولكنها هى أيضاً أمرٌ باطل بطلاناً أصلياً أمام القانون الدولى ومخالف مخالفة صريحة للمبادئ الجديدة التى خرجت بها الإنسانية من هذه الحرب الهائلة ، فنحن أمام القانون الإنسانى أصبحنا أحراراً من كل حكم أجنبي فلا ينقصنا إلا أن يعترف مؤتمر السلام بهذا الاستقلال فتزول العوائق التى تقف بيننا وبين التمتع به بالفعل . لهذا الغرض السامى المطابق لما فى نفوس المصريين جميعاً ألفت أنا وأصحابى الوفد المصرى نسعى فى الوصول إلى الاعتراف بهذا الاستقلال وتشرفنا بتوكيل الأمة إيانا . وما ضرنا أن أمرت

(١) كانت جلسة افتتاح المؤتمر يوم ١٨ يناير سنة ١٩١٩

الحكومة الناس بالكف عن تلك التوكيلات وبمصادرتها ، لأن ما لدينا منها ومن خطاب الوزير الأول الذي تعترف فيه الحكومة بعملها ما يكفي في إفادة أن الأمة مجمعة على طلب الاستقلال ، هنا يرد على خاطري أن أسأل هل بأمة حاجة إلى أن يطلب رأيها في الاستقلال ؟ هل أمة كمصر مدنيها أقدم المدنيات وفضائلها الاجتماعية التي تنتقل بالوراثة من جيل إلى جيل ظاهرة الأثر من حيث وداعة الأخلاق وحب احترام القوانين والتماثل التام في الميول ، يمكن أن تسأل في أمر استقلالها من غير أن تجرح عواطفها المدنية بهذا السؤال ؟ وهل أبناء المدنية الفرعونية والمدنية العربية غريب عليهم أن يستقلوا فيشاطروا في تقدم المدنية في خطواتها إلى الأمام .

« غير أننا كنا مضطرين إلى هذا التوكيل لأنه قد عُرِزَ إلينا أننا لا نطلب من الحياة إلا الدرك الأسفل ، أن نعيش آمنين طامعين كاسين ، فكان توكيل الأمة الجواب القاطع على هذا الاتهام

« مُنعنا عن السفر وصودرت الحرية في أشخاصنا وفي المصريين جميعاً فلم نغادر مرجعاً من المراجع إلا احتجاجنا لديه على هذا التصرف . وها نحن أولاء لا نزال نطمع في أن ينجلى بيننا وبين القيام بمهمتنا بأنفسنا . وإن ما أوكدته لكم هو أن هذا المنع لم يزد زملائى إلا حباً في التقدم إلى الغرض العام وحدّة في توضيحية كل ما يستدعيه من الضحايا سالكين سبيل الحق والعدل . ومالنا غيره من سبيل »

ثم تحدث عن مبادئ الرئيس ويلسن ، وكيف أنها يجب أن تسود العالم ، وأبان مطالب الوفد التي يدعو إلى تحقيقها ، قال في هذا الصدد ما يأتي :

« إن إيماننا بقواعد الحق والعدل هو عدتنا ، وكفى بها عدة ، وإن إجماع أمتنا على الاستقلال حجة قائمة ، وما ينقصنا إلا أن يسمع مؤتمر السلام صوت الأمة ، ولكن سيصله ولو من بعيد ، يصله فينصت إليه على رغم ما يقال من أن مؤتمر السلام الذي يعقد اليوم أشبه ما يكون بما سبقه من المؤتمرات ، هذا هو النحو الذي ننحوه في قضيتنا »

ثم أوضح مطالب الوفد كما أذاعها في ندائه إلى معتمدى الدول ( ص ١٤٣ )



وأعلن أن مطالب الوفد تشمل السودان ، قال في هذا الصدد : « وان من الفضلة أن نقرر بأن كل ما نقوله عن مصر ينسحب على السودان ، لأن مصر والسودان كل لا يقبل التجزئة ، بل إن السودان كما قال المستشار المالى فى تقريره سنة ١٩١٤ « ألزم لمصر من الإسكندرية »

وتحدث عن مسأله الامتيازات الأجنبية . قال :

« قد يطيش الفهم فيظن أن هناك منافاة بين طلب الاستقلال والرضا بامتيازات الأجانب . كلا . لا منافاة بين الاثنين فى الوجود ، وإن كان فيه تضيق لدائرة السيادة التامة التى يقتضيها الاستقلال . فلنكن عمليين . ولنطرح المناقشات العقيمة التى لا طائل تحتها ، والتى لا يعتبر الإصرار عليها إلا ضرباً من المكابرة ، والمكابرة فى القضية العامة خروج على الوطنية الصادقة ، ولنقبل على عملنا إقبال العالمين بما ينفع الأمة . إن تحييب الأجانب فى الإقامة بمصر وتسهيل سبل العمل لهم مفيد للبلاد أكبر فائدة ، فلنقدم عن طيب خاطر مرغبات هذه الإقامة ولنسهل بما فى طاقتنا سبل المزاحة التعليمية والتجارية والصناعية ، فإنكم لا تنكرون أن هذه القرون الأخيرة قد عزلتنا عن الحركة العالمية بعض الشيء ، وان الأجانب فى مصر صلة أنعم بها من صلة بيننا وبين ينابيع العلم ومواطن الاختراع والاكتشاف ، وان مصر المستقلة لا بد لها من الدخول فى المسابقة العالمية ، ولا شك فى أنه يهملها جداً أن تكون با كورات هذه المسابقة فى بلادها

« تعلمون أن حالنا الاجتماعية الخاصة مانع شديد من مخالطة الأجانب فى بلادنا المخالطة التامة التى من شأنها أن تولد فى النفوس الصداقة الأكيدة التى تغنى فى البلاد الأوروبية عن الامتيازات . وقد نتج عن ذلك أن الأوروبي يقيم فى بلادنا بين ظهرانينا شطر عمره ولا يزال مع ذلك أجنبياً عنا لا يعرف منا إلا الوجه الخارجى لصفات المعاملات دون أن يعلم منا حيننا الداخلى ودون أن نعلم منه هذه المناحى أيضاً لأن بيوتنا غير مفتوحة لهم وبيوتهم غير مفتوحة لنا بحكم المقابلة ، فلا بد لهم من أداة تحجب لهم الإقامة بيننا ، وهذه الأداة هى الامتيازات . كذلك تعلمون كما ألمت لكم أنه من الضرورى لنا جعل بلادنا ميداناً للمسابقة

العلمية والتجارية والصناعية وهذه المسابقة مترتبة على كثرة وفود الأجانب إلى مصر المتوقف في ذاته على ثقتهم بإكرام وفادتهم وضمانة طيب الإقامة لهم ، ولا سبيل إلى ذلك الآن مع الاعترافات الاجتماعية التي أشرت إليها إلا بقاء الامتيازات ، وإني شديد الثقة بأنه بعد زمان ما ، سيرى الأجانب أنفسهم أن لا حاجة لهم بهذه الامتيازات ، بل سوف يحبون أن ينزلوا عنها متى خالطونا أو عرفونا معرفة تامة بعد نيلنا الاستقلال »

وختم خطبته باقتراح إرسال تلغراف إلى الرئيس ويلسن بتحيته والإعجاب بمبادئه وبأن المجتمعين « يعرضون عليه قضية مصر التي يتسلط عليها الأجنبي تسلطاً يآباه أهلها أجمعون » فوافق المجتمعون على هذا الاقتراح بين التصفيق والتهنئة بحياة الرئيس ويلسن وحياتة أميركا ومصر والاستقلال

وقد طبع الوفد هذه الخطبة ووزعها على الناس في العاصمة والأقاليم

كانت الصحف لا تزال تحت الرقابة ، فلم يكن الرقيب يسمح بنشر أنباء الاجتماعات والحوادث السياسية ، ولم ينشر عن هذا الاجتماع سوى نبذة عابرة لا يفهم منها شيء ، قالت « الأهرام » في عدد ١٤ يناير سنة ١٩١٩ : « دعا أمس حمد الباسل باشا العضو في الجمعية التشريعية جماعة كبيرة من أعيان العاصمة والأقاليم إلى تناول الشاي في منزله بشارع الداخلية ، فلبى دعوته نحو ١٥٩ ذاتاً ووجهياً وأديباً ، وضرب في حديقة داره الواسعة سرادقاً جميلاً نسقت فيه الكراسي والمقاعد والأخونة على أجمل طراز ، ثم قدمت الحلوى وأطياب المآكل للحاضرين مع الشاي والقهوة ، ففوضوا جميعاً من الساعة الرابعة إلى الساعة السادسة بأطيب الأحاديث ، ثم انصرفوا رويداً رويداً وجماعات جماعات ، وهم يتحدثون بفخامة هذا الاجتماع وفضل الداعي وكرمه ، وكان سعادته وشقيقه وآله يقابلون المدعوين بما فطروا عليه من اللطف والكرم العربي ، ويمتعون أسماعهم مع أصدقائهم وصحبهم بما يشنفها ، وتمنى الكل لو كثر مثل هذا الاجتماع الكبير »

فتأمل في مدى تأثير الرقابة على روايات الحوادث التاريخية ، وكيف تبتريها وتمسخها ، ولا تدع منها سوى عبارات غامضة لا يفهم منها جوهر ما يجري في البلاد ، فإن من يطالع

هذه النبذة ولا يكون معاصراً لهذه الحوادث لا يفهم شيئاً عن مغزى هذا الاجتماع ومعناه ويظن أنه حفلة شاي عادية اقتصرت على « تقديم الحلوى والشاي وأطيب المآكل » دون أن يستوقف نظره أو يستخلص منه أية حقيقة تاريخية

## رحيل السير ونجحت عن مصر

٢١ يناير سنة ١٩١٩

تفاقت السياسية في مصر ، واشتد هياج الخوطين بسبب إجراءات العسف التي اتبعتها السلطة العسكرية حيال الأمة ومنع الوفد من السفر ، وزاد الحالة تفاقمًا استقالة حسين رشدي باشا تضامناً مع الوفد ، وسيرد الكلام عنها فيما يلي ، فرأت الحكومة البريطانية استدعاء السير ونجحت المندوب السامي إلى لندن لتقف منه على الحالة تفصيلاً تمهيداً لوضع الخطة التي تراها ناجحة ، وكان استدعاؤه على عجل ، فكان ذلك دليلاً على تردد الحكومة الإنجليزية في أية سياسة تتبعها ، وقد غادر القاهرة مساء ٢٠ يناير ، واستقل الباخرة من بور سعيد يوم ٢١ منه ، قاصداً لندن ، وناب عنه في غيبته السير ملن شيتهم شغل الأذهان أمر هذا السفر المفاجيء ، فصار حديث الناس في مجتمعاتهم ، وزادهم اهتماماً بمصير البلاد ، وبما يجب أن تتحذه الأمة من الوسائل لتحقيق آمالها بإزاء مناورات السياسة البريطانية

## اشتداد الحركة

بعد رحيل السير ونجحت

زادت الخواطر هياجاً ، واستمرت الحركة في اتساع بعد رحيل السير ونجحت ، واستمر الوفد في دعوته ، فاعتزم عقد اجتماع عام آخر في بيت الأمة حدده يوم ٣١ يناير سنة ١٩١٩ ، لكي يوضح خطته التي ينوي اتباعها ، ولكن السلطة العسكرية لم تنظر إلى هذا الاجتماع بعين الرضا ، فقررت منعه ، وأرسل الميجر جنرال وطسن Major General Watson قائداً

القوات البريطانية في مصر بالنيابة إلى سعد باشا خطاباً يوم ٢٧ يناير ، قال فيه :

« علمتُ أن سعادتكم تعدون اجتماعاً في منزلكم بمصر في ٣١ الجاري يحضره نحو  
الستائة أو السبعائة شخص ، وأنى أرى أن مثل هذا الاجتماع قد يحدث منه إقلاق للأمن ،  
فيناء على هذا الإعلان الصادر تحت الأحكام العرفية المعلنة بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ ،  
أرجو أن تتكروا بالعدول عن إقامة هذا الاجتماع »

فما وصل هذا الخطاب إلى سعد باشا أرسل إلى الميجر جنرال وطسن خطاباً يسأله فيه  
إن كان لديه مانع من إرسال إخطار لمن وجهت إليهم الدعوة بأن الاجتماع منع بناء على أمر  
السلطة العسكرية ، فجاءه الرد بأن لا مانع من ذلك ، وأرسل سعد إلى المدعويين ينبئهم بأن  
السلطة العسكرية منعت إقامة الاجتماع ، وأخذ الوفد من هذا الرد حجة رسمية على السلطة  
العسكرية ، وأرسل برقية احتجاج على هذا المنع إلى المستر لويد جورج رئيس الوزارة  
البريطانية وإلى الرئيس ولسن

ثم أرسل برقية أخرى إلى المسيو جورج كليمنسو رئيس مؤتمر الصلح بضرورة عرض  
قضية مصر على المؤتمر

### خطبة سعد باشا

في دار جمعية الاقتصاد والتشريع — ٧ فبراير سنة ١٩١٩

أعدت الجمعية السلطانية (الملكية فيما بعد) للاقتصاد والإحصاء والتشريع اجتماعاً  
في دارها يوم ٧ فبراير سنة ١٩١٩ لسماع المحاضرة الثانية للمستر برسيغال المستشار بمحكمة  
الاستئناف الأهلية عن مشروع قانون العقوبات الذي وضعته لجنة الامتيازات المتقدم  
ذكرها (ص ٧١) ، وكان قد ألقى محاضرتة الأولى عن هذا المشروع يوم ١٧ يناير ، وكان  
معروفاً أن المحاضرة ستتناول التشريع الجديد المنسجم مع الحماية البريطانية ، فاعتزم سعد باشا  
الخطابة في هذا الاجتماع عقب انتهاء المستر برسيغال من محاضرتة ، لكي يرفع صوته ببطلان

الحماية ، فحضر الاجتماع يصحبه أعضاء الوفد وكثير من أنصاره ، وغصت القاعة بجمع حاشد من المستمعين ، وكلهم من رجال القانون والقضاء والمحاماة ، وعلية القوم والطبقة المثقفة ، وكان من بين الحاضرين عبد الخالق ثروت باشا وزير الحقانية ، ومحمد شكري باشا وكيلها ، والمستر ايموس مستشارها بالنيابة

وما إن انتهى المستر برسيغال من إلقاء محاضرتة ، وكان يلقيها بالفرنسية ، حتى وقف سعد باشا ، واعتلى منبر الخطابة ، وقال : ان لديه ملحوظات يريد إبداءها ، وبما ان المحاضر يفهم العربية فإنه سيلقى ملاحظاته باللغة العربية ، وألقى الخطبة الآتية :

« أيها السادة . إني أشكر حضرة المحاضر على ما قاله من أنه يريد أن يكون لمصر في المستقبل شرع خاص ، ولكنني أقول لحضرتة إن هذا الشرع موجود فعلا منذ أمد بعيد ، إن أمتنا المصرية ليست من قبيل الأقاليم الهمج الذين ليست لهم شرائع مقرررة ، وإنما بلد كبلدنا تكون له حياة عريقة في القوانين والشرائع فإن من الخطر أن يعتمد إلى تغيير كلي في شرعه بدون أن تدعو الضرورة لذلك أو تهدي إليه التجربة والاختبار

« إن قانون العقوبات المصري المأخوذ عن القانون الفرنسي جرى عليه العمل منذ زمن طويل ، فهو جزء من محصولنا القانوني تشربته أفئدة قضاتنا ومحامينا وسرى في أخلاق الأمة سير الدم في الجسد ، قد يكون في المشروع الذي تكلم عنه حضرة المحاضر بعض نصوص صالحة في ذاتها ، ولكنني لا أرى محلا لقلب التشريع الموجود الآن رأساً على عقب ، من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى الأرض ، إن في ذلك ضرراً عظيماً بما ألفه الناس في هذه البلاد من المعلومات القانونية ، ولكن يظهر أن المراد هو التخلص من النظريات والتقاليد المؤسسة عليها هذه المعلومات

« لأجل وضع نصوص قانونية مكان أخرى موجودة من قبل ، ينبغي أولاً أن تكون هذه الجديدة متفقة مع أخلاق البلاد وعاداتها وألوقاتها العلمية ، ثانياً أن تقوم الأدلة على ضرورة وضعها بالإحصائيات وقضاء المحاكم وآراء أهل الفن ، لست أنكر الفائدة من مناقشة مشروع جديد بهذه الجمعية ، ولكنني ألاحظ أن موضوع المناقشة الآن ليس مجرد مذهب

على في مسألة بعينها ، وإنما هو أعظم من ذلك بكثير ، هو أمر يمس حالتنا السياسية والاجتماعية مما لا يصح أن يتخذ هذا المنبر أداة له  
« أستميحكم القول بأنى أخشى كثيراً أن يكون في بحث هذا الموضوع في هذه الجمعية العلمية خروج بها عما وضعت له ، وأن يتخذ ذلك وسيلة للقول برضاء الأمة بهذا التقنين ، وأن يستغنى به عن مناقشات الجمعية التشريعية التي هي الأداة التشريعية النظامية في البلاد

« أشار حضرة المحاضر إلى أنه تحول على الجمعية التشريعية مشروع يتضمن تعديلا في نصوص القانون الخاصة بالضربات والجروح ولم تفعل فيه شيئا ، نعم إن هذا المشروع تحول على لجنة الحقانية التي أنا رئيسها ، فرأت أنه يلزمها للاقتناع بضرورة التعديلات المعروضة بيانات وإحصاءات طلبت من وزارة الحقانية تقديمها إليها وكررت هذا الطلب عدة مرات حتى انتهى دور انعقاد الجمعية ، ولم ترد هذه البيانات

« رأيت أنه من واجبي أن أبدى لحضراتكم ما قدمت من الملاحظات ، ولكن هناك أمر آخر هو أهم ما يجب التنبيه إليه ، قد تكلم حضرة المحاضر عن الباب الثاني من المشروع ، وفي هذا الباب ما يتعلق بحالة سياسية لا وجود لها الآن بمصر ، إن بلادنا لها استقلال ذاتي ضمنته معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ . واعترفت به جميع المعاهدات الدولية الأخرى ، : وعبثا يحاولون الاعتماد على ما حصل من تغيير هذا النظام السياسي أثناء الحرب إنكم أيها السيادة تعلمون وكل علماء القانون الدولي يقررون أن الحماية لا تنتج إلا من عقد بين أمتين ، تطلب إحداها أن تكون تحت رعاية الأخرى ، وتقبل الأخرى تحمل أعباء هذه الحماية ، فهي نتيجة عقد ذي طرفين موجب وقابل ، ولم يحصل من مصر ولن يحصل منها أصلا

« في سنة ١٩١٤ أعلنت إنجلترا حمايتها من تلقاء نفسها بدون أن تطلبها أو تقبلها الأمة المصرية ، فهي حماية باطلة لا وجود لها قانوناً ، بل هي ضرورة من ضرورات الحرب تنتهي بنهايتها ، ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة »

ولم يكده ينتهى سعد من خطبته ويختتمها ببطلان الحماية ، حتى فعلت هذه الكلمة فعل  
السحر فى النفوس ، فدوى المكان بالتصفيق الحاد ، وكان الحاضرين جاءوا لسماع سعد فى  
التدليل على بطلان الحماية ، لا لسماع محاضرة المستر برسيفال فى مشروع قانون العقوبات  
كانت هذه الخطبة نداء قويا ببطلان الحماية فى محفل مهيب يضم كثيراً من الشخصيات  
المصرية والأجنبية والبريطانية ، فكان لها دوى كبير ، وتردد صداها فى المجتمعات والمحافل ،  
للظروف والملابسات التى أقيمت فيها ، وقوبلت بالاستحسان والابتهاج ، وهى وإن لم تنشر  
فى الصحف التى كانت ما تزال تحت الرقابة إلا أنها ذاعت وتناقلها الجمهور وصارت حديث  
الناس فى مجالسهم <sup>(١)</sup> ، واغتنب لها الرأى العام اغتباطاً عظيماً ، إذ كانت تعبيراً صادقاً قويا  
لميوله وشعوره ضد الحماية ، كما كان لها صدى تبرىم واستياء فى الأوساط الإنجليزية ، فلقد  
كانت صدمة قوية لمشروعات السير ويليم برونيت وللحماية فى ذاتها ، وكانت هذه الخطبة  
من العوامل الفعالة فى إذكاء الحماسة فى النفوس

## استقالة وزارة رشدى باشا

### وأثرها فى تطور الحوادث

قلنا إن حركة الوفد لقيت تأييداً من حسين رشدى باشا رئيس الوزارة ، وإن تأليف  
الوفد كان بتشجيعه وتعضيده ، وقد كانت خطوات الوفد تسير باتفاقه معه ، وتفاهمه وإياه ،  
وكان ذهاب سعد وصاحبيه إلى دار الحماية لمقابلة السير ونجت يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨  
باتفاقهم مع رشدى ووساطته ، وبما يدل على تمام الاتفاق بينهما فى العمل أن رشدى باشا  
رفع فى هذا اليوم ذاته ( ١٣ نوفمبر ) تقريراً إلى السلطان فؤاد يعرض عليه أن يعهد إليه ،

(١) من طريف ما يذكر عن أسلوب الصحف فى روايتها للحوادث الهامة أن جريدة « وادى النيل » ،  
وكانت تصدر فى الإسكندرية ، أشارت إلى هذه الخطبة بقولها تحت عنوان ( فى جمعية الاقتصاد والتشريع )  
ما يأتى : « ألقى المستر برسيفان المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية بعد ظهر الجمعة الماضية بقية محاضراته  
الخاصة بالتشريع المصرى الجديد فى جمعية الاقتصاد والتشريع ، وبعد ان انتهى من إلقائه وقف أحد السامعين  
ويسط بعض ملاحظات ثم انفض الاجتماع » ، ولم ترد على ذلك !

وإلى زميله عدلى يكن باشا بالسفر إلى لندن للتحديث إلى الحكومة البريطانية في شأن مستقبل مصر السياسي ، قال في هذا التقرير :

« حضرة صاحب العظمة السلطانية

« إن الحوادث تتوالى بسرعة ، وقد أوشكت مفاوضات الصلح أن تبتدى ، وعمما قريب يُشرع في تسوية جميع المسائل التي نشأت عن الحرب ، وانه لمن الأهمية بالمكانة العظمى أن تعرض بطريق مباشر على حكومة صاحب الجلالة البريطانية رغائب حكومتكم فيما يختص بمستقبل مصر السياسي ، ولهذا أعرض على عظمتكم أن تعهدوا إلى وإلى زميلي عدلى باشا في القيام بهذه الأمور ، وفي أثناء غيابنا ، ينوب عنى سرى باشا في رئاسة مجلس الوزراء ، وثروت باشا في وزارة الداخلية ، وينوب زيور باشا عن عدلى باشا في وزارة المعارف »

وفد وافق السلطان على هذا التقرير وعهد إلى رشدى وعدلى بالقيام بهذه المهمة ، وفي ذات اليوم قابل رشدى باشا السير ونجت وأفضى إليه بهذه الفكرة وطلب الترخيص أيضاً للوفد بالسفر إلى لندن ، وانهت المقابلة بعرض الأمر على الحكومة البريطانية ، وقد كان يرى الترخيص لرشدى وعدلى بالسفر ، ثم جاء رد الحكومة البريطانية بأن لا محل للتخخيص لسعد وصحبه بالحيء إلى لندن ، وأما زيارة رشدى وعدلى فليس الوقت مناسباً لها الآن بحجة أن وزير الخارجية البريطانية ( المستر بالفور ) مشغول بمفاوضات الصلح ، وأنه سيغيب هو وبعض زملائه عن لندن ويقصدون باريس لتقرب انعقاد مؤتمر الصلح بها ، وطلب من الوزيرين تأجيل زيارتهما

رأى رشدى باشا في هذا الجواب رفضاً لطلبه ، فقدم استقالته في ٢ ديسمبر إلى السلطان وبنها على هذا الرفض وملاساته ، قال :

« عندما أخذت على عاتقى أمام ضميرى وأمام وطنى وأمام التاريخ مسئولية منصبى في عهد النظام الجديد ، قد عاهدت نفسى عهداً أساسياً أن أطلب من الحكومة الإنجليزية عند الشروع في مفاوضات الصلح أكثر ما يمكن من الحرية لمصر ، والآن وقد أوشكت



هذه المفاوضات أن تبتدى طلبت من الحكومة الإنجليزية بعد تصديق عظمتكم أن تسمع أقوالى ، فكان جوابها بمثابة التسوية إلى ما بعد الصلح ، على أننى بالعكس أرى أن الوقت الحاضر هو الذى ينبغى فيه غرض ما لمصر من الأمانى القومية وتأييده

### فلهذه الأسباب

« أشرف بتقديم استعفى بين يدي عظمتكم من رئاسة مجلس الوزراء ووزارة الداخلية ، وان زميلى عدلى يكن باشا الذى عينتموه لمرافقتى فى مهمتى يتمسك بمشاركتى فى هذا الأمر فهو يقدم شخصياً استعفاءه من وزارة المعارف العمومية »

ولكن السلطان فؤاد لم يقبل هذه الاستقالة ، وطلب إلى رشدى باشا التريث فى الأمر ، وتدخل السير ونجت وأشار على السلطان بالآ يقبلها إلا بعد مراجعة الحكومة البريطانية ، لعلها تقبل ما عرضه رشدى باشا ، فانتظر رشدى حتى ورد الجواب من لندن ، فإذا به يؤيد جوابها الأول فى التسوية والتأجيل

فأصر رشدى باشا على الاستقالة ، وكتب فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٨ إلى السلطان خطاباً ضمنه تقريره واستقالته الأولى التى لم تقبل ثم شفعه بقوله :

« ولكن رُفِعَ الرجاء إلى عظمتكم ألا تقبلوا هذه الاستقالة إلا بعد مراجعة لندره فلم يكن جوابها الجديد إلا مؤيداً للجواب الأول ، لهذا أصررت على الاستقالة ، ومن ذلك الحين لم ترد تبليغات رسمية ، ولكن حدثت مساع ومخابرات أخرى بغير هذه الصفة لم توصل إلى نتيجة ما ، فى هذه الأثناء تألفت وفود من أعضاء الهيئات النيابية فى البلاد ، وطلبوا أن يسمح لهم بالسفر إلى لندره للدفاع عن مصلحة مصر ، فنصحت أن يؤذن لهم فى ذلك وأن تسمع أقوالهم ، فلم يُصغَ لنصحى ، ولم يكتفوا بذلك ، بل أبوا على أنا نفسى أن تسمع أقوالى فيما عساه أن يكون نظام الحماية ، لهذا التصرف ستحرم مصر دون غيرها من الأمم من أن يُسمع صوتها فى الوقت الذى يبت فيه فى مصيرها

« فبناء على هذه الاعتبارات يلزمني أن أعود فألح لدى عظمتكم مع الاحترام بقبول

استغفاني »

وقد سعى الإنجليز من جديد لمحل رشدي باشا على سحب استقالته ، فألح عليه المستر هينز المستشار البريطاني لوزارة الداخلية في ذلك ، ولكنه أصر على الاستقالة ، فكان إصراره تأييداً للحركة الوطنية أ كسبها قوة وحماسة ، إذ كان وقوف الحكومة إلى جانبها مكسباً كبيراً لها ، وكانت الاستقالة في ذاتها إبرازاً لاعتساف السياسة البريطانية بإزاء مصر ، مما زاد في السخط عليها ، ودفع هذا السخط الناس إلى حالة من اليأس تقرب من الانفجار وظهر إصرار رشدي باشا على استقالته من الكتاب الذي أرسله إلى السلطان بتاريخ ٣٠ ديسمبر يستعجل فيه قبولها ، قال :

« يا صاحب العظمة السلطانية ، إن التأجيل في قبول استغفاني قد يكون من عواقبه تحميلي المسؤولية التي أردت والتي أريد قطعياً اجتنابها ، وهي مسؤولية قيامي بمنصب الوزير الأول لمصر وعدم اهتمامي مع ذلك بمصيرها في الوقت الذي سيحصل فيه البت في أمرها نهائياً ، فأتوسل إلى عظمتكم بقبول ذلك الاستعفاء بدون إرجاء ، ولكي لا أجعل سييلاً إلى تجديد التسوية أجاهر أنه قطعي لا رجوع فيه ، فلم يعد محل للمفاوضات فيما يتعلق به ولم يبق سوى الاشتغال بتأليف وزارة جديدة ، وإني لعظمتكم يا مولاي الخ »

وقد بقيت الاستقالة معلقة ، لم تقبل ، ولم ترفض ، والمساءعي تُبذل من جديد لمحل رشدي باشا على سحبها ، وهو مصرٌّ عليها ، حتى أزمع السير ونجت السفر إلى لندن تلبية لاستدعاء الحكومة البريطانية إياه ، فوعد رشدي باشا بأنه عندما يصل إلى لندن يبذل جهده في إقناع الحكومة البريطانية لترخص له ولزميله عدلي باشا بالسفر إلى إنجلترا ، وطلب إليه سحب استقالته إذا قبلت الحكومة البريطانية ذلك ، فاشترط رشدي باشا لسحب استقالته أن يسمح أيضاً لمن يشاء من المصريين بالسفر إلى أوروبا ، وأن يصل جواب الحكومة البريطانية تفرافياً في المدة المناسبة بعد وصول المندوب السامي إلى إنجلترا ، ولكن مضت

المدة الكافية لوصول الجواب ولم يصل ، فجدد رشدي باشا استغفاه في خطاب رفعه إلى السلطان بتاريخ ١٠ فبراير سنة ١٩١٩ ، قال :

« يا صاحب العظمة السلطانية — على أثر كتابي المرفوع إلى سدتكم العلية بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٨ الذي ألححت فيه ذلك الإلحاح على عظمتكم بقبول استغفائي قد كنت رضيت من باب التوفيق بالاتفاق الآتي بيانه : وهو أن صاحب المقام الجليل المندوب السامي ينتهز فرصة سفره إلى لندره فيشرح شفهيًا للحكومة البريطانية أنني بعد وصول الحالة إلى الحد الذي بلغته أصبحت لا أكتفي بما عرض عليّ وقتئذ من سفرى أنا وزميلي عدلى باشا إلى لوندره في النصف الأول من فبراير وأننى أشترط لسحب استغفائي شرطًا أساسيًا وهو إباحة السفر إلى أوروبا لمن يطلب من المصريين ، وكان من ضمن ذلك الاتفاق ورود جواب الحكومة البريطانية بالتلغراف في بحر مدة مناسبة من وصول المندوب السامي إلى إنجلترا ، وأنه إذا كان هذا الجواب سلبياً فإن عظمتكم تقبلون استغفائي فوراً ، وأننى في أثناء هذه الفترة أباشر بصفة وقتية محضه تسيير الأمور المستعجلة الأمر الذى دعانى للتوقيع على مرسوم تجديد المحاكم المختلطة منعاً لوقوف سير القضاء ، على أنه قد مضى عشرة أيام على الأقل بعد الوقت الذى لا بد أن يكون المندوب السامي وصل فيه إلى لوندره ومع ذلك فلم يصلنى جواب ما

« يستحيل عليّ أن أقبل أى تأخير جديد ، واننى أعتبر فى حل من القيام ولو مؤقتاً بأى عمل ، حتى ولو كان مستعجلاً ، فأعود إلى التمسك بكتابتى المشار إليه المؤرخ فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٨ ، وألتمس من عظمتكم بكل إلحاح إنهاء حالة شاذة قد زاد طول العهد عليها »

### قبول استقالة الوزارة

أول مارس سنة ١٩١٩

قبلت الحكومة البريطانية حضور رشدي باشا وعدلى باشا وحدهما ، ودُعيا فعلا إلى السفر إلى لندن فى أواسط شهر فبراير ، فأبيا إلا إذا سمح لمن يطلب من المصريين بالسفر

إلى أوروبا ، ولكن الحكومة البريطانية لم تقبل هذا الشرط ، وكانت استقالة الوزارة لم تزل معلقة ، فأصرَّ رشدي على موقفه ، فقبل السلطان استقالته وأرسل إليه خطابا ينبئه بذلك ، قال :

« عزيزي رشدي باشا . إن استقالة دولتكم التي رفعتوها إلينا كانت من أشد بواعث الأسف لدينا ، فمع الشكر لدولتكم وللحضرات زملائكم على ما قتم به من الخدمات الصادقة أرجو الاستمرار في إدارة الأعمال إلى أن يتم تأليف الوزارة الجديدة والله المستعان — أول مارس سنة ١٩١٩ »

## الفصل الرابع

### مقدمات الثورة

استهلّ شهر مارس سنة ١٩١٩ والأفق السياسي ينذر بهبوب العاصفة ، فقد كانت حالة الأفكار في هياج ، وبوادر الأحوال تدل على إصرار الحكومة البريطانية على تثبيت حمايتها التي فرضتها على البلاد ، والخيولة دون حق الشعب في تقرير مصيره ، وتحقيق استقلاله ، وكان الرأي العام على استئناس من بقاء وزارة رشدي باشا في الحكم ، لأنها أظهرت رأيها في مشاركة الشعب شعوره ، وتمكينه من رفع صوته في مؤتمر الصلح ، وكان برنامجها في ذلك واضحاً صريحاً ، وما دامت باقية في الحكم فإن الشعب لم يفقد الأمل في أن يتمكن من رفع صوته في المؤتمر ، ولذلك كان الرأي العام على اطمئنان أن تنجح المساعي في تمثيل مصر في المؤتمر ما بقيت وزارة رشدي ولم يقبل السلطان استقالتها ، لأن عدم قبول استقالتها معناه إمكان تنفيذ وجهة نظرها من هذه الناحية ، ومعناه أيضاً أن السلطان متفق مع الوزارة في سياستها

فلما قبل السلطان استقالتها ، وبدا من كتاب القبول أن في الأفق وزارة جديدة ستؤلف ، وأن المطلوب من رشدي باشا الاستمرار في إدارة الأعمال « إلى أن يتم تأليف الوزارة الجديدة » ، أدرك الرأي العام أن تأليف هذه الوزارة الجديدة سيكون طبعاً على أساس تثبيت الحماية ، وعدم تمثيل مصر في مؤتمر الصلح ، لأنه إذا كان برنامجها هو برنامج رشدي باشا فلم يكن هناك موجب لقبول استقالته ، فقبولها معناه أن « السراي » اعترفت الانفصال عن الأمة في هذه المسألة الحيوية ، وأن الوزارة الجديدة ستصطدم مع آماني الشعب لا محالة

وكان الظن أن السلطان يصر على عدم قبول استقالة رشدي باشا ، لأن إصراره هذا يسند رشدي في طلباته من الإنجليز ، وقد ساعد على هذا الظن أنه أقر رشدي على تقريره

الذى رفعه اليه في نوفمبر ، وعهد اليه وإلى زميله عدلى باشا بالسفر إلى لندن للتحدث إلى الحكومة البريطانية في مستقبل مصر السياسى ، ولذلك لم يقبل استقالته منذ رفعها إليه في ديسمبر ، وأصر على عدم قبولها المرة بعد المرة ، كما همّ رشدى باستعجال قبولها ، وهذا معناه أنه مؤيد له في موقفه حيال الإنجليز ، فلما انتهى الأمر بقبول استقالته في أول مارس كان ذلك إيذانا ببدء مرحلة جديدة من الكفاح يتغير فيها موقف السلطان ، ويدعن فيها للتدخل البريطانى ، فينقطع التضامن بينه وبين الشعب بإزاء السياسة البريطانية ، فقبول استقالة رشدى باشا كان نقطة التحول في سياسة السراى

ولقد كان الوفد أول من شعر بالخطر من هذا التحول ، لأنه في كل خطواته ، منذ التفكير في تأليفه إلى أن تخرجت الحال بقبول استقالة الوزارة ، كان يسير مطمئنا إلى معاونة رشدى باشا وتأيبده له ، وتفاهمه وإياه ، وكان لكل هذه العوامل أثرها الكبير في نجاح الوفد ، فلا غرو أن أوجس خيفة من إقصاء رشدى عن رئاسة الوزارة ، واحتمال تأليف وزارة جديدة تفن منه موقف التحدى والمناوأة ، ولا يجد منها المعاونة التى وجدها من رشدى باشا

### كتاب الوفد إلى السلطان

٢ مارس سنة ١٩١٩

وقد بدا هذا الشعور جليا في الكتاب الذى رفعه الوفد إلى السلطان على أثر قبول استقالة رشدى باشا ، فإنه احتوى على عتب شديد ، بل على اعتراض قوى على قبول استقالة الوزارة ، وعدّ الوفد هذا القبول معاونة للسياسة البريطانية في إذلال الشعب ، كما جاء الكتاب في ذاته مسعى جديا في الحيولة دون تأليف وزارة جديدة تخلف وزارة رشدى ، وهذا نصه :

« يا صاحب العظمة

« يتشرف الموقعون على هذا أعضاء الوفد المصرى أن يرفعوا إلى مقام عظمتكم بالنيابة عن الأمة ما يلى :

« لما اتفق المتحاربون على أن يجعلوا مبادئ الحرية والعدل أساسا للصلح ، وأعلنوا أن الشعوب التى غيرت الحرب مركزها يؤخذ رأيها في حكم نفسها ، أخذنا على عاتقنا السعى

في استقلال بلادنا والدفاع عن قضيتها أمام مؤتمر السلام مادام أن حق الأقوى قد زال من ميدان السياسة وما دامت بلادنا قد أصبحت بزوال السيادة التركية حرة من كل حق عليها لأن الحماية التي أعلنها الإنجليز بلا اتفاق بينهم وبين الأمة المصرية باطلة ، ولم تكن في الواقع إلا ضرورة حرية نزول بزوال الحرب

« اعتماداً على هذه الظروف وعلى أن مصر غرمت كل ما قدرت عليه من المغارم في صف القائمين بحماية حرية الأمم الصغرى لا يكون لدى مؤتمر السلام ما يمنع من الاعتراف بحريتنا السياسية جرياً على المبادئ التي أسس عليها

« عرضنا رغبتنا في السفر على كبير وزرائكم صاحب الدولة حسين رشدي باشا ، فوعد بمساعدتنا على السفر وثوقاً منه أننا إنما نعبر عن رأى الأمة كافة ، فلما لم يسمح لنا بالسفر وحسبنا داخل حدود بلادنا ، بقوة الاستبداد لا بقوة القانون ، وحيل بيننا وبين الدفاع عن قضية هذه الأمة الأسيفة ، ولما لم يستطع دولته أن يحتمل مسئولية البقاء في منصبه في حين أن الشعب يصادر في مشيئته ، استقال هو وزميله صاحب المعالي عدلى يكن باشا استقالة نهائية قوبلت من الشعب بتكريم شخصيهما والاعتراف بصدق وطنيتهما

« ولقد كان الناس يظنون أنه كان لهما في وقفتهما الشريفة دفاعاً عن الحرية عضد قوى من نفحات عظمتكم ، لذلك لم يكن ليتوقع أحد في مصر أن يكون آخر حل لمسألة سفر الوفد قبول استقالة الوزيرين ، لأن في ذلك متابعة للطامعين في إذلالنا ، وتمكيننا للعقبة التي أقيت في سبيل الإدلاء بحجة الأمة إلى المؤتمر ، وإيداناً بالرضى بحكم الأجنبي علينا إلى الأبد

« قد نعلم أن عظمتكم ربما كنتم مضطرين لاعتبارات عائلية أن تقبلوا عرش أبيكم العظيم الذي خلا بانتقال أخيك المغفور له السلطان حسين ، ولكن الأمة من جهة أخرى كانت تعتقد أن قبولكم لهذا العرش في زمن الحماية الوقتية الباطلة رعاية لتلك الظروف العائلية ليس من شأنه أن يصرفكم عن العمل لاستقلال بلادكم ، غير أن حل المسألة بقبول استقالة الوزيرين اللذين أظهرنا احترامهما لإرادة الأمة لا يمكن أن يتفق مع ما جبلتم عليه من حب الخير لبلادكم ، والاعتداد بمشيئة شعبكم ، لذلك عجب الناس من مستشاريكم كيف

أنهم لم يلتفتوا إلى أن الأمة في هذا الظرف العصيب إنما تطلب منكم - يا أرشد أبناء محررها الكبير محمد علي - أن تكونوا لها العون الأول على نيل استقلالها ، مهما كلفكم ذلك ، فإن همتكم أرفع من أن تحددها الظروف ، كيف فات مستشاريكم أن عبارة استقالة رشدي باشا لا تسمح لرجل مصري ذى كرامة ووطنية أن يخلفه في مركزه ؟! كيف فاتهم أن وزارة تؤلف على برنامج مضاد لمشيئة الشعب مقضى عليها بالفشل ؟!

« عفواً يا مولانا ، قد تكون مداخلتنا في هذا الأمر وفي غير هذا الظرف غير لائقة ، ولكن الأمر قد جلّ الآن عن أن يراعى فيه أى اعتبار غير منفعة الوطن الذى أنت خادمه الأمين

» إن لمولانا أكبر مقام في البلاد ، فعليه أكبر مسئولية عنها ، وفيه أكبر رجاء لها ، واننا لا نكذبه النصيحة إذا تضرعنا إليه أن يتعرف رأى أمته قبل أن يتخذ قراراً نهائياً في أمر الأزمة الحالية ، فإننا نؤكد لسدته العلية أنه لم يبق أحد في رعاياها من أقصى البلاد إلى أقصاها إلا وهو يطلب الاستقلال ، فالحيولة بين الأمة وبين طلبتها مسئولية لم يتحرر مستشارو مولانا أمرها بالدقة الواجبة ، لذلك دفعنا واجب خدمة بلادنا واخلصنا لمولانا أن نرفع لسدته شعور أمته التى هى الآن أشد ما تكون رجاء في استقلالها وأخوف ما تكون من أن تلعب به أيدي حزب الاستعمار ، والتي تطلب إليه بحمقها عليه أن يفضب لغضبها ، ويقف في صفها ، فتنال بذلك غرضها ، وانه على ذلك قدير

« وإننا نتشرف بأن ترفع عبارات الإخلاص إلى مقام عظمتكم الكريم

« توقيعات أعضاء الوفد »

« ١٩١٩/٣/٢ »

وغنى عن البيان أن الوفد لم يتلق من السراى رداً على كتابه ، ولم يكن له أى تأثير في موقف السلطان ، بل مضى في سبيل تأليف وزارة جديدة تجعل خطتها مسيرة السياسة البريطانية



## احتجاج الوفد لدى معتمدى الدول

وأرسل الوفد في يوم ٤ مارس إلى معتمدى الدول الأجنبية في مصر احتجاجاً قويا على السياسة الإنجليزية في قطعها الطريق على الأمة إلى المؤتمر ، وأشهدهم على المعاملة الجائرة التي تعامل بها مصر ، ومبلغ الظلم الذى يصيبها من المطامع الاستعمارية ، ولم يفته في احتجاجه أن يلمح إلى ملاسبات قبول استقالة الوزارة ، وسعى السياسة البريطانية في تأليف وزارة جديدة تعارض الأهداف القومية ، قال :

« جناب المعتمد

« قُضى الأمر ، وبلغ العسف غايته ، لم ينفع مصر أن كانت مشرقاً لأقدم أشعة المدينة في العالم ، ولا أنها زينت صحف التاريخ بآثار مجدها الخالد ، لم ينفعها أن نالت حريتها من قبل بسفك دماء أبنائها ، ولا أنها ما زالت دائبة يوماً بعد يوم من عهد محمد على الكبير إلى الآن على أن تستعيد المركز الذى لها حق الوجود فيه بين الأمم ، لم ينفعها تقديمها لقضية الحلفاء أثناء الاقتتال أفيد أنواع المعونة تأثيراً ، وقيامها بذلك في نفس الساعة التى افتتحت بريطانيا العظمى فيها الحرب بأشد ضروب التصرفات السياسية ظلماً ، وهو إعلانها الحماية ، لم ينفعها ما لها من وحدة العنصر ونبوغ الطبقة الراقية فيها ، وما عليه أهلها من الشغف بالنظام وتعشق الحرية ، والتسامح العظيم ، تلك الخصائص التى تجعلها جديرة بالاستقلال

« إذن فكل شئ يجب أن يتوارى أمام مطامع الاستعمار بين اللامتناهية !

« إن المصريين دون جميع الأمم التى غيرت الحرب مركزها السياسى هم وحدهم الذين بطشت بهم يد القوة ، فخرمتهم حتى من حقهم فى إسماع صوتهم لمؤتمر السلام ، ظلم صارخ يزيد فى إيلامه للأفئس ما يصلنا كل يوم من الأنباء عن المطالب القومية التى يعرضها للمؤتمر نواب الحجاز وأرمينيا وفلسطين وسوريا ولبنان ، تلك البلاد التى كانت للأمس إيلات تركية

« ها نحن أولاء محكوم علينا بالبيكم ، نغلك فيه شكيمة الفيظ ، وبالحرزن المبرح ،  
نلبس ثيابه حدادا على حريقنا المسلوبة

« إن الدولة التي تسومنا الخسف ، ما لبثت أن قررت نهائيا قطع الطريق علينا إلى  
المؤتمر ، ساخرة بوعودها ، كأنها لم تكن تقصد بهذه الوعود سوى أن تفوت على الأمة  
فرصة نفيسة ، وأن تعي همم بنينا

« إن الوزارة التي اندفعت بوطنيتها إلى انتهاج ما يوافق القضية المصرية اضطرت  
للاستقالة لأنها لم تستطع المتابعة على مثل هذا الانتهاك اللاحق بأقدس حقوقنا ، ونحن  
نعتمد أنه لا يوجد مصرى واحد جذير بأن يدعى مصريا يستطيع أن يؤلف وزارة يكون  
مضروبا عليها حتما أن تسير على برنامج يرمى إلى خنق البلد والقضاء على البقية الباقية لها  
من الحقوق

« أبلغنا جنابكم من قبل أماني البلاد ومطالبها ، فمن الفضلة تكرير بيانها الآن ، وغير  
خاف على جنابكم أيضا جميع أساليب الدهاء المستعملة لابتلاع البلد بالمرّة تحت ستار  
ما يسمونه إصلاحات سياسية وقضائية وإدارية ، والذي نقصد الآن إنما هو أن نشهدكم على  
المعاملة الجائرة التي تُرزأ بها مصر لكي تقولوا لحكومتم أنه على الرغم من العهود التي  
التزمت بها انجلترا على رؤوس الأشهاد ، وعلى الرغم من المبادئ التي أقرها الحلفاء بالإجماع ،  
لا زال في العالم أمة تتحكم فيها القوة الغاشمة لخدمة مصالح لا اتفاق لها مع دواعي المدنية وهي  
أقل اتفاقا مع دواعي العدل والإنصاف »

وإذ كانت الصحف تحت الرقابة لقيام الأحكام العرفية ، وكان محظورا عليها نشر مثل  
هذه الرسائل ، فقد أذاع الوفد كتابه إلى السلطان واحتجاجه لدى معتمدي الدول في  
نشرات خاصة طبعها ووزعها على الجمهور في القاهرة والأقاليم ، وتناقلها الناس في كل مكان ،  
فأثارت حماسهم ، وتوالت الوفود على بيت الأمة ، ودارى الوزيرين المستقيلين ، تعلن  
تأييدها للوفد والوزيرين ، وتوالت الاحتجاجات إلى معتمدى الدول من الهيئات والطوائف

المختلفة ، وحمل البرق إلى مؤتمر الصلح رسائل الاحتجاج من مختلف هذه النواحي

### إنذار السلطة العسكرية

لأعضاء الوفد — ٦ مارس سنة ١٩١٩

رأت السلطة البريطانية في احتجاجات الوفد المتوالية لدى معتمدى الدول تحديا لها ، وتشهيراً بها وبتصرفاتها ، وكشفاً لسوء نيتها لدى الدوائر الأوروبية ، كما رأت في كتابه إلى السلطان فؤاد ، ونشر هذا الكتاب مع احتجاجاته لدى معتمدى الدول ، إثارة للخواطر ، وتحريضاً على المقاومة ، وتعطيلاً لتأليف وزارة تسير السياسة البريطانية ، وكان المستر ملن شيتهايم قائماً بأعمال المتمد البريطاني في غيبة السير ونجت ، فتشاور مع المستشارين البريطانيين في الوزارات ، واتفقوا رأياً على أن يشيروا على حكومتهم بأخذ الأمور بالشدّة ، قبل أن يستفحل شأن الحركة ، فوافقتهم على رأيهم ، وعهدت إلى السلطة العسكرية إنفاذ هذه السياسة ، وكان ظنها أن سياسة التهديد والعنف كفيلة بالقضاء على الحركة في مهدها

ففي يوم الخميس ٦ مارس سنة ١٩١٩ استدعى الميجر جنرال وطنن قائد القوات البريطانية في مصر بالنيابة رئيس الوفد وأعضاءه للحضور لمركز القيادة بفندق سافواي بميدان سليمان باشا في الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم ، فحضروا في الموعد المذكور ، وهناك ألقى عليهم القائد البلاغ الآتى باللغة الإنجليزية ، وهذا تعريبه :

« علمت أنكم تضعون مسألة وجود الحماية موضع المناقشة ، وأنكم تقيمون العقبات في سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعى في منع تشكيل وزارة جديدة ، وحيث ان البلاد لا تزال تحت الأحكام العسكرية ، لذلك يلزمني أن أنذركم أن أى عمل منكم يرمى إلى عرقلة سير الإدارة يجعلكم عرضة للمعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية »

وبعد أن أتم القائد إلقاء هذا الإنذار باللغة الإنجليزية وترجم إلى اللغة الفرنسية ، أراد بعض أعضاء الوفد الكلام ، فرفض سماع أى كلام قائلًا : « لا مناقشة » ، وتركهم

وانصرف ، وطلب الأعضاء أن يتسلموا نسخة من الإنذار ، فسلمت لهم نسخة من الأصل الإنجليزي

### تلفراف الوفد إلى رئيس الوزارة البريطانية

لم يتراجع أعضاء الوفد أمام هذا الإنذار ، وبادر سعد في اليوم نفسه إلى إرسال برقية إلى المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ، أنهى إليه فيها ما حدث ، وختمها بقوله : « إن السلطة العسكرية أُنذرتنا اليوم بأننا نضع الحماية موضع البحث ونعرقل تأليف الوزارة الجديدة ، وتوعدتنا بأشد العقاب العسكري ، على أنها تجهل أننا نطلب الاستقلال التام ، ونرى الحماية غير مشروعة ، كما تعلم بالضرورة أننا قد أخذنا على عاتقنا واجباً وطنياً لا تتأخر عن أدائه بالطرق المشروعة ، مهما كلفنا ذلك ، وحسبنا أن نذكر لكم هذا التصرف الجائر الذي يجزّ سخط العالم المتمدن حتى تفكروا في حل هذه الأزمة بسفر الوفد فيرتاح بال الشعب »

### اعتقال سعد وصحبه - ٨ مارس سنة ١٩١٩

رأت السلطة البريطانية إصراراً من الوفد على موقفه ، وتجلّى ذلك في برقيته إلى المستر لويد جورج ، فنفذت في يوم السبت ٨ مارس ما هددت به ، وألقت القبض في عصر هذا اليوم على سعد زغلول باشا وثلاثة من صحبه ، وهم محمد محمود باشا وإسماعيل صدق باشا وحمد الباسل باشا ، وساقتهم إلى ثكنة قصر النيل حيث قضوا الليل بها ، وفي اليوم التالي (٩ مارس) نقلوا إلى بور سعيد بقطار الساعة الحادية عشرة صباحاً ، ومن هناك أقلتهم الباخرة إلى جزيرة مالطة التي اختارتها السلطة العسكرية مَنقً لهم ومعتقلاً

وقد يتساءل المرء ، لماذا اختارت السلطة الثلاثة الأعضاء الذين اعتقلتهم مع سعد ؟ والجواب على ذلك ان السلطة العسكرية لم تكن تفكر طويلاً في تعليل لإجراءاتها ، بل كان معظم هذه الإجراءات من يوم مصادرة توكيلات الوفد إلى اعتقال سعد وأصحابه الثلاثة وليد

الارتجال والرعونة والاعتساف ، وقد اعترف الانجليز بعد ذلك أنهم كانوا — حتى من وجهة النظر البريطانية — جد مخطئين في هذه الإجراءات ، وأنهم لو أذنوا للوفد بالسفر إلى لندن أو إلى باريس منذ الساعة الأولى ، لما قامت ثورة سنة ١٩١٩ ، ولكن تصرفاتهم العشوم هي التي أدت إلى انفجار الثورة ، أما اختيار أصحاب سعد الثلاثة الذين اعتقلوا معه ، فأغلب الظن أنه راجع إلى أنهم يحملون رتبة الباشوية ، فرأت السلطة أن تعتقلهم ، ظناً منها أن لقب الباشوية يجعلهم مع سعد أهم الأعضاء شأنًا ، حَقًّا ان هذا التعليل كان يقتضى أيضاً اعتقال على شعراوي باشا ، ولكن ربما لاحظوا أنه أكبر سناً من زملائه ، وهذا مما يسوغ استثناءه من الاعتقال ، وعلى كل حال فهو العضو الوحيد من بين أعضاء الوفد الذي يحمل رتبة الباشوية ولم تعتقله السلطة العسكرية يوم ٨ مارس سنة ١٩١٩

## استمرار الوفد في الكفاح

بعد اعتقال سعد وصحبه

لم توهن هذه الشدة عزيمته أعضاء الوفد ، بل اجتمعوا عقب اعتقال سعد وصحبه ، ورأس على باشا شعراوي الاجتماع بصفته « وكيل الوفد » ، وقرروا إرسال الكتاب الآتي إلى السلطان يعترضون فيه على ذلك التصرف الجائر ، وعلى السياسة البريطانية التي صدر عنها ، ويطلبون منه أن يقف إلى جانب الشعب في هذه الأزمة ، ويعتبون عليه في لهجة بليغة موقفه منها ، قالوا :

« يا صاحب العظمة

« يتشرف الموقعون على هذا أعضاء الوفد المصري برفع ما يلي لمقام عظمتكم السامي :

« قبلتم استقالة الوزيرين رشدي باشا وعدلى باشا ، فلما فهمنا أن هذار بما كان الحل الوحيد لمسألة سفر الوفد المكلف بالدفاع عن قضية بلدكم الأسيفة ، وأنه حل لا يسمح لرجل مصري ذي كرامة ووطنية أن يقبل تأليف الوزارة ، مادام الوزيران المستقيلان علَّقا سحب استقالتهم على أمر سفر الوفد ، عرضنا لسدتكم العلية متضرعين أن تتعرفوا رأى الأمة قبل

البت نهائياً في هذا الأمر ، وأن تعيدوا النظر في الخطة التي اختطها مستشاروكم ، وأن تبدوا للأمة آية من آيات ماجبلتم عليه من حبه ، فتكونوا في صفها مدافعين عنها لتتال غرضها ، تضرعنا بذلك إلى مولانا ، ولبننا متطلعين بكامل الثقة في أن ابن إسماعيل الجالس على عرش محمد على الكبير سيرينا من نفحاته ما يحقق الأمل

« غير أنه لم يمض إلا يومان حتى استدعتنا السلطة العسكرية في ٦ مارس ، وأبلغتنا أنها علمت أننا نضع مسألة وجود الحماية موضع البحث ، وأننا نلتقي العراقيين في سبيل الحكومة المصرية تحت الحماية بمحاولة منع تشكيل الوزارة ، وأنذرتنا بالعقاب العسكري الشديد إن أتينا عملاً يرمي إلى تعطيل سير الإدارة ، ثم منعتنا من مناقشتها في هذا البلاغ ، لم تصب السلطة في رأيها ، فإن هذه الحماية باطلة ، ولكل إنسان الحق المطلق في أن يضعها تحت البحث والمناقشة القانونية ، وأما عدم نجاح الحكومة في تشكيل الوزارة فإنما هو النتيجة الطبيعية للخطة التي اتخذت في مسألة سفر الوفد ، فإن كل مصري ذى كرامة لا يمكنه حقيقة أن يقبل الوزارة في هذا الظرف من غير أن يستهين بمشئته بلاده

« لم يقف الأمر عند هذا الإنذار ، بل قبضت السلطة أمس على رئيسنا سعد زغلول باشا وزملائنا محمد محمود باشا وحمد الباسل باشا وإسماعيل صدقي باشا ، وزجّوهم في قصر النيل ، ثم سيق بهم اليوم إلى بور سعيد ، فإلى حيث لا نعلم ، وذنبتنا في ذلك أننا نطلب حريقنا السياسية طبقاً للمبادئ الشريفة التي اتخذت قاعدة للسياسة العالمية الجديدة ، والتي قبلتها انجلترا نفسها ، وبيئنا أننا لم نتعد حدود القانون ، فلم نهج في البلاد طائراً ، ولم نحرك ساكناً ، بل قبلنا توكيل الشعب إيانا أن نصدع بأمره ونسعى لتحقيق مشيئته عند الذين يقولون إنه لم يبق في العالم شعب سيد وشعب مسود ، بل العالم الإنساني في الإخاء الإنساني سواء

« على هذه الاعتبارات يصعب علينا يا مولانا أن نفهم مبرراً لهذه الخطة القاسية التي جرت عليها السياسة الإنجليزية تحت ثوب الأحكام العسكرية ، تلك الأحكام التي لا ندرى ما يسوغ وجودها إلى الآن بعد الهدنة بأربعة أشهر ، وبعد أن امتحنت مصر في أشد ظروف

الحرب حرجا فلم يكن منها إلا طاعة للأوامر العسكرية من غير بحث ، وإخلاق إلى مكينة لم يوجد مثلها في بريطانيا العظمى نفسها

« إليكم يا صاحب العظمة ، وأنتم تتبوءون أكبر مقام في مصر ، وعليكم أكبر مسئولية فيها ، نرفع باسم الأمة أمر هذا التصرف القاسي ، فإن شعبكم الآن يحق له أن يعتبر هذه الطريقة بادرة تخيفه على مستقبله ، كما يحق له أن يكرر الضراعة لسدتكم العلية أن تقفوا في صفه مدافعين عن قضيته العادلة

« وإنا مع كمال الاحترام نتشرف برفع آيات إخلاصنا إلى مقام عظمتكم الكريم

« توقيعات أعضاء الوفد »

« ٩ مارس سنة ١٩١٩ »

وأرسلوا برقية إلى المستر لويد جورج احتجاجوا فيها على اعتقال سعد وصحبه ، وصارحوه أنهم ماضون في سبيلهم ، وسيستمرون على الدفاع بكل الطرق المشروعة عن قضية مصر ، وأرسلوا بركات بهذا المعنى إلى معتمدى الدول الأجنبية

## الفصل الخامس

### الثورة

لم يكذب يترامى نبأ القبض على سعد وصحبه ، حتى أخذت سيماء الغضب ترتسم في محيط العاصمة ، وتسرى منها إلى الأقاليم  
كانت روح السخط كامنة في الجوانح ، والنفوس مغيظة مُحَنِّقَةٌ من تصرفات السياسة البريطانية ، القديمة والحديثة ، متحفزة للثورة على هذه التصرفات ، وجاء هذا الحادث كالشرارة أشعلت النار في النفوس المضطربة  
كان هذا الاعتقال جديراً بأن يهيج الخواطر ، ويدفع الأمة إلى الثورة ، لأنه حلقة من تصرفات جائزة اتخذتها السلطة البريطانية لإذلال الشعب ، والحيلولة دون حقه في الحياة ، وقد بلغ التحدي لأمانه غايته ، بحيث يعد السكوت على ذلك رضاً واستسلاماً ، فجاءت الثورة معلنة أن الأمة لا ترضى بالذل والعبودية

#### بدء الثورة

الأحد ٩ مارس سنة ١٩١٩

بدأت الثورة بمظاهرات سلمية ألقها الطلبة يوم الأحد ٩ مارس ، إذ ضربوا عن تلقى الدروس ، وخرجوا من مدارسهم ، وساروا بادي الأمر في نظام وسكينة ، تتقدمهم أعلامهم وهم يهتفون بحياة مصر والوفد المصري وسعد ، وسقوط الحماية الإنجليزية  
كان طلبة مدرسة<sup>(١)</sup> الحقوق أول المضربين ، فقد امتنعوا عن تلقى الدروس منذ صبيحة هذا اليوم ، واجتمعوا في فناء المدرسة ( بالجيزة ) ، يعلنون إضرابهم ، فنصحهم المستر والتون ناظر المدرسة بالعدول عن الإضراب ، وكان يخاطبهم بلطف ، فلم يستمعوا لنصيحته ، فاستدعى المستر موريس شلدون إيموس ، نائب المستشار القضائي البريطاني لوزارة الحفانية ، فجاء على

(١) هكذا كان اسمها قبل أن تسمى « كلية » بعد إنشاء الجامعة ، وكذلك شأن المدارس العليا جميعها



عجل ، وكرر عليهم النصح بالعودة إلى دروسهم ، ودعاهم إلى ترك السياسة لآبائهم ، فأجابوه ان آباءنا قد سجنوا ؛ ولا ندرس القانون في بلد يداس فيه القانون ، فرأى المستشار أن لا سبيل إلى إقناعهم ، وقفل راجعاً ، وغادر الطلبة مدرستهم ، وتوجهوا إلى مدرسة المهندسخانة ، ثم إلى مدرسة الزراعة ، وكلتاها بالجيزة ، فخرج معهم طلبة المدرستين ، ثم ساروا جميعاً يهتفون بحياة مصر وحياة سعد ، وذهبوا إلى مدرسة الطب بشارع قصر العيني ، فأراد ناظرها الدكتور كيتنج أن يحول بينهم وبين تلاميذها ، فرده هؤلاء ، وحصلت بينه وبينهم مشادة سقط فيها إلى الأرض ، وخرجوا وانضموا إلى إخوانهم ، وذهب الجميع إلى مدرسة التجارة العليا بشارع المبتديان ، وانضم إليهم طلبتها أيضاً ، وبعد أن غادروها ، سار الطلبة جميعاً متظاهرين هانقين ، وقصدوا ميدان السيدة زينب ، وقبل أن يبلغوه أدركهم رجال البوليس فأحاطوا بمئات منهم ، وأخذوهم إلى قسم السيدة ، وفي ذلك الوقت أي بعد الظهر بقليل وصلت قوة « بلوك الخفر » مشاة وفرساناً ، آتية من المحافظة بقيادة الضابط أرشر وكيل الحكمدار ، فأرادوا صرف الطلبة إلى بيوتهم ، فأبوا ، فهددوهم باعتقالهم في المحافظة ، فلم يذعنوا ، واقتادهم رجال البوليس من قسم السيدة إلى المحافظة ( بباب الخلق ) ، مارين بشارع الخليج ، يحف بهم إخوانهم ، وفي طريقهم انضم إليهم طلبة مدرسة التجارة المتوسطة ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي والإلهامية الثانوية وغيرها من المدارس التي سرت فيها روح الإضراب ، واختلط الجمهور بطلبة المدارس ، وساروا معهم متظاهرين ، ولما وصل الطلبة المحجوزون إلى قنطرة الذي كفر ، داس حصان أحد الجنود على رجل أحد الطلبة ، فنبه الطالب إلى أن يحذر دوس الطلبة ، فلم يكن من الجندي إلا أن ضربه ، فغضب الطلبة لزميلهم ، وانضمت إليهم العامة ، وانهالوا على الجندي ضرباً بالحجارة فحصل هرج ومرج ، وفر الجندي ، وتبعه بعض الجنود ، فانصرف كثير من الطلبة إلى بيوتهم وسط هذا الاضطراب ، واستمر المتظاهرون سائرين حتى باب الخلق ، أما بقية الطلبة المحجوزين وعددهم نحو ٣٠٠ طالب ، فقد حبسوا بالمحافظة ، وساقوهم ليلاً إلى القلعة

وغص ميدان باب الخلق بالمتظاهرين ، منذ وصل الطلبة المحجوزون ، فأعد الحكمدار

رسل بك قوة من « بلوك الخفر » مسلحين بالعصى طاردت المجتمعين ، وأخلت منهم الميدان بعد جهد شديد استمر عدة ساعات

وكان طلبة الأزهر والمدارس الأخرى ، وبخاصة المدارس الثانوية ، لم يعلموا بمظاهرة ذلك اليوم ، فلما علموا بها انفقت كلمة جميع الطلبة في جميع المدارس على الإضراب في اليوم التالي وتأليف مظاهرة تضمهم جميعاً

كان يوم ٩ مارس أول أيام الثورة ، وهو وإن كان يوماً عصيباً ، واعتقل فيه من اعتقل من الطلبة ، إلا أنه لم تسفك فيه دماء ، ولذلك يمكن القول بأنه انتهى بسلام

### الاثنين ١٠ مارس — أول القتل والجرحى

وفي اليوم التالي — الاثنين ١٠ مارس سنة ١٩١٩ — كان جميع طلبة المدارس والأزهر قد أضربوا عن دروسهم ، وأعلنوا الإضراب العام ، وألقوا مظاهرة كبرى ، انضم إليهم فيها من صادفهم من أفراد الشعب ، فسار الجميع في روعة ومهابة ، مخترقين شوارع القاهرة وميادينها ، ومروا بدور المعتمدين السياسيين هاتفين بحياة مصر والحرية والوفد ، ومنادين بسقوط الحماية

كان في هذا اليوم أول القتل والجرحى ، ذلك أنه حينما مرّ المتظاهرون بشارع الدواوين ، حضرت شرذمة من الجنود البريطانيين لحراسة دواوين الحكومة ، فأطلق الجند بعض طلقات نارية على المتظاهرين أصابت بعضهم ، وقد اختلف الرواة في هل حدثت إصابات قاتلة في هذا اليوم أم في اليوم الذي يليه ؟ فذهب بعضهم إلى أنه لم يحصل قتل في يوم الاثنين ، وأن ابتداء القتل والجرحى كان في يوم الثلاثاء ١١ مارس ، وأكد بعضهم أن أول القتل والجرحى كان في يوم الاثنين ١٠ منه ، وقد تحققنا صحة هذه الرواية بالرجوع إلى دفاتر وفيات أقسام العاصمة في شهر مارس سنة ١٩١٩ ، فأرأينا في دفتر وفيات قسم السيدة زينب ، قيد وفاة (مصرى مجهول) — ولعله رمز إلى الشهيد المجهول أو المصرى المجهول — وغلّام مجهول يوم ١٠ مارس بمستشفى قصر العيني ، وأنهما « أصيبا في حادثة

مظاهرة » ، فتحقق لنا من هذا القيد أن حوادث القتل في المظاهرات السلمية بدأت يوم  
الاثنين ١٠ مارس

حدث الإضراب العام بالمدارس في ذلك اليوم ، من غير تدبير ولا تحريض ، فكان  
إجماعياً ، وكان طبيعياً ، لا مصطنعاً ولا حزيباً ، بل منبعثاً من قلوب مفعمة بالإخلاص  
للوطن ، ولا غرض لهم سوى الوطن ، وكذلك كانت مظاهرتهم ، وإن تخلل تلك المظاهرة  
الكبرى بعض حوادث لم يكن من الميسور منعها ، فقد تعدى بعض المتظاهرين على قطر  
الترام فأتلفوا كثيراً منها ، وتعطل سيرها ، واعتدوا على واجهات بعض المحلات التجارية  
المملوكة للأجانب ، وحطموا زجاجها ، كما حطموا مصابيح بعض الشوارع ، وافتلخوا  
الأشجار في بعضها ، وقد استاء الطلبة من وقوع هذه الحوادث ، فبادروا في اليوم التالي إلى  
إذاعة منشور في الصحف العربية والأوروبية يعربون فيه عن أسفهم لما وقع من الاعتداء ،  
ويدعون إلى الإقلاع عنه ، قالوا فيه :

« إلى الشعب المصري الكريم . يستحلف طلبة المدارس العالية جميع مواطنيهم الأعزاء  
باسم مصر البلد الأمين ، ان ينفذوا ما يوجهونه إليهم اليوم من الرغبة الشديدة في التزام  
الهدوء والسكينة التامة ، فإن مركز مصر يتطلب ذلك ، فمن كان مصرياً صمياً فليلبث هذه  
الدعوة الصادقة ، وإن خير وسيلة لتحقيق الغرض المقصود هي اجتماع القلوب على محبة البلاد  
في إخلاص تام ، والذي يلجأ إلى مثل ما حدث مما يؤسف له كثيراً ، نكون بريئين منه ،  
وكذلك مصر والمصريون »

ولم يكتفوا بذلك ، بل نشروا بياناً للأجانب يكررون فيه أسفهم على ما وقع من  
حوادث الاعتداء ، ويطمئنونهم على مصالحهم ، قالوا : « إلى حضرات إخواننا ومواطنينا  
الأجانب ، قد تأسفنا نحن معاشر الطلبة المصريين مما وقع من الغوغاء عند قيامنا بمظاهراتنا  
السلمية التي ما قصدنا بها إلا إظهار عواطفنا وشعورنا مع محبتنا لمواطنينا الأجانب الأعزاء ،  
وهكذا فلنكن أحياء كما عشنا مدى الأزمان »

## الثلاثاء ١١ مارس

وفي يوم الثلاثاء ١١ مارس ، استمر إضراب الطلبة ، وتعطل سير الترام ، وأضرب سائقوه وسائقو سيارات الأجرة ( التاكسي ) ، وقلت عربات الأجرة واضطرب سير مركبات الأمنيبيوس ، وكان مسيرها من قبل محصوراً في خطوط ضيقة ، فتعطلت المواصلات في جميع أنحاء العاصمة ، وأقفل معظم التجار متاجرهم ، وأقفلت البيوت المالية أبوابها ، وتجددت المظاهرات تطوف أنحاء المدينة ، حتى صارت في شبه مظاهرة عامة

ولما رأت السلطة العسكرية كثرة المظاهرات واتساعها وتشعبها في مختلف الأحياء ، أصدر القائد العام في هذا اليوم أمراً بمنع المظاهرات وإنذار من يخالفون هذا الأمر بالمحاكمة العسكرية ، وقد نُشر الأمر في الصحف ، وألصق على الجدران في الشوارع والميادين ، وهذا نصه :

« جناب قائد عموم القوات في القطر المصري يلفت الجمهور إلى أنه لما كانت البلاد لاتزال تحت الأحكام العرفية فلا يجوز القيام بأي اجتماع عمومي أو أية مظاهرة ، وكل شخص يخالف هذا الأمر يحاكم بصفة مستعجلة »

وأخذت السرايا ( الدوريات ) البريطانية تطوف الشوارع والميادين لتنفيذ هذا الأمر ، وسار الجند بأسلحتهم ومعداتهم من بنادق وحراب وسيارات مصفحة وأخرى مجهزة بالمدافع الرشاشة لقمع المظاهرات ، وأطلقوا النار على من صادفهم من المتظاهرين ، وكانت أول مصادمة بين الجنود البريطانيين والمتظاهرين ، في هذا اليوم ، بميدان باب الحديد على مقربة من كوبرى شبرا المتد فوق السكة الحديدية ، ثم في شارع عماد الدين

وقد عرفنا من أسماء الشهداء في هذه المصادمة اسم كل من : محمد عزت البيومي . عبد الفتاح محمود جاد . طلبه حسن . وقد توفوا بقصر العيني بسبب ما أصابهم من الجروح النارية

وإلى هذه المظاهرة أشارت السلطة العسكرية في بلاغاتها الرسمية التي أصدرتها عن

بعض حوادث الثورة ، بقولها ما تعريبه : « نظم الطلبة في القاهرة مظاهرة يوم ١١ الجارى ، فاتهمز الرعاع ( كذا كانت تسمى المتظاهرين ) في الحال هذه الفرصة للتدمير والنهب ؛ فتدخل الجنود ومنعوا هذا العمل ، وحدثت مشاغبات صغيرة مختلفة في هذا اليوم والأيام التالية قُمت بأقل ما يمكن من استخدام القوة ؛ فلم تحدث غير مست وفيات ، وإحدى وثلاثين إصابة منها ٢٢ بنيران البنادق »

وهذا الإحصاء أقل من الحقيقة

وليس صحيحاً قول البلاغ بحصول نهب وتدمير في هذا اليوم ، ولا ان هذا النهب والتدمير قد استدعيا تدخل الجنود ، بل إن تدخلهم وإطلاقهم النار إنما كان لقمع المظاهرات في ذاتها

وقد قابل الشعب النار بشجاعة واستبسال ، فلم يهرب رصاص البنادق والمتراليوزات . واستمر في مظاهراته ، على الرغم مما اكتنفها من الحوادث الدموية

### أول شهداء الشباب في الثورة

المتواتر على السنة رواة الحوادث عن الثورة أن الشهيد الأول من شهداء الشباب هو المرحوم مصطفى ماهر أمين ، على أن التحقيق قد انتهى بي إلى أن أول هؤلاء الشهداء هو المرحوم محمد عزت البيومي ، وكان طالباً ، وكان مقتله يوم الثلاثاء ١١ مارس في المصادمة التي حدثت بين المتظاهرين والجنود البريطانيين على مقربة من كوبرى شبرا ، وهي المصادمة التي تقدم ذكرها ، واطلعت على اسمه في دفتر وفيات قسم السيدة زينب ، إذ قيدت وفاته يوم ١١ مارس « نتيجة جروح نارية » ، وهو ابن المرحوم الأستاذ عبد المجيد البيومي المحامى الشرعى بالمنصورة ، وابن خالة صديقى الأستاذ محمود العمري ، وقد حدثني عن مقتله في مظاهرة ١١ مارس ، وأخبرني أنه أهدى مكتبة الجامعة هدية نفيسة من الكتب كتب عليها أنها مهداة إلى روح ذلك الشهيد

أما المرحوم مصطفى ماهر أمين ، فكان مقتله يوم ١٩ مارس ، وهو ابن المرحوم

حافظ أمين مأمور مركز جرجا السابق ، وكان طالباً بالسنة الثالثة بالمدرسة السعيدية الثانوية ، ولم يكن يتجاوز السادسة عشرة من عمره ، وقد أصيب يوم ١٩ مارس برصاص الجنود البريطانيين في مظاهرة بجهة الأزهر ، ونقل إلى مستشفى عباس ( الذي كان بشارع عابدين ) حيث أسلم الروح يوم ٢١ منه ، وشيعت جنازته في موكب رهيب سار فيه طلبة المدارس العالية والأزهر وجموع كثيرة من مختلف الطبقات ، ولفّ النعش بعلم مصرى كتب عليه « ليحيى الاستقلال — شهيد الحرية » ، وحمل النعش أربعة من طلبة مدرسة القضاء الشرعى ، وسارت الجنازة من شارع ممتاز بالبغالة ، حيث منزل الشهيد ، وصرت بمختلف الشوارع إلى شارع قصر العيني ثم إلى مدافن زين العابدين ( زينهم ) حيث وورى التراب ، وقبره معروف هناك ، وكان حزن الناس عليه شديداً

وكنتُ أعرف والده ، إذ كان بعد أن اعتزل خدمة الحكومة وكيلاً لتفتيش إحدى الدوائر فى السنبلاوين ، وكانت بينى وبينه مودة ، وكان يزورنى ويحدثنى عن ولده الشهيد ، ويفخر باستشهاده فى ميدان الجهاد ، ووعده بالكتابة عنه ، وتسجيل بطولته فى تاريخ الثورة

### الأربعاء — ١٢ مارس

استمرت المواصلات معطلة فى العاصمة ، وصار الناس يقطعون المسافات الشاسعة سيراً على أقدامهم ، أورا كبين الحمير والدواب لمن يستطيعون الحصول عليها ، وتجددت المظاهرات ، فأطلق الجنود البريطانيون على المتظاهرين الرصاص من البنادق والمدافع الرشاشة ، فقتل عدد منهم ، وكان أكثر القتلى فى طلبة الأزهر ، إذ كانوا يسرون فى مظاهرة من ناحية الحجزر إلى شارع خيرت ، وأخرجت شركة الترام من مخزن شبرا قطارين من قطاراتها لتسييرها إلى العتبة الخضراء بحراسة الجنود وقيادة بعض مفتشى الترام الأجانب ، ولكن الجمهور هجم عليهما ، فعادا ولم يخرج سواهما .

ونشر إحصاء رسمى عن عدد القتلى والجرحى فى المظاهرات من ابتدائها إلى هذا اليوم

( ١٢ مارس ) ، وهو كما يأتى :

قسم الموسيقى ٨ جرحى . قسم السيدة زينب قتيل واحد و٦ جرحى . قسم عابدين  
٣ قتلى و١٦ جريحاً . قسم الأذربكية قتيلا و٦ جريح  
بأجملته ٦ قتلى و٣١ جريحاً ، وهو إحصاء أقل من الحقيقة ، لأن بعض الجرحى لم  
يبلغوا عن إصاباتهم ، و بعض القتلى لم يحصل التبليغ عنهم

### الخميس - ١٣ مارس

استؤنفت المظاهرات ، ووقع أكثرها في الخلية والغورية والظاهر وشبرا ، وأهمها  
مظاهرة قامت أمام مسجد الحسين رضى الله عنه ، مؤلفة من طلبة الأزهر ، ساروا بموكبهم  
إلى الغورية فالخلية الجديدة ، وهناك التقوا بمجهور آخر من طلبة المدارس العالية  
والخصوصية والثانوية ، وساروا إلى المحكمة الشرعية بشارع نور الظلام ، فاشتد الزحام ،  
وأمرت المحكمة قضاتها وموظفيها بالانصراف ووقفت أعمالها ، وأطلق الجنود الرصاص على  
مظاهرات هذا اليوم ، ورابطت قوات بريطانية على مداخل الوزارات والمصالح الأميرية  
وفي محطة العاصمة

### تهديد الموظفين

خشيت القيادة البريطانية أن تسرى روح التظاهر والإضراب من الطلبة والعمال إلى  
موظفي الحكومة ، ففي هذا اليوم ( ١٣ مارس ) أذرتهم السلطة العسكرية باجتئاب  
مناصرة الحركة ، وأصدرت لذلك بلاغا نشرته الصحف يوم ١٤ مارس ، قالت فيه :  
« جناب القائد العام للقوات في القطر المصرى ينبه جميع مستخدمي الحكومة  
باجتئاب الحركات السياسية ، وبالاستمرار في مجال أعمالهم حيث يكونون تحت حماية السلطة  
العسكرية ، ويعلن الجميع أن كل من يحاول أن يتعرض لهم أو يؤخرهم في أداء الأعمال  
المفروضة عليهم يعرض نفسه للعقاب الشديد بمقتضى الأحكام العرفية »

## الجمعة — ١٤ مارس

تجددت المظاهرات يوم الجمعة ، وتجدد الاعتداء عليها من الجنود البريطانيين ، وكان أكثر الاعتداءات فظاعة ما وقع في جهة سيدنا الحسين . ذلك أنه بينما كان الناس خارجين من صلاة الجمعة بمسجد الحسين إذ جاءت سيارتان مدرعتان إنجليزيتان ، وأخذ من فيهما من الجند يطلقون الرصاص على المصلين وهم خارجون من المسجد ، وقد ظنوا أنهم متظاهرون ، والحقيقة أنهم كانوا منصرفين من المسجد ، وكان منشأ حضور السيارتين أن صيدليا في هذه الجهة رأى شجارا أمام صيدليته ، فاستدعى البوليس بالتليفون لفضّ الشجار ، فجاءت القوة البريطانية ، وكانت المشاجرة قد انتهت ، فلما رأوا المصلين خارجين من المسجد في حشد كبير كعادتهم أطلقوا عليهم الرصاص من غير تحقيق أو إنذار أو تحذير ، فوقع أكثر من ثلاثين مصابا بلغ عدد القتلى منهم اثني عشر وعدد الجرحى أربعاً وعشرين ، واستولى الفرع على الناس من جراء هذا الاعتداء الوحشي ، وسالت الدماء غزيرة أمام المسجد الحسيني ، فكان لذلك وقع أليم في النفوس

ووقعت في هذا اليوم مظاهرتان أخريان في شارع عباس (الملسكة نازلي — الآن نهضة مصر) والسيدة زينب ، فرقها الجند البريطانيون بالمدافع الرشاشة ، وبلغ عدد قتلى مظاهرة السيدة زينب ثلاثة عشر قتيلا وعدد الجرحى سبعة وعشرين ، وإلى ذلك يشير بلاغ السلطة العسكرية بقوله : « وفي يوم ١٤ مارس أطلق الفوغاء النار على نقطة عسكرية في قسم السيدة زينب فقابلت النقطة النار بالنار فقتلت ١٣ وجرحت ٢٧ »

وقد عرفنا من أسماء الشهداء في ذلك اليوم اسم كل من : خليل مصطفى من الوايلية الصغرى . محمد محمد المرعشلي من الباطنية بالدرب الأحمر . محمد سيد عبد الرسول من الجمالية . حسنين يوسف من الجمالية . محمد سلام منصور من درب الأحمر . أحمد حسن السرجاني من درب الأحمر . محمد جبريل من الجمالية (العطوف) . محمود محمد القروي من باب الوزير . منصور حسين من درب الأحمر ، همام علي من درب الأحمر . السيدة حميدة خليل من



كفر الزغاري بالجمالية . محمد علي غزلان من الباطنية بالدرب الأحمر . محمود مطاوع من قصر الشوك بالجمالية . إبراهيم حامد من حوش قدم بالدرب الأحمر وانفرد الجنود البريطانيون ( بادي الأمر ) بقمع المظاهرات ، وجرد جنود البوليس المصرى من أسلحتهم عدا العصى ، وذلك خشية انصمامهم إلى المتظاهرين

### إضراب المحامين - ١١ مارس

أضرب المحامون عن عملهم إعلانا لاحتجاجهم على الحالة التي وصلت إليها البلاد ، وابتدأ إضرابهم يوم ١١ مارس ، إذ اجتمعوا من تلقاء أنفسهم في هذا اليوم بقاعة المحامين بمحكمة استئناف مصر ، وقرروا الإضراب ، ووقعوا على عرائض بهذا المعنى ، هذا نصها : « أجمعت الأمة المصرية على طلب استقلالها والسعى لدى مؤتمر السلام للاعتراف بهذا الاستقلال . ولكن الحكومة الإنجليزية رأت أن ذلك لا يتفق مع مصالح حزب الاستعمار البريطانى فمنعت المصريين الذين انتدبوا للقيام بهذه المهمة من السفر . ولم تكثف بذلك . بل عمدت إلى طريقة الأرهاط ، فقبضت على أربعة منهم وأودعتهم السجن . وبما أن هذا العمل إعتداء على حرية أمتنا . وحرمان لها من إسماع صوتها لذلك نعلن احتجاجنا نحن المحامين الموقعين على هذا بامتناعنا عن العمل ونطلب نقل أسمائنا من جدول المشتغلين إلى جدول غير المشتغلين »

وأقر مجلس نقابة المحامين هذا الإضراب وأصدر القرار الآتى<sup>(١)</sup> :

« اجتمع مجلس نقابة المحامين بمركز النقابة الساعة ١٢ الظهر من يوم ١١ مارس سنة ١٩١٩ برئاسة الأستاذ أحمد لطفى بك وعضوية حضرات الأساتذة : الشيخ على ناصر ومحمد بك حافظ رمضان وأحمد بك مصطفى وإدوار قصيرى وأحمد الديوانى ومحمد زكى على وعبد الحليم الببلى وإسماعيل زهدى سكرتير المجلس . ورأى أن يضم إليه فى مداولاته رؤوس المحامين الموجودين بمحكمة الاستئناف وقت انعقاده وضم إليه فعلا حضرات : محمد بك محمود خليل ومحمد بك يوسف ونصر الدين أفندى زغلول ومحمد بك رشاد وراغب بك وهبه

(١) نقلناه بنصه عن مضبطة مجلس نقابة المحامين

وإمام بك فهمى وأحمد بك رمزى وعبد العزيز بك مليكة ومحمد بك رمضان وعبدالرحمن بك الرافعى ومحمود بك بسيونى ومحمد بك إمام والأساتذة محمد كامل حسين وعبد السلام زهنى ومحمد كامل البندارى وميخائيل جرجس ومحمد فؤاد حسنى وعبد الحميد حمدى . و بعد المداولة رأى المجلس أن لكل محام الحق فى نقل اسمه من جدول المشتغلين إلى جدول غير المشتغلين طبقا لنص المادة ٥٣ من اللائحة . بناء عليه . قرر المجلس بإجماع الآراء ( أولا ) رفع هذا القرار لرأسة محكمة الاستئناف مصحوبا بعرائض طلب نقل الاسم من جدول المشتغلين إلى جدول غير المشتغلين ( ثانيا ) مخابرة رأسة المحاكم الابتدائية ولجان المحاماة الفرعية والنقابة المختلطة والشرعية بذلك «

و قرر المجلس أيضا انتداب عدد من المحامين عينوا بأسمائهم لى يحضر منهم اثنان فى كل محكمة ابتدائية أو جزئية لإثبات الإضراب فى محاضر جلسات المحاكم احتجاجا على الحالة الحاضرة وللحضور عن المحامين الموكلين وطلب التأجيل فى جميع قضاياهم لاعلان تنازلهم عن توكيلاتهم ، وإذا رفضت المحكمة الطلب فلا ينسحب المحامى ولا يتراجع بل يصر على طلب التأجيل للسبب المذكور

وقد نفذ المحامون قرار الإضراب ، ووافق معظم القضاة على إثبات الإضراب فى محاضر الجلسات وتأجيل القضايا

كان لهذا الإضراب أثره فى نجاح الثورة ، إذ كان بمثابة دعوة عملية إلى طوائف الشعب للإضراب العام ، وهى دعوة لها قيمتها لصدورها عن طائفة ممتازة تحمل علم القانون وتفهم الحقوق العامة والخاصة ، فكان إضرابها استهانة بسلطان الحكومة ، ومجاهرة لها بالسخط والعداء وتمخيرا للشعب على الانتقاص عليها ، وقد انضم معظم أصحاب القضايا إلى هذه الحركة ، وأخذوا يطلبون هم التأجيل أيضا

فظنت السلطة العسكرية إلى ما فى هذا الإضراب من بث روح الثورة ، فأوعزت إلى وزارة الحفانية بالعمل على إحباطه ، فأصدرت منشورا إلى المحاكم بتوقيع وكيل الوزارة بعدم الموافقة على هذا الإضراب ، قالت : « إذا طلب المحامون التأجيل أو تنازلوا عن

التوكيلات لأسباب لم تكن شخصية محضة أولاً ارتباطاً لها بالدعوى فالوزارة ترى أن تشير على القضاة بأن يلفتوا نظر المحامين إلى خطورة المسؤولية التي أخذوها على عاتقهم ، فإذا أصر المحامون فهي تشير بشطب الدعاوى الابتدائية إذا لم يقبل الخصوم المرافعة فيها ، أما الدعاوى الاستئنافية فللقضاة أن يختاروا التوقيف أو تأجيل الدعوى وذلك مراعاة لمصلحة الخصوم الغائبين ، وأما ما يختص بالجنح والمخالفات فلا يقبل التأجيل مطلقاً إلا لأسباب جوهرية أو بناء على طلب المتهم »

ولم يعمل معظم القضاة بهذا المنشور ، وسايروا الإضراب ، وأصر المحامون على إضرابهم وزادوا إصراراً على موقفهم بأن قدموا طلبات إجماعية إلى رئاسة محكمة الاستئناف بنقل أسمائهم إلى جدول المحامين غير المشتغلين

ولما استفحل إضراب المحامين ، اجتمع المستر إيموس نائب المستشار القضائي لوزارة الحقانية بيحيى باشا إبراهيم رئيس محكمة الاستئناف يوم ١٥ مارس ، للنظر في وضع حد له ، وانتهيا إلى أن يكتب كل منهما خطاباً إلى الأستاذ عبد العزيز فهمي بك نقيب المحامين ينبهان فيه إلى أن العمل الذي عملته النقابة والمحامون من الإضراب يضر بسير العدالة ، وطلباً من النقيب ومن النقابة نصح المحامين الذين قدموا طلبات إلى رئاسة محكمة الاستئناف بنقل أسمائهم إلى جدول المحامين غير المشغلين ، أن يعدلوا عن هذا الامتناع حرصاً على العدالة وشرف المهنة ، والا فالحكومة تتخذ الاجراءات اللازمة

فاجتمع مجلس النقابة يوم الأحد ١٦ مارس سنة ١٩١٩ ، وحضر الاجتماع جمع من المحامين بلغ عددهم ١٣٠ محامياً ، وتباحثوا جميعاً في الرد على كتاب نائب المستشار القضائي ، فقررروا الرد عليه بأنهم في إضرابهم لم يخرجوا عن قانونهم وأن موكلهم يشاركونهم في إضرابهم ، وأنهم بعد أن تلاوا الخطاب لم يجدوا فيه ما يحملهم على عدم التمسك بقرارهم الأول

واستمرت حركة نقل المحامين إلى جدول غير المشتغلين ، فأرسلت الطلبات القديمة والجديدة إلى رئاسة محكمة الاستئناف وعليها توقيعات نحو ٣١٩ حمائياً

وأخذ مندوبو النقابة يطلبون التأجيل لهذا السبب إن لم يجب طلب التأجيل للإضراب ولما لم تستطع الحكومة حمل المحامين على العدول عن الإضراب أصدر القائد البريطاني العام في ١٧ مارس إعلانا بوقف سريان كل نص من نصوص القانون يقتضى حضور محام أمام المحاكم الأهلية في أى دعوى جنائية كانت أو غير جنائية وأجاز للمحكمة في هذه الحالة أن تنظر وتفصل في الدعاوى ولو بغير حضور محام ، ولها عند الضرورة ندب عضو من أعضاء النيابة العمومية أو أى شخص تتوافر لديه المعلومات القانونية للدفاع عن الخصوم ، وأن يسرى هذا الأمر على كل دعوى تنازل فيها المحامى عن توكيله فيها ، وأجاز لكل شخص من المتقاضين فى الدعاوى الجنائية أن يوكل عنه من يشاء للقيام بالدفاع عنه . ونص على أن كل لجنة ملحقة بالمحاكم الأهلية يقتضى القانون عضوية محام أو أكثر فيها ( كلجان قيد المحامين أو تأديبهم ) تعتبر مشكلة تشكيلا قانونيا بغير حضور المحامين إذا حل القضاة محلهم فيها وأرسلت رئاسة محكمة الاستئناف فى ٢٤ مارس إلى جميع المحامين الذين طلبوا نقل أسمائهم إلى جدول غير المشتغلين كتاباً تطلب فيه من كل منهم أن يبين إذا كان لا يزال مصرا على هذا الطلب أو يعدل عنه ، وطلبت منهم الجواب قبل يوم السبت ٢٩ مارس المحدد لانعقاد لجنة قبول المحامين

واجتمعت لجنة قبول المحامين يوم ٢٩ مارس برئاسة يحيى ابراهيم باشا رئيس المحكمة وعضوية أحمد طلعت باشا النائب العام والمستر برسيغال المستشار بمحكمة الاستئناف بالنيابة عن المستر هالتون وكيل المحكمة و ابراهيم الهلباوى بك وأحمد لطفى بك عن نقابة المحامين ، وقررت تأجيل النظر فى طلبات نقل المحامين أسمائهم إلى جلسة تعقد يوم ٦ ابريل ، و بنت قرارها على صعوبة المواصلات وتعذر وصول أجوبة كثير من المحامين المقيمين فى الأقاليم على كتاب المحكمة

### إضراب المحامين الشرعيين

وحذا المحامون الشرعيون حذوزملائهم الأهليين ، فأضرَبوا على طريققتهم وأوفدوا بعضهم لطلب التأجيل فى القضايا للتنازل عن توكيلاتهم

وقد حدث إضرابهم يوم السبت ١٥ مارس ، وبدأ أمام المحكمة العليا الشرعية حين عقد الجلسة ، فحدث أخذ ورد بين الشيخ محمد ناجي رئيس المحكمة العليا ، وتقيب المحامين الشيخ محمد عز العرب بك في سبب التأجيل ، وفي أثناء الحوار اقتحم المتظاهرون المحكمة ، وأمروا القضاة والعمال بالخروج ، فتعطلت الأعمال ، وأجلت القضايا لعدم انتظام الجلسات ، وجاء المتظاهرون بعربة رئيس المحكمة العليا ، ودعوه إلى ركوبها فركب فيها ، وركب معه بعض المتظاهرين ، وأحاطوه بالرعاية والاحترام ، ونشروا علماً مصرياً على رأسه ، وأوصلوه إلى بيته سالماً ، ووقف العمل في المحكمة الشرعية ، وأغلقت أبوابها ، وجاء على الأثر رجال البوليس وكانت الجماهير محتشدة بالقرب من المحكمة فأطلق عليها البوليس العيارات النارية المملوءة بالرش والبارود ، وأصيب إثنا عشر غلاماً في أرجلهم

### السبت ١٥ مارس - إضراب عمال العنابر

استمرت المواصلات معطلة ، وضاعفت السلطة العسكرية قواتها في حي سيدنا الحسين والأحياء الوطنية عامة بعد المجزرة التي وقعت في اليوم الماضي ( ١٤ مارس ) ، ورابطت سرايا ( دوريات ) من الجنود البريطانيين في مداخل الأحياء القريبة من الأزهر ، كالتبليطة والغورية والصنادقية والسحكيين ، ووقفت سرايا أخرى في مداخل شارع الجواهرجية المؤدى إلى الصاغة ، وشارع الشنواني ، وشارع السكة الجديدة ، والموسكى ، كل ذلك لمنع التجمهر والمظاهرات ، ووقعت مع ذلك مظاهرات في جهات الحسينية والظاهر وشارع عباس ( نهضة مصر ) ، وساد القلق بين التجار ، فلم يفتحوا محالهم عدا أصحاب المتاجر الصغيرة وعهدت السلطة إلى جنود بلوك الخفر من حملة العصي الغليظة المساهمة في منع المظاهرات ، ولما كان هؤلاء الجنود يقومون من قبل بحراسة أقسام البوليس ومصالح الحكومة ، فقد استعيض عنهم في هذه المهمة بجنود الأورطة الثامنة المصرية

وفي هذا اليوم أضرب عمال عنابر السكك الحديدية ، وكان عددهم يزيد على أربعة آلاف عامل ، وهؤلاء العمال يشتغلون في القطارات ، وبدونهم يتعطل سيرها ، وعمد بعضهم

إلى إتلاف مفاتيح قضبان السكة الحديدية ، ثم قطعوا الخط الحديدى بالقرب من امبابه ، فتعطلت قطارات الوجه القبلى

وكان مما عجل بهذا الإضراب أن الحكومة ألحقت بعض الجنود الإنجليز بهذه العنابر لتدريبهم على مختلف الصناعات ، فاعتقد العمال أن الحكومة تقصد إحلال هؤلاء الجنود محلهم ، فهاجوا وأضربوا ، وحاولت الحكومة تهدئة خواطرمهم ، وإبعاد هذه الظنون عن أفكارهم ، فلم تفلح ، وظل العمال مضربين ، وأرسلت السلطة العسكرية القوات المسلحة إلى حى السبئية والعنابر لحفظ النظام وتشتيت المظاهرات ، ومنعت الاتصال بين العمال والمتظاهرين فى الأحياء الأخرى

### المحاكم العسكرية

أنشأت القيادة البريطانية محكمة عسكرية ، أخذت تنعقد منذ ذلك اليوم فى قسم الأزبكية لمحاكمة المقبوض عليهم فى اليوم الأول للثورة ، واستمرت فى الأيام التالية تحاكم من يقبض عليهم فى المظاهرات ، وكانت أحكامها تصدر بالحبس أو الجلد ، أو بهما معا أو الغرامة ، ومن نموذج أحكامها أنها قضت بعقاب محمود افندى زكى الميكانيكى بالحبس مع التشغيل شهرين لأنه كان حامل العلم فى مظاهرة . وصالح رياض بالحبس مع التشغيل ثلاثة أشهر لأنه كان حامل العلم فى مظاهرة أخرى . ومحمود مذكور من طلبة الأزهر بالسجن ثلاثة أشهر وجلده عشر جلدات . ومحمد حسن الصانع بالجلد خمس جلدات . وصادق حسن الصانع بالسجن شهراً وجلده عشر جلدات لكسرهم زجاج الشوارع . وحسن الفكهانى التاجر بالغورية بالسجن ثلاثة أشهر لتوزيعه منشورات باللغة الفرنسية . وحسن عبد الباقى التمرجى بجنيه غرامة أو السجن أحد عشر يوماً لتمزيقه منشوراً للسلطة العسكرية . ولما كثرت قضايا المظاهرات أنشأت القيادة البريطانية محكمة عسكرية أخرى فى قسم الخليفة لمحاكمة المتظاهرين ، ومحكمة عسكرية فى بنها ، وأخرى فى القناطر الخيرية

## الأحد ١٦ مارس

استمرت المواصلات معطلة داخل المدينة وخارجها ، على أنه قد سِير بعض قطارات الترام في شبرا وشارع بولاق ، وفي الطريق المؤدية إلى ميدان الألعاب بالجزيرة ، وكانت الجنود الإنجليز تحرس هذه القطارات في سيرها ، بئد أن الجمهور أعرض في الجملة عن ركوبها من تلقاء نفسه ، مدفوعا إلى هذا الامتناع بفطرته ، إذ كان يعد مقاطعتها عملا وطنياً ، وآثر عليها السير على الأقدام أو الركوب في عربات ( الكارو ) ، فراجت رواجاً عظيماً في هذه الأيام ، وصار من المناظر المألوفة التي لا تخلو من الفكاهة أن يركبها قوم من الطبقات الممتازة ، ويجلسون فيها إلى جانب ركابها العاديين ، ويتبادلون الروايات عن الثورة وأنبيائها ، ويتبسطون في الأحاديث عن شؤون البلاد وأحوالها العامة

وتجددت المظاهرات في ذلك اليوم ، وعمت أحياء المدينة ، وكانت الحركة قوية في الأحياء الوطنية عامة ، كحي الأزهر وسيدنا الحسين والسيدة زينب والحسينية وباب الشعرية والجمالية وغيرها

وأقيمت الحواجز والمتاريس في كثير من دروب هذه الأحياء لتعطيل سير السيارات الحربية المقلدة للجنود ، كما حفر الثوار في بعض الشوارع حفراً عميقة أشبه بالخنادق في ميادين القتال ، واتخذوا من أنقاضها وقاية لأفراد الشعب من رصاص الجنود ، أو معاقل يرمون منها الجنود بالطوب والحجارة

## مظاهرة السيدات - ١٦ مارس سنة ١٩١٩

شاركت المرأة المصرية الرجال في الثورة ، وأعلنت عن مساهمتها فيها بمختلف الوسائل ، وكان أول مظهر رائع لهذه المساهمة تلك المظاهرة الكبرى التي قام بها السيدات والآنسات يوم الأحد ١٦ مارس سنة ١٩١٩ ، وكان الغرض منها الإعراب عن شعورهن ، والاحتجاج على ما أصاب الأبرياء من القتل والتنكيل في المظاهرات السابقة

خرج المتظاهرات في حشمة ووقار ، وعددهن يربو على الثلاثمائة من كرام العائلات ،  
وأعددن احتجاجا مكتوبا ليقدمنه إلى معتمدى الدول ، هذا تعريبه :

« جناب المعتمد

« يرفع هذا لجنابكم السيدات المصريات أمهات وأخوات وزوجات من ذهبوا ضحية  
المطامع البريطانية محتججن على الأعمال الوحشية التي قوبلت بها الأمة المصرية الهادئة  
لا لذنوب ارتكبتها سوى المطالبة بحرية البلاد واستقلالها تطبيقاً للمبادئ التي فاه بها الدكتور  
ويسلن وقبلتها جميع الدول محاربة كانت أو محايدة

« نقدم لجنابكم هذا ونرجو أن ترفعوه لدولتكم المبجلة لأنها أخذت على عاتقها تنفيذ المبادئ  
المذكورة والعمل عليها ، ونرجوكم إبلاغها ما رأيتموه وما شاهدته رعاياكم المحترمون من  
أعمال الوحشية وإطلاق الرصاص على الأبناء والأطفال والأولاد والرجال العزل من السلاح  
لمجرد احتجاجهم بطريق المظاهرات السلمية على منع المصريين من السفر للخارج لعرض  
قضيتهم على مؤتمر السلام أسوة بباقي الأمم وتنفيذاً للمبادئ التي اتخذت أساساً للصالح العام ،  
ولأنهم محتجون أيضاً على اعتقال بعض رجالهم وتسفيرهم إلى جزيرة مالطة

« لنا الأمل يا جناب المعتمد أن يحلّ طلبنا هذا نحن السيدات المصريات محلّ القبول ،  
ولا زلتم عوناً لنصرة الحق مؤيدين لمبادئ الحرية والسلام »

سارت السيدات في صفين منتظمين . وجميعهن يحملهن أعلاما صغيرة ، وطفن الشوارع  
الرئيسية في موكب كبير . هاتفات بحياة الحرية والاستقلال وسقوط الحماية ، فلفت موكبهن  
أنظار الجماهير ، وأذكى في النفوس روح الحماسة والإعجاب ، وقوبلن في كل مكان بتصفيق  
الناس وهتافهم ، وأخذ النساء من نوافذ المنازل وشرفاتها ، يقابلنهن بالهتاف والزغاريد ،  
وخرج أكثر أهل القاهرة رجالا ونساء لمشاهدة هذا الموكب البهيج ، الذي لم يسبق  
له نظير ، وأخذوا يرددون هتافتهن

ومر المتظاهرات بدور القنصليات ومعتمدى الدول الأجنبية لتقديم الاحتجاج المكتوت ،  
ولكن الجنود الإنجليز لم يدعوا هذا الموكب البريء يسير في طريقه ، فحينما وصل المتظاهرات



إلى شارع سعد زغلول يرذُن الوصول إلى « بيت الأمة » ضربوا نطاقا حولهن ، ومنعوهن من السير ، وسددوا إليهن بنادقهم وحرابهم مهددين ، وبقى السيدات هكذا مدة ساعتين تحت وهج الشمس المحرقة ، فلم يرهن هذا التهديد ، بل تقدمت واحدة منهن وهي تحمل العلم إلى جندي كان قد وجه بندقيته إليها ومن معها ، وقالت له بالإنجليزية « نحن لانهاب الموت ، أطلق بندقيتك في صدري لتجعلوا في مصر مس كافل ثانية » ، ومس كافل هي المرضة الإنجليزية المشهورة التي أسرها الألمان في الحرب العظمى الأولى واتهموها بالجاسوسية وأعدموها رميا بالرصاص ، وكان لمقتلها ضجة كبيرة في العالم ، فنجل الجندي ، وتنحى للسيدات عن الطريق ، فكتبن احتجاجا ثانياً على هذه المعاملة العاشمة ، ألحقته باحتجاجهن الأول ، وقدمنه إلى معلمي الدول ، وهذا نصه :

« جناب معتمد دولة ... »

« قرر السيدات المصريات بالأمس القيام بمظاهرة سلمية والمرور على دور السفراء لتقديم الاحتجاج الكتابي المرفق بهذا والذي نتشرف برفعه لجنابكم الآن وعندما اجتمعن بشارع سعد زغلول باشا حاصرتهن قوة مسلحة من العساكر البريطانية ووجهت لهن السلاح حتى لا يتحركن لا إلى الأمام ولا إلى الخلف ، وبقى السيدات هكذا مدة ساعتين تحت نار الشمس المحرقة »

« هذا ما رآه المحتلون من معاملة السيدات ، وهو بمفرده و بغير تعليق دال على استمرار الإنكليزي في استعمال القوة العاشمة حتى مع السيدات لإخماد أنفاس هذه الحركة العامة التي لم يكن أساسها أي عداة لضيوفنا الأجانب ، لأنها موجهة فقط ضد أعمال الاستبداد والقوة التي يقابل الإنكليز بها مطالب الأمة الحقنة الشرعية »

« لهذا يا جناب المعتمد نضم هذا الاحتجاج الثاني لاحتجاجنا الأول ونرجوا إبلاغه لدولتكم الموقرة التي أخذت على عاتقها نصره مبادئ العدالة والحرية ، وتفضلوا بقبول احترامنا »

ووقع على هذا الاحتجاج السيدات والآنسات الآتية أسماؤهن<sup>(١)</sup> :

(١) بحسب البيان والترتيب الواردين في أصل وثيقة الاحتجاج

حرم حسين رشدی باشا . حرم سعد زغلول باشا . هدى شعراوى حرم على شعراوى باشا .  
حرم محمود رياض باشا . حرم محمد سعيد باشا . حرم إسماعيل صدق باشا . حرم عمر  
سلطان باشا . حرم عثمان عرفى باشا . حرم الدكتور محمد علوى باشا . حرم محمد شكرى  
باشا . حرم إسماعيل سرى باشا . حرم الدكتور حسن محرم بك . حرم الأستاذ محمد أمين  
يوسف . حرم محمد صدق باشا . حرم محمود سرى بك . حرم أحمد راغب بدر بك . حرم  
أحمد عبد اللطيف بك . حرم محمد محرز باشا . حرم مصطفى بك عبد الخالق . حرم أحمد  
بك لطفى . حرم عثمان باشا مرتضى . الآنسة كريمة عثمان باشا مرتضى . حرم أحمد بك  
أبوصبع . حرم حسن بك خيرى . حرم إسماعيل حسنين باشا . حرم محمد بك رأفت . حرم  
سعيد بك حلمى . حرم ابراهيم رأفت باشا . حرم محمود سامى باشا البارودى . حرم حنا بك  
مسيحة . الآنسة كريمة محمود سامى باشا البارودى . حرم طاهر بك اللوزى . حرم عبدالحليم  
بك العلابلى . حرم على بك سعد الدين . حرم الأستاذ عزيز مشرق . الآنسة كريمة عبد الفتاح  
بك اللوزى . حرم الدكتور نجيب اسكندر . حرم الدكتور محمد العروسى . حرم الدكتور  
إبراهيم بك حسن . الآنسة كريمة صالح بك فريد . الآنسة كريمة محمد بك منيب . حرم  
توفيق وصفى . الآنسة كريمة عبد المجيد بك رضوان . حرم أحمد بك حدى . الآنسة كريمة  
مصطفى بك الباجورى . الآنسة كريمة أحمد بك ندا . حرم اسكندر بك مسيحة . حرم  
أحمد بك حجازى . حرم مجيب بك فتحى . حرم حافظ بك محمد . الآنسة كريمة الشيخ  
الأنصارى . حرم محمد راتب باشا . حرم محمد بك يوسف . حرم حسين بك رياض . الآنسة  
جوليت صليب . الآنسة كريمة محمد بك أنور ، حرم الدكتور محمد صدق بك . حرم مصطفى  
بك توفيق . حرم توفيق بك صادق . حرم محمود بك الطوير . حرم إسماعيل بك سالم .  
حرم على بك مبارك . حرم حسين بك هلال . حرم محمد رؤوف باشا . حرم محمد شفيق  
رفعت بك . الآنسة كريمة أمين باشا الشمسى . مدام رفائيل بغدادى . حرم صالح بك  
نامق أبوصبع . الآنسة كريمة شوقى باشا . حرم الأستاذ ويصا واصف . حرم أحمد بك  
شكرى . الآنسة كريمة إسماعيل أباطه باشا . الآنسة كريمة محمود نصيف بك . حرم حسن

باشا عاصم . حرم حسين زاغب بك . حرم توفيق باشا . حرم الدكتور على بك إبراهيم .  
الآنسة كريمة محمود بك أباطة . الآنسة كريمة السيد أباطة باشا . حرم عبد الله بك أباطة ،  
حرم أحمد عفيفي باشا . حرم الدكتور أحمد سعيد بك . حرم محمد بك حسن . حرم إبراهيم  
بك شريف . الآنسة ماري ميرم . الآنسة كريمة عبد الله بك الطوير . حرم أمين بك  
فؤاد . حرم لبيب بك مسلم . حرم إسماعيل بك فاضل . حرم إبراهيم بك فاضل .  
الآنسة كريمة أحمد بك أبواصب . الآنسة كريمة محمد الشواربي باشا . حرم بهي الدين  
بركات بك . الآنسة كريمة إسماعيل رمزي بك . حرم على بك فؤاد . حرم شاكر بك حلمي .  
حرم داود راتب بك . حرم صالح بك جمالي أبواصب . حرم مختار بك الأرنأووطي . حرم  
صليب بك منقريوس . حرم أحمد بك عباس يكن . حرم محمد بك برهان . حرم محمد بك  
أبوشادي . كريمة أمين باشا سيد احمد . حرم فؤاد بك شرين . حرم ميخائيل لبيب .  
حرم قاسم أمين بك . حرم حسين محرم بك . حرم حسن بك بهادر . حرم رفيق  
بك فتحي

### قصيدة حافظ إبراهيم

في مظاهرة السيدات

وقد حيا شاعر النيل حافظ إبراهيم مظاهرة السيدات بقصيدة رائعة ، تجد فيها شعورهن  
وشجاعتهن ، وحمل حملة لازعة على مسلك الجنود الإنجليز حيالهن ، قال :

خَرَجَ الْغَوَانِي يَحْتَجِّجْنَ وَرُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنَّ  
فَإِذَا بَهْنٌ تَخِذْنَ مِنْ سُودِ الثِّيَابِ شِعَارَهُنَّ  
فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبٍ يَسْطَعْنَ فِي وَسَطِ الدُّجْنَةِ (١)  
وَأَخَذْنَ يَحْتَرِزْنَ الطَّرِيقَ وَدَارَ « سَعْد » قَصْدَهُنَّ  
يَمْشِينَ فِي كَنَفِ الْوَقَا رَ وَقَدْ أَبَنَّ شُعُورَهُنَّ

(١) الدجنة : الظلام

وَإِذَا بِجَيْشٍ مُّقْبِلٍ وَالخَيْلُ مُطْلَقَةُ الأَعْيُنِ  
وَإِذَا الجُنُودُ سَيُوفُهَا قَدْ صُوِّبَتْ لِنُحُورِهَا  
وَإِذَا المَدَافِعُ وَالبِنَا دَقَّ وَالصَّوَارِمُ وَالأَسِنَّةُ  
وَالخَيْلُ وَالقِرْسَانُ قَدْ ضَرَبَتْ نَطَاقًا حَوْلَهَا  
وَالوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ سَالِحُهُنَّ  
فَتَطَاحَنَ الجَيْشَانِ سَاعَاتٍ تُشِيبُ لَهَا الأَجِنَّةُ  
فَتَضْمَعُ النَّسْوَانَ وَالنَّسْوَانَ لَيْسَ لَهَا مَنَّةُ<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ انْهَزَمْنَ مَشْتَتَاتٍ الشَّمْلُ نَحْوَ قُصُورِهَا

\*\*\*

فَلِيَهَا الجَيْشُ الفَخْوُ رُ بِنَصْرِهِ وَبِكُسْرِهَا !  
فَكَأَنَّمَا « الألمان » قَدْ لَبِسُوا البَرَاغَ بَيْنَهُنَّ  
وَآتُوا ( بَهِنْدِ نَبْرَج )<sup>(٢)</sup> مُحْتَفِيًا بِمِصْرٍ يَقُودُهُنَّ  
فَلِذَلِكَ خَافُوا بِأَسْنِهِنَّ وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهَا !

### امتداد الثورة إلى المدن والأقاليم

كانت القاهرة ولا تزال ، في مختلف العهود ، قلب مصر النابض ، وعلمها الخفاق ،  
ورأسها المفكر ، فيها تنشأ الآراء والأفكار والخواطر ، ومنها تصدر الحركات الفكرية  
والسياسية ، والتطورات الاجتماعية والاقتصادية

وفيها بدأت الثورات والانقلابات ، ثم سرت منها إلى مدن الوادي وقراه  
هكذا كان ولم يزل شأن القاهرة ، وتلك منزلتها السامية على مدى السنين  
اعتبر ذلك فيما كان لثورات القاهرة على عهد الحملة الفرنسية من الأثر البعيد في مختلف  
النواحي ، فقد امتد صداها واتسع مداها ، وقلدتها الأقاليم في الثورة والانتفاض على

(١) المنة : القوة

(٢) هو المارشال هندبرج القائد الألماني الشهير في الحرب العالمية الأولى

الفرنسيين<sup>(١)</sup> ، وكذلك كان شأنها في الثورة العراقية ، وهذا أيضاً كان شأنها في ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد بدأت في القاهرة ، ثم امتدت إلى المدن والنجور ، والقرى القريبة والبعيدة ، وتشابهت مظاهرها في الريف والحضر ، حتى كأن هناك تديراً سابقاً لقيام ثورة عامة في كل أرجاء البلاد ، والواقع أن لا تديراً ولا اتفاق ، بل هي القاهرة ، عاصمة القطر السياسية والفكرية ، تغذى البلاد بأفكارها وعواطفها ، وتفيض عليها من أمانها وآمالها ، وتشركها في أفراحها وأحزانها ، فكانت البلاد مرآة ، تنعكس عليها صورة القاهرة ، أو كأنها الأفق ، يتردد فيه صدى نداء العاصمة

لم تكذباً تبدأ المظاهرات والإضرابات في القاهرة ، حتى انتقلت أخبارها بسرعة البرق إلى الأقاليم ، فبعثت فيها روح الحماسة ، وقلدتها في النضال والثورة ، وفاقتها في بعض المواطنين في العنف والشدة ، وساعد على انتشار روح الثورة في أرجاء البلاد انتقال كثير من طلبة القاهرة إلى بلادهم وقراهم بعد إضراب المدارس وإفغالها في العاصمة ، حملوا معهم إلى أهلهم ومواطنيهم أفكار الثورة ومبادئها وأساليبها ، وكانت النفوس على استعداد كما أسلفنا لتلبية أي نداء للثورة

قامت المظاهرات في الإسكندرية وطنطا ودمهوز والمنصورة وشبين الكوم والزقازيق وبنى سويف والمنيا والفيوم وأسيوط ، وسائر العواصم والبنادر ، بحيث لم يأت اليوم الرابع عشر والخامس عشر من شهر مارس حتى عمت الثورة معظم المديرية ، وانتهى بعض هذه المظاهرات بسلام ، وقوبل بعضها بضرب الرصاص ، فقتل وجرح كثيرون من المتظاهرين ، وسنذكر في الفصل السادس تفاصيل الثورة في الأقاليم ، مكتفين الآن بالعموميات

### قطع السكك الحديدية

في ١٢ مارس وما بعده سرت في النفوس فكرة قطع المواصلات ، فقطعت خطوط السكك الحديدية وأسلاك البرق والتلفون ، وكان أول خط قطع بين طنطا وتلا ، وامتد القطع إلى مختلف الخطوط ، وانقطعت المواصلات بين القاهرة والأقاليم ، وبين البلاد بعضها

(١) راجع كتابنا « تاريخ الحركة القومية » الجزء الأول ص ٣١٤ وما بعدها والجزء الثاني ص ٤٨ وما بعدها

و بعض ، وتعذر على الناس أن ينتقلوا من جهة إلى أخرى إلا بطريق السفن في النيل والترع ، وصارت البلاد جميعها في حالة ثورة عامة ، وفي ذلك يقول اللورد ملنر في تقريره انه « في ١٦ مارس قطعت سكك الحديد والأسلاك التلغرافية في القاهرة وبين الوجهين البحرى والقبلى وقطعت المواصلات تماماً بين القاهرة والوجه القبلى ، ولم يأت يوم ١٨ مارس حتى كانت مديريات البحيرة والغربية والمنوفية والدقهلية قد جاهرت بالثورة »

عمت الحركة أرجاء البلاد ، دون أى تدير أو تنظيم ، ولم تكن ثمة دعوة إليها ، أو هيئة أو لجنة أو جماعة توجهها وتصدر تعليماتها فيها أو تشرف عليها ، بل شملت البلاد فجأة وعلى غير انتظار ، فكان ذلك من مظاهر جلالها وروعيتها ، وظهر فيها فضل الشعب ، ولو أن لجنة ألفت سراً أو علناً لتنظيم الثورة ووضع الخطط لها ، لما دبرت ونفذت بهذا الإحكام ، بل أغلب الظن أن تضطرب في توجيهها ولا تصادف هذا الإجماع وذلك النجاح

### إنذار القائد العام

ولما وصلت العاصمة الأنباء الأولى عن قطع السكك الحديدية ، أصدر القائد العام للقوات البريطانية في ١٣ مارس بلاغا يتوعد فيه كل من يتلف أو يشرع في إتلاف خطوط المواصلات الحديدية أو البرقية أو التلغرافية بالإعدام رميا بالرصاص ، قال :

« جناب القائد العام للقوات في القطر المصرى ينذر الجمهور أن كل من يتلف مواصلات سكك الحديد أو التلغراف أو التلفون أو يلحق أى عطل بها أو يعبث بها بأى وجه من الوجوه أو يحاول عمل أى شىء من هذه الأعمال يعرض نفسه للإعدام رميا بالرصاص بمقتضى الأحكام العرفية »

وقد أرسل هذا البلاغ مطبوعا بحروف كبيرة إلى المحافظين والمديرين لتعليقه في المدن والبنادر والقرى ، ولكن الجمهور لم تؤثر فيه هذه التهديدات ، بل لم يصله نبؤها غالباً ، لأن الذين كانوا يقومون بهذا التخريب لا يقرأون الصحف في الغالب ، ولا يلقون بالهم إلى مثل هذا البلاغ ، واستمرت حركة تخريب الخطوط الحديدية والمحطات

واضطر القطار الذى سافر من القاهرة يوم ١٥ مارس قاصداً الوجه القبلى إلى الرجوع إلى العاصمة ، بعد وصوله إلى محطة « الرقة » ، لقطع الخط فى طريقه ، وكسرت عرباته ونوافذه ، ثم دُمر كثير من المحطات الأخرى ، فضلاً عن خلع القضبان فى كثير من الأرجاء وأشارت السلطة العسكرية إلى تخريب المحطات والسكك الحديدية بقولها فى بلاغها المؤرخ ١٨ مارس : « ووقع مثل هذه الحوادث ( حادثة طنطا التى سيرد الكلام عنها ) فى أجزاء أخرى من البلاد أفضت إلى نهب محطات السكك الحديدية والقطارات وإحراقها ونهب المخازن وتدمير كثير من ممتلكات الحكومة والأفراد ، وتتخذ الاحتياطات العسكرية فى جميع أنحاء البلاد لحماية المحطات والمواصلات »

وأصدرت من قبل بلاغا — فى ١٧ مارس — حملت فيه القرى نفقات إصلاح الخطوط التى تتلف بالقرب منها ، والتعويضات عن إحراق المحطات الواقعة بجوارها ، قالت : « إن القرى الواقعة بقرب الخطوط الحديدية التى يحدث بها تلف تكون مسئولة عن جميع نفقات الترميمات وكذلك عن التعويضات فى حال إحراق المحطات أو حدوث نهب أو سلب »

### الإنداز بإحراق القرى

ولما اتسعت حركة قطع السكك الحديدية وتدمير المحطات ، أصدرت القيادة العامة فى ٢٠ مارس الإنداز الآتى :

« كل حادث جديد من حوادث تدمير محطات السكك الحديدية أو المهمات الحديدية يعاقب عليه بإحراق القرية التى هى أقرب من غيرها إلى مكان التدمير ، وهو آخر إنذار » واستدعى الجنرال بلفن Lieut General Bulfin القائد العام بالنيابة بعض الأعيان والوزراء السابقين إلى مركز القيادة البريطانية بفندق سافواى بميدان سليمان باشا ، وأبلغهم أنه لم يتخذ حتى ذلك اليوم إلا تدابير دفاعية لقمع الاضطرابات فى البلاد ، ثم قال ماتعريبه : « فإذا استمرت هذه الحوادث فسوف أرانى مضطراً إلى اتخاذ تدابير فعالة قوية ، وإنى أحذركم من حملى على انتهاج هذه الخطة التى تكون عاقبتها وبالاً على البلاد ، فإن قوامها

تدمير العائر وتخريب البيوت ، فضلا عن إحراق القرى وإهراق الدماء البريئة ، إلى غير ذلك مما يقتضيه الموقف ، وقد استدعيتكم إلى هنا لأنذركم هذا الإنذار ، واعلموا أنه آخر ما أوجهه من الإنذارات . فاعملوا كل ما في وسعكم لتهدئة الأهالي ومنعهم من إحداث القلاقل ، وإلا فإنني منفذ خطتي »

وأخذت السلطة العسكرية من ناحيتها تقمع حركة قطع الخطوط الحديدية ، فأمرت بتسيير كتائب طوافة من الجنود المسلحين بالبنادق والمدافع لتجوب البلاد التي يتراعى إليها نبأ وقوع هذه الحوادث فيها

واستخدمت الطائرات الحربية في بعض النواحي للسهر على حماية الخطوط وتشيت الجموع الذين كانوا يتلفون المحطات ويخربون الخطوط الحديدية ، وحدث أن أطلقت النار على بعض الطائرات التي تقوم بأعمال الدورية ، فأجابت هذه بقذف القنابل وإطلاق مدافع المتراليوز ، فأحدثت خسائر شديدة من القتلى والجرحى

### منع الخروج ليلا

ولما لاحظت السلطة العسكرية أن إنلاف الخطوط الحديدية كان يقع ليلا ، منعت خروج الناس من منازلهم من الساعة التاسعة مساء إلى الساعة الرابعة صباحا ، وأصدرت بذلك أمراً هذا نصه :

المادة الأولى — يجب على جميع سكان البنادر عدم مبارحة مساكنهم فيما بين الساعة ٩ أفرنجي مساء والساعة ٤ صباحا

المادة الثانية — عمد ومشايخ البلاد والعرب والخفراء مسئولون شخصياً عن كل مخالفة للأوامر تحدث في دائرة اختصاصهم ، وعليهم أن يبلغوا عن الأشخاص الذين يقع منهم أي إضرار واعتداء

المادة الثالثة — يمنع استخدام الخفراء للمحافظة على السكك الحديدية بعد غروب الشمس وستقوم الجنود البريطانية بخفارة السكك الحديدية ليلا



المادة الرابعة — ممنوع انتقال سكان القرى من قرية إلى أخرى بين غروب الشمس وشروقها

### الحملة لقمع الثورة

ووجهت الحملات والتجاريده إلى المديرية لقمع الثورة ، فسيرت القيادة البريطانية فصائل متنقلة من الجند في الوجه البحري ، وأنشأت خطوطاً منظمه من الدوريات كانت تطوف بالبلاد بين السكك الحديدية والطرق الزراعية ، وانفذت البواخر النيلية إلى الوجه القبلي محملة بالمدافع والقوات والذخائر لقمع الثورة في مديريات الوجه القبلي ، وسيرت القطارات المسلحة في مختلف الجهات علاوة على الفصائل المتنقلة ، وأنشأت أيضاً دوريات مائية على سفن مسلحة في النيل والترع ، وكانت هذه الدوريات والبواخر تستهدف أحياناً لإطلاق النار عليها من الثوار ، واستخدمت الطائرات الحربية لحراسة القطارات المسلحة ، فكانت تحلق فوقها وترافقها في سيرها ، وتطلق النار على كل حشد من الناس تشبه في نيته

### الحالة بعد انقطاع المواصلات

أخذ الناس بعد انقطاع المواصلات الحديدية يستخدمون السفن الشراعية في النيل والترع للذهاب من بلد إلى آخر ، وارتفعت أجورها ارتفاعاً كبيراً ، أما السيارات فقلما كانت تستعمل ، لأن الطرق الزراعية أصابها التلف أيضاً بسبب الحفر والخنادق التي حفرت فيها ، وركب الناس الخيل والبغال والحير في المواصلات القريبة

وأما في العاصمة ، فقد استمر إضراب عمال الترام وتعطيل ما يسير منها ، واستمر إضراب سائقي سيارات الأجرة ، وإضراب الخوذية ، وحلوا سائقي عربات الأمتيوس على الإضراب معهم ومن لم يسايرهم حلوا بغال عرباتهم لمنعها عن المسير ، فتعذرت المواصلات تعذراً تاماً ، ولم يعد بها سوى السيارات الخاصة ، وهذه كانت قليلة العدد ، لا يركبها إلا السراة والمترفون ، وراجت في تلك الأيام عربات ( الكارو ) كما تقدمت الإشارة إليه ( ص ١٨٥ ) بحيث كان يركبها أهل الطبقات الممتازة ، ويجدون في العثور على مكان بها مغنياً كبيراً . . .

ومما يروى في هذا الصدد أن مستشارى محكمة الجنايات ببني سويف غادروها بعد أن تعذر عقد الجلسات بها بسبب الثورة ، وجاءوا إلى القاهرة في نحو العشرين من شهر مارس ، وكان قدومهم في مركب شرعى بطريق النيل ، ولم يجدوا عند وصولهم سوى عربات (الكارو) فركبوا واحدة منها ، وذهبوا إلى بيوتهم فرحين !

وجاء العاصمة أيضاً في أواخر مارس مستشارو محكمة الجنايات بأسيوط ، وكان قدومهم بالسيارة من أسيوط إلى بني سويف ، ومنها ركبوا النيل في مركب شرعى حتى بلغوا العاصمة

### إصلاح بعض الخطوط

بذلت الحكومة جهداً كبيراً في إعادة بعض ما أتلّف من الخطوط الحديدية تدريجاً ، فتمكنت يوم ١٩ مارس من إعادة المواصلات على خط كوبرى الليمون إلى المطرية فقط ، ثم على خط حلوان ، ووُضعت في القطارات جنود مسلحة لخفارتها ذهاباً وإياباً ، وأرسلت القطارات حاملة المهمات إلى خطوط الوجه البحرى ، لإصلاح ماتلف منها ، وقامت البواخر النيلية إلى الوجه القبلى لإصلاح خطوطه الحديدية ، وقع الثورة ، وبدأت القطارات تسير في غير نظام يوم ١٩ مارس من القاهرة إلى الإسكندرية ، وبور سعيد فقط ، حاملة بعض موظفى المصلحة وعمالها ، لإصلاح الخطوط ، وأذاعت السلطة العسكرية في بلاغها الصادر يوم ٢٠ مارس ضمن الأنباء الهامة أن قطاراً قام من القاهرة في الساعة ٤ والدقيقة ١٥ بعد ظهر يوم ١٩ مارس ، فوصل إلى بنها في الساعة ١٠ مساءً ، أى أنه قطع المسافة بين القاهرة وبنها في نحو ست ساعات ، وأبلغ أن الحالة هادئة على الخط ، وأن هذا القطر عاد صباح ٢٠ مارس من بنها ، فوصل إلى العاصمة في الساعة ٤ والدقيقة ٢٠ بعد الظهر دون حادث ، وفي بلاغ آخر أن قطار ركاب غادر القاهرة يوم ١٩ مارس فوصل إلى الإسكندرية في الساعة التاسعة والرابع من صباح اليوم التالى ، وأن القطارات تسير إلى بور سعيد «ولكن نقل الركاب محدود نظراً للضرورات العسكرية»

ووصف سائق قطار جاء من الإسكندرية إلى القاهرة يوم ٢٠ مارس حالة الخط بين العاصمتين فقال : إن الخط من الإسكندرية إلى طنطا لم يصب بسوء ، وتسير فيه القطارات على مهل ، ومن طنطا إلى بنها بقي خط واحد صالح لسير القطار ، والخط الآخر معطل ، وأن الخط من بنها إلى القاهرة متخرب تسير فيه القطارات بمنتهى التمهّل والحذر ، وأن عمال السكة الحديدية منتشرون في جميع المحطات لوصل أسلاك التلغرافات والتلفونات المقطوعة ونَدَرَت القطارات السائرة بين العاصمة والإسكندرية رغم إصلاح الخط ، وأخذت تسير نهاراً ، وتكف عن السير ليلاً ، أما مواصلات الوجه القبلي فظلت مقطوعة منذ ١٥ مارس

ومنعت السلطة العسكرية السفر على الخطوط التي أعيدت ، إلا بجواز منها ، وألصقت على جدران محطة العاصمة يوم ٢٤ مارس إعلاناً قالت فيه إنه مرخص بالسفر بالسكة الحديدية إلى الإسكندرية والإسماعيلية وبور سعيد والسويس فقط ، وإن الترخيص يعطى (أولاً) للأوروبيين بشرط أن يكون معهم جوازات سفر مؤشر عليها بما يفيد الإذن لهم بالسفر إلى الخارج ، (ثانياً) وأن يكونوا فعلاً من السكان المقيمين في أحد البلاد الأربعة المذكورة ، أما المصريون فيرخص لهم بالسفر بشرط أن يكونوا من موظفي الحكومة ومعهم كتابات رسمية تميز لهم السفر موقعاً عليها من أحد رؤساء مصالحهم الإنجليز (كذا) ، وأن يثبتوا أن الغاية من سفرهم القيام بخدمة تخص السلطة العسكرية !

ومعنى هذا الإعلان منع السفر تقريباً ، لأنه محصور في دائرة ضيقة جداً ، ومقصود بالنسبة للمصريين على الموظفين بشروط شديدة

وبدئاً بتنفيذ هذا النظام من يوم ٢٦ مارس ، وصدرت الأوامر فوق ما تقدم بمنع الدخول إلى المحطات ، ثم أبيع الحصول على جوازات السفر للمصريين غير الموظفين ، إذا كانوا من غير سكان العاصمة ويودون العودة إلى بلادهم ، بشرط أن يحصل طالب السفر على شهادة من مأمور مركزه عن شخصيته وحالته ، ولما كانت المواصلات مقطوعة

ولا سييل إلى الاتصال بأمورى المراكز ، فقد تعذر السفر على غير الموظفين ، ومنع السفر بالسيارات من القاهرة أو من الاسكندرية إلا بجوازات سفر من السلطة العسكرية  
أما البضائع فقد امتنع نقلها بدهاءة بطريق السكة الحديدية ، وأعلنت المصلحة يوم ٢٤ مارس أنه بالنظر إلى الأحوال الحاضرة قد تعذر نقل البضائع المسالمة إلى المحطات ، وطلبت من أصحابها استردادها من هذه المحطات ، وعلى الخصوص من محطة القاهرة  
وصارت الخضرة والفاكهة تنقل إلى القاهرة على الحير وعربات ( الكارو ) من البلاد القريبة ، لغاية المرج وشبين القناطر ، ثم من البلاد البعيدة ، كبنها ، وبركة السبع وطنطا  
وفي ٢٦ مارس أعلنت مصلحة السكة الحديدية أن عدد المحطات التى يرخص بالسفر إليها بجوازات سفر بلغ ١٢ محطة ، هذا بيانها :

الإسكندرية . بور سعيد . القنطرة . الإسماعيلية . السويس . بنها . الزقازيق .  
المنصورة . المحلة الكبرى . كفر الزيات . طنطا . دمنهور

على أن الحركة على هذه الخطوط كانت مضطربة ، والسفر غير مأمون ، لاحتفال حدوث قطوع جديدة فيها ، وقد حدثت قطوع فى بعضها بعد إصلاحها ، وأحجم كثير من سائقي القطارات عن قيادتها خوفاً من المخاطر ، فأصدرت المصلحة منشوراً أنذرتهم فيه بضرورة تلبية أى طلب بالقيام للسفر ، وباتخاذ الإجراءات اللازمة ضد كل من يرفض إطاعة الأوامر

وأحجم الناس من تلقاء أنفسهم عن ركوب القطارات خوفاً من التعرض للأخطار ، وزاد فى إحجامهم ما نشرته السلطة العسكرية فى بلاغها المؤرخ ٥ إبريل الدال على خطورة الحالة ، إذ قالت : « لكى لا يكون اعتقاد حسن ، سابق لأوانه ، فيما يتعلق بحالة السكك الحديدية التى يمكن إدراكها من الحقيقة الواقعة ، وهى أن بعض القطارات تسير بنظام بين القاهرة والإسكندرية ومدن القنال ، فى حين كادت المواصلات تتم إلى أسوان ، يمكن القول إنه نظراً لتدمير المحطات وآلات الإشارات فى الوجهين البحرى والقبلى ، لا بد أن يمضى وقت طويل قبل أن تقوم السكك الحديدية بنقل الركاب والبضائع كالعادة ، ثم أن

تدمير المصاييح التي لا يمكن سدا ما ينقص منها في هذه الآونة يجب أن ينقص احتمال العمل ليلاً ، وفوق ذلك يجب أن يبقى إصلاح سلك حديد الدلتا الخفيفة وبعض خطوط فرعية معلومة إلى أن تتم تسوية الأحوال تماماً »

### تعطيل المواصلات التلغرافية والتليفونية

#### واضطراب البريد

ترتب على قطع كثير من الخطوط التلغرافية تعطيل المواصلات البرقية ، فأذاعت مصلحة التلغرافات في ١٦ مارس إعلاناً بأن جميع التلغرافات تقبل تحت مسئولية أصحابها لأنها عرضة للتأخير ، وإعلاناً آخر بالجهات التي تقبل فيها التلغرافات ، وانقطعت المواصلات التليفونية بين القاهرة والإسكندرية وغيرها من المدن ، واستخدمت مصلحة التلغرافات الطائرات السريعة لنقل التلغرافات بدلا من الأسلاك المعطلة

وحددت في ٢٢ مارس عدد المكاتب التي أعيدت إليها المواصلات بطريق الأسلاك التلغرافية والتي تقبل فيها التلغرافات تحت مسئولية أصحابها ، وعددها ثلاثة وعشرون مكتباً ، وهي : طنطا . شبرا المنلة . كفر الزيات . إتيای البارود . محلة روح . المحلة الكبرى . سمند . الرجدية . تلا . البتانون . شبين الكوم . شنوان . الحامول . منوف . كمشوش . رملة الأنجب . سمادون . أشمون . دفرة . الكنيصة . الطيرية . كوم حماده . واقد

وفي ٢٧ مارس عينت مكاتب أخرى مما أصلحت خطوط التلغراف إليها ، وهي : الإسكندرية . دسوق . العامرية . بهيج . إدفينا . القبارى . مرسى مطروح . السلوم . دمنهور . الرمل وفروعها . بنها . ميت بره . القرين . دنشال . سحالى . أبو حمص . معمل الزجاج . عزبة خورشيد . كفر الدوار . أبو الأخضر . أبو صوير . أبو حماد . الإسماعلية . التل الكبير . القصاصين . المحسمة . نفيسة . القنطرة . فايد . السويس . حوض السويس . ابيار . برما . قرنشو . بسيون . القضاة . صا الحجر . المنصورة . دكرنس . ميت عسان .

الراهبين . طلخا . مكاتب الدلتا المتصلة بخط كفر الزيات . الطور . أبو زليمة . جمسة . سفاجة .  
الغردقة . قويسنا . التوفيقية . الزقازيق . الزنكلون . شبلنجة . جبارس . صنفط الملوك

### البريد

واضطرب البريد بسبب قطع المواصلات الحديدية ، وتكدست الرسائل في مكاتب  
البريد ، وحال انقطاع المواصلات دون نقلها في القطارات ، واتفقت مصلحة البريد مع  
السلطة العسكرية على نقل الرسائل بالطائرات بين القاهرة والإسكندرية ، وبعض المدن  
الأخرى ، وجعل مركز هذه الطائرات في مصر الجديدة ، وحددت مواعيد لقامها ، وقدم  
البريد الرسمي على ما سواه ، بحيث لا يقبل بريد الأفراد إلا إذا كان في محمول الطائرة محل  
له بعد بريد الحكومة

وأعلنت المصلحة يوم ١٦ مارس إيقاف قبول الخطابات المؤمن عليها والطرود والصرر ،  
وصار البريد ينقل إلى الوجه القبلي ومنه ، على البواخر النيلية ، فيتأخر كثيراً عن مواعده ،  
فقد وزعت المصلحة يوم ٢٠ مارس أول بريد جاء على إحدى بوآخر الحكومة من يوم  
انقطاع المواصلات ، ثم استخدمت الطائرات في نقل بريد الوجه القبلي  
ونقل البريد من الفيوم إلى القاهرة على ظهور الإبل

### وقف سريان الإجراءات القانونية

ولما صارت البلاد في حالة ثورة حقيقية ، وانقطعت المواصلات سواء في العاصمة أو بينها  
وبين الأقاليم ، وبين البلاد ذاتها ، أصدرت السلطة العسكرية قراراً نشر يوم ١٧ مايو سنة  
١٩١٩ بعدم سريان المواعيد القانونية المبينة في قانون المرافعات ، جاء في ديباجته ما يأتي :  
« حيث أنه نظراً لحالة الاضطراب في البلاد وما نشأ عنها من تعطيل المواصلات قد قامت  
العوائق في سبيل كثيرين من المتعاقدين والخصوم فلم يتسن لهم أن يقوموا في المواعيد المعينة  
بالإجراءات اللازمة لحفظ حقوقهم ، وحيث أنه لذلك يتعين إيجاد حل من شأنه أن يمنع

على قدر الإمكان كل شك يمكن أن يحوم حول ماهية هذه العوائق ومفعولها ، وكل ضرر يترتب عليها ، فهذه الأسباب ، أنا إدمند هنرى هينمن ألنبي بما هو معطى لى من السلطة بصفتى الجنرال القائد العام لقوات جلالة الملك فى مصر ، آمر بما هو آت « ، وبلى ذلك القرارات ، وهى :

أولاً — يوقف سريان جميع المواعيد المحددة لسقوط الحق بمضى المدة أو لبطلان المرافعة أو لأى إجراءات قضائية أو غير قضائية يترتب على عدم استيفائها سقوط حق من الحقوق وذلك ابتداء من ١٢ مارس سنة ١٩١٩ إلى الأجل أو الآجال التى يعينها وزير الحقانية بمقتضى قرار وزارى

ثانياً — لوزير الحقانية أن يحدد بمقتضى قرار وزارى مدة الإيقاف المذكور بحسب الأقاليم أو المحاكم التى يسرى عليها قراره وله أن يؤجل المواعيد التى حددها وأن يتخذ أى إجراءات أخرى يراها ضرورية لتنفيذ هذا المنشور

ثالثاً — كل الأحكام القضائية التى صدرت أثناء مدة الإيقاف المذكور ضد أى شخص لم يمكنه الحضور أمام المحكمة أو تقديم دفاعه يجوز الطعن فيها على وجه الاستثناء بطريق المعارضة ويشترط فى ذلك ( أولاً ) أن تكون الأحكام المطعون فيها غير قابلة للطعن بالطرق العادية و ( ثانياً ) أن يثبت الطاعن للمحكمة أنه لم يتمكن من الحضور أو تقديم دفاعه نسبة لظروف الاضطراب الحالى و ( ثالثاً ) أن ترفع هذه المعارضة فى ظرف ١٥ يوماً من انقضاء الزمن المحدد للإيقاف أو من تاريخ نشر هذا المنشور أو من أخير هذين التاريخين

وأذاعت وزارة الحقانية فى ٢٥ مايو سنة ١٩١٩ القواعد الآتية الخاصة بالحقوق والمواعيد : ( ١ ) عرائض الدعاوى المدنية الكلية والاستئنافية المحصل عليها ربع الرسم النسبى أو أمانات ، المعلنه فى شهر ابريل سنة ١٩١٩ ، ولم يتيسر قيدها فى الجدول بسبب الأحوال الماضية المعروفة ( كذا ) لأصحابها الحق فى طلب تجديد إعلانها على أيدي المحضرين بلا رسم ا كتفاء بالرسم المستحق على الإعلان سواء كان نسبياً أو مقررأ طبقاً للمنشور الصادر فى يونيه سنة ١٩١٨ ( ٢ ) عرائض الاستئناف التى تعذر تقديمها إلى المحاكم فى خلال

شهر ابريل سنة ١٩١٩ بسبب الأحوال الماضية المعروفة ، ومضى الميعاد العادى للاستئناف فيها تقبل للإعلان ، وتفيد بعد تحصيل ربع الرسم المستحق عليها وكذلك الحال بالنسبة إلى المعارضات ( ٣ ) الشهادات التى تطلب من قلم الكتاب عن قيد استئنافات كانت جلساتها فى شهر ابريل سنة ١٩١٩ ولم تفيد فى الجدول تعطى لطالبيها .

وفى ٢٨ مايو سنة ١٩١٩ أذاعت الوزارة قراراً بانتهاء مدة الإيقاف المنوّه عنها فى بلاغ الجنرال ألنبي فى أول يونيه ، وذلك بالنسبة لمحاكم الوجه البحرى الأهلية والشرعية ، مع استثناء بعض المحاكم الجزئية التى رأت امتداد الإيقاف فيها ( بسبب تأثرها من حوادث الثورة ) وهى : محاكم : قليوب . شبين القناطر . العياط . الصف . كوم حماده . أشمون . قويسنا . هميا . بلبليس . بورسعيد . السويس

وفى ٢١ يونيه أصدرت قراراً آخر بانتهاء مدة الإيقاف فى أول يولية بالنسبة لمحاكم الوجه القبلى الأهلية والشرعية والمحاكم التى استئنيت فى القرار السابق ، والمحاكم المختلطة عامة .

### عود إلى الثورة فى القاهرة

قلنا إن الثورة امتدت من القاهرة إلى الأقاليم ، ومن الحق أن نقول أيضاً أن امتدادها هذا كان له صداه فى القاهرة نفسها ، فإن أنباءها لم تسكد تصل إليها حتى ضاعفت من روح الحماسة والتضحية فى نفوس أهلها ، قاتسع مداها وقويت شوكتها ، وتعددت مظاهرها ، وهكذا تنافس الريف والحضر فى رفع لواء الثورة والجهاد ، وقد اقترن استمرار الثورة فى القاهرة بإمعان السلطة العسكرية البريطانية فى العسف والتنكيل .

### دور الأزهر فى الثورة

وهنا يجب التنويه بالدور الذى قام به الأزهر فى الثورة ، فقد كان الأزهريون فى مقدمة صفوف المتظاهرين ، ومن أكثر الطلبة جرأة وحماسة وتضحية ، ومن أشد العاملين



على بث روح الثورة والإضراب في طبقات الشعب ، وكثيراً ما كانت المظاهرات تبدأ من الأزهر ، هذا إلى أن الاجتماعات العامة كانت تعقد فيه غالباً ، فكان يموج كل مساء بالألوف المؤلفة لسماع الخطب النارية والقصائد الحماسية تلقى فيه ضد الاحتلال والحماية ، فكان يتعاقب على المنبر الأزهريون وطلبة المدارس ، وبعض العلماء والقسس والمحامين والصحفيين والعمال وغيرهم من مختلف الطبقات ، والجموع تؤمه وقت إلقاء الخطب ، فيضيق بهم فناء المسجد على سعته ، وفيه كانت تدبر المظاهرات وترسم الخطط

كان دور الأزهر في ثورة سنة ١٩١٩ شبيها بالدور الذي قام به في أول ثورة شبت في عهد الحملة الفرنسية ( اكتوبر سنة ١٧٩٨ ) ، إذ كان معقل هذه الثورة ، فقد ذكر نابليون في تقريره إلى حكومة الدير كتوار أن « لجنة الثورة » كانت تنعقد بالأزهر<sup>(١)</sup> ، ولعلك تذكر في حديثنا عن هذه الثورة<sup>(٢)</sup> قولنا : « إن الأزهر كان مركز الثورة في أواخر القرن الثامن عشر ، وقد شغل هذا المركز بعداً أكثر من مائة عام ، فإن الأزهر خلال سنة ١٩١٩ كان في فترة من الزمن المعسكر العام للثورة القومية التي قامت في مصر عقب انتهاء الحرب العالمية ، والتاريخ يعيد نفسه<sup>(٣)</sup> »

وإذ رأت السلطة العسكرية أن الأزهر أصبح معقلاً للثورة ، فقد أرصدت الدوريات الإنجليزية أمام أبوابه ، لكي تمنع خروج المظاهرات من داخله ، فرابطت أمامها مدججة بالسلاح والمدافع الرشاشة ( المتراليوزات ) ، ولكن هذه الوسائل لم ترهب الطلبة ، بل كانوا يقتحمون جماعات الجند أو يتخطونهم ويؤلفون مظاهراتهم غير بعيد عن أبواب الأزهر ، وقد حدث أن هجم أحد الطلبة على أحد المدافع الرشاشة واختطفه من أيدي الجند وسار به نحو زملائه عند أبواب المسجد ، فألهب الحماسة في نفوسهم ، ولكن الجند أدركوه واستردوه منه ، وقتلوه رمياً بالرصاص ، فكان هذا العمل في ذاته جراً منقطعة النظير

(١) و (٢) تاريخ الحركة القومية الجزء الأول ص ٢٧٤ وما بعدها ، طبعة سنة ١٩٢٩  
(٣) ص ٢٨٥ من المرجع السابق ، ولكن التاريخ مع الأسف لم يعد نفسه في الأزهر بعد سنة ١٩١٩ و ١٩٢٠ ، فإن الحركات السياسية التي ظهرت فيه عقب ذلك وبخاصة في سنوات ١٩٢٤ و ١٩٢٥ و ١٩٢٨ و ١٩٣١ و ١٩٣٨ وما بعدها ، لم يصدر معظمها عن أهداف قومية عليا ، بل عن أغراض حزبية أو شخصية

وحاولت السلطة العسكرية أيضاً منع اجتماع الجماهير في الأزهر ، فضاغت دوريات الجند أمام أبوابه ، وفي مسالك الطرق المؤدية إليه ، يسدون فيها وجه قاصديه ، ولكن الجماهير كانت تفسد خطتهم ، واتخذ الناس مسالك أخرى يجهلها الجنود ، منها مخارم بشارع الشنواني لا يعرفها سوى الأزهريين ، ومنها سطوح المنازل المجاورة ، ينتقلون عليها من سطح إلى سطح ، وهدموا جداراً بأحد المنازل المجاورة له لكي يصل الناس منه إلى المسجد ، وكان يتعذر على السيارات المقلدة للجنود أن تتوغل في كثير من المسالك المؤدية إليه ، لضيقها والتوائها

### خطباء الثورة

كان الأزهر كما أسلفنا محفلاً عاماً للخطابة ، وهو المكان الفسيح الذي لم تستطع السلطة العسكرية اقتحامه ومنع الاجتماعات العامة فيه ، ويرجع ذلك إلى مكاتبه ومنزله الدينية ، فكان لذلك ميداناً تبارى فيه الخطباء من كل الطبقات ، وقد ظهرت فيه شخصيات برزت بمواهبها الخطابية ، وكان بعضهم يسترعى الأسماع حقاً بخطبه الحماسية ، ومن الصعب أن نحصر هؤلاء الخطباء جميعاً ، ولكن من الممكن أن نذكر بعضهم ، فمنهم : الشيخ مصطفى القاياتي . الشيخ علي سرور الزنكلوني . الشيخ محمود أبو العيون . الشيخ عبده ربه مفتاح . الشيخ محمد عبد اللطيف دراز . الشيخ عبد الباقي سرور . وكلهم من علماء الأزهر ، ثم القمص مرقس مرجيوس . القمص بولس غبريال . محمد أبو شادي بك . الأستاذ محمد كامل حسين . الأستاذ محمد لطفى المسلمي . الأستاذ يوسف الجندي . الأستاذ إبراهيم عبد الهادي . الأستاذ حسن يس . محمد افندي يوسف . محمود افندي عبد السلام المدرس . الأستاذ محمد شكرى . الأستاذ محمد عبد الجيد بدر . الأستاذ محمد أمين صدقي . الدكتور زكي مبارك . الدكتور محبوب ثابت الخ الخ

### منتديات الثورة

ُعرفت في هذا العهد أماكن كان يجتمع فيها دعاة الثورة والمتحدثون عن شؤونها أو

شؤون البلاد عامة ، وكانت الأفكار تصدر عنها ، والمسائل العامة تدرس فيها ، وفيها تتخذ القرارات ، أو ترمم الأهداف التي يرى توجيه الحركة إليها

وليس من السهل حضر هذه الأماكن ، وبخاصة الأماكن السرية ، ولكن يمكن أن نذكر في طليعتها : الأزهر . بيت الأمة . محل جروبي القديم بشارع المناخ ( الملكة فريدة — الآن عبد الخالق ثروت) . محل صولت بشارع فؤاد . قهوة ريش بشارع سليمان باشا . بار اللواء . قهوة الجندي وقهوة السلام بميدان الأوبرا . دار عبد الرحمن فهمي بك بقصر العيني . دار أمين بك الرافعي بالحلمية الجديدة . دار الشيخ مصطفى القاياتي بالسكرية . دار محمود سليمان باشا بشارع الفلكي . دار ابراهيم باشا سعيد خلف بيت الأمة الخ

### مظاهرة ١٧ مارس الكبرى

كانت هذه المظاهرة من أكبر مظاهرات الثورة ، وقد نظمت تنظيمًا محكمًا ، واحتاط لها منظموها ، وأبلغوا الحكمدارية أمرها من قبل ، فرأت السلطة العسكرية أن لا تتعرض لها حقنًا للدماء ، وتولى رسل بك ( باشا ) حكمدار العاصمة بنفسه حفظ النظام في هذا اليوم المشهود ، وركب سيارة في مقدمة المظاهرة حتى لا يصطدم بها الجنود البريطانيون ، وبدأت سيرها من جهة الأزهر ، وكانت مؤلفة من مواكب متلاحقة تحمل أعلامها وشارات طوائفها ، وانتظم فيها الألوف من طبقات الأمة كافة ، فسار فيها العلماء والقضاة والمعلمون والمحامون والتجار وأرباب الأعمال وطلبة الأزهر ، وطلبة المدارس جميعها ، وطوائف الصناع ، وبالجملة مثلت فيها طبقات الأمة المقيمة في القاهرة ، فكانت مظاهرة هائلة ، وسارت في أكمل نظام تهتف بالحرية والاستقلال

سارت جموع المتظاهرين من الأزهر ، فالتبليطة ، فالغورية ، إلى قصبة رضوان ، فالحلمية الجديدة ، في ميدان عابدين ، في ميدان الأزهار ، فشارع البستان ، فقصر الدوبارة ، فالقصر العالي ، ثم عادت إلى شارع سليمان باشا ، فشارع مظلوم ، فشارع الساحة ، فشارع المدابع ( شريف باشا ) ، في ميدان الأوبرا ، فشارع كامل ( ابراهيم باشا ) ، فشارع عباس

(نهضة مصر) حيث انتهت هناك برجاء من الحكمدار ، بعد أن استمر سيرها ثمانى ساعات كاملة ، وكان اجتيازها كل شارع يستغرق أكثر من ساعة ، وقد أعجب كل من شهدوا هذه المظاهرة بقدرة المصريين على التنظيم والمحافظة على النظام ، فإن مثل هذه المظاهرة التي كانت تضم نحو خمسين ألفاً من المتظاهرين لو حدثت في أعظم الحواضر الغربية لكان من المحتمل أن يحدث فيها انتفاض أو اضطراب أو هرج ومرج ، أو اعتداء من المتظاهرين ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، واستمرت المحال التجارية مفتوحة في الشوارع التي اجتازتها المظاهرة ، ولم يحدث أى اعتداء عليها ، من أى نوع كان ، واشتملت جميع المتظاهرين روح واحدة ، وهي المتفاف بحياة مصر وحريتها واستقلالها

غير أنه حدث في خلال سير المظاهرة أن أطلقت النار على المتظاهرين من نوافذ بعض البيوت ، من مصدر غير معروف ، قيل أنه بعض الجنود البريطانيين ، وقيل بعض الأرمن ، ولم تعرف الحقيقة تماماً ، وقد أصيب بعض المتظاهرين ، وسقط بعضهم قتلى ، ومع ذلك لم يضطرب حبل النظام ، وإن كان قد حدث رد فعل لهذا الاعتداء ، وهجم بعض المتظاهرين على بعض المتاجر الأجنبية فحطموها ، ولكن هذه الحركة لم تستفحل ، وأوقفت لفورها بفضل حكمة منظمى المظاهرة ، واستمرت المظاهرة في سيرها حتى نهايتها ، وأبلغ منظمو المظاهرة احتجاجاتهم إلى معتمدى الدول الأجنبية

وقد أشارت السلطة العسكرية إلى هذه الظاهرة في بلاغها المؤرخ ١٨ مارس ، ونوهت بما اشتملت عليه من النظام ، وأثنت على منظميها ، وعلى ولاية الأمور ، قالت : « وفي ١٧ الجارى حدثت مظاهرة منظمة في القاهرة بإذن من السلطة العسكرية ، فسار موكب مؤلف من بضعة آلاف من الناس في شوارع المدينة ولم يقع حادث سبى بفضل الاحتياطات التي اتخذها كل من ولاية الأمور ومنظمى المظاهرة »

ويبدو أن ما رآته السلطة العسكرية من ضخامة المظاهرة قد جعلها تعود إلى منع المظاهرات ، فأعلنت عن ذلك في بلاغها الصادر بتاريخ ١٨ مارس ، إذ جاء فيه : « وعقد القائد العام النية على إعادة النظام وعلى اتخاذ جميع الوسائل اللازمة لوضع حد للأحوال

الجايزة ، واتباعا لهذه الخطة أصدر أوامر مشددة بأنه لا يسمح في إبان القلق الحالى باجتماعات  
عمومية أو مظاهرات أو مواكب »

وحذر البلاغ الناس من الاشتراك في المظاهرات أو مجرد مشاهدتها بقوله : « فللقائد  
العام والحالة هذه الثقة بأن جميع الذين يطيعون القانون يساعدونه في إعادة النظام بتنحيهم  
عن الاشتراك في المظاهرات العامة أو مشاهدتها »

وتنفيذاً لتعليمات القائد العام نصبت المدافع السريعة الطلقات ابتداء من يوم الثلاثاء  
في الميادين الكبرى ، كميديان الأوبرا ، وميدان باب الحديد ، والعتبة الخضراء ، وميدان  
الأزهار ، ومواقع أخرى ، ورابط بجانبها الجنود والفرسان المسلحون بالبنادق

### المظاهرات في الأيام التالية

لم يؤثر هذا البلاغ في الجماهير ، واستمرت المظاهرات في الأيام التالية ، وظلت قطارات  
الترام معطلة ، عدا خطأ واحداً ، وهو الموصل بين شبرا والعتبة الخضراء بحراسة الجنود  
البريطانيين ، وتعددت المظاهرات في كل ناحية دون انقطاع ، رغم أن السلطة العسكرية  
أعدت العدة لمنعها ، وكان الإنجليز يتصدون لها لتفريقها ، ويطلقون الرصاص على المتظاهرين  
من البنادق والمدافع الرشاشة ( المتراليوزات ) ، وبخاصة في شوارع قصر العيني وبولاق ،  
ورابطت شراذم منهم في الأحياء الوطنية ، وبخاصة في مداخل الأزهر والشوارع المؤدية إليه  
لمنع التجمهر والمظاهرات

وكانت مظاهرة بولاق على الأخص ميداناً لحوادث دموية مروعة ، فقد اجتمع عمال  
العنابر وجهور من الصناع وبعض الشبان في شارع بولاق يوم ١٨ مارس ، وساروا رافعين  
الأعلام قاصدين الأزهر للانضمام إلى المتظاهرين به ، فاعترضتهم القوات البريطانية بالقرب  
من كوبري أبي العلاء ، وأطلقت عليهم النار ، فسقط منهم كثير من القتلى والجرحى ، وقد  
عرفنا من أسماء القتلى اسم كل من : محمد الكردي . سيدة حسن من المناصرة بحى عابدين .

محمد عبد المجيد . عبد الحليم سعد محمد . أبو سريع درويش . علي فرحات . محمد السيد فريب .  
محمود السجيني . وهؤلاء من بولاق . محمد منصور

### مظاهرة أخرى للسيدات - ٢٠ مارس

وعقد السيدات عزمهن على إقامة مظاهرة أخرى ، فاجتمعن يوم الخميس ٢٠ مارس صباحا بالحديقة القريبة من النيل بجاردن سقي ، ومن هناك سرن ماشيات ، وفي مقدمتهن ستة أعلام ، كتب على أحدها باللغة العربية « اننا نحتج على سفك دماء الأبرياء العزل من السلاح » ، وكتب على الثاني « نحتج على قتل الأبرياء » ، وعلى الثالث « نطلب الاستقلال التام » ، وعلى الأعلام الثلاثة الأخرى هذه العبارات مترجمة إلى الفرنسية ، رسار المتظاهرات وخلفهن مركباتهن حتى وصلن إلى شارع قصر العيني ، فناظر الجيش بالإنشا ، حتى وصلن إلى شارع سعد زغلول ، ووقفن أمام « بيت الأمة » هاتفات ، ثم أقبلت قوة كبيرة من البوليس ومن الجنود الإنجليز في سيارات مسلحة ، فضربوا نطاقا حولهن ، وظل الحصار نحو ساعتين ، وهن واقفات في الشمس ، من منتصف الساعة الحادية عشر صباحا حتى الساعة الواحدة بعد الظهر ، وأرسلن باحتجاجاتهن إلى سفارات الدول ، وجاء القنصل الأمريكي بنفسه ، وشاهد هذا الحصار ، فذهب إلى فندق سافواي حيث القيادة البريطانية ، واحتج على هذه الفظاعة ، فصدر الأمر على عجل برفع الحصار ، وتمكن السيدات من الخروج من النطاق المضروب حولهن ، فركبن السيارات والعربات التي كانت تنتظرهن ، وانصرفن إلى بيوتهن

### الشرطة الوطنية

ألف المتظاهرون في أيام الثورة جماعة منهم يتولون حفظ النظام في أثناء سير المظاهرات وفي الاجتماعات التي كانت تعقد لسماع الخطب أولتنظيم المظاهرات ، سميت « الشرطة الوطنية » ، جعل لأفرادها شارات خاصة تميزهم عن سواهم ، وهي شريط من القماش الأحمر يحيط بالذراع الأيسر ، وقد كتب عليه بالقماش الأبيض ( بوليس وطني ) ، وكانوا يحملون العصي ليقصوا

عن المتظاهرين من يندس فيهم من الغوغاء ، ومنهم من كان يحمل القرب وقلل الماء لسقيا من يظاً من المتظاهرين ، وكان الناس يخرجون إليهم بالماء لسقيهم ، وبعضهم يسقيهم الماء الحلى بالسكر ، وكان الجمهور يستجيب لنداء الشرطة الوطنية ، ويعمل بإرشاداتهم عن طواعية واختيار ، فكان لهذه الجماعة فضل كبير في تنظيم المظاهرات والبعدها عن الاعتداء على الممتلكات والأنفس ، وقد أسندت رأستها إلى الشيخ مصطفى القاياتي ، وكان يصدر تعليماته إلى أفرادها من منزله بالسكرية

وبالرغم من أن هذه الجماعة قد أفادت في حفظ النظام ومنع اندساس الغوغاء في المظاهرات فإن السلطة العسكرية أصدرت أمراً في ١٧ ابريل سنة ١٩١٩ بمنعها ، وتوعدت من ينتمى إليها بالاعتقال والمحاكمة ، قالت :

«يأمر القائد العام في القطر المصري بما له من السلطة الممنوحة لتطبيق الأحكام العرفية بما يأتي : « انصل بعلم ولاية الأمور أنه أنشئت جمعية البوليس الوطني ، غرضها الظاهر صون القانون ، وحفظ النظام ، وقد وزعت هذه الجمعية على أعضائها شارة يلبسونها ، ونظمتهم على هيئة قوة بوليس ، وإذا كان من واجب كل وطني معاونة البوليس ، في تأييد النظام ، فإن جمعية كالجمعية التي تقدم ذكرها لا يمكن أن يسمح بها ، فتأليف هذه الفرقة وما يماثلها من الفرق محظور ، وكل من يعثر عليه مرتدياً شارة هذه الفرقة أو سواها من الفرق التي تماثلها بعد الساعة السادسة من صباح غد (١٨ ابريل) يقبض عليه ويحاكم بمقتضى الأحكام العرفية»

### اعتداء الجنود البريطانيين على المجتمعين في القهاوى

لم يقتصر اعتداء الجنود البريطانيين على المتظاهرين ، بل أخذوا يعتدون على القهاوى التي يديرها مصريون أو يجلس فيها المصريون عادة ، كقهوة الجندي ، وقهوة السلام بميدان الأوبرا ، وقهوة الشيثة ، ومحل جروبي القديم

وفي ٣١ مارس أحاط الجنود البريطانيون ومعهم مفتشون من الإنجليز بجميع القهاوى والمحال العمومية في وقت واحد ، وأجروا تفتيش جميع المصريين الجالسين بها بحجة ضبط

المنشورات الثورية التي يحملونها ، وكرروا هذا الهجوم والتفتيش غير مرة

### منع حمل الأسلحة

إلا بتصريح من السلطة العسكرية

كان السلاح ممنوعاً حمله إلا بترخيص من وزارة الداخلية ، طبقاً للوائح المتبعة ، ولكن السلطة العسكرية أصدرت بلاغا يوم ٣٠ مارس أعلنت فيه أن حمل الرعايا المصريين للأسلحة النارية أو لأى نوع من الأسلحة داخل حدود محافظة القاهرة يعد مخالفاً للأحكام العرفية ما لم يكن حاملها حاصلًا على رخصة من السلطة العسكرية ، وأنذرت من يخالف هذا الأمر بالسجن لمدة أقصاها سنة أو بغرامة أقصاها ٢٠٠ جنيه أو بالعقوبتين معاً

### جنازات الشهداء

ظهرت روح الثورة في تقدير الأمة لضحايا المظاهرات ، ممن قتلوا بنيران البنادق أو المدافع الرشاشة ، فكان الشعب يمجّد فيهم التضحية والبطولة ، وقد تجلّت هذه الروح في جنازات أولئك الشهداء ، فكان الشعب يشترك في مواكبها ويشيع الشهداء إلى مقبرم الأخير ، وكانت هذه الجنازات تنتظم صفوف الشعب من جميع الطبقات ، وتضم الألوف المؤلفة من المشيعين ، وكانت من أعظم المواكب التي شهدتها مصر روعة وجلالا ، ويخيل لمن شاهد هذه الجنازات ورأى ضخامتها أن الأمة بأكملها كانت تخرج لتوديع شهدائها ، وكان بعض الجنازات يضم عدة شهداء يشيعون معاً ، وعلى كل نعش اسم صاحبه الشهيد يحف به العلم المصرى ، وكانت أولى هذه الجنازات جنازة الشاب مصطفى ماهر أمين التي تقدم الكلام عنها (ص ١٧٥)

وفي يوم ٩ ابريل احتفل بشييع جنازة أربعة شهداء قتلوا في مظاهرة يوم ٨ منه التي سيرد الكلام عنها ، وذلك في موكب مهيب لا يدرك الطرف آخره ، وقد سار المشيعون في نظام وصمت وسكون ، يعروه حزن عميق ، وكان يتخلل هذا الصمت بين حين وآخر



نداء واحد يعبر عن شعور المشيعين : « لتحيّ ضحايا الحرية »

وفي ١١ ابريل شيعت جنازة أربعة عشر قتيلا من الشهداء الذين قتلوا في المظاهرات ، فكان موكب الجنازة رهيباً يبعث الأمل والحزن في النفوس ، بدأ سيره من مستشفى قصر العيني حيث نقلت نعوش الشهداء بعضها تلو بعض ، وقد عرفنا من أسمائهم : السيدة شفيقة محمد من سكان قسم الخليفة<sup>(١)</sup> . أحمد مصطفى شكري . محمود أحمد من حي الخنفي . أحمد كيلاي من هندسة السكة الحديد . أحمد السرمي من الخرنفش . زكي محمد من حي أبي العلاء . محمد علي عامر من الخليفة . محمد بدر من السيدة زينب . حسين محمود الجمالي من باب الشعرية . أحمد فهمي من المغربلين . موسى أمين . ليتو سرور ومشي في الجنازة عشرات الألوف من طبقات الشعب وشيعوا الشهداء إلى متوالم الأخير

وفي ١٢ ابريل احتفل بتشييع جنازة أربعة قتلى آخرين من شهداء المظاهرات في مشهد جليل اشترك فيه المشيعون من الرجال والسيدات وقد تجددت جنازات الشهداء في نوفمبر سنة ١٩١٩ كما سيجيء بيانه

---

(١) في دفتر وفيات قسم الخليفة قيدت وفاة السيدة شفيقة محمد يوم ١٠ ابريل « وسبب الوفاة جروح رصاصية اخترقت الصدر والبطن ، ومحل سكنها الخرطة القديمة بالخليفة بمنزل عثمانوي شياخة إبراهيم غباشي »

وجاء عنها في منشور من المنشورات الثورية بتاريخ ١٠ ابريل سنة ١٩١٩ تحت عنوان : ( شفيقة أولى ضحايا السيدات المصريات ) ما يأتي : « انجبت الموقعة عن قتل أول شهيدة مصرية في حرب الحرية ، عن أول ضحايا سيداتنا . عن موت شفيقة » ، وختم المنشور بقوله : « ان أباهما قد أودعها عواطف الشعب المصري الكريم وتعزى عن وحيدته بحرية بلاده ، فهكذا الرجولة وهكذا الإخلاص للوطن ، ففي ذمة الإنسانية : شفيقة . ومس كافل . وجان دارك ! »

## الفصل السادس

### الثورة في الأقاليم

بيننا بالفصل السابق (ص ١٩٠) كيف امتدت الثورة إلى الأقاليم ، والآن نذكر في شيء من التفصيل ما وسعنا تدوينه من وقائع الثورة في كل منها

#### في الإسكندرية

لما وصلت أنباء مظاهرات القاهرة إلى الإسكندرية ، اتفق طلبة المدارس والمعاهد الدينية فيها على الإضراب ، و نفذوا عزمهم يوم الأربعاء ١٢ مارس ، فأضربوا في هذا اليوم وألقوا موكبا بدأ يتحرك من ميدان مسجد أبي العباس المرسي ، الذي اتخذه الجمهور في الإسكندرية قاعدة للمظاهرات ، وساروا هاتفين للحرية والاستقلال ، ميممين شطر دار المحافظة القديمة بشارع رأس التين ، وفيما هم سائرون أدركهم الأميرالاي جارفز بك حاكمدار الإسكندرية ، يصحبه المستر انجرام مأمور الضبط ، فأمر مأمور قسم الجمرح بتفريق المظاهرة تنفيذاً للأمر العسكري الصادر بمنع الاجتماعات والمظاهرات ، ولكن المتظاهرين لم يتفارقوا ، وساروا متجهين إلى ميدان محمد علي ، وهناك صدتهم عن المسير قوة من بلوك الخفر مشاة وركبانا ، فوقفوا عن السير ، وانتهت المظاهرة بسلام ، وأغلق بعض أصحاب المحال العمومية محالهم حين علموا بهذه المظاهرة ، ولكن المتظاهرين لم يقع منهم أي اعتداء على أحد ، ونزلت قبل الظهر قوة بريطانية للمحافظة على النظام وللمساعدة البوليس المصري على تفريق الجموع ، وقبض على ٥٠ شخصا من المتظاهرين حجزوا في أقسام المدينة

وتجددت المظاهرات يوم الجمعة ١٤ مارس ، ثم يوم السبت والأحد

وكانت مظاهرة يوم الأحد تنتظم الجموع الزاخرة من طلبة المدارس والمعاهد الدينية والتجار والصناع وعمال السكة الحديدية والفنارات والأحواض وورش الحكومة وغيرهم ،

وظافت المظاهرة في أهم شوارع المدينة وانتهت بسلام

ثم تغيرت الحال بعد ذلك ، فلم يأت يوم الاثنين ١٧ مارس حتى كانت القوات الإنجليزية المسلحة منتشرة في بعض الشوارع ، وعلى مداخل الطرق والحارات في الأحياء الوطنية ، وكان الظن أن هذه القوات لا تتعرض للمتظاهرين ما داموا في حدود النظام والقانون ، ولكن حدث ما لم يكن أحد يتوقعه ، فقد تألفت في هذا اليوم مظاهرة كبيرة من طلبة المدارس الثانوية ، ومدرسة محمد علي الصناعية والمعاهد الدينية والعمال ، وبدأت من ميدان أبي العباس ، وساروا إلى الانفوشي ، ولكن الجنود البريطانية ضربت نطاقاً حولهم ومنعتهم عن المسير ، فلم يمتنعوا ، وأطلق الجند عليهم النار ، فسقط منهم ستة عشر قتيلاً ، وأربعة وعشرون جريحاً ، ونقل الجميع إلى الإسعاف بحالة مروعة

وقد عرفنا من أسماء القتلى : منصور على الديب ( طالب عمره ١٣ سنة ) . السيد أبو العينين . أحمد محمد السخاوي . الشافعي قاسم . حسن العزازی . عمر حسن الأفندي ( طالب ) . السيد عبد المجيد . الصاوي عفيفي . محمد ابراهيم . أحمد علي صالح . أحمد محمد جسان . أحمد أبو السعود . ابراهيم حسن حبيش . طه علي عامر . عبده أحمد كامل الجداوي . ( وهؤلاء العشرة الأخيرون بحجارة من المسافر خانة قسم الجمرک )

أذكت هذه المظاهرة ونهايتها الدموية نار الحماسة في نفوس الأهليين ، فتعددت بعد ذلك المظاهرات العنيفة في الثغر ، وكانت المظاهرات الكبرى تبدأ عادة كل يوم جمعة عقب الصلاة ، وتأخذ مسيرها من ميدان أبي العباس ، وتحترق أهم شوارع المدينة

واعتقلت السلطة العسكرية عدداً كبيراً من الطلبة والعمال بحجة اشتراكهم في المظاهرات

فبلغ عدد المعتقلين من طلبة المعهد الديني وخدمه ٤١٥ طالباً

وتجددت الحوادث الدموية بالثغر في شهر ابريل ، فوقع تصادم بين المتظاهرين والجنود البريطانيين يوم ١٠ منه بباب عمر باشا ، وتصادم آخر صبيحة اليوم التالي بحى كرموز ، قتل فيه من المصريين ثلاثة وجرح ستة ، ثم تجدد التصادم بعد ظهر اليوم ، فقتل من

المصريين سبعة عشر ، وجرح كثيرون ، وقتل عرفنا من أسماء القتلى . محمد عثمان . اسماعيل محمد . أحمد علي . حسن التوني . عبدالعزيز عبد الخالق ، وكلهم من باب عمر باشا ثم تجددت المظاهرات الدامية في نوفمبر ، كما سيجيء بيانه

#### في بور سعيد

وحدثت في بور سعيد مظاهرة يوم الجمعة ٢١ مارس ، بدأت في شارع أوجيني ، وسارت نحو شارع محمد علي ، فتصدى لها الجنود البريطانيون وأطلقوا النار على المتظاهرين ، فبلغ عدد القتلى منهم سبعة ، وعدد الجرحى سبعة عشر ، وقد عرفنا من أسماء القتلى : ابراهيم الزيني تاجر من دمياط . فريد الغنام من عزبة البرج . السيد المصري . عبد العزيز فزاع . محمد عباده ( طالب ) . محمد خليفة . رجب السلواني

#### في البحيرة

قامت بدمهور مظاهرة كبيرة يوم ١٧ مارس طافت في بعض شوارع المدينة ، فتعرض مدير البحيرة ابراهيم حلیم باشا بشخصه للمتظاهرين ، وأهانهم بكلمات أثارت غضبهم ، إذ تخداهم أن يكون بينهم رجل ، فانقضوا عليه ضربا بالنعال ، حتى كادوا يجهزون عليه ، لولا تدخل البوليس ، وقد شنت الجند المتظاهرين ، وقتلوا منهم ١٢ شخصا عرفنا من أسمائهم : أمين محمد جوهر . محمد سلمان محمد . أحمد محمد حسين . ابراهيم محمد عمر وحوكم بعض من قبض عليهم بتهمة الاعتداء على المدير أمام محكمة عسكرية عقدت في دمنهور ، فأصدرت على المتهمين أحكاماً مختلفة بالسجن والجلد والغرامات وصدر أمر عسكري يحظر على الأهالي الخروج من منازلهم بين الساعة السابعة مساء إلى الساعة الرابعة صباحا ، ومنع السفر من دمنهور وإليها بغير جواز رسمي وهجم البدو على مركز كوم حمادة ، فأرسلت قوة بريطانية لقمع حركتهم ، وصدتهم

#### في رشيد

حدثت في رشيد يوم ١٧ مارس مظاهرة بدأت سلمية ، وسارت من قبلى المدينة إلى

بحريها ، وانضمت إليها جموع الشعب ، فتصدى لها مأمور المركز محمد مصطفى حجاب ،  
فوقع تصادم بينه وبين المتظاهرين ، أمر على أثره رجال البوليس بإطلاق النار عليهم ،  
فقتل شاب من أبناء أحد الأعيان يسمى ابراهيم زيدان ، فثارت نائرة الجماهير ، وهاجموا  
ديوان المركز ورجموه بالطوب والحجارة ، وأضرمو فيه النار ، ولا تزال آثار التدمير والحريق  
ظاهرة في بنائه ، وخرب بعضهم محطة السكة الحديد وخلعوا قضبانها وأتلفوا خطوط التلغراف  
والتلفون ، وساد الهرج والمرج في المدينة ، على أن ذوى المكانة فيها ألّفوا من بينهم لجنة  
حفظت فيها النظام ، بعد أن لجأ مأمور المركز إلى إحدى العزب القريبة من المدينة ، وفي  
اليوم التالي والذي يليه حضرت قوة من الجنود الهندية بقيادة ضابط بريطاني ، يصحبه  
المأمور ، وألقت القبض على نحو تسعين شخصاً ، ممن أرشد عنهم المأمور ، نذكر منهم :  
محمد سمك التاجر وعضو المجلس المحلي . ونجله عبد العزيز سمك . عبد الحميد سمك . عبد  
العزيز مجمية التاجر وعضو المجلس المحلي . أحمد الجارم طالب حقوق ( الآن قاض بالمحاكم  
الأهلية ثم مستشار ) . عبد الحكيم الجارم ( الآن موظف ببنك مصر ) . محمود الطويل التاجر .  
وآخرين ممن سترد أسماؤهم في محركات الثورة ، وقد نقلوا جميعاً إلى سجن الحدره بالإسكندرية  
حيث حقق معهم ، وأحيل ستون منهم إلى محكمة عسكرية بريطانية كما سيجيء بيانه في  
الفصل الحادى عشر

## في الغربية والمنوفية

### في طنطا

في يوم الأربعاء ١٢ مارس قامت مظاهرة كبيرة في طنطا ، تألفت بداءة ذى بدء من  
طلبة الجامع الأحمدي والمدربة الثانوية ، وأخذوا يطوفون في الشوارع الكبيرة ، وانضم  
إليهم الشعب ، فصارت مظاهرة ضخمة ، جمعت عدة آلاف من المتظاهرين ، ينادون  
بالحرية والاستقلال ، وسارت المظاهرة بسلام إلى ان وصلت إلى شارع المديرية ، واتجه  
المتظاهرون صوب المحطة ، ليجعلوها خاتمة المطاف ، ثم يتفرقون ، ولكن حدث هناك حادث

صروع ، إذ كانت شردمة من الجنود البريطانيين ترابط بالمحطة ، فما ان اقترب المتظاهرون ، وكلهم عزل من أى سلاح ، حتى انهال عليهم الجند رمية بالرصاص ، وكان معهم وبالأسف نفر من رجال البوليس المصرى ، فبلغ عدد الضحايا من المتظاهرين ستة عشر قتيلا ، وتسعة وأربعين جريحاً ، وهذا الإحصاء مأخوذ من بلاغ السلطة العسكرية عن حوادث الثورة ، فكانت مظاهرة دموية

وقد عرفنا أسماء من قتلوا فيها ، وهم : مرزوق محمد اسماعيل طالب بالمعهد الأحمدي من منيل الهويشات مركز طنطا . السيد يوسف المبيض تاجر . محمد عامر العربى مزارع . على على جابر من خرسيت مركز طنطا ( طالب ) . محمد مصطفى السيد من محلة مرحوم ( طالب ) . السيد السيد أبو قورة ( طالب ) . محمد ابراهيم راشد من شنتنا منوفية ( كاتب ) . محمد درويش التهامى من سبرباى ( تاجر ) . عبد المجيد ابراهيم الديهى من الفرستق مركز كفر الزيات ( طالب ) . منصور فهمى جرجس ( طالب ) . محمد محمود شادى من سنجرج منوفية ( طالب بالمعهد الأحمدي ) . مصطفى محمد هاشم من قصر نصر الدين مركز كفر الزيات ( طالب ) . محمد على زيدان شيال . محمود السيد جمعة ( طالب ) . محمد حسين عفيفى من قويسنا ( طالب بالمعهد الأحمدي ) . عبد الرحمن نصر من طنطا

وزعمت السلت العسكرية فى بلاغها عن هذه المجزرة أن المتظاهرين أرادوا الهجوم على المحطة ، فكان ما كان من الضرب والتقتيل ، وهى مزاعم باطلة أرادت بها ستر فظاعة اعتداء الجند ، فاختلفت هذا السبب المكذوب ، لأن المتظاهرين ما كان فى نيتهم الهجوم على المحطة ولا على أى مبنى آخر من مباني الحكومة

ولم يكف الجنود البريطانيون بعد هذه الواقعة عن الاعتداء على الأهالى ، ففى ١٦ مارس قتل أحد المارة بسبع طلقات من مدفع رشاش منصوب فوق سطح المحطة ، وقتل غلام ضربا بالسنج عند سروره بالقرب من المعسكر الإنجليزى ، وفى ١٧ منه أطلق الرصاص على شاب كان يمر مصادفة على مقربة من هذا المعسكر

### في بركة السبع

وهاجمت فصيلة من الجنود البريطانيين جماعة من المتظاهرين كانوا يعملون على تدمير  
كوبرى السكة الحديدية ببركة السبع ، فقتل وجرح منهم كثيرون

### في قلين ودمشق

وفي ليلة ١٨ مارس دمرت محطة قلين تدميراً تاماً ، ثم قطعت السكة الحديدية بين  
طنطا وقلين ودمشق والجهات الأخرى الواقعة شمالى المديرية

### في سمنود

وتعددت المظاهرات في سمنود ، وقتل في إحداها الملازم الأول ابراهيم محمد عمار  
ملاحظ نقطة سمنود يوم ١٨ مارس ، وجرح أحد عساكر البوليس وقتل ثلاثة من الأهلين ،  
وهم محمد مصطفى الشراوى فقيه . السيد عنتر أبو حبيب تاجر . الحاج محمد حسن شحاته خياط

### في زفتى

ألف طلبة المدرسة الثانوية ( مدرسة السيد بك كشك ) بزفتى مظاهرة طافت في  
المدينة وانضم إليها الأهليون ، فبعثت في المدينة وما حولها روح الثورة ، وتألقت لجنة للثورة  
برئاسة المرحوم الأستاذ يوسف أحمد الجندى ، أعلنت الاستقلال ، وأنزلت العلم الذى كان  
يرفع على المركز ، ورفعت بدله علماً آخر وطنياً ، إيداناً بإعلان الاستقلال ، وأذاعت في  
منشور طبعته ووزعته في المدينة أن إليها يرجع الأمر والنهى ، وكان مأمور المركز من خيار  
الرجال ، وهو المرحوم اسماعيل بك حمد ، فتعاون مع اللجنة بصفة غير رسمية ، وشاركها شعورها  
وميوها ، إذ كانت ميوله وطنية ، وتركها تباشر سلطة الإدارة ، فألفت لجاناً فرعية ، إحداها  
للمحافظة على الأمن وأخرى لتحصيل عوائد البلدية ورسوم شركة الأسواق ، وأخذت تنفق  
ماحصلته في مرافق المدينة ، وردمت بعض المستنقعات وأصلحت الشوارع ، وشغلت في ذلك

العمال العاطلين ، وكان اسماعيل بك حمد يجتمع وأعضاء اللجنة في مقرها بأعلى قهوة «مستوكلي» وأصدرت جريدة أسمتها «الجمهور» كانت تطبع بمطبعة محمد افندي عجينة ، ولما ترمى نبأ هذه اللجنة وبخاصة إعلانها الاستقلال إلى السلطة العسكرية ، أنفذت إليها قوة من الأستراليين لقمع الثورة ، وحين اقتربت القوة من المدينة أخذ الأهالي يحفرون الخنادق العميقة في الطرق الزراعية الموصلة إليها ، وخلصوا قضبان السكة الحديدية ، فاستعدت القوة لمهاجمة المدينة ، وصوبت إليها المدافع ، فتدخل اسماعيل بك حمد في الأمر وتوسط بين القوة ولجنة الثورة ونصح هذه بالكف عن المقاومة إبقاء على المدينة ، وأذن للقوة بدخولها على أن لا تتدخل في شؤون الإدارة ، إذ احتمال هو مسئوليتها ، فدخل الجند المدينة ، وعسكروا في بحريها وقبلها ، وأخذوا يبحثون عن أعضاء لجنة الثورة ، فلم يرشد إليهم أحد ، وحظرت القوة على الأهالي التجول في المدينة من غروب الشمس إلى مطلع الفجر

### في كفر الشيخ

قامت بكفر الشيخ يوم ١٦ مارس مظاهرة تألفت من الطلبة ، ثم اتسعت بانضمام الشعب إليها حتى بلغت عدتها عشرة آلاف شخص ، وهاجم المتظاهرون بناء المركز وقذفوه بالطوب والحجارة فأتلفوا بعض نوافذه ، وأطلق الجند الرصاص على المتظاهرين فقتل واحد منهم ، وقطعت السكك الحديدية وخطوط التلغراف ، وعزلت المدينة عن البلدان الأخرى .

ولما تفاقمت الحالة أنفذت السلطة العسكرية إليها فصيلة من الجنود البريطانيين لقمع الثورة ، فجاءوها في صبيحة يوم ٢٦ مارس سنة ١٩١٩ ، وكان عددهم نحو أربع مائة ، واتخذوا مركز البوليس مقراً لقيادتهم وعسكرت الفصيلة في المدرسة الابتدائية ، وجعلتها وجعلت دور العلم مربطاً لخيولها

وأبعدت مأمور المركز عبد القادر افندي مختار ( بك ) عن المدينة بحجة أنه كان مناصراً لحركة المظاهرات ، وأمرته بأن يلزم مدينة طنطا ، وقدم المأمور بلاغا إلى المدير وإلى



وزارة الداخلية بالاعتداءات التي وقعت من هؤلاء الجنود ، وطلب إجراء التحقيق بشأنها ، واحتلت القوة الدور المهمة لمصالح الحكومة وتفتيش الأوقاف السلطانية (الملكية) وأخرجت منه موظفيها عنوة ، وساقتهم إلى سجن المركز ، ثم جاء وكيل النيابة ليتعرف ما حدث ، فضموه إليهم ، وزجوه مع طبيب المركز في السجن ، ثم أفرجوا عنه وعن مفتش الأوقاف السلطانية وطبيب المركز ، وظل باقي الموظفين محبوسين إلى ما بعد العصر

ونهب الجنود دكاكين الأهالي في المدينة واستولوا على ما بها من مأكولات ، وأخذوا يعاقبون الأهالي بالجلد بدون محاكمة ، وفرضوا على كل بلدة من بلاد المركز عدداً من الأهالي لجلدهم يومياً ، وفرضوا على كفر الشيخ ٧٥ ، وعلى سخا ٢٥ ، وعلى ميت علوان ٣٠ ، وهلم جرا ، ولما عجز عمدة سخا وشيخها عن تقديم الضريبة المطلوبة من الرجال جرى بهما إلى المركز وزجا في السجن وأسيئت معاملتهما بأن كلفا بحمل التراب من تحت أرجل الخيل وإدارة طلمبة المستشفى حيث استقر ضباط القوة ، وإدارة طلمبة المركز أيضاً ، على مرأى ومسمع من الأهالي ، وظلوا كذلك أربعة أيام ، وقتل في أثناء هذه الحوادث عدد من الأهالي برصاص الجنود .

وطاف الجنود البريطانيون في أنحاء المركز وقصدوا فيما قصدوا إليه مقر شركة البحيرة بسيدي سالم وكوم الوحال ، وفي طريقهم عرجوا ببلدة (العمدان) وتبادلوا والأهالي إطلاق الأعبرة النارية ، وقبض على الشيخ يوسف عاشور عمدة العمدان ، وحوكم بتهمة التحريض على العصيان ، وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً (وأفرج عنه سنة ١٩٢٤)

واعتدى الجنود في بلدة [ كفر دسرو ] التابعة لمركز المحلة الكبرى على عفاف فتاة كانت تشتغل في حقها يوم ٦ أبريل سنة ١٩١٩ ، وسلبوها شرفها عنوة واقتداراً ، وأبلغ العمدة هذا الحادث الفظيع إلى المركز بدون جدوى

### في المحلة الكبرى

قامت بها يوم ١٥ مارس مظاهرة ضخمة جمعت طلبة المدارس وسراة المدينة وعمالها

وصناعها وطوائفها كافة ، وطافوا في الشوارع هاتفين للاستقلال والحرية ، وأضرب الطلبة في هذا اليوم وانتهت المظاهرة بسلام ، وتكررت المظاهرات السلمية في الأيام التالية

### في شبين الكوم

وقامت المظاهرات في شبين الكوم منذ يوم ١١ مارس ، وتجددت في الأيام التالية ، وكان قوامها طلبة المدارس الذين أضربوا ومن انضم إليهم من جموع الأهالي وطافت في شوارع البندر الرئيسية ، وانتهت المظاهرات بسلام وحضرت قوة بريطانية مسلحة ، وعسكرت في المدرسة الثانوية ، ومنعت المظاهرات بمعاونة البوليس ، ثم تجددت المظاهرات في اليوم التالي لحضور هذه القوة ، وكانت سلمية ، وقد فرقها البوليس

وقامت في منوف مظاهرات ، وألقى المتظاهرون الطوب والحجارة على المركز فحضرت قوة من البوليس ومن الجيش البريطانى لإعادة النظام وحدث في تلا مظاهرة يوم الخميس ١٣ مارس فجاءتها قوة بريطانية مسلحة من طنطا وقوة من البوليس لمنع الاسترسال في مظاهرات

### في الدقهلية

عمت المظاهرات مديرية الدقهلية ، ونخلها حوادث أليمة سفكت فيها دماء الأهلين ، مما نذكر تفصيله فيما يلي :

### في المنصورة

اجتمع طلبة المدارس الثانوية بالمنصورة يوم الجمعة ١٤ مارس في متنزه الكفانى ، فاستمعوا إلى خطبائهم ، ثم ألقوا مظاهرة سلمية طافت المدينة وانتهت بسلام وفي يوم الثلاثاء ١٨ مارس قامت مظاهرة سلمية كبرى اخترقت شوارع المدينة ، في نظام وسكينة ، ولكن لم تكد تصل إلى نهاية شارع السكة الجديدة ، تجاه مخازن موروم ،

حتى فاجأها الجنود البريطانيون بإطلاق النار بدون تحذير أو إنذار ، فاتقلبت المظاهرة إلى مجزرة مروعة قتل فيها من المتظاهرين تسعة عشر شهيداً ، وأصيب كثيرون بجروح دامية وقد عرفنا من أسماء الشهداء : رمضان ابراهيم عطية ( كاتب ) . العدوى محمد عزام ( عطار ) . محمد بدر محمد ( فقيه ) . محمد المنسى ( حوذى ) . محمد عبد الغنى السندوبى ( ساعانى ) . الشحات محمد حسين ( شغال ) . على حسن على ( بياع ) . أحمد محمد ماهر ( كاتب ) . محمد ابراهيم المهدي من الدراكسة ( طباح ) . ابراهيم المهدي ابراهيم ( صانع أحذية ) . عباس عبد الله الزينى ( جلاد ) . رمضان العفيفى كامل ( بناء ) . حافظ خليل التصيفى ( طالب ) . عبد الرحمن رمضان عطية ( حلاق ) . فؤاد محمد عوض ( كاتب ) . حسن أحمد سليمان ( حوذى ) . حسن محمد الجداوى ( طالب ) اسماعيل محمود زين الدين ( طالب ) . محمد على الشحات ( نجار ) . محمود يونس ( حداد ) . محمد الكنانى ( موظف بالمجلس البلدى ) . على على مصطفى ( مزارع ) . محمد عرفه . عبد العظيم على سلطان من ميت بدر خميس . شعبان المبيض من ميت خميس ، وبعض ، هؤلاء الشهداء قتل فى بضعة الأيام التالية ليوم المظاهرة ، إذ لم يكف الجنود عن الاعتداء على الناس فى الشوارع وإلى تلك المجزرة أشارت السلطة العسكرية فى بلاغها المؤرخ ٢٠ مارس بقولها : « وقعت قلاقل شديدة أخرى فى المنصورة يوم ١٨ الجارى ، واضطر ولاة الأمور للملكيون أن يستدعوا الجنود لمساعدتهم على إعادة النظام » فتأمل فى مغايرة بلاغات السلطة العسكرية للحقائق ، وكيف تقتصر على عبارات وهمية لا تشير إلى شئ من القتل وسفك الدماء

### فى دمياط<sup>(١)</sup>

كان يوم الجمعة ٢١ مارس سنة ١٩١٩ يوماً مشهوداً فى دمياط ، فقد خرجت المدينة عن بكرة أبيها شبابها وشيبتها عقب صلاة الجمعة فى مظاهرة عظيمة تهتف بحياة مصر والاستقلال وسعد زغلول . وكما كانت العادة تصدت لها قوة كبيرة من رجال البوليس لتفريق المتظاهرين بالقوة ومنع استمرارهم فى السير . إلا أنه رغم استعمال رجال البوليس

(١) هذه النبذة مضافة فى الطبعة الثانية

القسوة لم يستطيعوا تشتيت هذه الجموع الحاشدة وإخماد المظاهرة ، ولما لم يفلح مأمور البندر في تفريق هذه الآلاف أخرج مسدسه من جيبيه ولوح به في وجوههم مهدداً بإطلاق النار . فانبرى له أحد زعماء المتظاهرين ويدعى « الحاج احمد عمر » وانزع منه المسدس وأنزله عن صهوة جواده الذي كان يركبه . وانضم إليه بعض المتظاهرين وانهلوا عليه ضرباً . ثم استمرت المظاهرة في طريقها حيث مرت أمام دار البندر فأطلق عليهم أحد رجال الإدارة الرصاص فأصيب محمد رجب الشهاوى التاجر وعضو حسين العباسى المراكبي بإصابات قضت عليهما في الحال . وأصيب غيرها بإصابات غير قاتلة . ثم صدرت الأوامر بمنع التجول وإطلاق النار على أى شخص يسير في الطريق . وسارت الدوريات كاملة السلاح على أهبة إطلاق النار على كل من يرى في الطريق . وبينما كان المدعو محمد الدنون سائراً في طريق سوق الخضار أطلق عليه أحد الخفراء النار من بندقيته فأرداه قتيلاً

وصدرت الأوامر المشددة بعدم الاحتفال بتشييع جنازة هؤلاء الشهداء ، فوارام أهلوم التراب من غير أى احتفال

وقبض البوليس على الحاج احمد عمر ، وعبد السلام الخلو ، ومحمد شحاته ، وأمين المعداوى ، وعضو زغلول ، ومصطفى النحاس الطالب بالمعهد الدينى وقدموا للمحاكمة العسكرية لحكم على الأول بالسجن خمس سنوات قضى منها سنة واحدة في سجن الزقازيق ثم توفى في السجن

وحكم على الثانى بالسجن ثلاث سنوات ووافق الأجل بعد أن قضى عاماً ونصف عام في سجن طنطا ، وقد شيعت جنازته من محطة دمياط إلى القبر في احتفال رهيب وذلك بعد التصريح بنقله من طنطا إلى دمياط

وحكم على الثالث بالسجن سنتين قضاها في سجن المنصورة

وبعد مظاهرة يوم الجمعة قامت مظاهرات أخرى ولكن لم تسفك فيها دماء ، اشتركت فيها دمياط وجميع بلدان الشطوط بعلمائها وتجارها ومحاميتها وطلبتها وموظفيها وعمالها ، تطالب بالاستقلال وتنادى بالحرية .

## في مركز ميت غمر

### مذبحة ميت القرشي

أصبحت بلدة « ميت القرشي » بكارثة أودت بحياة مائة من أهلها ، وذلك أنه في يوم ٢٣ مارس بينما كان الأهليون يقومون بمظاهرة سلمية حول البلد جاء قطار مسلح يقل نيفا ومائة جندي بريطاني ، فوقف القطار ونزل الجنود على مقربة من البلد ، وأرادوا الانتقام من أهل المدينة بدعوى أنه حصل قطع في السكة الحديدية على مقربة منها ، فالتقوا أول ما التقوا بشاب كان في طليعة المظاهرة وهو المرحوم محمد مأمون عبد المعطي نجل عمدة البلد ، فسأله عن تلك الجوع ، فأخبرهم أنها مظاهرة سلمية ، ولم يكذب بتعدد عنهم حتى عاجلوه برصاص بنادقهم ، فسقط قتيلاً ، فلما سمع الناس دوى الرصاص تفرق جمعهم ، فأعمل فيهم الجنود المدافع الرشاشة ، فخصدتهم حصداً ، وتعقبوهم حتى الحقول ، وكلما صادفوا أحداً أردوه قتيلاً ، وبلغ عدد شهداء هذه المذبحة نحو مائة قتيل ، عرفنا أسماء بعضهم وهم : محمد مأمون عبد المعطي . علي عبد العزيز سعد . محمد فخري . محمد المهدي . فؤاد نصر . ابراهيم محمد عطوه . ابراهيم احمد الخلوجي . عبد الوهاب عثمان . سليمان نافع ، الشحات سليمان . شحاته طه العوضى . علي عوض الله . متولى العوضى . عطيه حسن حلوه . صالح الدسوقي جوده . محمد القرشي محمد نور . سليمان هلال . محمد حسن مراد . عبد المجيد ابراهيم . محمود حسن مراد من كفر المحمدية

وعرفنا من الجرحى : السيد سليمان سعد . منادري محمد المرسي . عبد العليم علي جاد الله . القرشي مهدي . مرسي محمد قمر . محمد غنيم الشال . محمد عبد المنعم الصعيدي . الأنسة صديقة عروس عبد المجيد ابراهيم . محمد شعبان . ومن البلاد المجاورة : أسعد أمين من كفر بريري سليمان . محمد شاهين سمره من ميت أبو عربي . هنداوي علي زهرة من كفر الوزير . محمد سالم رضوان من كفر مقدم

وأشارت السلطة العسكرية إلى هذه المأساة في بلاغها الرسمي بقولها :

« حدث في جوار ميت غمر وهي التي ذكرت أمس أنها لا تزال مع زفتي وميت القرشي  
مركزاً للتمرد والفتن أن قطاراً كان يشتغل بإصلاح الخط يوم ٢٢ الجاري فجعله الغوغاء  
( كذا كانت تسمى المتظاهرين ) في معزل بقطع الخط من أمامه ومن خلفه ووصل إلى مكان  
الحادثة قطار مسلح لإسعافه يوم ٢٣ الجاري ، فهاجمه المشاغبون بدوره ولكنهم تكبدوا  
خسارة تزيد على مائة من القتلى والجرحى »

### في كفر الوزير

وفي نفس هذا اليوم مر القطار المسلح بكفر الوزير ، فخرج نفر من الأهلين لمشاهدته ،  
وكان على مقربة من السكة الحديدية جاموسة يقودها صاحبها ، فأراد أن يبعد بها عن الخط  
محافظة عليها ، فأصابته وماشيته طلقات نارية أودت بحياتهما ، وصوب الجند الرصاص نحو  
الأهلين فقتلوا منهم : عناني محمد سليمان . والسيدة بنت بدران

### في تفهنا الأشراف

وفي ٢٧ مارس نزل الجند ببلدة تفهنا الأشراف ، وطلبوا من عمدتها الشيخ عبد العزيز  
القرموطى إخراج رجال من البلدة للعمل في إصلاح السكة الحديدية ، وبالرغم من أنه صدع  
بالأمر وجمع من استطاع من الرجال ورافقهم حيث السكة الحديدية ، فإن الجند قد اعتدوا  
أثناء غيبته على منازل البلدة واقتحموها وسلبوا ما امتدت إليه أيديهم من مال ومؤونة ،  
وقتل في هذه الملحمة عدد من الأهالي عرفنا أسماء بعضهم وهم : عبد الفتاح سيد احمد .  
احمد متولى القرموطى . محمد على وافي . رقية بنت احمد متولى

### في دنديط

وفي ٢٨ مارس هاجموا بلدة دنديط ، وأخذوا يضربون كل من صادفوه من أهلها ،  
فساد الرعب ، وأوى الناس إلى بيوتهم ، فاقتحم الجند البيوت يسلبون ماوصلت إليه أيديهم

من نقود ومصاغ ومثونة . وقتل في هذه الملحمة : عطيه على الغلبان . وحنيفة أم مجوه ،  
وجرح كثيرون ، وبلغت قيمة المنهوبات نحو ٨٧٥ جنيها

### في القليوبية والشرقية

كان أول عمل ثورى قام به أهالى القليوبية أن تظاهر أهالى قليوب يوم ١٤ مارس  
وأحرقوا محطة سكة الحديد فيها ، كما أتلفوا الخط الحديدى بها وفي جوارها ، وأتلفوا الأسلاك  
التلغرافية والتليفونية وخرّبوا الطريق الزراعى بأن أحدثوا به خنادق عميقة تعوق سير  
السيارات ، وقد أنفذت السلطة العسكرية إحدى الطائرات الحربية ، فأخذت تطلق النار  
على المتظاهرين

ويقول البلاغ الذى أصدرته القيادة البريطانية في ١٩ مارس إنه حدث تلف عظيم في  
خطوط السكة الحديدية والتلغرافات في أماكن مختلفة من مديرية القليوبية ، ويؤخذ من  
هذا البلاغ أن المتظاهرين اصطدموا بالجنود البريطانية الذين أطلقوا النار عليهم فقتل سبعة  
من الأهلين وقتل في طوخ وقها خمسة آخرون .

وقد عرفنا من أسماء القتلى في قليوب : حسن على ناصر . عبده عبد الفتاح أبو سنه .  
إمام التلوانى . إسماعيل محمد نور الدين . سيد إبراهيم أبو نشابه . ومن أسماء القتلى في طوخ :  
إبراهيم امبابي ( عمره ٧٠ سنة ) . عفيفي عطا الله . علام على . محمد سعد . مبروك مبروك .  
السيد على . محمد عفيفي

وقامت المظاهرات السلمية في الزقازيق وغيرها من عواصم المديرية ، وفي ١٦ مارس  
هجم المتظاهرون على مركز منيا القمح ، وأطلقوا سراح المسجونين ، ثم هاجموا محطة السكة  
الحديد ، وكانت تخفرها شرذمة من الجنود الإنجليز أطلقت النيران على الأهالى ، فقتل منهم  
ثلاثون وجرح تسعة عشر ، وقد عرفنا من أسماء القتلى : محمود محمد . عبد السلام محمد .  
بندارى محمد . السيد سالم . محمد علم الدين . أم محمد بنت جاد . عامر احمد . على عسكر .  
عمر على . بيومى عطية . حسن السيد . إبراهيم محمد . سلامه محمد . عوض سيد احمد .

عبد الحميد عثمان . ابراهيم السيد . محمد عثمان . يمن بنت صبيح . السيد الكراني . احمد محمود  
السيد سويلم . عوض الله مرسال . عبد الله ابراهيم

### الثورة في الوجه القبلي

كانت الثورة في الوجه القبلي أشد منها في الوجه البحري ، إذ طُبعت في الجملة بطابع  
العنف ، وبلغ من خطورتها أن انقطعت المواصلات تماما بين الوجه البحري والوجه القبلي ،  
حتى أن السير برنار باشا السكرتير المالي لحكومة السودان وبعض الموظفين العسكريين  
والملكيين البريطانيين غادروا الخرطوم يوم ١٧ مارس قادمين إلى مصر ، فاضطروا بعد  
وصولهم إلى الشلال ثم إلى الأقصر أن يغيروا طريقهم بسبب حوادث الثورة ، وعادوا  
إلى السودان ، وجاءوا مصر بطريق بورسودان والسويس

وقد سبق القول ( ص ١٩٣ ) بأنه في ١٥ مارس اضطر القطار الذي سافر من القاهرة  
قاصداً الصعيد ، إلى الرجوع ثانية إلى العاصمة ، لقطع الخط الحديدي في طريقه ، وكسر  
عرباتهِ ونوافذه

وفي اليوم ذاته هجم الثوار على محطتي الرقة والواسطي وعلى القطارات التي بهما ودمروا  
المحطتين وأحرقوها

وقُتل في هذا اليوم المستر آرثر سميث من كبار موظفي مصلحة السكة الحديدية بالقطار  
عند وصوله إلى الواسطي

ودمرت محطات السكة الحديد في بولاق الدكرور والبدرشين والحوامدية ، وعطل  
كوبري قشيشة بين الواسطي وبنى سويف

وفي ١٥ مارس أيضاً قامت مظاهرة كبيرة في مدينة بنى سويف وأغار المتظاهرون على  
الحكمة ، وكانت هيئتها منعقدة ، فعطلوا الجلسة وطرّدوا الموظفين ، وحاولوا القبض على القاضي  
البريطاني ، ولما عجزوا عن ذلك حطّموا مكاتب مختلفة في مصالح الحكومة ، ثم هجموا على  
سراى المديرية ، ولكن قوة من الجنود الهندية أجتهم عنها ، واعتصم النزلاء البريطانيون  
في ثلاثة منازل بالمدينة جعّاوها في حالة دفاع



وقد اندس بين المتظاهرين جماعة من الأشرار بحيث اختلط الأمر وترتب على ذلك وقوع اعتداء على بعض المحلات التجارية ، وأقفلت القهاوى والمطاعم ، واستولى الذعر على النفوس

### في الفيوم

بدأت المظاهرات في الفيوم يوم ١٥ مارس ، واستمرت في الأيام التالية ، وفي ١٩ منه بينما كانت مظاهرة تطوف في المدينة أطلق بعض المتظاهرين عيارات في الهواء كعادة البدو في حفلاتهم ، فتصدت القوة البريطانية لجموع المتظاهرين ، وأطلقت النار عليهم من البنادق والمدافع الرشاشة ، فقتل منهم كثيرون

وقد عرفنا من أسماء القتلى : محمد وهبه ترزى . محمد عبد الدايم . توفيق عبد الباسط درويش ابراهيم . رياض على . عبد العال رزق . احمد احمد حسين . بدوى عبد النبي . سيد محمود . احمد روبي . محمود محمد . نعمان ابراهيم . محمد مسعود . عبد الباقي حسن . غريب محمد . عثمان عطيه . احمد حنفى . السيد فتح الباب . محمد عبد الله . خميس بدوى . احمد رمضان . عبد الجواد احمد . حميده سليمان . محمد عزازى . محمد فرحات . عبد العليم حافظ . عبد النبي على . محمد عطا الله . عبد الباسط عبد التواب . نظير على . محمد جبره . منصور أبو بكر . على محمد . حسن حسين . محمود محمد . فاطمة محمود . سيد على . نعمات محمد

ثم جاءت قوة من البدو وهاجموا الجند فقابلهم هؤلاء بإطلاق النار ، وبلغت خسارة البدو والمتظاهرين أربعمائة من القتلى والجرحى

ورد ذكر هذه المجزرة في بلاغ السلطة العسكرية يوم ٢٠ مارس إذ قالت : « وفي ١٩ الجارى هجمت قوة كبيرة من البدو في مدينة الفيوم على رجال الحرس ولكنها صدت بعد أن تكبدت خسارة ٤٠٠ من القتلى والجرحى »

وأعقب هذه المجزرة توجيه إنذار من القيادة البريطانية إلى أهالى الفيوم والوجه القبلى

هذا نصه :

« في الأيام الأخيرة أطلق البدو النار على الجنود البريطانية وقتلوا بعضهم . فإذا أطلق البدو النيران على الجنود البريطانية مرة أخرى اتخذت في الحال وسائل شديدة قاهرة لا بد أن تفضى إلى ضياع أرواح كثير من الأبرياء . وهذا آخر إنذار »

واقطعت السكك الحديدية في أنحاء المديرية حتى الواسطى بمديرية بنى سويف

وحاصر البدو في مركز إطسا ديوان المركز وطلبوا إلى رجال البوليس فيه أن يسلموا أسلحتهم وحيولهم فأبوا ، فتقاتل الفريقان ، وانجلى القتال عن هزيمة البدو ، ولجأ موظفو مراكز المديرية إلى مدينة الفيوم ليكونوا بأمن من هجمات البدو ، وقام قائد هجاعة البوليس إلى العاصمة راكباً هجيناً ليبلغ ولاية الأمور بوزارة الداخلية خطورة الحالة في اليوم

وأعيدت المواصلات بالسكة الحديدية بين الواسطى والفيوم في ٢٥ مارس

### في المنيا

بدأت المظاهرات في مدينة المنيا يوم ١٠ مارس ، وكانت سلمية ، ثم انقطعت أخبار العاصمة ومواصلاتها وصحفها وبريدها منذ مساء ١٥ مارس ، واستمرت المظاهرات في الأيام التالية تطوف في شوارع المدينة ، وتألقت بها لجنة وطنية للمحافظة على النظام وعلى أرواح الأجانب بها ، وأنشأت فروعا لها في المراكز والقرى لصون الأمن والمحافظة على الأرواح والمصالح ، وكان عدد أعضاء هذه اللجنة نحو خمسة وعشرين من أعيان المدينة والمديرية ، وشهد قناصل الدول وجميع الأجانب أن الحالة في المنيا كانت حسنة ، وقد حافظت اللجنة على أرواح الأجانب والبريطانيين

على أنه رغم جهود اللجنة قامت مظاهرة عدائية بالمنيا يوم ٢٨ مارس وطاف المتظاهرون في الشوارع منادين بهتاف عدائي ضد المدير محمود نصرت بك ، وتدخل البكباشى شاهين لمنع هذه المظاهرة على رأس قوة صغيرة من الجيش المصرى ، وأمر رجاله بإطلاق النار على المتظاهرين فأبوا ، فأطلق هو الرصاص عليهم ققتل ثمانية منهم ، فكان لهذا الاعتداء

أثر أليم في النفوس ، وكان البكباشى شاهين هذا مشهوراً بالقسوة والفظاعة في قمع المظاهرات الشعبية

وفي يوم ٣٠ مارس جاءت المنيا قوة عسكرية بريطانية بقيادة البريجادير جنرال هدلستون<sup>(١)</sup> ، فاستقر في ديوان المديرية ، واستدعى أعضاء اللجنة الوطنية ، وبدأ تيار من الاتهام يتجه ضدهم بأنهم المحرضون على الاضطراب الذي وقع ، وبأنهم اغتصبوا سلطة الحكومة ، فأمر القائد باعتقال ستة منهم وهم : محمد توفيق بك إسماعيل . الدكتور محمود بك عبد الرازق . محمد افندى على رحى . حسن افندى على طراف . الأستاذ رياض الجبل المحامى الشيخ احمد حتاتنه المحامى الشرعى ، وقد حوكموا بعد تحقيق طويل أمام محكمة عسكرية عقدت بالمنيا يوم ١٥ ابريل والأيام التالية كما سيجيء بيانه

وأصدر القائد أمراً بأن كل مصرى يجب عليه أن يجي بالتعظيم كل ضابط انجليزى يمر عليه ، وحظر على كل موظف أن يبارح وظيفته إلا بتصريح منه ولو كان مريضاً

### في مديرية أسيوط

بدأت الحركة في مدينة أسيوط بمظاهرات سلمية يوم ١٠ مارس سنة ١٩١٩ والأيام التالية ، وذلك على اثر وصول الأنباء باعتقال سعد باشا ، وأضرب طلبة المدرسة الثانوية الأميرية ومعهد أسيوط الدينى ومدرسة الأمريكان ومدرسة إخوان ويصا ، وبقية المدارس ، وشاركهم الشعب في المظاهرات ، وسرت الحركة إلى أرجاء المديرية ، وكان لإضراب المحامين تنفيذاً لقرار مجلس النقابة أثر كبير في امتداد الحركة واتساعها

وكان بمدينة أسيوط أهراء هائلة من التبن مكدمة لحساب السلطة العسكرية لتضغط وتكبس في مكبس أنشى خصيصاً لذلك ، لكي يجعل منها قوالب مضغوطة تصلح للوقود ،

(١) هو المAJOR جنرال هدلستون Hüdleston حاكم السودان العام الآن ( سنة ١٩٤٥ ) ، وكان نائب السردار سنة ١٩٢٤ ، وتولى إجلاء الجيش المصرى عن السودان في تلك السنة

فما أن اندلع لهيب الثورة حتى أشعلت النار في هذه الأهرام ، فالتهمت ، وتصاعدت النار في جوانبها ، فكان لها منظر مفرع ، استمر عدة أيام ، وحطم الثائرون المكبس وجعلوه أنقاضاً ، وانكش رجال الإدارة وعلى رأسهم المدير محمد علام باشا ، وتركوا المدينة عرضة للفوضى ، وامتنعوا في المستشفى الأميري ، فتطوع المحامون للمحافظة على الأمن والنظام في المدينة ، وألقوا من بينهم لجاناً للطواف في الشوارع وتطمين الناس على حياتهم وأموالهم ، ومنع اندساس بعض الأشرار إلى المدينة لأغراض غير وطنية ، ومع أن هؤلاء المحامين كانوا يؤدون مهمة جليلة ، فقد اعتقلتهم السلطة العسكرية بعد استتباب السكينة في المدينة ، وحاكت بعضهم

وهجم الثوار على مركز البوليس في المدينة ، وأخذوا منه السلاح ، وهاجموا القوات البريطانية بها ، ولكنها تلقت الأمداد فصدتهم عن مواقعها بعد أن كبدهم خسائر جسيمة

### مهاجمة القطار بديروط وديرمواس — ١٨ مارس

قتل ثمانية من الضباط والجنود بالقطار

وأشدّ حوادث العنف في الوجه القبلي ، بل في الثورة كلها ، مهاجمة الثوار يوم ١٨ مارس سنة ١٩١٩ القطار القادم من الأقصر إلى القاهرة ، وقد وقع الهجوم في ديروط ، ثم في ديرمواس ، وكان به بعض الضباط والجنود البريطانيين ، فقتلهم الثوار ، وبلغ عدد هؤلاء القتلى ثمانية ، وهم القائم مقام بوب بك مفتش السجون في الوجه القبلي ، والملاجور جارفز ، والملازم ولبي ، وخمسة جنود

وكان لهذا الحادث ضجة كبرى ، إذ لم يسبق حدوث مثل هذا الاعتداء على ضباط وجنود الجيش البريطاني ، واهتمت السلطة العسكرية بعقاب المعتدين عقاباً هائلاً ، وألقت القبض على مئات من المتهمين ، وقدمت من رأت إدانتهم إلى محكمة عسكرية عليا ، فكانت لهم قضية هامة سيرد الكلام عنها في الفصل الحادي عشر

## تفاقم الحالة في أسيوط

وتفاقت الحالة في أسيوط ، واتخذ الجنود البريطانيون مكاناً دفاعياً في المدينة اجتمعوا به ومعهم النزلاء الأجانب ، وبلغ عددهم ١٤٦ شخصاً ، ووضع النساء والأطفال وعددهم نحو سبعين في المدرسة الثانوية ، وبقوا في أمان

وفي صباح ٢٣ مارس هوجم المكان الدفاعي ، وقبل أن تستطيع الإمدادات الوصول إلى المركز الذي يحرس الطريق من قرية الوليدية إلى المدرسة ، تمكن المهاجمون من اختراق النطاق وأخذوا يطلقون النار على الجنود البريطانيين ، وقد صد هذا الهجوم بعد أن تكبد الناثرون خسارة جسيمة من القتلى والجرحى بلغوا عدة مئات

وفي خلال ٢٣ و ٢٤ مارس عمل الجنود البريطانيون على تفريق جماعات الثوار ومكافحة الرماة

وفي ٢٤ منه وصلت طائرتان حربيان مائتان إلى أسيوط ، فاشتركتا في أعمال الدفاع ، وألقتا بعض القنابل فأصابت بعض الأهلين وقتلت بعضهم ، وقد عرفنا من أسماء القتلى : عيسى أحمد . فائقة عبد الله . ونجية عبد الله بنتي الأستاذ عبد الله الشامي المحامي الشرعي ، وكان لانفجار القنابل دوى هائل ألقى الذعر في النفوس

وسارت النجيدات الحربية مسرعة من القاهرة إلى أسيوط بطريق البواخر النيلية ، ولقيت بعض هذه النجيدات مقاومة عنيفة بين ديروط وأسيوط من جماعات الثوار على ضفة النيل ، فقد هوجمت ثلاث مرات ، الأولى تجاه بلد « شلش » بمركز ديروط إذ كان المهاجمون بضعة آلاف مسلحين بالبنادق الضعيفة والعصى ، وحاولوا الاستيلاء على الباخرة بحراً ، ولكن المدافع الرشاشة التي بها حصدت منهم عدة مئات ، ولم ينل الناثرون من الباخرة منالا ، ووقع الهجوم الثاني قبلي المكان الذي وقع فيه الهجوم الأول ، ولم يفز الثوار فيه بطائل ، بييد أنه في خلال هذه الملاحمة أصيب اللفتننت كولونل هيزل برصاص أحد الرماة من الشاطي ، فتوفي متأثراً من جراحه ، وكان مفتشاً بوزارة الداخلية ، وشغل منصب

مفتش فرقة العمال المصريين أثناء الحرب ، وجرح ضابط آخر من ضباط هذه القوة ، ووقع الهجوم الثالث قبلى محطة « نزالى جنوب » ، وكان موقع الثوار صالحا للهجوم ، ولكن المدافع الرشاشة التى صوبت إليهم من الباخرة أحبطت هجومهم وردتهم على أعقابهم وقد وصلت النجدات إلى أسيوط يوم ٢٥ مارس ، فأعادت الحالة إلى ما كانت عليه ، وبلغ عدد فصائل الجنود التى أرسلت إلى الوجه القبلى ست عشرة فصيلة ، وتبدو خطورة الحالة فى الوجه القبلى عامة مما جاء فى بلاغ السلطة العسكرية يوم ٢٤ مارس إذ جاء فيه : « وضعت قوة رادعة فى القرى التى لها يد فى الاعتداءات الأخيرة التى وقعت بين امبابة وبولاق الدكرور . وتحتفظ الآن قوات كبيرة بخطوط المواصلات الرئيسية . ونقل موظفو الحكومة والنزلاء ( الأجانب ) المستهدفون للاعتداء عليهم . وتقوم فصائل عسكرية بتهدئة الحالة فى البلاد . وقد بدأت فصيلتان العمل فى حين صدرت الأوامر إلى فصائل أخرى بالسير . والنية معقودة على إرسال قوات عسكرية إلى الجهات البعيدة من البلاد . وهذه القوات سترد ولاية الأمور للملكيين إلى وظائفهم . وتقبض على المجرمين وتتخذ أية وسيلة لازمة لإعادة النظام . فالمرجو من جميع الذين يحافظون على القانون أن يمدوا يد المساعدة فى هذه المهمة »

وجاء فى البلاغ الصادر يوم ١٢ أبريل أن البرجادر جنرال هدلستون قد أعاد النظام فى منطقة أسيوط ، وأخذ فى معاقبة الثوار فى المدينة ، وتولى الماجور جنرال السير جون شى قيادة القوات البريطانية فى الوجه القبلى ، واتخذ مركزه فى أسيوط ، ثم نقل مركز القيادة إلى سوهاج ، ثم إلى أسوان ، وقبض على أربعائة شخص فى أسيوط لاتهامهم فى حوادث الثورة

### فى مديرية جرجا

أما فى مديرية جرجا وبنادرها فقد كانت المظاهرات فيها سلمية لم يتخللها قط حوادث قطع السكك الحديدية أو أى اعتداء من أى نوع كان

## بين قنا وأسوان

وفيا بين قنا وأسوان اقتصر الاضطراب على إتلاف خطوط السكة الحديدية والتلفرافات ، وظل النزلاء الأجانب والبنوك ومصانع السكر في أمان

وفي ١٧ أبريل سنة ١٩١٩ أرسل رئيس محكمة قنا الابتدائية إلى وزير الحقانية خطابا ذكر فيه أن قائد القوات البريطانية في الوجه القبلي أصدر منشورا أذاعه في بلاد المديرية كافة ، حتم فيه على الأهالي بأن يحبوا كل ضابط بريطاني يكون ماراً في الطريق ، وأنذر من يخالف هذا الأمر بالمحاكمة العسكرية ، فكبر هذا الأمر على الأعيان والموظفين والأهلين ، وقرر القضاة أن لا يغادروا منازلهم حفظاً لكرامتهم ، وقد توسط المدير في الأمر فلم يجد التوسط نفعاً

## مجموع الخسائر في الأرواح

نشبت الثورة في مارس سنة ١٩١٩ ، واستمرت الحوادث الثورية طيلة هذا الشهر وشهر أبريل ، واستمرت إلى شهر أغسطس ، وتجددت في أكتوبر ونوفمبر وديسمبر من تلك السنة

وليس من المستطاع إحصاء عدد من قتلوا من المصريين في هذه الفترات التي شملتها الثورة ، على أنه جاء في خطبة المستر هارمسورث وكيل وزارة الخارجية البريطانية في مجلس العموم يوم ١٥ مايو سنة ١٩١٩ أن عدد من قتل من المصريين بلغ حتى هذا التاريخ ألفاً ، وهذا الإحصاء لا يتناول من قتلوا بعد ذلك ، وقال تعليقا على هذا العدد : « إن هذا شيء هائل فظيع » ، وقال : إنه قتل من الجنود البريطانيين سبعة وعشرون ، وجرح سبعون ، وقتل من الملكيين البريطانيين أربعة ، ومن الجنود الهنود تسعة ، وجرح أربعون ، وقتل من الأرمن ١٥ وجرح ١١ ، وقتل من اليونانيين أربعة وجرح اثنان

وورد في تقرير الجنرال ألنبي الذي أرسله إلى حكومته ، وأشير إليه في مجلس العموم

البريطاني يوم ٢٤ يولييه سنة ١٩١٩ إن عدد ضحايا الثورة بلغ ( في تاريخ كتابة التقرير )  
٨٠٠ قتيل و ١٦٠٠ جريح من المصريين ، و ٣١ قتيلا و ٣٥ جريحا من الأوربيين ،  
و ٢٩ قتيلا و ١١٤ جريحا من الجنود البريطانيين ، وأن عدد الذين حكم عليهم من الوطنيين  
على اثر الاضطرابات ٣٧٠٠ ، وأن الحكم على أكثرهم بعقوبات خفيفة ، على أنه حكم  
على ٤٩ بالإعدام ، وعلى ٢٧ بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وإحصاء القتلى في كلتا الروايتين  
دون الحقيقة بكثير ، لأن المصادر البريطانية كانت ترمى إلى التقليل من عددهم ،  
تهويناً لشأن الثورة ، والإحصاء الأقرب إلى الحقيقة ، أن عددهم طيلة مدة الثورة لا يقل  
عن ثلاثة آلاف قتيل



## الفصل السابع

### ذكرياتي عن الثورة

كنتُ سنة ١٩١٩ لا أزال في الثلاثين من عمري ، أزاول مهنتي ( المحاماة ) في المنصورة ، وكانت تغلب عليّ نزعة الشباب ، وأتوق إلى أن تسلك الأمة سبيل العنف في جهادها ، أما الآن فإنني أميل إلى مبدأ عدم العنف ، وأراه أقوم السبل وأقربها إلى النجاح والتقدم ، وبعبارة أخرى لست من دعاة الثورة revolution ، وأوثر عليها التطور في النهضة evolution ، ومع ذلك لم تتغير وجهة نظري في الجهاد ، فإنني أشعر والحمد لله بأن الشعلة التي تضطرم في نفسي لا تزال كما كانت ، لم تهبط لها حرارة ، ولم يضعف لها أوار ، فالمقاومة الوطنية هي سبيلي في الحياة ، وهي السبيل التي أدعو إليها ، وأنشد للوطن المزيد منها ، والثبات عليها ، وهي سبيل كل أمة تريد المحافظة على كيانها ، في خضم هذا المعترك العالمي ، إذ لا بد لها من ذخيرة من المناعة تدافع بها الحوادث ، على أن المقاومة أو المناعة شيء ، والعنف شيء آخر ، وقد يكون عدم العنف أدعى أحياناً لدوام المقاومة واستمرارها ، وأجدى عليها من عنف يعقبه فتور ، ثم تراجع وخمود

تتبعْتُ منذ نوفمبر سنة ١٩١٨ حركة تأليف الوفد المصري ، وسعيت جهدي مع الساعين في التوفيق بين الوفد والحزب الوطني ، على أن يمثل الحزب في هيئة الوفد ، وجرت مفاوضات بينهما في هذا الصدد ، وذهبتُ يوماً لمقابلة المغفور له سعد باشا زغلول ، للتحديث إليه في هذا الشأن ، يصحبنى الأستاذ عبد المقصود متولى ، والأستاذ عبد الفتاح رجائي ، والمرحوم محمد بك رمضان القاضي السابق ، بغية الاتفاق على هذا الأساس ، وقبل الحزب مبدأ تمثيله في هيئة الوفد ، ولكن وقع الخلاف بينه وبين الوفد على أشخاص الأعضاء الذين يمثلونه ، وانتهى الأمر إلى عدم الاتفاق على أشخاصهم ، واختار الوفد من تلقاء نفسه مصطفى النحاس بك ( باشا ) والدكتور حافظ عفيفي بك ( باشا ) ، باعتبار أنهما يمثلان مبادئ الحزب الوطني كما تقدم بيانه ( ص ١٢٦ )

وكنْتُ منذ اشتداد الحركة أفضى معظم الأيام بالعاصمة ، وشهدتُ وقائع الثورة الأولى ، وامتدادها إلى الأقاليم ، فرأيتُ بعثاً جديداً للأمة ، رأيتُ روح الإخلاص والتضحية تعمُ طبقاتها ، بعد أن كانت من قبل محصورة في دائرة ضيقة

حدث الإضراب في المدارس يوم ٩ مارس سنة ١٩١٩ ، وخرج الطلبة من معاهدهم متظاهرين محتجين ، منادين بالحرية والاستقلال ، فانتعشت لذلك نفوسنا ، إذ رأينا في هذا الشباب طليعة جيش الإخلاص الذي يغضب لمصر ، ويشور من أجلها

حقاً لم يكن هذا أول إضراب من نوعه ، فلقد شهدتُ من قبل إضراب طلبة الحقوق — وكنْتُ منهم — في فبراير سنة ١٩٠٦ ، احتجاجاً على نظام التضييق الذي وضعته لهم وزارة المعارف وقتئذ ، وكان هذا الإضراب موجهاً ضد سياسة الاحتلال في التعليم ، وهو أول إضراب من نوعه ، ولكنه اقتصر على طلبة الحقوق ، ولم يشاركهم فيه طلبة المدارس الأخرى ، واكتفوا بإظهار العطف عليهم ، وانتهى برجوع طلبة الحقوق إلى مدرستهم في مارس من تلك السنة ، تلقاء وعد من المستشار القضائي لوزارة الحفانية بالنظر في طلباتهم وشهدتُ بعد ذلك وقف الدراسة في جميع المدارس يوم تشييع جنازة الزعيم « مصطفى كامل » ، وخروج الطلبة جميعاً من معاهدهم في ذلك اليوم المشهود (١١ فبراير سنة ١٩٠٨) ، إظهاراً لشعورهم ، فكان أول إضراب عام حدث في مدارس العاصمة جميعها ، وكان جزءاً من المظاهرة الهائلة التي تجلّت في موكب الجنازة ، واشتركت فيها طبقات الشعب كافة ، توديعاً وتقديراً لزعيم الوطنية الأول

وقد رأيتُ في إضراب ٩ مارس سنة ١٩١٩ صورة مصغرة من إضراب ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ ، فكان شباب سنة ١٩١٩ قد تلقى وحي الوطنية من مشهد ذلك اليوم العظيم عادت بي الذكرى إلى مظاهرات اشتركتُ فيها ، وأخرى شهدتها منذ سنة ١٩٠٨ ، كمظاهرة طلبة الحقوق سنة ١٩٠٨ ، لمناسبة عرض جيش الاحتلال في ميدان عابدين ، وموكب الذكرى الأولى لوفاة مصطفى كامل (١١ فبراير سنة ١٩٠٩) ، ومظاهرات الاحتجاج على تقييد حرية الصحافة وإعادة قانون المطبوعات (مارس — أبريل سنة ١٩٠٩)

ومظاهرات المعارضة في مشروع مد امتياز قناة السويس (يناير — ابريل سنة ١٩١٠) ،  
ومظاهرات الاحتجاج على الكولونيل تيودور روزفلت الرئيس الأسبق للولايات المتحدة ،  
لمناسبة خطبته في مناصرة الاحتلال (مارس سنة ١٩١٠) ، ومظاهرات الشباب تكريماً  
للمرحوم فريد بك (ديسمبر سنة ١٩١٠) ، ومظاهرات المطالبة بالدستور سنة ١٩١٠  
و ١٩١١ ، ومواكب الذكريات السنوية لوفاة مصطفى كامل ، وغير ذلك من المظاهرات  
الوطنية<sup>(١)</sup> ، وأخذت أقارن بينها وبين مظاهرات سنة ١٩١٩ ، فرأيتُ أن غرس الوطنية  
قد نما واشتدَّ على تعاقب السنين ، إذ ان مظاهرات سنة ١٩١٩ وإن كانت استمراراً  
للمظاهرات السابقة ، إلا أنها في مجموعها أضخم منها ، وأكثر جموعاً وجنوداً ، ولم تقتصر على  
العاصمة ، بل عمّت مدن الوادي وقراه ، وبدأ لي فيها أن روح التضحية والفداء قد تغلغلت  
في نفوس الشعب ، أكثر مما كانت من قبل ، وكان هذا دليلاً على تطور الروح الوطنية ،  
واتساع مداها ، فلقد انتهت مظاهرة ٩ مارس باعتقال نحو ثلثمائة من الطلبة ، وكان الذين  
يسئون الظن في وطنية هذه الأمة يعتقدون أن هذا الإرهاب كفيلاً بإخماد الحركة في مهدها ،  
وأخذوا في صحفهم المناصرة للاحتلال يزجون إلى الشباب نصائح معكوسة ، بحثهم على  
الخنوع والاستسلام ، تحت ستار الإشفاق على مستقبلهم ، ولكن هذه الظنون قد تلاشت  
أمام استمرار الإضراب ، واتساع المظاهرات ؛ واستمرارها في الأيام التالية ، بالرغم من أن  
السلطة العسكرية قد تصدّت لها بإطلاق الرصاص على المتظاهرين منذ يوم ١٠ مارس ،  
فلم يهرب الناس القتل ، وأخذوا يألفون رؤية الدم المسفوك في الشوارع ، وتقبل الشعب ،  
شبابه وسائر طبقاته ، التضحية ، بلا خوف ولا تراجع ، فكان لهذه التضحية وهذا الإجماع  
الرائع أثرهما في رفع صوت مصر عالياً مدوّياً ، في أرجاء العالم ، بعد أن كان خافتاً طيلة سنى  
الحرب ، وأخذت الصحف التي كانت تمالي الاحتلال ، وتزدرى الأمة طوال السنين ، تتغير  
من أسلوبها ، وتتملق الشعب ، وتكتب عنه وعن مطالبه الوطنية بلهجة جديدة ، ملؤها  
التقدير والإعجاب

(١) راجع بيانها في كتاب محمد فريد — تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩

رأيتُ الجماهير يشتركون في المظاهرات ، ولا يبالون ما يستهدفون له من الأخطار ، كانوا يواجهون رصاص البنادق والمدافع الرشاشة (المترايوزات) بشجاعة لا تقل عن شجاعة الجندي في ميادين القتال ، وسقط كثير من منهم قتلى أثناء المظاهرات كان إذا سقط رافع العلم في مقدمة موكب المظاهرة مضرجا بدمائه ، تقدم غيره ورفع العلم بدله ، منادياً بحياة الوطن ، فيرددّ اخوانه نداءه

كان الجرحى منهم لا ينفكون ينادون بحياة مصر ، والدم ينزف منهم ، وكثيراً ما شاهد المارة مركبات الإسعاف تحمل جريحاً في مظاهرة يسيل دمه ، ومع ذلك يرفع ستار المركبة وهي تسير إلى مركز الإسعاف ، ويظل على الناس وينادي « نموت ويحيا الوطن » وتبدلت حالة الشعب النفسية بتأثير الثورة ، وحاكى في التضحية أرقى الأمم وطنية وإخلاصاً

ويتصل بهذا السياق أن رجال البوليس قبضوا في إحدى المظاهرات على جماعة من الطلبة المتظاهرين ، وساقوهم إلى القسم واعتقلوهم به ، فلم يكذبوا إخوانهم هذا المشهد حتى تقدموا جميعاً إلى القسم وطلبوا أن يقبض عليهم كلهم ، لأنهم قد اشتركوا مع إخوانهم المعتقلين فيما يسميه البوليس جريمة ، وأنهم شركاء معهم فيها ولا يريدون أن يختص زملاؤهم بشرف التضحية والألم في سبيل الوطن ، فكان لهذا التضامن البديع وهذه التضحية أثر بالغ في نفوس الشعب

كانت هذه المشاهد وغيرها دليلاً ناهضاً على أن الحركة الوطنية قد خطت خطوات واسعة إلى الأمام وقوى فيها عنصر الإخلاص الذي هو أساس الوطنية الحقة ، فإن هؤلاء الذين استهدفوا للأذى والقتل لم يكونوا ينتظرون جزاء ولا مكافأة على جهودهم ، بل كانوا يشعرون ، وهم يجودون بحياتهم ، أنهم يؤدون واجباً نحو بلادهم فحسب ، وتلك لعمري أقصى درجات الإخلاص والبطولة

ومن المشاهد التي أترت في نفسي مناظر جنازات الشهداء ، فقد كانت هائلة حقاً ، كانت الجموع تسير فيها دون أن تعرف شخصية الشهيد أو الشهداء الذين تشيع جنازاتهم ،

بل دون أن يعرف المشيعون بعضهم بعضاً ، كان يكفي أن يذاع أن جنازة أحد الشهداء ستشيع في ساعة ما ، من مكان ما ، حتى يجتمع الألوف من الناس من مختلف الأوساط والطبقات ، يسرون فيها ، يعلوهم الحزن العميق ، لم نكن نسمع فيها عويلا أو نحيباً ، بل كنا نرى جلالاً وخشوعاً ، وحزناً رهيباً ، يتخلله الهتاف بين آونة وأخرى بحياة الشهداء والتضحية ، وضحايا الحرية ، فكانت هذه الجنازات مظاهر رائعة لتقدير الشعب معاني التضحية والبطولة ، كانت بعثاً جديداً ، لحياة جديدة

كان الظنّ عندما وقعت حوادث الثورة الأولى أنها مقصورة على العاصمة ، ولكن لم نلبث أن غمرتنا الأنباء من مختلف الأقاليم ، بأن مظاهرات قامت فيها على غرار مظاهرات القاهرة ، وزاد عليها قطع السكك الحديدية ، وشهدنا بأعيننا انقطاع المواصلات بين العاصمة والأقاليم ، كما انقطعت بين أحياء القاهرة نفسها ، فأدركنا أننا أمام ثورة عامة شملت البلاد من أدناها إلى أقصاها ، وفي الحق إنني مع ما أشعر به من ميل دائم إلى التفاؤل ، لم أكن أتوقع أن تقوم في البلاد ثورة في مثل هذه الظروف ، وبمثل هذا الاتساع ، وبتلك السرعة والقوة والروعة التي تجلت في سنة ١٩١٩ ، ولم أكن أنا وحدي في هذا الشعور ، بل إن « فريدا » رحمه الله ، حين بلغته وهو في منفاه أنباء الثورة ، عدّها من الحوادث المفاجئة ، وقال عنها في مذكراته : « من الأمور التي كانت غير متنتظرة ما حصل بمصر في شهرى مارس وابريل من هذه السنة ( ١٩١٩ ) ، وهو قيام ثورة عامة اشتركت فيها الأمة بجميع طبقاتها » ، وقال عنها أيضاً : « إن هذه الحركة لم تكن في الحسبان ، وإن ما أظهره المصريون من التضامن والاتفاق ما كان أحد ليحلم به » .

تتابعت حوادث الثورة ، وارتسمت في ذهني صورة واضحة عنها ، وأدركت مع الأيام عظم مداها .

شعرتُ أمام هذه المشاهد بغبطة كبيرة تملكني ، إذ أدركتُ أن روح الحياة قد سرت في الأمة ، وأنها أخذت تنفض عنها أ كفان الخضوع والاستسلام ، رأيتُ في اتساع الحركة ، واتحاد الصفوف تحت لوائها ، تحقيقاً للوحدة التي طالما كنا ننشدها وتمناها ، كما رأيتُ في

تعدد مظاهر التضحية نجاحاً لدعوة الإخلاص في الجهاد ، تلك الدعوة التي هي أساس كل نهضة قومية ، وسبيل النجاح لكل أمة تريد لنفسها الحياة والعزة .

ولما حدثت مظاهرة المنصورة يوم ١٨ مارس سنة ١٩١٩ ، تلك للمظاهرة الدامية التي أطلق فيها الرصاص على المتظاهرين ، وقتل تسعة عشر منهم كما تقدم بيانه ( ص ٢٢٠ ) ، كنتُ في القاهرة ، وعلمت وأنا بها أن قائد القوة العسكرية البريطانية في تلك المنطقة أُنذر سكان المدينة بأنه إذا حدثت مظاهرة أخرى ، فإنه سيلقى مسئوليتها على عاتق أربعة منهم عيّنهم بأسمائهم ، وهم : محمود بك نصير ، والدكتور محمود سامي ، والأستاذ عبد الوهاب البرعي ، وأنا ، وأنه سيأمر بضر بنا بالرصاص في حالة قيام أية مظاهرة .

وكانت المواصلات منقطعة ، وكنت معترماً العودة إلى المنصورة ، لأتمهد الروح العامة فيها ، فقابلني صديقٌ لي قدم منها ، وأفضى إلىّ بأمر هذا الإنذار ، ورغب إلىّ أن أبقى بالعاصمة ، لكي لا أستهدف لتنفيذ ما توعدونا به ، فرأيتُ في نفسي شعوراً قويا ، لم أعرف مصدره أو سببه ، يدفعني إلى العودة إلى المنصورة ، بالزغم من تحذير إخواني والأقربين ، فأخذتُ أبحث عن سبيل للعودة ، وكانت السكك الحديدية مقطوعة ، وما أصلح منها كان السفر عليه ممتنعاً ، إلا بترخيص من القيادة البريطانية بالعاصمة ، وكانت ترفض كل طلبات السفر التي يتقدم بها المصريون غير الموظفين ، وكذلك شأن السفر بالسيارات ، فضلا عن حدوث نجوات في الطرق الزراعية ، تمنع مواصلة السير فيها ، ولم يبق سوى السفن الشراعية ( المراكب ) ، تنقل الناس بطريق النيل وفروعه إلى الجهات التي يقصدونها ، وقد شاعت هذه الطريقة في تلك الأيام ، وارتفعت لذلك أجور السفن ارتفاعاً كبيراً ، فطفقتُ أبحث عن رفقاء لي يقصدون المنصورة ، أو البلاد التي في طريقها ، فاجتمعت إلى نخبة من الأصدقاء والمعارف ، كانوا أيضاً يبحثون عن سفينة يقصدون بها بلادهم في مديرية الدقهلية ، واهتدينا إلى صاحب سفينة شراعية كان قادماً من المنصورة ، ويسرُّه العودة إليها ، فيربح ذهاباً وإياباً ، وطلب منا سبعة جنيهات أجر الرحلة ، فتقبلناها عن طيب خاطر ، لأنها كانت أجره زهيدة بالنسبة لما كان يطلبه أصحاب المراكب في ذلك الوقت ، وكانت في ذاتها يسيرة إذ وزعناها على المقتدرين منا

وتواعدنا على أن نلتقى بمرسى روض الفرج يوم ٢٦ مارس ، في الساعة الأولى بعد الظهر ،  
فالتقينا في الميعاد ، وركبنا السفينة ، بعد أن اشترينا ما يلزمنا من المؤونة لمدة ثلاثة أيام ،  
إذ قدر ربّان المركب (الرئيس) أنها المدة التي تكفى لقطع المسافة بحراً بين القاهرة  
والمنصورة ، وكنا سبعة عشر راكباً ، عدا الرئيس وزميله ، أذكر منهم : محمود بك عبد النبي .  
وبكبر افندى الجندى وكريمته الأنسة لطيفة الجندى (الآن زوجة حسين افندى مطاوع)  
وكريمة أخيه الأنسة سنية محمود الجندى (الآن زوجة الأستاذ رياض الجندى) . وعبد اللطيف  
بك غنام . والشيخ محمد الخشاب قاضي محكمة أجا الشرعية . والدكتور صديق أبو النجا (وكان  
طالباً بالطب) . وأخاه محمود افندى أبو النجا . وبعض الطلبة الذين لا تحضرنى أسماؤهم

أقلعت بنا السفينة في نحو الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم إلى القناطر الخيرية ، وفي  
أثناء الطريق قابلتنا باخرة حربية من بواخر الدوريات البريطانية التي كانت تجوب النيل  
لتعاون القوات المسلحة على قمع الثورة ، فخشينا أن تمنعنا من متابعة السير ، ولكنها لم تتعرض  
لنا بسوء ، وتابعنا السير ، فوصلنا إلى القناطر الخيرية ، قبيل غروب الشمس ، واجتزنا  
هاويس الرياح التوفيقى في نحو ساعة ، وتابعنا السفر ليلاً إلى بنها ، وكان الجوّ بارداً ، فقد  
كنا في فصل الشتاء ، والليل غير مقرر ، والسماء مقنعة بالسحب ، فأخذت السفينة تسير  
الهويناً ، في بطء وعلى حذر ؛ لأن مياه الرياح التوفيقى كانت منخفضة وشواطئه مرتفعة ،  
مما يزيد في ظلمة الليل ، فلما قاربنا الوصول إلى بنها في نحو منتصف الليل ، أشار علينا  
النوتى أن لا بد من رسو السفينة على بعد كيلومتر من كوبرى بنها ، وأن لا تجتاز هذه النطقة ،  
وإلا استهدفت لإطلاق النار عليها من الدوريات البريطانية ، فبتنا الليلة في السفينة ، وهى  
راسية على الشاطئ ، وشعرتُ ببرودة الجوّ ، إذ كان مبيتنا في العراء تقريباً ، ولم نستعدّ  
لغطاء كاف ، ولم يكن مما يتفق والحالة النفسية للثورة أن نُعنى بغطاء أو فراش ، وقضينا مع  
ذلك ليلة هادئة ، لم نشعر فيها بأى تعب أو عناء ، واستيقظنا يوم ٢٧ مارس أكثر ما نكون  
نشاطاً وابتهاجا ، وتناولنا طعام الفطور ، وكان طعاماً بسيطاً ، فأكلنا مبشراحين ، واستأنفت  
السفينة سيرها على طول الرياح التوفيقى ، وشاهدنا على الجانبين معالم الثورة ومظاهرها ،

وما أحدثته من تغيير في نفسية الشعب ، فكنا نرى الأهلين في كل ناحية ، نساء ورجالا ، شبيهاً وشباناً ، يحموننا على الجانبين ، دون أن يعرفوا أشخاصنا ، وينادون بهتافات لم نعهدها من قبل في الطرق الزراعية ، وعلى شواطئ الترع ، فكنا نسمع نداء : لتحي مصر ، ليحي الاستقلال . لتحي الثورة . واسترعى صمى بوجه خاص نداء كنت أسمعه بين حين وآخر : « ليحي العدل » ، وقد تساءلتُ أولاً عما يقصد القوم من هذا النداء ، وهل ظنونا قضية جئنا لنحكم بينهم بالعدل ؟ ثم أدركتُ شعورهم الحقيقي . وأنهم لا يطلبون العدل لأنفسهم ، بل يطلبونه لمصر ، فإن مصر لم تكن تطالب إلا بالعدل والمساواة بينها وبين الأمم الحرة المستقلة ، وليس من العدل في شيء أن تهدر حريتها ، وتسلب حقوقها ، فأكبرتُ هذا الشعور تفيض به نفوس القرويين ، ويدل على فطرتهم السليمة

هذه الروح التي شاهدناها على طول الطريق ، هي غرس الثورة ونتيجتها ، وهي من ناحية أخرى عتادها وعُدتها ، وهي علامة الحياة في شعب نهض نهضة قوية يطالب بحقوقه المهضومة

كانت نفوسنا تفيض بشراً وفرحاً ، إذ شاهدنا هذا التبدل في نفسية الشعب ، وشعرتُ بأن آملاً قديمة كانت تجول في نفسي ، قد بدأت تتحقق ، وأنه لا يحق لنا أن نياس من هذه الأمة ، بل هي من أكثر الأمم استعداداً للرقى ، وإنما ينقصها أن توجه دائماً توجيهاً صادقاً ، نحو المثل العليا ، وهي مستعدة لتلبية كل دعوة صالحة صادقة ، والعيب الذي نشكو منه أحياناً لا يرجع إلى جمهرة الشعب ، بل هو عيب الخاصة أحياناً ، والعامية أيضاً ، في انصرافهم في كثير من المواطن عن المثل العليا ، إلى الأغراض الشخصية ، وهذا العيب يزول بالقدوة الصالحة ، يبدأ بها الخاصة أولاً ، ثم يقلدهم فيها العامة ، فالخاصة هم أول المسؤولين عن حالة الأمة ، وعلى الخاصة أن ترفع من مستواها الأخلاقي ، وأن تصلح نفسها ، ثم تعمل على إصلاح أخلاق الشعب وتهذيبه وترقيته ، فإنهم المطالبون بهذا الإصلاح

تابعت السفينة سيرها ، وسط هذه المشاهد الرائعة ، حتى وصلت إلى « طنامل » في نحو الساعة السادسة مساءً ، فغادرنا بكبير أفندي الجندي والآنستان كريمته وكريمة أخيه ،



ثم وصلنا ليلاً إلى منشأة عبد النبي ، حيث نزل محمود بك عبد النبي ، وقضينا الليلة بمنزله ، وفي صباح اليوم الثالث من الرحلة ( ٢٨ مارس ) ، أقلت بنا السفينة ، حتى إذا وصلنا إلى « نوسا الغيظ » ، نزل بها الدكتور صديق أبو النجا وأخوه ، وتابعت سيرها حتى وصلنا إلى المنصورة عصر ذلك اليوم

كانت هذه أطول رحلة لي من القاهرة إلى المنصورة ، إذ أن المسافة تقطع عادة بين المدينتين سواء بالقطار أو بالسيارة في نحو ثلاث ساعات ، بل دون ذلك ، وقد قطعناها هذه المرة في ثلاثة أيام ، وتذكرت ما كان يتحدث به أسلافنا من أنهم قبل إنشاء السكك الحديدية كانوا يقطعون المسافات بين مختلف العواصم في عدة أيام ، إماماً بطريق المراكب في النيل وفروعه ، أو على ظهور الإبل والدواب ، فازددت شعوراً بما كانوا يعانون من المشاق في قطع المسافات بهذه الوسائل ، وبما أحدثه العمران والاكتشافات العصرية من التيسير على الناس في سفرهم وإقامتهم ، وريفهم وحضرهم

وصلتُ إلى المنصورة عصر يوم ٢٨ مارس ، وذهبت إلى منزلي بالبحر الصغير ، وما أن علم أهل المدينة بحضورى ، في تلك الملابس العصبية ، حتى دهشوا ، وكان ظنهم أن أبقى بالقاهرة ، ولا تثريب علىّ في ذلك ، وعدّوها لي عملاً قالوا عنه إنه شجاعة ، وقلتُ لهم إنه عمل عادى ، ولاحظت أنهم وأهل البلدان المجاورة من مركز المنصورة لم ينسوا لي هذا الموقف ، وكان له أثر في نجاحى بعد هذه الحوادث بنيف وأربع سنوات ، في انتخابات سنة ١٩٢٣ ، إذ على الرغم من ترشيح نفسى للبرلمان عن مركز المنصورة ، معارضا لمرشح الوفد ، فقد فزتُ عليه ، ونلتُ النيابة عن المركز في البرلمان الأول ، في حين ليست لي به عصبية عائلية ، وقد دلتني هذا الفوز على أن الشعب ، بالرغم من تأثره من مختلف الدعايات ، يقدر أحياناً أعمال الناس ، حقاً إنه قد يضل حيناً ، وقد يضل كثيراً ، ولكن يجدر بمن يتصدى لخدمته — وخدمته واجب محتم على كل فرد — أن لا ينقم من الشعب خطاه في التقدير ، ولا يثور عليه لمجرد أن يتنكر له في بعض المواقف ، أو يتخطاه في تقديره مرة ، أو مرات فإذا كانت الجماهير تتنكر أحياناً لمن يخدمها ، فإن هذا العيب لا يقتصر عليها ، وما أكثر

ما يقع فيه المتقفون والممتازون ، بله أقرب الناس إلى الإنسان ، وأعرفهم بفضله ، وأكثرهم علماً بإخلاصه وخدماته ، وقد تُعذر الجماهير لجهلها ، أو عجزها عن إدراك الحقائق ، ولكن ما عذر الخاصة والمتقفين ، والأصدقاء والأقربين ، في تنكّبهم سبيل الحق وهم له عارفون ؟ فعلياً أن نعالج الشعب في رفق وهوادة ، فإن الشعب معذور ، وهو سهل الرجوع إلى الحق ، ولا ينقصه في ذلك إلا النصح والزمن الكافي ، وصدق الإرشاد ، واستمسك مرشديه بالمثل العليا ، واتباعهم الآية الكريمة : « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » ، فعلى من يتطوعون لإرشاده وقيادته أن يكونوا له دعاةً للهدى ، وأن يظلوا له ناصحين مرشدين ، لا طغاة مستبدين ، ولا حكاماً متجبرين .

أدعُ هذا الاستطراد جانباً ، وأعود إلى ما كان بعد انتهاء رحلتى إلى المنصورة ، فقد وقفتُ على تفاصيل الحوادث الدامية التي وقعت فيها يوم ١٨ مارس وما يليه ، وعرفتُ أسماء الشهداء الذين قتلوا في تلك الأيام العصيبة ، وأدركت أن أهلهم وذويهم ، على الرغم من الحزن الذي تملكهم ، لفقد أعز الناس لديهم ، قابلوا مصابهم بالصبر والجلد ، وروح من الاعتزاز بأنهم ساهموا بأشخاص شهدائهم في التضحية في سبيل الوطن ، فأكبرتُ فيهم هذه الروح العالية ، التي كانت مظهراً من مظاهر التبدل في الروح العامة للشعب .

ثم ترادفت حوادث الثورة ، وكانت خواطرى وذكرياتى عنها ، ما تراه تعقيباً عليها في فصول الكتاب .

## الفصل الثامن

### مواجهة الثورة

فاجأت حوادث الثورة الحكومة الإنجليزية والجمهور البريطاني ، ووقعت منهما موقع الدهشة والاستغراب ، فإن أحدا في إنجلترا لم يكن يتوقع أن يثور الشعب المصري الهادئ الوديع ، وأن تكون ثورته بهذه العزيمة وبهذه الجرأة ، في وقت خرجت فيه إنجلترا منتصرة من أعظم حرب في تاريخها ، فأخذت حكومتها تبحث في هذه الحالة المفاجئة ، وأى السبل تسلك لمواجهتها ، وفاضت أعمدة الصحف الإنجليزية إلى جانب أنباء الثورة بالبحوث عن تعليل لهذا الانقلاب غير المنتظر في نفسية الشعب ، وهرع نخبة من الصحفيين والكتاب السياسيين البريطانيين إلى مصر ليدرسوا حالتها عن كثب ، ويبحثوا كيف ولماذا ثار هذا الشعب الذي كانوا يصورونه من قبل راضيا عن الحكم البريطاني ، فإذا به يعمد إلى الثورة ليتخلص منه .

### تعيين الجنرال أللني مندوبا ساميا

أسلفنا القول ( ص ١٤٩ ) بأن الحكومة الإنجليزية استدعت السير ونجت إلى لندن لتتق منه على تطور الأحوال في مصر ، وأنه غادر مصر يوم ٢١ يناير سنة ١٩١٩ . فلما تعاقمت الحوادث بعد رحيله وشبت الثورة ، رأت أن تستبدل به مندوبا آخر أكثر شكيمة وأقوى بأسا ، وأقدر على مواجهة الثورة وقمعها ، وكان من رأى السير ونجت قبل أن تظهر بوادر الثورة إجابة الوزيرين رشدي باشا وعدلى باشا إلى طلبهما السفر إلى لندن ، فلم تأخذ الحكومة البريطانية برأيه ، ولما وقعت الثورة رأت أخذ الأمور بالشدة ، وبدأت في تنفيذ خطتها بتعيين الجنرال أللني<sup>(١)</sup> مندوبا ساميا فوق العادة في مصر

(١) رقى إلى رتبة فيلد مارشال في يوليو سنة ١٩١٩

والسودان ، وأذيع هذا النبأ في لندن يوم ٢١ مارس في بيان رسمي جاء فيه أنه : « بسبب خطورة الحالة في القطر المصري ولغياب نائب الملك فيها عن مركزه عُين الجنرال ألنبي مندوبا ساميا فوق العادة لمصر والسودان ، ووُكل إليه أن يقوم بالسلطة العليا في جميع المسائل العسكرية والملكية ، وأن يتخذ جميع الوسائل التي يرى ضرورتها ومناسبتها حتى يعيد القانون والنظام في هذه البلاد وحتى يدير جميع الشؤون إذا لزم الأمر ناظراً إلى ضرورة تأييد حماية جلالة الملك على القطر المصري على قاعدة ثابتة عادلة » .

وكلمة ( عادلة ) لم ترد في البلاغ الرسمي الذي أذيع عقب وصوله إلى مصر كما سيجيء بيانه ، فجاء أقرب إلى الحقيقة من البيان الذي أذيع في لندن .

وإنك لترى في صيغة هذا البيان ما يدل على أن الحكومة البريطانية ، برغم الثورة ، كانت مصرة على تأكيد الحماية وتثبيتها ، كما أن اختيار الجنرال ألنبي بالذات يدل على اتجاهها إلى قمع الثورة بقوة السلاح ، لأن ألنبي إنما هو قبل كل شيء رجل حرب وقاتل ، لا رجل صلح وسلام ، فهو القائد العام للجيش البريطاني في مصر منذ يونيه سنة ١٩١٧ ، وتولى قيادة حملة الخلفاء في فلسطين وسوريه ، وذاعت شهرته العسكرية بفضل الانتصارات التي نالها في تلك الحملة ، وبعد أن انتهت الحرب بفوز الخلفاء عاد من فلسطين إلى مصر ، ثم غادرها يوم ١٢ مارس إلى باريس تلبية لدعوة زعماء مؤتمر الصلح ، ليستطلعوا آراءه عن الحالة في الشرق وفي مسائل الانتداب ، وشهد قبل سفره الحوادث الأولى للثورة ، ولعله لم يُلقِ باله إلى خطورتها ، ولم يتوقع أنها ستعم البلاد من أذناها إلى أقصاها ، أو لعله وهو القائد الذي اعتاد الظفر بالجحافل المسلحة في ميادين القتال ، لم يرهب ثورة تشب في بلد أعزل من السلاح ، ومهما يكن من الأمر ، فإسناد منصب المندوب السامي البريطاني إليه في هذه الملابسات ، كان دليلاً على اعتزام الحكومة البريطانية مواجهة الثورة بالعنف والشدة .

## وصوله إلى مصر

وصل الجنرال ألنبي إلى القاهرة يوم الثلاثاء ٢٥ مارس سنة ١٩١٩ ، فاستقبله على محطة العاصمة السير ملن شيتهم نائب المندوب السامي ووكلاء الدول السياسيون ، وجمع من الكبراء .

وبادرت السلطة العسكرية يوم وصوله إلى إصدار بلاغ رسمي<sup>(١)</sup> يشبه في روحه وأسلوبه البيان الذي أذيع في لندن ، وينم على نية الحكومة البريطانية في تجاهل مطالب البلاد ، واستخفافها بالثورة ، قالت :

« ليعلم أنه بالنظر إلى الحالة الحاضرة المهمة في القطر المصري وبالنظر إلى غياب فخامة نائب الملك قد تعطف جلالة الملك بتعيين فخامة الجنرال السير ادمند ألنبي نائبا خاصا عن جلالته في مصر والسودان ، ولهذا النائب السلطة المطلقة في جميع الأمور العسكرية والملكية ، وعليه أن يتخذ الإجراءات التي يراها لازمة ومناسبة لإرجاع مراعاة القوانين وحفظ النظام في تلك البلاد ، وأن يدير ويدبر في كل الأمور على حسب احتياج حفظ حماية جلالة الملك في مصر على أساس ثابت وأمين »

## تصريحاته عقب مجيئه

ولما استقر به المقام في مصر أفضى يوم ٢٦ مارس بالتصريحات الآتية إلى بعض الكبراء والأعيان ممن استدعاهم خصيصا لسماعها ، وقد تلاها بالإنجليزية ، وتلا السكرتير الشرقى ترجمتها إلى العربية ، قال :

« لقد تعطف جلالة الملك بتعييني نائبا عن جلالته في مصر ، ورغبتى وواجبي يقضيان علىّ بأن أساعد على إعادة السلام والأمن والراحة إلى البلاد ، ولّى أغراض ثلاثة ، وهى :  
( أولا ) أن أضع حدًا ونهاية للاضطرابات الحالية

(١) نشر في « الوقائع المصرية » عدد ٢٥ مارس سنة ١٩١٩

(ثانياً) أن أعمال تحريات دقيقة في جميع الأسباب التي حملت أهل البلاد على الشكاوى .

(ثالثاً) أن أزيل كل الشكاوى التي تستوجب العدالة إزالتها

« وإن في استطاعتكم أنتم أن تقودوا الشعب المصري ، والواجب يقضى عليكم أن تعملوا معي لمصلحة بلادكم ، ولست أظن أن أحداً منكم يحجم عن مساعدتي بكل ما في طاقته لإدراك الأغراض التي أسمى إليها ، وإني مستعد أن ألقى اتكالي عليكم لتبدؤوا بالعمل حالا بقصد تهدئة الخواطر المتهبجة الآن

» وبعد إعادة الأمن إلى البلاد فإن لي ملء الثقة بأنكم تعتمدون عليّ بأن أنظر بلا محاباة في جميع أسباب الشكاوى ، وبأن أوصي بإجراء كل ما يلزم لسعادة الشعب المصري وراحته « ، وبعد تلاوة هذا البيان انصرف المجتمعون ، إذ كان استدعاؤهم لسماعه دون مناقشته أو التعليق عليه ، وقد نشر نصه في الصحف .

### استمرار الثورة

لم تؤثر تصريحات الجنرال ألنبي في نفوس الناس ، ولم تصرفهم عن متابعة الثورة والهياج ، وكذلك لم يؤثر فيهم من قبل نداء أصدره أعضاء الوفد وبعض الوزراء والعلماء والكبراء في ٢٤ مارس بالدعوة إلى الهدوء والسكينة

### نداء أعضاء الوفد وبعض الكبراء

#### بتهدئة الحالة

فقد اجتمع أعضاء الوفد وكبار العلماء وبعض الوزراء السابقين والأعيان ، واتفقوا على إصدار نداء إلى الأمة ، يدعونها فيه إلى الإخلاق إلى الهدوء والسكينة ، قالوا :

« أصدرت السلطة العسكرية إنذاراً<sup>(١)</sup> بأنها ستتخذ أقصى ما يكون من الوسائل

(١) إشارة إلى الإنذار الذي سبق بيانه (س ١٩٣)

الحرية عقابا على ما يقع من الاعتداء على طرق المواصلات والأماكن العمومية .  
« ولا يخفى على أحد أن الاعتداء سواء كان على الأُنفس أو على الأملاك محرم بالشرائع الإلهية والقوانين الوضعية ، وأن قطع طرق المواصلات يضر أهل البلاد ضرراً واضحاً إذ هو يحول بينهم وبين مباشرة مصالحهم ، ويوقف حركة نقل المحاصيل والأرزاق ، ويعطل المعاملات والأخذ والعطاء ويسبب العسر وسوء الحال ، على أن العقاب عليه يعرض بعض القرى للتخريب ويعرض الأُنفس البريئة إلى أن تؤخذ بما لم ترتكب من الذنوب ، وينبغي أن يلاحظ أن مثل هذا الاعتداء يضيع على المصريين ما ينتظرونه من العطف عليهم بما يسبب من رواج إشاعات السوء عنهم

« من أجل ذلك رأى الموقعون على هذا من أقدس الواجبات الوطنية أن يناشدوا الشعب المصري باسم مصلحة الوطن أن يجتنب كل اعتداء وأن لا يخرج أحد في أعماله عن حدود القوانين حتى لا يسد الطريق في وجه كل الذين يخدمون الوطن بالطرق المشروعة .  
« كما أننا ندعو أعيان البلاد وأرباب النفوذ فيها أن يقوموا بالواجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيسارعوا إلى اتخاذ جميع ما لديهم من الوسائل لمنع وقوع كل ما ينجم عنه ضرر للبلاد

« وإنا شديدو الرجاء في أن الأمة المصرية بما عرفت به من التعقل والروية تصغي إلى هذا النداء ، وتلتزم طريق الحكمة في سلوكها ، والله الهادي إلى سواء السبيل »

٢٤ ماس سنة ١٩١٩

### الموقعون

شيخ الجامع الأزهر محمد أبو الفضل الجيزاوي . مفتي الديار المصرية محمد بنحيت .  
بطريك الأقباط كيرلس . شيخ مشايخ الطرق الصوفية عبد الحميد البكري . رئيس المحكمة الشرعية العليا محمد ناجي . نقيب الأشراف عمر مكرم . حسين رشدي باشا . عدلي يكن باشا . أحمد مظلوم باشا . اسماعيل مري باشا . يوسف وهبة باشا . عبد الخالق ثروت باشا .

أحمد حلمى باشا . يوسف سابا باشا . اسماعيل أباطة باشا . أحمد زيور باشا . نجيب بطرس  
غالى باشا . محمود صدق باشا . على شعراوى باشا . محمد على علوبة بك . عبد العزيز فهمى بك .  
محمود أبو النصر بك . أحمد لطفى السيد بك . جورج خياط بك . سينوت حنا بك .  
عبد اللطيف المكباتى . مصطفى النحاس بك . دكتور حافظ عقيفى بك . الياس عوض  
بك . حسين واصف باشا . حافظ المنشاوى بك . قلينى فهمى باشا . عبد الستار الباسل بك .  
محمد السيد أبو على باشا . محمد السباعى المصرى بك . محمد نافع باشا . محمد عز العرب بك .  
محمود سليمان باشا . سيد محمد خشبة بك . عبد الرحمن محمود بك . عمر عبد الآخر بك .  
ابراهيم مراد باشا . أحمد خيرى باشا . ابراهيم نبيه باشا . محمد عبد الخالق مذكور باشا .  
على المنزلاوى بك . أحمد عفيفى باشا . محمود خليل باشا . كامل جلال باشا . ملوم السعدى  
المصرى بك . عبد الله عبد السميع بك . على المصرى بك . أحمد رشوان بك . أحمد  
حشمت باشا . على رفاعى بك

نُشر هذا النداء مع تصريح الجنرال ألنبي ثم خطبة اللورد كرون التى سيجىء بيانها

فى يوم واحد ، وهو يوم ٢٧ مارس

وقد امتنع بعض من عُرض عليهم عن التوقيع عليه ، لأنه بمثابة دعوة إلى السكينة  
والهدوء ، بدون مقابل من الإنجليز

وكان يحمل بالذين وقعوا عليه أن يحتجوا أولاً على الفظائع التى ارتكبتها الإنجليز حيال  
المظاهرات البريئة العزلاء من السلاح ، وأن يحتجوا على الإنجليز فى إخلافهم وعودهم لمصر  
كل مرة بالجلاء عنها ، أما أنهم يقصرون النداء على استنكار الاعتداء على الأملاك  
والأنفس وقطع المواصلات ، أى استنكار ما بدا من الجانب المصرى ، دون الجانب البريطانى ،  
فليس من الإنصاف ولا من الحكمة فى شيء ، وبخاصة لأن هذا النداء قد أعقبه إذاعة  
خطبة اللورد كيرزون التى سيرد الكلام عنها ، فكان النداء بمثابة تأييد ( غير مقصود )  
لهذه الخطبة التى تتم عن روح عدائية للحركة الوطنية ، والأهداف القومية



## مقابلة أعضاء الوفد

للجنرال أللنبي

قابل الجنرال أللنبي حسين رشدي باشا وأعضاء وزارته المستقيلة ، وذلك بناء على رغبته ، لكي يتعرف آراءهم في أسباب الاضطرابات ويستطلع رأيهم في الموقف عامة كما أنه قابل لهذا الغرض أعضاء الوفد الباقين في القاهرة وهم : على شعراوى باشا . عبد العزيز فهمى بك . أحمد لطفى السيد بك . محمد على علوبة بك . مصطفى النحاس بك . سينوت حنا بك . محمود أبو النصر بك . جورج خياط بك . الدكتور حافظ عقينى بك . عبد الخالق مذكور باشا . حسين واصف باشا ، وسألهم عن أسباب الاضطرابات التي وقعت في البلاد ، فوعدهم بكتابة تقرير عن ذلك ، قدموه له ، أرجعوا فيه الثورة إلى استياء الأمة المصرية من عدم مساواتها في المعاملة بالأمة الصغيرة التي لا تفضلها في المدنية ، ومنع المصريين من بسط آمالهم أمام مؤتمر الصلح ، وقالوا في ختام التقرير : « إن كل المصريين من أكبر رجل إلى أصغر رجل فيهم هم في هذا الاستياء سواء ، دفعهم اليأس إلى إظهار ما في نفوسهم ، كلٌّ يترجمه على شاكلته ، فالرجال المسؤولون من رسميين ، وغير رسميين قد ترجموه بالاحتجاجات المختلفة ، وبالامتناع عن العمل ، كالحامين ، والشبان بالمظاهرات السلمية ، وأما سكان الأقاليم فأعرب عنه بعضهم بالمظاهرات السلمية ، والبعض بالاعتداءات المختلفة التي بعضها موجب للأسف ، تلك هي حقيقة الوضع الذي فيه بلادنا الآن ، بسطانها إلى فخامتكم بالاختصار ، وبالحق نرجو أن تأمروا بتحقيقها ، والرجاء معقود بعدلكم أن تزيلوا هذا الاستياء بالقضاء على أسبابه ، فإن الأخذ بناصر أمة بأمرها أقدس واجب على عظام الرجال »

## خطبة اللورد كيرزون

عن حاله في مصر — ٢٤ مارس سنة ١٩١٩

في ٢٤ مارس سنة ١٩١٩ ، أى في اليوم الذي كتب فيه النداء سالف الذكر ( ص ٢٤٨ )

ألقى اللورد كيرزون<sup>(١)</sup> في مجلس اللوردات خطبة باسم الحكومة عن الحالة في مصر ، أكد فيها أن الأنباء الواردة منها أقل خطورة من ذي قبل ، وتجنّى على الثورة ، إذ زعم أنها أقرب إلى السلب والنهب منها إلى السياسة ، ثم أثنى على موظفي الحكومة المصرية ورجال البوليس والجيش المصري ، وأشاد بحسن سلوكهم في أثناء الاضطرابات ، واستدل بسلوكهم على أن عقلاء الأمة لم يشتركوا في الثورة ، وأضاف أن بعض الأعيان الذين برهنوا على صداقتهم للبريطانيين حتى الآن يبذلون أقصى ما في وسعهم لتهدئة الاضطرابات ، ثم صرح بأن الحكومة البريطانية لم تبد قط أدنى معارضة أو سوء نية نحو محيي رشدي باشا وعدلي باشا إلى إنجلترا ، وعلى النقيض من ذلك إن وجودهما هنا ( أي في إنجلترا ) يقابل بمنتهى الرضا والارتياح ، وأثنى عليهما وعلى الخدمات التي قد قدمها مصر وللإمبراطورية خلال الحرب ، وقال إن طلب تأجيل زيارتهما في نوفمبر الماضي كان الباعث الوحيد عليه أنه في خلال الأدوار الأولى لمؤتمر الصلح لم يكن ممكناً الحصول على الوقت الكافي والاهتمام اللازم لبحث المسائل المهمة المرتبطة بعلاقتنا المقبلة مع مصر والإصلاح الدستوري المصري ، وكرر القول بأن زيارتهما وزيارة سواهما من رجال السياسة المصريين المسئولين تقابل وسوف تقابل كذلك بملاء الرضا والارتياح ، قال في هذا الصدد : « إننا نرى دائماً أن من أهم الأمور أن نتفق وإياهم على تحديد الشكل الذي ستكون عليه الحماية البريطانية في مستقبل الأيام » ، وعرج على سعد باشا وأعضاء الوفد قائلاً : « إن الحال مع سعد زغلول باشا يختلف كل الاختلاف عنها مع هؤلاء ، لأنه هو وأعوانه هم الذين دبروا هذد الاضطرابات ، وإنهم قوم غير مسئولين ، غرضهم إخراج الإنجليز من مصر ، وقد اختاروا وقت انعقاد مؤتمر الصلح بباريس موعداً للقيام بهذه الحركة الثورية ، فلا سبيل للمناقشة معهم ، لأن وجودهم هنا ( إنجلترا ) كان يساء فهمه بالإجمال في مصر ، حيث يؤول كدليل على أننا راضون بالبحث في التخلي عن تبعاتنا نحو تلك البلاد تخلياً تاماً ، وكان فوق ذلك يهيبُ الأسباب لعرقلة

(١) رئيس المجلس الخامس وزعيم مجلس اللوردات ، ثم وزير الخارجية البريطانية في أكتوبر

سنة ١٩١٩ خلفاً للستر بالفور

وإحباط المباحثات مع الرأى المصرى الذى يمثل البلاد ويتحمل التبعة ، وهى المباحثات التى ننتظرها ولا نزال ننتظرها ، إذا ما حانت الفرصة الملائمة لوضع تسوية تكون مرضية لمصر والدولة الحامية »

وبدا من هذه الخطبة جليا أن الحكومة البريطانية لا تنوى العدول عن خطتها فى تثبيت الحماية وتأييدها ، وتدلل أيضا على أنها لا تنفك تدأب على تشويه الحركة الوطنية ، واختلاق الأكاذيب عنها ، باتهامها بأنها أقرب إلى السلب منها إلى السياسة ، مع أن وقائعها وحوادثها تدحض هذا الإفك والبهتان ، وهذا التشويه هو سلاح من أسلحة الاستعمار ، يُحارب به النهضات الوطنية فى مختلف الأصقاع ، وهو من الوسائل التى تتبعها الدول الاستعمارية عامة ، إذ تنشر الدعايات الكاذبة ضد كل حركة تقوم فى وجهها ، لى تحول بينها وبين عطف الرأى العام المتحضر ، وتسوغ بذلك محاربتها بمختلف وسائل الظلم والتنكيل .

وتدلل الخطبة أيضا على نية السياسة البريطانية فى اصطناع الموظفين وبعض الكبراء المصريين ، وضمهم إلى صفها ، وإلقاء التخاذل والانقسام فى صفوف الحركة الوطنية ، والتفرقة بين وزارة رشدى باشا المستقلة وهيئة الوفد ، لى تفيد من التباعد بينهما ، وتضرب إحداها بالأخرى ، على مألوف عاداتها

وفى الحق إن رشدى باشا لم يستمع إلى هذه الدعوة ، ولم يستجب إلى هذا النداء ، وظل متضامنا مع الوفد ، فكان موقفه من هذه الناحية مثلا حسنا للتضامن القومى ، وبخاصة إذا قورن بموقف كثير من طلاب الوزارات ، الذين ينتظرون إشارة ولو عابرة من الناحية البريطانية ، أو من غيرها من النواحي ، لى يقفزوا إلى الحكم على حساب حقوق البلاد ومصالحها ، ووحدتها وتضامنها

### احتجاج الموظفين على خطبة كيرزون

وإضرابهم ثلاثة أيام

لم يكن للموظفين عمل يذكروا فى الثورة قبل خطبة اللورد كيرزون ، فالحركة كانت

منحصرة في الطلبة والشباب ، والمحامين والسيدات ، والعمال والفلاحين ، وفريق من الأعيان وذوى المهن الحرة ، أما الموظفون فكانوا بمنأى عنها ، وكان عملهم مقصوراً على الإعجاب بها ، وبما بدا من هذه الطبقات من الشجاعة والتضحية ، وحينما أضرب المحامون لقوا من القضاة تأييداً وتسهيلاً لمهمتهم في الإضراب وتأجيل القضايا ، وكان هذا شأنهم جميعاً ، عدا أفراداً يعدون على الأصابع ، وقد فكر بعض صغار الموظفين في الإضراب مشاركة للأمة في حركتها العامة ، ولكنهم أخفقوا في مسعاهم ، إذ عارضت جمهرة الموظفين ، وخاصة كبارهم ، في الإضراب ، خشية عواقبه ، وكل ما فعله فريق منهم أن وقعوا عرائض احتجاج على اعتقال سعد وصحبه ، رفعوها إلى السلطان ، وظهرت هذه الفكرة أول ما ظهرت بين موظفي وزارة الحقانية ، ولقوا صعوبة كبيرة في حمل بعض المستشارين وكبار الموظفين على توقيعها ، إذ عدوها تدخلاً في السياسة ، مما لا يتفق ( في نظرهم ) مع طبيعة مراكزهم ! ولما نشرت خطبة اللورد كيرزون ، استاء لها الموظفون عامة ، إذ جعلتهم في مركز حرج أمام الرأي العام ، لما انطوت عليه من اتهامهم بالانحياز إلى صف الاحتلال والحماية ، والتنكر للحركة الوطنية ، فبحثوا ملياً في درء هذه التهمة عن أنفسهم ، واتفقوا رأياً على أن يحتجوا على الخطبة ، وعلى الحلة القائمة ، فكتبوا عرائض احتجاج وقعها الموظفون في مختلف الوزارات ورفعوها إلى السلطان ، وقدموا صوراً منها إلى معتمدى الدول بمصر ، وأعلنوا فيها عزمهم على الإضراب ثلاثة أيام إظهاراً لشعورهم ، وتضامناً منهم مع الأمة

رُفعت هذه العرائض إلى قصر عابدين يوم الثلاثاء أول أبريل سنة ١٩١٩ ، ولم تعين فيها الثلاثة الأيام التي قرروها للإضراب ، ولم يكن من الميسور الاتفاق على تحديدها ، لعدم إمكان اتصال الموظفين جميعهم ببعض ، على أن الإضراب قد ابتداءً فعلاً يوم الأربعاء ٢ أبريل ، فعُدت الأيام الثلاثة ابتداءً من هذا اليوم ، وصار الإضراب عاماً يوم الخميس ٣ منه ، حيث خلت المصالح كلها تقريباً من الموظفين ، وكان القرار أن يستمر الإضراب ثلاثة أيام تنتهى يوم السبت ٥ أبريل ، ثم سرت فكرة الاستمرار في الإضراب ، حتى يطلق سراح المعتقلين ، وعقد الموظفون اجتماعات في مسجد ابن طولون للتشاور في هذا الأمر ، وكانت الفكرة الغالبة هي استمرار الإضراب ، وقد فكروا في تنظيم شئونهم بتأليف لجنة من مندوبي

الموظفين في الوزارات ، لتقرر ما تراه ، لكي يكون الإضراب باتفاق جميع الموظفين ، على أن المصالح والدواوين استمرت مضطربة يتخلف من يتخلف من موظفيها إلى أن تقرر الإفراج عن سعد يوم ٦ أبريل ، ثم تألفت وزارة رشدي باشا الرابعة ، فاتخذ الإضراب شكلا حادًا كما سيجيء بيانه

وكان إضراب الموظفين مقصورا تقريبا على القاهرة ، أما موظفو الأقاليم فلم تصلهم الدعوة للإمتاخرة ، فلم يشترك منهم في الإضراب إلا القليل

### المظاهرات والحوادث في شهر أبريل سنة ١٩١٩

أثار إضراب الموظفين حماسة الجماهير ، لأنه حادث فذ في حياة مصر القومية ، فقد كانت هذه أول مرة أضرب فيها موظفو الحكومة لأسباب سياسية ، ولم يسبق لهم أن أضربوا لأسباب سياسية أو غير سياسية فاتخذت القاهرة يوم الخميس ٣ أبريل شكلا غير مألوف ، وبدت كأنها كلها في إضراب عام

أقفلت المحال التجارية في الأحياء الوطنية ، عدا المحازب التي طلب الجمهور من أصحابها أن يتابعوا عملهم ، وقلت اللحوم ، لا نقطاع معظم الجزارين عن الذبح ، وأضربت طوائف الشعب جميعها من الموظفين في المصالح والدواوين — عدا المحكمة المختلطة — إلى الكناسين ، وتدفقت الجماهير في الشوارع ، تسير في مظاهرات ، يتلو بعضها بعضا ، وتلاقت الجموع في ميدان عابدين ، وهناك في نحو الساعة الحادية عشرة صباحا أطلقت رصاصة أصابت المستر ديكسن رئيس تفتيش التذاكر بالسكة الحديدية ، فسقط قتيلًا ، ولم يعرف مصدر هذه الرصاصة ، والراجح أنها من مصدر معادٍ للشعب ، أراد أن يحدث فتنة بإطلاقها ، فوقع في الميدان هرج كبير ، ثم أطلقت عيارات نارية من منزل بميدان عابدين ، ظهر أنه لأحد الأرمين ، أصابت كثيرا من المتظاهرين ، وجاءت على الأثر الدوريات البريطانية ، ولكن الجموع ثار سخطها على مطلق النار ، فهاجموا المنزل وحطموا ما فيه ، وأطلقت الدوريات

البريطانية النار على المتظاهرين ، فبلغ عدد القتلى تسعة ، وعدد الجرحى ٥٦ جريحاً ، وقد عرفنا من أسماء الشهداء : عباس محمد من حارة أبو الليف قسم السيدة زينب . على أحمد المصلوح من البغالة . محمد الجزار من عابدين . محمد محمد الزواوى من باب الشعرية . محمود عبد الوهاب من درب الحجر . محمد محمد حسنين من سوق الزلط بباب الشعرية . محمد أحمد عبد العاطى من باب اللوق . اسماعيل حسنين من حارة الحكر ( قسم عابدين ) . محمد حسين من درب شغلان

وامتد الهياج إلى شارع محمد على وميدان العتبة الخضراء ( المسكة فريدة الآن ) ، وربطت قوات من الفرسان على أبواب الشوارع والدروب والحارات من شارع قصر العيني إلى شوارع الشيخ ريحان ( السلطان حسين الآن ) والداخلية والإنشاء ووزارة الأوقاف و باب اللوق وسوق الخضار الخ ، ولم يعد الهدوء إلا في نحو الساعة الخامسة مساء

أشارت السلطة العسكرية إلى هذه الحوادث في بلاغها الصادر يوم ٣ أبريل بقولها :

« واجتمع اليوم — الخميس ٣ أبريل — جماهير من الغوغاء ( كذا كانت تسمى

المتظاهرين ) الخلين بالراحة والنظام في جوار ميدان عابدين ، وفي شارع محمد على بالقاهرة ، وقد قتل المسترديكسن الموظف بالسكة الحديدية المصرية برصاصة بندقية في ميدان عابدين في الساعة الحادية عشرة ، وقتل الغوغاء يونانيا<sup>(١)</sup> في شارع محمد على في الساعة الثانية ، وأطلق الرصاص من منزل في ميدان عابدين ، فأفضى إلى وقوع اضطراب جديد أحرق الغوغاء في خلاله المنزل المذكور ، وقد أعيد النظام في الساعة الثالثة بعد الظهر ، ووردت الأنباء بوقوع بعض خسارة من القتلى والجرحى ، والمعروف إلى الآن أن ستة قتلوا وأن عدداً معيناً من الناس جرحوا ، ولسكن لم تصل التفاصيل بعد »

ثم جاء في بلاغ ٤ أبريل ما يأتي : « اضطرت الدوريات في خلال الاضطرابات التي وقعت أمس ( ٣ أبريل ) في القاهرة أن تطلق النيران بضع مرات بسبب الخطة العدائية التي سلكها الغوغاء ، ويرجع الفضل في تحديد الخسارة إلى نظام الجنود وضبط أنفسهم ، وقد أثبت ولاية الأمور من رجال البوليس الآن أن تسعة قتلوا و ٥٦ جرحوا ، بعضهم بجراح

(١) تبين أنه مصرى واسمه ( على حسن )

بليغة ، والآخرون بجراح خفيفة ، ويُعزى عدد معين من هذه الخسارة إلى العمل الذي قام به أحد السكان في عابدين ، فإنه أطلق الرصاص جزافا ، واستتبت السكنينة اليوم ( الجمعة ) في القاهرة وتولت السلطة العسكرية أعمال التلغرافات نظرا لاعتصاب مستخدمي التلغرافات ، فأمكن المحافظة بذلك على القيام بخدمة الجمهور إلى درجة محدودة »

وأسلوب هذين البلاغين — كأسلوب معظم بلاغات السلطة العسكرية في عهد الثورة — يستوقف النظر ويدعو إلى التأمل ، فهي أولا تعبر في بلاغاتها عن المتظاهرين ، « بالغوغاء » ، وفي بعضها « بالرعاغ » ، وترمى بذلك إلى التهمين من شأنهم ، مع أنهم في الغالب من الشباب ، وكثير منهم من المثقفين ، لم يدفعهم إلى التظاهر إلا تلبية لنداء الجهاد الوطني ، ثم انها تفصح حيث تنسب القتل إلى المصريين ، وتعمد الإبهام حيث يكون مصدره غير مصرى ، فلا تذكر جنسية من قتل المستر ديكسن ، ولا من أطلق الرصاص من المنزل بميدان عابدين ، مع ما تبين من أن القاتلين من غير المصريين ، أما اليوناني الذي ذكر البلاغ أنه قتل في شارع محمد علي ( وقد اتضح أنه مصرى ) فتذكر أن المتظاهرين هم الذين قتلوه ، ثم تذكر عددا كبيرا من القتلى والجرحى المصريين ، ولا تذكر من الذين أحدثوا هذا القتل ولا هذه الإصابات ، فهذا الإفصاح في موضع ، والإبهام في موضع آخر ، يدل على أن بلاغات السلطة العسكرية يجب أن تقابل بمنتهى الحيطة والحذر ، وإنما ذكرنا بعضها لما فيها من تأييد لبعض حوادث الثورة

واستمرت المحال التجارية والمخازن معطلة يوم الجمعة ٤ أبريل والسبت ٥ منه ، وقد خشي عقلاء الأمة ومنهم الطلبة عواقب مقابلة اعتداء الأرمن بمثله ، فنشروا إعلانا يحذرون فيه الجمهور من ذلك العمل ، قالوا :

« أيها المواطنون . كل من يعتدى على أرمنى أو رومى أو أى أجنبي آخر لا يكون وطنياً ، ولو كان مصرياً . إن من يفعل ذلك هو باليقين متشرد أو لص نهاب . فالواجب عليكم كلما رأيتم شخصا من هذا القبيل أن تسرعوا وتعتقلوه وتسلموه إلى أقرب نقطة من  
نقط البوليس »

ونشر وكيل بطريركية الأرمن إعلانياً أظهر فيه أسفه وأسف طائفته على هذه الحوادث ، وأعرب عن أمله وأمل إخوانه أن تكون إشاعة إسنادها إلى الأرمن غير صحيحة ، واستنكر أى اعتداء من هذا القبيل ، وتبرأ من كل أرمني يرتكب مثل هذا الإجرام

### ميزانية سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠

نتج عن استمرار حالة الثورة ، وبخاصة عدم قيام وزارة تتولى الحكم ، أن صدرت ميزانية سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ بقرار من الجنرال ألنبي يوم ٣١ مارس سنة ١٩١٩ ، وكان صدورها بهذا الشكل مخالفاً للقانون المالى ، وقد نشر هذا الإعلان فى « الوقائع المصرية » عدد أول أبريل ، مصدراً بالديباجة الآتية :

« إعلان من القائد العام لقوات جلالة الملك فى القطر المصرى . لما كانت اللجنة المالية قد أتمت تحضير الميزانية لسنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ على الشكل المرفق بهذا الإعلان ، ولكنه لم يتيسر الحصول على الموافقة عليها طبقاً للقانون . ولما كان وضع تقدير الإيرادات والمصروفات فى السنة المالية القادمة أمراً ذا صفة ضرورية ومعجلة . بناء على ذلك أنا ادمند هينمن ألنبي بمقتضى السلطة المخولة لى بصفتى قائداً عاماً لقوات جلالة الملك فى القطر المصرى أمر وأصرح بما يأتى » . وبلى ذلك أرقام الميزانية

وقد كان صدور الميزانية بقرار من الجنرال ألنبي تحدياً صارخاً لاستقلال البلاد وكرامتها القومية ، واستهانةً بالثورة ، فلا جرم أن قوبل هذا العدوان بالسخط والاستمرار فى الثورة ، وتفاقت حوادثها فى الأيام الأولى من شهر أبريل

### الجمعية العمومية للمحاميين

كان يوم ٢ أبريل سنة ١٩١٩ موعد اجتماع الجمعية العمومية للمحاميين بمحكمة الاستئناف ، ولكن عددهم لم يتكامل ، ولما غادروا المحكمة اعتدى عليهم الجنود الإنجليز ، فقدموا احتجاجاً إلى مجلس نقابتهم الذى اجتمع يوم ٤ أبريل ، فأقر الاحتجاج وقرر تأجيل الجمعية العمومية لأجل غير مسمى



## محاولة غلق الأزهر

وفي ٢ أبريل استدعت دار الحماية الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي شيخ الجامع الأزهر، وطلبت منه غلق أبواب الأزهر، فرفض محتجاً بأنه مسجد تقام فيه الشعائر الدينية، وليس له أن يوصد أبوابه في وجوه المصلين، فطلبت أن يفتحه في مواعيد الصلاة فقط، فرفض، وظل مفتوحاً في كل وقت كما كان من قبل

## اجتماع كبير بمسجد ابن طولون - ٥ أبريل

كان معظم الاجتماعات الثورية يعقد بالأزهر، وكان في نية الجمهور إقامة اجتماع به يوم ٥ أبريل لإلقاء الخطب وعرض الحالة التي وصلت إليها البلاد، ولما علمت السلطة العسكرية نبأ هذا الاجتماع وضعت على منافذ الأزهر القوات الإنجليزية المسلحة، وإذ رأى منظمو الاجتماع أن لاسبيل إلى انعقاده في الأزهر، قرروا عقده في مسجد ابن طولون، واحتاطوا للأمر، فحفروا الخنادق، وأقاموا المتاريس في الشوارع وعلى منافذ الطرق المؤدية إليه، لكي لا تجتازها السيارات المقلدة للجنود، فلما ترمى إلى السلطة نبأ هذا الاجتماع ومكانه الجديد، أنفذت إليه شردمة من الجند لتفريق شمل المجتمعين، فاعترضتهم الخنادق والمتاريس، وأخذ الناس من خلفها يرمون الجند بالحجارة، فأطلق هؤلاء الرصاص على الممتنعين بها، وعلى غيرهم من الأهالي الوادعين، فسقط بعض القتلى والجرحى، منهم غلام لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره، عُرف في الثورة بابن القباقبي، واسمه الحقيقي محمد اسماعيل<sup>(١)</sup> من شارع الركبية، أقام هذا الفتى شبه حصن عند سبيل (أم عباس)، فأصابته رصاصة أودت بحياته، واحتفل بتشييع جنازته في اليوم التالي في مشهد مهيب، ودفن بمدافن الإمام الشافعي، وأشار بلاغ السلطة العسكرية في ٦ أبريل إلى مقتله بقوله: « إن جمهوراً معادياً

(١) سألت أهل الحى، فعرفت منهم أن هذا هو اسم الغلام، ورجعت إلى دفاتر الوفيات، فوجدت مقيداً بها بتاريخ ٥ أبريل سنة ١٩١٩ وفاة الغلام (محمد اسماعيل) من شارع الركبية قسم الخليفة سنة ١٢ سنة وأن الوفاة « من طلق نارين من بتدقية »، فتحقق لى ما رواه أهل الحى

هجم صباح أمس على دورية في حي السيدة زينب ، فاضطرت إلى إطلاق النيران ، وقد قتل لسوء الحظ ولد في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره كان بين الجماهير «  
وتم الاجتماع في مسجد ابن طولون ، وانتهى قبل أن تتمكن القوات البريطانية من فضه

وفي اليوم التالي ( ٦ أبريل ) احتل الجنود الشوارع المؤدية إلى هذا المسجد ، وأخذوا يرغمون الناس على رفع الأحجار التي وضعت كمتاريس ، وردم الحفر والخنادق التي أحدثت فيها ، وإعادتها كما كانت ، ولم يفرقوا في هذا الإرغام بين صغير وكبير ، وغنى وفقير ، بل كانوا يكرهون كل من صادفهم على القيام بهذه المهمة ، ومن يتأخر أو يحاول التملص يضرب بالرصاص

### الإسراف في قمع الثورة

#### فظائع لا مبرر لها

ان أولى الفظائع التي صدرت من الجنود الإنجليز سنة ١٩١٩ هي مقابلة المظاهرات البريئة في العاصمة وسواها بإطلاق الرصاص من البنادق والمدافع الرشاشة ، مما أفضى إلى قتل كثير من الأبرياء بلا جريرة ارتكبوها سوى الهتاف باستقلال مصر وحريةتها ، ولا يمكن أن يعد هذا الهتاف جريمة ، بل هو نداء طبيعي يهتف به كل من ينتسب لأمة لها وجود وكرامة

على أنه إلى جانب هذه الفظائع التي تقدم بيانها — وسيرد مثلها في حوادث المظاهرات الآتية — إلى جانب ذلك قد وقع من الجنود البريطانيين ، في كثير من الجهات ، فظائع لها طابع بارز من الإسراف في القسوة والتنكيل ، وهو ما أفردنا له هذه الصفحة وما يليها

#### في العاصمة

ففي العاصمة وقعت المجازر التي أصابت المظاهرات السلمية ، وحصدت أرواح المئات

من الشهداء ، وقد لاحظ أطباء مستشفى قصر العيني وأساتذة كلية الطب من فحص جثث القتلى وإصابات الجرحى من المتظاهرين ، فظاعة التقتيل والتنكيل ، وتملكهم جميعاً شعور الاستنكار لهذه الفظائع ، ولم يسهم السكوت عليها ، فكتبوا يوم ١٥ مارس سنة ١٩١٩ احتجاجاً إجماعياً سجلوا فيه هذه الفظائع ، وبعثوا به إلى المدير العام لمصلحة الصحة ، هذا نصه :

« مستشفى قصر العيني — القاهرة في ١٥ مارس سنة ١٩١٩ »

« جناب مدير مصلحة الصحة العمومية »

« نحن الموقعين على هذا أطباء مستشفى قصر العيني ومدرسة الطب والأطباء الشرعيين لدى المحاكم الأهلية نتشرف برفع هذا لجنابكم

« انه يحزننا أن نرى السلطة العسكرية تستعمل ضرب الرصاص والمدافع الرشاشة في تفريق الجماهير المجتمعة لغرض سلمى والغير مسلحة مطلقاً وشوش عليهم في اجتماعاتهم هذه بواسطة غوغاء لا دخل لها ، خصوصاً وأن بين المصابين أطفالاً ونساء قتلى وجرحى لا يمكن مطلقاً حصول أى تعد منهم نحو السلطة ، وجزء ليس بالقليل من الجرحى مصاب إصابات خطيرة متهتكة في البطن والصدر ، مما يدل على أن ضربهم بالرصاص كان بغير مبالاة واعتباطا ليس الغرض منه كما هو اللازم مجرد تخويفهم وتفريقهم ، مع العلم بأنه كان يكفي لتفريق اجتماعات مثل هذه ليس بها شخص مسلح قط طرق أخرى غير ضرب الرصاص من المدافع الرشاشة والبنادق جزافاً

« لذلك نحتج أشد الاحتجاج على هذا ، ونطلب من جنابكم بصفتمكم مديراً عاماً لمصالح الصحة المصرية تبليغ هذا الاحتجاج لجهة الاختصاص منعاً لما ينتج عن مثل هذه الأعمال في المستقبل ، خصوصاً وأن العاطفة التي دفعت المتظاهرين إلى عملهم هي عاطفة بشرية توجد في كل الأمم »

التوقيعات

سليمان عزمى . سيد عبد الحميد سليمان . اسماعيل ضيائي . على ابراهيم .

محمد أمين عبد الرحمن . محمد رياض . حسن شاهين . جبرائيل بحرى . أنيس أنسى .  
ابراهيم فهمى المنياوى . جورجى صبحى . محمد شمس الدين . جرس جرجس الضبع .  
نجيب مقار . عبد المجيد محمود . ابراهيم شوقى . نجيب محفوظ . محمد كامل براده . محمد خليل  
عبد الخالق . عزيز اسكندر . عبد الله جلال . أحمد شفيق . محمد مبارك . على رامز .  
محمود ماهر

ولم يقتصر الأمر على هذه الفظائع ، بل كان كثير من الجنود فى مختلف أحياء العاصمة  
يعتدون على الناس ، ويسلبون ما معهم من نقود وأشياء ثمينة ، ويطلقون النار على الدور ،  
حتى بلغ للبوليس من هذا النوع فى حى واحد من أحياء المدينة ٣٢ جناية فى يوم واحد ،  
ووقع هذا الاعتداء على الناس من مختلف الأندار ، فلم يوقر الجند كبيراً ، ولم يرحموا صغيراً ،  
بل لم يتورعوا عن قتل النساء . ومما يذكر فى هذا الصدد أن امرأة طاردوها فأقفلت بابها  
وساعدها زوجها فى الامتناع به ، فأطلق العسكر عليهما النار فقتلت المرأة ، واعتدى العسكر  
فى حادثة أخرى على عفاف فتاة فى نحو العاشرة من عمرها فقضت نجبتها

### فى مديرية الجيزة

كانت مديرية الجيزة مسرحاً لكثير من الفظائع التى تركت فى النفوس  
ذكريات أليلة

فى ١٥ مارس بينما كان أهالى ناحية كفر الشوام ( مركز امبابه ) مجتمعين فى عرس  
يحتفلون به ، إذ مرت بهم سيارة تقل نفرأ من الجنود الإنجليز ، فلم يكن من هؤلاء إلا أن  
باغتوا الفرع بإطلاق النار على المحتفلين فقتل منهم ستة ، عرفنا من أسمائهم : محمد سلام حسن .  
زكى محمد غراب . مصطفى أحمد الشرفاوى . نعيمة عبد الحميد محمد . عبد العزيز أحمد السقا ،  
وأصيب ثمانية ، منهم صاحب الفرع قطب الباجورى ، وثبت أنه عند قدوم سيارة الجند  
تقدم خفير الدرك وسار أمامها ليرشد من فيها إلى الطريق ، ولم يكذب يسير خطوات حتى ألغى  
المرصاع يطلق من السيارة بلا سبب غير أن الفرع كان فى طريقهم

وفي ١٦ مارس قتل جندي بريطاني أحد الأهالي في بندر الجيزة في طريقه إلى دار البريد ، فتجمهر الأهليون إذ رأوا القتل بلا سبب وخرّبوا دار البريد

وفي ١٨ مارس حلقت الطائرات البريطانية فوق الثانية والحلّة ( بمركز العياط ) ، وألقت قنابل على البلديتين فأصيب بعض أهلها

وفي ٢٢ مارس نزل بعض الجنود الإنجليز بلدة بشتيل ، وأخذوا يضربون الأهالي بالسيّاط ، واقتحموا بعض منازلها ، فهاج الأهالي ، وكادت الحالة تنقلب إلى مأساة ، لولا تدخل العمدة

وفي ٢٣ مارس أطلق جندي بريطاني النار في جزيرة امبابه على محمود السيد بحم حال ذهابه لمصر يحمل اللبن لمبيعه ، فمات لوقته

وحدث في كثير من البلاد أن نهب الجنود أرزاق الأهالي وأموالهم ومواشيهم وأتلفوا مزرعاتهم ، مما لا سبيل إلى حصره

### في العزيزية والبدرشين

وأبرز الفظائع ما وقع في العزيزية والبدرشين ( بمركز الجيزة ) ، ونزلة الشوبك ( مركز العياط ) ، وقد سُجّلت في محاضر رسمية ، واحتج عليها مجلس مديرية الجيزة احتجاجاً تاريخياً ، وخلصتها أنه في يوم ٢٥ مارس سنة ١٩١٩ ، في نحو الساعة الرابعة بعد منتصف الليل ، والناس نيام ، انقض نحو مائتي جندي بريطاني مدججين بالسلاح على بلديتي العزيزية والبدرشين ، وانقسموا إلى فريقين ، كل فريق أحاط بإحدى البلديتين ، وقصدت شرذمتان منهم إلى منزلي عمدتي البلديتين شاهرين أسلحتهم ، وطلبوا إلى كليهما تقديم ما عنده من السلاح وجمع كل ما يوجد منه بالقريّة ، قبل مضي ربع ساعة ، فقدم أحدهما ( الشيخ إبراهيم دسوقي رشدان عمدة العزيزية ) ما يملك وهو مسدس ، ولم يكن لدى الثاني ( الشيخ محمد منظور الدالي عمدة البدرشين ) شيء منه ، فاقتحم الجنود المنزلين ، وانسلوا إلى غرف السيدات ، فاخترن تحت الأسيرة ، واستولى عليهن الذعر لوقوع هذا

المهجوم المفاجئ\* الفظيع في ساعة متأخرة من الليل ، وكسر الجنود الصناديق والخزائن عنوة ، وسلبوا كل ما فيها من حلى ومال ، ثم جذبوا النساء من شعورهن ، وانتزعوا بكل قسوة وفضاعة ما كان عليهن من حلى لدرجة أن ثلوا أذن إحداهن ، وجاسوا خلال المنزلين ونهبوا كل ما وصلت إليه أيديهم

ثم طلبوا من العمدين أن يدلّاهم على منازل مشايخ البلديتين وأعيانتهما ، ففعلا مكرهين ، فارتكب الجنود في هذه المنازل مثل ما ارتكبوا في منزلي العمدين ، وأعلن الضابط الذي يقود الجند في هذه المعركة أنهم سيضرمون النار في القريتين ، وأنه مرخص لكل شخص من السكان أن يأخذ ما في بيته من مال وحلى قبل الرحيل عنه ، ثم لم يلبثوا إلا قليلا حتى أضرموا النار فعلا في منازل القريتين ، مستعينين بما يعلو سقفوها من حطب وقش ، وكانت النيران إذا خبت في أحدها استعانوا على إشعالها بالبتروال الذي كانوا يحدونه فيها ، فذعر الناس ، وخرجوا من منازلهم فراراً من الحريق ، ولم يتركهم الجند يهجرون القريتين ، بل حاصروها ووقفوا شاهري السلاح في وجه المهاجرين ، يفتشونهم قبل انطلاقهم ، ويسلبونهم ما كانوا يحملون من مدخراتهم ، ولم يوفروا في هذا الاعتداء المنكر أحدا حتى النساء ، بل كانوا ينقبون في ملابسهن وأجسامهن ، ويمزقون ثيابهن ، ويعبثون بموضع العفة من أجسامهن ، واعتدى بعض الجنود على عفاف بعضهن قسراً ، وقتلوا بعض أهالي البدرشين ومنهم سيدة دافعت عن عرضها ، فكان جزاؤها القتل ، كل ذلك وضباطهم يشهدون هذه الفضائع دون أن يحركوا ساكناً !

ولما أكلت النيران دور البلديتين فرت الأغنام والدواجن فاستولى عليها الجند ، واحترقت بعض المواشي في البيوت ، وكان كل من حاول من الأهالي إطفاء الحريق يطلق عليه الجند الرصاص فيردونه قتيلاً

وقد عرفنا من أسماء القتلى إبراهيم عطوة الدالي ابن عم العمدة . وعبد الجواد سيد ، وقد قتلهما الجند في عقر دارهما . وإبراهيم سيد رفاعي . والسيدة عالية زوجة الشيخ حسنين الجزار ، وقد قتلت وهي تدافع عن عرضها

وانصرف الجند عن البلديتين في الصباح المبكر بعد أن جعلوها قاعاً صفيصاً ، واستاقوا عمدتى البلديتين ومشايخهما إلى الحوامدية ، سائرين على الأقدام ، وخلفهم الجند يخزونها بأسنة الرماح ، لكي يسحبوهم على الإسراع في السير ، ووصل الجميع ظهراً إلى الحوامدية ، وهناك مثلوا أمام جمع من ضباط الإنجليز ، فتلا عليهم رئيسهم التهمة الموجهة إلى القريتين ، وهي أن بعض أهالي العزيزية تعدوا بالضرب على أحد الضباط البريطانيين في الطريق المؤدى إلى أهرام سقارة ؛ وأن أهالي القريتين اشتركوا في إحراق محطتى الحوامدية والبدرشين وعبثاً حاول العمدتان أن ينفيا التهمة عن نفسيهما وأسرتهما وأهل بلديتهما ، إذ أثبت الأول بشهادة الشهود أنهم كانوا يحمون مصانع السكر بالحوامدية أثناء الاضطرابات ، فلم يكثر الضابط البريطاني لهذه الحجج ، وأمر المعتقلين بالتوقيع على إقرار أعد لهم مكتوباً ، يبدون فيه أسفهم على ما حدث من تخريب خط السكة الحديدية ، وما وقع من الاعتداء على الجنود البريطانيين ، ويقرون فيه أن ما حدث لبلديهم حق وفي محله ، وأنهم مستعدون لتقديم ما يطلب منهم من العمال لإصلاح السكة الحديدية ، ويقبلون المحاكمة أمام المجلس العسكرى إذا هم قصرُوا في أداء تعهداتهم ، وأكروهوا تحت التهديد بالقتل على التوقيع على هذا الإقرار

### في نزلة الشوبك

ووقع ببلدة نزلة الشوبك مركز العياط يوم ٣٠ مارس فظائع تزيد عما حل بالعزيزية والبدرشين ، فقد جاءها الجند بعد ظهر اليوم المذكور في قطار مسلح ، ونزلت منه قوة مدججة بالسلاح ، فاقتموا البلدة ومنازلها ، وسلبوا منها ما وصلت إليه أيديهم من حلى ومال ودواجن ، واعتدوا على أعراض بعض النساء ، وقتلوا عبدالتواب عبدالمقصود حين كان يدافع عن عرض زوجته ، وكذلك فعلوا مع شيخ الخفراء ، وقتلت زوجة سليمان محمود الفولى وهي تدافع عن عرضها ، ولما رأوا مقاومة من الأهالى أخذوا يطلقون الرصاص جزافاً ، فقتل من الأهالى واحد وعشرون ، وجرح اثنا عشر ، وأشعلوا النار في منازل البلدة ،

فدمرت مائة وأربعة وأربعين بيتا ، والبلدة لا يزيد عدد منازلها عن مائتين وعشرة ، ومن أفضع ما حدث لهذه البلدة ، أنهم قبضوا على أحد مشايخها عبد الغنى ابراهيم طلبة وأخيه عبد الرحيم وابنه سعيد وخفاجه مرزوق من أهالى البلد ، ودفنوهم فى الأرض حتى أنصاف أجسامهم - بدعوى التحقيق معهم - ثم قتلوهم رميا بالرصاص ، وهم على هذه الحالة

### بلاغ السلطة العسكرية

وكل ما أذاعته السلطة العسكرية عن هذه الفظائع أنها قالت فى بلاغ أول أبريل سنة ١٩١٩ : « أذيعت أخبار كاذبة فيما يتعلق بحوادث يقال إنها وقعت فى العزيزية ، وقد طلب إرسال بلاغ عن الحقيقة ، فأبلغ الضابط المتولى القيادة هناك أنه وردت أنباء تتضمن أن القرويين فى العزيزية والبدرشين اشتهروا بإيواء البدو المسلحين ، وقد أجرى البحث فى القريتين بناء على ذلك يوم ٢٦ مارس ، فوجدت فى العزيزية كمية من الأسلحة ، وقد حاول المشاغبون أثناء البحث الهرب بالقفز من سطح إلى آخر ، فأفضى ذلك إلى سقوط الأسطح تحت ثقلهم ، وقد سبب سقوط الأسطح فوق النيران أو مصابيح الزيت فى المنازل نشوب بعض حرائق فى القرية » ، وقالت عن نزلة الشوبك : « وجدَ قطار كان يشتغل بأعمال الإصلاح فى أثناء سيره جنوباً بعد ظهر يوم ٣٠ مارس جماعة من القرويين يعبثون بالخط الحديدى فى جوار الشوبك ، وقد قتل خمسة من الذين كانوا يشتغلون بتدمير الخط ، وأطلقت النيران بعدئذ على القطار من القرية فأخرج الجنود أهلها »

فتأمل فى مبلغ الفرق بين هذا البلاغ وحقيقة الحوادث والفظائع التى ارتكبت فى هذه البلاد ، ولعلك تدهش من أن البلاغ ينسب الحرائق فى العزيزية إلى سقوط الأسطح ، مع أن منطق البديهية يوحى بأن سقوطها إنما يؤدى إلى إخماد النار لا إلى إشعالها ، ولكن سبب إطفاء النار انقلب إلى سبب لإشعالها ، وهذا هو لعمري منطق القوة الغشوم ، لا منطق الحق السليم



## احتجاج مجلس مديرية الجيزة

على هذه الفظائع

كان لهذه الفظائع وقع أليم في النفوس ، مما دعا أعضاء مجلس مديرية الجيزة إلى الاجتماع للاحتجاج عليها ، فاجتمع المجلس خصيصاً لهذا الغرض في جلسة غير اعتيادية يوم الأربعاء ٩ أبريل سنة ١٩١٩ بديوان المديرية ، برئاسة أحمد حمدي سيف النصر بك ( باشا ) مدير الجيزة ، وحضور كل من فضل بك الزمر . عبد الواحد بك القط . حسين بك غراب . أحمد بك المليحي . بيومي بك مدكور . سيد أفندي دويدار . محمد أفندي منصور عطا الله من الأعضاء ، وأمين أفندي فهمي أحمد سكرتير المجلس ، وتخلف عن الحضور سعد بك مكرم ، ولما افتتحت الجلسة ألقى أحمد بك المليحي كلمة استنكر فيها هذه الفظائع ، وطلب من المجلس الاحتجاج عليها ، وقدم احتجاجاً مكتوباً وقعته هو والأعضاء ليقره المجلس ، هذا نصه :

« تقدمت إلينا من بعض أهالي مديرتنا بصفتنا نواب الأمة المنتخبين عنها في مجلس المديرية شكاوى عما حدث ببعض بلاد المديرية من الاعتداءات الفظيعة والجنايات الفتاكة بهيكل الإنسانية وحرمة الفضيلة — تلزمتنا مراكزنا النيابية بالنظر فيها وتبليغها للجهات الرئيسية المسؤولة باقطر المصري ، ولقد صدرت تلك الشكايات من نفوس مكرومة وأفئدة جريحة ، تعبر عن آلام قد أحسننا بها جميعاً ، ولم نقف حيالها هذه المدة إلا انتظاراً لتصريفها بالحكمة والعدل ، ولكننا مع الأسف وجدنا أن الصوت الصاعد من صدر هذه الأمة لا يسمع إلا أن يكون مؤيداً تأييداً تاماً ما دامت العدالة لم تأخذ مجراها القانوني ، تتلخص تلك الشكايات في أن بعض الجنود البريطانية أحدثت من الاعتداءات ضرباً شتى كإحراق القرى والبلاد في غسق الليل وفي جوف النهار ، وقتل الأبرياء رمياً بالرصاص ، وسلب الأهالي أموالهم وحليهم ، وقتل مواشيهم ، وأخذ الطيور عنوة ، والاعتداء ويا للأسف على الأعراض اعتداء يندى له وجه الفضيلة خجلاً ، وتنتحر أمامه المزوءة والشهامة ، كأمثال

ما وقع في بلاد امبابية . والعزيرية والبدرشين . ونزلة الشوبك من بلاد مدير يتنا ، وكما ثبت كل ذلك في محاضر التحقيق الرسمية التي أجرتها جهة الاختصاص ، وإنه ليسوءنا جميعاً أن صدرت البلاغات الرسمية عن تلك الحوادث مخالفة للحقيقة ، ومنافية للتحقيقات الرسمية التي حصلت ، مما دلنا على أن بعض رجال الجيش المرافقين للقوات التي ارتكبت هذه الفظائع قد أبلغوا رؤساءهم عكس ما وقع تماماً

« كان الذي وقع من الاعتداء تأديباً للأهالي — على ما قيل — بدعوى أنهم عطلوا طرق المواصلات بالسكك الحديدية ، وأن عملهم هذا مقصود به النهب والسلب — مع أن الواقع ينفي ذلك ، ويقرر أنه ما كان ثمة نهب ولا سلب وإنما هي الرغبة بعد ما حيل بين الأمة وبين إبداء مطالبها بواسطة رجالها الذين أنابتهم عنها في أن تسمع هي بذاتها نداءها للأمة الحرة ، وتعبر عن رغباتها بكل طريقة ووسيلة لتحيا حياة الأمم التي لم تكن مثلها في الذكاء والنبوغ ، وخولت حق المطالبة باستقلالها التام في مؤتمر السلام ، وإن هذه المطالب ما كانت محرمة في أي قانون من القوانين ، ليحال دون وصولها إلى حيث تريد الأمة عن بكرة أبيها ، خصوصاً وأن مبدأ مظاهرتها بهذه المطالب كان سليماً محضاً ، بل إن الاستقلال التام الذي هو أهم تلك المطالب وأولها والذي هو بغيتنا جميعاً لا نستطيع أن نقول بأن أمة عظيمة كالأمة البريطانية تقف في وجهه وتحول دون إبداء أمنية الشعب المصري بأمله فيه ، خصوصاً وأنها من كبار الأمم الحرة وحليفة الأمم الأخرى مثلها ، التي حاربت معها على تأكيد حقوق الشعوب وحرية الأمم ، وإن الوقوف حجرة عثرة أمام مطالبنا المشروعة ، يعتبر وقوفاً أمام الرأي العام ، وأمام ما أبداه مؤتمر السلام من اتباع الشروط الأربعة عشر المشهورة ، التي ذكرها جناب رئيس الولايات المتحدة وقررتها جمعية الأمم ، بل إننا لنجهر أيضاً بأننا نشك في أن مثل هذه المصائب الشديدة أو البلايا الفادحة ، التي وقعت من بعض جنود الجيش البريطاني على رأس هذه الأمة الأسيفة المطالبة باستقلالها ، ترضى عنها الأمة البريطانية أو تبرر حدوثها ، وإننا لنتنظر بصبر نافذ حكم الأمة البريطانية حيال هذه الجنايات التي ارتكبت بواسطة جنودها بعد أن أبدينا حقيقتها إجمالياً ، من واقع التحقيقات التفصيلية في

المحاضر الرسمية للحكومة المصرية ، لهذا نرفع أولاً احتجاجاتنا الشديدة ، كنبواب عن هذه المديرية ، عما حدث فيها من الاعتداءات ضد الحركة الوطنية ، ونطلب ثانياً أن يبلغ هذا الاحتجاج بواسطتنا جميعاً ، أو بواسطة لجنة منا ، لعظمة مولانا السلطان ، وللجهات الرسمية المسئولة في القطر المصري ، مشفوعاً بنداء الأمة المصرية ومطلبها الوحيد « وهو الحصول على الاستقلال التام » ، كما نطلب أن يرفع عن عاتق الأمة حالا كل ما يصاد النداء بهذا الاستقلال التام المنشود »

فقال رئيس المجلس : « مع اعترافى بأن ما حدث بنواحي امبابة والعزيزية والبدرشين ونزلة الشوبك ، هو عمل وحشى ، أذكر لحضراتكم أن الأفراد الذين قدموا لى شكاوى عن ذلك قد عملت لهم التحقيقات اللازمة بواسطة حضرة مأمور ضبط المديرية ( الأستاذ ابراهيم دسوقى أباطه ) الذى أثق به وأعتبره كشخصى فى إجراء مثل هذه التحقيقات وترجمتها وعملت تقريراً يشمل احتجاجى على ما وقع من الاعتداء على تلك البلاد ، وأرسلت كل ذلك لوزارة الداخلية ، كما أرسلت صوراً أخرى من هذه التحقيقات وذلك التقرير لدار الحماية ، ولمركز قيادة الجيش البريطانى بسافواى أوتل بناء على طلبهما ، وجاءنى منهما ما يفيد أنهما اعتنيا بتقريرى وأنه تقرر تأليف لجنة لإعادة التحقيق بخلاف اللجنة الأولى ، وبما أنى اعتبرت أن هذه الحوادث كأنما وقعت على شخصى بالذات لوقوعها فى دائرة مديرتى وبغير علم منى ، فإنى أصرح لكم بأنه إذا لم يرضنى التحقيق الذى سيعمل ، فإنى لا أنى عن الاحتجاج عليه بكل قواى مهما ضحيت فى سبيل ذلك من الجهد والمركز »

وقال محمد افندى منصور عطا الله : إنه حتى اليوم الثالث من حادثة نزلة الشوبك كان الأهالى يحدون جثث قتلاهم خلال مزارع القمح ، أو طافية على وجه الماء فى الترع ، وان ما أعدم من المواشى من قذائف المدافع ورصاص البنادق التى أطلقها بعض رجال الجيش الإنجليزى يفوق كل تقدير ، أما حاصلات البلد من الذرة التى كانت تجفف بحرارة الشمس فوق سطوح المنازل فهذه قد رشها الجنود البريطانيون بالنزيرين وأحرقوها ، فترتبت على ذلك خسارة عظمى هى جميع حاصلات الأهالى

وقال أحمد بك المليحي : بمناسبة ما ذكره حضرة زميلي محمد افندي منصور عطا الله ، أقول إن قواد الجيش الإنجليزي يرسلون قوات من الجيش المذكور للبلاد الهادئة التي لم تحدث منها أية مخالفة للقانون وها أنتم (مخاطبا رئيس المجلس) بصفتكم مدير المديرية تعلمون أن مركز الصف لم يحصل منه أى اعتداء ، ومع ذلك فقد أرسلت إليه قوات انكليزية ، حال أنه معلوم أن الأهالي لا يفهمون اللغة الإنجليزية وأن الجنود البريطانيين لا يفهمون اللغة العربية ، وبذلك لا يبعد أن يحدث سوء فهم بين الفريقين ، لهذا أحتج بصفتي نائبا عن ذلك المركز على إرسال تلك القوات ، وأطلب من هيئة المجلس الموافقة على هذا الاحتجاج معى حتى لا يقع ببلاد المركز المشار إليه مثل ما وقع بالبلاد التي أشرنا إلى حوادث الاعتداء عليها في احتجاجنا الذي تلى في الجلسة الآن

وقال فضل بك الزمر : إنه حدث بالأمس في امبابه بينما كان القطار سائراً بالأهالي يحملون الأعلام ابتهاجا بالسماح للمصريين بالسفر إلى أوروبا وعرض مطالبهم أن يعتدى بعض الإنجليز على القطار ورموه بالرصاص فقتلوا اثنين بالرغم عما جاء بمنشور جناب القائد العام ، ولذا فإنى أحتج بشدة على هذه الجنايات الشائنة التي لا ينقطع حدوثها حتى الآن

وقال كل من عبد الواحد بك القبط ومحمد افندي منصور عطا الله : لقد علمنا أنه تجرى الآن بمركزنا (العياط) عدة تحقيقات مع الأهالي بواسطة مجلس عسكري ، ومن المعروف أن هذا المجلس واسع السلطة يقضى بعقوبات صارمة منها القتل والجلد وغيره ، وأنه لا يوجد به أعضاء مصريون ، وسيترتب على ذلك إيقاع عقوبات على الأبرياء ، إذ أن تحقيقات ذلك المجلس تبني غالباً على بلاغات كاذبة ، فيحل العقاب بأفراد لم يقع منهم أى تشويش للأمن العام ، لهذا نطلب سرعة اتخاذ اللازم لإيقاف أعمال ذلك المجلس ، إلى أن يُبَيَّت في الحالة الحاضرة ، ويعرف مجرى الأمور وفاقاً لما صرح به جناب القائد العام

وقال عبد الواحد بك القبط أيضاً : إنى أحتج كذلك على القبض حتى الآن على عمدة نزلة الشوبك بواسطة جنود الجيش الإنجليزي ، بعد ما ارتكبوه من الفظائع في بلده ، وأرجو سعادة الرئيس إبلاغ أولى الأمر المختصين طلب الإفراج عنه ، رحمة بأهله وذويه

الذين قتل الإنجليز منهم نحو الستة على الأقل رمياً بالرصاص  
وبعد سماع هذه البيانات أصدر المجلس القرار الآتي : « قرر المجلس بإجماع الآراء  
الموافقة على جميع الاحتجاجات الواردة بهذا المحضر ، وإبلاغ جميع ما دون فيه لحضرة  
صاحب العظمة السلطانية ، ولأولياء الأمور ، وللهيئات الرسمية في القطر المصرى بواسطة هيئة  
المجلس الحاضرة الآن »

### في الشبانات مركز الزقازيق

وفي ٢٥ مارس حاصرت قوة من الجنود بلدة الشبانات بمركز الزقازيق بحجة أن جندياً  
هندياً من الموكول إليهم حراسة السكة الحديدية قد قتل على مقربة من هذه البلدة ، وطلب  
قائد القوة من العمدة الإرشاد عن قتل هذا الجندي ، فنفي عن أهل بلده ارتكاب هذا  
الحادث . فأمر القائد أهل البلدة أن يغادروا منازلهم في الحال لإحراقها ، ومن يعارض يقتل  
رمياً بالرصاص ، وكان عددهم نحو أربعة آلاف ، فخرجوا يهيمون على وجوههم ، وكان  
الجندي مخزونهم بأسنة حراهم ليستعجلوهم في إخلاء البلدة ، وماتت امرأة حامل من جراء  
هذه الوحشية ، ولما غادر البلدة أهلها أخذ الجندي يحطمون أبواب المنازل ويقتحمونها ،  
ويأخذون ما تصل إليه أيديهم من مال ومتاع ، ثم أشعلوا النار فيها جميعاً ، واستمرت النار  
مشتعلة يومين ، فدمرت معظم منازل البلدة ، وبات أهلها في العراء في حالة تدمي القلوب  
وتفتت الأكباد

### في صفط الملوك

في منتصف ليلة الأحد ١٣ أبريل سنة ١٩١٩ هاجمت قوة من الجنود الإنجليز بلدة  
« كفر مساعد » التي تبعد عن محطة « صفط الملوك »<sup>(١)</sup> بنحو خمسة كيلومترات وأحاطوا  
بجميع مساكنها بحجة البحث عن أطلق الرصاص على دورية بريطانية كان منوطاً بها

(١) مركز إيتاي البارود بحيرة

حراسة السكة الحديدية ليلا في هذه المنطقة ، وأمرها الأهالي بالخروج من بيوتهم لكي  
يعرضوا على الدورية البريطانية حتى يعرف من بينهم من أطلق الرصاص عليها  
وبعد أن قنشوا جميع البيوت والأجران ، استاقوا كل الذكور من أهل البلدة إلى  
محطة صفت الملوك بعد أن قتلوا أحدهم يوسف مبروك

وفي نحو الساعة الثالثة بعد منتصف الليل زحفوا على بلدة « شبرا الشرقية » ، على بعد  
: مترين من كفر مساعد ، وفعلا بها ما فعلوا في البلدة الأولى

وفي نحو الساعة السادسة صباحا هاجموا بلدة « كفر الحاجة » والعرب التابعة لها ،  
وفعلا أيضا مثل فعلتهم في البلدين ، وإذ كان بعض أهلها قد بكروا في الصباح إلى مزارعهم ،  
فقد استاقوا الرجال الذين كانوا في العيطان بين طلقات البنادق ، وأخذوا جميع من اعتقلوهم  
من أهالي البلاد الثلاثة إلى محطة صفت الملوك ، وحجزوهم برصيف البضائع بين نطاق من  
الجند شاهري السلاح ، فعمهم الذعر هم وذوهم ونساؤهم الذين تابعوهم إلى المحطة ، وعبثا  
حاول الأستاذ محمد توفيق عمران المحامي من أهالي كفر الحاجة وجرجس افندي بولس من  
أهالي كفر مساعد إقناع قائد القوة ببراءة الأهالي ، إذ أن المنسوب إليهم أن أحدهم أطلق  
الرصاص على الدورية الإنجليزية ليلا ، في حين أنهم من أهالي الجهة الشرقية لخط السكة  
الحديدية ، والطلق إنما حدث في الجهة الغربية ، فكان جواب القائد أن لا بد من الإرشاد  
عن الفاعل الحقيقي وإلا نفذ أوامره ، وقد نفذها بالفعل ، فأمر بأن يجيء الجند بكل فرد  
من الأهالي المحجوزين وعددهم نحو الخمسمائة ، فجئ بهم واحدا بعد واحد ، وكان كل منهم  
يسأل عن معرفته لمن أطلق الرصاص فيجيب سلبا ، فيدفع إلى كشك صغير على رصيف  
المحطة ، فيتلقفه الجند ويمزقون ملابسه ، ويسلبون نقوده ثم يجلدونه ضربا بالسياط بلا شفقة  
ودون حساب أو تخير لمواضع الضرب ، وبعد أن ينتهوا من جلده يقذفون به خارج  
الكشك ، فيتلقفه شرذمة آخرون من الجنود ضربا بالأيدي وركلا بالأرجل ، وقد أغمى  
على بعض المضروبين ، وقاء البعض الآخر دما من شدة التعذيب ، ولم يحترم الإنجليز  
في هذه المأساة سنا ولا مقاما ، فضربوا العلماء وكبار السن والأعيان والصغار ، على أن الأدلة

كانت متضافرة على برأتهم جميعا فإن الطلق حصل ليلا في الجهة الغربية للسكة الحديدية ،  
وهم جميعاً من أهالي الجهة الشرقية ، وكانت الأوامر العسكرية تقضى بالألا يفارق الأهالي  
منازلهم من الساعة السابعة مساءً وألا يقترب أحد منهم من شريط السكة الحديدية من  
الساعة السادسة مساءً حتى السادسة صباحاً ، فكان يستحيل عليهم أن يعرفوا من أطلق  
الرصاص في جنح الظلام على الدورية الليلية ، وقد كتب الأهليون بهذه الفظائع شكاوى  
عدة بعثوا بها إلى الوفد وإلى الجهات المختصة ، وأرفقوا بها صوراً فتوغرافية لآثار التعذيب  
في أجسامهم .

---

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني

وبه تمام الكتاب

## فهرست الجزء الأول

صفحة

٣	مقدمة الطبعة الثانية
٥	» « الأولى
١٠	أقسام الكتاب

### الفصل الأول

#### مصر في أثناء الحرب العظمى الأولى

١٩١٤ — ١٩١٨

٢٧	رشدى باشا	١١	مركز مصر الدولى قبل الحرب
٢٨	جواب رشدى باشا	١٢	تفاقم الحالة عقب نشوب الحرب
٢٩	مظاهر الاحتجاج على هذا الانقلاب	١٣	قانون التجمهر
	احتجاج « الشعب » عن الظهور		إعلان الأحكام العرفية ووضع الرقابة
٣٠	احتجاجا على إعلان الحماية	١٤	على الصحف
٣٠	اضطهاد الوطنيين	١٥	إبلاغ هذا المنشور إلى الحكومة المصرية
	مظاهرة طلبه الحقوق يوم زيارة السلطان		الحرب بين إنجلترا وتركيا وإعلان
٣١	حسين	١٦	الجنرال مكسويل
٣٣	الاعتداء على السلطان حسين كامل	١٨	إعلان الحماية البريطانية
٣٥	تعطيل الجمعية التشريعية		خلع الخديو عباس الثانى وتولية السلطان
٣٥	تدفق الجنود البريطانية على مصر	١٩	حسين كامل
٣٦	الحملة التركية على قناة السويس	٢٦	تأليف وزارة حسين رشدى باشا
٣٦	واقعة طوسون		كتاب السلطان حسين كامل إلى حسين



صفحة	صفحة
٤٣ ... .. لبريطانيا في مصر	٣٧ ... .. واقعة الرمانه
٤٣ ... .. وفاة السلطان حسين كامل	٣٨ ... .. حملة السنوسى على حدود مصر الغربية
... .. اعتذار الأمير كمال الدين حسين عن	٣٨ ... .. في السودان
٤٤ ... .. عدم قبول العرش	... .. حشد السلطة العسكرية للعمال وجمع
... .. ارتقاء السلطان ( الملك ) أحمد فؤاد	٣٩ ... .. الدواب والمؤن
٤٥ ... .. عرش مصر	٤١ ... .. جمع الرديف
٤٦ ... .. تأليف وزارة حسين رشدى باشا الثالثة	٤١ ... .. مظاهرة الرديف أمام سراى عابدين
... .. منحة ثلاثة ملايين جنيه ونصف للحكومة	... .. الجفاء بين السلطان حسين والمندوب
٤٩ ... .. البريطانية	٤٢ ... .. السامى البريطانى
٥٠ ... .. عقد الهدنة وانتهاء الحرب	... .. تعيين السير رجنلد ونجت مندوبا ساميا

## الفصل الثانى

### أسباب الثورة

٥١

٦٨ ... .. تأليف الوفد المصرى وموقف رشدى باشا	٥٢ ... .. الأسباب السياسية
... .. مشروع السير وليم برونيت فى القانون	٥٢ ... .. ثورة على الاحتلال والحماية
٧١ ... .. النظامى	٥٤ ... .. وعلى مظالم السلطة العسكرية
٧٢ ... .. الأسباب الاقتصادية	٥٧ ... .. مبادئ الرئيس ويلسن
٨٠ ... .. التاريخ يعيد نفسه فى الحرب العالمية الثانية	٦٠ ... .. مصر بين أم الشرق
٨٨ ... .. الأسباب الاجتماعية	٦٢ ... .. جهاد الحزب الوطنى

### الفصل الثالث

#### تأليف الوفد المصرى وتطور الحوادث

صفحة	صفحة
٩٢	٩٣
طلب الوفد الترخيص له بالسفر ... ١٣٨	حديث ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ... ..
جواب دار الحماية - رفض الترخيص	٩٧
١٣٩	٩٩
السفر ... ..	تأليف الوفد ... ..
١٤٢	١٠١
مطالب الوفد ونداؤه إلى معتمدى الدول	كيف تألف الوفد وضمن تألف ؟ ...
اجتماع بمنزل حمد باشا الباسل وخطبة	١٠٢
١٤٤	١٠٢
سعد باشا ... ..	صيغة التوكيل الأولى ... ..
١٤٩	موقف الحزب الوطنى وتعديل صيغة
رحيل السير ونجت عن مصر ... ..	التوكيل ... ..
١٤٩	١٠٣
اشتداد الحركة بعد رحيل السير ونجت	جمع التوكيلات ... ..
خطبة سعد باشا فى دار جمعية الاقتصاد	١٠٤
١٥٠	١٠٤
والتشريع ... ..	تصدى السلطة العسكرية للتوكيلات
استقالة وزارة رشدى باشا وأثرها فى	مذكرة أمين بك الرافعى عن المسألة
١٥٣	١٠٧
تطور الحوادث ... ..	المصرية ... ..
١٥٧	١٢٥
قبول استقالة الوزارة ... ..	ضم أعضاء آخرين إلى الوفد ... ..
	١٢٦
	تقرير الحزب الوطنى إلى مؤتمر الصلح

### الفصل الرابع

#### مقدمات الثورة

١٥٩	١٦٠
البريطانية ... ..	كتاب الوفد إلى السلطان ... ..
١٦٦	١٦٣
اعتقال سعد وصحبه ... ..	احتجاج الوفد لدى معتمدى الدول
١٦٧	١٦٥
استمرار الوفد فى الكفاح ... ..	إنذار السلطة العسكرية لأعضاء الوفد
	تلغراف الوفد إلى رئيس الوزارة

الفصل الخامس

الثورة

صفحة	صفحة
١٩٠ ...	بدء الثورة — الأحد ٩ مارس سنة
١٩١ ...	١٩١٩ ...
١٩٢ ...	الاثنين ١٠ مارس — أول القتلى
١٩٣ ...	والجرحي ...
١٩٤ ...	الثلاثاء ١١ مارس ...
١٩٥ ...	أول شهداء الشباب في الثورة ...
١٩٥ ...	الأربعاء ١٢ مارس ...
١٩٦ ...	الخميس ١٣ مارس ...
تعطيل المواصلات التلغرافية والتلفونية	تهديد الموظفين ...
١٩٩ ...	الجمعة ١٤ مارس ...
٢٠٠ ...	إضراب المحامين ...
٢٠٠ ...	إضراب المحامين الشرعيين ...
٢٠٢ ...	السبت ١٥ مارس — إضراب عمال
٢٠٢ ...	العنابر ...
٢٠٤ ...	المحاكم العسكرية ...
٢٠٤ ...	الأحد ١٦ مارس ...
٢٠٥ ...	مظاهرة السيدات ...
٢٠٧ ...	قصيدة حافظ ابراهيم في مظاهرة
٢٠٨ ...	السيدات ...

سفرة	منع حمل الأسلحة	٢١٠ ... ..	سفرة	الشرطة الوطنية	٢٠٨ ... ..
٢١٠ ... ..	جنازات الشهداء	٢١٠ ... ..	٢٠٨ ... ..	اعتداء الجنود البريطانية على المجتمعين	
			٢٠٩ ... ..	في القهاوى	

### الفصل السادس

#### الثورة في الأقاليم

٢١٢

٢١٢ ... ..	في الإسكندرية	٢١٢ ... ..	في مركز ميت غمر — مذبحه
٢١٤ ... ..	في بورسعيد	٢١٤ ... ..	ميت القرشى
٢١٤ ... ..	في البحيرة	٢١٤ ... ..	في كفرالوزير
٢١٤ ... ..	في رشيد	٢١٤ ... ..	في تفهنا الأشراف
٢١٥ ... ..	في الغربية والمنوفية	٢١٥ ... ..	في دنديط
٢١٥ ... ..	في طنطا	٢١٥ ... ..	في القليوبية والشرقية
٢١٧ ... ..	في بركة السبع	٢١٧ ... ..	الثورة في الوجه القبلى
٢١٧ ... ..	في قلين ودسوق	٢١٧ ... ..	في الواسطى وبنى سويف
٢١٧ ... ..	في سمنود	٢١٧ ... ..	في الفيوم
٢١٧ ... ..	في زفتى	٢١٧ ... ..	في المنيا
٢١٨ ... ..	في كفر الشيخ	٢١٧ ... ..	في مديرية أسيوط
٢١٩ ... ..	في المحلة الكبرى	٢١٨ ... ..	مهاجمة القطار بدىروط وديرمواس
٢٢٠ ... ..	في شبين الكوم	٢١٩ ... ..	قتل ثمانية من الضباط والجنود بالقطار
٢٢٠ ... ..	في الدقهلية	٢٢٠ ... ..	تفاهم الحالة في أسيوط
٢٢٠ ... ..	في المنصورة	٢٢٠ ... ..	في مديرية جرجا
٢٢١ ... ..	في دمياط	٢٢٠ ... ..	بين قنا وأسوان
		٢٢١ ... ..	مجموع الخسائر في الأرواح

الفصل السابع

٢٣٥

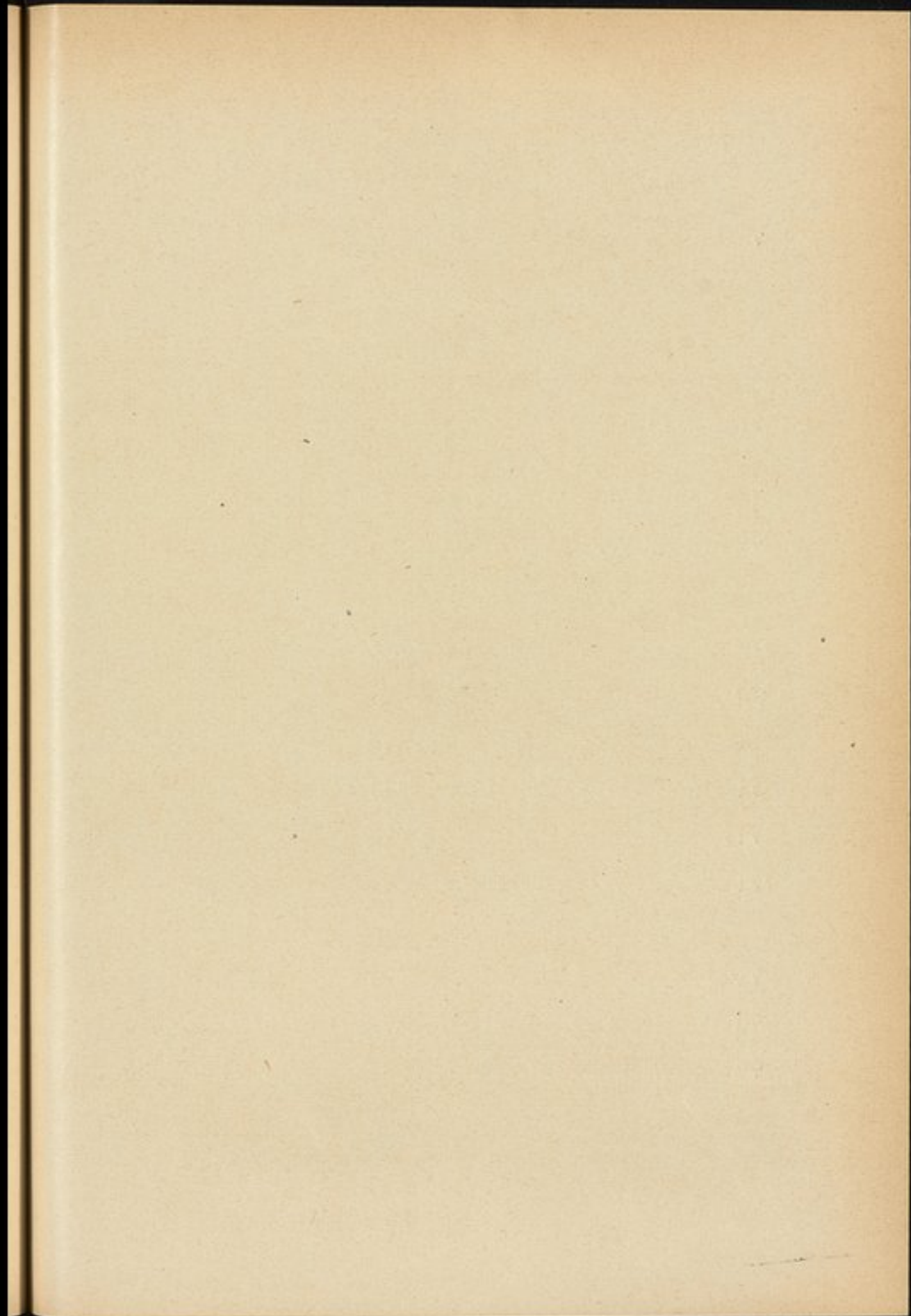
ذكرياتى عن الثورة

الفصل الثامن

٢٤٥

مواجهة الثورة

٢٥٩ ... .. محاولة غلق الأزهر...	٢٤٥ ... تعيين الجنرال ألنبي مندوبا ساميا ...
٢٥٩ ... اجتماع كبير بمسجد ابن طولون ...	وصوله إلى مصر — تصر يحاته عقب
الإسراف فى قمع الثورة — فظائع	بجئته ... ..
٢٦٠ ... .. لامبرر لها ...	٢٤٨ ... استمرار الثورة ...
٢٦٠ ... .. فى العاصمة ...	نداء أعضاء الوفد وبعض الكبراء
٢٦٢ ... .. فى مديرية الجيزة ...	٢٤٨ ... .. بتهدئة الحالة ...
٢٦٣ ... .. فى العزيزية والبدرشين ...	٢٥١ ... .. مقابلة أعضاء الوفد للجنرال ألنبي ...
٢٦٥ ... .. فى نزلة الشوبك ...	٢٥١ ... خطبة للورد كيرزون عن الحالة فى مصر
٢٦٦ ... .. بلاغ السلطة العسكرية ...	٢٥٣ ... احتجاج الموظفين على خطبة كيرزون
احتجاج مجلس مديرية الجيزة على	المظاهرات والحوادث فى شهر أبريل
٢٦٧ ... .. على هذه الفظائع ...	سنة ١٩١٩ ... ..
٢٧١ ... .. فى الشبانات مركز الزقازيق ...	٢٥٨ ... .. ميزانية سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ ...
٢٧١ ... .. فى صفت الملوك ...	٢٥٨ ... .. الجمعية العمومية للمحامين ...



# ثورة سنة ١٩١٩

تاريخ مصر القومي من ١٩١٤ سنة إلى ١٩٢١ سنة

بقلم

عبد الرحمن الرافعي

## الجزء الثاني

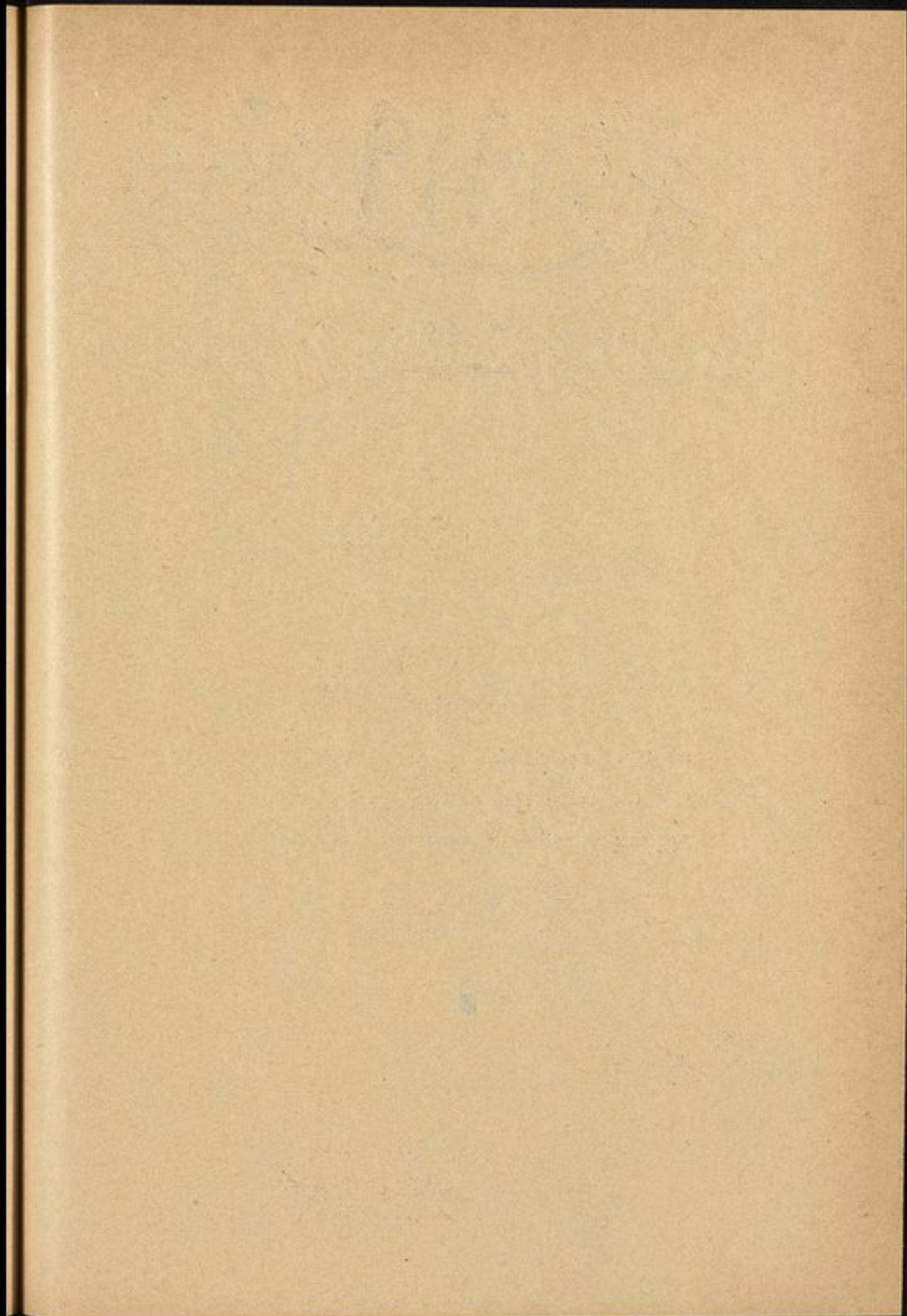
مهادنة الثورة — استمرار الثورة — محاكمات الثورة — لجنة ملز والحوادث التي لا يستها —  
مفاوضات ملز — استشارة الأمة في مشروع ملز — التبليغ البريطاني بأن الحماية علاقة  
غير مرضية — هل نجحت ثورة سنة ١٩١٩ وفيه نجحت؟ — وثائق تاريخية

الطبعة الثانية

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

عن الكتاب ٧٠

ملتزمة النشر والطبع  
مكتبة النهضة المصرية  
٩ شارع صولان بالقاهرة





## الفصل التاسع

### مهادنة الثورة

#### الإفراج عن سعد وصحبه

رأت الحكومة البريطانية بعد تعاقب الحوادث أن سياسة قمع الثورة بالقوة والبطش قد تفضي إلى إخمادها ، إلا أنها وسيلة عكسية لا تؤدي إلى الغرض الذي ترمى إليه ، لأنها توجب نار العداوة والبغضاء في النفوس ، وتزيد في حفيظة الشعب عليها ، فرأت ، وقد أخذت الثورة بالشدة حيناً ، أن تجنح ولو مؤقتاً لمهادنتها ، والتخفيف من حدتها ، والتعجب ظاهراً إلى الأمة ، وإذ اعتقدت أن السبب المباشر للثورة هو اعتقال سعد زغلول وصحبه ، فقد صح عزمها على أن تقرر الإفراج عنهم ، والترخيص للوفد ولمن يشاء من المصريين بالسفر إلى أوروبا ، وبذلك تجتذب قلوب الشعب ، وتكسر من حدة ثورته ، وبهذا نصحتها الجنرال اللنبي المندوب السامي البريطاني ، وأزجى لها هذا الرأي في برقية بعث بها إليها في ٣١ مارس سنة ١٩١٩ ولما يمض على قدومه إلى مصر أسبوع ، فأخذت بنصيحته

وقد ساعد على اختيار هذا الحل أن الحكومة البريطانية اتخذت عدتها في مؤتمر الصلح ، لكي يرفض مطالب مصر ، بل يرفض أيضاً سماع هذه المطالب ، واستوثقت من أنه سيقر الحماية البريطانية في معاهدة الصلح ، فلم ترفى الإفراج عن سعد وصحبه ، ولا في التصريح للوفد ولمن يشاء من المصريين بالسفر ، ضرراً يلحق أهدافها السياسية ، ولم يكن لهذا الحل من العواقب ما يزيد سوءاً عن تأجيج نار العداوة في نفوس المصريين ، بإبقاء سعد وصحبه في الاعتقال

#### منشور السلطان إلى الأمة

ولما استقرّ عزمها على إصدار هذا القرار مهّد السلطان فؤاد لإعلانه بمنشور إلى الأمة

أذاعه مساء الأحد ٦ ابريل سنة ١٩١٩ ، نصحتها فيه بالكف عن المظاهرات ، والإخلاء إلى الهدوء والسكينة ، ونشر في « الوقائع المصرية » وفي الصحف اليومية جميعها ، واسترعى الأنظار ما فيه من روح التضامن مع الشعب في شعوره الوطني ، وكان هذا أول منشور للسلطان بهذا المعنى ، وظهر الفرق جليا بينه وبين كتابه إلى رشدي باشا غداة ولايته العرش ( ج ١ ص ٤٦ )

أصدر السلطان منشوره إلى الأمة بهذا المعنى الجديد ، فأدرك الجمهور أنه مقدمة لعمل سار ، ستفاجأ به البلاد ، قال :

« إني أنشر بين قومي هذه الكلمات التي كانت تختلج بصدري من الوقت الذي أخذت تتوارد إلى فيه ملتزمات الأمانى القومية نحو مستقبل البلاد ، وإني بالطبع لا أعنى بالبلاد إلا بلادنا المباركة ، لا أعنى بالبلاد إلا وطننا العزيز ، هذا الوطن الذي اقتضت حكمة الله أن يكون جدى الأكبر محمد على الكبير أكرم الله مثواه صاحب عرشه

« جلس جدى رحمه الله على عرش مصر والوقت عصيب والفتن سائدة والقوم في شقاء ، بين ظلم الحكام وظلمات الجهالة ، فتعب في راحة الوطن العزيز وسهر على أمنه وسعادته ، ونشر في أرجائه رايات العدل وأنوار العرفان ، فضرب لنا بذلك مثلا شريفاً لا يجدر بنا أن نضل بعده أبداً

« فكلمنا شعرت بدم هذا النابغة العظيم يجرى في عروقي أشعر بمحبة هذا الوطن العزيز الذى لا ترضى نفسى بأن يكون محبو بالغيرى أكثر منى فيزداد اهتمامى بما يعود عليه من الخير والسعادة بعون الله

« ولما كنت عاملا على هذا المبدأ الشريف بكل ما فى وسعى فإني أطالب أبناءى المصريين بمالى من حق الأبوة عليهم أن يتناصحوا بعدم الاستمرار على المظاهرات التي كانت عواقبها غير محمودة فى بعض الجهات وأن يخلدوا إلى الراحة والسكون وانصرف كل إلى عمله ، وهذه هى يد المساعدة التي أطلبها منهم

« وأسأل الله القدير أن يمدنا في جميع أحوالنا بتوفيقاته الصمدانية وأن يهيء لنا في أعمالنا من أمرنا رشداً »

القاهرة في ٥ رجب سنة ١٣٣٧ — ٦ أبريل سنة ١٩١٩ « فؤاد »

### منشور الجنرال ألنبي

بالإفراج عن سعد وصحبه

وفي اليوم التالي — ٧ أبريل — أعلن الجنرال ألنبي قراره بالإفراج عن سعد وصحبه وإباحة السفر للمصريين ، وأصدر بذلك منشوراً قال فيه :

« الآن وقد عاد النظام بنجاح عظيم ، فبالاتفاق مع حضرة صاحب العظمة السلطان أعلن أنه لم يبق حجر على السفر ، وأن جميع المصريين الذين يريدون مبارحة البلاد تكون لهم هذه الحرية ، وقد قررت علاوة على ذلك أن كلا من : سعد زغلول باشا . واسماعيل صدقي باشا . ومحمد محمود باشا . وحمد الباسل باشا . يُطلقون من الاعتقال ويكون لهم كذلك حق السفر »

نائب جلالة الملك الخاص

٧ أبريل سنة ١٩١٩

ا . ه . ه . ألنبي

### مظاهرات الفرح والابتهاج

تبدلت الروح العامة بعد إذاعة هذا المنشور ، وشهدت مصر من مظاهرات الفرح والسرور ما لم يسبق له نظير في تاريخها الحديث ، فقد عدت الأمة بحق أن الإفراج عن سعد وصحبه هو نصر سياسي نالته في ميدان الكفاح القومي ، لأن السلطة التي اعتقلت سعدا هي ذات السلطة التي اضطرت إلى الإفراج عنه ، تسكيناً للثورة ، أو ترضية لها ، أو مهادنة لها ، فهو على أي اعتبار مكسب لها ، إذ لولا الثورة لما أفرج عن سعد وصحبه ، والحكومة البريطانية لم تأمر باعتقالهم لكي تفرج عنهم بعد شهر واحد من هذا الاعتقال ، فهذا الإفراج هو ولا ريب ثمرة للثورة ، ونتيجة من نتائجها

لم يكد هذا النبأ يصل إلى مسامع الناس حتى تألفت المواكب فوراً تطوف في الشوارع والميادين هاتفة بحياة مصر واستقلالها وحياة سعد والمجاهدين وذكري الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الحرية والاستقلال ، ولم يترك الجمهور مظهراً من مظاهر الفرح والابتهاج إلا فعلوه ، فرفعت الأعلام على المحال التجارية ، وزينت قطر الترام بغصون الأشجار والأزهار ، وازدانت المركبات بالأعلام والرايحين ، والناس فيها ومن فوقها يصيحون ويهتفون ، ووضع المتظاهرون في يد تمثال ابراهيم باشا في ميدان الأوبرا علماً مصرياً كبيراً منشوراً ، فكان يبعث الحماسة والبهجة في النفوس

على أن هذا اليوم لم يخل من حوادث دموية وقعت فيه ، فقد اعتدى الجنود البريطانيون على بعض المتظاهرين بالقرب من فندق شبرد ، وأطلقوا عليهم النار ، قتل منهم اثنان وجرح أربعة ، وقد عرفنا من القتيلين اسم أحمد محمد عمران من شبرا وقامت مظاهرات الفرح في معظم العواصم والثغور والبنادر وكثير من القرى في الأيام التالية للإفراج عن سعد

### مظاهرة ٨ أبريل الكبرى

تعددت مظاهرات الفرح والابتهاج يومي ٧ و ٨ أبريل ، وكانت مظاهرة يوم الثلاثاء ٨ أبريل أعظمها شأنًا وأوسعها مدى ، اشتركت فيها طبقات الشعب كافة ، فانتظمت العلماء والقسوس والقضاة والمحامين والأطباء والأعيان وموظفي الحكومة وطلبة المدارس والمعاهد جمعياً ، وطوائف العمال والصناع ، ومع كل فريق من هذه الطبقات علمها الخاص ، وسارت وراء هذه الطوائف مركبات تقل عائلات العائلات الكريمة ، وابتدأ الموكب يسير في الساعة الثالثة بعد الظهر من ميدان محطة العاصمة حتى وصل إلى ميدان عابدين أمام السراي السلطانية ، وهناك هتف المتظاهرون بحياة « السلطان العادل » ، فاستقبلهم بالسراي سعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء ، ورجال التشريعات وضباط الحرس يبلغونهم تحيات السلطان ، وطاف الموكب ببيت الأمة ، وبالجملة كانت المدينة تموج بالمتظاهرين الذين بلغ

عدد مئآت الآلاف ، هذا إلى غير المتظاهرين ممن خرجوا من منازلهم مدفوعين بدافع البشر والغبطة ، فكان القاهرة كلها قد خرجت إلى الشوارع في هذا اليوم المشهود

### الاعتداء على المتظاهرين

على أن هذا اليوم — كسابقه — لم يستمر موسوما بمظاهر الغبطة والسرور ، بل جد فيه من اعتداء الجنود الإنجليز ما بدّل الفرح حزنا ، ذلك أنه بينما الموكب يسير أمام حديقة الأزبكية إذا بطلقات الرصاص تدوى في الفضاء ، فأخذ الجمع يتبين الخبر ، فرأوا بعض الجنود الإنجليز يطلقون النار على المتظاهرين المسالمين ، فقتلوا عددا منهم ، بينهم فتى صغير ، وجرح كثيرون ، فارتج نظام الموكب من فظاعة هذا الاعتداء ، وكاد المتظاهرون يقابلون الشر بمثله ، لولا أن تغلبت الحكمة على العنف ، فحمل بعضهم الغلام والدم يقطر من جراحه ، وذهبوا به إلى قصر عابدين ، وطلبوا أن يطلّ عليهم السلطان ليشهد وحشية هذا الاعتداء ، فأشرف عليهم بعض رجال القصر ووعدهم بتبليغ السلطان ما حدث ، فهذا روع الجمهور قليلا

أشارت السلطة العسكرية إلى الاعتداء الذي وقع يوم الاثنين في بلاغها الصادر يوم ٨ أبريل بقولها : « وردت الأنباء بوقوع بعض حوادث يؤسف لها خلال مظاهر خمس الشعب ليلة أمس في القاهرة والاسكندرية ومن المحتمل أن هذه الحوادث وقعت بسبب سوء التفاهم ، والتحقيق جارٍ في هذه الحوادث ، أما الحالة في الأقاليم فلم يطرأ عليها تغيير » وأشارت إلى الاعتداء الذي وقع يوم الثلاثاء في بلاغها الصادر يوم ٩ أبريل بقولها : « وصل إلى مسامع فخامة نائب الملك الخاص مع الأسف الشديد ما وقع من بعض الحوادث الموجبة للأسف في خلال مظاهرات أمس ، فأمر بتأليف لجنة للتحقيق في الحال في هذه المسائل حتى يحال المجرمون فيها على العدالة ليعاقبوا »

ولم يسمع أحد بعد ذلك بعقاب أحد من هؤلاء المجرمين ، وتبين أن الغرض من هذا البلاغ إنما هو تهدئة للخواطر وأن يتضمن ترضية كلامية لا جدوى لها ولا أثر

وتكررت المظاهرات يوم ٩ أبريل ، وقتل فيها عدد من المصريين والبريطانيين ، وقد عرفنا من أسماء شهداء يوم ٨ أبريل : عبده عبد الله سيدهم الشهير بمرسی من الجامع الأحمر .  
إمام أحمد إبراهيم حسن من الشعرائى . الحاج أحمد عبد الكريم السودانى من الوابلى .  
محمد افندى أبو شادى من كوم الصعايدة قسم عابدين . الغلام رجب ابراهيم (سنة ١٢ سنة)  
من باب الشعرية . سيد صقر أومباشى سوارى من عطفة الشعار . ابراهيم بدوى جاويش  
بفرقة المطافى من عطفة الشعار . مصطفى أحمد سليم من عطفة الشعار . سيد يوسف من  
عطفة الشعار . عبد العزيز المستكاوى من عطفة الشعار أيضاً

### تأليف وزارة رشدى باشا الرابعة

كانت وزارة رشدى باشا الثالثة مستقيلة منذ ديسمبر سنة ١٩١٨ ، وقد قبل السلطان  
استقالتها فى أول مارس سنة ١٩١٩ كما تقدم بيانه ( ج ١ ص ١٥٧ ) ، وظلت البلاد دون  
حكومة طيلة شهر مارس ، وهو الذى شبت فيه الثورة  
فلما قبلت مطالب رشدى الأولى بإباحة السفر لمن يشاء من المصريين ، وأفرج عن  
سعد وصحبه ، عرض السلطان على رشدى باشا مهمة تأليف الوزارة من جديد ، فقبلها ، وكانت  
وثيقتا العرض والقبول وجيزتين فى مبناهما ومعناها ، ولم يزد رشدى باشا فى بيان يرناججه على  
قوله إنه ارتضى تأليف الوزارة « أملا فى حل يرضى الأمة » ، وهالك نص كتاب  
السلطان إليه :

« عزيزى رشدى باشا

« إنه بمالى فى دولتكم من الثقة الكاملة قد عهدت لدولتكم تأليف الوزارة  
الجديدة وعرضها علينا لصدور أمرنا باعتمادها ، وإنى أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا  
جميعا لما فيه خير البلاد »

« صدر بسرارى البستان فى ٨ رجب سنة ١٣٣٧ - ٩ أبريل سنة ١٩١٩ » « فؤاد »

ولعله أوجز كتاب دعى فيه وزير إلى تأليف الوزارة

فأجاب عليه رشدي باشا في نفس اليوم بالكتاب الآتي :

« يا صاحب العظمة

« أتقدم إلى عظمتكم بالشكر الفائق على ما تفضلتم به نحوي من دلائل استمرار الثقة بالأمر الكريم الذي أصدرتموه لي في هذا اليوم تكلفونني فيه بتشكيل الوزارة الجديدة ، فنظرا لما في الظروف الحاضرة من المصاعب ، وأملا في حل يرضى الأمة ، أرى من واجبي قبول القيام بالمهمة التي اقتضت إرادتكم السنية إحالتها إلى عهدتي ، ولذلك أعرض على نظركم العالي مشروع المرسوم السلطاني المرفق بجوابي هذا لصدور الأمر باعتماده ، وإذا كنت لم أحفظ لنفسى سوى رئاسة مجلس الوزراء فذلك لأن أعباء الحمل الملقى على عاتقي في الحال وفي المستقبل القريب لا تسمح لي أن أتولى أيضا إدارة وزارة أخرى ، وإني لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص »

القاهرة في ٨ رجب سنة ١٣٣٧ - ٩ أبريل سنة ١٩١٩ « حسين رشدي »

وقد صدر المرسوم السلطاني بتأليف الوزارة في ذات اليوم ( ٩ أبريل ) على النحو الآتي :

حسين رشدي باشا للرئاسة والمعارف ( مؤقتا ) . يوسف وهبه باشا للمالية . عدلي يكن باشا للداخلية . عبد الخالق ثروت باشا للحقانية . جعفر ولي باشا للأوقاف . أحمد مدحت يكن باشا للزراعة . حسن حسيب باشا للأشغال والبحرية

ويلاحظ أن رشدي باشا استبعد من هذه الوزارة ثلاثة من أعضاء وزارته السابقة ، وهم : اسماعيل سرى باشا . وأحمد حلمي باشا . وأحمد زيور باشا . لأنهم لم يتضامنوا معه في سياسته الأخيرة التي أدت إلى استقالته ، ودخل الوزارة ثلاثة وزراء جدد ، وهم : جعفر ولي باشا ، وكان وكيلا لوزارة الداخلية ، وأحمد مدحت يكن باشا وكان محافظا للاسكندرية ، وحسن حسيب باشا وكان مديرا للغربية

## الفصل العاشر

### استمرار الثورة

استمرت الثورة بعد الإفراج عن سعد وصحبه ، وتأليف وزارة رشدى ، ولم تنقطع حوادثها ومظاهرها ، ولم تجنح البلاد للهدوء والسكينة ، فإن روح الثورة كانت لا تزال تضطرم فى النفوس ، فكانت تنأى بها عن الرضا بالحلول المسكنة الوقتية

تعددت مظاهر الثورة فى هذه المرحلة من تاريخها ، من استمرار للمظاهرات ، وما تخللها من المصادمات بين المصريين والبريطانيين ، إلى استمرار إضراب الطلبة والحامين ، وتعدد الاعتقالات ، والمحاكمات العسكرية ، ثم إضراب الموظفين ، واضطرار وزارة رشدى إلى الاستقالة ، ثم بقاء البلاد بلا وزارة مدة شهر من الزمن

لم تتبدل الحالة العامة بعد تأليف الوزارة ، على أن المحلات التجارية فتحت جميعها بعد أن كان معظمها مغلقا ، وكثر عدد قطارات الترام التى سيرتها الشركة ، وانهى إضراب عمال الترام بعد وساطة الوزارة بينهم وبين الشركة فى إجابة مطالبهم التى قدموها واشترطوا إجابتها ليعودوا إلى العمل ، وهى مطالب معقولة تتعلق بتحسين حالتهم الاقتصادية

وظلت المواصلات بين العاصمة والأقاليم متعذرة غير مستقرة ، وأعلنت السلطة العسكرية قبيل تأليف الوزارة ( منذ ٧ أبريل ) إلغاء قيود السفر من القاهرة بالطرق الزراعية والنيل والترع وأنه لم تعد حاجة إلى الحصول على ترخيص ، على أن قيود السفر بالسكك الحديدية وبخاصة قيود الترخيص ظلت قائمة ، وأعلنت السلطة أنها تفضل طلبات الترخيص التى يقدمها من ينتمون إلى الطبقات الآتية :

١ - الأشخاص المسافرون إلى إحدى الموانئ للسفر وكانوا يحملون جوازات بمغادرة البلاد

٢ - الأشخاص الذين يريدون السفر إلى أى بلد يمكن السفر إليها وكانوا من :



(أ) موظفي الحكومة الذين يحملون تصريحاً من رئيس المصلحة التي ينتمون إليها .  
(ب) الأشخاص الذين يسافرون لقضاء أعمال تتعلق بالسلطات العسكرية . (ج) النزلاء  
الحقيقيين النازلين في المدن التي يريدون السفر إليها . (د) أصحاب الأملاك الذين يريدون  
زيارة أملاكهم . (هـ) أصحاب الصنائع ومندوبي البيوت التجارية الكبرى الذين  
يسافرون لأغراض تتعلق بمهنتهم أو أشغالهم

وقالت في ختام بلاغها إنه « لا يمكن ضمان الحصول على الجوازات بأى حال من  
الأحوال ولكنها ستمنح في الأحوال التي ذكرت أو إذا كان هناك سبب وجيه فيما يتعلق  
بأحوال السكك الحديدية الملائمة ، وليس هناك في هذه الآونة سفر إلى الوجه القبلي بواسطة  
القطارات ، وتقدم الطلبات الخاصة بجوازات السفر إلى مدير قلم الرخص والجوازات بإدارة  
بوليس القاهرة بشارع غيط العدة ( محمود سامي البارودي الآن ) رقم ١٢ »

### استمرار اعتداء الجنود الإنجليز

استمر اعتداء الجنود الإنجليز على المصريين الأمنيين ، من متظاهرين وغير متظاهرين  
فقد تقدم القول بما وقع من الاعتداء على مظاهرات يومى ٧ و ٨ أبريل ، واستمر الاعتداء  
في الأيام التالية ٩ و ١٠ و ١١ أبريل ، وصدر بلاغ رسمي بتاريخ ١٠ أبريل جاء فيه أن  
خمسة جنود بريطانيين قتلوا ، منهم واحد في ميدان عابدين . واثنتان في شارع محمد علي ،  
واثنان وهما من الهنود في الخليج المصرى ، وأن الجنود اضطروا إلى إطلاق النار ، فقتل من  
المصريين عدد كبير ، وأبلغ مستشفى قصر العيني مساء ٩ أبريل أنه تلقى ٢٢ قتيلاً و ٤٧  
جريحاً ، وبلغ عدد القتلى لغاية ١٠ أبريل ٣٨ قتيلاً ، ومائة جريح ، وفي ١٠ أبريل قامت  
شردمة من الجنود الاستراليين بمظاهرة خرجت من حديقة الأربكية ، وكانوا مسلحين  
بالبنادق ، وأخذوا يطلقون النار على الأمنيين ويعتدون على المحال التجارية الكائنة  
في شارع بولاق

وقد عرفنا من أسماء شهداء هذه الأيام الثلاثة : أحمد مصطفى من غيط العدة . زكى محمد

من بولاق . فرج حسن . أحمد الكيلاني جاويش من قسم السيدة . أحمد ابراهيم من الخرنفش  
إبراهيم خشبة من شبرا . محمد المصرى من بلبليس . حسين محمود الحامى من باب الشعرية . موسى  
محمد الخليفة من بولاق . محمود احمد العريبي من الناصرية . شاكرا عبد الملاك من شارع  
الجميل قسم الأزبكية . محيى الدين حامد (سنة ١٦ سنة) من الجمالية . حنفى السيد (سنة ١٢  
سنة) من قسم السيدة . عبد ربه على الغنام من شبرا وأصله من قليبوب . عبده احمد فرج  
من قسم الخليفة . محمد منصور من الماوردى . بيومى حسين من قسم السيدة . محمد شبراخيت  
من الناصرية . عبد الجواد حسنين من أطفيح مركز الصف . محمود مصطفى من باب الشعرية  
شحاته محمد الكرورى من عرب اليسار قسم الخليفة . احمد جمعة من مصر القديمة . محمود  
محمد سرموح من مصر القديمة . سيد احمد كامل من الماوردى . إمام السيد من بولاق .  
السيدة عائشة عمر من السروجية الدرب الأحمر . عبد الفتاح ابراهيم الزناتى من باب الشعرية .  
الدكتور رزق مينا طبيب أسنان من قسم عابدين . السيدة شفيقة محمد<sup>(١)</sup> من الخرطة القديمة  
بالخليفة . الحاج أحمد الفيلالى من حوش قدم بالغورية . محمود على عامر من الخرطة القديمة  
بالخليفة . محمد جمعة من الدرب الأحمر . محمد بدر حسن من المنيرة . أحمد فهمى من المغربلين  
السيدة فهيمة رياض من الدرب الأحمر . غالى بولس من بولاق . محمد أبو السعود من شبرا  
البلد . محمد مرسي سالك من قسم السيدة

وجاء فى البلاغ الرسمى الصادر بتاريخ ١٢ أبريل : «حدثت الخسارة التالية بين الجنود  
البريطانية فى القاهرة فى ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ أبريل وهى : ٨ من الجنود وصف الضباط قتلوا ،  
و ٤ ضباط و ١٥ صف ضابط وجندى جرحوا . وحدثت الخسارة الآتية فى ال ٢٤ ساعة  
الماضية التى انتهت ظهر يوم ١١ أبريل : ٣ من القتلى و ١٥ جريحاً من الملكيين » (أى  
من المصريين طبعا)

وشيعت فى يوم ١١ أبريل جنازة أربعة عشر قتيلا من شهداء يوم ١٠ أبريل وما يليه  
وهى الجنازة التى تقدم الكلام عنها (ج ١ ص ٢١٠)

(١) التى سبق الحديث عنها فى الفصل الخامس (ج ١ ص ٢١١)

## سفر الوفد إلى باريس

سافر أعضاء الوفد المصري من القاهرة يوم الجمعة ١١ أبريل سنة ١٩١٩ إلى بور سعيد ،  
ومن هنا أبحروا إلى مالطة حيث التقوا بسعد وزملائه الثلاثة ، وأبحروا جميعا إلى باريس  
وعلى ذلك صار الوفد الذي ذهب إلى أوربا مؤلفا كما يأتي : سعد زغلول باشا . على  
شعراوي باشا . اسماعيل صدق باشا . حمد الباسل باشا . محمد محمود باشا . عبد العزيز فهمي  
بك . أحمد لطفى السيد بك . محمد على علوية بك . عبد اللطيف المكباتى بك . سينوت  
حنا بك . جورج خياط بك . مصطفى النحاس بك . الدكتور حافظ عفيفى بك . حسين  
واصف باشا . محمود أبو النصر بك . ثم انضم إليهم بعد ذلك عبد الخالق مدكور باشا  
ورافق الوفد من هيئة سكرتيرته : محمد بدر بك رئيسهم ، والأستاذ جورج دومانى  
وسافر معهم الأستاذ عزيز منسى . والأستاذ ويصا واصف . وعلى بك حافظ رمضان . وضم  
الوفد إلى أعضائه الأستاذة ويصا واصف بعد وصوله إلى باريس

كان سفر الوفد موزعا لحفاوة الشعب من القاهرة إلى بور سعيد حتى أقلمت الباخرة ،  
وفي الحق ان الوفد قد لقي من تأييد الشعب له ماديا وأديبا ما لم تلقه أية هيئة سياسية أخرى ،  
فقد أيدته بالتوكيلات التي أ كسبته صفة المتحدث عن الأمة ، وأمدته بالمال الذى ساعده  
على متابعة عمله فى مصر والخارج ، وبلغ مجموع الاكقتابات التى جمعت له نيفا ومائتى ألف  
جنيه ، وكان أكبر تأييد لقيه أن شبت الثورة فى البلاد بعد اعتقال سعد وصحبه ، فقد ثار  
الشعب لاعتقالهم طالبا إطلاق سراحهم وتمكينهم وزملائهم من السفر إلى المؤتمر ، فالأمة  
لها الفضل الأكبر أولا وآخر فى نهوض الوفد واستمراره فى العمل

## الموظفون ووزارة رشدى باشا

كان الظن حين تألفت وزارة رشدى باشا الرابعة أن يهدأ الموظفون ، ولا يعودوا إلى

الإضراب ، إذ كان إضرابهم احتجاجا على ما تضمنته خطبة اللورد كيرزون من التعريض بوطنيتهم (ج ١ ص ٢٥١) ، ولكن روح الإضراب تجددت فيهم بعد تأليف الوزارة ، وألفوا اللجنة التي سبق لهم التفكير في تأليفها منذ الإضراب الأول (ج ١ ص ٢٥٤) ، وقد سميت « لجنة مندوبي موظفي وزارات الحكومة ومصالحها » ، وجرى انتخابها بواسطة الموظفين ، فكان موظفو كل مصلحة يجتمعون فيها ويختارون مندوبا عنهم ، ومن هؤلاء المندوبين تألفت اللجنة ، وقد بلغ عددها اثنين وثلاثين عضوا ، ثم صاروا ٥٧

كانت باكرة أعمال هذه اللجنة أن اجتمعت بوزارة الحفانية يوم ١٠ أبريل سنة ١٩١٩ ، وقررت إضراب جميع الموظفين عن العمل ابتداء من يوم السبت ١٢ أبريل حتى تجاب المطالب الآتية : ( أولا ) ان تصرح الوزارة بصقة الوفد الرسمية ( ثانيا ) ان تعلن الوزارة ان تشكيلها لا يفيد الاعتراف بالحماية (ثالثا) إلغاء الأحكام العرفية وسحب الجنود البريطانية المسلحة من الشوارع ومن البنادر والقرى وتعويض حفظ الأمن والنظام إلى رجال البوليس المصرى

واستثنى من قرار الإضراب موظفو مكتب مجلس الوزراء لمدة أسبوع ، ثم رجال البوليس والسجانون الموكلون بحراسة المسجونين ، وأطباء الحكومة ، ومن يرى هؤلاء الأطباء أنهم لازمون لهم

رَفَعَت اللجنة هذا القرار إلى رشدى باشا ، وطالت المباحثات بينهما ، ولم ينتهيا إلى اتفاق ، فأصدر رشدى باشا يوم ١٢ أبريل سنة ١٩١٩ بيانا من رآسة مجلس الوزراء ، يهيب فيه بالموظفين أن يعودوا إلى أعمالهم ، قال :

« الآن وقد رخص للمصريين بالسفر وتألفت وزارة شعارها الإخلاص التام في خدمة الوطن مشاطرة للأمة شعورها ومقدرة لأمانها حق قدرها ، فإن الحكومة تدعو الأمة إلى الهدوء والسكينة كما أنها تدعو الموظفين وغيرهم ممن أضربوا عن العمل تأييدا للمطالب القومية إلى العودة لأعمالهم

« إن الإصرار على الإضراب عن العمل في الحالة الحاضرة يؤدي إلى ارتباك الأعمال وانتشار الفوضى فليتدبر المضربون عن العمل المسئولية الهائلة التي تقع عليهم بإزاء بلادهم إذا ما أصروا على موقف يعرض البلاد إلى مثل تلك الأخطار

« والحكومة على يقين بأن الكافة يدركون أن اهتمام عظمة السلطان بتأليف الوزارة كان أول باعث عليه وضع مقاليد الأمور في يد السلطة المدنية مقدمة لإناطة المحافظة على النظام والأمن برجال السلطة المصرية والرجوع إلى الحالة العادية »

وفي الفقرة الأخيرة من هذا البيان إشارة إلى ما كان يبذله رشدي باشا من الجهد لتحقيق المطلب الأخير من مطالب الموظفين — وهو المطلب الجوهرى — الخاص بإلغاء الأحكام العرفية ، ولم يكن من الميسور له أن يلغيا بحجرة قلم ، بل كان لابد من التفاهم على ذلك مع السلطة العسكرية البريطانية ، إذ كان إعلان الأحكام العرفية بقرار من قائد الجيش البريطانى .

ولكن لجنة الموظفين رأت أن هذا البيان لا يحقق مطالبها ، فاجتمعت بوزارة الحفانية يوم الأحد ١٣ أبريل ، وكان عدد الأعضاء الحاضرين خمسين مندوبا ، وقررت بالإجماع استمرار الإضراب حتى تجاب مطالبها

وقررت أيضاً أنه إذا لحق أحد الموظفين ضرر بسبب قرارات اللجنة أو تنفيذها فيكون جميع الموظفين متضامنين معه ، ولا يعودون إلى أعمالهم حتى يرفع عنهم هذا الضرر ، ويضربون من جديد إذا كانوا قد عادوا ، وقررت أن يستثنى من الإضراب الخدمة السائرة

وأصدر رشدي باشا في ١٥ أبريل بيانا ثانيا بدعوة الموظفين إلى الرجوع إلى عملهم في اليوم التالى ، قال :

« إن الحكومة تكرر الدعوة إلى الموظفين بالرجوع إلى عملهم غدا الأربعاء وتلقى عليهم مسئولية عواقب الاستمرار على الإضراب عن العمل »

ولكن اللجنة اجتمعت في ذلك اليوم بوزارة الحفانية وقررت استمرار إضراب الموظفين مع الاحتجاج على ما أسمته تهديد الحكومة بإيهم ، ووضعت تقريرا بمطالب الموظفين رفعته إلى السلطان وقدمت ترجمته إلى معتمدى الدول

### مؤتمر عام لتأييد الموظفين

ثم دعت اللجنة إلى عقد مؤتمر عام يمثل طبقات الأمة ، ردا على ما قيل من أن إضرابهم لم يصدر عن رغبة عامة ، واختاروا الأزهر ليعقد فيه المؤتمر ففي يوم الأربعاء ١٦ أبريل أضرب التجار وأصحاب الحرف والمهن الحرة ، وانعقد المؤتمر العام بالأزهر برئاسة الشيخ محمد نجيت مفتى الديار المصرية ، وحضره مندوبو طوائف المصريين جميعا ، وجمع هائل من مختلف الطبقات والموظفين ، وبعد أن أقيمت الخطب قرر المؤتمر تأييد الموظفين في إضرابهم ، كما قرروا جميعاً الإضراب عن أعمالهم حتى تجاب مطالب الموظفين ، وكتب بذلك قرار رفع إلى السلطان وإلى رئيس الوزارة ومعتمدى الدول

وقد ترتب على هذا القرار أن انقطعت الحركة في المدينة بسبب الإضراب العام حتى الكناسين ، فإنهم تضامنوا في حركة الإضراب ، فاستعاضت عنهم الحكومة بالمسجونين ، كما استعاضت عن سائقي عربات الرش ببعض العساكر الهنود ، وكان الجميع تحت حراسة الجنود الإنجليز

وأصدرت السلطة العسكرية إعلانا بتاريخ ١٦ أبريل باعتقال كل من يمرض الموظفين على الاستمرار في الإضراب ، قالت فيه : « توجد حملة لإرهاب مستخدمي الحكومة وغيرهم ، فالقائد العام للقوات البريطانية في القطر المصرى يأمر بالقبض على جميع الأشخاص الذين يعثر عليهم وهم يقومون بمثل هذه الأعمال »

ولما طال الأمر والموظفون والعمال على إضرابهم تدخل بعض معتمدى الدول الأجنبية وأنذروا مصلحة البريد بإنشاء مكاتب بريد خاصة لحكوماتهم ورعاياهم إذا استمر إضراب موظفى مصلحة البريد

## استقالة وزارة رشدى باشا - ٢١ أبريل

لم توفق وزارة رشدى باشا إلى إقناع الموظفين بالعودة إلى العمل ، ورأت حركة الإضراب فى اتساع ، وبخاصة بعد تضامن العمال مع الموظفين ، فقدم رشدى باشا إلى السلطان استقالة الوزارة فى مساء ٢١ أبريل سنة ١٩١٩ ، وبنها على أسباب صحية ، فتلقى يوم ٢٢ أبريل جواب السلطان بقبول الاستقالة .

قال رشدى باشا فى كتابه :

« يا صاحب العظمة : إن حالتى الصحية الآن لا تمكننى من القيام بأعباء مهمتى ، لذلك أرانى مضطراً إلى تقديم استقالتى ، وإنى أرفع لعظمتكم خالص الشكر على العطف والمعاونة اللذين لقيتهما على الدوام من جانب سادتكم العلية ، وإنى لعظمتكم العبد الخاضع الأمين ، والخادم المخلص المطيع » .

« القاهرة فى ٢١ أبريل سنة ١٩١٩ » « حسين رشدى »

فأجابه السلطان بالكتاب الآتى :

عزيزى رشدى باشا

« إن اضطراب دولتكم للاستقالة بناء على عدم مساعدة حالتكم الصحية للقيام بأعباء مهمتكم ، كما ورد بكتابكم المرفوع إلينا بتاريخ ٢١ أبريل سنة ١٩١٩ ، قد استلزم مزيد الأسف لدينا ، وقد أصدرت أمرى هذا لدولتكم شاكرًا ولحضرات زملائكم على الهم الصادقة التى بذلتموها فى سبيل مهمتكم »

« وأسأل الله أن يمن عليكم بالصحة والعافية من فضله وكرمه »

« قصر البستان ٢٢ أبريل سنة ١٩١٩ » « فؤاد »

ولعمري ان لجنة الموظفين قد وقفت من وزارة رشدى باشا موقفًا ينطوى على شيء كثير من العنت والتحدى ، مما لم يقفوا مثله تجاه الوزارات اللاحقة ، فهم قد أخرجوها بالمطالب الشديدة ، ولكنهم لم يطلبوا مثلها ، لا من وزارة سعيد باشا حين تألفت فى مايو

سنة ١٩١٩ ، ولا من وزارة يوسف وهبة باشا وغيرها ، فلماذا اختصوا وزارة رشدي بهذه المطالب المخرجة ؟

أغلب الظن أنهم أرادوا أن يحدثوا على مسرح الحوادث السياسية حدثاً كبيراً يدوي في أرجاء البلاد ، ويمحو ما أخذ عليهم من الإحجام من قبل عن مشاركة الشعب في ثورته ، على أنهم كان يجب عليهم أن يتخيروا عملاً نافعاً يفيد البلاد ولا يضرها ، أو لعلمهم اطمانوا إلى وزارة رشدي إذ كانت متضامنة مع الحركة الوطنية ، فوقفوا منها هذا الموقف المخرج ، معتقدين أنها لا بد نازلة على إرادتهم ، ولا تخالف لهم أمراً ، وعلى أي حال نعتقد أنهم كانوا في موقفهم حيالها متجنبين متعنتين ، وكان الأحكم لو سلكوا مسلك الاعتدال حيال الوزارة التي ناصرت الثورة وسأيرتها وعضدتها ، فأبقوا عليها ، وسهلوا لها مهمة الحكم في تلك الأوقات العصيبة ، ولو أنهم سلكوا هذا المسلك لكان ذلك أدعى إلى بقاء رابطتهم قوية متينة ، ولكان لها أثرها السليم المستمر في مجرى الحوادث ، ولكن الذي حدث أن هذا العُنف الذي ظهروا به حيال وزارة رشدي ، حتى اضطروها إلى الاستقالة ، قد تراخى ولم يلبث أن تبدد ، وانحلت لجنهم عقب استقالة الوزارة ، ولم يُسمع للموظفين بعد ذلك صوت في الأحداث الجسام التي تعاقبت على البلاد ، وسأيروا كل وزارة ألفت ، مهما كانت سياستها معارضة لمصلحة البلاد ، وهكذا يبدو في مختلف العهود أن الحركات التي تبدأ عنيفة بالغة في العنف ، لا تلبث أن يعترها التراخي والفتور ، ثم تتلاشى وتبدد ، وغالباً ما تنقلب على عقبيها ، وتتنكر لبدايتها ، أما الحركات الطبيعية المعتدلة فهي التي يُكفل لها البقاء والاستمرار

### عودة الموظفين إلى العمل

ومن عجب أنه على أثر تقديم رشدي باشا استقالته يوم ٢١ أبريل اجتمع عشرة من أعضاء لجنة الموظفين بصفة مستعجلة في منتصف الليل ، وقرروا عودة جميع الموظفين إلى العمل ! لأنهم اعتبروا استقالة الوزارة ترضية لهم ! والتعليل الصحيح لهذا القرار ( المستعجل )



أنهم علموا بأن الجنرال ألنبي قد أعد إنذاراً للموظفين بالعودة إلى عملهم ، وأن الإنذار سيُذاع في اليوم التالي ، فبادر العشرة الأعضاء إلى الاجتماع على عجل ، ليصدرو قراراً بالرجوع ، غير مبني على إنذار ألنبي ، وقد اجتمع هؤلاء العشرة وحدثهم لأن أعضاء اللجنة كانوا قد تفرقوا وتعذرت دعوتهم في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، إذ أن استقالة رشدي باشا لم تقدم إلا في الساعة الحادية عشرة مساءً ، وكان من الضروري أن يصدر قرار اللجنة ليلاً لينفذ في الصباح

### إنذار الجنرال ألنبي للموظفين

وفي صبيحة يوم ٢٢ أبريل أذاع الجنرال ألنبي منشوره للموظفين ، أنذرهم فيه بالعودة فوراً إلى أعمالهم ، وإلا تشطب أسمائهم من سجلات موظفي الحكومة ، قال :  
« إنه بموجب منشور ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ قد أعلن أن البلاد المصرية قد وضعت تحت الأحكام العرفية لأجل تعضيد وليس لأجل إلغاء الإدارة الملكية ، وقد فرض على جميع الموظفين الملكيين في خدمة الحكومة المصرية أن يستمروا في تأدية واجباتهم المتنوعة بكل دقة ، وحيث ان عدداً من الموظفين والمستخدمين قد هجروا حديثاً مرا كزهم وظهر صريحاً أنهم فعلوا ذلك بقصد إملاء خطة سياسية لحكومة عظمة السلطان ورفض الحماية التي وضعتها حكومة جلالة الملك على مصر ، وحيث ان أكثر هؤلاء الموظفين والمستخدمين قد رفضوا العودة إلى أشغالهم لما نذبهم إلى ذلك رئيس مجلس الوزراء ، وحيث ان كل موظف أو مستخدم يغيب عمداً عن مقر وظيفته في الظروف الميينة أعلاه يرتكب جرماً ضد المنشور السالف الذكر ، وكل شخص ينشئ أو يقود هذه الحركة أو يمنع الموظفين أو المستخدمين بالتهديد أو بالقوة من تأدية أشغالهم يقع تحت طائلة القصاص الشديد بموجب الأحكام العرفية ، وحيث انه قد آن الوقت لتدخل السلطة العسكرية في هذا الأمر ، تأييداً للإدارة الملكية ، فإنني أنا إدمند هنري هينمن ألنبي بما هو معطى لي من السلطة بصفتي الجنرال القائد العام لقوات جلالة الملك في مصر ، أصدر أمرى هذا الآن إلى جميع موظفي الحكومة ومستخدميها الذين غابوا عن مرا كزهم بدون إذن ، ليعودوا إلى مرا كزهم بالمواعيد المعينة

ويؤدوا الواجبات المطلوبة منهم بالدفقة ، والمدة التي غابوا فيها عن مراكزهم ، بدون إذن لا يتقاضون عنها راتباً ، وكل موظف أو مستخدم لا يعود إلى مقر شغله في اليوم التالي لتاريخ هذا المنشور ويؤدي بعد ذلك الواجبات المطلوبة منه بالدفقة يُعدّ من كل وجه مستعفياً ، ويحذف اسمه من كشف موظفي الحكومة ، وكل شخص بطريق الإقناع أو التهديد أو استعمال القوة يمنع أو يحاول أن يمنع أي شخص من القيام بأمرى هذا يلقي القبض عليه ويحاكم بمجلس عسكري »

أذيع هذا المنشور في العاصمة وفي المديرية كافة ، ونشر مع قرار العشرة الأعضاء في وقت واحد ، وعلى أثرها عاد أغلب الموظفين إلى أعمالهم في صبيحة يوم ٢٣ ابريل ، وامتنع الباقون عن العودة تفادياً من تسرب الظن إلى الجمهور بأن العودة كانت بناء على تهديد الجنرال ألنبي لا بناء على قرار العشرة الأعضاء ، وفي الحق ان الجمهور لم يُفْتَه أن يدرك بفطرته السليمة أن إنذار الجنرال ألنبي هو الذي حمل الموظفين على العودة إلى العمل ، وأن قرار العشرة لم يكن إلا ستراً لموقف يدعو حقا إلى الخجل

### قرار لجنة الموظفين بالعودة إلى العمل

وفي يوم ٢٥ ابريل اجتمعت لجنة الموظفين بكامل أعضائها في وزارة الحفانية ، فأقرت قرار العشرة ، معلنة أن عودة الموظفين قد بُنيت على استقالة الوزارة ، لا على تهديد الجنرال ألنبي ، وكان الرؤساء الإنجليز قد أخذوا يهينون الموظفين بعد عودتهم إلى العمل ، فقررت اللجنة في هذا الاجتماع الاحتجاج على ما بدا منهم من الاضطهاد وسوء المعاملة ، وقررت توجيه النظر إلى ضرورة الإفراج عن الموظفين الذين اعتقلوا بسبب عدم عودتهم إلى العمل في الميعاد المحدد في بلاغ المندوب السامي ، وإعادة الذين مُنعوا منهم من مباشرة أعمالهم إلى وظائفهم

وإنا ناشرون فيما يلي نص القرار مذيلاً بتوقيع أعضاء اللجنة ، فإنه يعطيك فكرة عن

الحالة الفكرية للموظفين وزعمائهم في حركة سنة ١٩١٩ ، قالوا :

« اجتمعت لجنة مندوبي موظفي وزارات الحكومة ومصالحها في وزارة الحفانية الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ٢٥ ابريل سنة ١٩١٩ ، وبعد الاطلاع على محضر الاجتماع الذي عقده عشرة من أعضاء اللجنة بصفة مستعجلة في الساعة ١١ والدقيقة ٥٠ من مساء الاثنين ٢١ ابريل الحاضر عقب استقالة الوزارة الرشدية الذي رأوا فيه دعوة الموظفين إلى العودة إلى أعمالهم ، وبما أن هذه الدعوة لم يتيسر لعدد من الموظفين العلم بها كما أنه لم يتيسر لهم التحقق من الاستقالة التي كانت دون سواها السبب إلى العودة لا سيما وأن قبول الاستقالة لم ينشر إلا بعد ظهر الأربعاء ٢٣ ابريل الحاضر — وبما أنه قد ترتب على كل ذلك تخلف الكثيرين من هؤلاء الموظفين عن العودة إلى أعمالهم ولا يزال بعضهم متخلفاً ، وبما أن الطلبات التي طلبها الموظفون تأييداً للقضية الوطنية وأضربوا من أجلها إضراباً عاماً وأقرتهم عليها الأمة ممثلة بجميع طبقاتها إقراراً تاماً — إنما طلبت من الوزارة الرشدية ، فلما لم تستطع تلك الوزارة إجابتها بعد أن سلمت بصحتها استقالت ، وبما أن الاستقالة في هذه الحالة هي في حكم الإجابة ، فلذلك قررت اللجنة بالإجماع ما يأتي :

أولاً — إقرار الدعوة التي صدرت من الأعضاء العشرة المشار إليهم بالعودة إلى العمل واعتبارها قراراً صادراً من اللجنة بأجمعها

ثانياً — الاحتجاج الشديد على ما بدا من عدد من الموظفين الإنجليز في بعض المصالح من الاضطهاد وسوء المعاملة لبعض الموظفين المصريين الذين عادوا إلى أعمالهم وتذكير هؤلاء الموظفين الإنجليز بأنهم رغم جنسيتهم موظفون في الحكومة المصرية ، فلا يسوغ لهم استخدام سرا كرههم الرئيسية للانتقام من الموظفين المصريين الذين أقرت الحكومة المشار إليها رسمياً بأن إضرابهم كان لتأييد المطالب القومية

ثالثاً — توجيه النظر إلى ضرورة الإفراج عن الموظفين الذين اعتقلوا ، وإعادة الذين منعوا من أعمالهم إلى وظائفهم

فليحى الوطن وليحى الاستقلال التام . محمد عاطف بركات ناظر مدرسة القضاء الشرعي .  
أحمد شرف الدين وكيل إدارة المحاكم الشرعية . محمد زكي الإبراشي وكيل نيابة الاستئناف .  
سلامة ميخائيل قاض . علي ماهر مدير إدارة المجالس الحسبية . حسن نشأت مدرس بمدرسة

الحقوق . صادق حنين مدير الإدارة والإحصاء بالزراعة . محمود زكي مفتش بإدارة الأمن العام بالداخلية . محمود سامي سكرتير عام وزارة الأشغال . محمد حلمي عيسى مدير الإدارة القضائية بوزارة الحقلانية . محمد عبد الهادي الجندي قاض . عبد العظيم راشد وكيل نيابة محكمة مصر المختلطة . محمد لبيب عطية سكرتير عام النيابة العمومية . محمود حسن مفتش إدارة الأمن العام بالداخلية . أحمد صادق وكيل قسم الإدارة بوزارة الداخلية . محمد شكري طلحة بإدارة الأمن بالداخلية . محمد قطبي وكيل مصلحة السجون . أمين فريد رئيس إدارة بمصلحة السجون . إبراهيم دسوقي أباطه مأمور ضبط مديرية الجيزة . محمود عباسي وكيل إدارة بوزارة الحربية . عبد الباقي صالح وكيل إدارة بوزارة الحربية . أحمد حسن بوزارة الحربية . محمود حبيب وكيل إدارة قسم قضايا المالية . عطيه حجاج رئيس قلم التحصيلات بالمالية . فؤاد برسوم رئيس قلم نزع الملكية . مصطفى شوقي بالمطبعة الأميرية . نجيب اسكندر دكتور بمصلحة الصحة . برسوم روفائيل بالبوستة . محمد فهمي بالبوستة . أحمد مختار بخيت مندوب قلم قضايا الأشغال . عبد العزيز فريد باشمهندس بهندسة السكة الحديد . أحمد فهمي وكيل إدارة بالأشغال . مصطفى منير سكرتير تنظيم مصر . وهبه مينا باشكاتب المباني بوزارة الأشغال . ابراهيم رمزي مترجم فني بوزارة الزراعة . علي زيتون قومندان مدرسة البوليس . أبو الفتح الفقي وكيل قلم الترجمة بإدارة التعليم الفني . مصطفى سعيد رئيس المراجعة بإدارة الخزينة . اسماعيل نيازي وكيل إدارة بالخارجية . بدرخان علي وكيل مديرية الجيزة »

وهكذا انتهى عمل لجنة الموظفين ، وانطوت صفحاتها ، إذ كان هذا القرار آخر عمل لها ، ولم تعقد أى اجتماع بعد ، فكان عملها الوحيد هو إخراج وزارة رشدي باشا وحملها على الاستقالة ، و بذلك مهّدت السبيل لتأليف وزارات رجعية منفصلة عن الحركة الوطنية ، حقاً لم يكن هذا ما قصدت إليه اللجنة ، لكنه نتيجة لعملها ، ونخطة التحدى التي اتبعها أعضاؤها حيال وزارة رشدي باشا ، ولو تدبروا الأمر ما فعلوه

### عودة المحامين

وفي أواخر أبريل قرر المحامون العودة إلى أعمالهم وطلبوا إعادة قيد أسماهم في جدول المحامين المشتغلين بالمحامة

## عودة عمال العنابر

وعاد عمال العنابر، وعمال الترام في القاهرة ومصر الجديدة إلى أعمالهم في أواخر  
أبريل أيضاً

## اعتراف الرئيس ويلسن بالحماية

ابريل سنة ١٩١٩

صُدمت الثورة صدمةً شديدةً ، في شهر ابريل سنة ١٩١٩ ، باعتراف الرئيس ويلسن  
رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية بالحماية البريطانية على مصر ، في حين  
كانت الأمة تعلق على « مبادئ ويلسن » آمالاً كبيرة ، فجاء اعترافه بالحماية مخيباً  
هذه الآمال

واغتبطت الدوائر الإنجليزية بهذا الاعتراف ، وبأدرت « دار الحماية » إلى إذاعته في  
بلاغ لها بتاريخ ٢٢ ابريل سنة ١٩١٩ ، أوردت فيه الكتاب الذي تلقته من معتمد الولايات  
المتحدة بمصر في هذا الصدد ، قالت ما تعريبه :

« تلقي فخامة نائب الملك الكتاب التالي من جناب المعتمد السيامي والتقنصل العام  
لدولة الولايات المتحدة الأمريكية في القطر المصري ، وهو :

« وكالة أمريكا السياسية وقنصليتها العامة . القاهرة في ٢٢ ابريل سنة ١٩١٩

« يا صاحب الفخامة . أتشرف بإخباركم أن حكومتى قد كلفتنى أن أبلغكم أن الرئيس  
يعترف بالحماية البريطانية التي أعلنتها حكومة جلالة الملك على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ،  
ومع موافقة الرئيس على هذا الاعتراف فإنه بالضرورة يحفظ لنفسه حق المناقشة في المستقبل  
في تفاصيل ذلك وفي التعديلات التي قد تنتج عن هذا القرار فيما يمس حقوق الولايات  
المتحدة ، وبهذه المناسبة قد كلفت أن أقول إن الرئيس والشعب الأمريكي يعطفان كل  
العطف على أمانى الشعب المصرى المشروعة لتوسيع نطاق الحكم الذاتى ، على أنهما ينظران  
بعين الأسف إلى أى مجهود يبذل لتحقيق ذلك بالالتجاء إلى القوة والشدة

« وتقبل يا صاحب الفخامة ما يثبت من جديد احترامي الكبير لكم »

(الإمضاء) « همبسون جارى »

قابل الشعب هذا الاعتراف بالدهشة المقرونة بالمرارة والألم ، وألقى صدوره شيئاً من الضوء على حقيقة مبادئ ويلسن ، فاستبان أنه لم يكن جاداً فيها ، إذ كيف يتفق اعترافه بالحماية مع ما سبق أن جهر به في خطبه من أن الشعوب لا يجوز أن تنتقل من سيادة إلى أخرى بمؤتمر دولي أو باتفاق بين متنافسين وأعداء ، وأنه لا يجوز أن تساد الشعوب أو تحكم إلا بمحض إرادتها ورغبتها ، وأن تسوية جميع المشاكل بين الأمم لا يصح أن تقوم إلا على أساس قبول تلك التسوية قبولاً اختيارياً محضاً من جانب الشعب صاحب الشأن ، وأن دعائم العدل الدولي يجب أن ترتكز على مبدأ تقرير العدل بالنسبة للشعوب قاطبة ، وأنه يجب أن يترك لكل شعب الحق في تقرير مصيره ، دون إخراج أو تهديد أو إرهاب ، فكيف يعترف بحماية فرضت قسراً على مصر من دولة تعهدت نيفاً وستين مرة بالجلاء عنها ، كيف يعترف بهذه الحماية في الوقت الذي طرقت فيه مصر أبواب مؤتمر الصلح معترضة عليها ، مطالبة باحترام استقلالها التام ؟ فهل هذا الاعتراف هو التفسير العملي لما نادى به من حق الشعوب كبيرها وصغيرها في تقرير مصيرها ؟ أم تراه قد نادى بتلك المبادئ لكي تطبق على الشعوب الغربية دون الشرقية ؟

مهما يكن من الأمر ، فالواقع أن ويلسن قد أخلف وعوده للأمم ، وتغيرت مبادئه حين جلس على مائدة المؤتمر ، فصار أداة في أيدي المؤتمرين من ممثلي الدول الاستعمارية التي تعتبر الشعوب المتوسطة والصغيرة نهياً مقسماً بينها ، ومما لأشك فيه أنه وقع تحت نفوذ لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية وقتئذ وصاحب النفوذ الأكبر في مؤتمر الصلح ، فأصدر هذا الاعتراف تلبية لطلبه ، وكان لدهاء لويد جورج ومهارته السياسية أثرها في حمله على هذا الاعتراف ، دون تردد أو ممانعة ، ولعل لويد جورج قد أقنعه فيما أقنعه به أن مبادئه التي أعلنها كانت من أسباب قيام الثورة في مصر ضد انجلترا ، وإن كلمة منه كفيلاً بتهدئة الخواطر الثائرة في وادي النيل ، وردّ المصريين إلى النهج الذي يبتغيه ، وماذا يهم ويلسن أن يهدر حق أمة شرقية تحقيقاً لأطماع دولة غربية كان عوناً لها في سياستها الاستعمارية ؟

قوبل هذا الاعتراف بالسخط على ويلسن ، واستنكار ما ينطوى عليه من نقض المبادئ التي أعلنها ومخادعته الشعوب في خطبه وبياناته السابقة ، ولكن الشعب لم يتخذ لهذا السخط مظهراً بارزاً ، لكي لا يزيد من تأمر خصومه عليه ، ولا يدخل اليأس إلى قلبه ، وحسناً فعل

### تحويل وكلاء الوزارات سلطة الوزراء

ظلت مصر بعد استقالة وزارة رشدي باشا بغير وزارة ، لأن البلاد كانت في حالة ثورة فعلية ، وثورة في الأفكار ، فأحجم المستوزرون عن قبول الوزارة حتى تنجلي الحالة ، أو تخف حدة الثورة ، فيأمنوا الخروج عليها والاستخفاف بها !

ولما كان بقاء البلاد بلا وزارة هو في ذاته مظهر من مظاهر الثورة ، فقد قررت دار الحماية تحويل وكلاء الوزارات سلطة الوزراء ، وأصدر الجنرال ألنبي بلاغا عسكريا بهذا المعنى في ٢٨ ابريل سنة ١٩١٩ ، قال :

« قد رُخص بموجب هذا السكل وكيل وزارة أو للقائم مقامه بأن يؤدي في الوزارة التابع لها جميع أعمال الوزير ، وأن يتولى سلطته في المسائل الإدارية ، بما في ذلك حق تمثيل الوزارة أمام جميع المحاكم ، وذلك بصفة وقتية ولحين تأليف وزارة جديدة »

وكان وكلاء الوزارات حين صدور هذا البلاغ والبلاغ الذي سيلي ذكره هم : محمد شكرى باشا وكيل وزارة الحفانية . اسماعيل حسنين باشا وكيل وزارة المعارف . الفريق محمود حلمى باشا وكيل وزارة الحربية . المستر ارنست دوسن وكيل وزارة المالية . المسترجون لانجلى وكيل وزارة الزراعة . المستر توتنهايم وكيل وزارة الأشغال . محمد شفيق باشا وكيل وزارة الأوقاف . المستر جورج موريس مدير إدارة الأمن العام القائم بأعمال وكيل وزارة الداخلية

وأصدر الجنرال ألنبي في اليوم نفسه بلاغات أخرى بتعيين المستر ارنست دوسن وكيلا لوزارة المالية ابتداء من ١٧ مارس سنة ١٩١٩ ، والمستر باترسن مساعداً له وعضواً في اللجنة

المالية ابتداء من أول ابريل ، والمستر تريلوني مراقباً عاماً للإدارة والحسابات وعضواً في اللجنة المالية ابتداء من أول ابريل ، واللفتنت كولونل كيلنج مديراً عاماً لمصلحة المساحة ابتداء من ١٧ مارس سنة ١٩١٩ ، والكولونل جارنر مديراً عاماً لمصلحة الصحة ابتداء من ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، والدكتور جيمس ليزمفتش صحة مصر وكيلًا عاماً لهذه المصلحة ابتداء من أول ابريل سنة ١٩١٩ ، وقد صدرت هذه البلاغات في يوم واحد وقعها الجنرال ألنبي بصفته قائد قوات الجيوش البريطانية في القطر المصري

ثم أصدر بلاغا بتعيين البريجادير جنرال السر جورج ماكولي مراقباً عاماً لوزارة المواصلات التي لم تكن أنشئت بعد ، وتخويله سلطات الوزير

### استمرار إضراب الطلبة

#### وإنذار الجنرال ألنبي

ظل الطلبة مضربين طوال شهرى مارس ( ابتداء من ٨ منه ) وابريل سنة ١٩١٩ ، فدعاهم الجنرال ألنبي إلى العودة إلى مدارسهم ابتداء من ٣ مايو ، ولكنهم ظلوا على إصرابهم ، فأصدر بلاغاً في ذلك اليوم ، أُنذر فيه بإقفال المدارس إذا لم يعد العدد الكافي لفتحها ، قال :  
١ - إن لم يعد عدد كاف من التلاميذ لمدارسهم في يوم الأربعاء ٧ مايو سنة ١٩١٩ يسوّغ استمرار فتح المدارس العالية والثانوية والخصوصية والأميرية فستقبل هذه المدارس لغاية التاريخ المعتاد لابتداء الدراسة في السنة المكتيبة المقبلة

٢ - ولا يقبل أى تلميذ مقيد الآن بسجلات المدارس المذكورة في أى امتحان يعقد هذا العام إلا إذا قام بما يأتى : ( أ ) أن يعود إلى مدرسته في يوم ٧ مايو سنة ١٩١٩ ، ( ب ) أن يواظب بانتظام لغاية انتهاء السنة الدراسية إذا استمرت هذه المدارس مفتوحة ، ويستثنى من ذلك التلاميذ الذين يمكنهم أن يثبتوا عدم استطاعتهم تنفيذ هذا الإعلان  
٣ - وتطبق أحكام الفقرة الثانية من هذا الإعلان على التلاميذ المقيدين الآن في سجلات المدارس الحرة الخاضعة لتفتيش الحكومة



ولما اطلع الطلبة على هذا البلاغ أقاموا المظاهرات احتجاجاً عليه ، بدلا من الإذعان له ، ففرقتهم القوات البريطانية ، ولما لم يعودوا إلى مدارسهم في الموعد المحدد في البلاغ وهو ٧ مايو ، أعلن إغلاق جميع المدارس حتى موعد استئناف الدراسة في العام التالي ، فانهز الطلبة هذه الفرصة ، واستمروا في إقامة المظاهرات الكثيرة ، وتعرض لهم الجنود البريطانيون ، فأصيب كثير منهم ، كما قبض على آخرين

### عيد جلوس ملك بريطانيا

في يوم ٣ مايو نشرت رئاسة مجلس الوزراء ( ولم تكن بالبلاد وزارة ) قراراً قالت فيه : « احتفالاً بعيد جلوس جلالة ملك بريطانيا العظمى ( الملك جورج الخامس ) تعطل وزارات الحكومة وسائر المصالح الأميرية في جميع أنحاء القطر المصري يوم الثلاثاء ٦ مايو سنة ١٩١٩ » وأرسل هذا القرار بالتلغراف إلى المحافظين والمديرين ، ونشر قسم المحرسة التابع لوزارة الحربية في الأوامر اليومية في أول مايو فقرة مؤداها أن يوم الثلاثاء المذكور يوم بطلاة في جميع المكاتب

وقد أثار هذا الإعلان غضب الجمهور ، فعمت المظاهرات نواحي القاهرة يوم ٦ مايو احتجاجاً على جعل ذلك اليوم عطلة رسمية ، وأقيم اجتماع عظيم في الأزهر احتج فيه المجتمعون على هذا القرار

### تفريق الاجتماع في المقاهي

وفي ١٠ مايو اقتحم الجنود البريطانيون محل جروبي ، حيث كان يجتمع فيه كثيرون من المشركين في الحركة الوطنية ، وأخذوا يفتشون الجالسين جزافاً بحجة العثور على أسلحة أو منشورات ، ولما لم يوفقوا إلى ضبط شيء من ذلك أصدرت السلطة العسكرية في اليوم التالي ( ١١ مايو ) أمراً بتوقيع الجنرال وطسن بتفريق الاجتماعات في المقاهي ، ورد فيه ما يأتي :

« محظور عقد أي اجتماع مخل بالنظام في الحوانيت أو القهوة أو المطاعم أو الملاهي في دائرة محافظة القاهرة ، وكل شخص يشترك فعلا في مثل هذه الاجتماعات يرتكب مخالفة ضد القانون العرفي ، وبعد اجتماعا مخل بالنظام كل اجتماع يحضره أكثر من خمسة أشخاص إذا أقيمت فيه خطب أو حدث فيه سلوك غير عادي يكون من المحتمل عقلا أن يؤدي إلى الإخلال بالأمن العام ، وكل حانوت أو قهوة أو مطعم أو ملهى عمومي يعقد فيه اجتماع مخل بالنظام يغلَق في الساعة السادسة مساء في المخالفة الأولى ، ويغلَق نهائياً في المخالفة الثانية »

### إصلاح السكك الحديدية

أتمت الحكومة إصلاح معظم الخطوط الحديدية وأباحت السلطة العسكرية السفر بين القاهرة ومحطات الوجه البحري ( فيما عدا منطقة قناة السويس ) ، دون حاجة إلى جوازات سفر ابتداء من ١٠ مايو ، واستثنيت المحطات الآتية من السفر منها وإليها : قليوب . قها . سندنهور . قويسنا . الشين . المرابين . سخا . أبو الشقوق . ههيا . ميت القرشي . دنديط . الحلواصي .

وألغيت جوازات السفر إلى الوجه القبلي ومنه ابتداء من أول يونيه سنة ١٩١٩

### إعادة البريد

وأذاعت مصلحة البريد في أول يونيه بلاغا بأن جميع فروعها التي كانت معطلة بسبب الاضطرابات عادت في جميع الجهات إلى العمل ما عدا الجهات التي لا تقف فيها القطارات

### اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية

ومعاهدة فرساي

صدّمت الحركة الوطنية صدمة جديدة في شهر مايو ، إذ أعلنت شروط الصلح التي قررها الحلفاء ، وسلمت إلى الوفد الألماني في مؤتمر فرساي يوم ٧ مايو سنة ١٩١٩ ، فجاءت

النصوص الخاصة بمصر ( من المادة ١٤٧ إلى المادة ١٥٤ ) مؤيدة للحماية التي فرضتها إنجلترا عليها في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، وقد قبلتها ألمانيا ضمن ما قبلته من شروط الصلح ، وصارت جزءاً من معاهدة فرساي التي أمضيت يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩

### النصوص الخاصة بمصر

في معاهدة فرساي

وهالك تعريب المواد الخاصة بمصر في تلك المعاهدة :

#### « القسم الرابع — مصر »

« المادة ١٤٧ — تصرح ألمانيا بأنها تعترف بالحماية التي أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وتتنازل عن نظام الامتيازات الأجنبية في القطر المصري ، ويكون هذا التنازل اعتباراً من ٤ أغسطس سنة ١٩١٤

« المادة ١٤٨ — جميع المعاهدات والاتفاقات والترتيبات والعقود التي عقدها ألمانيا مع مصر تُعد ملغاة اعتباراً من ٤ أغسطس سنة ١٩١٤

« ولا يمكن لألمانيا ، ، بأية حال من الأحوال ، أن تتمسك بهذه العقود ، وتتعهد بأن لا تتداخل بأى شكل ، في المفاوضات التي يمكن أن تجرى بين بريطانيا العظمى والدول الأخرى عن مصر

« المادة ١٤٩ — يكون إجراء القضاء في الرعايا الألمان وأملاكهم من اختصاص المحاكم القنصلية البريطانية بقرارات يصدرها عظمة السلطان ، وذلك حتى تنفيذ تشريع مصرى للنظام القضائي يتضمن تأليف محاكم ذات اختصاص عام

« المادة ١٥٠ — للحكومة المصرية الحرية التامة في العمل لتسوية مركز الرعايا الألمان في القطر المصري وشروط إقامتهم فيه

« المادة ١٥١ — توافق ألمانيا على إلغاء الذكريتو الذي أصدره سمو الخديوي في ٨

نوفمبر سنة ١٩٠٤ خاصا بقومسيون الدين المصرى العام أو إدخال التعديلات التى تعدها  
الحكومة المصرية مناسبة

« المادة ١٥٢ — توافق ألمانيا فيما يختص بها على نقل السلطات المحولة لصاحب الجلالة  
الامبراطورية السلطان (سلطان تركيا) ، بموجب الاتفاقية الموقعة فى الاستانة فى ٢٩  
اكتوبر سنة ١٨٨٨ عن حرية المرور بقناة السويس<sup>(١)</sup> إلى حكومة صاحب الجلالة البريطانية  
« وتتنازل عن كل اشتراك فى مجلس الصحة البحرية والقورتينات فى مصر وتوافق فيما  
يختص بها على نقل السلطات التى لهذا المجلس إلى السلطات المصرية

« المادة ١٥٣ — جميع الأعيان والأمالك التى للامبراطورية الألمانية فى القطر المصرى  
تنتقل بكل ما فيها من حقوق إلى الحكومة المصرية دون أى تعويض  
« وستعد أعيان الامبراطورية والدول الألمانية وأملاكها فى هذا الشأن شاملة لجميع  
أملاك التاج ، كالامبراطورية والدول الألمانية ، وكذلك الأعيان الخاصة التى لامبراطور  
ألمانيا السابق وغيره من أصحاب المراتب الملكية

« ستعامل جميع الأملاك المنقولة والعقارات المملوكة لرعايا ألمانيا فى القطر المصرى طبقاً  
للقسمين الثالث والرابع من الجزء العاشر (الشروط الاقتصادية من هذه المعاهدة)  
« المادة ١٥٤ — تتمتع البضائع المصرية فى دخول ألمانيا بالنظام الذى يطبق على  
البضائع الإنجليزية »

### احتجاج الوفد

على اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية

وما إن علم الوفد المصرى ، وكان لا يزال بباريس ، بنصوص معاهدة الصلح ، حين  
عرضت على ألمانيا ، حتى بادر إلى الاحتجاج عليها ، وأرسل فى هذا الصدد الكتاب الآتى  
إلى المسيو جورج كلنسو رئيس الوزارة الفرنسية ورئيس المؤتمر

(١) نشرنا هذه الاتفاقية فى قسم الوثائق التاريخية

« باريس في ١٢ مايو سنة ١٩١٩ »

« جناب الميسو كليمينسو رئيس مؤتمر السلام بباريس »

« لم يشأ مؤتمر الدول المتحالفة المشتركة أن يطبق على مصر مبادئ الحق والعدل مع أنها جديرة بأن تعامل بمقتضى هذه المبادئ نظراً لما قامت به من المساعدة التي أدت إلى النصر — لم يشأ أن يسمع صوت مصر مع أنها كانت في مقدمة الدول التي أعلنت أنها في حالة حرب مع أعداء دول الاتفاق وعانت أعظم الضحايا في سبيل قضية الحلفاء — لم يشأ أن يسمعها مع أنها بلاد غيرت الحرب مركزها السياسي وقد اعترف المؤتمر بالحماية البريطانية بدون أقل مراعاة لرأى الأمة المصرية وبغير أن يعبر أدنى التفات لقيام هذه الأمة بأجمعها في وجه هذه الحماية وإظهارها معارضتها لها بأجلى المعاني »

« إن العقل ليأبى إسناد مثل هذا القرار إلى المبادئ التي من أجلها خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب والتي قررها الرئيس ولسن بعد ذلك لتكون أساساً للهدنة ثم للصلح ، ولا إلى المبادئ التي أعلنت بريطانيا العظمى نفسها أنها تحارب انتصاراً لها ، كذلك لا يجد العقل ما يرتاح إليه إذا صرف النظر عن هذه المبادئ واعتمد على تحكيم العوائد السياسية التي كان معمولاً بها قبل الحرب ، لأنه كيف يستطيع العقل البشرى أن يفسر نيل الحجاز استقلالها وهي ولاية صغيرة . . . . . وعدد سكانها . . . . . لا يذكر ، ومواردها صيقة ، لم تتحمل شيئاً من أعباء الحرب . ومصر التي قامت بنصيب وافر منها وعانت ما عانت في سبيل الفوز النهائي يكون نصيبها الرفض البات إذا طلبت أن يسمع صوتها ، ثم يعقب هذا الرفض ضياع حقوقها المقدسة التي كسبتها بدماء أبنائها في ميادين القتال »

« لا يمكن التسليم بأن مصر التي اشتركت من أوائل القرن الماضي في إقامة صروح المدينة وساعدت تركيا في انتصارها الذي أدى إلى استتباب النظام في الحجاز بل وفي بلاد اليونان ، والتي قهرت تركيا نفسها في ميدان الحرب ، يكون حظها أن تعامل بأقل مما عولمت به شعوب أفريقيا الوسطى ، وقد أصبحوا اليوم محللاً لرعاية ما كانوا ليحملوا بها »

« ليس في العالم قاض نزيه يستطيع الاهتداء إلى سبب واحد مقبول للموقف الذي اتخذته المؤتمر إزاء القضية المصرية أو اتخذته بريطانيا العظمى نفسها ، وهي التي أشهدت العالم أكثر من ستين مرة على أنها لا تفكر مطلقا في ضم مصر أو في إعلان الحماية عليها كرها ، وإنما هي ترمى في سياستها إلى استقلال هذه البلاد

« ونهاية القول أن العقل لا يمكن أن يرتاح لقرار المؤتمر كيفما قلبه ومهما كانت العلة التي تتخذ أساسا لتبريره حتى إذا سلم بأنه بنى على حق القوى على الضعيف ، لأن حق القوة معناه الحرب والفتح ، ولا شك في أن مصر لم تكن في حالة حرب مع إنجلترا ، بل كانت تحارب بجانبها ، ولم تفتح إنجلترا مصر بل ان الأمر على العكس من ذلك فإن مصر هي التي ساعدت إنجلترا على فتح ما فتحته من بلاد العدو

« نعم إن بعض الصحف قد أيدت تلك النظرية القائلة بأن الشعوب الشرقية لا يمكن معاملتها بما تعامل به الشعوب الغربية وأن المبادئ التي أعلنت في هذا الشأن قد نشأت عنها وعود لم تحسب عواقبها ، فهل يريدون التمسك بمثل هذه النظرية ليهدموا في زمن السلم تلك المبادئ السامية التي أقامت الحرب بناءها وليسحبوا بعد نوال النصر تلك الوعود التي وعدوا بها من اشترك معهم في تشييد صرحها . إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يفسروا كيفية عدم تطبيق هذه النظرية في جميع الأحوال بلا استثناء ، فإننا نرى بعض الأمم الشرقية التي آمنت بما صدر لها من الوعود قد تحققت آمالها فعلا

« لم يبق إلا فرض واحد لا مفر من التسليم به ، وهو أن الشعب المصري اعتبر سلعة من السلع التي يُتاجر فيها . وهذا التصرف هو الذي كان ينقده الدكتور ولسن بشدة في خطاباته التي كان يتكلم فيها عن حق القوة وعن وجوب انقضاء عصره ، لأنه جائز لا يتفق مع روح العصر الحاضر . إنه ليسق علينا أن نفكر في أن المؤتمر قد عاملنا هذه للعاملة ، غير أننا لسوء الحظ مضطرون لتقرير الواقع ، ومهما يكن من بواعث الاحترام الواجب لهذه المحكمة العليا ، فإنه لا يسعنا إلا إثبات الواقع كما هو لأن من الأوقات والظروف ما يكون فيه خطر على الإنسان إذا هو لم يوضح كل شيء في سبيل تقرير الحقيقة

« لقد كان للشعوب المهضومة الحق أن تجد فيما مضى في ذلك المثل الحكيم الذى وضعه الفيلسوف روسو وهو : « إن القوى مهما بلغت قوته لا يضمن أن تكون له الغلبة على الدوام » — ما يساعدها على التذرع بالصبر . أما الآن وقد أثبت الرئيس ولسن بأجلى بيان أن من الأمور الممقوتة التى تنفر منها الطباع أن تسود أمة على أمة ، فقد بلغ كره السيادة من نفوس الأمم المظلومة أنها أضحت تفضل الفناء على البقاء فى قيود الذل ، ولا شك أنه ما كان لتلك المبادئ الجديدة إلا أن تصادف فى مصر وسطاً مستعداً لقبولها ، لأن مصر بلد من سلالة كريمة المحتد نشيطة المزاج ، إذا تولد فيها الأمل أثار غضبها على الذين يناوئونها فى استقلالها

« إن الأمة المصرية لا تقبل أبداً أن تكون تلك السلعة القديمة التى تتداولها أيدي الأقوياء . ولا شك أنها اليوم بعد التصريحات التى فاه بها ذلك الرسول الجديد فى عالم السياسة الذى تشف كلماته عن أسمى معانى الأدب وأرقاها ، أبعدها فى أى زمن مضى عن الرضى بمثل هذا المصير . فإن مجرد خوفها من عدم تطبيق مبادئ الدكتور ولسن على قضيتها قد دفعها إلى تعريض صدور أبنائها وهم عزل من السلاح لنيران الرصاص القتالة ، ومن غريب الاتفاق أن تكون تلك الساعة هى التى تجتمع فيها عشرون دولة لتقرر موافقتها على الحماية البريطانية !

« إن مثل هذا الحل المحزن لا يكون من ورائه إلا إلقاء بذور اليأس وعوامل الغضب فى قلب الشعب المصرى . وقد قال الرئيس ولسن :

« إن الصلح لا يمكن أن يكون صلحاً وطيد الأركان إلا إذا اندثر به كل أثر من آثار الحقد فى قلوب الشعوب سواء كانوا أقوياء أو ضعفاء وكان العدل موزعاً عليهم جميعاً بدرجة واحدة بغير أقل تمييز بين قويهم وضعيفهم »

« فهل وقع الاختيار على الشعب المصرى ليكون ضحية تقدم فدية لحسن اتفاق الدول العظمى ؟ إذا صح ذلك فكيف يمكن التسليم بأن نكون نحن تلك الضحية ونحن أمة

ذات تاريخ وماض مجيدين ، وما الذى كان يصيينا لو كنا انضممنا لأعداء الحلفاء عوضاً عن أن نشاطرهم متاعب القتال .

« إن الواجب المفروض علينا بصفقتنا نواباً عن الشعب المصرى يقضى علينا بأن نسمع المؤتمر صوت ذلك الشعب السيء الحظ الذى حرم دون غيره من التمتع بالعدل الذى عمت ظلاله جميع أقطار المسكونة . وقد بات يرى نفسه أنه إنما كان يعمل للإضرار بمصالحه باشتراكه فى العمل مع الحلفاء . نعم إن صوته يرتفع عالياً للاحتجاج . لأنه هو وحده الذى حرم من نعم الصلح ومزاياه مع أنه كان عاملاً أميناً فى الحرب .

« ولكن الأمة التى لها أمنية خاصة تضعها فوق كل احترام والتى تشعر بشخصيتها وتحس بحقوقها لا تمكن الغير من أن يتصرف فى أمرها ، وهى دون غيرها صاحبة الحق فى البت فى مصيرها . »

« عن الوفد المصرى رئيس الوفد »

« سعد زغلول »

## اشتداد الاضطهاد

بعد اعتراف المؤتمر بالحماية

كان لاعتراف مؤتمر فرساي بالحماية أثر أليم فى نفوس المصريين ، ورأوا فيه إهداراً لحقوقهم فى ذلك المؤتمر العتيد ، على أن هذا الإخفاق لم يفت فى عضد الأمة ، ولم يزل عقيدتها ، بل استمرت فى كفاحها فى سبيل الاستقلال .

وازداد الإنجليز إمعاناً فى اضطهاد الحركة الوطنية ، فاتبعت السلطة العسكرية سياسة انتقام مطرد فى أنحاء البلاد ، وأخلت بين الجنود الإنجليز ونهب القرى ، وأسرفت فى إذلال المصريين ، واستخدمت السكر باج فى معاقبة كل من يشتبه فى أمره ، وارتكب الجنود الإنجليز كثيراً من جرائم النهب والاعتداء .



### خطبة اللورد كيرزون — ١٥ مايو سنة ١٩١٩

على أتر اعتراف مؤتمر الحلفاء بالحماية ، قوى مركز الحكومة البريطانية في عدوانها على مصر ، واغتنب الساسة البريطانيون لهذا النصر الذي نالوه في المؤتمر ، وبدت هذه الغبطة في خطبة ألقاها اللورد كيرزون باسم الحكومة البريطانية يوم ١٥ مايو في مجالس اللوردات عن الحالة في مصر ، ذكر في مستهلها أن الحالة تحسنت عن ذي قبل ، ولو أنه لا يمكن وصفها بأنها تبعث على الرضا والارتياح ، وقال إن النظام عاد إجمالاً في المديرية ، ووقعت في بعض المدن ، ولا سيما القاهرة ، قلاقل متقطعة يقتضى الحال إخمادها بالقوة ، ولا يزال الأزهر مركزاً للتحرير ، وكان للطلبة أكبر دور في الحضر على الإضراب ، وأشار إلى حادث ديروط الذي قتل فيه ثمانية من الضباط والجنود البريطانيين ، وندد « بما انطوى عليه من الفظاعة » ، ثم أشار إلى الاعتداء الذي وقع على الأرمن — ولم يذكر الاعتداء الذي وقع منهم — وقال إن عدد القتلى والجرحى منهم بلغ أربعين ، وأن بضعة آلاف منهم نقلوا إلى ملاجئ في حماية الجنود البريطانية ، وألمع إلى ما نسب إلى أولئك الجنود من استعمال الفظائع والتسوية ، فقال إنها بعيدة عن الحقيقة ، وأنه قد وقعت عدة حوادث قتل ضد بعض هؤلاء الجنود ، وأشار إلى إضراب الموظفين وإخفاقه بعد إنذار الجنرال ألنبي لهم بالعودة وتهديد من لا يعود منهم بالفصل ، وأن الطلبة لم يعودوا إلا قليلاً منهم إلى مدارسهم رغم توجيه مثل هذا الإنذار إليهم ، فأغلقت المدارس ، وأشار إلى السلطة التي خولت للجنرال ألنبي عند تعيينه مندوباً سامياً وما قرره من الإفراج عن سعد زغلول وصحبه ، والتصريح لمن يشاء بالسفر إلى الخارج ، قال : وقد أفضت هذه المحنة إلى تأليف وزارة رشدي باشا ، وكانت مهمتها الكبرى حمل الموظفين على العودة إلى العمل ، ولكنها أخفقت في هذه المهمة فاستقالت في ٢١ أبريل ، ومنذ ذلك التاريخ تدار شؤون مصر دون معاونة الوزراء المصريين ، ثم تكلم عن اعتراف الرئيس ولسن بالحماية البريطانية على مصر ، وما سبقه من اعتراف فرنسا والروسيا بها على أثر إعلانها سنة ١٩١٤ ، وما تضمنته معاهدة

الصلح المعروضة على المانيا وحلفائها من الاعتراف بها ، قال : وعلى ذلك لا يمضى زمن يسير حتى تنال الحماية الاعتراف العام ، وتساو عن الفائدة التي جناها المصريون من الثورة ، وأشار إلى فداحة الأضرار التي أصابت السكك الحديدية وخطوط المواصلات والمصانع والآلات والأموال العامة ، وإلى أن الخسارة في ذلك واقعة على الأهالي ، وأنه إذا كان الغرض من هذه الثورة وما صاحبها من الخسارة في الأرواح والممتلكات إنهاء علاقة البريطانيين بمصر ، وتحقيق استقلالها ، فقد قضى عليه بالفشل ، وأن حكومة جلالة الملك لا تنوى مطلقاً أن تغفل أو تتخلى عن القيود والتبعات التي تحملتها عندما وضعت مهمة حكم مصر على عاتقها ، وأن هذه القيود والتبعات قد تأيدت بإعلان الحماية البريطانية عليها ، ثم أبدى عطفاً « على الأمانى المشروعة في دائرة الحماية » ، وقال إنه لا ينكر أن كرامة المصريين قد جُرحت لعدم تمثيل مصر في مؤتمر الصلح ، مع تمثيل الهند والحجاز فيه ، وأن منع الوفد من السفر إلى أوروبا للدفاع عن قضية مصر قد كان من أسباب الهياج الذي وقع .

ونوه بما اعتزمته الحكومة البريطانية كعلاج لهذه الحالة من إيفاد لجنة كبرى برئاسة اللورد ألفريد ملنر إلى مصر لتحقيق أسباب الاضطرابات وبحث الحالة الحاضرة واقتراح القانون النظامي الذي يعود على البلاد بالسلام واليسر والنجاح والتقدم في سبيل الحكم الذاتي وحماية المصالح الأجنبية « في ظل الحماية البريطانية » ، وأعرب عن ثقته في أن نتيجة إيفاد هذه اللجنة ستكون إزالة سوء التفاهم وتثبيت الحماية البريطانية على مصر على قواعد توجب رضا الدولة الحامية وسكان البلاد على نسبة واحدة .

وجملة القول أن هذه الخطبة كانت إيذاناً بإصرار الحكومة البريطانية على تأكيد الحماية وتثبيتها ، ومناوأة الأهداف القومية ، وإلقاء اليأس في نفوس المصريين ، لكي يذعنوا للأمر الواقع ، على أن الأمة قد قابلت هذه الخطبة بالثبات والمثابرة في ميدان الجهاد .

## تأليف وزارة محمد سعيد باشا

٢١ مايو سنة ١٩١٩

بقيت البلاد بغير وزارة مدة شهر تقريباً بعد استقالة وزارة رشدي باشا الرابعة ، ثم فوجئت بتأليف وزارة محمد سعيد باشا<sup>(١)</sup> يوم ٢١ مايو سنة ١٩١٩ ، في نفس اليوم الذي نشرت فيه خطبة اللورد كيرزون ، وهي أولى الوزارات التي تألفت بعد الثورة على أساس الانفصال عن الحركة الوطنية ومناهضتها ، والاستخفاف بها ، وذلك أن وزارة رشدي باشا الأخيرة قد استقالت تحت ضغط الرأي العام ، وكان بقاء البلاد بلا وزارة مظهراً لتضامن الأمة أمام العدوان البريطاني ، مما أدى إلى إحجام المستوزرين عن قبول الوزارة ، لأن قبولها رجوع إلى الحالة العادية التي ينشدها الإنجليز ، فجاء تأليف وزارة سعيد باشا محاولة جريئة لكسر شوكة الثورة ، فلا غرو أن قوبلت بالاستياء والسخط ، لأن تشكيلها لم يسبقه تفاهم على برنامجها ، بحيث تسير الحركة الوطنية ولا تعرقها ، ولم يخفف تيار الاستياء ما أعلنه سعيد باشا من أن وزارته « إدارية » لا تمت إلى السياسة بسبب ، وهو أول من ابتدع فكرة الوزارة الإدارية ، وهي بدعة تنطوي على الخداع والمراوغة ، ولم تكن هذه التسمية لتحجب الحقيقة الواقعة ، وهي أن عمل الوزارة بطبيعته عمل سياسي قبل كل شيء .

وكان كتاب السلطان إلى محمد سعيد باشا ، وجواب سعيد باشا عليه ، كلاهما خلو من برنامج يؤيد الحركة الوطنية ، فجاء هذا مثيراً لاستياء الرأي العام من ناحية تأليفها ، وزاد في شكوك الناس أن سعيد باشا لم يفتح ممثلي الرأي العام في أمر وزارته . وأنه أدخل فيها من الوزراء الجدد اثنين من مستشاري محكمة الاستئناف كانا يجاهران باستنكارهما للحركة سنة ١٩١٩ ، وهما أحمد ذو الفقار باشا ومحمد توفيق نسيم بك ، واثنين من الوزراء السابقين استبعدهما رشدي باشا حين ألف وزارته الأخيرة (الرابعة) لمعارضتهما سياسته التي أدت إلى استقالة

(١) هي وزارته الثانية ، وكانت وزارته الأولى سنة ١٩١٠ — ١٩١٤

وزارته الثالثة ، وها اسماعيل سرى باشا وأحمد زيور باشا ، فبدأ على الوزارة منذ تأليفها طابع العداء للرأى العام ، والاستخفاف به ، ومناوأة الحركة التى كان على رأسها سعد زغلول وليس يخفى ما كان بين سعد وسعيد من الجفاء القديم ، منذ استقال سعد من وزارة سعيد الأولى ، ثم صار زعيماً للمعارضة فى الجمعية التشريعية ، واستمر الجفاء بينهما حين تأليف الوفد ، وبعد قيام الثورة ، فنشكيل سعيد للوزارة فى مايو سنة ١٩١٩ كان فيه معنى التحدى لسعد ، ومع ذلك فإن سعيد باشا كان أول من مشى فى ركاب سعد سنة ١٩٢١ لما بدأت النفرة بينه وبين عدلى ، ثم انفصل عنه سنة ١٩٢٥ ، حينما استهدف سعد لغضب السراى !

يخلص من كل هذه الملابسات أن تأليف وزارة سعيد باشا هو أول مظهر من مظاهر الاستخفاف بالثورة من الوجهة الوزارية وهالك نص الكتابين المتبادلين بشأن تأليف هذه الوزارة :

### كتاب السلطان — ٢٠ مايو سنة ١٩١٩

« عزيزى محمد سعيد باشا

« إنه لكمال وثوقنا بدولتكم ولما نعمده فيكم من مزايا الجدارة والقدرة فى القيام بمهام الأمور ، قد اقتضت إرادتنا السنوية السلطانية ، توجيه مسند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرئاسة الجليلة لعهدتكم لياقتكم ، وأصدرنا أمرنا هذا لدولتكم لبذل المهمة فى انتخاب وتشكيل هيئة الوزارة وعرضه لجانبنا لصدور مرسومنا العالى به ، والله المسئول أن يمدنا فى كل الأمور بعونه وعنايته ، وأن يوفقنا جميعاً للعمل بما ينفع البلاد والعباد إن شاء الله »

« فؤاد »

### جواب سعيد باشا — ٢١ مايو سنة ١٩١٩

« يا صاحب العظمة . بيد الإجلال تلقيت أمركم الكريم الذى تفضاتم فيه بتكليفى بتشكيل الوزارة الجديدة ، فأقدم لعظمتكم شعائر الشكر والامتنان على ما تعطفتم به نحوى من

دلائل الثقة العالية المقرونة بالإحسان برتبة (الرياسة) الجليلة ، ومع علمي بصعوبة المركز وما يحف به من المشاق لم يكن في وسعي إلا امتثال أمركم السامى لى أقوم بما هو مفروض علينا جميعاً من خدمة الوطن تحت ظلكم الكريم وبحسن رعايتكم الفخيمة ، وإننى أشرف بأن أعرض على أنظاركم العالية أسماء حضرات الوزراء الذين اخترتهم لمعاونتى على القيام بهذه المهمة ، وقد حفظت لنفسى مسند وزارة الداخلية ، فإذا صادف هذا الانتخاب قبولاً لدى عظمتكم فألتبس التكرم بإصدار المرسوم السلطانى باعتماده

« ولا زلت لمولاي ، العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الأمين »

« محمد سعيد »

وصدر المرسوم السلطانى فى ٢١ مايو سنة ١٩١٩ بتأليف الوزارة على النحو الآتى :  
محمد سعيد باشا للرأسة والداخلية . اسماعيل سرى باشا للأشغال والحربية . يوسف وهبة باشا للمالية . أحمد زيور باشا للمعارف . عبد الرحيم صبرى باشا للزراعة . أحمد ذو الفقار باشا للحقانية . محمد توفيق نسيم بك للأوقاف

### الاحتجاج على تأليف وزارة سعيد باشا

قوبلت وزارة سعيد باشا بالمظاهرات العدائية فى القاهرة والاسكندرية وبعض المدن الأخرى ، ورفعت عرائض الاحتجاج على تأليفها إلى السلطان من مختلف الطبقات وفى يوم الجمعة ٢٣ مايو تألفت ضدها مظاهرة بالاسكندرية ( وسعيد باشا من أهلها ) عقب صلاة الجمعة بمسجد أبى العباس المرسى وطافت فى بعض الشوارع ثم فرقها البوليس ، وفى يوم الأحد ٢٥ منه قامت ضدها مظاهرة أخرى أكبر من الأولى ، إذ عقد اجتماع كبير فى مسجد أبى العباس ، وخرج المجتمعون فى مظاهرة سارت فى الشوارع تهتف ضد الوزارة ، وتدخل الجنود البريطانيون ، فخرج ضابط بريطانى وقتل أحد المتظاهرين ، وقبض على كثير منهم ، وشيعت جنازة القتيل فى مشهد رهيب

وعقد اجتماع كبير فى الأزهر ألقى فيه الخطب العدائية ضد الوزارة ، وبالجملة كانت

هدفا لتيار كبير من السخط العام ، وفي ذلك يقول سعيد باشا في حديث له بجريدة «الطان» الباريسية ( عدد ٢١ يوليو سنة ١٩١٩ ) : « إني لا أجعل الطعن الشديد الموجه إلى وزارتي ، فإنه لا يمر يوم إلا ويكون زملائي كما أكون أنا نفسى موضع تهديدات توجه إلينا مباشرة ، ولا يخفك أنه قد أطلقت في إحدى الليالى طلقات نارية على منافذ منزلى ، وكان الهياج من الشدة بحيث يستحيل أن يهدأ مرة واحدة ، غير أنى مع ذلك ، ممتلىء ثقة بوطنية المصريين وحكمتهم ... »

### زواج السلطان فؤاد

تزوج السلطان فؤاد من نازلى كريمة عبد الرحيم صبرى باشا وزير الزراعة وقتئذ ، وقد عقد القران بسرارى البستان يوم السبت ٢٤ مايو سنة ١٩١٩

### اهتمام الوزارة بإحياء ليالى رمضان

أرادت الوزارة أن تتوحد إلى الجمهور بعمل يخفف من تيار الاستياء والسخط الذى كان يكتنفها ، فأذاعت منشوراً طويلاً فى ٢٨ مايو سنة ١٩١٩ لمناسبة قرب حلول شهر رمضان ( أول رمضان سنة ١٣٣٧ — ٣٠ مايو سنة ١٩١٩ ) قالت فيه : إن وزير الداخلية « رئيس الوزارة » قد انتهى إلى الاتفاق مع السلطة العسكرية « على إزالة بعض القيود لأجل زيادة التسهيل على المسلمين فى التفرغ أثناء هذا الشهر المبارك إلى إحياء لياليه ، بقراءة القرآن الكريم ، واستماع الذكر الحكيم ، وتأدية سائر العادات التى ألفوها فى مثل هذا الشهر المبارك ، وان الأوامر المؤكدة صدرت إلى رؤساء المناطق العسكرية المختلفة فى القطر المصرى بعدم التضييق على المسلمين فى استعمالهم لأنوار مساكنهم ، وعدم التعرض لهم فى غدوهم ورواحهم ، للتزاور خارج بيوتهم ، مع احترام ما جرت عليه عادة الكثير منهم من حيث تمضية ليالى هذا الشهر المبارك كلها أو بعضها فى المطاعم والقهوات ، كل ذلك لكي يتمكن المسلمون كل التمکن من الاجتماع ، وتأدية الصلوات المفروضة والمسنونة ، وتلاوة القرآن

الكريم واستماعه ، وقراءة ما جرت به العادة من الأدعية والأحزاب والأوراد ونحوها  
في مساكنهم »

وظاهر من أسلوب هذا المنشور مبلغ رغبة الوزارة في صرف الأمة عن الكفاح  
السياسي ، بتكبير بعض الظواهر التقليدية كقراءة الأحزاب والأوراد ، فإن الصوم إنما هو  
رياضة للنفس والروح ، وليس من جوهره ولا مما يتصل بالحكمة السامية منه شغل الناس  
بقراءة الأحزاب والأوراد ، أو تمضية لياليه في المطاعم والقهوات ، ولكن عقلية الوزارة ،  
أو سوء تقديرها لعقلية الشعب ، جعلها تحاول اجتذابه بمثل هذه المظاهر الساذجة ، ويبدو لنا  
أنها أرادت أن يكون لها أسوة بما فعل نابليون في مصر على عهد الحملة الفرنسية ، إذ ظن أن  
المصريين من الساذجة بحيث تصرفهم مثل هذه المظاهر عن إدراك الحقائق الجوهرية ، فأراد  
أن يجتذب قلوبهم بمشاركتهم في حفلاتهم الدينية ، والتعظيم من شأنها ، ولكن هذه  
السياسة « سياسة الحفلات »<sup>(١)</sup> لم يكن لها أثر في نفوسهم ، وظلت قلوبهم منكرة نافرة ،  
فلا غرو أن قوبل منشور الوزارة بعدم الاكتراث من الشعب ، أسوة بما فعل أسلافه في  
عهد الحملة الفرنسية

وقد احتفل المسلمون في مساء ٢٩ شعبان سنة ١٣٣٧ ( ٢٩ مايو سنة ١٩١٩ ) برؤية  
هلال رمضان المعظم ، فكان احتفالهم بهذا اليوم عيداً قومياً رائعاً ، وزار الأقباط المسلمين  
في القاهرة بالجامع الأزهر ، وفي الاسكندرية بجامع أبي العباس المرسي ، لتهنئتهم بهذا  
الشهر المبارك

### زيادة رواتب الموظفين

من يوم أن تقلد سعيد باشا الوزارة شغل أذهان الموظفين بدعاية قوامها أن وزارته معنية  
بتحسين حالتهم ، فصرفهم بذلك عن التفكير في المسألة العامة ، وقد نفذ ما وعدهم به ، فقرر  
مجلس الوزراء في ٢٦ يونيو تخصيص مبلغ ٨٠٠.٠٠٠ جنيه لمنحهم العلاوات في شكل استبقاء

(١) انظر تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٦٧ من الطبعة الأولى و ص ٢٠٧ من الطبعة الثانية

إعانة الحرب مع زيادتها بمقدار خمسين في المائة ، هذا إلى تحسين درجات كثير من الموظفين والإغداق عليهم بالرتب والنياشين ، وأرادت الوزارة بذلك كله اجتذابهم إلى صفها ، وكان لهذه العلوات أثرها في إبعاد الموظفين عن الحركة الوطنية ، وتراخي صلاتهم بها ، بل التنكر لها أحيانا ، والتفاتهم إلى مصالحهم الشخصية ، ومن هنا يمكنك أن تدرك السبب في تغير موقف الموظفين عما كانوا عليه في عهد وزارة رشدي باشا الأخيرة ، فقد كانوا يفيضون حماسة ضدها ، كما تقدم بيانه ، بينما فترت هذه الحماسة ، وحل محلها البرود والصمت العميق في عهد وزارة سعيد باشا

### الإفراج عن بعض المعتقلين

في ٢٩ مايو استطاعت الوزارة باتفاقها مع السلطة العسكرية استصدار أمر بالإفراج عن ثلاثة عشر معتقلا كانوا في رفح (بالقرب من العريش) ، وهم : حسن عبد الرحمن . محمد أبو طائلة . السيد أحمد غلوش . على الجندي ، وهم من موظفي مصلحة البريد بالإسكندرية ( كانوا معتقلين لاتهمهم بتحرير زملائهم على الإضراب ) . إبراهيم خليل . جاد محمد حسنين . سليمان عبد الله ، وهم من الإسكندرية . عبد الله على دلدول . محمد أباطه . محمود عبده عيد ، وهؤلاء من الإسماعيلية ، محمد حسن البنا من بورسعيد . سعيد أباطه الطالب بالزقازيق . يوسف حسين القاضي

ثم أفرج عن تسعة آخرين كانوا معتقلين في القلعة وهم : أحمد خضر بك من ذوى الأملاك . سعد حلمي الموظف بوزارة الحفانية . زكي فوزي أبوريه بك من ذوى الأملاك . عبد اللطيف جاويش من ذوى الأملاك . كامل المويلحي الطالب بالحقوق . محمد مكاوى . محمود الطوخى الفلسكى . محمد الاسلامبولى . محمد زكى عارف المفتش بشركة ترام الإسكندرية وأفرج أيضا عن سبعة من موظفي وزارة المعارف كانوا معتقلين لتحرير بعضهم الموظفين على الإضراب ، وهم : على عمر . فؤاد شيرين . أحمد فريد أبو حديد . محمد زكى عمر . عبد الحميد سالم . محمود فهمى النقراشى . حسين فتوح ، وأعيدوا إلى وظائفهم مع ستة آخرين



من موظفي الوزارة كانوا موقوفين عن عملهم للسبب نفسه ، وهم : أحمد فوزى . محمد فضالى .  
حسن الأهوانى . على حسن هدايت . محمد صفوت . محمد حمدى وكيل مدرسة  
التجارة العليا

وأفرج فى يوليو عن معتقلين آخرين فى رفح ، وهم : الشيخ مصطفى القاياتى . الشيخ  
محمود أبو العيون . الشيخ محمد يوسف ، من علماء الأزهر . السيد فؤاد الخولى وكيل مديرية  
القليوبية . محمد أبوشادى بك . محمد كامل حسين المحامى . حامد العبد . القمص  
مرقص سرجيوس

وأفرج أيضا عن معتقلين آخرين فى قلعة القاهرة ، وهم : محمد أحمد الحاتى . اليوزباشى  
أحمد نبيه قبودان . الدكتور عبد الفتاح يوسف . اليوزباشى حافظ محمد قبودان . أحمد  
صادق . اليوزباشى محمود رياض . حسن عيسى . محمد افندى فريد . أحمد سابق

وفى شهر أكتوبر أفرج عن المعتقلين فى مالطة ، وهم : محمد إبراهيم . الدكتور شفيق  
منصور . الدكتور عبد الغفار متولى . الدكتور حسن نور الدين . سلامه محمد الخولى . محمد  
صبرى منصور . محمد عوض محمد . محمود ابراهيم الدسوقى . ثابت الجرجاوى . عبد الحميد  
الحناس . عبد العزيز النحاس محمد راضى . الأمير العطار . محمد عوض جبريل . أحمد حمودة .  
الأميرالاي خليل حمدى . حامد المليجى . محمد مصطفى عهدى . على فهمى خليل .  
عبد الرحيم صبحى . عبد الحميد حمدى . حامد العلابى بك . البكباشى حسنى شفيق .  
محمد عبد الرحمن الصباحى . محمد أمين حلمى . محمد نافع . عبد المعطى الحجاجى . عبد الحميد  
أبو السعود . الأميرالاي أحمد بكرى بك . محمد بكرى بك . عطا حسنى بك

### استمرار الاضطهاد

ولكن السلطة العسكرية لم تكف عن اضطهاد الأهلين ، بل استمرت تفتن فى  
ضروب القسوة والاعتساف ، فمن ذلك أنها ألقت القبض فى أواخر مايو على محمد حمدى بك  
وكيل مديرية المنيا ، ويونس بك صالح رئيس نيابتها ، وقد انتحر حمدى بك فى السجن

قبل محاكمته ، وكانت تهمتهما أنهما ساعدا اللجنة الوطنية التي تألفت في المينا على اغتصاب سلطة الحكومة في إبان الثورة ، واعتقلت السلطة بعض الموظفين بحجة اشتراكهم في حوادث الثورة

وخطب سعيد باشا في أمر التوسط لهؤلاء في الإفراج عنهم ، فاعتذر قائلاً إنه لا يستطيع التدخل في شأنهم ، وحوكم البكباشي محمد كامل محمد مأمور بندر أسيوط أمام محكمة عسكرية بريطانية لاتهامه بالتحريض على مهاجمة البريطانيين يوم ٢٣ مارس ، وهو اليوم الذي وقع فيه الهجوم ضد الحامية البريطانية بأسيوط ( ج ١ ص ٢٣١ ) ، لحكم عليه بالإعدام ؛ ونفذ فيه هذا الحكم يوم ١٠ يونيه سنة ١٩١٩

وفي سبتمبر سنة ١٩١٩ فصل على بك ماهر وكيل محكمة أسيوط من منصبه ، لمناصراته للحركة الوطنية

### النشرات والصحافة السرية

وإذ كانت الصحافة مقيدة لا تنشر إلا ما تآذن به الرقابة ، فقد انتشرت المطبوعات والصحافة السرية التي كانت تحمل الحملات الشديدة على الإنجليز وعلى الوزارة والسراي ، وكان للطلبة جريدة سرية باسم ( المصري الحر ) ، ولها مطبعة سرية خاصة ، وكان الناس يتلقفون هذه النشرات بلهف ، ويتبادلون الاطلاع عليها ، فعمدت السلطة العسكرية إلى طريق الإرهاب في مقاومة هذه الحركة ، وأصدر الجنرال بلفن أمراً في يونيه سنة ١٩١٩ بعقاب كل من يشترك في إخراج هذه النشرات أو توزيعها أو حيازتها ، قال :

« كل شخص يطبع أو يحدد أو يبسر أو يذيع أو يوزع أى نشرة أو صورة فوتوغرافية أو غير فوتوغرافية أو رمز أو أى شيء من هذا القبيل أو يحاول القيام بأى عمل من تلك الأعمال بقصد الإخلال بالنظام أو إثارة الشعور ضد نظام الحكومة المرعى يرتكب جريمة ضد الأحكام العرفية ، وأى شخص يوجد في حيازته نشرة أو صورة فوتوغرافية أو غير

فتوغرافية أو رمز أو أى شىء من الأنواع المتقدم ذكرها أو ما يشبهها ويكون الغرض الظاهر منها الإخلال بالنظام أو إثارة الشعور ضد نظام الحكومة المرعى على ما ذكر سالفاً بعد مرتكبا لجريمة ضد الأحكام العرفية «

القائد العام بالقطر المصرى — « لفتنتت جنرال بلفن »

### عيد ميلاد ملك بريطانيا

فى يوم الثلاثاء ٣ يونيه سنة ١٩١٩ احتفلت الحكومة بعيد ميلاد الملك جورج الخامس ملك بريطانيا العظمى بتعطيل الوزارات والدواوين ، ورفع الأعلام على المباني الأميرية ، وإطلاق ٢١ مدفعا من القاهرة والإسكندرية و بور سعيد

### إنشاء وزارة المواصلات

#### وتعيينات أخرى

فى ٢ يونيه سنة ١٩١٩ صدر مرسوم سلطاني بإنشاء وزارة المواصلات ، وعين أحمد زيور باشا وزير المعارف وزيراً لها ، وعين أحمد طلعت باشا النائب العام وزيراً للمعارف ، فصار عدد الوزراء ثمانية بدلا من سبعة

وفى اليوم نفسه عين عبد الفتاح يحيى بك المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة وكيلًا لوزارة الداخلية ، وكان هذا المنصب شاغراً منذ ٩ أبريل حيث كان يتولاه من قبل جعفر ولى باشا الذى عين وزيراً للأوقاف فى وزارة رشدى باشا الرابعة . وعين محمود فخرى باشا الأمين الأول محافظاً للعاصمة ، وحسن عبدالرزاق باشا ناظر الخاصة السلطانية محافظاً للإسكندرية

### فرض غرامات على البلاد

بسبب تدمير المحطات ومباني الحكومة

فى ٢٦ يونيه سنة ١٩١٩ أصدرت السلطة العسكرية بلاغا فرضت فيه غرامات مالية

على المناطق التي وقعت فيها حوادث تدمير المحطات والمباني الحكومية وهي :

جنيه منطقة الدلتا	١٠٤٠٨
» المنطقة الوسطى المؤلفة من الجزيرة وبنى سويف والفيوم	٤١٠٢٠
» المنطقة الواقعة بين بنى سويف وأبو تيج	<u>١٦٧٠٣٤</u>
	٢١٩٤٦٢
جنيه غرامات فرضت لأسباب مختلفة في منطقة الدلتا	<u>٤٨٩٣</u>
مجموع الغرامات	٢٢٤٣٥٥

ومما تجدر ملاحظته أن هذه الغرامات فرضت على الأهالي مقابل تدمير المحطات والمباني الحكومية المصرية ، فكان من المنطق أن تؤول إلى خزانة الحكومة المصرية ، ولكنها آلت إلى الخزانة البريطانية !!

### إمضاء معاهدة الصلح

٢٨ يونيو سنة ١٩١٩

أمضيت معاهدة الصلح في قصر فرساي يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ ، وسميت « معاهدة فرساي » ، وقد تضمنت أسوأ الشروط بالنسبة لمصر ، وهي الشروط التي سبق بيانها ( ص ٢٩ ) ، وأهمها إقرار الحماية البريطانية

ولما وردت الأنباء إلى مصر بإمضاء هذه المعاهدة ، قررت الحكومة ابتهاجا بها إطلاق مائة مدفع ومدفع ، في كل من القاهرة والإسكندرية وبورسعيد ، وعطلت الوزارات والمصالح في جميع نواحي القطر يوم الاثنين ١٤ يولييه !!

ومن المتناقضات حقا أن تتبجح الحكومة المصرية لمعاهدة من أهم شروطها بالنسبة لمصر إقرار الحماية التي فرضتها إنجلترا عليها !!

وقد تبودلت زيارات التهنئة بين الوزراء ودار الحماية ، كما تبودلت برقيات الابتهاج بين سلطان مصر وملك إنجلترا ، وفي المساء أقامت جاليات الحلفاء بالقاهرة والإسكندرية حفلات باهرة ابتهاجا بهذا النصر

أما الشعب المصرى فقد قابل إمضاء المعاهدة بالوجوم والسخط ، والحزن العظيم ، لما فيها من إهدار حرите واستقلاله ، وجدد العهد رغم كل هذه المظاهر على متابعة الكفاح حتى يسترد حقوقه فى الحرية والاستقلال ، تلك الحقوق التى لا تزول بمعاهدات أو اتفاقات ، أيا كان عدد الموقعين عليها أو قيمتهم

وأصدر القائد العام للقوات البريطانية منشوراً بمناسبة عقد المعاهدة بالعفو عن المحكوم عليهم من المحاكم العسكرية بعقوبة السجن لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر وبتنزيل مثل هذه المدة للمحكوم عليهم من المحاكم المذكورة بعقوبة لا تتجاوز السنتين

### إيقاف المحاكم العسكرية

كان من نتائج إمضاء معاهدة الصلح تساهل السلطة العسكرية البريطانية فى بعض مطالب طلبتها الوزارة ، فمنها أنها اتفقت معها على إيقاف المحاكم العسكرية ، وكانت قد حكمت فى أهم القضايا ، فأصدرت الوزارة بلاغا بهذا المعنى فى ٩ يوليو سنة ١٩١٩ ، يتضمن قبول القائد العام ما طلبته من إيقاف هذه المحاكم ، وإحالة الباقي لديها من القضايا الخاصة بحوادث الاضطرابات إلى المحاكم العادية ، وأن تكف المحاكم العسكرية عن العمل منذ يوم ١٥ يولييه ، مع استثناء حوادث الاعتداء على أفراد القوات البريطانية ، وكان هذا الإيقاف مؤقتا ، لأنها عادت إلى العمل فى قضية المؤامرة الكبرى التى اتهم فيها عبد الرحمن فهمى بك وآخرون وحوكموا فى شهر يوليو — اكتوبر سنة ١٩٣٠ ، كما سيجىء بيانه فى الفصل الآتى

وطلبت الوزارة أيضاً من القائد العام الإفراج عن بعض المعتقلين السياسيين ، فأجاب بالإيجاب ، وألغيت الرقابة على رسائل البريد المتبادلة بين مصر والخارج

## إلغاء الرقابة على الصحف

وألغيت الرقابة على المطبوعات ومنها الصحف ابتداء من أول يولييه ١٩١٩ ، عقب توقيع معاهدة الصلح ، ونشرت رئاسة مجلس الوزراء يوم ٢٦ يونيه بياناً بهذا المعنى ، قالت فيه : « إن الهدوء الذى ساد البلاد الآن ساعد الحكومة على الاتفاق مع السلطة العسكرية على أن الرقابة على المطبوعات تلغى عند توقيع معاهدة الصلح ، فالأموال من مديري الجرائد أن يلزموا الاعتدال ، ويستخدموا على الدوام حكم إدراكهم كى لا يلجئوا الحكومة إلى العودة لوضع القيود والروابط »

على أن إلغاء الرقابة إنما كان إلغاءً صورياً ، ذلك أن إدارة الرقابة أرسلت إلى الصحف مذكرة سرية حظرت عليها نشر الأنباء أو المقالات التى عدتها فيها ، وحظرت عليها الإشارة إلى هذه المذكرة ، ويكفيك أن تلقى نظرة على محتوياتها لتبين أن الرقابة بقيت مضروبة على الصحف ، بشكل مستمر ، وهالك ما تضمنته تلك المذكرة :

١ — لا يجوز نشر أى مادة ثورية ولا أى مادة تحرض على إحداث فتن أو إثارة شعور الخروج على الحكومة ولا أى مادة فيها ميل إلى ذلك بأسلوب مباشر أو غير مباشر

٢ — لا يجوز نشر أى مادة تنطوى على عدم الاعتراف بالمركز السياسى الحالى فى القطر المصرى وهذا بالطبع لا يمنع من البحث فى التغييرات الدستورية

٣ — لا يجوز نشر شىء فيه ميل إلى الإخلال بالأمن العام فى القطر المصرى أو سوريا أو العراق أو بلاد العرب ، ولا نشر شىء فيه ميل إلى إثارة عداوات دينية أو جنسية فى أى طائفة من المجموع ، ولا نشر شىء فيه ميل إلى إزعاج الطمأنينة العامة ببيت الإشاعات الموهومة أو الأراجيف

٤ — لا يجوز نشر أى خبر يتعلق بعظمة السلطان إلا بعد أن يصدر به بلاغ رسمى أو يجيزه كبير الأمناء

٥ - تصدر بلاغات للصحف كلما اقتضت الحال عن حفلات الاستقبال وغيرها التي يقيمها صاحب الفخافة نائب الملك فوق العادة وحضرة اللادى ألنبي ، ولا يجوز نشر شيء آخر من هذا القيل إلا وصف ما يكون سبق إعلانه من تلك الحفلات

٦ - لا ينشر شيء عن المقابلات السلطانية ولا عن مقابلات صاحب الفخامة نائب الملك فوق العادة ولا عن مقابلات أصحاب المعالي الوزراء إلا بعد الاستيثاق من صحتها في قلم المطبوعات بوزارة الداخلية

٧ - يجب نشر جميع البلاغات الرسمية بما لها من العنوانات (إن كان) على الصورة التي صدرت بها تماما

٨ - كل ما يتعلق بخبر القبض على أشخاص أو نفيهم أو سفرهم لأسباب عسكرية أو سياسية لا يجوز نشره إلا إذا صدر به بلاغ رسمي

٩ - كل الأخبار المتعلقة بالمجالس والمحاكم العسكرية ما لم يصدر بها بلاغ رسمي يجب عرضها قبل نشرها على جناب رئيس الرقابة العسكرية في مقر السلطة العسكرية العام بلوكاندة سافواى

١٠ - حركات الجنود من مصر والسودان أو إليهما أو فيهما وحركات السفن الحربية والنقلات في البحر الأبيض المتوسط أو البحر الأحمر أو المحيط الهندي أو قنال السويس لا يجوز نشر خبرها إلا إذا صدر عنها بلاغ رسمي أو وردت بها تليفارات أجنبية عن طريق الأسلاك البحرية

١١ - الخطابات التي ترد من رجال قوات صاحب الجلالة ، وتكون محتوية على شؤون متعلقة بتلك القوات تعرض قبل نشرها على جناب رئيس الرقابة العسكرية في مقر السلطة العسكرية بلوكاندة سافواى

١٢ - لا يجوز نشر أى شيء من شأنه الازدراء بقوات صاحب الجلالة الملك أو صاحب العظمة السلطان

- ١٣ - لا يجوز الإشارة إلى هذه التعليمات ولا إلى الرقابة التحفظية التي كان معمولاً بها قبل إصدار هذه التعليمات
- ١٤ - عبارات « صدر بها بلاغ رسمي » و « بلاغ رسمي » التي جاءت في هذه التعليمات إنما يقصد بها البلاغات والأخبار العسكرية التي تصدر عن دار الحماية أو السلطة العسكرية أو إدارة المطبوعات ولا يعتبر أي شيء آخر رسمياً
- ١٥ - تسرى هذه التعليمات على كل المواد التي تنشر سواء كانت أصلية أو منقولة عن أي مصدر خارجي محلياً كان أو أجنبياً
- ١٦ - تقع تبعة مخالفة هذه التعليمات على أصحاب الجرائد ومدبريها ومحرريها وناشريها وطابعيها وكتابها
- ١٧ - تعتبر كل مخالفة لهذه التعليمات جريمة ضد الأحكام العرفية

### الاعتداء على محمد سعيد باشا

في ٢ سبتمبر سنة ١٩١٩ وقع اعتداء على محمد سعيد باشا رئيس الوزارة ، وذلك أنه بينما كان راكباً سيارته في طريقه من داره برمل الإسكندرية إلى سراي الوزارة ببولسكي ، ألقى عليه سيد علي محمد من أهالي كفر الزيات ( المحامي الشرعي فيما بعد ) قنبلة بالقرب من محطة جنا كليس ، القريبة من دار الرئيس ، فانفجرت القنبلة ولكنها لم تصبه ، ونجا من الاعتداء

وتبين أن المعتدى طالب بمعهد الاسكندرية الديني ، وقد حوكم أمام محكمة جنائيات الاسكندرية ففضت عليه في فبراير سنة ١٩٢٠ بالأشغال الشاقة عشر سنوات

### قرار لجنة الشؤون الخارجية

#### بمجلس الشيوخ الأمريكي

قررت لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي في أغسطس سنة ١٩١٩ لمناسبة عرض معاهدة الصلح أن مصر من الوجهة السياسية ليست تابعة لتركيا ولا لبريطانيا



العظمى ، ويجب أن تكون صاحبة الأمر في تقرير مصيرها  
فكان لهذا القرار رنة استحسان كبرى في البلاد ، وفاضت أعمدة الصحف ببرقيات  
الاستبشار في أن يكون هذا القرار مقدمة لنجاح القضية المصرية  
وانتهى النقاش في مجلس الشيوخ الأمريكي في معاهدة الصلح بعدم إبرامها ( مارس  
سنة ١٩٢٠ ) ، فكان هذا المصير أكبر صدمة لهذه المعاهدة ، لأن تخلي أمريكا عن  
ضمان تنفيذها أفقدها قوة كبيرة ، وجاء هذا القرار بطريقة غير مباشرة مكسبا للقضية  
المصرية ، إذ كانت المعاهدة تتضمن الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر

### احتجاج الحزب الوطني

#### على الاحتلال

اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطني يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ ، لمناسبة ذكرى  
احتلال الإنجليز القاهرة في مثل هذا اليوم من سنة ١٨٨٢ ، وقررت تجديد الاحتجاج على  
الاحتلال ، وإرسال برقية بهذا الاحتجاج إلى رئيس الوزارة البريطانية ، هذا نصها :  
« جناب المحترم المستر لويد جورج رئيس الوزارة الإنجليزية بلندن . أتشرف بأن  
أحيط جنابكم علما بأن اللجنة التنفيذية للحزب الوطني المصري قد اجتمعت اليوم لمناسبة  
ذكرى تاريخ احتلال إنجلترا لمصر ، وكلفتني تبليغ جنابكم احتجاجها على بقاءه حتى اليوم  
لافتة نظركم إلى أن الشرف الذي دفع إنجلترا إلى خوض غمار الحرب دفاعا عن المعاهدات  
الدولية — ولا سيما الخاصة منها ببلجيكا كما صرح جنابكم مرارا وتكرارا — هو نفس  
الشرف الذي يحتم على إنجلترا أمام الإنسانية بأسرها أن تحترم عهودها لمصر فتجولو عنها  
» لقد أقسمت الملكة فيكتوريا وصرح رجال إنجلترا المسئولون في السبع والثلاثين  
سنة التي مرت على الاحتلال أنه مؤقت وأن إنجلترا ترى مخالفا للشرف أن تنكث العهد  
أو تغير مركز مصر بأي حال من الأحوال

« وإنا يا جناب الرئيس بالرغم من الآلام الوطنية التي تنتابنا في هذه الظروف مازلنا نؤمل احترام الحكومة البريطانية لما أخذته على نفسها من العهود والمواثيق المستمدة من شرف التاج وكرامة الأمة ، ولا بد أن جنابكم يجد العار كل العار في مناصرة أولئك المالبين المستعمرين على الشرف والعدل والحق ، ونصرح لجنابكم مع هذا بأن عزيمة الأمة المصرية قد صحت على نيل استقلالها وحريتها إذ أنها تشعر بل تؤمن إيمانا صادقا بأن لا كرامة في الوجود لأمة تغفل حقها في الحرية والاستقلال »

« وكيل الحزب الوطنى » « على فهمى كامل »

### تعديل فى هيئة الوفد

قرر الوفد فى يوليه سنة ١٩١٩ اعتبار اسماعيل صدق باشا ومحمود بك أبو النصر منفصلين عن عضويته ، وبني قراره على ما نسبه إليهما من مخالفتهما مبدأ الوفد وخطته ، وفصل أيضا حسين واصف باشا ، وهذا أول انشقاق حصل فى الوفد ، وقرر فى نوفمبر سنة ١٩١٩ ضم على بك ماهر إلى الوفد مع بقائه فى مصر يعمل مع العاملين بها ، وذلك على أثر فصله من منصبه

### تأليف لجنة

#### لتعويضات حوادث الثورة

فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٩ صدر مرسوم بعدم اختصاص المحاكم الأهلية بنظر دعاوى التعويض المرتبطة بحوادث الثورة فى القطر المصرى ابتداء من ١٠ مارس سنة ١٩١٩ وجاء فى ديباجة المرسوم أن السلطان قرر « منح تعويضات إلى ضحايا الفتن والقلاقل السياسية التى وقعت فى القطر المصرى منذ ١٠ مارس سنة ١٩١٩ » ، ويقضى بتأليف لجنة تختص بالنظر فى طلبات التعويض المقدمة ضد الحكومة المصرية أو مصالحها والتى ترتبط

بهذه الحوادث والفصل فيها بصفة نهائية ، إما برفض الطلب أو بقبوله بتحديد قيمة التعويض ، وقد ألفت هذه اللجنة برئاسة يحيى باشا ابراهيم رئيس محكمة الاستئناف الأهلية ووكالة السير الكسند وودرتون وعضوية كل من المستر سندرس القاضي بمحكمة الإسكندرية الأهلية والمستر بيز مدير قسم البلديات والمجالس المحلية بوزارة الداخلية ، وحسين كامل بك مدير قسم الإدارة بوزارة الداخلية ورفله تاوضروس بك مدير الأموال المقررة والمسيوسان بلانكا الأستاذ بمدرسة الحقوق الفرنسية

وخصص المرسوم مبلغ مليون جنيه لسداد جميع التعويضات التي تقبلها اللجنة وأصدر القائد العام للجيش البريطاني في مصر أمرا في ١٥ أكتوبر سنة ١٩١٩ بعدم اختصاص المحاكم المختلطة في طلبات التعويض التي تقدم من الأجانب عن حوادث الثورة ، وباختصاص اللجنة المشكلة بالمرسوم سالف الذكر بنظرها والفصل فيها ، وقد أتمت اللجنة مهمتها وفصلت في طلبات التعويض التي قدمت إليها

## وفاة زعيم الوطنية

« محمد فريد »

في ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ انتقل إلى جوار ربه زعيم الوطنية المرحوم محمد بك فريد ، أدركته الوفاة في منفاه ببرلين على أثر مرض طويل ألح عليه ، كان فيه القضاء المحتوم ، ونقلت الأسلاك البرقية إلى مصر نبأ وفاته ، وكانت البلاد تضطرم بالثورة ، فراعها نعي زعيم جليل مهّد لها بمهادته وتضحياته سبيل الثورة

حمل محمد فريد زعامة الحركة الوطنية منذ فبراير سنة ١٩٠٨ ، على أثر وفاة الزعيم الأول مصطفى كامل ، فاضطلع بأعبائها بشجاعة وإخلاص ، واستهدف لمحاربة قوتين متحالفتين ، قوة الاحتلال ، وقوة الحكومة الأهلية ، فصمد للحرب يتلقاها من الناحيتين ، وناله من أذاها وشرها ما ناله ، وحوكم سنة ١٩١١ في تهمة صحفية لا أساس لها من الحق ، فحكم عليه بالحبس ستة أشهر ، فكانت سنة ١٩١١ بداية المحن الكبرى التي أصابته في

حياته الوطنية ، لم يهين ولم يضعف ، وخرج من السجن بعد استيفاء مدته ثابت الفؤاد ، قوى العقيدة والإيمان ، ومضى في جهاده لا يلوى على شيء ، ليكمل العمل الذي بدأه مصطفى ، فاستخدم الوسائل والأسلحة التي ساهم فيها مع سلفه العظيم ، وزاد عليها المؤتمرات يعقدها في أوروبا أو يشارك فيها ، ويرفع صوت مصر بين أعضائها من مختلف الشعوب والأجناس ، فاشترك في مؤتمر الشبيبة المصرية بجنيف سنة ١٩٠٩ ، وفي مؤتمر السلام العام باستوكهولم في أغسطس سنة ١٩١٠ ، وعقد المؤتمر الوطني المصري ببروكسل في سبتمبر سنة ١٩١٠ ، وأسمع العالم في هذه المواطن كلها صوت مصر ، ودافع عن مطالبها ، وترجم عن آمالها في الاستقلال ، وشكايتها من الاحتلال ، وكان لهذه المؤتمرات صداها في مصر ، إذ كانت تقوى في نفوس الأمة روح المقاومة ، والشجاعة ، وتعود أبناءها النضال والكفاح ، وتطالعهم بمخائيق المسألة المصرية في مختلف نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فكانت لهم شبه مدرسة أنارت بصائرهم ، وصقلت أذهانهم ، وغرست فيهم الروح الوطنية ، والفضائل القومية

حمل الفقيه على تعاقب السنين لواء الحركة الوطنية ، وأحياها بجهاده ، وخطبه ومقالاته ، وأحاديثه واجتماعاته ، ورحلاته وأسفاره ، كما غذاها بثباته وتضحياته ، فلقد ضحى بماله يبذله عن سخاء في الدفاع عن القضية الوطنية ، وضحى بوظيفته في سبيل الاستمساك بمبذته ، ثم بمهنته التي اختارها بعد استقالته من وظيفته ، إذ اعتزل المحاماة سنة ١٩٠٤ ، لكي ينقطع للجهاد ، فعظمت بذلك تضحياته للمالية ، وحرّم موردا كان يدر عليه الربح الوفير ، ضحى بالمناصب والرتب والألقاب التي كان ينالها لو سلك مسلك غيره في تأييد الاحتلال ، أو لو أنه اكتفى بمسألته والابتعاد عن مقاومته ، وضحى براحته وصحته وآمال الشباب في رغد الحياة ورفاهية العيش ، واستهدف للسجن والنفي والتشريد ، وبدأ منفاه سنة ١٩١٢ ، فلم ينقطع جهاده في سنوات النفي ، بل كانت سلسلة متصلة من الكفاح والنضال في سبيل مصر ، إذ دافع عن القضية الوطنية في مؤتمر السلام بجنيف في سبتمبر سنة ١٩١٢ ، ثم بمؤتمر السلام في الهامى سنة ١٩١٣ ، ثم في الصحف والمجلات ، وفوق أعواد المنابر وفي المجتمعات ، في كل بلد ينزل به ، ولما شبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، استمر في نضاله عن مصر ،

وشعاره الذى لا يتبدل « مصر المصريين » ، وكان لا يفتأ يعلنه على رؤوس الأشهاد ، بين الدول المتحاربة والدول المحايدة ، ويجهر به فى وجه إنجلترا وحلفائها ، كما جهر به فى وجه ألمانيا وتركيا ، واستهدف من أجل ذلك لغضب الترك فى خلال الحرب ، فلم يبالي غضبهم ، كما لم يبالي من قبل ومن بعد غضب الاحتلال وصنائه ، وحمل بذلك لواء الاستقلال والجهاد فى وجه كل دولة وكل سلطة تناوئه ، فكان حقا البطل الأكبر لهذا الاستقلال ، والجهاد الأعظم بنفسه وماله فى سبيله .

لم يدع الفقيه فرصة فى خلال الحرب إلا واتهمها لرفع صوت مصر والدفاع عن قضيتها ، وبخاصة فى المؤتمرات العامة التى جمعت ممثلى الدول والشعوب .

فما إن علم بقرب انعقاد مؤتمر دولى اشتراكى فى استوكهلم عاصمة السويد حتى قصد إليها فى مايو سنة ١٩١٧ ، وتعرف مدة إقامته بها بمدير جريدة استوكهلم Dageblad Staochholm ، ونشر فى جريدته يوم ١٠ يونيه سنة ١٩١٧ مقالة بعنوان ( يجب تحرير مصر ) ، وبقى بهذه المدينة شهرين يدافع عن قضية مصر ، ثم سافر إلى ألمانيا للاستشفاء فى ويزبادن ، ثم رجع إلى استوكهلم حيث انعقد المؤتمر فى أكتوبر من تلك السنة ، وقدم إليه مذكرة قيمة عن القضية المصرية ، شرح فيها خلاصتها ، وذكر طرفا من نقض إنجلترا لعهودها فى الجلاء ، وكيف أعلنت الحماية الباطلة على مصر فى ديسمبر سنة ١٩١٤ ، وأثبت أن حق مصر فى الاستقلال لم يتأثر لا من الاحتلال ولا من الحماية ، قال فى هذا الصدد :

« إن حرية الشعوب لا تنتقل ولا تفقد بمضى المدة ، ولا تستطيع الدول أن تتصرف فيها بمعاهدات ، كما تتصرف فى السلع ، وإنى أقرر أن أية أمة لا تستطيع أن تتصرف فى نفسها ولا فى وطنها تصرفا يضر بحقوقها ، لأن الوطن ليس ملكا لجيل من الأجيال ، بل هو ملك للأجيال الماضية والمستقبلية ، ولا تستطيع إنجلترا أن تتمسك بأى معاهدة أو وثيقة سياسية من هذا القبيل ، وعلى فرض وجودها فلا يمكن التمسك بها قبلنا » .

وقدم إلى الدول المتحاربة والمحايدة مذكرة بتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٧ طلب فيها إلى الدول جميعاً عند انعقاد مؤتمر الصلح أن تقر استقلال مصر التام وحريتها ، وبرهن

على أن سلام العالم ومصالح الدول تقتضى هذا الاستقلال ، وأن حيدة قناة السويس لا تكون فعلية ما دام لأية دولة أجنبية جنود في مصر ، ، قال فيها :

« إن الحزب الوطنى المصرى الذى كان ولا يزال على مبدئه ( مصر للمصريين ) ، والذى وقف نفسه للدفاع عن وطنه العزيز ضد أى اعتداء أو احتلال أو تدخل أجنبى تحت أى اسم أو بأية صورة ، يخاطب اليوم بهذه المذكرة كل الحكومات بلا استثناء ، حتى إنجلترا وحلفاءها ، تاركا العواطف والميول جانباً ، متبعاً السياسة العملية الحققة

« إنا نريد أن نبين أن الحاجة إلى السلم العام ، وإلى العدل وإلى الحق ، تنصح لكل الحكومات أن تساعدنا على تحرير مصر من الاحتلال الإنجليزي الذى تحول ظمناً وعدواناً إلى حماية في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، إن كل الحوادث التى جرها احتلال مصر بالجنود البريطانية في سنة ١٨٨٢ ، والتي أدت إلى وضع يد إنجلترا على الإدارة المصرية معروفة مشهورة ، فلا داعى إلى الإطالة فيها والإسهاب ، ولقد نال الوطنيون بزعامة عرابى باشا دستوراً كاملاً من الخديو توفيق في سنة ١٨٨٢ ساعد على تنعيم الإصلاحات التى أعلنوها ، وأعان الشعب على السير إلى التقدم فى ظل الحرية ، ولكن إنجلترا التى كانت تطمع إلى امتلاك مصر وترقب الفرصة للتمكن منها ، هاجت فتنة الإسكندرية فى سنة ١٨٨٢ ، تلك الفتنة التى جرت إلى إطلاق القنابل فى ١٠ يوليه ، وإلى تخريب جزء عظيم من تلك المدينة الآهلة بالسكان ، ثم إلى احتلال القاهرة فى ١٤ سبتمبر من السنة نفسها ، وقد وعدت إذ ذلك فى المنشورات التى أذاعها الأميرال سيمور واللورد ولسلى ، أن هذا الاحتلال لن يدوم إلا أسابيع أو شهوراً على الأكثر ، وكررت الملكة فيكتوريا هذا الوعد رسمياً فى خطبها الملكية ، وكرره وزراؤها على منبر الخطابة ، فى البرلمان الإنجليزي ، وفوق ذلك فإن ممثلها وقعوا على ( ميثاق النزاهة ) فى تريبيا فى يونيه سنة ١٨٨٢ ، ذلك الميثاق الذى تعهد الموقعون عليه ألا يسعوا إلى احتلال أى جزء من أراضى مصر ولا الحصول على أى امتياز خاص فيها ، فهل كانت إنجلترا وحلفاؤها يحسبن إذ ذلك أن المعاهدات التى ضمنت استقلال مصر من سنة ١٨٤٠ ، لا تستحق الاحترام الذى ظفرت به المعاهدات التى ضمنت

حياد البلجيك ؟ حقاً انه لمن المدهش أن لا يكون في المذكرات الرسمية المتبادلة بين المتحاربين ولا في مذكرة البابا أية كلمة تختص بمصر أو بغيرها من الأمم الخاضعة لآنجلترا والحلفاء ، فهل الحقوق الإنسانية قسمان ، لكل محارب قسم ، أم ان الحق الدولي لا يستحقه غير الشعوب الصغيرة الأوروبية

« وإنا مع ذلك لا نريد أن نصدق ما يظن من أن لهذا الفرق في المعاملة مكانا من نفوس الدول المتعدنة ، مهما كانت تصرفاتهن تسوغ ارتيابنا في إنصافهن ، وكذلك لا نريد أن نياس من النصر النهائي للحق والعدل ، وبالرغم من الطمع الذي لاحد له والرغبات المتفاقة في أفئدة عشاق الإمبرطورية الإنجليزية ، وإلا فإن ما كانوا يظنونون به من تقدم الإنسانية وسير البشر إلى الإخاء العام سيظهر في ثوب المدنية المنهزمة والإفلاس التدليسي

« نحن لا نجهز بهذا النداء اعتماداً على المبادئ الحرة فحسب ، ولكننا نعتمد من جهة أخرى على مصلحة السلام العام ، وبقاء تجارة العالم وضمن النقل في قناة السويس ، فإن هذه أمور تتطلب حرية مصر واستقلال وادي النيل ، فإن مركز مصر من ناحية هذا الطريق الدولي قد أغرى الغزاة بالتطلع إليها ، حتى قبل أن تحفر قناة السويس ، وقد أراد نابليون في أواخر القرن الثامن عشر أن يتخذها قاعدة لأعماله الحربية ضد الإنجليز في الهند ، وزادت أهمية مركزها بعد فتح القناة التي صارت أقصر طريق يوصل شرق أفريقيا بجنوبي آسيا وأقصى الشرق ، وإن زيادة أهمية هذه القناة التي تنشأ عن اتساع تجارة أوروبا وعن كثرة علاقاتها البحرية مع البلاد التي تستورد منها المواد لصناعاتها تتطلب منطقياً وجوب الاستقلال الكامل لمصر حتى تستطيع بكل صراحة أن تجعل القناة على الحياد ، وقد بينت الحرب الحاضرة أن حيده هذه القناة ستكون حلاً لا يتحقق ما دام لأية دولة أجنبية يد في مصر ، وأنها تستطيع بذلك أن تنفرد بمزايا الملاحة فيها ، وإن أحسن حل لهذه المشكلة هو أن تعطى مصر استقلالها ، وأن تعهد إليها حراسة هذا الطريق الدولي والدفاع عنه حتى تكون الحرية شاملة لكل متاجر العالم

« وأنه لبديهي أني حين أتكلم عن مصر أريد كل وادي النيل ، من أقصى السودان

إلى البحر الأبيض المتوسط ثم البحر الأحمر ، بما يشمل كردفان ودارفور ، فإنه لا يجهل إنسان أن من يملك أعالي النيل ؛ إنما يملك رقبة مصر ويستطيع بكل سهولة أن يحتكر جزءاً عظيماً من مياهه لرى السودان ، ومن أجل ذلك أوجدت إنجلترا حكومة منفصلة في السودان المصرى متخذة من سواكن وغيرها مرفأً للملاحة في البحر الأحمر ؛ وكذلك تعارض دائماً في اتصال السكك الحديدية بأخواتها في السودان ، تاركة تمهيداً ما بين أسوان ووادي حلفا ؛ حتى تستطيع حيناً تَجْبِر على الخروج من مصر أن تسيطر على حوض النيل الأعلى ، وعلى فروعه التي تمده ثم تبيع الماء لمصر بوزنه ذهباً

« فيجب أن يكون وادي النيل لنا وحدنا معاشر المصريين ، غير مقسم ولا مجزأ ، كما كان كذلك منذ وجد الأب البار لهذا الوادي ؛ ألا وهو النيل

» وبالمسألة المصرية ترتبط مسألة القناة في حيدتها الفعلية وحرية المرور للسفن من غير تمييز بين دولة وأخرى زمن السلم وزمن الحرب ؛ ولقد كانت حيدة القناة معروفة ومضمونة من جانب الدول بمعاهدة دولية منذ سنة ١٨٨٥<sup>(١)</sup> ، وقد وقعت هذه المعاهدة في لندن بعد احتلال إنجلترا للقناة حين إغارتها على مصر بالرغم مما قاله المسيو فرديناند دى لسبس لعراي باشا من أن فرنسا ستمنع — ولو بالقوة — احتلال إنجلترا للقناة ، وقد انخدع عراي بالوعد الفرنسي ، فامتنع عن سد القناة وغفل عن أن يتخذ منها قواعد أولية للدفاع ، وقد تجاوزت إنجلترا حد المشروع فأحتلتها احتلالاً عسكرياً بعد أن خدعت الجيش المصرى ، ثم دخلت مصر بعد موقعة التل الكبير ( ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ) ، وبرغم هذه المعاهدة الجديدة في سنة ١٨٨٥ ، قد اعتدت إنجلترا على القناة واحتلتها من جديد منذ نشوب هذه الحرب حتى قبل أن تدخل تركيا ميدان القتال

« إن مصر تعلن حقها الطبيعي في أن تستقل بحكم نفسها ذلك الحق المعترف به الذي أعلنته كل الدول في مؤتمر الهاي ، ذلك الحق الذي من أجله زعمت إنجلترا وحلفاؤها أنهم يواصلن القتال

(١) معاهدة لندن سنة ١٨٨٥ التي قررت قاعدة حيدة القناة ؛ وأعتبرتها معاهدة الاستيانة سنة ١٨٨٨ التي نظمت هذه الحيدة ، وقد نشرناها في قسم الوثائق التاريخية



« إن مصر إذا أعطيت استقلالها التام وحريتها المرجوة لجديرة بأن تبرهن للعالم أنها ما فقدت شيئاً من خصائصها الأصلية ، وأنها محتفظة بمزايا أسلافها العظام ، إنها لا تعرف المطامع الاستعمارية ، وليست لها آمال من هذه الناحية ، ولا تطمح في أن يمتد ملكها أكثر من حدوده الطبيعية ؛ وإنما تطلب حقها في أن تعيش حرة مستقلة ، وأن ترتع في بحبوحة السلم وأن يكون لها تحت الشمس المكان اللائق بها ، وإن الصلح الذي يترك مصر لانجلترا سيكون صلحاً أعرج وسيحمل الإنسانية على حرب تكون أفظع من الحرب الحاضرة » (فلتحي مصر للمصريين)

استوكهلم في ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٧ « محمد فريد » « رئيس الحزب الوطنى المصرى »  
ولما اجتمع مؤتمر (برست ليتوفسك) للصلح بين روسيا وألمانيا وحلفائها ؛ وكان الفقيه وقتئذ في ألمانيا أرسل إلى المؤتمر رسالة برقية في يناير سنة ١٩١٨ بالمطالبة بتقرير استقلال مصر ؛ وشفعه بتقرير إلى المؤتمر أثبت فيه أن مسألة مصر ليست مسألة عثمانية ، بل هى مسألة دولية ، وطلب فيه باسم مصر الاعتراف بحق الأمة المصرية في أن تقرر بطريق الاقتراع العام مصيرها ورغبتها في الطريقة التي تريد أن تحكم نفسها بها ، على أن يسبق الاقتراع جلاء الجيش الإنجليزي عن مصر ، وكذلك الموظفين المدنيين البريطانيين ، لضمان صحة الاقتراع ، وطلب الاعتراف كذلك بحيدة قناة السويس تطبيقاً لمبدأ الجنسيات ومبدأ حرية البحار ولما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في نوفمبر سنة ١٩١٨ وقامت الثورة الداخلية في ألمانيا ، غادرها الفقيه إلى سويسرا في أواخر نوفمبر ، وقصد إليها الوطنيون المصريون الذين كانوا بألمانيا والامستانة ، وأخذوا يعدون العدة لإسماع مؤتمر الصلح صوت مصر ، وأصدروا في جنيف مجلة باسم النشرة المصرية Bulletin Egyptien تصدر مرتين في كل شهر للدفاع عن مصر والمطالب الوطنية

ولما عقد مؤتمر الصلح في باريس أرسل الفقيه بالاشتراك مع من كان يصحبه من أعضاء اللجنة الإدارية للحزب الوطنى تقريراً في ٥ ديسمبر سنة ١٩١٨ إلى الرئيس ويلسن عقب وصوله إلى باريس ، وأردفوه بثان في أواخر ديسمبر ، وبثالث في أوائل يناير سنة ١٩١٩

وقد ختموا أول تقرير لهم بالطلبات الآتية :

( ١ ) استقلال وادى النيل استقلالاً تاماً

( ٢ ) قبول مصر في عصبة الأمم

( ٣ ) تمثيل مصر في مؤتمر الصلح

( ٤ ) ضمان حرية قناة السويس والملاحة فيها

والتقرير الثانى يتضمن شرحاً وتأييداً للمطالب المذكورة ، وقد استندوا فيه إلى ما أعلنه الرئيس ويلسن من حق الأمم فى تقرير مصيرها ، والتقرير الثالث فى تفصيلات القضية المصرية وعند ما تألفت لجان المؤتمر أرسل فى شهر يناير سنة ١٩١٩ إلى رؤساء الحكومات ورؤساء اللجان بمؤتمر الصلح مذكرة بطلب الاعتراف لمصر بحق تقرير مصيرها كما اعترف المؤتمر بهذا الحق لبعض الأمم كبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، فجاءه الرد الآتى من سكرتير الرئيس ولسن :

« باريس فى ٢١ يناير سنة ١٩١٩ »

« سيدى العزيز . أكتب إليكم باسم الرئيس لأخبركم بتسلمه المذكرة المذيلة بإمضائكم أتم وبقية أعضاء اللجنة الإدارية بسويسرا ولأبلغكم بأن هذه المسألة ستلقى عنايته الخاصة » ولما اشتدت حوادث الثورة فى مصر أرسل عدة تقارير إلى المؤتمر بشرح ما تعانیه مصر من عسف السلطات البريطانية ، وناشد المؤتمر أن يتدخل لتقرير الحل الوحيد للمسألة المصرية وهو الاعتراف باستقلال وادى النيل استقلالاً تاماً

### مذكرته إلى المؤتمر الدولى الاشتراكى فى برن

فبراير سنة ١٩١٩

وقدم إلى المؤتمر الدولى الاشتراكى الذى انعقد فى برن (عاصمة سويسرا) فى يناير — فبراير سنة ١٩١٩ تقريراً مسهباً فى الدفاع عن القضية المصرية والمطالبة بالاستقلال التام ، وهناك تعرف الوطنيون بالمستر هندرسن رئيس حزب العمال البريطانى ، وكان واسطة

التعارف بينهم قنصل جنرال أمريكا في ( برن ) ، وقد استمع المستر هندرسن إلى مطالبهم في المسألة المصرية وأظهر اقتناعه بعادتها ، ووعدهم بتأييدها ، وإلى هذا التعارف ترجع علاقة المستر هندرسن بالقضية المصرية ، والمستر هندرسن هذا هو الذي صار وزير خارجية بريطانيا في حكومة حزب العمال سنة ١٩٢٩ ، وتولى المفاوضات في المسألة المصرية مع الوفد المصري سنة ١٩٣٠

### مذكرة إلى المؤتمر الدولي الاشتراكي في لوسرن

أغسطس سنة ١٩١٩

وقدم الفقيد إلى المؤتمر الدولي الاشتراكي الذي انعقد في لوسرن ( سويسرا ) في أغسطس سنة ١٩١٩ مذكرة بمطالب مصر تضمنت شرحاً لقضيتها ، وبياناً لما تعانيه مصر من العسف في ثورة سنة ١٩١٩ ، واستصراخاً للإنسانية لوضع حد لهذا العسف

### الفقيد وثورة سنة ١٩١٩

أدرك الفقيد ثورة سنة ١٩١٩ وهو في منفاه ، فابتهج لها فؤاده ، وكتب عنها في مذكراته ما يأتي تحت عنوان ( الثورة في مصر ) :

« من الأمور التي كانت غير منتظرة ، ما حصل بمصر في شهرى مارس وابريل من هذه السنة ( ١٩١٩ ) وهو قيام ثورة عامة ، اشتركت فيها الأمة بجميع طبقاتها ، واتحد فيها الأقباط والمسلمون ، مطالبين باستقلال مصر ، وخلاصة ظهورها أن حسين رشدي باشا طلب من الإنجليز عقب التوقيع على الهدنة مع ألمانيا أن يسافر إلى لندرة مع عدلى باشا ناظر المعارف ، لشرح حالة مصر لوزارة الخارجية البريطانية والاتفاق معها على مصالح الوطن المصري ، فوعده الإنكليز بالسفر ، ولكنهم أبلغوه في شهر مارس سنة ١٩١٩ أن رجال الحكومة الإنكليزية مشغولون الآن بمسألة المؤتمر ، ولا يمكنهم التفرغ لمناقشة الوزراء المصريين ، فاستقال في ديسمبر سنة ١٩١٨ ، وبقي مصرًا على استقالته ، رغمًا من إلحاح

الانكليز والسلطان عليه ، ثم قبلوا أن يسافر مع عدلى باشا ، ولكنه طلب أن يصرح كذلك للوفد الذى ألف فى أثناء ذلك من سعد زغلول باشا وزملائه ليسافر إلى لوندرة وباريس ، مطالباً باستقلال مصر ، فرفض الإنكليز بتاتا ، ثم قبل السلطان استقالة الوزارة فى أول مارس سنة ١٩١٩ ، وفى ٦ منه استدعى الجنرال وطسون قائد الحامية الإنكليزية سعد باشا ، وإسماعيل صدق باشا ، ومحمد محمود باشا ، وحمد الباسل باشا إلى مركزه ، وأظهر لهم استياء حكومته من تدخلهم فى سياسة البلد ، واتهمهم بعرقلة مساعى الحكومة الإصلاحية ، وهددهم بمحاكمتهم عسكرياً ، ثم قبض عليهم فى مساء نفس ذلك اليوم وقرر اعتقالهم فى جزيرة مالطة ، وأرسلوا إليها فعلاً ، فكان خبر القبض عليهم ونفيهم خارج القطر سبباً لمظاهرات فى مصر وطنطا وغيرها مؤلفة من طلبة المدارس العليا والثانوية والأزهريين وكثير من الشبان الموظفين والمحامين ، بل والقضاة ، وقد انتهت هذه المظاهرات بسلام ، ولكن حصل فى بعضها تصادم مع رجال البوليس وجيش الاحتلال استعملت فى أثناءها البنادق فقتل وجرح كثيرون ، فى مصر وطنطا واسكندرية وغيرها ، فزاد غضب الأمة لهذه الفظائع ، وشكلت فى الحال عدة جماعات لتخريب السكك الحديدية ، وحرقت المحطات ، وقطعت أسلاك التلغراف والتليفون فى جميع أنحاء القطر من اسكندرية إلى أسوان ، وامتدت الحركة إلى جميع المديریات ، وبما أن الجنرال (ألنبي) كان وقتئذ فى باريس صدر إليه الأمر بالعودة بأسرع ما يمكن معيناً مندوباً سامياً للحكومة الإنكليزية بدل الجنرال ونجت باشا ، وأعطى سلطة مطلقة فى إدارة القطر المصرى عسكرياً ومدنياً ، فعاد مسرعاً ولكنه أراد مزج اللين بالشدة ، فمع إصداره أوامر مشددة بمجازاة البلاد والقرى التى يحصل بجوارها تخريب فى السكك الحديدية بحرقها بواسطة الطائرات ، وتشكيله جملة فرق سيارة لتمنع الحركات الثورية فى البلاد ، وتأليفه عدة محاكم عسكرية لمحاكمة القائمين بالحركة ، أصدر أمراً بإرجاع سعد باشا ورفاقه من النفى وبالتصريح لهم ولمن يريد السفر إلى أوروبا فحصلت مظاهرات فرح كبيرة فى العاصمة بهذه المناسبة ، ولكنها انتهت بتدخل الجنود الإنكليزية وقتل وجرح كثيرين ، كذلك استرضى رشدى باشا بعود (لا تعلم ما هى)

حتى قبل تشكيل وزارة جديدة في ٩ ابريل سنة ١٩١٩ دخل ضمنها عدلى يكن باشا ،  
وعبد الخالق ثروت باشا ، وحسن حسيب باشا ، وجعفر ولى باشا ، ومدحت يكن باشا ،  
وبالطبع لا يتيسر ذكر تفصيل كل ما حصل بمصر أثناء ذلك في هذه المذكرات الصغيرة ،  
ولكن الذى يمكن قوله ، أن هذه الحركة لم تكن في الحسبان ، وأن ما أظهره المصريون  
من التضامن والاتفاق ، ما كان أحد ليحلم به ، خصوصا اشتراك السيدات في المظاهرات ،  
واتفاق الأقباط والمسلمين لدرجة أن قسوسهم كانوا يزورون علماء المسلمين في الجامع  
الأزهر ، والشيخ بحيث نفسه زار بطريرك الأقباط ، وصنع الأهالى بمناسبة هذا الوئام أعلاما  
جديدة وضعوا بها الصليب مع النجمة في الهلال ، وكان المتظاهرون يحملون أعلام جميع  
الدول حتى المحايدة ما عدا العلم الإنكليزى

« ومن أتى من المصريين عقب هذه الحوادث ( الدكتور ) سليم افندى القلعاوى  
الطالب في كلية جنيف ، وكان قد سافر إلى مصر في أوائل صيف سنة ١٩١٤ ، ولما  
أعلنت الحرب منع من العودة مثل كثير غيره ، فقص علينا تفصيلات هذه المظاهرات  
بصورة أحييت الأمل في قلوبنا وأوجدت عندنا الاعتقاد اليقين بأن هذه الأمة العريقة في  
القدم لن تموت مطلقا ، وأنها لا بد حاصلة على استقلالها يوما ما »

وقد وقف الفقيد من الوفد المصرى الذى تألف برياسة سعد زغلول موقفا مشرفا ،  
ضرب فيه المثل الأعلى في الوطنية لمن تزعموا الحركة من بعده ، وبرهن على مبلغ تضحيته  
وإنكاره لذاته في سبيل وحدة الصفوف ، فقد تألف الوفد وهو في منفاه ، وكان تأليفه في  
الجملة من عناصر لا يثق في إخلاصها وثباتها على النضال ، ولا في تمسكها بحقوق البلاد ،  
ومع ذلك ضنّ بالوحدة الوطنية أن تتصدع ، فأثر الوقوف منه موقف التأيد والتعاضيد ،  
على أن هذا الموقف النبيل قد قوبل مع الأسف بنقيضه ، من الوفد وزعيمه ، كتب  
الفقيد عن موقفه من الوفد حين تأليفه ما يأتى : « إني أعتقد أن هذا الوفد لا يتأخر عن  
الاتفاق مع الإنجليز ، لو وجد منهم صدراً رجباً ، ولا يبقى يطالب فعلاً وإخلاص حقيقى  
باستقلال مصر التام إلا حز بنا الحزب الوطنى ، واسكنا لم نرد الآن الظهور بمظهر الانشقاق ،

فأظهرنا رضانا عن هذا الوفد ، وتشجيعنا له ، مع اعتقادنا بعدم إخلاص معظم رجاله ؛ وفي ٢٠ أبريل سنة ١٩١٩ وصل الوفد إلى باريس ، وهو مؤلف من عشرين عضواً تحت رئاسة سعد باشا زغلول ، ولما أطلعت على خبر وصوله أسرعت بتهنئته بتلغراف هذا نصه :

Saluons en vous Patrie absente vous souhaitons plein succès.

« نحبي فيكم الوطن الغائب ونرجو لكم كمال التوفيق والنجاح » ، ولكن سعداً لم يجاوبني على تلغراف التهئة الذي أرسلته إليه »

وكانت آخر رسالة للفقيد إلى الأمة بتاريخ ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٩<sup>(١)</sup> لمناسبة ذكرى احتلال الإنجليز العاصمة سنة ١٨٨٢ ، كتبها من ( تريتيه ) Territé بسويسرا حيث كان يستشفى من مرضه ، قال رحمه الله :

### صوت من وراء البحار

إخواني المصريين الأعزاء :

« إن الصوت الذي يناديكم اليوم لصوت منعه الظروف عن الارتفاع في صحف مصر ، من نحو سبع سنوات ، ولكن منعه عن الارتفاع على ضفاف وادي النيل لم يكن عقبة تعوقه عن الدفاع عن القضية المصرية في عواصم أوروبا ، سواء قبل هذه الحرب ، أو في أثناءها ، أو بعدها »

« إن صوت هذا الضعيف لم يخفت يوماً واحداً ، ولم يتأخر عن القيام بما تفرضه عليه الوطنية طرفة عين ، بل كان يزداد قوة ونشاطاً ، كلما تراكت أمامه الموانع وتكدست العقبات . »

« إن هذا الصوت يناديكم اليوم من وراء البحار ليهنئ الأمة المصرية على تضافرها وتضامننها في المطالبة بحق أمنا للظلمة « مصر » ، لا فرق في ذلك بين أبنائها وبناتها ، مسلمين وأقباط ، مما كان له دوى في أوروبا أخرس المهمين إياهم بالتعصب الديني ، »

(١) نشرت بجريدة ( الأفكار ) عدد ١٦ أكتوبر سنة ١٩١٩ .

وهم يعلمون أنهم لكاذبون ، وقضى القضاء الأخير ، على دعوى أن المصريين اتفقوا على أن لا يتفقوا

« إننى لعاجز عن وصف ما شملنا من السرور نحن معاشر المصريين المقيمين خارج الديار ، عند وصول هذه الأخبار المنعشة إلينا ، ولو أنها كانت تأتينا مقتضبة مبتورة ، حتى أصبح المصرى فى أوروبا على الرأس ، مفتخراً بمصريته أضعاف ما كان يفخر بها قبل الآن

« إننا كنا ننتظر صحف مصر انتظار الظمان للماء ، لنقف منها على أخبار هذه الحركة المباركة ، وهاتيك المظاهرات السلمية ، ونشكر الله على هذه النتيجة الحسنة التى دلت على أن ما ألقاه مؤسسو الحركة الوطنية من البذور فى تلك الأرض الخصبية قد نبت وترعرع ساقه ، ثم أزهر وظهرت ثماره الشبيهة التى قرب زمن جنىها ، كل ذلك بفضل نشاط الشبيبة العاملة ، وإرشاد الشيوخ لها إلى أحسن طريق لجنى أشهى الثمار ، وهو الاستقلال التام ، بفضل جهود الأمة بلا تباطؤ أو تواكل أو اعتماد على الغير ، لا يؤثر فيها غدر السياسيين ، أو نكرانهم لما أعلنوه وأذاعوه من مبادئ عادلة ، استعملت ستاراً لإخفاء مطامع أشعبية تغريراً وتضليلاً ، للوصول إلى استعباد شعوب كريمة لا تطلب إلا أن تعيش فى بلادها آمنة مطمئنة ، صديقة لسواها من الأمم ، وأن تعاملها تلك الأمم معاملة الند لنده ، والقرين لقرينه ، طبقاً لحقوق الأمم الطبيعية وللقانون الدولى ، لكن لا تتطيروا أو تفرحوا لكل ما يصل إليكم ، حتى إذا ماتشعت سحب الأوهام وظهرت شمس الحقيقة ، لا تكون حالكم كالمسافر فى الصحراء ، يرى السراب فيظنه واحات غناء ، فإذا ما وصل إليه لا يجده شيئاً ، وإياكم أن تنسوا عبر التاريخ ، وليكن دائماً أمام أعينكم ، فمنه تعلمون الحقيقة ، ولتنتظروا خاتمة الأعمال لإصدار حكمكم عليها

أيها الأعزاء :

« أكتب هذه السطور اليوم وذكرى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ تملأ فؤادى حزناً وأسى على مصرنا العزيزة ، وما انتابها من الحوادث القاسية على استقلالها ، ولكنى أرى

فجر الأمل يرسم على الأفق خطاً من النور اللامع ، نأمل أن يكون طليعة حريتنا المنشودة  
واستقلالنا المرجو

« فسلام عليك أيها الوطن المفدى ! سلام على النيل وواديه ! سلام على الأهرام وبانيها !  
سلام على خدام مصر الخالصين ! سلام على شهداء الحرية !!! . »  
ترتيبه في ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ « محمد فريد »

تأثرت صحة الفقيد من استمراره في الجهاد والكفاح ، وزادت سنوات النفي ومتاعبه  
في اعتقال صحته ، فمرض بالاستسقاء في مارس سنة ١٩١٨ ، ولم يقعه المرض عن متابعة  
النضال ، فكان كلما أحس من نفسه القوة والقدرة ، عاود العمل للدفاع عن قضية الوطن ،  
ونصح له الأطباء حين اشتد به المرض أن يعدل عن جهاده أو يخفف منه ، ويسالم الاحتلال  
أو يهادنه ، حتى يستطيع العودة إلى مصر ، إذ كانت صحته تقتضي استشفاه بمناخها ،  
وإقامته تحت سمائها ، وقد صار حوه بالخطر على حياته من بقائه في جو أوروبا البارد ، وأن  
صحته لا تتحمل شتاء سنة ١٩١٩ ، ولكنه رفض نصيحتهم ، ولم يقبل أن يتنازل قيد شبر عن  
مبادئه ، وعمل بكلمته الماثورة ، التي قالها سنة ١٩١٠ : « إننا نعرف كيف نصبر على المكاره  
ولكننا لا نعرف التسليم في حقوقنا ولا التنازل عن مطالبنا » ، وظل يجاهد ويناضل ، حتى  
وافاه الأجل المحتوم في برلين ، ففاضت روحه الطاهرة يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ ، مات  
رحمه الله غريباً عن بلده ، نائياً عن الأهل والولد والخلان ، بعيداً عن مصر التي أحبها ،  
وضحى بحياته وماله وروحه من أجلها

وصل نعي الزعيم إلى مصر بطريق البرق مساء يوم ١٧ نوفمبر ، ونشرت الصحف النبأ  
الأليم ، فعمّ الحزن أرجاء البلاد ، ونبه نعيه ضمير الشعب إلى تقدير الزعيم الراحل ، بعد أن  
كاد ينسى فضله ويغمر ذكره بين أمواج الحوادث ، وأخذت الصحف تؤننه بما يستحقه  
مقامه في الحركة الوطنية ، وراثه الشعراء والأدباء بقصائد ومقالات جاءت آية في  
البلاغة ، كما كانت فيض الإخلاص والشعور الصادق بتقدير الفقيد ، وأقيمت عدة  
حفلات لتأبينه



## كلمتي في رثائه

شقَّ عليَّ نعي الزعيم ، وتملكني حزن شديد ، إذ فقدت فيه إمامي في الوطنية ، وشعرت  
بفداحة المصاب وعظم الخسارة التي حلت بالبلاد بوفاته ، في وقت هي أحوج ما تكون إلى  
إخلاصه ، ووطنيته المنزهة عن الأهواء ، البريئة من المطامع الشخصية ، وكتبتُ أثره  
في مقالة نشرت في جريدة (مصر) بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩١٩ ، قلت تحت عنوان (إلى الفقيد  
العظيم . والرئيس الراحل الكريم) :

« اليوم تلبس الوطنية المصرية ثوب الحداد حزنا على أبرأبنائها وأكبر خدامها ، من  
بذل في سبيلها حياته وصحته وماله ، ووقف على خدمتها قلمه ولسانه ، وبيانه وجنانه ، مات  
فريد ، فانطلقا سراج وهاج طالما قرأ المصريون على ضوءه الساطع آيات الإخلاص ودروس  
الشجاعة والثبات ، انطفأت تلك الشعلة الوطنية الفياضة بنور المبادئ العالية ، ذهبت تلك  
النفس الكبيرة التي كانت تبعث في القلوب روح المثابرة والإقدام ، روح الأمل والإيمان ،  
روح التضحية الكبرى ، روح التفاني في خدمة الأوطان

« فإليك أيها الراحل الكريم ترسل الأمة المصرية تحيات الوداع ممزوجة بالدموع  
والعبرات ، وعليك تبكي الوطنية المصرية ، ومن أجلك يخفق قلب مصر حزنا وألما !

« ألا في ذمة الله من تلقيتُ عنه مبادئ الوطنية الأولى ، من كنت أراه في السراء  
والضراء ، في السفر والحضر ، تحت سماء الوطن أو في المنفى ، رافعا لواء الوطنية ، حاملا  
في يمينه مصباح الأمل ، يسير به في كل واد ، وتحت كل سماء ، ينظر به إلى الدنيا ، فتصغر  
في عينه المصائب ، وتتضاءل المتاعب ، في ذمة الله من كان يغالب الدهر ويحتمل الشدائد  
والمصائب وقلبه مملوء قوة و يقينا ، في ذمة الله من جعل حياته كتابا مقدسا تقرأ فيه الأمة  
آيات الجهاد في سبيل الوطن !

« أيها الفقيد العظيم ! في سبيل الوطن تعبت وشقيت ، في سبيله احتملت غضاضة

السجون وآلامها ، في سبيله احتملت الشدائد ، وفارقت الأهل والأبناء ، والإخوان والأصدقاء ، في سبيله أخذت تجوب الأقطار وتنتقل في بلاد الغربية ، فاحتملت هناك ما احتملت ، من تقلبات الأيام ، ومتاعب الحياة ، والحنين إلى الوطن العزيز ، كل ذلك وأنت أنت البطل العظيم الذي يرى كل شدة وكل تضحية في سبيل الوطن واجبا مقدسا

« مرت عليك ثمانية أعوام وأنت بعيد عن مصر بجسمك ، ولكنك كنت قريبا منها بقلبك ، فما كان يخفق إلا لها ، وما كان يهتف إلا باسمها ، وما تعبت وتعذبت إلا في سبيل الدفاع عن حقوقها ، وأخيراً ، لم تستطع قواك البدنية أن تلاحق نفسك العظيمة ، فأضناك المرض وأعيا الداء الأطباء ، ومع ذلك كنت وأنت في شدة المرض وآلامه تنادى باسم مصر وتهتف لها ، كنت تفكر وتكتب ، وتعمل وتجاهد ، إلى أن قضى الله أن تنتقل إلى الرفيق الأعلى ، ففي ذمة الله أيها الفقيه العظيم ! إن حياتك مثل أعلى للمجاهدين في سبيل أوطانهم ، ففي شخصك الكريم تتمثل المثابرة ، والعقيدة الوطنية الراسخة ، وفي تاريخك تتعلم الأمة فضيلة الإقدام ، وتقرأ سطور الإخلاص وانكار الذات

« فالיום تبكيك أمة عرفت لك فضلك الكبير وجهادك العظيم ، تبكيك وأنت بعيد عنها ، وتذكر وهي حزينه ذلك الصوت العالى الذى كان يرتفع من وراء البحار ، مدافعا عن حقوقها ، فيا أسنى على تلك الحياة الكبيرة التى انقضت قبل الأوان ! وواهاً لتلك الشعلة الوطنية التى أطفأها الموت وهى تضىء الأرجاء ، وترسل إلى أعماق القلوب أشعة الأمل ، فتملؤها ثباتا وإقداما !

« إيه ياربوع ( صارى يار ) المظلة على البوسفور ، أيتها الربوع التى قضى بها الفقيه الكبير شطرا من حياته فى منغاه ، ويا ربى سويسرا ومدائنها التى قضى بها معظم أيام جهاده ، ويا أندية جنيف و برن وباريس ولندن والاسطوانة و برلين واستوكهلم ! شاركى مصر فى حدادها ، واذكرى ذلك الراحل الكريم ، فلستم سمعت صوته على أعواد المنابر مناديا بمبادئ الحق والعدل ، مدافعا عن مصر ، يطلب لها وللشعوب الصغيرة الحرية والحياة

« إن حياتك أيها الفقيه العظيم حياة خالدة ، ستبقى نبراسا لأبناء مصر جميعاً

«فسلامٌ عليك يوم جاهدت ، ويوم تغربت ، وسلام عليك يوم انتقلت إلى جوار ربك  
الكريم ، سلام عليك كل يوم ترفرف فيه ذكراك على مصر المجاهدة في سبيل حريتها ،  
سلام عليك يوم يكمل جهادها بالفوز ، وتحقق فوق ربوعها راية الاستقلال !»

« عبد الرحمن الرافعي »

وقد نقل رفات الفقيد إلى مصر في يونيه سنة ١٩٢٠ ، وتحققت بذلك أمنية كانت  
تجول في خاطر كثير من المصريين ، ويرونها فرضا عليهم ، إذا لا يليق بالأمة أن تدع  
رفات زعيمها البار بها ، بعيدا عن أرض الوطن ، بعد أن ضحى بحياته من أجلها ، وجاهد  
بماله وروحه في سبيلها ، وقد شهدت الأمة عناية كبرى من الوفد المصري بنقل رفات الراحل  
عشر طالبا مصريا الذين توفوا في حادثة اصطدام القطار على الحدود النمساوية في مارس  
سنة ١٩٢٠ ، كما سيحيى بيانه ، وبادر إلى نقل جثثهم إلى مصر على نفقته ، ولكنه إلى  
جانب ذلك لم يفكر في نقل رفات الزعيم الشهيد إلى مصر ، حتى قبض الله رجلا من كبار  
النفوس قام وحده بهذا الواجب المقدس ، ذلك هو المرحوم الحاج خليل عفيفي التاجر  
بمدينة الزقازيق ، وقد يأخذك الدهش من أن يؤدي هذا الواجب عن الأمة بأسرها فرد  
ليس من الزعماء ولا من الرؤساء والكبراء ، وكيف لم يتسابق هؤلاء إلى القيام بهذا العمل  
وهم أجدر به من سواهم ، ولكن هكذا قدّر أن يكون الحاج خليل عفيفي هو الذي يضطلع  
بهذه المهمة السامية الجليلة ، فبرهن على أنه كبير في نفسه ، كبير في وطنيته ، وقد تطوع إليها  
من تلقاء نفسه ، غير متأثر بإيعاز أحد ، أو ملييا دعوة أحد ، بل لبى دعوة ضميره ، ورأى  
أنه لا يليق أن يبقى جثمان الزعيم بعيدا عن مصر ، فسافر إلى ألمانيا ، وتولى بنفسه وعلى  
نفقته الخاصة نقل الرفات إلى مصر ، جزاه الله خير الجزاء وأسكنه فسيح جناته

وقد وصلت الباخرة المقلّة لرفات الزعيم إلى الإسكندرية صبيحة يوم الثلاثاء ٨ يونيه  
سنة ١٩٢٠ ، وشيعت جنازته في احتفال مهيب بالإسكندرية ، والقاهرة ، ودفن في مثواه  
الأخير بجوار السيدة نفيسة<sup>(١)</sup>

(١) راجع في تفصيل ما تقدم كتابنا (محمد فريد — تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٠٨ إلى

## الفصل الحادى عشر

### محاكمات الثورة

حفل عهد الثورة بمحاكمات عدة ، حوكم فيها من نسب إليهم تأليف الجمعيات الثورية أو الاعتداء على أفراد القوات البريطانية ورجال البوليس ، أو مقاومة السلطة القائمة بأى شكل ما

وإذ كانت البلاد تحت الأحكام العرفية البريطانية ، فقد كانت المحاكمات كلها عسكرية ، وتمت أمام محاكم عسكرية بريطانية ، وقسمت السلطة العسكرية القطر إلى عدة مناطق ، لكل منها محكمة عسكرية ، وعينت فى كل منطقة ضابطاً أو عدة ضباط سياسيين بريطانيين لجمع التحريات والأدلة ضد من رأت اتهامهم فى حوادث الثورة ، وظلت المحاكمات تجرى أمام المحاكم العسكرية البريطانية ، إلى أن تألفت وزارة محمد سعيد باشا ، فانفقت مع السلطة البريطانية على وقف المحاكمات العسكرية ، وإحالة من لم يحكم عليهم من المتهمين إلى المحاكم الجنائية المصرية ، وكان معظم المحاكمات قد انتهى الفصل فيها ، على أن هذا الوقف كان مؤقتاً ، كما سيجىء بيانه

### قضية ديرمواس

وأهم المحاكمات أمام المحاكم العسكرية البريطانية محاكمة المتهمين فى مقتل الثمانية الضباط والجنود الإنجليز فى القطار بديروط وديرمواس<sup>(١)</sup> يوم ١٨ مارس سنة ١٩١٩ ، وقد تقدم بيانها فى حوادث الثورة بمديرية أسيوط ( ج ١ ص ٢٣٠ ) ، وهى أشد وقائع الثورة عنفاً ، وقد بلغ عدد المتهمين فيها ٩١ شخصاً ، منهم عدد من الأعيان وذوى الأملاك ، وأبنائهم وذويهم ، وثلاثة من ضباط البوليس ، وعمدة ، وشيخا بلدين ، ومحام ، ومدرس ،

(١) سميت قضية ديرمواس لأن معظم القتل حصل فى هذه البلدة

وأربعة من الطلبة ، وجمع من المزارعين والصناع ، وهاك أسماءهم :

- ١ — اليوزباشى أبو المجد افندى محمد الناظر نائب مأمور مركز ديروط ٢ — الملازم الأول عبده افندى ابراهيم ملاحظ بوليس مركز ديروط ٣ — الأستاذ شفيق حنا الحامى
- بديروط ٤ — أحمد بك قرشى أحمد من أعيان صنبو مركز ديروط ٥ — عبد العليم فولى
- مزارع بديروط ٦ — عبد المجيد فولى مزارع بديروط ٧ — محمد مرسي شحاته مزارع
- بديروط ٨ — رزق مراد عبد الله من أهالى ديروط ٩ — محمد مرسي محبوب من أهالى
- ديروط ١٠ — عبد الحكيم عبد الباقي من أهالى ديروط ١١ — فرغلى محمد مبارك من
- أهالى ديروط ١٢ — عبد اللطيف على عبد الله معاون مستشفى ديروط ١٣ — تغيان سليمان
- حسان من أهالى المناشى ١٤ — حافظ سعد ابراهيم من أهالى ديروط ١٥ — عبد الراضى
- حمدان موسى من أهالى ديروط ١٦ — عبد الجابر حمدان موسى من أهالى ديروط
- ١٧ — عبد الباقي على حامد من أهالى ديروط ١٨ — محمد رجب من أهالى أسيوط
- ١٩ — عبد الله محروس فلاح بديروط ٢٠ — عبد الملك فرحات من أهالى بيلاو مركز
- ديروط ٢١ — راغب سويفى على من أهالى ديروط ٢٢ — أبو المجد محمد عبد الله من أهالى
- ديروط ٢٣ — عبد العظيم عوض الله حسن من أهالى ديروط ٢٤ — محمد ابراهيم عبد الله
- من أهالى ديروط ٢٥ — عبد المجيد محمد صالح حامد مزارع بيلاو ٢٦ — قايد حسن
- سلامه من ذوى الأملاك بينى حرام ٢٧ — محمد قايد حسن شيخ بلد بنى حرام
- ٢٨ — عبد الملك سليم ابراهيم شيال بديروط ٢٩ — عبد العال عمر مزارع بديروط
- ٣٠ — راغب عبد العال هلال من أهال ديروط ٣١ — سعيد محمد سعيد خباز بديروط
- ٣٢ — مصطفى مسعود حسنين مزارع بديروط ٣٣ — أحمد مفتاح أحمد من أهالى ديروط
- ٣٤ — محمود مفتاح أحمد من أهالى ديروط ٣٥ — عبد الدايم عبد الرحيم من أهالى ديروط
- ٣٦ — محمد هلالى اسماعيل من أهالى ديروط ٣٧ — عبد الناصر منصور دلال مساحة بنى
- حرام ٣٨ — محمد على مكادى صانع بحرف سرحان ٣٩ — عبد العليم خليفة من أهالى
- ديروط ٤٠ — خليل أبو زيد على ( نجل أبو زيد بك على ) خريج كلية الزراعة بجامعة

- لندن من دير مواس ، ولم يكن مضي على حضوره من إنجلترا غير أيام معدودة ٤١ — محمد  
أبو زيد علي من أعيان دير مواس ( شقيق السابق ) ٤٢ — عبد الملك أبو زيد علي من  
أعيان دير مواس ( شقيق السابقين ) ٤٣ — عبد الرحمن حسن محمود من أعيان دير مواس  
٤٤ — محمد حسن محمود من أعيان دير مواس ٤٥ — عبد الباقي موسى طالب بدير مواس  
٤٦ — محمد علي محمود من أعيان دير مواس ٤٧ — مصطفى افندى حلمي ملاحظ بوليس  
دير مواس ٤٨ — عمر أبو زيد قايد من أعيان دير مواس ٤٩ — عبد العزيز عثمان شرابي  
من أهالي دير مواس ٥٠ — أحمد ابراهيم موسى الصعیدی تاجر بأبوتيج ٥١ — عباس  
عبد العال البحيري خفير ري بدير مواس ٥٢ — عباس عبد العال الفلاح ٥٣ — فريد  
عياد طالب ٥٤ — نجيب جرجس طالب ٥٥ — عبد المنعم سليم طالب ٥٦ — عبد الوهاب  
محمد قايد من دير مواس ٥٧ — أحمد عثمان من دير مواس ٥٨ — أحمد محمد ابراهيم مزارع  
بدير مواس ٥٩ — عبد الجابر أبو العال بدير مواس ٦٠ — الشيخ زرد محمد ناظر مدرسة  
دير مواس الأولية ٦١ — اسماعيل الدباح من أهالي دير مواس ٦٢ — عبد الرحمن مصطفى  
عمدة دير مواس ٦٤ — عبد العزيز عنتر محمد بن شيخ دير مواس ٦٥ — عبد الرشيد  
أبو زيد نبجل عمدة الحسابية ٦٦ — عبد المنعم عبد الجليل خفير بدير مواس ٦٧ — كامل  
حنا عبد السيد من ذوى الأملاك بدير مواس ٦٨ — هلالى على منصور من أهالي  
دير مواس ٦٩ — زهران دكرورى من أهالي دير مواس ٧٠ — عبد العزيز عبد السلام  
مزارع بدير مواس ٧١ — بدر عبد الصمد مدفعى سابق بدير مواس ٧٢ — قاسم محمد قايد  
٧٣ — حسان مشرقى من أهالي ديروط ٧٤ — أبو القمصان من أهالي ديروط  
٧٥ — ثابت السيد الطباخ من أهالي ديروط — محمود أبو العال مزارع ٧٧ — سيف  
أحمد عبد الله الغرابي ٧٨ محمد جاد بدير مواس ٧٩ — هلالى جنيدى مزارع بدير مواس  
٨٠ — عبد السلام أبو العال من بنى عمران ٨١ — عبد العال أبو زيد أحمد خفير ببني  
عمران ٨٢ — محمد حسين من منفوط ٧٣ — محمد ابراهيم عبيد من منفوط ٨٤ — محمد  
احمد نصار ( توفى قبل المحاكمة ) ٨٥ — عطيه ابراهيم توفى قبل المحاكمة ٨٦ — منا بدوى

إبراهيم وكيل شيخ خفر دير مواس ٨٧ — محمد إبراهيم خفير دير مواس ٨٨ — عبد النعيم  
عبد السميع خفير دير مواس ٨٩ — عبد الحفيظ محمود من أهالي دير مواس ٩٠ — أحمد  
خليل إبراهيم شيخ خفر سابق بدير مواس ٩١ — محفوظ جاد

وكانت تهمتهم التي قدموا بها إلى المحكمة أنهم في يوم ١٨ مارس سنة ١٩١٩ بديروط  
ودير مواس قتلوا أو ساعدوا على قتل بعض الضباط والجنود البريطانيين بالقطار ، وأنهم  
تجهروا مسلحين بالنبايت والعصى والطوب وأسلحة أخرى بقصد مهاجمة البريطانيين الذين  
قد يوجدون في القطار عند وصوله إلى ديروط ودير مواس

وبدأ نظر هذه القضية أمام المحكمة العسكرية البريطانية العليا التي انعقدت بأسيوط  
ابتداء من يوم ١٧ مايو سنة ١٩١٩ ، وكانت مؤلفة من سبعة أعضاء من ضباط الجيش  
البريطاني ، برئاسة اللتنتنت كولونل دونس Downes ، وتولى الدفاع عن المتهمين جمع كبير  
من المحامين المصريين والإنجليز ، وسمعت المحكمة شهادة ٥١ شاهد إثبات ، ونحو ١٥٥  
شاهد نفي ، وانتهت المحاكمة يوم ١٩ يونيو

## الحكم

وقضت المحكمة بالإعدام على واحد وخمسين شخصاً ، وعفا القائد العام عن واحد  
منهم ، وعدّل عقوبة الإعدام إلى الأشغال الشاقة بالنسبة لعشرة ، وبعده وساطة رئيس  
الوزراء ( محمد سعيد باشا ) عدّلها أيضاً بالنسبة لستة آخرين ، ونفذ حكم الإعدام في الباقين ،  
وعدددهم ٣٤ أربعة وثلاثون ، بالتفصيل الآتي :

### المحكوم عليهم بالإعدام ، عدددهم ٥١ ، وهم

١ — عبد العليم فولى ٢ — عبد المجيد فولى ٣ — محمد مرسي شحاته ٤ — رزق  
مراد عبد الله ( سنه ٧٠ سنة وأوصت المحكمة بالعمو عنه وعدّل الحكم إلى الأشغال الشاقة  
المؤبدة ) ٥ — محمد مرسي محبوب ٦ — عبد الحكيم عبد الباقي ٧ — فرغلي محمد مبارك

- ٨ — عبد اللطيف على عبد الله ٩ — تغيان سليمان حسان ١٠ — حافظ سعد ابراهيم (عدّل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة) ١١ — عبد الراضى حمدان موسى (عدّل إلى الأشغال الشاقة ١٥ سنة) ١٢ — عبد الجابر حمدان موسى ١٣ — عبد الباقي على حامد ١٤ — عبد الله محروس ١٥ — عبد الملك فرحات ١٦ — راغب سويني على ١٧ — أبو المجد محمد عبد الله ١٨ — عبد العظيم عوض الله حسن (عدّل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة) ١٩ — عبد الملك سليم ابراهيم ٢٠ — راغب عبد العال هلال ٢١ — أحمد مفتاح أحمد (عدّل إلى الأشغال الشاقة ١٥ سنة) ٢٢ — محمود مفتاح أحمد (سنة ١٨ سنة ، وأوصت المحكمة بالعمو عنه ، ومع ذلك عدّل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة) ٢٣ — عبد الدايم عبد الرحيم ٢٤ — محمد هلالى اسماعيل (عدّل إلى الأشغال الشاقة ١٥ سنة) ٢٥ — محمد على مكادى ٢٦ — خليل أبو زيد على (خريج جامعة لندن) ٢٧ — محمد أبو زيد على (عدّل إلى الأشغال الشاقة ١٥ سنة) ٢٨ — عبد الملك أبو زيد على (ألغى القائد العام الحكم بالنسبة له وعفا عنه) ٢٩ — عبد الرحمن حسن محمود ٣٠ — محمد حسن محمود (عدّل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة) ٣١ — محمد على محمود (عدّل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة) ٣٢ — عمر أبو زيد قايد (عدّل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة) ٣٣ — عبد العزيز عثمان شرابي ٣٤ — أحمد ابراهيم موسى الصعيدى ٣٥ — عباس عبد العال البحيرى ٣٦ — عباس عبد العال الفلاح ٣٧ — عبد الوهاب محمد قايد (عدّل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة) ٣٨ — أحمد عثمان ٣٩ — أحمد محمد ابراهيم ٤٠ — عبد الجابر أبو العال ٤١ — اسماعيل الدباح ٤٢ — على جنيدى محمد (عدّل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة) ٤٣ — عبد المنعم عبد الجليل (عدّل إلى الأشغال الشاقة ٥ سنوات) ٤٤ — قاسم محمد فايد ٤٥ — حسان مشرقى (طلبت المحكمة العفو عنه لصغر سنه وعدّل الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة) ٤٦ — محمد أبو العال ٤٧ — سيف أحمد عبد الله الغرابى ٤٨ — محمد جاد (عدّل إلى الأشغال الشاقة ١٥ سنة) ٤٩ — هلالى جنيدى ٥٠ — عبد السلام أبو العال ٥١ — محمد ابراهيم عبيد



## أحكام أخرى في القضية

وحكم على أبو المجد افندى محمد الناظر نائب المأمور ومصطفى افندى حاسى ملاحظ بوليس ديرمواس بالحبس سنتين ، وبجلد عبد العال عمر عشر جلدات ، وعلى عبد العزيز عنتر محمدين ، وعبد الرشيد أبو زيد بغرامة ٤٥ جنيه أو الحبس ستة شهور ، وبراءة الباقين

## قضية مأمور بندر أسيوط

وحوكم البكباشى محمد كامل محمد مأمور بندر أسيوط أمام المحكمة العسكرية بأسيوط لاتهامه بالتحريض على مهاجمة البريطانيين وتسليحه الثوار بينادق البوليس والخفر يوم ٢٣ مارس سنة ١٩١٩ ، أى يوم الهجوم الذى وقع ضد الحامية البريطانية ، وقد دفع التهمة عن نفسه بأن جموع المتظاهرين هاجموا البندر فى هذا اليوم ، وطلبوا منه تسليمهم أسلحة البوليس والخفراء ، فاتصل تليفونياً بالمدير (محمد علام باشا) فنصح له بعدم مقاومتهم فتركهم يقتحمون البندر واستولوا على الأسلحة ، واستشهد على هذه الواقعة بالمدير ، ولكن جاءت شهادة المدير على غير ما أكده المأمور ، وما دلت عليه القران ، وأضيف إلى شهادتهما شهادة بعض المرتزقة الذين تصيدتهم السلطة العسكرية ، فحكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام ، وكان من خيار الموظفين استقامة وأخلاقاً ، وقامت وفود عدة من أسيوط إلى القاهرة لتخفيف الحكم عنه ، ولكن ذهبت مساعيهم عبثاً ، وصدق القائد العام على حكم الإعدام ، ونفذ فيه رمياً بالرصاص يوم الثلاثاء ١٠ يونيه سنة ١٩١٩

## قضية الواسطى

حوكم المتهمون بقتل المستر آرثر سميث من كبار موظفى مصلحة السكة الحديدية فى القطار عند وصوله إلى الواسطى يوم ١٥ مارس سنة ١٩١٩ ( انظر ج ١ ص ٢٢٦ ) أمام محكمة عسكرية عقدت بالواسطى فى شهر يونيه ، وكانت هذه القضية من أهم القضايا ، ووقائعها تشبه

بعض الشبه وقائع دير مواس ، وقدم فيها للمحاكمة أحد عشر شخصاً ، اتهم منهم ثمانية بارتكاب القتل ، وهم : أمين عبد القادر . عبد السيد شحاته محمد شحاته . محمد ابراهيم خالد . بدوى الديب . عبد الجواد جابر . عبد الله أبو زيد . عبد المحسن خالد ، واتهم ثلاثة آخرون بمساعدة القاتلين ، ومشاركتهم فى الجريمة ، وهم : أمين بك الريدى . السيد خالد . جابر ابراهيم

وقد حكم فى هذه القضية — بعد تعديل القائد العام — بالإعدام على كل من : عبد السيد شحاته . أمين عبد القادر . عبد الله أبو زيد . ونفذ فيهم الحكم ، وبالأشغال الشاقة المؤبدة على أمين بك الريدى ، وبها لمدة خمس عشرة سنة على بدوى الديب ، وبراءة الباقين

#### قضية « شلش »

هى قضية الهجوم على إحدى البواخر النيلية التى كانت تقل النجديات البريطانية إلى أسيوط ، وقد وقع هذا الهجوم تجاه بلدة « شلش » بمركز ديروط كما تقدم بيانه فى الفصل السادس ( ج ١ ص ٢٣١ ) ، وكان من المتهمين فيها : زين قرشى . وأحمد قرشى . والأستاذ شفيق حنا . والبكباشى عبد السلام فهمى ، وقد حكم فيها بالأشغال الشاقة عشر سنوات على زين قرشى ، وبراءة الباقين

#### قضية « صنبو »

هى قضية الهجوم الثالث على البواخر النيلية الذى تقدم بيانه ( ج ١ ص ٢٣١ ) ، وقد كان المهاجمون من البلاد التابعة لنقطة « صنبو » بمركز ديروط ، ولذلك عرفت بقضية « صنبو » ، وقد حكم فيها بالسجن أربع سنوات على الملازم الأول محمد حسين أحمد السبع

#### قضية ملوى

حوكم فيها كل من : أحمد لطفى محام بملوى . ( الدكتور ) محمد أبو زيد تونى طالب

ثانوى . محمد حشمت طالب ثانوى . عبد الهادى عبد الرحمن سالم طالب ثانوى . حسين حافظ سالم طالب ثانوى . احمد محمود السلامونى طالب . احمد الفخرانى تاجر بملوى . جبالى عزام من أهالى ملوى . محمد على صاحب مطعم بملوى . درويش مصطفى من أهالى ملوى . محمد سعد الوردانى من أهالى ملوى . اسماعيل الوردانى تاجر بملوى . عباس احمد تاجر بملوى ، وقد آتهموا بتأليف جمعية سرية للتحريض على قطع السكك الحديدية وتخريب الأملاك الحكومية ، والتحريض على المظاهرات وعلى قتل بعض الإنجليز ، ونظرت قضيتهم أمام المحكمة العليا العسكرية بأسبوط ، وقضى فيها بالإعدام على كل من : درويش مصطفى . محمد سعد الوردانى . اسماعيل الوردانى ، ونفذ فيهم الحكم ، وبالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات على كل من محمد على . عباس احمد . وبراءة الباقين

### قضية المنيا

ونظرت محكمة عسكرية أخرى فى المنيا قضية كل من : الدكتور محمود عبد الرازق بك وتوفيق بك اسماعيل . والأستاذ رياض الجمل الحامى . والشيخ احمد حتاته الحامى الشرعى . وحسن على طراف . ومحمد رحى ، وهم من أعضاء اللجنة الوطنية التى تألفت بالمنيا فى إبان الثورة للمحافظة على الأمن والنظام ، وكانت تهمتهم أنهم اغتصبوا سلطة الحكومة ، وتفرع عن هذه التهمة الأساسية عدة تهم أخرى ، واستمرت المحاكمة عدة أيام ، وحكم فيها ( بعد تعديل الحكم ) بالسجن ١٥ سنة على الشيخ احمد حتاته و١٠ سنوات على الأستاذ رياض الجمل وثلاث سنوات على الدكتور محمود عبد الرازق بك ، وستين على توفيق بك اسماعيل مع تفريره ألف جنيه . وسنة على حسن على طراف مع تفريره ٥٠٠ جنيه . وستة أشهر على محمد رحى مع تفريره ٥٠٠ جنيه

وانتحر محمد بك حمدى وكيل المديرية فى سجنه ، إذ يئس من أن يأخذ العدل مجراه ، فأثر الموت على محاكمة مزيفة

### قضية فاقوس

وحوكم جماعة من أعيان فاقوس إذ نسب إليهم التحريض والاشتراك في الاضطرابات التي وقعت في فاقوس من ١٥ مارس إلى ٢١ منه ، وأدت إلى تدمير الخط الحديدي والكوبرى المقام على ترعة البحر ومهاجمة المركز والاستيلاء على ما فيه من السلاح ، والتجمهر ، واتهم فيها كل من : سليمان بك مصطفى خليل . محمد على المستى . عبد العزيز عبدون . السيد الاسكندراني . محمد غنيم عبدون . حسن عبدون . على بك مصطفى خليل . عيداروس زيد جمعه ، وحكم بالإعدام على الأول واستبدل بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وعلى الثالث بالإعدام واستبدل بالأشغال الشاقة ١٥ سنة . وحكم ( بعد تعديل الحكم ) على الثانى والرابع بالسجن ثلاث سنوات . وعلى الخامس بالسجن خمس سنوات ، وبراءة الباقين .

### قضية رشيد

تقدم الكلام في الفصل السادس ( ج ١ ص ٢١٤ ) عن الحوادث التي وقعت في رشيد يوم ١٧ مارس سنة ١٩١٩ واعتقال تسعين شخصاً من أهلها ممن اتهموا في هذه الحوادث بإحراق المركز وتخريب السكة الحديدية والاعتداء على المأمور والتجمهر ، وقد أحيل ستون منهم إلى محكمة عسكرية بريطانية انعقدت بالإسكندرية في شهر ابريل . وانتهت المحاكمة بالحكم على أربعة وأربعين منهم بالأشغال الشاقة أو الحبس لمدة تتراوح بين خمس سنوات وسنة أو أقل ، وهالك أسماء المحكوم عليهم وبيان الأحكام الصادرة عليهم :

المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات عن تهمة تخريب السكة الحديدية :  
عبد العزيز محمد سمك طالب والآن تاجر برشيد . محمود الطويل . احمد خليل كرات .  
محمد ماضى . أبو النصر طيخة . سعد محمد عبد العال الأشقر . احمد البزم . محمد محمد كمونة .  
عبد المنفلوطى . محمد الخضر جى

المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات : مصطفى الإبيارى . احمد زيدان

المباريدى . محمد زردق . بسيونى عطا . احمد الزهار . محمد عزيمى الصياد ( طالب ) . على على  
الرزى . حسين الكسبرى . على على أبو سليم . على على دياب . محمد محمد البحرى . فرج  
فرج أبو دياب . عبد الفتاح ترك

المحكوم عليهم بالحبس سنة : عبد الحميد سمك تاجر . عبده القرزق تاجر . السيد منسى

تاجر . حسن على الفشن

المحكوم عليهم بالحبس لأقل من سنة : محمد محمد سمك تاجر وعضو المجلس المحلى .

مرسى نجيب القرزق تاجر . عبد الحكيم الجارم تاجر وموظف الآن بينك مصر . عبد الحسن

شهاب تاجر . احمد حراز تاجر . عبد الحلیم جبرى تاجر . رائف كمال فضلى . سيد احمد احمد

بريش . محمود ابراهيم عجلان . ابراهيم الدنف . على الأنكة . محمد على الفشن . عبده السيد .

جمعه يوسف مراد . محمد العيونى . على فايد . حسن البربرى

### قضية قلوب

حوكم المتهمون بحوادث تخريب محطة قلوب وخلع قضبان السكك الحديدية بها يوم ١٥

مارس ، وقد تمت محاكمتهم أمام محكمة عسكرية عقدت جلساتها بالقاهرة يوم ٣ ابريل

والأيام التالية ، وانتهت المحاكمة يوم ١٠ ابريل ببراءة عبد الفتاح أحمد عبد الرحمن .

وعبد الحميد اسماعيل أبوزهرة . وبمعاينة كل من :

١ — ابراهيم الأفتش بالأشغال الشاقة ١٠ سنوات ٢ — عبد الرحمن ابراهيم

عبد الدايم ٣ — سعيد أبو العز ٤ — عبد الباقي على عبد الباقي ٥ — إمام على الشرشبي

٦ — محمد حسنين يونس ٧ — حمزة أحمد هلال بالأشغال الشاقة خمس سنوات ٨ — متولى

السيد أبو حور ٩ — يحيى مصطفى عبد التواب بالأشغال الشاقة ١٢ سنة

وقد خفف القائد العام لقسم القاهرة العقوبة المحكوم بها على كل من عبد الرحمن

إبراهيم عبد الدايم وسعيد أبو العز . وعبد الباقي على عبد الباقي . ومحمد حسنين يونس . وحمزة

أحمد هلال . فجعلها السجن مع الشغل لمدة ثلاث سنوات

وحوكم يحيى مصطفى عبد التواب بتهمة قتله جنديا بريطانيا بقلوب يوم ١٥ مارس ،  
فحكم عليه بالإعدام شنقا ، ونفذ فيه الحكم يوم ١٩ مايو

### قضايا أخرى

نذكر فيما يلي خلاصة الأحكام الصادرة في قضايا أخرى من قضايا الثورة

### في القاهرة

حكم بالأشغال الشاقة خمس سنوات على محمد رفعت الميزاني بتهمة أنه ألقى خطاباً مهيبة  
يوم ١٢ ابريل وقد عدله القائد العام إلى الأشغال الشاقة لمدة سنة

وحكم على عثمان منصور بالأشغال الشاقة خمس سنوات بتهمة أنه خلع عجلات الترام  
في مصر الجديدة ( هليو بوليس ) يوم ١٦ مارس ، وعدله القائد العام إلى الحبس لمدة سنتين  
وحكم بالأشغال على محمد أمين رأفت بالحبس سبع سنوات بتهمة أنه حصل مالا لجمعية  
« اليد السوداء » في السكك الحديدية يوم ٣٠ مارس . وعلى أحمد مصطفى حنفي بالأشغال  
الشاقة خمس سنوات بنفس التهمة ، وعدله القائد العام إلى الأشغال الشاقة لمدة  
ثلاث سنوات

وحكم على رفائيل سليمان بالسجن سنة بتهمة أنه اشترى أسلحة في نفيشة

وحكم على على معوض بالسجن ١٥ سنة بتهمة أنه قاد جماعة من الإرهابيين وتهدد  
الأوروبيين بالقتل وعدل الحكم إلى ثمانى سنوات

وحكم على محمد حسن الجزاوى بالسجن أربعة أشهر بتهمة أنه أتلف المواصلات التليفونية  
وحرض العمال على الثورة

وحكم على محمد فؤاد عفت بالسجن ثمانية أشهر بتهمة أنه أتلف المواصلات التليفونية  
وحرض العمال على الإضراب

وحكم على يوسف عبد الغفار بالأشغال الشاقة عشر سنوات بتهمة أنه حرّض على الثورة

وحض موظفى الحكومة على الإضراب . وعدل الحكم إلى سبع سنوات  
وحكم على ابراهيم محمد العطار بالأشغال الشاقة ٢٠ سنة ، ثم خفض إلى ١٥ بتهمة  
نه ضرب موظفا بالسكة الحديدية ، وضرب صف ضابط بريطانى  
وحكم على على حسن سليمان بالأشغال الشاقة سنتين بتهمة أنه حاول شراء أسلحة نارية  
في معسكر الأهرام  
وحكم على محمد على وعلى غنيم وحسين محمد بالأشغال الشاقة سنتين ، ثم خفض إلى  
سنة لمحاولتهما شراء أسلحة نارية بالحوامدية  
وحكم على عبد الحميد حسن بالأشغال الشاقة ١٥ سنة وخفض إلى عشر لطلبه مالا  
لجمعية « اليد السوداء » وضبط سلاح معه  
وحكم على محمد صدق أحد موظفى السكة الحديدية بالحبس سبع سنوات بتهمة أنه أتلف  
عمداً صهر يجماً بقصد تعطيل المواصلات في بولاق يوم ١٨ مارس سنة ١٩١٩  
وحوكم ابراهيم الياهو أحد رجال البوليس السرى ، بتهمة أنه قتل غلاما وشرع في قتل  
رجل يوم ١٤ مايو سنة ١٩١٩ ؛ بأن أطلق عليهما الرصاص من مسدسه في حى اليهود على  
اثر حفر خندق في الشارع ، وكان المتهم يعمل كمرشد لدورية من الجنود البريطانيين ، ثم  
أطلق سراحه بعد محاكمة طويلة ، بحجة أنه لم يثبت عليه أنه سبب وفاة الجنى عليه ، وأنه  
كان يدافع عن نفسه !  
وعدا ما تقدم ، نظرت المحاكم الجزئية العسكرية عدداً كبيراً من القضايا حكم فيها  
بالحبس مدداً لم تزد على سنتين

### في الإسكندرية

حكم على احمد محمد عمر بالأشغال الشاقة ١٢ سنة بتهمة أنه أمر بصنع أربعة آلاف كرة  
من الحديد لمهاجمة الجنود ، وأنه فتح في هذه الكرات ثقوبا لتركب في عصي ، وأنه ينتمى

إلى جمعية عرفت باسم « جمعية العمال » ، واتهم رئيس الجمعية ووكيلها وسكرتيرها بإخفاء هذه المؤامرة وحكم على كل منهم بالحبس سنتين ونصف سنة

### في الغربية

حكم على مصطفى شيداوى من كفر الشيخ بالإعدام بتهمة أنه أطلق الرصاص على شخص أدى شهادة أمام المحكمة العسكرية ، وقد شفى المصاب من جراحه

وحكم على إبراهيم شلبي بالإعدام في حوادث سمنود التي وقعت يوم ١٨ مارس ، وقتل فيها الملازم الأول إبراهيم محمد عمار ملاحظ بوليس سمنود ( ج ١ ص ٢١٧ ) ، وقد اتهم المذكور بقتله ، ونفذ فيه الحكم

وحكم على أحمد يوسف عاشور بالإعدام بتهمة أنه أطلق النار على الجنود البريطانيين في كفر الشيخ وقد عدله القائد العام إلى الأشغال الشاقة المؤبدة

وحوكم رؤساء مظاهرات كفر الشيخ التي حدثت في مارس سنة ١٩١٩ أمام محكمة عسكرية بريطانية عقدت بطنطا وحكمت عليهم بالحبس ستة أشهر

### في أسيوط والمنيا وبنى سويف

حكم على مصطفى فرويز بالحبس ثمانى سنوات والجلد ٤٠ جلدة وعدل القائد العام الحبس إلى ثلاث سنوات بتهمة أنه اشترك يوم ٢٣ مارس سنة ١٩١٩ بأسيوط في مظاهرة تقلد فيها المتظاهرون السلاح وهدد مفتش الداخلية بالقتل

وحوكم الأستاذ محمود بسيونى ( رئيس مجلس الشيوخ فيما بعد ) بتهمة التحريض على الثورة وحكم ببراءته

وحوكم عبد العزيز افندى النحاس معاون البوليس بتهمة توزيع أوراق ثورية بأسيوط يوم ٢١ أبريل، وحكم ببراءته



وحكم على الأستاذ محمد نجيب سرى بالحبس خمس عشرة سنة بتهمة التحريض على قلب نظام الحكومة

وحكم على احمد افندى محمد أنيس ناظر مدرسة أبو قرقاص بالأشغال الشاقة المؤبدة بتهمة أنه حرض جماعة من الثوار على قتل الإنجليز من يوم ١٦ مارس إلى ١٩ منه ، ويدخل في هذه المدة اليوم الذى وقعت فيه حادثة ديروط ودير مواس

وحكم على الباشجاويش محمد عبد العظيم بالحبس ثمانى سنوات ، والصول سيد ججاج بالحبس أربع سنوات ، بتهمة أن أولها أخل بالواجبات العسكرية ، والثانى حرض الجمهور على الشعب فى أسيوط ، وعدل القائد العام الحكم إلى خمس سنوات للأول ، وستين للثانى بسبب أن مسلكتهما كان بناء على أوامر مأمور البندر الذى حكم عليه بالإعدام

وحكم على إبراهيم أفندى شاكر ملاحظ بوليس تقطة ( مطاى ) بالأشغال الشاقة مدة خمس عشرة سنة . وعلى سيد أفندى ابراهيم معاون الإدارة بها بالأشغال الشاقة مدة اثنتى عشرة سنة ، بتهمة أنهما حرضا الأهلين على الاعتداء على الجنود البريطانيين وتدمير السكة الحديدية فى منشأة مطاى من يوم ١٥ مارس سنة ١٩١٩ إلى ٢٠ منه

وحكم على أحمد هندی ونور الدين وحافظ سعودى من أهالى مطاى ، الأول والثانى بالسجن خمس سنوات ، والثالث بالسجن ثلاث سنوات ، بتهمة تخريب محطة مطاى

وحكم على عبد العليم ابراهيم عمدة المنصورة ( المنيا ) بالحبس خمس سنوات وغرامة مائة جنيه بتهمة أنه حرض أهل بلدته على التظاهر بين ١٩ و ٢٠ مارس ، وجاء بهم فعلا إلى المنيا لهذا الغرض ، وحكم على كثيرين بالحبس مدداً تتراوح بين ثلاثة أشهر وثلاث سنوات لاتهمهم بأعمال الشعب

وحكم على محمد محمد عبد الوهاب بالحبس مع الأشغال الشاقة سبع سنوات بتهمة أنه فى يوم ٢٥ أبريل حرض مستخدمى السكة الحديدية على الإضراب وإفلاق الأمن العام ، وأنه مرسل خصيصاً لهذا الغرض من القاهرة

وحكم على جاد دياب بالأشغال الشاقة المؤبدة وعدلها القائد العام إلى ١٥ سنة بتهمة أنه ألقى خطاباً مهيبة ، وأذاع منشورات لجمعية « اليد السوداء » وحض على مهاجمة الجنود البريطانيين في أبو قرقاص ، وعلى حسين خليفة بالأشغال الشاقة خمس سنوات بتهمة اشتراكه في الشعب بالمنيا يوم ٢٦ مارس ، وعدل القائد العام الحكم إلى الحبس سنتين وفي بني سويف حكم على محمد احمد بهاء بالإعدام لأنه حاول تحطيم قطار عسكري بجوار الواسطى

وحكم على شخصين بالحبس مع الأشغال الشاقة سبع سنوات ، وعلى أربعة آخرين بالحبس خمس سنوات بتهمة إلقاءهم خطاباً تنطوي على التحريض على الثورة ، وذلك بين ١٨ مارس و٢٥ عنه ، وعدل القائد العام الحكم إلى سنتين

وحكم على على بيومي وابنه توفيق بالأشغال الشاقة عشر سنوات للأول ، وسبع سنوات للثاني بتهمة اعتدائهما بضرب أحد الجنود ، وعدل القائد العام الحكم إلى خمس سنوات للأول وستين للثاني

وعلى محمد مرزوق ، وسيد على عيسى ، بالأشغال الشاقة عشر سنوات وعشرين جلدة لإطلاقهما النار على الجنود

### في كوم امبو

وحكم على حامد حسين بالحبس اثنتي عشرة سنة عدلها القائد العام إلى خمس بتهمة أنه حرض الجمهور على الثورة ، وهدد ضابطاً بريطانيا ، وحاول إغراء « مراسلته » السوداني على ترك خدمته

### قضية عبد الرحمن فهمي بك ومن معه

قلنا إنه لما تألفت وزارة محمد سعيد باشا انفقت مع السلطة البريطانية في يولييه سنة ١٩١٩ على وقف المحاكمات العسكرية ، وإحالة من لم يحكم عليهم بعد من المتهمين إلى المحاكم الجنائية

الوطنية ، ولقد كان هذا الوقف مؤقتاً ، إذ أن المحكمة العسكرية عادت إلى العمل بعد انقضاء عام على هذا الاتفاق ، وذلك في قضية المؤامرة الكبرى التي اتهم فيها عبد الرحمن فهمى بك وآخرون ، وحوكموا في شهر يوليو — أكتوبر سنة ١٩٢٠ ، وكانت هذه القضية من أكبر المحاكمات في عهد الثورة

وقد يتساءل الإنسان عن السبب الذي من أجله عادت السلطات البريطانية إلى المحاكمات العسكرية بعد أن اتفقت مع الحكومة على وقفها ، ومضى عام على هذا الاتفاق وأغلب الظن أنها لم تطمئن إلى المحاكم المصرية ، في أن تأخذ عناصر الثورة بالشدة والقسوة التي تبتغيها ، فرجعت إلى « محاكمها العسكرية » ، وهذا ولا شك مما يشرف قضاءنا المصري

ولقد أرادت من اتهام عبد الرحمن فهمى بك ومن معه أن تحيط بالعناصر التي تراها أكثر نشاطاً في الحركة الثورية ، فتتقضى عليها عن طريق المحاكمة ، وأرادت من ناحية أخرى أن تؤثر في سير المفاوضات بين الوفد المصري ولجنة ملنر<sup>(١)</sup> ، وفي نفسية الأمة عامة بإزاء هذه المفاوضات وإزاء مشروع المعاهدة بين مصر وإنجلترا ( مشروع ملنر ) ، فليس يخفى أن الدعوة إلى هذه المفاوضات بدأت في شهر مايو سنة ١٩٢٠ ، وسافر الوفد إلى لندن للمفاوضة مع لجنة ملنر في يونيو ، وانتهت المفاوضات بعرض مشروع ملنر على الوفد في أغسطس من هذه السنة ، ورأى الوفد أن يستشير الأمة في هذا المشروع ، فحدثت الاستشارة في شهر سبتمبر ، ومن غريب الملاحظات أن تحقيق السلطة العسكرية في قضية عبد الرحمن فهمى بك بدأ أيضاً في مايو سنة ١٩٢٠ ، وأحيل المتهمون إلى المحكمة العسكرية التي انعقدت في يولييه ، واستمرت المحاكمة نحو ثلاثة أشهر حتى ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٠ ، وكانت المحاكمة على أشدها في الوقت الذي عرض فيه مشروع ملنر على الوفد ثم على الأمة ، وهذا ولا شك لم يكن من قبيل المصادفات ، بل هي ملائمتان وتدابير ، تدل على أن الغرض السياسي من هذه المحاكمة هو التأثير في سير المفاوضات لجلل جمهرة الرأي العام على التساهل في أمر مشروع ملنر وقبوله ،

(١) سيرد الكلام عن هذه المفاوضات في الفصل الثالث عشر

تخلصاً من وطأة الأحكام العرفية والمحاكمات العسكرية التي كانت تهدد كل مشتغل بالحركة الوطنية ، وقد كانت هذه المحاكمة ، وما أحاطها من ظروف الرهبة ، والقلق على مصير المتهمين ، من العوامل التي مالت بالكثيرين إلى قبول المشروع في مجموعته ، لأن مثل هذه المحاكمة ، فضلاً عن وجود الاحتلال البريطاني ، وقيام الأحكام العرفية في البلاد — كل ذلك كان من وسائل الإكراه التي وقعت على البلاد ، حين عرض المشروع عليها

أما موضوع هذه القضية ، فهو أن السلطة العسكرية اتهمت في مايو سنة ١٩٢٠ عبد الرحمن فهمي بك وسبعة وعشرين معه بأنهم أعضاء في جماعة سُميت « جمعية الانتقام » كان الغرض منها خلع عظمة السلطان وقلب حكومته والتحريض على العصيان والقتل ، وقام الاتهام على شهادة شخص يدعى عبد الظاهر السالموطي ، قيل أنه كان ضمن أعضاء الجمعية وخانهم وأفشى سرهم ، والواقع أنه جاسوس مأجور ، وبلغ عدد المتهمين في هذه القضية ثمانية وعشرين وهم : عبد الرحمن فهمي بك . علي هنداوي طالب بالأزهر . محمد لطفي المسلمي طالب حقوق . حسني الشنتناوي طالب ثانوي . توفيق صليب طالب بمدرسة الأقباط . محمد حلمي الجيار طالب طب . منير جرجس عبد الشهيد طالب بمدرسة الأقباط . حامد المليجي صحفي . إبراهيم عبد الهادي طالب حقوق . محمود عبد السلام مدرس . كامل أحمد ثابت خريج الحقوق . كامل جرجس عبد الشهيد طالب حقوق . عبد الحلیم عابدين طالب حقوق . محمد إبراهيم سليمان طالب بمعهد الإسكندرية . محمد عبد الرحمن الجديلي خريج القضاء الشرعي . محمد سامي سكرتير الأمير محمد داود . ياقوت عبد النبي طالب ثانوي . عبد العزيز حسن هندي طالب ثانوي . محمد يوسف . قرياقص ميخائيل صحفي . صالح حسن شلبي . محمد الميرغني النجار . حافظ محمود عواد مزارع . محمد حسن البشيشي المحامي . محمد المصيلحي طالب بالجامع الأحمدي . عاذر غبريال . ناشد غبريال . أنيس سليمان عامل بالسكك الحديدية بالسويس

وقد حوكموا أمام محكمة عسكرية بريطانية عليا مؤلفة من خمسة ضباط برئاسة البريجادير

جنرال لوصون ، وكان القاضى المستشار المستر ثورب من قضاة المحاكم الوطنية ، وتولى رفع الدعوى العمومية المستر مكسويل ، ودافع عن المتهمين جمع كبير من المحامين المصريين والانجليز عقدت المحكمة جلساتها بقاعة الجلسات الكبرى بمحكمة الاستئناف الوطنية ، وبدأت في نظر القضية يوم الثلاثاء ٢٠ يوليه سنة ١٩٢٠ ، واختصت بأعظم قسط من اهتمام الرأى العام ، وفاضت الصحف بتفاصيل المحاكمة ، وكانت حديث الناس في المحافل والجالس والمقاهى والأندية ، وظلت المحكمة العسكرية تنظر القضية وتعقد جلساتها نحو ثلاثة أشهر حتى يوم ١٦ أكتوبر ، حيث أعلنت انتهاء المحاكمة وبراءة منير جرجس عبد الشهيد وأئيس سليمان وقر ياقص ميخائيل ومحمد الميرغنى ، وإدانة الباقين ، وعرض الحكم على القائد العام للتصديق عليه ولم تعلن الأحكام إلا في فبراير سنة ١٩٢١ ، وهى كما يأتى :

( عبد الرحمن فهمى بك ) حكم عليه بالإعدام وعدل الحكم إلى السجن مع الشغل ١٥ سنة — ( حامد المليجى ) حكم عليه بالإعدام وعدل إلى السجن مع الشغل ١٥ سنة — ( محمود عبد السلام ) حكم عليه بالإعدام وعدل إلى السجن مع الشغل ١٥ سنة — ( محمد يوسف ) حكم عليه بالإعدام وعدل إلى السجن مع الشغل ١٥ سنة — ( محمد حسن البشيشى ) حكم عليه بالإعدام وعدل إلى السجن مع الشغل ١٥ سنة — ( محمد لطفى المسلمى ) حكم عليه بالإعدام وعدل إلى السجن مع الشغل ١٥ سنة — ( على هنداوى ) حكم عليه بالإعدام وعدل إلى السجن مع الشغل ١٥ سنة

( حسنى الشنتناوى ) حكم عليه بالسجن مع الشغل ٢٠ سنة وجلده ٣٠ جلدة وعدل إلى السجن ١٢ سنة — ( توفيق صليب ) حكم عليه بالسجن مع الشغل ٢٠ سنة وجلده ٣٠ جلدة وعدل إلى السجن ١٢ سنة — ( ابراهيم عبد الهادى ) حكم عليه بالسجن ١٥ سنة ، وجلده ٣٠ جلدة وتفريره ٢٥٠٠ جنيه وعدل إلى السجن ١٢ سنة — ( كامل جرجس عبد الشهيد ) حكم عليه بالسجن ٥ سنوات وتفريره ١٠٠ جنيه وعدل إلى السجن ثلاث سنوات — ( عبد الحليم عابدين ) حكم عليه بالسجن ١٥ سنة وجلده ٣٠ جلدة وتفريره ١٠٠ جنيه وعدل إلى السجن ١٠ سنوات — ( محمد ابراهيم سليمان ) حكم عليه بالسجن سبع سنوات وجلده ٣٠ جلدة

وتفريمه ١٠٠ جنيه وعدل إلى السجن خمس سنوات — ( محمد عبد الرحمن الجديلي ) حكم عليه بالسجن ١٥ سنة وجلده ٣٠ جلدة وتفريمه ١٠٠ جنيه وعدل إلى السجن ١٠ سنوات — ( محمد سامي ) حكم عليه بالسجن سبع سنوات وتفريمه ١٠٠ جنيه وجلده ٣٠ جلدة وعدل الحكم إلى السجن خمس سنوات — ( ياقوت عبد النبي ) حكم عليه بالسجن عشرين سنة وجلده ٣٠ جلدة وعدل إلى السجن اثنتي عشرة سنة — ( عبد العزيز حسن هندی ) حكم عليه بالسجن ١٥ سنة وجلده ٣٠ جلدة وتفريمه ١٠٠ جنيه وعدل إلى السجن عشر سنوات — ( صالح حسن شلبي ) حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات وعدل إلى سنتين — ( حافظ محمود عواد ) حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات وعدل إلى سنتين — ( عاذر غبريال ) حكم عليه بالسجن سبع سنوات وجلده ٣٠ جلدة وتفريمه ١٠٠ جنيه وعدل إلى السجن خمس سنوات — ( محمد المصليحي ) حكم عليه بالسجن خمس سنوات وتفريمه ١٠٠ جنيه وعدل إلى السجن ثلاث سنوات — ( محمد حلمي الجيار ) حكم عليه بالسجن خمس عشرة سنة وجلده ٣٠ جلدة وتفريمه ١٠٠ جنيه وعدل إلى السجن عشر سنوات

\*\*\*

هذا ، ويلاحظ أن المحكوم عليهم بغير الإعدام في قضايا الثورة كلها وقضايا الاعتداء على الوزراء ، قد أفرج عن بعضهم سنة ١٩٢٣ لمناسبة صدور قانون التضمينات ، في عهد وزارة يحيى ابراهيم ، وأفرج عن معظم الباقين سنة ١٩٢٤ ، في عهد وزارة سعد زغلول

## الفصل الثاني عشر

### لجنة ملنر

#### والحوادث التي لا يستها

هال الحكومة البريطانية شوب الثورة وامتدادها من أدنى البلاد إلى أقصاها ، وما ظهر عليها من طابع العنف ، وما بدا فيها من مظاهر النعمة على السياسة الإنجليزية ، وما تخللها من روح البذل والتضحية ، فأخذت تفكر في معالجة هذه الحالة النفسية ، وفي الوسائل التي تتفادى بها هذا الخطر الذي يتهدد سلطانها في وادي النيل ، لأن بقاء هذه الحالة يزيد من روح الكراهية والسخط في نفوس المصريين ، ويجعل الثورة محتملة الوقوع عند سنوح أية فرصة ، وهذا ما تريد الحكومة الإنجليزية أن تتفاداه ، ففكرت منذ شهر أبريل سنة ١٩١٩ — ولما يمض على الثورة شهر واحد — في إيفاد لجنة كبرى إلى مصر لتحقيق أسبابها وبحث الوسائل لملافاة هذه الأسباب في المستقبل

وفي اليوم الثاني من أبريل صرح المستر هارمسورث وكيل وزارة الخارجية في مجلس العموم ( النواب ) بأن الحكومة البريطانية ستجرى تحقيقاً عن أسباب الحركة الثورية في مصر بأسرع ما يستطاع ، وقال إنه يجب أولاً أن يُضمن صون النظام وإعادته أولاً ، فكان هذا التصريح أول إشارة رسمية إلى اللجنة

وفي ١٥ مايو سنة ١٩١٩ ، أعلن اللورد كيرزون في مجلس اللوردات في خطبته التي لخصناها ( ص ٣٥ ) اعترام الحكومة إيفاد هذه اللجنة برئاسة اللورد ألفريد ملنر وزير المستعمرات وقتئذ

وبدا من أقوال اللورد كيرزون إصرار الحكومة البريطانية على التمسك بالحماية ، فقد أوضح أن مهمة اللجنة هي : « تحقيق أسباب الاضطرابات التي حدثت أخيراً في مصر وتقديم تقرير عن الحالة في تلك البلاد وعن شكل القانون النظامي الذي يعد تحت الحماية خير دستور لترقية أسباب السلام واليسر والرخاء فيها ، وتوسيع نطاق الحكم الذاتي لها توسيعاً مطرد التقدم والترقي ، وحماية المصالح الأجنبية »

وأعلنت الصحف الإنجليزية أن اللجنة ستسافر إلى مصر في خريف ذلك العام ، ولكن

الخواطر كانت هائجة في مصر، وزاد في هياجها تمسك الحكومة البريطانية بالحماية، وتواصى المصريون بمقاطعة اللجنة حين حضورها، فأوجست الحكومة البريطانية خيفة من المقابلة التي تلقاها اللجنة، إذا هي بادرت بالهجوم، وأخذت تبحث في الوقت للملائم لسفرها، فتأخر حضورها إلى أوائل ديسمبر سنة ١٩١٩

ولما ألف محمد سعيد باشا وزارته في مايو سنة ١٩١٩، أعرب للجنرال ألنبي المنسوب السامى البريطانى عن رأيه في تأجيل حضور اللجنة إلى ما بعد عقد الصلح بين تركيا والحلفاء، قال في هذا الصدد في حديث له بجريدة الطان: «إن الوفد المصرى قد رفع القضية إلى مؤتمر الصلح، وهناك سيقدر مصيرنا، كما سيقدر مصير سائر الشعوب، فنحن في حالة ارتياب تام، وواجبنا أن ننتظر، وأنا أنتظر، لأنى أعتقد أنه لا يمكن الآن محاولة أى عمل يكون ثابتاً، فمنذ شهرين عند ما دار البحث على إرسال اللجنة البريطانية التي يرأسها اللورد ملنر إلى القطر المصرى طلبتُ أنا نفسى تأجيل مجيئها، لأنه لا يسعنا في الحقيقة أن نتباحث لإمتى مهد السبيل تماماً في باريس، والذي أراه أن هذا العمل لا يتم إلا بعد توقيع الصلح مع تركيا<sup>(١)</sup>» ولم يكن هذا الرأى سديداً ولا متفقاً مع الصالح القومى، فلقد كان معروفاً بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى أنها لا تتردد في قبول شروط الصلح التي وضعها الحلفاء، ومنها إقرار الحماية<sup>(٢)</sup>

(١) حديث محمد سعيد باشا في جريدة الطان عدد ٢١ يوليه سنة ١٩١٩

(٢) قد اعترفت بها تركيا فعلاً في معاهدة ( سيفر ) التي أمضيت يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ وتنازلت فيها لآنجلترا عن السلطات المحولة لها بمقتضى اتفاقية الاستانة المعقودة في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ المقررة والمنظمة لحياقة السويى، على أن هذه المعاهدة قد ألغيت بعد فوز الثورة السكالية وحلت محلها معاهدة لوزان بين تركيا والحلفاء في ٢٤ يوليه سنة ١٩٢٣، ونص في المادة ١٧ منها على تنازل تركيا عن كل حق لها على مصر والسودان وأن يسرى مفعول هذا التنازل من ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤، وصرح عصمت باشا رئيس الوفد التركى في مؤتمر لوزان بان لمصر الحق في تقرير مصيرها بنفسها، فكان هذا التصريح تفسيراً لمدلول التنازل وأنه لمصر، وقد نشرنا نصوص اتفاقية الاستانة والنصوص الخاصة بمصر في معاهدة لوزان في قسم الوثائق التاريخية



فتعليق مصير مصر على مؤتمر الصلح وعلى قبول تركيا شروط الحلفاء ، هو تعريض لقضيتها للخسران ، وفيه تسليم مبدئي بقبول النتيجة التي تترتب على تنازل تركيا عن حقوقها في مصر إلى إنجلترا ، لأنه كان مفهوما وقد قهرت تركيا في الحرب أن تقبل هذا التنازل ، في حين أن تركيا ما كانت تملك نقل حقوقها القديمة إلى أية دولة أخرى ، لأن هذه الحقوق قد سقطت منذ قبولها مبادئ الرئيس ويلسن ومنها « أن الشعوب لا يجوز أن تحكم أو تساد إلا بمحض إرادتها ورغبتها » ، ومنها « أن الشعوب لا يجوز أن تنقل من سيادة إلى أخرى بمؤتمر دولي أو باتفاق بين متنافسين وأعداء »

فالصحيح أن لسيادة لتركيا على مصر منذ أعلنت تركيا في أكتوبر سنة ١٩١٨ قبول مبادئ الرئيس ويلسن ، أي قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وفي ذلك يقول المغفور له « محمد فريد » رئيس الحرب الوطني في مقدمة مذكراته إلى الصلح والمؤتمر الدولي الاشتراكي في برن ( عاصمة سويسرا ) ، بتاريخ ٢٦ فبراير سنة ١٩١٩ : « إن السيادة التركية لم تكن إلا اسمية ، أما الآن وهذه السيادة لا توجد مطلقا فإننا نطالب مؤتمر الصلح بالاستقلال التام لكل وادي النيل وفاقا للمبادئ التي سبق اعلانها ووافقت عليها جميع الدول »

فالرأي الذي أفضى به سعيد باشا إلى الجنرال ألنبي كان من كل وجه غير متفق مع وجهه النظر الوطنية الصحيحة

### التمهيد لقدم اللجنة

في أوائل سبتمبر سنة ١٩١٩ صدرت الأوامر إلى مصالح الحكومة ودواوينها بإعداد التقارير والبيانات والإحصاءات اللازمة التي ينتظر أن تطلع عليها اللجنة عند وصولها إلى مصر ، وأعد مكتب خاص في وزارة المواصلات ( فندق سميراميس ) لجمع هذه البيانات ،

ثم أرسل المكتب المذكور إلى بعض الأعيان والوجهاء في مصر نشرات مطبوعة تتضمن عدة أسئلة ، طلب إليهم الإجابة عنها لعرض الأجوبة على اللجنة ، وتتلخص هذه الأسئلة فيما يلي : (١) ما هي الأسباب التي دفعت الفلاح المصري في الحوادث الأخيرة إلى الهياج (٢) ما رأيكم في اشتراك الأجانب في التشريع (٣) ما هي حالة النظام النيابي الحالي والتعديلات المرغوب فيها لتوسيع اختصاص الهيئات العامة والإصلاح الإداري (٤) أسئلة تتعلق بمجالس المديرية ونظام تأليفها وسلطانها والتعديل المطلوب لها (٥) أسئلة عن نظام البلديات وما يراد إدخاله عليها من الإصلاحات (٦) التعليم ووسائل ترقيته وأسباب الشكوى منه

### إعلان تأليف اللجنة

وفي ٢٢ سبتمبر ١٩١٩ أعلن رسمياً في لندن تأليف اللجنة برئاسة اللورد ألفريد ملزر وزير المستعمرات ، وعضوية السير رنل رود Renel Rodd الذي كان سفيراً لانجلترا في إيطاليا أثناء الحرب العالمية الأولى ، وكان من قبل سكرتيراً بالوكالة البريطانية في مصر سنة ١٨٩٤ وما بعدها ، والجنرال السير جون مكسويل Sir John Maxwell الذي كان قائداً للقوات البريطانية في مصر عند نشوب تلك الحرب ، والجنرال السير أوين توماس Owen Thomas العضو بالبرلمان والخبير بالرى والمسائل الزراعية ، والمستر سبندر Spender رئيس تحرير جريدة « وستمنستر جازيت » ، والمستر هرست Hirst المستشار القضائي في وزارة الخارجية البريطانية ، ومن المتخصصين في القانون الدولي ، وكان بمثابة العضو القضائي في اللجنة

وقد ضم إليهم المستر . ت لويد سكرتيراً للجنة ، وكان يتقن اللغة العربية ، والمستر أنجرام من موظفي وزارة الخارجية البريطانية مساعداً للسكرتير

## مظاهرات الاحتجاج

على تأليف لجنة ملنر

على أثر إعلان تأليف اللجنة ، قامت مظاهرات الاحتجاج عليها في مصر والاسكندرية منذ أوائل شهر أكتوبر ، وفاضت الصحف بسيل من الرسائل متضمنة الاحتجاج عليها ومقاطعتها

وفي يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٩ كانت الموسيقى العسكرية المصرية تصدح في حديقة الأزبكية ، فلما عزفت النشيد المصرى ، وأعقبته بالنشيد البريطانى ، أخذ الحاضرون من الشباب يهتفون بحياة مصر ، ثم خرجوا من الحديقة وألغوا مظاهرة سارت في شارع كامل ( الجمهورية الآن ) ، وميدان الأوبرا ، وهم يهتفون للوطن وسقوط لجنة ملنر إذا جاءت إلى مصر ، فتصدى لهم البوليس وفرقهم ، وقبض على أربعة منهم ، واقتادهم إلى قسم الأزبكية

## في الإسكندرية

وحدثت في الاسكندرية مظاهرات عنيفة يوم الجمعة ٢٤ أكتوبر والأيام التالية ، ففي اليوم الأول خرج المتظاهرون من مسجد أبى العباس المرسى عقب صلاة الجمعة ، وساروا في مظاهرة ضخمة بلغ عددها نحو خمسة عشر ألفا ، يهتفون للاستقلال وسقوط لجنة ملنر ، فتصدى لها البوليس في بدايتها ، واعتدى رجاله على المتظاهرين بالضرب بالعصى الغليظة ، فقابلوه بقذف الأحجار والقلل وغيرها ، فنشبت معركة بين الفريقين ، انتهت بمأساة ألمية ، إذ استنجد البوليس بفصيلة من الجيش البريطانى جاءت وأطلقت الرصاص على المتظاهرين ، فسقط منهم خمسة من القتلى ونحو أربعين جريحا ، وجرح أربعة من ضباط البوليس أحدهم

مأمور قسم<sup>(١)</sup> وأربعة وعشرون شرطياً

وكان تدخل البوليس هو السبب في هذه المأساة ، إذ أن المظاهرة كانت سلمية ، وكان الغرض منها إعلان الاحتجاج على تأليف لجنة ملنر ، ولو تركت تسير دون أن يتعرض لها البوليس لانتهدت بسلام

أثار هذا الاعتداء سخط الجماهير ، واعتزموا متابعة المظاهرات في الأيام التالية ، مهما كلفهم ذلك من تضحيات ، وصارت المدينة في حالة هياج شديد ، وأقام منظمو المظاهرات المتاريس واقتلعوا البلاط في الطريق المؤدى إلى رأس التين ، وحفروا الخنادق ليلاً في الشوارع بحى رأس التين والجمرک لمنع سيارات البوليس والجيش البريطانى من تعقب المتظاهرين ، وتجددت في المدينة حالة الثورة التي كانت في شهر مارس سنة ١٩١٩ ، وأقفلت المحال التجارية في بعض أحياء المدينة

وفي يوم السبت ٢٥ أكتوبر كانت سيارة بريطانية مسلحة تطوف في حى الميناء الشرقى ، فلما وصلت إلى جهة البوصيرى أطلق الجند الرصاص على جمهور من الوطنيين أمام حوانيتهم ، فأصيب نحو عشرة منهم ، ووقع اشتباك بين الأهالى والقوة المسلحة ، كانت نتيجة وقوع أربعة من القتلى ، وستة من الجرحى ، كلهم من الأهلىين<sup>(٢)</sup> ، وعمت المظاهرات أرجاء المدينة ، وانبثت الفصائل الانجليزية المسلحة في الشوارع التي يتوقع مرور المظاهرات فيها ، وبخاصة في جميع جهات قسم الجمرک ، ونصبت المدافع فوق بعض البنايات المرتفعة ، مصوبة إلى الشوارع ، وأخذت السيارات المصفحة تجوب المدينة وعليها المدافع الرشاشة

ودعا المحافظ (حسن عبد الرازق باشا) أعيان المدينة إلى الاجتماع به في ذلك اليوم (السبت) للتباحث في تهدئة الخواطر ، فطلبوا جميعاً سحب الجنود الإنجليز من الأحياء

(١) الصاغ فؤاد عنایت مأمور قسم الجمرک ، ومن الضباط الذين جرحوا البكباشى بلکن ، والبكباشى رمندا ، وعلى عبد الجواد الملازم الثانى

(٢) عرفنا من شهداء هذين اليومين (٢٤ و ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٩) : الشيخ شلى عوض الآسة فهيمه دهمان . محمود مصطفي . محمود السيد منصور . محمود رمضان صادق . محمد خليل

الوطنية ، كوسيلة أولى لتسكين نائرة الجمهور ، فوعدم بالسمى في ذلك ، ولكن لم يظهر لوعده أنه نتيجة ، وتجددت حوادث القتل يوم الأحد ٢٦ أكتوبر

وقد أثار حوادث الإسكندرية عاصفة من الاحتجاجات من مختلف الهيئات والطوائف والأفراد ، وأضربت المدارس في الإسكندرية والقاهرة احتجاجا ، وقامت مظاهرات سلمية في العاصمة وبعض عواصم المديرية

وفي مساء الاثنين ١٧ أكتوبر ذهب وفد من أعيان الإسكندرية ممن حضروا اجتماع المحافظة إلى دار محمد سعيد باشا رئيس الوزارة ، وكان لم يزل بالإسكندرية ، ومعهم عريضة بالنيابة عن أهالي المدينة تتضمن المطالب الآتية : (١) سحب الجنود البريطانيين من المدينة (٢) إجراء تحقيق تلمئن إليه الأمة عن تصرف السلطة المدنية هذا التصرف ، ومن المسئول عن استدعاء القوات الإنجليزية ؟ (٣) الإفراج عن جميع المعتقلين في هذه الحوادث (٤) إباحة حرية الاجتماع (٥) النظر في أمر القتل وإعانة عائلاتهم (٦) نقل مأمور قسم الجرك حالا وإحالة إلى مجلس تاديب (٧) تصحيح البلاغات الرسمية التي نسبت الاعتداء إلى الأهالي ، مع أن الأمر بالعكس ، والتي تعلق بالأهالي تهمة الاعتداء على بعض المحال التجارية ، مع أن لجان التحري والتحقيق الرسمية أثبتت عدم حدوث شيء من هذا ، وكان الوفد مؤلفاً من الشيخ عبد الحميد أحمد باشا . والأستاذ محمد صادق أبو هيف . والأستاذ محمد حسين العراجي . والدكتور أحمد عبد السلام . واليوزباشي أحمد نبيه قبودان . والأستاذ سعد اللبان ، ولكن رئيس الوزارة اعتذر عن عدم مقابلتهم بحجة أنه متعب ، وعاد الوفد من دار الوزير ، وأرسل أعضاؤه برقية احتجاج على عدم مقابلتهم

وتخرج مركز الوزارة بعد هذه الحوادث ، إذ نسبت إليها مسئولية تدخل البوليس والجنود البريطانيين في قمع مظاهرات الإسكندرية ، خلافا لما وعدت به من قبل

وتجددت المظاهرات يوم الجمعة ٣١ أكتوبر على إثر صلاة الجمعة في مسجد أبي العباس ، ولم يتعرض لها البوليس في بداية الأمر ، وسارت الجموع الزاخرة تحترق الشوارع على أتم نظام ، حتى ميدان محمد علي ، ومنه إلى شارع شريف باشا ، فشارع فؤاد الأول فالنبي

دانيال فشارع محطة الرمل ( سعد زغلول الآن ) ، دون أن يحدث ما يكدر جو المدينة رغم ضخامة المظاهرة ، إذ بلغ عدد المتظاهرين نحو ثلاثين ألفاً ، ولكن إحدى السيارات البريطانية المسلحة كانت تسير بين دار التلغراف الإنجليزي وشارع البورصة ، فاندفعت تقتحم الجموع بكل قوتها ، فصدمت من صادقتهم وداستهم ، وأصيب اثنان منهم إصابات خطيرة أودت بحياتهما ، فنارت نائرة الجمهور ، واطلقت السيارة الرصاص على الجموع ، فسقط من الوطنيين أربعة من القتلى ، وأربعون من الجرحى

وقد عرفنا من القتلى : يوسف مرسى . زكى السيد . الطفلة نعيمة بنت على ( وعمرها ٥ سنوات ) ، وشيعت جنازتهم في احتفال مهيب إلى مدافن عمود السوارى

وحدث في ذلك اليوم ، من قبيل المصادفة التعسة ، أن سيارة خلف السواحل كانت قادمة من جهة العامرية ، دخلت المدينة ، واجتازت بعض الشوارع ، فما ان اقتربت من جموع المتظاهرين حتى أطلق ركبها من الجنود المصريين الرصاص في الفضاء ، دون إدراك أو تمييز ، فساد الذعر ، واختل النظام

ووقع ما يؤسف له من اعتداء بعض المتظاهرين على بعض المحال التجارية الأجنبية ، إذ حطموا واجهاتها وأحدثوا إتلافاً بها ، وتبين سبب هذا الاعتداء ، وهو أن رصاصات أطلقت منها على المتظاهرين ، فهاجوا وقابلوا الاعتداء بمثله

ونشرت الحكومة بلاغا نسبت فيه ما حدث من السيارة البريطانية إلى أن راكبها قد فقدوا صوابهم حين اقتحموا الجموع .. ! فكان اعتذاراً عجيباً ، بعيداً عن الصواب ، واحتجت الهيئات على هذه الفظائع ، ومن أبلغها احتجاج مجلس نقابة المحامين ، فقد أصدر بجلسة ٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ القرار الآتى :

« نقابة المحامين وهى تمثل الرجال الذين من شعارهم دائماً استصراخ العدالة فى كبح جماح المعتدين على الحرية الشخصية ، وطلب براءة الأبرياء ، لا يسعها أمام الحوادث الدموية المرعبة التى تكرر وقوعها بمدينة الإسكندرية فى أيام ٢٤ و ٢٥ و ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٩ إلا

أن تظهر جزءها من هذه الحوادث ، إذ أقل ما فيها أن القوى المسلحة أطلقت الأعبرة النارية على المتظاهرين السلميين وهم العزل من السلاح ، كانت النقابة تظن أن ما وقع في اليومين الأولين من العساكر الإنجليزية أقنع كل السلطات بفضاعة ما جرى فاتفقت جميعها على أن تعهد إلى سلطة البوليس المحلية دون سواها المحافظة على النظام ، ولكن تعليل البلاغ الرسمي لسفك الدماء الذي وقع يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٩ ( أى في اليوم الذي حصل الاتفاق فيه على أن تكون المحافظة على النظام بقوة البوليس المصرى ) بأن سائق سيارة الصليب الأحمر والعساكر التابعين لخر السواحل كانوا في حالة فقدان صوابهم من الأمور التي وقعت موقع الاستغراب ، والنقابة مع تسليمها بأنه يجوز لمن يتولى التحقيق أن يباشره في أحوال استثنائية بدون حضور المحامى عن المتهم ، إلا أنها ترى من المصلحة العامة بعد السرية عن تحقيق مثل هذه القضايا التي يتطلع الجمهور إلى معرفة من تقع عليهم المسؤولية فيها ، على أنه لو كانت أسباب خاصة تعجز النقابة إلى الآن عن إدراك حقيقتها ، فإن الطريقة التي رُفض بها حضور المحامين كانت مخالفة للقانون ، إذ الواجب على المحقق أن يستدعى المحامى لقاعة التحقيق ، ويثبت طلبه ثم يقرر رفضه ، هذا فضلا عن كونها لا تتفق مع كرامة المحاماة فإن المعلوم للنقابة أن النائب العمومى أبلغ المنع بواسطة أحد الحجاب إلى حضرات المحامين دون أن يقابلهم

« فباسم المحامين عامة الذين استفرتهم فظاعة الحوادث ، وباسم النقابة التي تمثلهم ، نرفع احتجاجنا هذا إلى صاحب الدولة رئيس الوزراء ، وإلى صاحب المعالى وزير الحقانية وإلى صاحب السعادة النائب العمومى »

### قرار مجلس الوزراء بمنع المظاهرات

وعلى أثر حوادث الاعتداء على المتظاهرين في الإسكندرية أصدر مجلس الوزراء قراراً في ٥ نوفمبر بمنع المظاهرات ، علّله بالبيان الآتى :

« لاحظت الحكومة أن فئات من الأهالى اعتادوا إقامة مظاهرات كانت خاتمتها في

الغالب وقوع حوادث مكدره لظروف تطرأ على غير انتظار ، ولو كان الغرض من تلك المظاهرات سلميا ، وانه ليؤلم الحكومة أن ترى من حين إلى حين تكرار تلك الحوادث المؤدية إلى القلق والاضطراب ، ولذلك قررت منع المظاهرات مؤملة من الجمهور اتباع نصحتها في العدول عنها من تلقاء نفسه ، وقد أصدرت الأوامر اللازمة إلى جهات الاقتضاء بهذا الشأن »

رئيس مجلس الوزراء -- محمد سعيد

وأرسلت الحكومة نصف أشرطة من الجيش المصرى إلى الإسكندرية لتساعد على تنفيذ هذا الأمر ؛ وتمنع سير للمظاهرات ، ورابطت بها ، ومضى يوم الجمعة ٧ نوفمبر دون أن تحدث مظاهرة كبيرة تستدعى تدخل الجند ، وانتهى اليوم بسلام

### بلاغ دارالحماية عن قدوم لجنة مانر ومهمتها

وفي مساء ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ نشرت دار الحماية بلاغا رسميا أعلنت فيه قرب قدوم لجنة مانر ، وحددت مهمتها بأنها اقتراح النظام السياسى الذى يلائم مصر تحت الحماية ، قالت : « إن سياسة بريطانيا العظمى فى القطر المصرى هى المحافظة على حكومته الذاتية تحت الحماية البريطانية وإنشاء نظام حكومة ذاتية تحت حكم سلطان مصرى<sup>(١)</sup> ، وغرض بريطانيا العظمى الدفاع عن مصر من كل خطر خارجى أو من تدخل أى دولة أجنبية ، وغرضها فى الوقت نفسه تأسيس نظام دستورى تحت إرشاد بريطانيا العظمى على قدر الحاجة ، النظام الذى يمكن عظمة السلطان ومعالي وزرائه وحضرات مندوبى الأمة فى دوائهم الخاصة من الاشتراك فى إدارة الأمور المصرية ، وذلك على أسلوب يزيد فيه نفوذهم على مرور الأيام ، وعليه فقد قررت حكومة جلالة الملك إرسال لجنة إلى مصر ، مهمتها تقرير نظام الحكم

(١) نشرت صحيفة « المقطم » البلاغ وفيه عبارة « تحت رئاسة حاكم وطنى » وكلمة « سمو » بدل « عظمة » ، وقالت : إنه هو النص الذى تلقته من دار الحماية وأرسل إلى الصحف الأخرى ، ثم صدر بلاغ من إدارة المطبوعات بتصحيح عبارة « تحت رئاسة حاكم وطنى » بعبارة « تحت حكم سلطان مصرى » وكلمة « سمو » بعظمة ، وهذا معناه أن الكلمات التى صححت كانت واردة فى البلاغ أصلا



للوصول إلى تلك الغاية ، وبعد أن تستشير عظمة السلطان ومعالي وزرائه وأصحاب الرأي والشأن من المصريين تبأثر الأعمال الأولية اللازمة ، قبل وضع قانون الحكومة المستقبلية نهائياً ، وليس من اختصاص اللجنة أن تستقل بوضع شكل الحكومة على مصر ، فإن مهمتها هي أن تدرس الأحوال درساً دقيقاً وتبحث مع أصحاب الشأن في البلاد في الإصلاحات اللازمة ، وأن تقترح نظام الحكم الذي يمكن تنفيذه فيها في النتيجة ، والمأمول أن يكون ذلك بالموافقة التامة مع عظمة السلطان ومعالي وزرائه الكرام »

أثار هذا البلاغ احتجاج الهيئات والطوائف والأفراد ، وجددت عهدتها على استمرار الجهاد حتى تنال البلاد استقلالها التام ، ومقاطعة لجنة ملنر

### جواب الحزب الوطني

لا مفاوضة إلا بعد الجلاء

وقد ردّ الحزب الوطني على البلاغ في بيان إلى الأمة أعلن فيه سياسة عدم المفاوضة مع المحتلين ، قال :

« الآن وقد رفع ذلك الستار الشفاف عن نوايا الحكومة الإنجليزية ، فصرحت بأن سياستها تقضى بإعلان حمايتها على مصر بالرغم منها وأنها ستنشئ لنا نظام حكومة ذاتية يمكننا — نحن أصحاب البلاد — من الاشتراك معها في إدارة أمورنا على أسلوب يزيد في نفوذنا على مر الأيام . . . . . الآن وقد أعلن كل هذا ما بين يوم وليلة بحكم القوة التي لا تريد أن تحسب لرأى أبناء البلاد حساباً ، الآن يرى الحزب الوطني ، كما رأى دائماً ، أن تتمسك الأمة بمبادئها السامية الذي تدركه وتجله دون سواه ، ولا ترضى بغيره ، مبدأ المطالبة باستقلال مصر وسودانها وملحقاتها استقلالاً تاماً خالصاً من كل قيد أو شرط

« يرى الحزب الوطني أن تتأبر الأمة على المطالبة باستقلالها ، وأن تصرّ على هذه المطالبة ، وأن تعمل على الوصول إلى هذه الغاية بجميع الوسائل المشروعة وأن لا يزيد ما تصادفه

من العقبات إلا ثباتاً على هذا المبدأ الجليل ، وتشبثاً بمطلبها الوحيد ، يجب أن لا يعرف اليأس إلى قلوبنا طريقاً ، ولا الوهن إلى عزيمتنا سبيلاً ، يجب أن نرفض كل مفاوضة أو مناقشة مع الغاصب ، ويجب أن لا نقبل مساومة في الاستقلال ، فلسنا نرضى إلا بالحق كاملاً ، وبالاستقلال تاماً شاملاً

« ألا لا يثبطن أحد همتنا بدعوى ضعفنا المادي ، فقوة الحق ان غلبت اليوم ، فلن تغلب غدا ، والشعوب غير الحكومات ، لا تخضعها القوة ولا يرضيها غير العدل ، ولا عدل إلا في ظل الاستقلال التام ، فليفعل الغاصبون ماشاءوا ، ويسلكوا من سبل الإرهاب والإرهاب ما أرادوا ، فلن نفاوضهم أبداً ، ولن نمد لهم يداً »

### جواب الوفد

وردت لجنة الوفد المركزية ببيان أذاعته يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ قالت فيه :  
« صدر بلاغ من الوكالة البريطانية بمصر يفيد أن سياسة بريطانيا العظمى في القطر المصري هي :

« المحافظة على وضع مصر تحت الحماية البريطانية وتأسيس نظام يمكن عظمة السلطان ومعالي وزرائه وحضرات مندوبي الأمة في دوائرهم الخاصة من الاشتراك في إدارة الأمور المصرية ، وذلك على أسلوب يزيد في نفوذهم على سرور الأيام ، وعليه فقد قررت الحكومة الإنجليزية إرسال لجنة إنجليزية إلى مصر لتتقترح نظاماً لتنفيذ هذه السياسة »

« صدر هذا البلاغ ، فأدهش الناس ، لأنه مخالف لمبادئ الحق والعدل ، مخالف لمعاهدة لوندرة الموقع عليها من إنجلترا وغيرها من الدول في سنة ١٨٤٠ ، والتي تتضمن استقلال مصر الذي كسبه المصريون بدمائهم ، مخالف للستين عهداً الرسمية التي قطعتها بريطانيا العظمى على نفسها بالجللاء عن البلاد ، مخالف للمبادئ التي أعلن الحلفاء أنهم خاضوا غمار الحرب من أجلها وهي تحرير الشعوب الصغيرة والقضاء على القوة الغاشمة ، مخالف للمبادئ التي جعلت أساساً للهدنة والصلح ، وللقواعد التي بُنيت عليها عصبة الأمم ، مخالف للروح

الاستقلالية السائدة في أنحاء العالم ، مخالف لإرادة الشعب المصرى الذى بيده وحده مصير بلاده ، ولا شك أن الأثر الطبيعي لهذا البلاغ في نفوس المصريين هو ازدياد تمسكهم بحقوقهم المقدسة ، وانصرافهم عن كل مناقشة خاصة ، وتوثيق روابط الأتحاد والتضامن بينهم ، ومضاعفة جهادهم الوطنى ، وتوجيه كل عزائمهم لخدمة القضية العامة بالوسائل المشروعة ، ان الساعة عصبية ، والوطن يدعو أبناءه ليكتبوا له تاريخاً مجيداً ، فكل مصرى مهما كان مركزه وأيا كان عمله مطالب بأداء واجبه ، فلتحى مصر ! وليحى الاستقلال التام ! »

## مظاهرات الاحتجاج

### على بلاغ دار الحماية

على أثر صدور بلاغ دار الحماية قامت المظاهرات في العاصمة من يوم السبت ١٥ نوفمبر ، واشتدت في اليوم التالى منذ الصباح الباكر ، وعمت كل أحياء المدينة تقريباً ، وكان هذا اليوم ( الأحد ١٦ نوفمبر ) موعد حضور السلطان من الاسكندرية إلى القاهرة ، فاستمرت المظاهرات بعد وصوله إلى محطة العاصمة ثم إلى سراى عابدين ، واتجهت جموع المتظاهرين إلى ميدان عابدين هاتفين بالاستقلال وسقوط لجنة ملتر

ووصلت قوة من البوليس ومن بلوك الخفر والفرسان ، ثم من جنود الجيش المصرى إلى الميدان ، لتفريق هذه الجموع ، فوقع تصادم بين الفريقين ، وكان الجنود يطلقون الفشيك في الهواء ، ولكن حدثت إصاباتان مميتتان لاثنتين من المتظاهرين ، فتفاقم الهياج ، وهجم المتظاهرون في نحو الساعة الثانية بعد الظهر على قسم عابدين ، ثم على قسم الموسيقى ، على أثر إطلاق بعض الجنود النار على المتظاهرين ، فذهب جنود الجيش المصرى لمعالجة الحال ، فلم يستطيعوا ، فاستدعت الحكومة الجيش البريطانى للتدخل ، فجاء الجنود الانجليز على عجل وفكوا الحصار عن قسم عابدين ، ووقعت معركة دامية بين الفريقين ، وبلغ عدد الضحايا في هذا اليوم من المصريين ١٣ قتيلاً و ٧٩ جريحاً ، وقد عرفنا من أسماء الشهداء : السيدة عائشة محمد من عابدين . سيد محمد ( طالب ) . عبد العزيز محمد من درب الأحمر . حسين

صالح بشارع كوبرى قصر النيل . فهمى ميشيل (طالب) . محمود جاد المولى . صادق حسنين .  
عبد الحميد زكى . محمد على عثمان . حسن جمعه ، وشيعت جنازة الشهداء يوم الاثنين فى  
موكب ، سار من المستشفى العباسى بعبادين ، ومشت فيه الألوف المؤلفة من مختلف طبقات  
الأمة ، وحمل الطلبة نعوش القتلى ، مغطاة بالأعلام المصرية ، وسار الموكب مخترقاً أهم شوارع  
العاصمة إلى مدافن الإمام

وأقام السيدات المصريات يوم ١٨ نوفمبر مظاهرة للاحتجاج على لجنة ملنر ، بدأت من  
ميدان الحلمية ، وسارت فى شارع محمد على فميدان العتبة الخضراء فميدان الأوبرا فشارع  
المدابع مارة بالسفارة الفرنسية ، فشارع الدواوين ، حيث فرق الجند موكبهن ، وحدث  
أن شاباً يدعى أحمد خلوصى من بردين شرقية كان يسير بدراجته وراء الموكب ، فرماه  
أحد الجند برصاصة أردته قتيلاً ، ونقل إلى المستشفى العباسى حيث فارق الحياة ،  
وشيعت الجنازة فى اليوم التالى فى احتفال رهيب إلى مدافن الإمام

### فى الإسكندرية والمدن الأخرى

وحدثت فى الإسكندرية مظاهرة يوم السبت ١٥ نوفمبر على أثر اطلاع الجمهور على بلاغ  
دار الحماية ، فاعترضتها قوة البوليس والجيش البريطانى ، فقتل اثنان من المتظاهرين عرفنا  
منهما عبد السلام أحمد من المنشية ، وجرح ثمانية ، وعادت السكينة فى منتصف الليل  
واستمرت المظاهرات يوم الأحد ١٦ نوفمبر والاثنين ١٧ منه ، وشيعت فى هذا اليوم  
جنازة ثلاثة من ضحايا المظاهرات ، وهم طالبان وفتاة ، فى موكب ضخم سار فيه الألوف من  
المشييعين بلغت عدتهم خمسة عشر ألفاً

وتجددت المظاهرات يوم الثلاثاء ١٨ نوفمبر ، فبدأت من مسجد أبى العباس المرسى  
كالمعتاد ، وسارت حتى وصلت إلى شارع فرنسا ، فاعترضتهم قوة من البوليس المصرى  
بقيادة البكباشى بلنتر ، أحد مفتشى البوليس ، فأمر القوة بإطلاق النار على المتظاهرين ،  
فامتنع أحد الأونباشية عن إطاعة هذا الأمر رافة بالأهلين ، فأطلق عليه المفتش رصاصة

أصابته إصابة خطيرة أودت بحياته ، وأطلقت العيارات من البوليس ، فأصابت رجلاً يدعى محمود السيد قناوى ، لم يكن مشتركاً فى المظاهرة ، بل كان يغلق باب المخزن الذى كان يعمل فيه ، فقتل لوقته ، فعمّ الحزن المتظاهرين ، فحملوه على أكتافهم بشكل مؤثر ، وذهبوا به إلى دار المحافظة ، حيث قابلوا المحافظ حسن عبد الرازق باشا ، فلما علم بتفاصيل ما حدث ، ولم يكن له به علم ، ولا أخذ رأيه فى إطلاق الرصاص على المتظاهرين ، تأثر وقدم استقالته تلغرافياً ، وسافر إلى العاصمة ، ولكن ولاية الأمور أقنعوه بالعدول عن الاستقالة ، فعدل ، وعاد إلى الإسكندرية

واشتدت الحالة فى المدينة مساء ١٨ نوفمبر ، فتجددت المظاهرات فى باب سدره ، وانصرف المتظاهرون إلى اقتلاع الأشجار وأحجار الأرصفة ، وإقامة المتاريس ، وكذلك فعلوا فى شارع العمود وشارع سوق الطباخين ، حيث وضعوا عربات الكارو والسدود فى مداخل الحارات ومنافذ الشوارع ، وحدث تصادم بين الجنود والمتظاهرين فى باب عمر باشا ، وباب سدره

و بلغ عدد القتلى فى هذا اليوم تسعة والجرحي ثلاثين

واحتلت القوات البريطانية فى هذا اليوم أحياء المدينة ، وحظرت السلطة العسكرية السير فى الشوارع منذ الساعة التاسعة مساء ، وأمرت بإتفال المحال التجارية والمحال العامة ، ووجوب عودة الناس إلى منازلهم منذ تلك الساعة ، ونفذ الأمر ، إذ أطلق الرصاص فى بعض الشوارع التى كان يسير بها أشخاص بعد الساعة المحددة ، وأصدر قائد الحامية البريطانية أمراً آخر بأن لا يمضى فى مواكب جنازات المتوفين أكثر من مائة شخص فى كل مشهد ، وأن تبطل مظاهرات تشييع الضحايا ، واحتل الجند بعض المنازل ، ونصبوا فيها المدافع الرشاشة

وقامت مظاهرات فى طنطا احتجاجاً على بلاغ دار الحماية ، لم يصب فيها أحد ، وكان النظام مستتباً رغم كثرة عدد المتظاهرين ، وضخامة موكب المظاهرة ، إذ ضمت نحو أربعين ألفاً ، وقامت مظاهرات أخرى فى المنصورة وشبين الكوم وفى كثير من المدن

### استقالة وزارة سعيد باشا

لم ير محمد سعيد باشا بُدًا من الاستقالة بعد نشر بلاغ دار الحماية عن مهمة لجنة ملنر، واشتداد المظاهرات، إذ كان قد طلب تأجيل حضور اللجنة، وصرح في حديث له يوم ١٣ أكتوبر أنه إذا حضرت رغم هذا الطلب فإنه مستقيل، فرفع كتاب استقالته إلى السلطان يوم السبت ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩، وأشار فيه إلى عدم موافقته على حضور اللجنة، فجاءت استقالته مسببة تسيباً سياسياً يلائم ويؤيد اتجاه الحركة الوطنية، قال:

« يا صاحب العظمة

« حينما تفضلتم عظمتكم فطلبتم معاونتي في تأليف الوزارة قد رأيت أن الواجب المفروض علىّ أمام وطني يقضى علىّ بقبول هذه المهمة التي ما كنت أتجاهل أعباءها الثقيلة فمع تعضيد عظمتكم وتأييدها قد بذلت كل ما في وسعي للتغلب على المتاعب المتجددة في كل يوم بقصد إيجاد ما كان مرغوباً فيه من تهدئة الخواطر في البلاد، على أنه قد حدث الآن اختلاف في النظر بشأن ملامة حضور اللجنة المعلن عن مجيئها إلى مصر كما قد عرضته على مسامع عظمتكم، وهذا الاختلاف من شأنه أن يجعل استمرارى في العمل عديم الفائدة بالمرّة للبلاد ولعظمتكم، لذلك أراني مضطراً للتقدم بين يدي عظمتكم راجياً التكرم بقبول استقالتي من رئاسة الوزارة مع خالص الشكر لما كنت ألقيه على الدوام من التعطف العالى الذي كنتم تفضلون به على ذلك الذي لا يزال لعظمتكم الخاضع الخادم المطيع والعبد المخلص الأمين : محمد سعيد »

وقد استبقى السلطان كتاب الاستقالة، فلم يقبلها، ريثما يتهيأ له تأليف الوزارة الجديدة بالاتفاق مع اللورد اللنبي، وكان السلطان لم يزل بالإسكندرية منذ يونيه، فعاد إلى العاصمة يوم ١٦ نوفمبر، كما سبق القول (ص ١٠١) وفي معيته أعضاء الوزارة المستقيلة، وكانت المدينة تموج بالمظاهرات احتجاجاً على بلاغ دار الحماية، وتعددت المقابلات بين السلطان واللورد اللنبي، وأعلن على أثرها قبول استقالة وزارة محمد سعيد باشا يوم ١٩ نوفمبر، وتكليف يوسف وهبة باشا، تأليف الوزارة الجديدة

## تأليف وزارة يوسف وهبه باشا

تألفت وزارة يوسف وهبه باشا بغير برنامج في ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩ على النحو الآتي :  
يوسف وهبه للرئاسة والمالية . اسماعيل سرى للأشغال والحريرية . أحمد ذو الفقار للحقانية .  
محمد توفيق نسيم للداخلية . أحمد زيور للمواصلات . محمد شفيق للزراعة . يحيى ابراهيم  
للمعارف . حسين درويش للأوقاف . وكلهم من أعضاء الوزارة السابقة ، عدا يحيى ابراهيم باشا  
وكان رئيساً لمحكمة الاستئناف ، وحسين درويش بك وكان مستشاراً بها ، ومحمد شفيق باشا  
وكان وكيلًا لوزارة الأوقاف

ومن عجب أن رئيس هذه الوزارة ومعظم أعضائها كانوا من أعضاء الوزارة السابقة التي  
صرح رئيسها باتفاقه معهم أنها تستقيل إذا حضرت لجنة ملنر ، ومع ذلك فإنهم عادوا إلى  
الوزارة على أساس التعاون مع هذه اللجنة ! وتعبيد الطريق لها ! وهكذا كان التهافت على  
كراسي الحكم هو الغاية عند المستوزرين وعُباد المناصب  
وقد قوبل تأليف هذه الوزارة بالسخط العام ، لأن تأليفها على أثر صدور بلاغ دار  
الحماية كان إقراراً منها للسياسة البريطانية ومعاونة لها على تنفيذها ، في الوقت الذي ثارت  
الأمّة فيه ضد هذا البلاغ ، وضد تلك السياسة ، فكان تأليفها خذلانا وتحدياً للأمم

## احتجاج الأقباط على تأليف الوزارة

وإذ كان رئيس الوزارة قبطياً ، فقد استاء الأقباط من موقفه ، وأقاموا اجتماعاً كبيراً صباح  
يوم الجمعة ٢١ نوفمبر في الكنيسة المرقسية الكبرى ، برئاسة القمص باسليوس وكيل  
البطريكية ، أعلنوا فيه سخطهم على وهبة باشا ، وعلى قبوله تأليف الوزارة ( ولم يكن  
المرسوم بتأليفها قد صدر بعد ) ، وخطب في هذا الاجتماع القمص سلامة منصور رئيس  
المجلس الملي بالقاهرة ، والأستاذ توفيق حبيب ، والأستاذ لويس فانوس ، والقمص  
مرفص سرجيوس ، وكامل أفندي جرجس عبد الشهيد بالنيابة عن الطلبة ، واتفق

الحاضرون على إرسال البرقية الآتية إلى يوسف وهبه باشا ، وقد وقعها بالنيابة عنهم رئيس  
الاجتماع القمص باسليوس

« الطائفة القبطية المجتمع منها ما يربو على الألفين في الكنيسة الكبرى تحتج بشدة  
على إشاعة قبولكم الوزارة إذ هو قبول للحماية ولناقشه لجنة مانر ، وهذا يخالف ما أجمعت  
عليه الأمة المصرية من طلب الاستقلال التام ، ومقاطعة اللجنة ، فنستحلفكم بالوطن المقدس  
وبذكرى أجدادنا العظام أن تمتنعوا عن قبول هذا المنصب الشائن »  
فكان هذا الاجتماع مظهراً بديعاً للتضامن القومي

### المحامون ولجنة ملنر

وما إن علم المحامون بقرب قدوم لجنة ملنر حتى عقدوا جمعيتهم العمومية يوم ٢١ نوفمبر ،  
وقرروا بالإجماع الإضراب عن العمل لمدة أسبوع يتبدى من اليوم التالى لحضور اللجنة ،  
احتجاجاً على مجيئها ، وأن يجتمعوا قبل انتهاء الأسبوع بيوم واحد ليقرروا الخطة التى يتبعونها  
بعد انتهائه

### اعتقالات جديدة

واستأنفت السلطة العسكرية حركة القبض والاعتقال لمناسبة تأليف وزارة يوسف  
وهبه وقرب قدوم لجنة ملنر ، واستدعى اللورد ألنبي قبيل تأليف هذه الوزارة محمود  
سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية ، وإبراهيم سعيد باشا وكيلها ، وعبد الرحمن فهمى بك  
سكرتيرها العام ، وأبلغهم بواسطة المترجم انه يعدهم مسئولين عما ينشر فى الصحف من  
للنشورات التى تثير الخواطر ، ويحملهم تبعه ما يحدث من الحوادث المكدره ، وطلب إلى  
محمود سليمان باشا وإبراهيم سعيد باشا أن يغادرا القاهرة و يقيما فى بلديهما ، وأن يظل عبد الرحمن  
فهمى بك فى مصر تحت المراقبة ، وأنهم إذا لم يجيبوه إلى طلبه آخذ ضدهم إجراءات شديدة ،  
وبعد أن انصرفوا من عنده صح عزمهم على عدم الإذعان لما طلب منهم ، فاعتقلت السلطة



العسكرية محمود سليمان باشا وإبراهيم سعيد باشا ورحلتها إلى بلديهما للاقامة فيهما ، واعتقلت على بك ماهر ورحلته إلى الأقصر ، وأمرته بعدم مبارحتها مؤقتاً ، واعتقلت أيضاً كلا من الشيخ مصطفى القاياتي والشيخ محمود أبو العيون والشيخ محمد عبد اللطيف دراز من زعماء الحركة بالأزهر ، ورحلت الشيخين أبو العيون والقاياتي إلى معتقل رفح

### تحذير جديد

من التحريض على المظاهرات

وأصدر اللورد اللنبي منشوراً بالتحذير من التحريض على المظاهرات وتهديد كل من يجرس عليها أو يشترك فيها أو يعمل أى عمل من شأنه تعطيل السلطة أو الإخلال بالنظام بالمحاكمة أمام المحكمة العسكرية ، قال :

« من حيث أن بعض الأشخاص من أهل السوء قد سعوا حديثاً ولا يزالون يسعون بالنشر في الصحف وبتوزيع المنشورات وبالخطب العمومية وخلافها ، للتحريض على المظاهرات والاضطرابات التي من شأنها جعل النظام العام في خطر ، فأنا إدمند هنرى هينان فيكونت ألنبي الفييلد مارشال القائد العام لجيوش جلالة الملك في مصر ، أنذر بأن جميع أعمال التحريض على المظاهرات المخلة بالنظام وغير الجائزة ، أو الاشتراك فيها ، وجميع الأعمال التي من شأنها أن تعطل السلطة أو تجعل النظام العام في خطر تعتبر مخالفة للأحكام العرفية وتجعل مرتكبيها عرضة للقبض عليهم ولحاكمتهم أمام محكمة عسكرية »

### خطبة اللورد كيرزون - ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٩

ألقى اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية يوم ٢٥ نوفمبر في مجلس اللوردات خطبة هامة عن المسألة المصرية ، لمناسبة قرب سفر لجنة ملنر ، فجاءت هذه الخطبة بعد خطبته في ٢٤ مارس و١٥ مايو موضحة سياسة إنجلترا نحو مصر ، ذكر فيها خلاصة الحوادث التي وقعت بعد خطبته الأخيرة ، وأشار إلى تأليف لجنة ملنر وأغراضها ، وما قوبلت به من السخط

والهياج في مصر، ثم أخذ يدافع عن وجهة نظر إنجلترا نحو مصر، وذكر الأدوار التي مرت بها لجنة ملتر، من يوم تأليفها إلى اعتزامها الذهاب إلى مصر، وأنا ناقلون هنا بعض فقرات من هذه الخطبة، مما يوضح مرامي السياسة البريطانية في المسألة المصرية، قال :

« لما وقفت أمام حضراتكم في شهر مايو، وأذكر أن ذلك كان يوم ١٥ منه، كانت وزارة رشدي باشا القصيرة الأجل قد انتهت، ولم يكن اللورد ألنبي قد وفق إلى اختيار خلف له، وبعد ذلك بأيام قلائل تقلد الوزارة محمد سعيد باشا، الذي سبق له تقلدها من سنة ١٩١٠ إلى ١٩١٤ فألف إدارة مصريه، وكانت مهمته الأولى إعادة النظام والسكينة في البلاد التي كانت لاتزال مضطربة بآثار الثورة الفجائية التي حدثت في الربيع الماضي، فوجه هو وزملاؤه كل مجهوداتهم إلى هذه المهمة ونجحوا فيها نجاحا حمل اللورد ألنبي في شهر يوليه على تحويل قضايا الاضطرابات التي وقعت في شهرى مارس وأبريل على المحاكم الأهلية، ما عدا قضايا التعدي على قوات جلالة الملك، وأعرب عن اطمئنانه إلى الوزارة وتعقل الأمة بإلغاء الرقابة التحفظية على الصحف، وكانت الأحوال في هذا الوقت قد عادت إلى مجراها الطبيعي، وكان الفلاحون وهم نحو تسعين في المائة من مجموع السكان يتمتعون برغد لم يسبق له مثيل، مما أنساهم عواصف الفترة التي مرت بهم أثناء الحرب، أما في المدن فقد كان غلاء المعيشة — الذي أخشى أن يكون باقياً إلى الآن — سبباً في استمرار التذمر، فاستخدم زعماء الوطنيين هذه الظروف في مواصلة حملاتهم على رئيس الوزارة والدولة الحامية التي اتهموه بالخضوع لها خضوعاً لا يليق

« ففي أوائل يونيه حدثت في القاهرة مظاهرات صغيرة لم ينشأ عنها أى اضطراب خطير أو إخلال بالأمن العام، وفي شهر أغسطس بدت علامات القلق في دوائر العمال بين طبقات مختلفة من عمال المدن، وكانت الأسباب الأساسية لهذا القلق اقتصادية، ولكن المحرضين صرفوها إلى الأغراض السياسية، ولم تقتهم فائدة اتخاذ الإضراب سلاحاً يتذرعون به إلى أغراضهم، ومن ثم أنشئت النقابات، وكان للاشترائيين الأجانب دخل غير قليل في إشعال جذوة القلق الذي كان كما قلت قد شاع بين عمال المدن الكبرى »

وقال في شرح سياسة انجلترا نحو مصر :

« لا أراني في حاجة إلى بسط الأسباب التي اضطرت بريطانيا العظمى إلى الاهتمام بحظ مصر السياسي وجعلتها في موقف لا تستطيع معه تقديم أي تشجيع للمطالبة بالاستقلال القومي التام ، فضلاً عن أن مصر إذا تركت وشأنها لا تقوى على حماية حدودها من الإغارة الخارجية أو على إقامة حكومة قوية منصفة في داخلها ، فإن موقعها الجغرافي على أبواب فلسطين التي يحتمل قريباً أن تلتق فيها على عاتقنا تبعة خاصة ، ووجودها على مدخل افريقيه ، وفي طريق الهند ، تجعل من المستحيل على الامبراطورية البريطانية إذ أرادت المحافظة على سلامتها وسلامة ملحقاتها أن تتخلى عن تبعتها في مصر ، ولا شك أن المصلحة الأولى في هذه المسألة هي المصلحة المصرية ، ويجب أن تكون العناية بحسن نظام الحكومة ورفاهية المصريين وسعادتهم أول ما يلتفت إليه ، إلا أنها أيضاً مصلحة بريطانية ذات أهمية رئيسية ، وأظن أنه لا يوجد إلا قليل من الناس ينفكرون أنها كذلك مصلحة تهم العالم أجمع ، ولا ضماناً لمصلحة العالم أفضل من بقاء مصر تحت إشراف دولة عظيمة متمدنة ، فإذا سلمنا بهذه الأمور الأساسية التي تنطوي على المسألة بخلافها والتي لا يمكن أن تقبل المناقشة فيها حكومة بريطانية أو حزب من الأحزاب ، فقد يبقى بعد ذلك مجال للاختلاف البعيد في الآراء على الشكل الذي يجب أن تتمثل به المصلحة البريطانية ، ولا أريد الآن أن أحاول تعريف صيغة الحماية تعريفاً علمياً ، فهي من الوجهة الدستورية معروفة في جميع الأمم والعصور ، ومعانيها تتفاوت ، فهي في أقصى طرفها سيطرة سياسية أو إدارية شديدة ، وفي الطرف الآخر حالة لا تختلف كثيراً عن منطقة النفوذ السياسي ، وعلى كلتا الحالتين لا تخلو الحماية من تعهد الدولة الحامية برد الإغارات الخارجية عن الحكومة المحمية وأن تضمن المعاملة العادلة للرعايا الأجانب فيها وصيانة مصالحهم في داخل البلاد ، وعلى العموم المهيمنة على علاقتها السياسية والأجنبية ، أما الدرجة التي تبلغها الحماية في حق التدخل في شؤون الإدارة الداخلية فلم يتصدّق قانون لتقديرها ، وإنما تقدر في كل حالة على حسب كفاءة الحكومة المحمية »

ثم تكلم عن مهمة لجنة ملنر ، وعرج على وزارة يوسف وهبه باشا ، ووصفها بطابع الولاء للاحتلال ، قال : « ولا ريب في أنه لو كانت هذه النيات معروفة لوثقت لجنة اللورد ملنر لا من مقابلة غير ودية بل من أحسن ترحيب ودي من جانب جميع أصدقاء الجنسية المصرية والتقدم المصري ، وإني واثق من أن اللجنة ستلقى هذا الاستقبال على يد الوزارة المصرية الجديدة التي شكلت برياسة يوسف وهبه باشا والتي تؤلف إدارة الأعمال بعد استقالة محمد سعيد باشا منذ أيام قليلة ، وقد أرسل إلينا المندوب السامي يثني على صفة الوزارة وتأليفها وقد تولت الآن أعمالها ، وهي تشاطر حكومة جلالة الملك آراءها المنطوية على الرجاء ، وصممت على أن تعاون بإخلاص وولاء في تنفيذ هذه الآراء »

وأشار إلى تجدد الحوادث الثورية التي وقعت عقب إعلان تأليف لجنة ملنر ، قال :

« بقي على أن أذكر كلمات وجيزة عن القلاقل والإخلال بالنظام والاضطراب الذي تجدد لسوء الحظ في مصر في خلال الأسابيع القليلة الماضية ، ففي شهر أغسطس صارت نعمة الوطنيين في مصر تزداد مراهرة لما ظهر تأخير مؤتمر الصلح في معالجة المسألة العثمانية ، وعجزت لجنة زغلول ( الوفد المصري ) عن أن يسمع صوتها في باريس ، ثم همل الوطنيون المصريون على مقاطعة لجنة ملنر بإشارة حزب زغلول الذي عاد من أعضائه كثيرون الآن إلى مصر ، واستمر التحريض يزداد شدة إلى أن ختم بمشاغبات شديدة وقعت في الإسكندرية في يومى ٢٤ و ٢٥ أكتوبر واستدعى الأمر الالتجاء إلى مساعدة الجنود البريطانيين لإعادة النظام ، وتكررت الاضطرابات بعد ذلك بأسبوع ، ثم عادت فتجددت في القاهرة يوم ١٦ نوفمبر ، وبذل البوليس المصري والجنود المصريون في كلتا المدينتين جهدهم للتغلب على حالة شاقة ، ولكنهم طلبوا مساعدة قوات جلالة الملك التي أظهرت من ضبط النفس والاعتدال في أعمالها ما يضرب به المثل ، ولا أريد في هذه الآونة أن أبحث بعناية كبرى في أسباب هذا الهياج الذي هو نتيجة حوادث هذا الوقت ، والذي يوجد على السواء في كثير من أجزاء العالم الشرقى ، فإنه يصعب التفريق بالضبط بين الأدوار المختلفة التي تعزى في هذا الهياج إلى التحريض السياسى ، وتأثير الحرب ، والأسباب الاقتصادية ، وقوات

الفوضى غير النظامية ، وقد فرض ذلك على ولاية الأمور من المصريين والبريطانيين معا واجبا أوليا يقضى عليهم بتنفيذ القانون والنظام ومعاقبة مرتكبي الاعتداء والجرائم ، وإنا نتق بحزم المندوب السامي وحكمته في معالجة هذا الوجه من الأمر ، وستنال الوزارة المصرية الجديدة منه ومنا كل تأييد »

وجوهر هذه الخطبة كما ترى يعطيك فكرة جلية عن أساس سياسة انجلترا نحو مصر ، وهو الخيلولة بينها وبين استقلالها الصحيح ، والتصرف في أقدارها ، واستدامة أسباب العدوان على حقوقها ، والعمل على إبقائها تحت السيطرة البريطانية وإبراز ما في هذه السيطرة من المعاني الاستعمارية

ولعلك تلحظ ما تنطوى عليه الخطبة من المغالطة في تسويغ هذا العدوان ، إذ يقول اللورد كيرزون إن مصر إذا تركت وشأنها لا تقوى على حماية حدودها من الإغارة الخارجية ، والواقع أن وجود الاحتلال البريطاني هو الذي حال على تعاقب السنين دون إنشاء جيش مصرى يحمى حدودها ويدافع عن استقلالها ، وإن نظرة بسيطة إلى ما كان عليه جيشها من قوة ومنعة في عهد محمد على ، وما حفل به تاريخه من انتصارات ومفاخر في مختلف المواقع والحروب ، حين كانت مصر مستقلة ، ثم ما آل إليه من الضعف والانحلال في عهد الاحتلال ، إن هذه النظرة وحدها تدحض مزاعم اللورد كيرزون ، وتدل على أن مصر قادرة على حماية حدودها إذا تركت وشأنها ، وأن ما يستند إليه من ضعفها الحربى إنما هو من صنع الاحتلال والسياسة البريطانية ، وهذا الضعف لا يعالج باستدامة العدوان على استقلالها ، بل بالكف عن هذا العدوان ، لكي تستطيع أن تنشئ لها جيشا يدفع الغارة ويحمى الذمار ، وأن أية دولة مهما عظمت إذا احتلها الأجنبي وسيطر على شؤونها لا تستطيع أن تنشئ جيشاً قويا جديراً بها ، لأن الاحتلال هو أول عقبة تعترضها في هذا السبيل

ومن التجنى قول اللورد كيرزون ان مصر إذا تركت وشأنها لا تقوى على إقامة حكومة قوية منصفة فى داخلها ، وهى تهمة اصطلحت الدول الاستعمارية على توجيهها إلى كل شعب تريد أن تفرض سيطرتها عليه ، وتلك دعوى مرذولة لا يقبلها العقل ولا المنطق

السليم ، لأن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة ، ولا يوجد مسوغ يخول أية دولة ان تتدخل في شؤون دولة أخرى بحجة إصلاح حكومتها ، بل ان الاحتلال الأجنبي هو الذى يفسد أخلاق الأمة ويضعف وطنيتها ونفسيته ، ويؤدى تبعاً لذلك إلى فساد نظم الحكم فيها ، ومن عجب أن يقول إن موقع مصر الجغرافى ووجودها على أبواب فلسطين وعلى مدخل أفريقيا وفى طريق الهند يجعل من المستحيل على الإمبراطورية البريطانية أن تتخلى عن تبعتها فى مصر ، ومعنى ذلك أنه ما دام من قواعد سياسة إنجلترا الاستعمارية أن تضع يدها على فلسطين وتسبق إمبراطوريتها الاستعمارية فى أفريقيا والهند فهى فى حاجة إلى الحيلولة بين مصر واستقلالها التام ، أو بعبارة أخرى يريد أن يسوغ الاغتصاب بالرغبة فى استبقاء اغتصاب آخر ، فى بلدان أخرى ، وذلك لعمري هو منطق الغصب والعدوان ، وهو منطق لا تقبله أية أمة تحافظ على كيانها ، وتؤمن بحقوقها وكرامتها

#### وصول لجنة ملنز - ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩

وأخيراً جاءت اللجنة ، فى صبيحة يوم الأحد ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ وصلت الباخرة المقلّة للورد ملنز وأعضاء لجنته إلى بور سعيد ، وفى الساعة التاسعة صباحاً استقلوا قطاراً خاصاً سار بهم إلى العاصمة ، وكان يتقدمه قطار كشاف لحراسته ، وتحرسه أيضاً خمس طائرات حربية من بور سعيد إلى القاهرة ، فوصل إليها فى الساعة الثانية بعد الظهر ، وكتم موعد سفر اللجنة من لندن وموعد حضورها ، ولم يُعلن عنها فى الصحف إلا بعد وصولها إلى العاصمة ، ولما وصل القطار إلى المحطة نزل اللورد ملنز وزملاؤه وهم : السير رنل رود . الجنرال السير جون مكسويل . الجنرال السير اوين توماس . المستر سبندر . المستر هرست ، وكان معهم الكولونل وطسن المندوب العسكرى بدار الحماية ، والمستر لويد من موظفيها ، وقد أوفدتهم دار الحماية لمقابلة اللجنة ببور سعيد ، واستقبلهم على رصيف المحطة الجنرال كونجريف نائب القائد العام للجيش البريطانى ، وبعض ضباط أركان حرب الجيش المذكور ، والأميرال اى رسل بك حكمدار بوليس العاصمة ، ونائب مدير السكك الحديدية ،

وكانت أبواب المحطة موصدة ، ولم يسمح لأحد من الجمهور بالوجود بها حين وصول القطار ، وتولى البوليس حراسة أعضاء اللجنة في الطريق ، وذهبوا يتقدمهم اللورد ملنر إلى دار الحماية ، ثم إلى فندق سميراميس القريب من هذه الدار والذي اتخذته اللجنة مقراً لها (١)

وبدا الفرق جلياً بين استقبال اللورد ملنر سنة ١٩١٩ ، واستقبال اللورد دفرين سنة ١٨٨٢ ، في أوائل عهد الاحتلال ، جاء اللورد دفرين إلى مصر في نوفمبر سنة ١٨٨٢ ، إذ عينته الحكومة البريطانية مندوباً سامياً لكي يدرس حالتها ويقدم عنها تقريراً بما ينتهي إليه من الآراء والمقترحات ، فقبول في الإسكندرية لمقابلة نخبة أعداء الإنجليز بانفاقهم مع الحكومة المصرية ، لكي يلفتوا الأنظار إلى مقدم عميدهم الذي جاء ليهيمن على أقدار البلاد ومصايرها ، وأطلقت المدافع بالإسكندرية من البارجة المصرية (محمد علي) تحية له ، واستقبله محافظ الثغر نيابة عن الحكومة ، ونزل ضيفاً بسرأي رأس التين ، ثم استقل قطاراً خاصاً إلى العاصمة ، وكان في استقباله بها رئيس مجلس الوزراء ورئيس التشريعات نائباً عن الخديو توفيق ، ولقيهم من كبار رجال الحكومة ورجال الوكالة البريطانية ، وقائد جيش الاحتلال ، ونزل ضيفاً على الحكومة بقصر الزهة بشبرا (المدرسة التوفيقية الآن) ، وذهب غداً يوم وصوله إلى سراي الجزيرة لمقابلة الخديو ، تحف به كوكبة من الفرسان الإنجليز ، وبصحبته السير ادوار مالت قنصل إنجلترا العام في مصر وزكي بك التشريعات والمستر نيكلسون سكرتيره الأول ، والمستر بلند سكرتيره الثاني ، فقابلهم الخديو توفيق بالحفاوة والإكرام ، وأطلقت له المدافع من القلعة عند خروجه من قصر الزهة ، وعند عودته إليه ، ورد له الخديو الزيادة في قصر الزهة في مساء ذلك اليوم

هذا ما كان من استقبال اللورد دفرين سنة ١٨٨٢ ، فتأمل في الفرق بين هذه

المقابلة ومقابلة اللورد ملنر سنة ١٩١٩ ، من هذه المقارنة يبين لك مبلغ تبدل الحالة السياسية

(١) يقول اللورد ملنر في تقريره : « كانوا قد اتخذوا جميع الاحتياطات للمحافظة على سلامتنا نظراً

إلى روح العداء للجنة التي اشتد في النفوس بالتحريض والإغراء ، فبلغنا الفندق المعد لتزولنا فيه دون أن يحدث حادث ما »

في مصر من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩١٩ ، وأثر العامل القومي في مجرى الحوادث ، وهذا يدل على ارتقاء الشعور الوطني في هذه الحقبة من الزمن ، وأغلب الظن أن هذا التبدل قد استشعر به من كان يعرف مصر من أعضاء اللجنة قبل الثورة ، كاللورد ملنر نفسه ، والجنرال مكسويل ، والسير رنل رود ، فاللورد ملنر قد عرفها وسهر غورها في الدور الأول من الاحتلال حيث كان الخضوع والاستسلام مخيمين عليها ، فقد كان وكيل الوزارة المالية المصرية من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩١ ، وفيها ألف كتابه المشهور ( إنجلترا في مصر ) الذي ظهر سنة ١٨٩٢ ، وصار من وجهة النظر البريطانية عمدة المشتغلين بالسياسة المصرية ، والسير رنل رود قد عرفها أيضاً ، إذ كان ملحقاً بالوكالة البريطانية بها من سنة ١٨٩٤ إلى سنة ١٩٠١ في عهد اللورد كرومر ، والجنرال مكسويل قد شهد الانقلاب الذي أعلنت فيه الحماية في ديسمبر سنة ١٩١٤ ، وسام فيه بقسط وفير كما تقدم بيانه ( ج ١ ص ١٤ ) ، وشهد جهود الوزراء والكبراء وجمهرة الأمة حيال هذا الانقلاب الخطير ، واقتصر الاحتجاج على دائرة محدودة من الشعب ، أما في سنة ١٩١٩ ، فقد عمت حركة الاحتجاج والثورة ، وصارت البلاد تغلي كالقدر سخطا على الحماية ، واحتجاجا على لجنة ملنر ، وتعلقا بالاستقلال التام ، وقد اعترف اللورد ملنر في تقريره بالروح العدائية التي قوبلت بها لجنته ، وقال إن عدد الرسائل البرقية التي انهالت عليها بمقاطعتها والاحتجاج عليها بلغ ١١٣١ برقية

### الاحتجاج على اللجنة ومقاطعتها

لم يكذب نأ وصول اللجنة حتى بدت العاصمة في حالة غير طبيعية من الهياج والاضطراب ، فمُنذ ٨ ديسمبر أضرب الطلبة من جديد وهجروا معاهدهم ومدارسهم احتجاجا على قدوم اللجنة

وفي يوم ٩ منه قام الطلبة والجمهور بمظاهرات عدة في نواحي القاهرة وتعددت المظاهرات في الأيام التالية

ووجد التجار يوم ٩ ديسمبر عندما ذهبوا لفتح محلاتهم إعلانات ملصقة على أبوابها ،



مكتوبا عليها « المحل مقفل احتجاجا على مجيء لجنة ملتر لبسط الحماية » ، فمنهم من احترموا الإعلان وأبقوا محلاتهم مغلقة ، وهم كثيرون ، ومنهم من فتحوا محالهم بعد مرور الجنود المصرية في الشوارع

وانهالت برقيات ورسائل الاحتجاج على اللجنة من كل صوب ، واحتجت الهيئات السياسية ومجالس المديرية على قدومها

وقامت المظاهرات في الإسكندرية وكثير من العواصم احتجاجا على اللجنة ، ولم تحصل اعتداءات من الجنود على هذه المظاهرات ، فيما عدا مظاهرة قامت بالإسكندرية من مسجد أبي العباس يوم الجمعة ٢٦ ديسمبر عقب الصلاة ، فمرت سيارتان بريطانيتان مدرعتان وأطلق جنودهما المسدسات لتفريق المظاهرة ، فقتل واحد وجرح خمسة ، وقد وقع القتل بعد فترة من الهدوء النسبي لم تقع فيها حوادث دموية منذ ١٨ نوفمبر ، فكان لهذا الاعتداء وقع شديد في النفوس

### إضراب المحامين

واجتمع المحامون في الجمعية العمومية العادية يوم الجمعة ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ ، ونفذوا ما أعلنوه يوم اجتماعهم السابق على مجيء اللجنة ، وقرروا الإضراب أسبوعا يبدأ من يوم ١٧ ديسمبر احتجاجا على قدوم اللجنة ، وقد حددوا يوم ١٧ ديسمبر لأنه ذكرى إعلان الحماية<sup>(١)</sup>

وحذا المحامون الشرعيون حذوهم

### اجتماع السيدات المصريات بالكتدرائية المرقسية

واحتجاجهن على قدوم لجنة ملتر

وفي يوم الجمعة ١٢ ديسمبر اجتمع عدد عظيم من السيدات المصريات من مسلمات

(١) انتخب في هذا الاجتماع خمسة من المحامين ، وهم : مرقس حنا بك . ومحمد أبو شادي بك . وعبد الرحمن الرافعي بك . ويونس صالح بك . وأحمد مصطفي بك أعضاء في مجلس النقابة بدلا من انتهت مدتهم ، وانتخب مرقس حنا بك نقيباً للمحامين . ومحمد أبو شادي بك وكيلا للنقابة

وقبطيات بالكنيسة المرقسية ، للاحتجاج على قيام وزارة يوسف وهبه باشا وقدم لجنة ملنر، وكان في مقدمتهم السيدات : هدى شعراوى . شريفة رياض . حرم محمود باشا رأفت . حرم حبيب بك خياط . إحسان القوصى . حرم فهمى بك ويصا ، الخ ، وأصدرن بيانا ضمَّنه رأيهن في الموقف السياسى ، وإخلاف الإنجليز وعودهم فى المسألة المصرية ، وختمنه بتأييد مقاطعة لجنة ملنر والاحتجاج على قدومها والإصرار على التمسك بالاستقلال التام وقام السيدات يوم ١٦ يناير سنة ١٩٢٠ بمظاهرة سارت من محطة مصر إلى شارع كامل ( الجمهورية الآن ) ، فيمدان الأوبرا ، فشارع عابدين ، وتعرض لهن الجنود البريطانيون وطلبوا منهن التفرق فأبين واستمررن فى المظاهرة ، إلى أن انتهت بسلام

### احتجاج الموظفين

واجتمع جمهور الموظفين يوم ١٥ ديسمبر بمسجد الشيخ صالح أبى حديد وقرروا الإضراب عن العمل يوماً واحداً وهو يوم ١٧ ديسمبر احتجاجاً على قدوم اللجنة وإيداناً بمقاطعتها ولكن الوزارة لم تكف تعلم بهذا القرار حتى قررت يوم ١٦ ديسمبر إنزال العقاب الشديد بكل من يضرب فى اليوم التالى ، وأبلغ رؤساء المصالح هذا الإنذار إلى مسؤوليهم ، وصارحهم بأن أول مظهر لهذا العقاب هو قطع علاوة الحرب والعلاوات الأخرى ، وفصل كل موظف لا يكون له فى الخدمة أكثر من عشر سنوات ، فعدل الموظفون عن الإضراب ، واكتفوا بالاحتجاج

### إنذار الصحف

وكان سبيل الاحتجاجات وإعلان مقاطعة اللجنة يتدفق على الصحف ، فأصدرت إدارة المطبوعات بلاغاً يوم ١٨ ديسمبر يتضمن تهديد الصحف بالتعطيل بمقتضى الأحكام العرفية إذا هى نشرت أعمالاً أو آراءً سياسية « تصدر عن أشخاص لا يدركون تبعه ما يفعلون كتلاميذ المدارس وغيرهم ، أو احتجاجات سياسية موجهة إلى السلطات أو اللجنة البريطانية

ما لم يصادق عليها الرقيب ، وكل ما من شأنه تحريض الموظفين أو غيرهم على الإضراب أو إهمال القيام بواجباتهم ، وكل خبر أو طعن من شأنه إثارة شعور العامة ضد الحكومتين البريطانية والمصرية أو من يمثلهما »

وُبنى هذا البلاغ على ديباجة جاء فيها : « ان المسلك المخالف للنظام الذى سلكه الطلاب وغيرهم فى الأيام الأخيرة حتى بلغ أشده فى تكرار الشروع فى القتل يمكن إسناده لدرجة عظيمة إلى مواد نشرتها الصحف ، وان ما أحدثته الجرائد فى الأقاليم من التأثير المحل بالنظام قد أصبح واضحاً »

وأشار البلاغ إلى عودة الرقابة على الصحف بطريقة ملتوية بقوله : « على جميع رجال الصحافة أن يعملوا بهذه التعاليم من حيث مبنائها ومعناها ونشير عليهم مراعاة للمصلحة العامة ومصالحهم الخاصة أيضاً أن يعرضوا على جناب رئيس المراقبة ( إدارة المطبوعات ) المواد التى يرتابون فى كيفية تأثيرها قبل نشرها »

وقد اجتمع أصحاب الصحف واحتجوا على هذه القيود ، ولكنهم مُنعوا من نشر هذا الاحتجاج أو الإشارة إليه

### اقتحام الجنود الإنجليز الأزهر - ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩

وقع يوم ١١ ديسمبر حادث اهتزت له أرجاء القاهرة ، وأثار عاصفة من السخط والاستنكار فى أنحاء البلاد ، وهو اقتحام الجنود الإنجليزية الجامع الأزهر ، وتفصيل ذلك ان مظاهرة قامت فى صبيحة ذلك اليوم مؤلفة من طلبة الأزهر ومن انضم إليهم ، وبدأ سير المظاهرة من ميدان الأزهر ، وسار المتظاهرون بكل هدوء ونظام حتى وصلوا إلى شارع السكة الجديدة . وأرادوا أن يواصلوا سيرهم إلى دور معتمدى الدول ، ولكن قبل أن تصل المظاهرة إلى شارع الموسيقى أدركها الجنود الإنجليز بالسيارات ، وهاجموا المتظاهرين ، فتفرقوا ، وعادوا إلى قواعدهم بميدان الأزهر ، ودخل كثير منهم إلى المسجد يحمون به ، فدخل وراءهم الجنود الإنجليز بنعالم وأسلحتهم ، واعتدوا على من صادفهم

بالضرب والإيذاء ، فحدث هرج ومرج في الجامع ، واقتحم الجنود مكاتب الإدارة ، وحاولوا كسر الأبواب ، ففزع الموظفون ، وحدثت ضجة كبيرة داخل الجامع وخارجه

### احتجاج العلماء

وعندئذ ثارت نائرة المشايخ ، وقصدوا إلى شيخ الجامع يقصون عليه ما جرى ، فاجتمع بكبار العلماء ووضعوا احتجاجاً شديداً ، وقعوا عليه جميعاً ، وبعثوا به إلى السلطان فؤاد ، وإلى يوسف وهبه باشا رئيس مجلس الوزراء ، ثم إلى اللورد ألنبي المندوب السامي البريطاني ، وهذا نصه :

« حدث في منتصف الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الخميس ١٨ ربيع أول سنة ١٣٣٨ هـ ( ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩ ) أن فصيلة من الجنود البريطانية كانت تطارد جماعة من الناس اقتحمت الجامع الأزهر الشريف بنعالها وعصيها منتهكة حرمة هذا المعهد المقدس والجامعة الإسلامية الكبرى التي يؤمها طلاب العلوم من جميع الأقطار ، ثم أخذت تضرب وتروع ، وتجاوزت ذلك إلى الاعتداء على محل الإدارة والعمال يؤدون وظيفتهم ، محاولة كسر الباب الموصل إلى القاعة المخصصة لشيخ الجامع الأزهر ، لولا متانتة ، ثم صعدت إلى الدور الأعلى من الرواق العباسي ، فكسرت باب غرفة رئيس الحسابات ، وقد كان الرعب استولى على من فيها من العمال فأوصدوها على أنفسهم

« ان هذا الحادث قد أحزن جميع المصريين المقيمين في القاهرة وآلمهم أشد الإيلام ، وستيزداد هذا الأثر السيئ بنسبة انتشار الخبر في أرجاء مصر وتردد صداه في أنحاء العالم الإسلامي

« فنحن الموقعين على هذا من علماء الجامع الأزهر وأعضاء مجلسه الأعلى نحتج على هذه الحادثة السيئة قياماً بالمفروض علينا من خدمة الأزهر الشريف وأهله »

٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٨ - ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

## توقيعات

محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ الجامع الأزهر . محمد بنحيت مفتى الديار المصرية . أحمد  
نصر نائب شيخ السادة المالكية . محمد النجدي شيخ السادة الشافعية . محمد سبيع الذهبي  
نائب شيخ السادة الحنابلة . عبد الرحمن قراعة وكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية .  
محمد إبراهيم . محمد الأحمدى . عبد الغنى محمود (وهؤلاء جميعاً أعضاء مجلس الأزهر الأعلى) .  
أحمد زكى باشا عضو المجلس الأعلى . مصطفى عبد الرازق السكرتير العام للمجلس الأعلى .  
محمد شاكر وكيل الأزهر السابق . محمد حسنين وكيل الأزهر ومدير المعاهد الدينية السابق .  
محمود الجزيرى . عبد الحميد زايد . إبراهيم الحديدي . دسوقى العربى . محمد أحمد الطوخى .  
عبد المعطى الشرشيمى . محمد بنحان ، وكلهم من هيئة كبار العلماء . عيسوى نجا الإييارى .  
محمود الإمام . حفناوى السيد الجيزاوى . عمر محمد الهجرسى . صادق عزام . عبد الرحمن  
عيد المحلاوى أستاذ الشريعة الإسلامية بالجامعة المصرية . إبراهيم زيان . عبد الغنى مهنا .  
أحمد الصفتى . عبد السلام البشرى من علماء الأزهر . عبد المجيد الشاذلى . محمد الحلبي .  
عيسى منون . سعيد حسن . على مصطفى أبو دره . أحمد المسكاوى . أمين حمزه النواوى .  
محمد عبد الخالق العشرى . عيسوى محمد ماريه . على محمد صبره . خليفه راشد . حسن عامر  
مذكور . اسماعيل على . أحمد عيسى السلامونى . محمد سعد بركة . محمد الشايب . سعد أحمد  
الذهبي . محمد عبد اللطيف دراز . محمد إبراهيم البيومى . محمد المهدي على . عبد ربه مفتاح .  
عبد الحلیم سعد . أحمد عبد اللطيف . أحمد عبد السلام . عواد على حسن . على جاد الحق .  
عبد الحكيم محمد . يوسف الرمالي . محمود الدينارى . محمد الشاعر . محمد أحمد الشيبينى .  
عبد الله قنديل . محمد محمد المدلل . معوض السخاوى . محمد عبد الله محمد . على شقير . أمين  
الشيخ . بركات أحمد . أمين خطاب . على محمد الشيخ . على محمود . محمد أحمد القطيشى .  
محمد بس الجندى . إسماعيل حسين . محمود الغمراوى . عبد الوكيل أحمد خاطر . السعدى  
محمد . محمد الحنبلى . إبراهيم صقر البهى . عبد الرحمن عبد ربه . محمد الخطيب . سليمان

إبراهيم البيلي . عبد الرسول خليفة . مصطفى محمد عيد . عبد الباقي نعيم . مصطفى محمد  
مأمون . توفيق محمد . علي عبد اللطيف . سعيد عبد الله . أحمد المرشدي . صادق شعيب .  
إبراهيم النقراشي . حسن أبو عرب . إبراهيم الدسوقي . مصطفى بدر زيد . عبد الحميد  
الهنامي . محمد حماد خليفة . محمد محمد هلالى . عبد العليم رضوان . سليمان فائد . عبد الفتاح  
أحمد . محمد فريد الضرغامى . عبد الرحيم البرديسى . محمد مخلوف . عيسى الشويرى . علي  
الشايب . محمد درويش العصار . موسى شريف . عبد الرؤوف عبد السلام . أحمد عبد  
الحليم هيكل . محمد علي البراوى . علي محمد النجار . علي علي البنا . محمد حفنى بلال

### جواب اللورد ألنبي

ولما تسلم اللورد ألنبي هذا الاحتجاج بادر بإرسال الرد إلى شيخ الجامع ، وأبدى فيه  
أسفه لوقوع الحادث ، وروى فيه الواقعة على أساس أن دخول الجنود الأزهر كان على أثر  
دخول بعض المتظاهرين فيه وقذفهم الأحجار من داخله على الجنود ، وهذا نص الكتاب :

« حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو الفضل شيخ الجامع الأزهر

« قد تلقينا كتابكم الذى وجهتموه إلينا مع حضرات أصحاب الفضيلة والسادة علماء  
الأزهر الشريف وأعضاء مجلسه الأعلى ، وقد أمرنا بإجراء التحقيق اللازم عن حادث يوم  
١١ ديسمبر ، وقد يظهر أن بعض الأفراد السيئ النية كانوا قد هاجموا الحوانيت ، ولما  
طاردهم الجنود البريطانية التجأوا إلى الأزهر وجعلوا يقذفون منه الأحجار على الجنود  
حتى إذا ما أثاروا غيظهم اقتفوا أثر المعتدين اللاجئين فى جوانب الأزهر ، ولا يغرب عن  
فضيلتكم أن ذلك قد حدث فى الوقت الذى تهيجت فيه نفوس الجنود ، ولكم أن تنقوا  
بأنه لم يقصد ألبتة انتهاك حرمة الأزهر ولا التعدى على كرامة فضيلتكم أو السادة العلماء  
أو الطلاب المسالمين ، وبينما نأسف فى هذه الآونة لوقوع هذا الحادث إلا أننا نرجو أن  
نوجه نظر فضيلتكم إلى أنه من الواجب على الهيئة الرئيسية للأزهر الشريف أن تمنع

استعمال جوانب الجامع لأعمال الاعتداء المخالفة للقانون»

« نائب جلالة الملك »

١٧ ديسمبر سنة ١٩١٩

« أللنبي »

ونشرت الحكومة من ناحيتها بلاغا رسميا بمعنى كتاب اللورد اللنبي

رأى علماء الأزهر

في الموقف السياسي

وقد حركت هذه الحادثة في نفوس علماء الأزهر الجهر برأيهم في الموقف السياسي عامة ، فوضعوا بياناً أعربوا فيه عن أن الحل الوحيد للاضطراب السائد في البلاد هو أن تفي الدولة الإنجليزية بوعودها ، وتعترف للبلاد بالاستقلال التام ، أي أنهم شاركوا الأمة في معظم مطالبها السياسية ، وأرسلوا هذا البيان إلى السلطان وإلى رئيس مجلس الوزراء والمندوب السامي البريطاني ، وهذا نصه :

« إن علماء الأزهر الشريف وأعضاء مجلسه الأعلى بإزاء الظروف الحاضرة ، وما جرت على البلاد من خطوب تفاقمت في هذا العهد حتى بلغت من الشدة درجة لا يحسن السكوت عليها ، يرون من أقدس الواجبات التي فرضها الله عليهم أن لا يتوانوا في القيام بوظيفتهم في إبداء النصيح والإرشاد إلى ما فيه تأييد السلم في الأرض وتوطيد العلائق الحسنة بين الأمم والشعوب على دعائم الصفاء والعدل طبقاً لما أمر الله به في جميع الشرائع المنزلة ، ولا سيما الشريعة الإسلامية الغراء

« أجمعت الأمة المصرية على التمسك بحقها الشرعي في الاستقلال التام ، وأصرت على المطالبة به بكل ما لديها من الوسائل المشروعة ، دون أن يظهر من جانب الحكومة الإنكليزية ميل إلى الاعتراف بهذا الحق ، فأدى ذلك إلى أحوال تشعر بما يخالج النفوس من الريب والحذر والقلق ، فكانت النتيجة استمرار الاضطراب وتعطيل المصالح العامة والخاصة

«لذلك يرى علماء الأزهر الشريف ورجال مجلسه الأعلى الموقعون على هذا أن الطريقة الوحيدة لتوطيد السلام وللتوفيق بين الطرفين ولصون المصالح المتبادلة هي أن تفي الدولة الإنكليزية بوعودها وتعترف بالاستقلال التام لهذا البلد الممتاز بميراثه المجيد ومكائنه الخاصة ومقامه الراجح في بلاد الشرق أجمع وبذلك تمتنع وسائل الشدة التي طالما ظهرت آثارها بما يوجب الأسف الشديد ، ويخلد أبناء الأمة كلهم إلى الهدوء والسكينة ولا يضمرون ضغناً ولا حقداً للحكومة الإنكليزية ويقومون بالمحافظة على مصالحها مثل مصالح سائر الدول الأجنبية « هذه هي الأمانة التي وضعها الله في أعناقنا قد أديناها قياماً بالواجب على خدام الدين ، ونشهد الله على ذلك وهو خير الشاهدين »

ولقد حذا علماء الإسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط حذو علماء الأزهر ، فخرروا بياناً يضمون فيه صوتهم إلى صوت إخوانهم علماء الأزهر في طلب الاستقلال التام

### تهديد الطلبة المضربين

أصدر مجلس الوزراء في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٩ قراراً بإنذار جميع طلبة المدارس العليا وتلاميذ المدارس الأميرية والمدارس الخاضعة لتفتيش الحكومة بالحضور إلى مدارسهم في التواريخ التي حددتها وزارة المعارف ، وبأن كل من يتخلف عن إطاعة هذا الأمر ويتغيب عن مدرسته دون أن يقدم عذراً مقبولاً يحرم الدخول في جميع الامتحانات التي تعقد في خلال سنة ١٩٢٠

### بلاغ اللورد ملنر عن مهمته — ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩

رأت لجنة ملنر أن مقاطعة الأمة لها أصبحت عامة محكمة ، وظهرت بمظاهر شتى تجتمع كلها في إعراض الأمة عن الاتصال بها ، عن قرب أو بعد ، فأخذت تعالج هذه المقاطعة بالأناة وسعة الحيلة ، فأصدر اللورد ملنر بلاغا عن مهمته ، قال فيه :

« أدعش اللجنة البريطانية الاعتقاد الشائع بأن الغرض من مجيئها هو حرمان مصر من



حقوقها التي كانت لها إلى الآن . ولا أساس على الإطلاق لهذا الاعتقاد . فإن اللجنة أوفدت من قبل الحكومة البريطانية بموافقة البرلمان البريطاني لأجل التوفيق بين أمانى الأمة المصرية والمصالح الخاصة التي لبريطانيا العظمى في مصر مع المحافظة على الحقوق المشروعة التي لجميع الأجانب القاطنين في البلاد

« ونحن على يقين من أنه يمكن الوصول إلى هذا الغرض مع توافر حسن النية من الجانبين ، واللجنة ترغب رغبة صادقة في أن تكون العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر قائمة على اتفاق ودي يزيل أسباب الاحتكاك ويمكن الأمة المصرية من صرف كل مجهوداتها إلى ترقية شؤون البلاد في ظل أنظمة حكم ذاتي Self Governing institutions<sup>(١)</sup>

« وتنفيذاً لهذه المهمة تود اللجنة أن تقف على كل الآراء سواء صدرت من هيئات نيابية أو أشخاص يهتمون اهتماماً صادقاً بخير بلادهم ، ويمكن إبداء كل رأى بحرية وصراحة ، ولا رغبة للجنة في تقييد حدود المناقشة ، كما أنه لا داعي لأن يخشى كل فرد أن يعتبر مقابلة اللجنة تنازلاً منه عن معتقداته ، فإنه لا يعد متنازلاً عن معتقداته بمفاوضة اللجنة إلا كما تعد هي متنازلة بسماحها ، وبغير الصراحة التامة في المناقشة يصعب وضع حد لسوء التفاهم والوصول إلى الاتفاق »

« ملنر »

مصر في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩

### رد الوفد على بلاغ ملنر

وقد ردت لجنة الوفد المركزية على هذا البلاغ ببيان أذيع يوم ٣٠ ديسمبر ، قالت فيه :  
« كانت لجنة الوفد تود أن يكون بلاغ اللورد صريحاً واضحاً ، وأن يتضمن الاعتراف باستقلال مصر التام ، ولكنه اقتصر على توسيع دائرة المناقشة ، فبعد أن كانت المفاوضات التي تطلبها اللجنة محصورة في دائرة الحماية أباح البلاغ المفاوضات في غير دائرة مخصوصة

(١) في الترجمة الرسمية للبلاغ « تحت أنظمة دستورية » والمعنى واحد

« نعم إن توسيع دائرة المناقشة يدل على اقتناع الإنجليز بأن المصريين يرفضون الحماية رفضاً باتاً ، ولكنه لا ينبغي مخاوف المصريين من التصريحات السياسية الإنجليزية التي تقدمت بحجى اللجنة وليس من شأنه بأى حال أن يحمل الأمة على العدول عن خطتها وفضلا عن ذلك فإن الأساليب السياسية لا تسمح بمفاوضة بين لجنة وأمة بأمرها

» وإذا كان الغرض الوقوف على مطالب المصريين ، فإن هذه المطالب أصبحت معروفة معرفة تامة فى جميع أنحاء العالم ، وهى تنحصر فى شىء واحد هو « الاستقلال التام » ، أما التوفيق بين استقلالنا وبين ما لغيرنا من المصالح فالمناقشة فيه تكون مع الوفد متى كان الأساس عدم المساس بحقوقنا المقدسة «

« فلتحى مصر . وليحى الاستقلال التام »

وأبرقت لجنة الوفد ببلاغ اللورد ملنر وردها عليه إلى سعد باشا فى باريس ، فجاءها الرد بموافقة الوفد

### رد الحزب الوطنى

وفى ٣١ ديسمبر نشر الحزب الوطنى رده على بلاغ اللورد ملنر ببيان أعلن فيه من جديد سياسة ( لا مفاوضة إلا بعد الجلاء ) تأييداً لقراره فى نوفمبر سنة ١٩١٩ ( ص ٩٨ ) ، قال : « أعلن جناب اللورد ملنر فى بلاغ لجنته للأمة أن الحكومة البريطانية بموافقة مجلس نوابها ومجلس أعيانها ما أوفدت اللجنة إلى مصر إلا لغرض واحد وهو التوفيق بين أمانى الأمة وبين ما للدولة البريطانية العظمى من المصالح الخاصة فى مصر مع المحافظة على الحقوق المشروعة التى لجميع الأجانب القاطنين فيها ، وأظهر جنابه رغبة اللجنة فى الوقوف على آراء الهيئات المشخصة للأمة المصرية وانها لترغب رغبة صحيحة صادقة فى أن تكون الصلات بين بريطانيا العظمى ومصر أساسها اتفاق ودى يستأصل كل سبب للتنافر فيتمكّن المصريون من أن يفرغوا جهدهم فى ترقية شؤون بلادهم تحت أنظمة دستورية ، هذا هو جوهر البلاغ الذى نشرته الصحف المحلية ، وليس للحزب الوطنى إزاء هذا البلاغ سياسة خاصة بل انه

لا يزال متمسكا بسياسته التي أعلنها للأمة مراراً وتكراراً والتي أبانها إزاء السياسة الإنجليزية بكل وضوح في الخطبة التي ألقاها باسمه حضرة على بك فهمي كامل وكيل الحزب في حفلة تأبين المغفور له رئيسه ( محمد بك فريد ) في يوم الجمعة ١٩ ديسمبر الجاري ، وهذا فخواها :  
إن الأمة المصرية لا تقبل غير استقلال مصر التام مع سودانها وملحقاتها استقلالاً غير مشوب بأية حماية أو وصاية أو سيادة أجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال وانها لا ترضى بالمخاطرة مع أية هيئة بريطانية أو غيرها إلا إذا اعترفت بريطانيا بهذا الاستقلال التام وأعلنت اعترافها به رسمياً وأيدته بجلاء الجنود الإنكليزية عن وادى النيل وسحبت إعلان الحماية

« إنه إذا اعترفت إنجلترا أمام الملأ رسمياً بهذا الاستقلال بحسن النية وصدق الإخلاص اللذين أشار إليهما جناب اللورد ملتر ، وجلت الجنود البريطانية عن البلاد وسُحِبَ إعلان الحماية ، فإن الأمة المصرية تشعر إذ ذاك بأن إنجلترا وفَت بوعودها وبرت بعهودها ، وتكون بأسرها مرتاحة لكل مخاطرة لا تمس استقلالها التام في أمورها الداخلية أو الخارجية ، وأما ما دامت خطة اللجنة الإنجليزية لا تخرج عما قاله اللورد كيرزون ومستر بالفور ضاربين باستقلال مصر التام عرض الأفق ، وما دامت البلاد محتلة بجيشين أحدهما حربى والثانى ملكى ، وما دامت الأحكام العرفية تصدر كل يوم باعتقال أبناء الأمة وتوقيع العقوبات المختلفة على طلاب العلم ، وما دامت حرية القول والكتابة محجورة ، وما دامت البلاد في فوضى من التشريع ، وفي الجملته ما دامت الأرواح تخطف لأقل مظاهرة سياسية سلمية إلى غير ذلك من الضحايا التي ضحتها الأمة في سبيل استقلالها التام ، نعم ما دام كل هذا وغيره قائماً فوق أرض مصر على مشهد من العالم المتمدن ، فإن كل مخاطرة مع أية هيئة بريطانية لا يكون معناها إلا التنازل عن هذا المطلب الأسمى — مطلب الكرامة والإباء — مطلب الاستقلال التام ، لذلك ينصح الحزب الوطنى المصرى للأمة بأسرها أن تحرص كل الحرص على معنى الاستقلال التام ، وألا يفوتها أنها لو نالته بأى شرط كائناً نوعه ما كان فإنه لا يكون استقلالاً تاماً بمعناه المرسوم ، فالمخاطرة على مقاطعة كل هيئة بريطانية — ما دام استقلال مصر التام لم يعترف به من قبل إنجلترا ولم ينفذ بالفعل — واجب كل الوجوب على

كل مصرى ينبض قلبه بحب هذا الوطن المقدس ويشعر بمركزه وكرامته في الوجود  
« وكيل الحزب الوطنى » — « على فهمى كامل »

وسياسة الحزب الوطنى فى عدم المفاوضات قبل الجلاء منسجمة تماماً مع مبادئه ، لأنه ،  
وهو حزب الجلاء ، ما دام متمسكاً بالجلاء ، ولا يقبل ما دونه ، لا يرتضى الدخول فى  
مفاوضات بين مصر وإنجلترا والاحتلال قائم ، لأن جوهر القضية بينهما هو فى الاحتلال  
والجلاء ، فإما جلاء ، وإما احتلال ، والجلاء هو الدواء الوحيد للاحتلال ، كما قال المرحوم  
محمد فريد ( ج ١ ص ٩٨ ) ، والأصل أن الاستقلال حق طبيعى ثابت لا يقبل المناقشة ،  
فلا يصح أن يجعل هذا الحق موضع شك أو مساومة ، والمفاوضة والاحتلال قائم وسيلة قصد  
منها تشكيك الأمة المصرية فى حقها فى الجلاء وإيمانها به ، والوسيلة الطبيعية للجهاد هى  
المطالبة المقرونة بالمقاومة ، أما المفاوضات فهى من الناحية البريطانية وسيلة لكسب الوقت  
وصرف الأمة عن التمسك بالجلاء ، ومن الناحية المصرية وسيلة للتراخى فى المقاومة وتبويل  
الأمر الواقع تحت أوضاع مختلفة ، ولقد جربت البلاد المفاوضات مع قيام الاحتلال ، جربتها  
فى مدى ربع قرن ، فلم تنتج إلا بقاء الاحتلال وإقراره ، مع تغير فى أسمائه وأوضاعه ، فى  
حين أن الجلاء لا يصح أن يكون موضع مساومة أو اشتراط شروط فى مقابله ، لأن إنجلترا  
عندما تعهدت ستين مرة<sup>(١)</sup> بالجلاء عن مصر ، لم تعلق وعودها وعهودها على شروط ، بل  
كانت عهوداً صريحة مطلقة ، فالجلاء — وهو جوهر الاستقلال — لا يصح أن يكون  
مقيداً بشروط ، وفى ذلك يقول المرحوم « مصطفى كامل » : « نحن مسلوبون والإنجليز هم  
السالبون ، ونحن طلاب حق مقدس والإنجليز هم مغتصبو هذا الحق ، فلا سبيل إلى الاتفاق  
بيننا وبينهم إلا باعترافهم بحقنا ورده إلينا »

هذا ، إلى أن المفاوضات والاحتلال قائم ، فيها معنى الإكراه الأدبى والمعنوى المائل  
فى الاحتلال ذاته ، والإكراه بفسد معنى المفاوضات ونتيجتها ، ويحمل المفاوضات المصرى ،

(١) نشرنا هذه العهود فى كتاب (مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص ٢٤٣ وما بعدها)

وقد أعدنا نشرها الآن فى قسم الوثائق التاريخية

تحت تأثير هذا الإكراه ، على المساومة في الجلاء ، والتساهل في وجود الاحتلال تحت أي اسم كان ، وهذا ما يتعارض قطعاً مع مبدأ الحزب الوطني الأساسي ، وهو الجلاء ، على أن المفاوضات قبل الجلاء تشبه من بعض الوجوه استفتاء الشعوب في تقرير مصيرها مع قيام الاحتلال الأجنبي الذي تستفتى في شأنه ، وقد اتفقت الآراء على أن مثل هذا الاستفتاء غير صحيح ولا سائغ ، لما يلابسه من الإكراه السافر أو المنع ، وأن الاستفتاء الصحيح يجب أن يسبقه الجلاء ، والمفاوضة الصحيحة يجب أيضاً أن يسبقها الجلاء ، ولقد كان فريد في مذكراته إلى المؤتمرات الدولية يطلب الاعتراف للأمة المصرية بحقوقها في تقرير مصيرها بطريق الاستفتاء ، على أن يسبق الاستفتاء جلاء الجيش الإنجليزي عن البلاد ، وكذلك جلاء الموظفين المدنيين البريطانيين ، لضمان صحة الاستفتاء

### رسالة الأمراء

وفي ٣ يناير سنة ١٩٢٠ أذاع الأمراء : كمال الدين حسين . وعمر طوسون . ومحمد علي إبراهيم . ويوسف كمال . واسماعيل داود . ومنصور داود . رسالة إلى الأمة ، أعربوا فيها عن تضامنهم معها في أمانيتها وآمالها ، وأعلنوا أنهم يطالبون باستقلال مصر استقلالاً تاماً مطلقاً بلا قيد ولا شرط ، فأيدوا برسالتهم وجهة نظر الحزب الوطني ، قالوا :

« أبناء مصر مواطنينا الأعزاء

« يوم ما اقتضت الإرادة الصمدانية إيداع مصير مصر بين يدي من كان خالق مصر الحديثة وخادمها منقذ المصري ومرشده ألا وهو جدنا الأكبر وسيدنا الأعظم المرحوم ( محمد علي الأول ) وجمعت القدرة الإلهية في شخص هذا البطل العظيم الحكمة والشجاعة في أعماله مع الصدق والولاء نحو مصر ، فجعلت المشيئة الربانية أن يعقب هذا الشخص الجليل ذرية تقطن هذه الأرض الطاهرة ، مغمورة بنعمها ، فرض الله علينا بذات خدمة مصر وإخواننا المصريين ، والسير على أثر جدنا الأكبر لتحقيق آماله الشريفة ولتنميط أعماله النافعة لبلادنا والمطالبة بحقوق مصر والمصريين ، وحيث ان الأمة المصرية الشريفة التي هي سبب عظمتنا

وشوكتنا وفخارنا قد قامت بالواجب عليها قياما يجعل لها ولنا أعظم منزلة تتفاخر بها في العالم بأسره ، وبما أنه لم تبق من جميع طبقات أمتنا العزيزة طبقة إلا نادت بأعظم صراحة وأجلى بيان مطالبة بحقوقها الشرعية المقدسة والحقة ، فقد جئنا نحن أولاد محمد على لا لنشارك أمتنا في أمانيتها ومقاصدها فقط ، بل لنضم صدورنا إلى صدور أفرادها ، ونجعل أيدينا في أيديهم ، حيث اننا لسنا إلا روحا واحدة حتى نكون جسما لا يُبتر وقوة لا تُقهر فنطالب بحقوق وطننا ، نطالب بحقوق أمتنا ، نطالب بحقوقها الشرعية ، نطالب باستقلال مصرنا استقلالاً تاماً مطلقاً بلا قيد ولا شرط »

كمال الدين حسين      عمر طوسون      محمد على إبراهيم  
يوسف كمال      اسماعيل داود      منصور داود

### مذكرة الأمراء إلى اللورد ملتر

وأرسلوا في اليوم نفسه مذكرة إلى اللورد ملتر رداً على بلاغه ، قالوا فيها :

« بما أن جميع طبقات الأمة المصرية أعلنت شعورها نحو وطنها وعبرت عن أمانيتها طالبة الاستقلال التام لبلادها ، وبما أن هذا العمل الصادر من الشعب المصرى برهان ساطع قاطع على إخلاصه الذى لا يدع مجالاً لأحد أن يتهمه بأنه يعمل تحت تأثيرات شخصية أو عوامل خاصة ، وفضلاً عن ذلك بما أن جميع أعمال الأمة المصرية المتحدة اتحاداً صادراً من أعماق قلوبها تبرهن بكل جلاء على أنها منبعثة عن شعور حقيقى لم يدفعها إليه سوى عواطفها الحارة نحو الوطن ، فإننا نقدم إليكم هذه المذكرة لتحيطوا علماً أننا لا تقتصر على الموافقة التامة على جميع مطالب الأمة المصرية ، بل ننضم إليها ليكون منا جسم واحد للمطالبة بحقوق وطننا والتمسك بالاستقلال التام لمصر ، ونفضلوا بقبول فائق احتراماتنا »

كمال الدين حسين      عمر طوسون      محمد على إبراهيم  
يوسف كمال      إسماعيل داود      منصور داود

وقد كان لرسالة الأمراء إلى الأمة ومذكرة ملتر إلى اللورد ملتر أبلغ الأثر فى إذكاء روح

الحماسة في النفوس ، وقوبلت الرسالة والمذكرة بالغبطة والابتهاج ، إذ جاءتا دليلاً ملموساً على تضامن أمراء البيت المالكي ( السابق ) مع الشعب

وأرسل اللورد ملنر ردّه على مذكرة الأمراء في خطاب وجيز بعث به إلى الأمير كمال الدين حسين بتاريخ ٥ يناير سنة ١٩٢٠ ، قال فيه : « يا صاحب السمو اسمح لي أن نبشركم عن تلقي الكتاب الذي وجهه إلى سموكم وخمسة من الأمراء من أسرة محمد علي ، والذي أبلغتموه في الوقت ذاته إلى الصحف ، ولي الشرف أن أكون لسموكم » « المخلص » ( ملنر )

### الاعتداء على الوزراء

استهدفت وزارة يوسف وهبه باشا لاعتداءات عدة على حياة أعضائها ، وكانت هذه الاعتداءات من مظاهر السخط العام عليها ، وقد وقمت لأسباب سياسية ، ونجا الوزراء منها جميعاً ، ولكنها تركت أثراً عميقاً في النفوس ، واستمرت هذه الاعتداءات في عهد وزارة محمد توفيق نسيم باشا ، وفي ذلك يقول اللورد ملنر في تقريره : « يعسر على المرء أن يفي هذين الرئيسين وسائر رفاقهما الوزراء حقهم من المدح والإطراء على ما أبدوا من الشجاعة والغيرة الوطنية بتسلهم مقاليد الأحكام في زمن كانت فيه بلادهم تعاني شدة أزمة كهذه ، وكانت حياتهم مهددة بمخطر دائم ، ولا تزال وزارة توفيق نسيم باشا قابضة على زمام الأمور وأعضاؤها هم نفس الوزراء الذين كانوا في وزارة وهبه باشا ، ما خلا وزيراً واحداً ، فهي — كسابقتها في أوصافها — وزارة أعمال مؤلفة من رجال إداريين أكفاء مقيمين على ولاء السلطان ويديرون الأمور بالاتفاق مع المعتمد السامي البريطاني <sup>(١)</sup> »

وإنا ، مع استنكارنا لمبدأ الاعتداء وحوادثه ، نذكر فيما يلي تسجيلاً للوقائع التاريخية حوادث الاعتداء بترتيب وقوعها ، ففي منتصف الساعة العاشرة من صباح يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ ، بينما كان يوسف وهبه باشا رئيس الوزارة ذاهباً بسيارته إلى ديوان المالية وعند

(١) تقرير اللورد ملنر . وقد ظهر أثناء وزارة توفيق نسيم باشا .

مروره في شارع سليمان باشا — قبالة النادي الطلياني — ألقى عليه أحد الشبان قنبلتين انفجرتا، ولكنهما لم تصيبا السيارة ، ولم يُصب وهبه باشا بسوء ، وقبض على الشاب وهو يحاول إخراج مسدس من جيبه ، فتبين أنه طالب قبطنى بكلية الطب ، وهو عريان يوسف سعد ، وقد اعترف الطالب في التحقيق أنه كان يريد اغتيال حياة يوسف وهبه باشا

وحوكم أمام محكمة عسكرية إنجليزية فقضت عليه بالأشغال الشاقة عشر سنوات ، وقد أفرج عنه سنة ١٩٢٤ ضمن من شملهم العفو في عهد وزارة سعد زغلول ، وهو الآن من موظفي مجلس الشيوخ

وفي ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ ألقى أحد الشبان قنبلة على اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال ، وهو راكب سيارته وذهب إلى الوزارة ، فأخطأت القنبلة السيارة ووقعت على الأرض ، ولم تُصب السيارة إلا بشظية بسيطة في المؤخرة ، ولم يُعرف الجاني ، وأعلنت الحكومة عن مكافأة ٥٠٠ جنيه لمن يرشد عنه ، ولكن لم توفق إلى العثور عليه

وفي صباح ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠ أقيمت قنبلة على محمد شفيق باشا وزير الزراعة ، بينما كان راكباً سيارته بعد خروجه من منزله ، وقد انفجرت القنبلة ولم تصب أحداً بضرر ، وقبض على المعتدى ، فاتضح أنه طالب بالمدرسة الإلهامية يدعى عبد القادر شحاته ، ومعه شريك له يدعى عباس حلمي ، وهو طالب سابق بالمدرسة المذكورة

وقد حوكم المتهمان أمام محكمة عسكرية بريطانية قضت عليهما بالاعدام ، ثم عدل الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة

وفي ٨ مايو سنة ١٩٢٠ أقيمت قنبلة أخرى على حسين درويش باشا وزير الأوقاف وهو راكب سيارته بشارع المدارس بالحلمية فأصابته السيارة بضرر وجرحته السائق كما قتلت أحد الشبان كان على مقربة من الحادثة ، ولم يصب الوزير بسوء



## رفع معاش الوزراء

اشتد السخط في ذلك العهد على من يتولون الوزارة ، إذ كانوا أداة الأجنبي في العسف والتتكيل بالأمة ، والحيلولة بينها وبين حقوقها التي تطالب بها وتجاهد في سبيلها ، فأدركت السراى إحجاما من المستوزرين عن قبول منصب الوزارة في مثل هذه الظروف ، مما قد يؤدي إلى إضراب وزارى تخلوه مناصب الوزارة ، وتتجدد الحالة التي شهدتها البلاد بعد استقالة وزارة رشدى باشا ، ولاشك أن بقاء هذه المناصب شاغرة مدة من الزمن يشد من أزر الشعب في جهاده ، ويظهر السراى أمام الاحتلال بمظهر العجز عن حكم البلاد حكما أساسه امتهان إرادة الشعب ، فابتكرت طريقة تغرى المستوزرين بالتهافت على هذه المناصب ، وذلك برفع معاش الوزراء الذين يؤخذون من سلك الوظائف ، ومنحهم معاشا استثنائيا كبيرا ، فصدر مرسوم سلطانى في ٣ فبراير سنة ١٩٢٠ بمنح كل موظف مضى عليه عشرون سنة في خدمة الحكومة وعين وزيراً مرتباً مستديماً قدره ١٥٠٠ جنيه في العام بعد تخليه عن الوزارة ( أو بعبارة أصح بعد تنحيته عنها )

صدر هذا المرسوم في عهد وزارة يوسف وهبه باشا ، ونص على سريانه على الوزراء الذين تنتهى وظائفهم بعد تاريخ نشر المرسوم ( ومنهم الوزراء الذين أصدروه ) ، وكذلك على الوزراء السابقين إذا دُعوا للعودة إلى الوزارة !

وكان هذا الإجراء بمثابة رشوة لكبار الموظفين ، وإغراء لهم بالتهافت على مناصب الوزارة ، لكي يصلوا إلى تحسين معاشهم ، فهى عملية مالية خالية من معانى النزاهة ، وبذلك ضمنى السراى تحت تأثير هذه الرشوة أن تؤلف عند الحاجة أية وزارة من كبار الموظفين تحمى البلاد على غير إرادتها

مولد فاروق — ١١ فبراير سنة ١٩٢٠

في غمار الحوادث والعواصف السياسية التي ترادفت على البلاد في عهد الثورة ، ولد

الأمير فاروق نجل السلطان فؤاد ، وكان مولده يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ ، وأذاع مجلس الوزراء لهذه المناسبة أمراً من السلطان بهذا الحادث

واجتمع مجلس الوزراء بوزارة المالية عند وصول هذا الأمر السلطاني ، وقرر :

(أولاً) إبلاغه إلى جميع المديرين والمحافظين بواسطة وزارة الداخلية

(ثانياً) إبلاغه إلى المندوب السامي البريطاني وإلى وزارة الخارجية البريطانية

ولعلك تلاحظ ما في قرار مجلس الوزراء من الشذوذ في إبلاغ نبأ مولد الأمير إلى المندوب

السامي البريطاني وحده ، دون معتمدى الدول ، ثم إلى وزارة الخارجية البريطانية ، ولكن

الولاء للسياسة الإنجليزية أملى على الوزراء هذا القرار ، كما جعلهم يجمعون عن المنادة

بالأمير فاروق ولياً للعهد انتظاراً لصدور الأمر بذلك من لندن !

### التدخل البريطاني

#### في وراثة العرش

أرادت الحكومة البريطانية أن تعلن عن مظهر من مظاهر الحماية بتدخلها في تقرير

وراثة العرش ، فليس يخفى أنه حين ولاية السلطان حسين كامل ، ثم السلطان (الملك)

فؤاد ، عرش مصر ، لم يكن قد بُتَّ في أمر وراثة العرش تحت الحماية ، ولا تقرر نظامٌ لهذه

الوراثة ، ولم يصدر أمر من جانب السلطان بتنظيمها ووضع قواعدها ، ولم تعلن الحكومة

ولا السراى تلقيب الأمير فاروق بولى العهد ، فاتهمزت الحكومة البريطانية هذه الفرصة ،

ووضعت هي هذا النظام ، وأبلغته إلى السلطان فؤاد في خطاب رفعه إليه اللورد ألنبي المندوب

السامي البريطاني يوم ١٦ أبريل سنة ١٩٢٠ ، ونشرته «الوقائع المصرية» في عدد غير

اعتيادي صدر في ١٧ أبريل تحت عنوان (ترجمة الخطاب المرفوع للحضرة المعظمة السلطانية

من حضرة صاحب المقام الجليل الفيلىد مارشال ألنبي المندوب السامي البريطاني بشأن نظام

وراثة السلطنة المصرية) ، وهذا نص الترجمة :

« دار الحماية في ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠ »

« يا صاحب العظمة . إن الحادث السعيد الجديد ألا وهو ميلاد نبجل لعظمتكم قد دعا حكومة جلالة الملك إلى النظر في نظام وراثته السلطنة المصرية . وعليه فقد أمرت من لدن جلالة الملك بأن أبلغ عظمتكم الاعتراف بنبجل عظمتكم الأمير فاروق ونسله من الذكور على قاعدة الأكبر من الأولاد فالأكبر من أولاده وهكذا وان لم يوجد فبمن يولد لعظمتكم من الذكور ومن يتناسل منهم من الذكور على نفس تلك القاعدة كأولياء عهد لعظمتكم في حق تقلد السلطنة المصرية

« وإني مع تقديمي التهنئة لعظمتكم بهذه المناسبة السعيدة أسمح لنفسي بانتهاز هذه الفرصة للإعراب عن اعتقادي الخالص بأن المحافظة على العلاقات الودية التي تقتضيها مصالح بريطانيا العظمى ومصر ستكون دائماً محل اهتمام عظمتكم ومن يخلفكم من السلاطين

« ولي الشرف بأن أكون على الدوام لعظمتكم بكل احترام وإخلاص »

القاهرة في ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠ « ألنبي . فيلد مارشال »

وقد أرسل السلطان فؤاد إلى الملك جورج الخامس برقية شكر على هذا البلاغ ، قال :

« القاهرة في ١٦ أبريل سنة ١٩٢٠ »

« صاحب الجلالة الملك — لندرة »

« أرجو جلالتم التفضل بقبول فائق تشكراتي على البلاغ الذي قدمه إلى اليوم بأمر جلالتم الفيكونت ألنبي نائب جلالتم بمصر بحصول الاعتراف بنبجلي الأمير فاروق ونسله من الذكور على قاعدة الأكبر من الأولاد فالأكبر من أولاده ، وهكذا وان لم يوجد فبمن يولد لي من الذكور ومن يتناسل منهم من الذكور على نفس تلك القاعدة كأولياء عهد لي في حق تقلد السلطنة ، وإني أتهز هذه الفرصة لأؤكد لجلالتم ان المحافظة على العلاقات الودية التي تقتضيها مصالح بريطانيا العظمى ومصر ستكون دائماً محل اهتمامي ، وأعتقد بأنني سأستطيع دائماً الاعتماد على معاضدة جلالتم الثمينة وجميل صداقتكم »

« فؤاد »

فردّ عليه الملك جورج ببرقية وجيزة ، أعرب فيها عن سروره لبرقية السلطان ، قال :

« اندرة في ١٨ أبريل سنة ١٩٢٠

إلى عظمة السلطان

« قرأت مع خالص السرور برقية عظمتكم ، وإني أؤكد لعظمتكم اهتمامي وتأييدي لكل ما يعود على مصر لتوفير أسباب السعادة ، كما إني أؤكد صادق ما أتمناه شخصياً لذات عظمتكم ولأسرتكم من العز والهناء »  
« جورج »

ولا يخفى أن صدور نظام وراثته العرش عن دولة أجنبية هو من أخص مظاهر الحماية ، بل التبعية ، فكانت الحكومة البريطانية أرادت أن تسجل هذا المظهر في وثيقة رسمية ، وكان هذا الوضع شاذاً ، ومنافياً للاستقلال ، بل هادماً للسيادة القومية ، والكرامة الوطنية ، وكانت البرقيتان اللتان تبادلها السلطان فؤاد والملك جورج الخامس أدلّ على هذه المعاني ، وإنك لتلمح من ردّ الملك جورج مبلغ الزرابة والاستخفاف ، وانتحال صفات جديدة للتدخل في شئون مصر ، وفي الحق إن هذه الوثائق الثلاث ليست مما يشرف التاريخ القومي

### احتجاج الحزب الوطني

وقد احتج الحزب الوطني على التدخل البريطاني في وراثته العرش ، وأصدر قراراً بهذا الاحتجاج لم يستطع نشره في الصحف ، فوزعه في نشرات خاصة مطبوعة ، وأبلغه إلى معتمدى الدول في مصر ، في خطاب قال فيه :

« أتشرف بأن أرفع لجنابكم القرار الذى أصدرته اللجنة الإدارية للحزب الوطني المصرى راجياً إبلاغه إلى حكومتكم الجليلة خدمة لحقوق الأمة المصرية السياسية ، وهذا نصه :

« لقد نشرت « الوقائع المصرية » ، وهى الصحيفة الرسمية للحكومة فى عددها الصادر فى ١٧ أبريل سنة ١٩٢٠ خطاباً من الجنرال ألنبي مؤرخاً فى ١٥ فى الشهر الماضى خاصاً

بولاية عهد الحكومة المصرية ، ثم أصدرت الحكومة منشوراً إلى موظفيها وأعلنت لهم فيه النبا الخاص بولاية عهد مصر وطلبت إليهم التوقيع عليه اعترافاً للعلم بمدلوله ، وبما أن مسألة عرش مصر وما يتعلق به هي من المسائل الخاصة بالأمة المصرية وحدها دون غيرها ، وبما أن إقدام الحكومة البريطانية على التدخل في شؤون مصر الخاصة في الوقت الذي تعمل فيه الأمة المصرية جميعاً على استرداد استقلالها التام باذلة في سبيل ذلك كل جهودها المشروعة يُعد اعتداء صريحاً على أحكام القانون الدولي من جهة وعلى مبادئ حرية الشعوب وحقوق الأمم الطبيعية من جهة أخرى ، وبما أن الوسائل التي تتخذها الحكومة البريطانية في تنفيذ أعراضها السياسية إزاء مصر قائمة على سلطان قوتها وعلى الأحكام العرفية المعلنة منها ، فإن جميع الأعمال الناتجة عنها تعتبر بغير شك غير مشروعة ولا جائزة لأن الأمة وحدها هي المسالكة للتصرف في جميع حقوقها السياسية ، وبما أن الأمة المصرية لا تزال ولن تزال متمسكة بحقوقها المقدسة وأنها لا تعترف لإنكلترا بمرکز خاص في مصر يخولها أي حق أو أية صفة للتدخل في شؤون البلاد السياسية سواء كانت بخصوص العرش أو الوراثة أو غيره ، وكذلك بما أن الأمة المصرية لا تزال تعمل على تحقيق مبدئها القاضي باستقلال مصر التام مع سودانها وملحقاتها استقلالاً غير مشوب باحتلال أو حماية أو وصاية أو أي تدخل أجنبي

« فاللجنة الإدارية للحزب الوطني ترى من واجبها عدم السكوت على كل عمل سياسي يراد به الافتيات على حقوق البلاد كلها أو بعضها ، لذلك قررت بالاجتماع :

(أولاً) الاحتجاج بشدة على جميع هذه الأعمال وما يماثلها

(ثانياً) تبليغ وكلاء الدول الأجنبية وقناصلها العاملين الممثلين لها في مصر هذا القرار

إبلاغه إلى حكوماتهم ، وتفضلوا الخ »

وكيل الحزب الوطني « - « على فهمي كامل »

## احتجاج الوفد

وأصدرت لجنة الوفد المركزية بمصر برئاسة محمود سليمان باشا قراراً بالاحتجاج على هذا التدخل ، هذا نصه :

« إن الأمة المصرية مع تمسكها الشديد بعائلة محمد علي ، مصلح مصر الكبير ، وبأن يكون على عرش مصر أحد أفراد هذه العائلة المجيدة بطريق الوراثة ، ترى أن في تقرير نظام هذه الوراثة بواسطة حكومة إنجلترا اعتداء على حقوق مصر الشرعية المقدسة لأن الأمة المصرية وحدها بما لها من الحق في تقرير مصيرها هي صاحبة الحق في تقرير نظام وراثة الحكم فيها ، وعلى ذلك فاللجنة المركزية للوفد المصري تحتج على هذا العمل ، وهي بذلك تعبر عن رأى الأمة »

هذا ، وقد رفع الملك فؤاد بعض الشذوذ والافتئات والتدخل الأجنبي المائل في وثيقة ١٥ ابريل سنة ١٩٢٠ ، بعد سنتين من صدورها ، إذ أصدر عقب إعلان « الاستقلال » أمراً ملكياً في ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ ، وضع فيه نظام وراثة العرش ، جاء في المادة الأولى منه أن « المللك وما يتعلق به من سلطات ومزايا وراثي في أسرة جدنا الجليل محمد علي » ، وجاء في المادة الثانية : « تنتقل ولاية المللك من صاحب العرش إلى أكبر أبنائه ، ثم إلى أكبر أبناء ذلك الابن الأكبر ، وهكذا طبقة بعد طبقة ، وإذا توفى أكبر الأبناء قبل أن ينتقل إليه المللك كانت الولاية إلى أكبر أبنائه ، ولو كان للمتوفى إخوة ، ويشترط في كل الأحوال أن يولد الأبناء من زوجة شرعية ، فولاية المللك بعدنا لولدنا المحبوب الأمير فاروق » ، وأكملت المواد الأخرى نظام توارث العرش

## إعادة الرقابة على الصحف

قررت السلطة العسكرية البريطانية في مارس سنة ١٩٢٠ إعادة الرقابة على الصحف ، وكانت قد ألغيت في عهد وزارة محمد سعيد باشا كما تقدم بيانه (ص ٤٨)

ففي صباح اليوم الرابع من هذا الشهر استدعى الكولونل سيمز (Symes) رئيس مراقبة المطبوعات مديري الصحف ، وأبلغهم فحوى هذا القرار ، ووزع عليهم التعليمات التي أوجب على الصحف مراعاتها ، فردّ عليه الصحفيون بالاحتجاج على إعادة هذه الرقابة في الوقت الذي أطلقت فيه جميع صحف العالم من القيود الاستثنائية ، ونشرت الوقائع الرسمية بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٢٠ إعلاناً من اللورد ألبني بإعادة الرقابة على الصحف ، سوغتها بقولها :

« نظراً لما تنشره الصحف باستمرار من المقالات التي تخلّ بسطة الحكومة ، والتي من شأنها الإغراء على إحداث اضطرابات وإتيان أعمال مناقضة للنظام والأمن العام ، ستكون المراقبة على الصحف سابقة للنشر ابتداء من ٦ مارس سنة ١٩٢٠ »  
وتنفيذاً لهذا القرار لم يعد ينشر في الصحف إلا ما يأذن الرقيب به ، كما كانت الحال مدة الحرب العالمية الأولى والأخيرة ، وصارت تصدر وفيها فراغات تدل على أن الرقيب لم يأذن بنشر ما كان معداً للطبع

### إضراب الصحف احتجاجاً على الرقابة

وفي يوم ٥ مارس اجتمع أكثر مديري الصحف العربية ، وتباحثوا في قرار إعادة الرقابة على الصحف ، فقرروا احتجاج الصحف العربية ثلاثة أيام متوالية ابتداء من يوم ٦ مارس احتجاجاً على ذلك القرار

### عودة لجنة ملنر

قضت لجنة ملنر في مصر نحو ثلاثة أشهر تدرس أحوال البلاد عامة ، وأسباب الثورة خاصة ، وتبحث في العلاج الذي تراه ناجعاً لملافاة الحالة الثورية ، وفي المقترحات التي تعرضها الحكومة البريطانية في هذا الصدد ، وغادر اللورد ملنر العاصمة صباح يوم ٦ مارس سنة ١٩٢٠ إلى القدس في رحلة بفلسطين ، ثم عاد إلى الإسكندرية ، وأبحر منها يوم الخميس ١٨ منه إلى إنجلترا ، وسبقه إليها زملاؤه

## اجتماع الجمعية التشريعية

بمنزل سعد زغلول - ٩ مارس سنة ١٩٢٠

كانت « الجمعية التشريعية » معطلة منذ أكتوبر سنة ١٩١٤ كما أسلفنا (ج ١ ص ٣٥) وظلت بعيدة عن مجرى الحوادث طيلة هذه السنين ، كما ظلت بمنأى عن الثورة حين وقوعها ، ولم يساهم فيها بعض أعضائها إلا بصفتهم الشخصية ، ولم تجتمع هيئتها ، كما اجتمعت مجالس المديرية وتقابات المحامين والأطباء والمهندسين والموظفين ومن إليهم ، فرأى فريق من أعضائها أن هذا الموقف لا يليق بهم أن يقفوه ، وانهم أولى من غيرهم بأن يجتمعوا ، بصفتهم الهيئة النيابية القائمة في ذلك الحين ، وأن يصدروا القرارات المؤيدة لمطالب البلاد ، فاجتمعوا ببيت الأمة ( منزل سعد زغلول ) يوم ٩ مارس سنة ١٩٢٠ ، وأصدروا قرارات ، كتبوا بها المحضر الآتي :

« في الساعة الرابعة والدقيقة عشرة من يوم الثلاثاء ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ الموافق ٩ مارس سنة ١٩٢٠ ، انعقدت الجمعية التشريعية بمنزل حضرة صاحب السعادة سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى ، بحضور حضرات الآتية أسماؤهم :

ابراهيم سعيد باشا . وحسين واصف باشا . وقلينى فهمى باشا . وراغب عطية بك .  
وفتح الله بركات باشا . وحسين هلال بك . وحسن سيف افندى . والدكتور محمد أمين  
بدر بك . ومحمود الأترابى باشا . والسعدى بشارة الطحاوى بك . وعمر مراد بك . وامتولى  
حزين بك . وعمر خلف الله بك . وابراهيم على بك . ومحمد محمود بك . وحنفى منصور بك .  
ومحمد علام بك . وعلى المنزلاوى بك . وسينوت حنا بك . ومحمد رشوان بك الزمر .  
واسماعيل أباطه باشا . ومحمود أبو حسين باشا . وعبد اللطيف الصوفانى بك . والشيخ محمد  
شاكر . ومحمد السيد أبو على باشا . وعبد الرحمن عوض بك . والشيخ عبد الفتاح الجمل .  
وعلى شعراوى باشا . وحافظ المنشاوى بك . وأمين سامى باشا . ومنصور يوسف باشا .



ويوسف أصلان قطاوى باشا . وزكريا نامق بك . وعبد السلام العلابى بك . ومحمد كمال أبو جازية بك . وطنطاوى بك طنطاوى . وإبراهيم دويدار بك . وعلوى الجزار بك . ومحمد أمين أبو ستيت بك . ومحمود هام بك . ومحمد محفوظ باشا . وعبد الرحمن محمود بك . وميشيل لطف الله بك . ومحمد المنياوى بك . ومحمد على سليمان بك . والمصرى السعدى بك . ومصطفى بكير بك . ومحمد عزام بك . وكامل صدق بك . وحسين الشريعى بك . ومحمد عبد الخالق المذكور باشا

« وقد انتخب لرئاسة الجلسة حضرة صاحب السعادة إبراهيم سعيد باشا بصفته أكبر الأعضاء سناً ، ولأعمال السكرتارية حضرات فتح الله بركات باشا . وحسين هلال بك . ومحمد عبد الخالق المذكور باشا ، بالإجماع ، وبعد ذلك أعلن سعادة الرئيس افتتاح الجلسة واقترح محمد عبد الخالق المذكور باشا إيقاف الجلسة خمس دقائق حدادا على من انتقل إلى رحمة الله من أعضاء الجمعية فى مدة عطلتها فأوقفت الجلسة خمس دقائق

« أعيدت الجلسة وتلا سعادة فتح الله بركات باشا اعتذارات واردة من أصحاب السعادة والعزة أحمد مظلوم باشا رئيس الجمعية على لسان صاحبى السعادة إبراهيم سعيد باشا وفتح الله بركات باشا اللذين دعياه لحضور الجمعية . وطلبة سعودى باشا . ومحمد شريعى باشا . ومرقس سميكة باشا . ومحمد عثمان أباطه بك ، وكذلك تليت جملة تليفرافات واردة من جهات متعددة من أعيان ووجوه القطر بإظهار شعورهم نحو الجمعية وتضامنهم معها واحتجاجهم على المشروعات التى آلمت الأمة ، ثم تباحثت الجمعية فيما عرض عليها من اقتراحات حضرات الأعضاء وقررت فيها ما يأتى :

أولا — ان الجمعية التشريعية تعتبر الحماية التى أعلنتها إنجلترا من تلقاء نفسها على مصر عملا باطلا لا قيمة له من الوجهة القانونية

ثانيا — تقرر الجمعية أن البلاد المصرية التى تشمل مصر والسودان مستقلة استقلالاً تاماً وفاقاً لقواعد الحق والعدل والقانون ، وكل مظهر من مظاهر اعتداء القوة على

هذا الاستقلال لا يؤثر في وجوده من الوجهة القانونية ، وليس من شأنه إلا أن يزيدنا تمسكاً به

ثالثاً — تحتج الجمعية على تعطيلها ، وعلى كل القوانين والنظامات التي وضعت في أثناء تعطيلها لصدورها من غير عرضها عليها

رابعاً — تحتج على كل الاعتداءات التي أصابت البلاد وأبناءها سواء أكان الاعتداء واقعاً على النفس أم المال أم أي نوع من أنواع الحرية

خامساً — تحتج على البدء في مشروعات رى السودان وتطلب وقف هذه المشروعات وفقاً تاماً حتى يُبدت في المسألة المصرية ويعرض الأمر على الهيئة النيابية التي تمثل البلاد بجميع أجزائها وذلك للأسباب الآتية : (١) لأن مصر والسودان كلٌّ لا يقبل التجزئة ، وكل مشروع يتعلق بهما لا يجوز تنفيذه قبل أن توافق الأمة عليه ، (ب) لأن هذه المشروعات لم تلاحظ فيها مصلحة السودان منفرداً ولا مصلحة مصر وحدها ، ولا مصلحة الاثنين معاً ، وقد قامت عليها اعتراضات فنية واقتصادية وسياسية وصحية من كثيرين ومنهم رجال من الإنجليز ذوو المسكاة الذين أثبتوا أن هذه المشروعات ضارة بالبلاد وأنه لم يقصد بها سوى مصلحة الأجنبي وفائدة أصحاب رؤوس الأموال والشركات من الإنجليز

سادساً — قررت ان كل عمل قامت أو تقوم به الهيئة الحاكمة ، ويكون فيه مساس بالاستقلال التام لمصر والسودان أو مصالحهما ، يُعد لغواً ، ولا يلزم الأمة في شيء فالأمة وحدها صاحبة الشأن في تقرير كل ما يتعلق بأمورها الحاضرة والمستقبلية

سابعاً — تقرر الجمعية إبلاغ هذه القرارات إلى الجهات الآتية : ١ — الوفد المصرى في باريس ٢ — رئاسة مجلس الوزراء ٣ — قناصل الدول في مصر ٤ — الصحف المصرية ٥ — كبريات الصحف الأجنبية خارج القطر ٦ — سكرتارية الجمعية التشريعية لحفظه بسجلاتها

ثامناً — إرسال تليفراف لسعادة رئيس الوفد المصرى بباريس لشكر الوفد على ما قام به من الأعمال

« تلى المحضر وتصدق عليه وانتهت الجلسة حيث كانت الساعة السابعة والدقيقة ٤٥ مساءً ، وبلى ذلك امضاءات جميع الأعضاء الحاضرين »

### أمر عسكري بمنع اجتماع النواب

أزعج السلطة العسكرية اجتماع الجمعية التشريعية وإصدارها هذه القرارات الخطيرة المؤيدة للحركة الوطنية ، وبخاصة لتضمينها بطلان الحماية ، وإعلان الاستقلال ، وحسبت حساباً بعيداً لما ينبج عن تكرار هذه الاجتماعات ، وما تحدثه من الأثر في النفوس ، فقد تؤدي إلى شلّ سلطة الحكومة ، وإلى ما يشبه العصيان المدني في الهند ، فأصدر اللورد ألنبي أمراً في ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ بمنع اجتماعها ومنع اجتماع كل هيئة تمثيلية في غير الأوضاع المقررة في القوانين واللوائح ، قال :

« أنا الموقع أدناه إدمندهنرى هينمن فيكونت ألنبي بمقتضى السلطة المخولة لي بصفة كوني فيلد مارشال قائداً عاماً لقوات جلالة الملك في القطر المصري ، أصرح وأعلن ما يأتي : ممنوع كل اجتماع للجمعية التشريعية أو لأي مجلس مديرية أو لأي هيئة منتخبة وكل اجتماع من أعضاء تلك الهيئات بصفقتهم أعضاء فيها ، ما لم يكن ذلك بمقتضى الشروط المنصوص عليها في القوانين واللوائح الخاصة بها ، ويشمل هذا المنع كل اجتماع من هيئتين أو أكثر من الهيئات المنتخبة ومن أعضاء هيئتين أو أكثر من تلك الهيئات بصفقتهم أعضاء فيها ما لم يكن مرخصاً بهذا الاجتماع ترخيصاً صريحاً بمقتضى القانون ، وكل مخالفة للأحكام المتقدمة تقع تحت طائلة الأحكام العسكرية ، وكل قرار تتخذه أو توافق عليه إحدى الهيئات المنتخبة في أي موضوع خارج عن اختصاصها يكون مُلغى ولا يعمل به ، وجميع الأعضاء الذين يكونون قد وافقوا على ذلك القرار يكونون عرضة للمحاكمة أمام مجلس عسكري »

## تغيير في صيغة خطبة الجمعة

وما قوبل به من الجمهور

وافق يوم الجمعة ٢٦ مارس سنة ١٩٢٠ عيد ميلاد السلطان فؤاد ، فأعدت وزارة الأوقاف لهذه المناسبة صيغة جديدة لخطبة الجمعة ، وزعتها على خطباء المساجد لتلاوتها في ذلك اليوم ، وأسلوبها يختلف عن أسلوب الخطب السابقة ، فما أن سمعها الجمهور في المساجد حتى هاجوا وماجوا ، ونادوا بهتافات عدائية ضد السلطان ، وأنزل بعض المصلين الخطباء عن منابرهم ، وكان هذا من مظاهر تجمهم الرأي العام للسراي ، وقد بدا هذا الشعور أيضاً في اجتماع الجمعية التشريعية بمنزل سعد زغلول ، فقد قررت ضمن ما قررت إبلاغ قراراتها إلى الجهات الرسمية وغير الرسمية ، واستثنت منها السراي

## كارثة القطار في أوديني

وفاة اثني عشر طالباً مصرياً

في خلال حوادث الثورة وقع في أوروبا حادث أليم أودى بحياة اثني عشر طالباً مصرياً ، فكانت وفاتهم تشبه — من بعض النواحي — مصرع شهداء الحرية في حوادث المظاهرات ، وذلك أنه في يوم ٢٩ مارس سنة ١٩٢٠ ركب بعض الطلبة المصريين الذين قصدوا إلى أوروبا لإتمام دراستهم القطار القائم من تريستا إلى فيينا ، ولم يكذ يصل إلى محطة بونتال القريبة من أوديني من أعمال إيطاليا حتى اصطدم بقطار بضاعة ، ونتج عن الحادثة قتل ١٤ من الركاب وجرح ٣٠ ، وقتل من الطلبة المصريين ١٢ طالباً ، وجرح تسعة ، أما القتلى فهم : عبد الوهاب أحمد سبع من نوسا الغيط مركز المنصورة . علي حسن بكرى من دمياط . رمضان محمود هدايت من طنطا . أحمد طلعت أسعد من الزقازيق . عبد الحلیم محمود . ورزق يعقوب من دمياط . شفيق سعيد من صهرجت . محمد ابراهيم سالم

زويل من بور سعيد . محمود عبد الرحمن من القاهرة . حسين شلبي من القاهرة . فريد  
فتحى من طهطا . ابراهيم العبد من شبرا النمله  
وقد وقع نبأ هذا الحادث فى النفوس وقعا أليما ، وأظهرت الأمة شعورا عميقا نحو أولئك  
الشهداء الذى ماتوا مغتربين فى سبيل طلب العلم ، وسموا شهداء الغربة والعلم ، واحتفل  
بتشييع جنازاتهم فى بلادهم احتفالا عظيما

### استقالة وزارة يوسف وهبه باشا — ١٩ مايو سنة ١٩٢٠

فى ١٩ مايو سنة ١٩٢٠ رفع يوسف وهبه باشا استقالته إلى السلطان ، و بناها على قوله  
فى كتابه : « فى هذه الأيام الأخيرة شعرت بالاحتياج للراحة »

وقد اختلفت الآراء فى أسباب هذه الاستقالة ، فعزاها بعضهم إلى شعور وهبه باشا  
بمظاهر السخط على وزارته من كل ناحية ، مما جعله يميل أخيرا إلى الراحة والاعتكاف ،  
وبخاصة لأنه كان فى ذاته متقدما فى السن

وعزاها آخرون إلى رغبة السلطان فى تنحيته عن الحكم ، لما بداله من العجز عن  
مواجهة الحوادث ، فلم يجد وهبه باشا بدا من النزول على هذه الرغبة ، لأنه إنما تولى الوزارة  
تلبية للأمر السلطانى ، فاستقال تنفيذاً لمثل هذا الأمر ، وقيل — وهو الأرجح — عن  
السبب المباشر لاستقالته أن توفيق نسيم باشا عرض على السلطان بحضور يوسف وهبه باشا  
إحضار أكبر عدد من الأعيان والعمد إلى السراى للتهنئة والتبريك بمناسبة اعتراف الحكومة  
البريطانية بالأمير فاروق ولى عهد للسلطنة ، ولم تكن هذه المظاهر وأشباهاها مألوفة فى ذلك  
العهد ، فأظهر يوسف وهبه باشا تخوفه من إحجام القوم عن الحضور من تلقاء أنفسهم ،  
وأنتهم فى حالة الضغط عليهم قد لا يحضر منهم إلا القليلون ، ولما انصرف وهبه باشا أعاد  
نسيم باشا الكرة على السلطان ، وأخذ على عاتقه بوصف كونه وزيرا للداخلية لإنجاح  
الفكرة ، فوافقه السلطان ، وأحضر نسيم باشا فعلا عددا كبيرا من الأعيان والعمد ،  
ونجحت الفكرة ظاهرا ، فتغير السلطان على يوسف وهبه ، ومرت على هذا الحادث أيام ،

ثم انتهز فرصة حديث له معه في موضوع آخر ، فأظهر عدم رضاه عنه ، فلزم يوسف وهبه داره متبارضا ، وانتهى إلى تقديم استقالته

وهذا الحادث يعطيك صورة مألوفة لطريقة ولاية الوزارة في ظل الحكم المطلق ، فهي لا تتبع مصلحة الشعب ، ولا تتصل بإرادته ، بل تتبع رغبات ولي الأمر ، إذ ارضى عن رجل قفز به إلى منصب الوزارة ، وإذا غضب على وزير أقصاه بلمحة أو إشارة ، دون أن يُسأل فيم كان غضبه أو رضاه ، ومناط الرضى والغضب عند ولي الأمر في ظل هذا النظام ، هو في الغالب ما تمليه عليه ميوله وأهواؤه ، أو مصالحه ورغباته ، وبعبارة أخرى هو لا يعتبر الوزراء وكلاء عن الشعب ، كما هو روح النظام الحر ، بل يعتبرهم موظفين في بلاطه ، يتصرف فيهم بالتعيين والعزل ، كما يشاء ويهوى

### تأليف وزارة نسيم باشا الأولى

٢٢ مايو سنة ١٩٢٠

قبل السلطان استقالة وزارة وهبه باشا في ٢١ مايو سنة ١٩٢٠ ، وعهد في اليوم نفسه إلى محمد توفيق نسيم باشا وزير الداخلية تأليف الوزارة الجديدة ، وكان بديبيا ، وقد نجحت في الظاهر فكرته التي مر ذكرها ، أن يكافأ عليها بإسناد رئاسة الوزارة إليه ، فألف وزارته ( بغير برنامج ) ، وصدر المرسوم السلطاني بتشكيلها في ٢٢ مايو على النحو الآتي : نسيم للرئاسة والداخلية . احمد زيور للمواصلات . أحمد ذوالفقار للحقانية . محمد شفيق للأشغال والحربية والبحرية . حسين درويش للأوقاف . محمد توفيق رفعت للمعارف . محمود فخري للمالية . يوسف سليمان للزراعة

وكانت هذه الوزارة استمراراً لوزارة وهبه باشا . وهي من الوزارات التي اصطنعتها السراي ، وقامت على أساس الاستخفاف بالحركة الوطنية ومناهضتها ، فلا غرو أن قوبلت بالسخط العام

## الاعتداء على رئيس الوزارة

في نحو الساعة التاسعة من صباح يوم ١٢ يونيه سنة ١٩٢٠ ، وقع اعتداء على محمد توفيق نسيم باشا رئيس الوزارة بإلقاء قنبلة عليه ، أخطأته ولم تصبه ، وبيان ذلك أنه بينما كان قاصداً إلى مقره بوزارة الداخلية ، ألقى شاب على سيارته قنبلة في شارع الشيخ ريحان (السلطان حسين فيما بعد) عند اتصاله بشارع الشيخ عبد الله (مصطفى كامل الآن) ، فانفجرت القنبلة على الأرض إلى يمين السيارة وحطمت زجاجها ، ولكنها لم تصب رئيس الوزارة ، وأصابت سائق سيارته بجرح بليغ ، وكان للانفجار دوى شديد ، سمعه سكان عابدين والأحياء المجاورة له كالحلمية والسيدة زينب حتى الدرب الأحمر والموسكى ، وكان شبيها بصوت مدفع الظهر ، وتبين أن المعتدى شاب يدعى ابراهيم حسن مسعود من موظفي حسابات مصلحة الصحة ، وقد حاول الهرب بعد الحادثة ، ولكن الجاويش خليفة يوسف لحق به ، فأطلق عليه الشاب رصاصة من مسدس كان معه ، فأصابه إصابات خفيفة ، وظل الجاويش يتبعه غير مكترث بإصابته حتى تعب ، ودخل المعتدى حارة واختفى بأحد منازلها ، وفي هذا الوقت وصل رجال البوليس السلطاني وبوليس قسم عابدين ، وطوّقوا الحى من جميع جهاته ، حتى قبضوا على أربعة من الشبان وساقوهم إلى قسم عابدين

ولما بلغ السلطان نبأ الحادث أوفد كبير الأمناء إلى نسيم باشا لتهنئته بنجاته ، وعلى أثر ذلك حضر نسيم باشا إلى سراى عابدين ليقدم واجب الشكر إلى عظمة السلطان ، ثم زاره السلطان فى منزله فى منتصف الساعة الرابعة بعد الظهر ، تقديراً له وتكريماً ، وعقب هذه الزيارة حضر نسيم باشا إلى السراى ، لتقديم فرائض الشكر مرة ثانية ، فأنعم عليه السلطان بالوشاح الأكبر من نيشان محمد على ، وقلده إياه بيده

وقد حوكم المتهم أمام محكمة عسكرية بريطانية ، وحكم عليه بالإعدام ، ونفذ فيه الحكم

## تصفية أملاك الخديو عباس الثاني

نوفمبر سنة ١٩٢٠

في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٠ أصدر اللورد ألنبي إعلاناً بالترخيص للحارس على أموال  
أعداء بريطانيا ببيع أملاك الخديو عباس الثاني ، وقد أنشئت هذه الحراسة بأمر من الجنرال  
أرشبلد مرى القائد العام للقوات البريطانية في ٣١ يوليو سنة ١٩١٦ ، وتنفيذاً لأمر اللورد  
ألنبي باع الحارس على أموال الأعداء جميع أملاك الخديو



## الفصل الثالث عشر

### مفاوضات ملنر

لم يجد الوفد المصرى بباريس عضداً له فى مهمته ، فقد أوصدت دونه أبواب مؤتمر الصلح ، وعلى الرغم من أنه أرسل إلى رئيس المؤتمر وإلى رؤساء وفود الدول العظمى عدة رسائل ومذكرات فى الترخيص له بإبداء مطالب مصر ، صمّ المؤتمر آذانهم عن سماع هذه المطالب ، وطفق يطرق أبواب ممثلى الدول ، ويتصل بالصحف ، ويقوم المآدب للدعاية للقضية المصرية ، ويرسل التقارير والرسائل إلى زعماء المؤتمر ، وإلى مختلف الحكومات والمجالس النيابية ، فلم يجد من أيها مؤيداً أو نصيراً ، واستمال بعض كبار الكتاب الأورويين ، فنشر بعضهم مقالات وبحوثاً دفاعاً عن مطالب المصريين فى الصحف والمجلات ، وألف فيكتور مرجريت — أحد مشاهير الكتاب الفرنسيين — رسالة باسم ( صوت مصر ) ، La Voix de l'Egypte ، قدم لها أناتول فرانس Anatole France أكبر أدباء فرنسا فى ذلك العصر بمقدمة وجيزة ، هى فى ذاتها دفاع بليغ عن القضية المصرية ، وقد تليت فى المأدبة التى أقامها الوفد لرجال السياسة بباريس يوم ٢ أغسطس سنة ١٩١٩ ، قال ما تعريبه :

« إن السلطة العليا لأساطيلنا بعثت من الفناء عشرين شعباً كانت من قبل فى عداد الأموات ، فهذه بولونيا وأرمينيا تضمندان الآن جراحهما ، وهناك على « بحر سفيد » الجميل نرى اليونان تنتعش ، ولكن العدالة الإنسانية ما زالت بترأ ناقصة ، وقد أدى نقص العدالة وجنون الذين يزعمون أنهم عقلاؤنا إلى جعل مصر ضحية الصلح الكبرى

« ومع ذلك فإن أرض منفتح القدم لا ينقصها ما يستوجب اعتراف العالم بجميلها ، فهى المربية الروحية لليونان ، وكهنتها هم الذين رفعوا النقاب لأول مرة عن أسرار هذا الوجود ، وأهل الفن فيها هم الذين تمكنوا بفطرتهم من أن يجعلوا آية الجمال مبصرة ، وبالأمس كان علمهم يشترك فى نصرته الحق مع أعلام الخلفاء

« على أنه هل هناك حاجة لتقديم حجج ومستندات في حين أن العهد الجديد للأمم  
يخول كل شعب حق الحياة؟ ولكن وأسفاه!! . فإذا كان المناقون قد أساءوا تفسير  
التعاليم التي جاء بها المسيح ، فكذلك كان شأن مبادئ ويلسن ، فإنها استخدمت لإرضاء  
جشع الطامعين وخدمة الوسائل الدينية التي تتبعها الحكومات دائماً تحت ستار الحق لإدراك  
أغراضها ، فليرتفع صوت مصر وليصل إلى أعماق جميع القلوب ، حتى يجد من تضامن  
الشعوب وتأخيرها نصيراً على الظلم »

ونذب الوفد محمد محمود باشا للدعاية للقضية المصرية بأمرىكا ، واستعان أيضاً بمحام قدير  
بالولايات المتحدة وهو المستر جوزيف فولك الذي كان وقتاً ما مستشاراً قضائياً لوزارة  
الخارجية الأمريكية ، فدافع عن مطالب الأمة المصرية ، وقدم عنها في أغسطس سنة ١٩١٩  
مذكرة إلى لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى ، وأصدرت اللجنة قراراً لصالح  
مصر ، وهو القرار الذي سبقت الإشارة إليه (ص ٥٠) ، ولكن هذا القرار لم يكن له صدى  
في قرارات المجلس

على أن أعضاء الوفد لم يحتمل أكثرهم الصدمات السياسية التي لا بد أن يلقاها من  
يتصدى لخدمة القضية الوطنية ، وكانت أولى هذه الصدمات اعتراف الرئيس ويلسن بالحماية  
(ابريل سنة ١٩١٩) ، ثم اعتراف مؤتمر الصلح بها في مايو ، ثم توقيع معاهدة الصلح بين  
ألمانيا والحلفاء في ٢٨ يونيه من تلك السنة ، وفيها الاعتراف بتلك الحماية ، وعلى أثر توقيعها  
دب اليأس في نفوس أغلبية أعضاء الوفد ، وفكروا في مصارحة الأمة بإخفاق الوفد في مهمته ،  
لولا ما كان يصلهم بباريس من أنباء ثبات الأمة في جهادها ، واحتمالها التضحيات تلو  
التضحيات في سبيل استقلالها

فلما جاء اللورد ملنر إلى مصر ، ولقى من مقاطعة الأمة للجنة ما رأى ، عاد إلى لندن  
وفي جعبته الرغبة في مفاوضة الوفد المصرى ، إذ أدرك وهو في مصر أن الوفد لا يبى التساهل  
والتنازل في سبيل الاتفاق والتفاهم ، وأن في يده مؤقتاً مفتاح هذا التفاهم ، وبعبارة أخرى ،

أدرك اللورد ملنر من خلال المقاطعة ، أن الوفد لا يأتى الخروج بالقضية المصرية عن وضعها الطبيعي ، وهو الجلاء ، إلى مساومة وتساهل في شأن الجلاء

### سفر الوفد إلى لندن للمفاوضة

فلما عاد اللورد ملنر إلى لندن ، عهد إلى المستر هرست أحد أعضاء لجنته أن يتوجه إلى باريس ليدعو الوفد المعجىء إلى لندن للمفاوضة مع اللجنة ، فجاء المستر هرست إلى باريس وقابل سعد باشا في مايو سنة ١٩٢٠ ، ودعا الوفد إلى مفاوضة اللجنة بلندن

رأى الوفد قبل أن يلبي الدعوة إيفاد ثلاثة من أعضائه ، وهم محمد محمود باشا وعبد العزيز فهمى بك وعلى ماهر بك ، ليتبينوا مبلغ استعداد الحكومة البريطانية نحو المطالب القومية ، فذهب ثلاثتهم إلى لندن وقابلوا اللورد ملنر ، وأظهر استعدادهم للمفاوضة مع الوفد بدون قيد ولا شرط ، وأنه إذا اقتصرت إنجلترا في نهاية المفاوضات بضمان مصالحها الخاصة ، فإنها تعجل بالاعتراف لمصر باستقلالها التام ؛ ولما طلب منه الأعضاء الثلاثة تدوين كلامه هذا أبى ، وقال إن العبرة بالتأجيل ، ولا خوف من شيء ما دامت المفاوضات مطلقة ؛ وأرسل الثلاثة إلى الوفد بباريس بنتيجة مقابلتهم للورد ملنر ، فاستقر رأى الوفد على قبول دعوته ، والذهاب إلى لندن لمفاوضته ، وأرسل سعد باشا إلى لجنة الوفد بمصر البرقية الآتية :

« لقي زملاؤنا في لندن قبولا حسناً ، وتلقوا من التأكيدات ما يبعث الأمل في التوصل بالمفاوضات إلى حل مرض ، ولهذا عزمنا أن نتوجه جميعاً إليهم بحول الله يوم السبت المقبل ( ٥ يونيه سنة ١٩٢٠ ) للدخول فيها ، مستمدين القوة من اتحاد الأمة ، وحكمة أبنائها ، والحجة من وضوح الحق ، والمعونة من الله ناصر الضعفاء »

### المفاوضات

وصل الوفد إلى لندن يوم ٥ يونيه سنة ١٩٢٠ ، واستقبله بمحطة فيكتوريا جمهور الطلبة

المصريين الموجودين بلندن استقبالا حماسيا

وجرت أول مقابلة بين الوفد واللورد ملتر في وزاره المستعمرات يوم ٧ يونيه ، وأسفرت للفاوضات عن مشروع المعاهدة بين مصر وإنجلترا قدمه اللورد ملتر إلى الوفد في ١٧ يوليه سنة ١٩٢٠ ، ورفضه الوفد ، ومشروع قدمه الوفد إلى اللورد ملتر في نفس هذا اليوم ، وقد رفضته اللجنة ، ونشرها هنا فيما يلي :

### ترجمة مشروع المعاهدة

الذى قدمه اللورد ملتر إلى الوفد في ١٧ يوليه سنة ١٩٢٠

النقط التي استوثق أنه يمكن الاتفاق عليها مع الوفد المصري الموجود الآن بلندن هي :  
إبدال الحالة الحاضرة بمعاهدة مخالفة مستديمة بين بريطانيا العظمى ومصر يتقرر فيها ما يأتي :

١ — تتعهد بريطانيا العظمى بضمان سلامة أرض مصر واستقلالها كملكة ( سلطنة ) ذات نظامات دستورية

٢ — وتتعهد مصر من جانبها أن لا تعقد أى معاهدة سياسية مع أى دولة أخرى بدون رضاء بريطانيا العظمى

٣ — نظراً للمسئولية الملقاة على عاتق بريطانيا العظمى بمقتضى الفقرة المتقدمة ونظراً لما لها من المصلحة الخاصة في حفظ مواصلاتها مع ممتلكاتها في الشرق والشرق الأقصى ، فمصر تعطى حق إبقاء قوة عسكرية بالأراضى المصرية وحق استعمال الموانئ والمطارات المصرية لغرض التمكّن من الدفاع عن القطر المصري ومن المحافظة على مواصلاتها مع أملاكها المذكورة ، أما المكان أو الأمكنة التي تعسكر فيها تلك الجنود البريطانية فإنها تعين بعد باتفاق الطرفين

٤ — تقبل مصر أن تعين بالاشتراك مع حكومة جلالة الملك مستشاراً مالياً يعهد إليه بجميع الاختصاصات الخولة الآن لأعضاء صندوق الدين لحماية حقوق دائنى مصر ويكون

تحت تصرف الحكومة المصرية في جميع المسائل الأخرى التي ترغب استشارته فيها

٥ — تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر في تحرير نفسها من القيود التي تقيد حريتها في التشريع والإدارة بسبب الامتيازات التي يتمتع بها الأجانب في مصر وفي وضع نظام بمقتضاه تكون القوانين المصرية سارية على المصريين والأجانب على السواء

٦ — وتوقعاً لتنازل الدول الأجنبية عن الامتيازات الخاصة التي يتمتع بها رعاياها حتى الآن ونظراً لضرورة تطمين تلك الدول على أن حقوق الأجانب الشرعية ستكون مع ذلك محترمة ، فمصر تعطي لبريطانيا العظمى حق التدخل بواسطة ممثلها في مصر لإيقاف تنفيذ أى قانون يكون ماساً بحقوق الأجانب الشرعية أو مخالفاً للمتبعة في البلاد المتقدمة ، وان وجدت الحكومة المصرية حق التدخل هذا قد استعمل في أى حالة مخصوصة بدون وجه فلها رفع الأمر لعصبة الأمم

٧ — قضاء المحاكم المختلطة الحالية أو ما يحل محلها من الأنظمة المماثلة لها يبقى قائماً وينسحب هذا القضاء على المواد الجنائية وجميع الدعاوى الأخرى الخاصة بالأجانب في مصر

٨ — تقبل مصر أن تعين بالاشتراك مع حكومة جلالة الملك موظفاً إنجليزياً بوزارة الحقانية يكون له من الاختصاص والسلطة ما يتمكن معه من تأكيد حسن إدارة القوانين فيما يتعلق بالأجانب

٩ — تكون حكومة جلالة الملك مستعدة لأن تأخذ على عهدها تمثيل مصر في أى بلد لم يتعين فيها ممثل مصرى ولكن ليس لمصر أن تعهد بهذا التمثيل لأى دولة أخرى غير بريطانيا العظمى

١٠ — تعترف الحكومة أن لمركز ممثل بريطانيا العظمى في مصر صفة خاصة ، وان له باعتباره ممثل الدولة الخليفة حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين

١١ — الموظفون البريطانيون وغيرهم من الأجانب عدا من ذكروا بالمواد السابقة

تسوى حالتهم باتفاق خاص بين الحكومتين البريطانية والمصرية  
وهذا الاتفاق يعتبر جزءاً متمماً للتراضى المزمع عقده بينهما

### مشروع الوفد

فلما تسلم الوفد مشروع اللورد ملنر ، وكان قد انتهى من وضع مشروعه ، بادر سعد باشا  
بتقديمه إلى اللورد ملنر في نفس اليوم ، أى يوم ١٧ يولييه سنة ١٩٢٠ ، وأرفقه بخطاب قال  
فيه ما تعريبه :

« أنشرف بأن أبلغكم نبأ استلام خطابكم المؤرخ ١٧ الجارى والمذكرة المرفقة به ،  
وإني أبادر فأعرض على فخامتكم طى هذا مشروع اتفاق يحوى النقط التى جرت المناقشة  
فى شأنها فى أحاديثنا ، وهى النقط التى يلوح لى أنكم تقبلونها  
« ونحن نعتقد أن هذا المشروع بالصفة التى هو عليها من شأنه أن يرضى الطرفين ،  
فعلى هذه القواعد يمكننا أن نضع دعائم صداقة متينة وتعاون عماده الإخلاص بين الشعبين  
الإنكليزى والمصرى

« ومن المتفق عليه بيننا أن النقط التى لم تبحث بعد تكون موضوع اتفاق يعقد فيما بعد  
« ولى الثقة التامة بأن أعمالنا التى توليم رياستها بتلك الكياسة يمكن أن تنتهى قريباً  
بحيث يتيسر لى السفر إلى « شانل » و « فيشى » قبل فضل الخريف للاستشفاء الذى  
لا بد منه لصحتى على ما يظهر

وتفضلوا . . . الخ »

وهذا نص مشروع الوفد المرافق للخطاب سالف الذكر  
المادة الأولى — تعترف بريطانيا العظمى باستقلال مصر  
تنتهى الحماية التى أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ هى

والاحتلال العسكري الإنجليزي ، وبذلك تسترد مصر كامل سيادتها الداخلية والخارجية وتكون دولة ملكية ذات نظام دستوري

المادة الثانية — تُجلى بريطانيا العظمى جنودها عن القطر المصري في ظرف . . . . من تاريخ العمل بهذه المعاهدة

المادة الثالثة — عند استعمال الحكومة المصرية حقها في الاستغناء عن خدمة الموظفين الإنجليز تلتزم بإحسان معاملتهم على الكيفية الآتية :

في غير حالة الرفت لبلوغ السن القانونية أو للعجز الجسماني عن العمل أو بمقتضى حكم تأديبي أو لانتهاؤ المدة المحددة في عقد الاستخدام ، يعطى للموظف المرفوت تعويض إضافي بمقدار شهر عن كل سنة قضاها في الخدمة ، ويمنح هذا التعويض أيضا لكل موظف يترك باختياره خدمة الحكومة المصرية في ظرف سنة من تاريخ العمل بهذه المعاهدة

المادة الرابعة — تخفيفا لمضار الامتيازات الأجنبية إلى حين إلغائها تقبل مصر أن الحقوق التي تستعملها الدول الآن بمقتضى هذه الامتيازات يكون لبريطانيا العظمى استعمالها باسمهن بالكيفية الآتية :

١ — الزيادات والتعديلات التي يراد إدخالها على لأئحة ترتيب المحاكم المختلطة لا تحصل إلا بموافقة بريطانيا العظمى

٢ — كافة القوانين الأخرى التي لا تنفذ الآن في حق الأجانب أصحاب الامتيازات إلا بموافقة الدول أو بقرار بالموافقة صادر من الهيئه التشريعية لمحكمة الاستئناف المختلطة ، أو من الجمعية العمومية بهذه المحكمة ، تصير نافذة عليهم بمقتضى ذكر يتو يصدر وينشر لهذا الغرض ما لم تحصل معارضة من بريطانيا العظمى تبلغ لوزير الخارجية المصري في ظرف ( . . . ) من تاريخ النشر بالجريدة الرسمية . ولا تصح هذه المعارضة إلا إذا كان مبنها أن القانون يشمل أحكاما لا نظير لها في شريعة من شرائع الدول ذوات الامتيازات أو — ان كان قانونا ماليا — ان الضريبة التي يأمر بها لا مساواة في المعاملة بشأنها بين المصريين

والأجانب ، وفي حالة حصول خلاف بين الحكومتين في صحة مبنى هذه المعارضة فلمصر  
رفع الأمر إلى عصبة الأمم لتفصل فيه

المادة الخامسة — في حالة إلغاء المحاكم القنصلية وإحالة محاكمة الأجانب على ما يقع  
منهم من الجنايات والجنح إلى المحاكم المختلطة تقبل مصر أن تعين أحد رجال القانون من  
التبعية الإنجليزية في وظيفة النائب العمومي لدى المحاكم المختلطة

المادة السادسة — تقرر الحكومة البريطانية أنها مستعدة للنظر بالاشتراك مع  
الحكومة المصرية بعد مضي خمس عشرة سنة في مسألة إزالة المساس الحاصل بسيادة مصر  
على سكان بلادها بسبب ما للأجانب من الامتياز في التشريع والقضاء . وتحفظ مصر  
لنفسها الحق في رفع هذه المسألة إن اقتضى الحال ، إلى عصبة الأمم بعد الميعاد المذكور

المادة السابعة — في حالة إلغاء قومسيون صندوق الدين العمومي ، فإن مصر تعين  
موظفا ساميا تختاره بريطانيا العظمى يكون له ما للقومسيون المذكور الآن من  
الاختصاصات ، ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية في كافة ما ترغب تكليفه به من  
الاستشارات والمهمات المالية

المادة الثامنة — لبريطانيا العظمى — إن رأت لزوما — أن تنشئ على مصاريفها  
بالشاطئ الأسوي لقتال السويس نقطة عسكرية للمساعدة على صد ما عساه يحصل من  
الهجمات الأجنبية على هذا القنال

تحديد منطقة هذه النقطة يحصل بعد بمعرفة لجنة مكونة من خبراء عسكريين من  
الطرفين بعدد متساوٍ

ومن المتفق عليه أن إنشاء هذه النقطة لا يعطى لبريطانيا العظمى أي حق في التدخل  
في أمور مصر ولا يخلل أدنى إخلال بما لمصر من حقوق السيادة على تلك المنطقة التي  
تبقى خاضعة لسلطة مصر ومنفذة فيها قوانينها ، كما لا يمس بالسلطة الخولة لمصر باتفاقية



الاستانة المحررة في أكتوبر سنة ١٨٨٨<sup>(١)</sup> الخاصة بحرية الملاحة في قنال السويس ، و بعد مضي عشر سنين من تاريخ العمل بهذه المعاهدة يبحث المتعاقدان الأمر لمعرفة ما إذا كان استبقاء هذه النقطة لم يعد له لزوم ، وما إذا لم يكن ممكناً أن يترك لمصر وحدها العناية بالمحافظة على القنال ، وفي حالة الخلاف يرفع الأمر إلى عصابة الأمم

المادة التاسعة - في حالة ما ترى مصر التي لها حق التمثيل السياسي ألا تعين نائباً مصرياً عنها لدى أى بلد من البلاد تعهد بالمصالح المصرية في هذا البلد إلى نائب بريطانيا العظمى وهو يتولى الدفاع عن تلك المصالح وفق آراء وزير الخارجية المصرى

المادة العاشرة - يوافق الطرفان بمقتضى هذا على عقد محالفة دفاعية بينهما للأغراض الآتية :

١ - تتعهد بريطانيا العظمى بالاشتراك في الدفاع عن الأراضي المصرية ضد كل تعدد يحصل من جانب أى دولة من الدول

٢ - عند حصول تعدد على المملكة البريطانية من جانب أى دولة أوروبية ولولم تكن سلامة القطر المصرى ذاته في خطر مباشر فإن مصر تتعهد بأن تقوم داخل حدود بلادها لبريطانيا العظمى بجميع ما تحتاجه حربياً من تسهيل سبيل المواصلات وأعمال النقل ، وشروط أداء هذه المعونة تتحدد بعد باتفاق خاص

المادة الحادية عشرة - تتعهد مصر ، فوق ذلك ، ألا تعقد أية محالفة مع أية دولة أخرى بدون الاتفاق مقدماً مع بريطانيا العظمى

المادة الثانية عشرة - هذه المحالفة معقودة لمدة ثلاثين سنة في نهايتها يمكن للطرفين أن ينظرا في أمر تجديدها

المادة الثالثة عشرة - مسألة السودان تكون موضوع اتفاق خاص

(١) هي المعاهدة المقررة والمنظمة لحياة قناة السويس . راجع نصها والحديث عنها في كتابنا ( مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ) ص ٨٦ وما بعدها ، وقد أعدنا نشرها في قسم الوثائق التاريخية

المادة الرابعة عشرة — كل ما كان مخالفا لهذه الشروط من الأحكام المتعلقة بمصر  
الواردة بكافة المعاهدات الأخرى يكون ملغى ولا عمل له  
المادة الخامسة عشرة — تودع هذه المعاهدة بسكرتيرية جمعية الأمم لتسجل بها وتقرر  
بريطانيا العظمى أنها عن نفسها قابلة من الآن دخول مصر بهذه الجمعية بصفتها دولة  
حرة مستقلة

المادة السادسة عشرة — يعمل بهذه المعاهدة بمجرد تبادل التصديق عليها من  
المتعاقدين ويحصل التصديق فيما يتعلق بمصر بناء على قرار بالاعتماد صادر من الجمعية الوطنية  
التي تدعى لتقرير الدستور المصرى الجديد

\* \* \*

هذا ، ومما يلاحظ على مشروع الوفد ، أنه أقر القاعدة العسكرية البريطانية ، أو بعبارة  
أخرى أقر الاحتلال الأجنبي مع تغيير اسمه ، وأغفل السودان ، وقبل حلول إنجلترا محل  
الدول الأجنبية في امتيازاتها ، وتعيين نائب عام انجليزى فى المحاكم المختلطة ، وتعيين  
مستشار مالى بريطانى وحلوله محل صندوق الدين فى اختصاصاته ، وزاد على مشروع ملنر  
تعهد مصر فى حالة اشتباك إنجلترا فى حرب مع دولة أخرى ، ولولم تكن سلامة مصر فى  
خطر مباشر ، بأن تقوم لها فى داخل حدودها بجميع ما تحتاج إليه حريا من تسهيل سبل  
المواصلات وأعمال النقل

### مشروع ملنر الأخير — ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠

أسلفنا القول بأن هذين المشروعين كان نصيهما الرفض ، فقد رفض الوفد مشروع  
اللجنة ، كما رفضت اللجنة مشروع الوفد ، وتوقفت المفاوضات عقب هذا الرفض الثانى ،  
ثم استؤنفت بعد ذلك بوساطة عدلى باشا يكن ، ووضعت لجنة ملنر مشروعاً ثانياً يشتمل  
على تعديل يسير فى العبارات الواردة فى مشروعها الأول دون تغيير فى جوهره وقواعده ،  
وقد سلمه اللورد ملنر يوم ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠ إلى عدلى باشا لى يوصله إلى الوفد .  
مقرونا بخطاب مؤرخ فى اليوم نفسه ، قال فيه :

« إن المذكورة<sup>(١)</sup> المرسله مع هذا هي نتيجة المحادثات التي دارت بلندن في شهر يونيه إلى شهر أغسطس سنة ١٩٢٠ ، بين اللورد ملنر وأعضاء اللجنة الخصاصية المنتدبة لمصر ، وبين زغلول باشا وأعضاء الوفد المصري ، وقد اشترك عدلى باشا في تلك المفاوضات أيضا ، وهي عبارة عن رسم سياسة يقصد بها تسوية المسألة المصرية على أحسن وجه لمصلحة بريطانيا العظمى ومصلحة مصر كتيهما ، فأعضاء اللجنة مستعدون لأن يشيروا على الحكومة البريطانية بقبول السياسة المبينة في هذه المذكورة ، إذا اقتنعوا أن زغلول باشا وأعضاء الوفد مستعدون أيضا للدفاع عنها والترغيب فيها ، وأنهم يستعملون كل نفوذهم ليحصلوا على مصادقة جمعية وطنية مصرية على عقد معاهدة كالمعاهدة المقترحة المبينة في المادتين ٣ و ٤ ، وواضح أنه إذا كان الفريقان لا يتحدان قلبيا على تأييد الخطة المقترحة هنا فاتباعها لا يصادف نجاحا »

امضاء (ملنر)

١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠

### نص المشروع

١ - لكي يبنى استقلال مصر على أساس متين دائم يلزم تحديد العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تحديداً دقيقاً ، ويجب تعديل ما تتمتع به الدول ذوات الامتيازات في مصر من المزايا وأحوال الإعفاء وجعلها أقل ضررا بمصالح البلاد

٢ - ولا يمكن تحقيق هذين الغرضين بغير مفاوضات جديدة تحصل للغرض الأول بين ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية ، وآخرين معتمدين من الحكومة المصرية ، ومفاوضات تحصل للغرض الثاني بين الحكومة البريطانية وحكومات الدول ذوات الامتيازات ، وهذه المفاوضات ترمى إلى الوصول إلى اتفاقات معينة على القواعد الآتية :

٣ - (أولا) تعقد معاهدة بين مصر وبريطانيا العظمى ، تعترف بريطانيا العظمى بموجبها باستقلال مصر كدولة ملكية دستورية ذات هيئات نياية وتمنح مصر بريطانيا

(١) يقصد بالمذكورة نصوص المشروع

العظمى الحقوق التي تلزم لصيانة مصالحها الخاصة ولتمكينها من تقديم الضمانات التي يجب أن تعطى للدول الأجنبية لتحقيق تحلى تلك الدول عن الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات (ثانياً) تبرم بموجب هذه المعاهدة نفسها مخالفة بين بريطانيا العظمى ومصر تتعهد بمقتضاها بريطانيا العظمى أن تعضد مصر في الدفاع عن سلامة أرضها وتتعهد مصر بأنها في حالة الحرب حتى ولو لم يكن هناك مساس بسلامة أرضها تقدم داخل حدود بلادها كل المساعدة التي في وسعها إلى بريطانيا العظمى ومن ضمنها استعمال ما لها من الموانئ وميادين الطيران ووسائل المواصلات للأغراض الحربية

٤ — تشمل هذه المعاهدة أحكاماً للأغراض الآتية :

(أولاً) تتمتع مصر بحق التمثيل في البلاد الأجنبية وعند عدم وجود ممثل مصري معتمد من حكومته تعهد الحكومة المصرية بمصالحها إلى الممثل البريطاني وتتعهد مصر ألا تتخذ في البلاد الأجنبية خطة لا تتفق مع المخالفة أو توجد صعوبات لبريطانيا العظمى وتتعهد كذلك ألا تعقد مع دولة أجنبية أى اتفاق ضار بالمصالح البريطانية

(ثانياً) تمنح مصر بريطانيا العظمى حق إبقاء قوة عسكرية في الأرض المصرية لحماية مواصلاتها الامبراطورية وتعين المعاهدة المكان الذي تعسكر فيه هذه القوة وتسوى ما تستتبعه من المسائل التي تحتاج إلى التسوية ، ولا يعتبر وجود هذه القوة بأى وجه من الوجوه احتلالاً عسكرياً للبلاد كما أنه لا يمس حقوق حكومة مصر

(ثالثاً) تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية مستشاراً مالياً يعهد إليه في الوقت اللازم بالاختصاصات التي لأعضاء صندوق الدين الآن ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في جميع المسائل الأخرى التي قد ترغب في استشارته فيها

(رابعاً) تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفاً في وزارة الخزانة يتمتع بحق الاتصال بالوزير ويجب إحاطته علماً بجميع المسائل المتعلقة بإدارة القضاء فيما له من مساس بالأجانب ويكون أيضاً تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في أى أمر مرتبط بتأييد القانون والنظام العام

( خامساً ) نظراً لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها إلى الآن الحكومات الأجنبية المختلفة بوجوب نظام الامتيازات إلى الحكومة البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التدخل بواسطة ممثلها في مصر لتمنع أن يطبق على الأجانب أى قانون مصرى يستدعى الآن موافقة الدول الأجنبية وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها ألا تستعمل هذا الحق إلا حيث يكون مفعول القانون مجحفاً بالأجانب

### صيغة أخرى لهذه الفقرة

« نظراً لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها إلى الآن الحكومات الأجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات إلى الحكومة البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التدخل بواسطة ممثلها في مصر لتمنع أن يطبق على الأجانب أى قانون مصرى يستدعى الآن موافقة الدول الأجنبية وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها ألا تستعمل هذا الحق إلا في حالة القوانين التي تتضمن تمييزاً مجحفاً بالأجانب في مادة فرض الضرائب أو لا تتفق مع مبادئ التشريع المشتركة بين جميع الدول ذوات الامتيازات »

( سادساً ) نظراً للعلاقات الخاصة التي تنشأ عن المخالفة بين بريطانيا العظمى ومصر بمنح الممثل البريطانى مركزاً استثنائياً في مصر ويحول حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين

( سابعاً ) الضباط والموظفون الإداريون من بريطانيين وغيرهم من الأجانب الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز انتهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية في أى وقت خلال سنتين بعد العمل بالمعاهدة وتحدد المعاهدة المعاش أو التعويض الذى يمنحه الموظفون الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة على ما هو محول لهم بمقتضى القانون الحالى

وفي حالة عدم استعمال الحق المحول بهذا الاتفاق تبقى أحكام التوظيف الحالية

بغير مساس

٥ — تعرض هذه المعاهدة على جمعية تأسيسية ، ولكن لا يعمل بها إلا بعد إنفاذ الاتفاقات مع الدول الأجنبية على إبطال محاكمها القنصلية وإنفاذ المراسم المعدلة لنظام المحاكم المختلفة

٦ — يعهد إلى الجمعية التأسيسية في وضع قانون نظامي جديد تسير حكومة مصر في المستقبل بمقتضى أحكامه ويتضمن هذا القانون النظامي أحكاما تقضى بجعل الوزراء مسئولين أمام الهيئة التشريعية وتقضى أيضاً بإطلاق الحرية الدينية لجميع الأشخاص وبالحمية الواجبة لحقوق الأجانب

٧ — تحصل التعديلات اللازم إدخالها على نظام الامتيازات باتفاقات تعقد بين بريطانيا العظمى والدول المختلفة ذات الامتيازات ، وتقضى هذه الاتفاقات بإبطال المحاكم القنصلية لكي يتيسر تعديل نظام المحاكم المختلفة وتوسيع اختصاصها وسريان التشريع الذي تسنه الهيئة التشريعية المصرية ( ومنه التشريع الذي يفرض الضرائب ) على جميع الأجانب في مصر

٨ — تنص هذه الاتفاقات على أن تنتقل إلى الحكومة البريطانية الحقوق التي كانت تستعملها الحكومات الأجنبية المختلفة بمقتضى نظام الامتيازات ، وتشمل أيضاً أحكاما تقضى بما يأتي :

( أولا ) لا يسوغ العمل على التمييز المحض برعايا أى دولة وافقت على إبطال محاكمها القنصلية ويتمتع هؤلاء الرعايا في مصر بنفس المعاملة التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون  
( ثانيا ) يؤسس قانون الجنسية المصرية على قاعدة النسب فيتمتع الأولاد الذين يولدون في مصر لأجنبي بجنسية أبيهم ، ولا يحق اعتبارهم رعايا مصريين  
( ثالثا ) تخول مصر موظفي قنصليات الدول الأجنبية نفس النظام الذي يتمتع به القناصل الأجانب في إنجلترا

( رابعا ) المعاهدات والاتفاقات الحالية التي اشتركت مصر في التعاقد عليها في مسائل

التجارة والملاحة ومنها اتفاقات البريد والتلغراف تبقى نافذة المفعول . أما في المسائل التي يناها مساس من جراء إبطال المحاكم القنصلية فتعمل مصر بالمعاهدات النافذة المفعول بين بريطانيا العظمى والدول الأجنبية صاحبة الشأن مثل معاهدات تسليم المجرمين وتسليم البحارة الفارين ؛ وكذلك المعاهدات التي لها صبغة سياسية سواء أ كانت معقودة بين أطراف عدة أم بين طرفين كانتفاقات التحكيم والاتفاقات المختلفة المتعلقة بسير الحروب ، وذلك كله ، ريثما تعقد اتفاقات خاصة تكون مصر طرفاً فيها

(خامساً) تضمن حرية إبقاء المدارس وتعليم لغة الدولة الأجنبية صاحبة الشأن على شرط أن تخضع هذه المدارس من جميع الوجوه للقوانين السارية بوجه عام على المدارس الأوروبية بمصر

(سادساً) تضمن أيضاً حرية إبقاء أو إنشاء معاهد دينية وخيرية كالمستشفيات الخ وتنص المعاهدات أيضاً على التغييرات اللازمة في صندوق الدين وعلى إبعاد العنصر الدولي عن مجلس الصحة في الإسكندرية

٩ - التشريع الذي تستلزمه الاتفاقات السالفة الذكر بين بريطانيا العظمى والدول الأجنبية يعمل به بمقتضى مراسيم تصدرها الحكومة المصرية وفي الوقت عينه يصدر مرسوم يقضى باعتبار جميع الإجراءات التشريعية والإدارية والقضائية التي اتخذت بمقتضى الأحكام العرفية صحيحة

١٠ - تقضى المراسيم المعدلة لنظام المحاكم المختلطة ، بتحويل هذه المحاكم كل الاختصاص الذي كان مخولاً إلى الآن للمحاكم القنصلية الأجنبية ، ويترك اختصاص المحاكم الأهلية غير ممسوس

١١ - بعد العمل بالمعاهدة المشار إليها في البند الثالث تبلغ بريطانيا العظمى نصها إلى الدول الأجنبية وتعضد الطلب الذي تقدمه مصر للدخول عضواً في جمعية الأمم

### كتاب اللورد ملنر عن السودان

أخرج اللورد ملنر السودان عمداً من مناقشاته مع الوفد ومن مشروعه ، وأوضح

للفرد أن مشروع المعاهدة لا يمس بحال ، وانه يبقى على الوضع الذى كان فيه منذ أبرم بشأنه اتفاق ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ، كأنه مسألة مفروغ منها ومن ضياعها على مصر ، وتوكيداً لهذا المعنى أرفق اللورد ملنر بمشروع المعاهدة الأخير الذى سلمه إلى عدلى باشا كتاباً قال فيه :

« حضرة صاحب المعالى عدلى باشا يكن

« ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠

« عزيزى الباشا : بخصوص الحديث الذى جرى بيننا أمس أعود فأقول مرة أخرى انه ليس بين أجزاء المذكرة التى أنا مرسلها إليك الآن جزء يقصد تطبيقه على السودان كما هو ظاهر من المذكرة نفسها ؛ ولكنى أرى اجتناباً لكل خطأ وسوء فهم فى المستقبل أنه يحسن بنا أن ندون رأى اللجنة ، وهو أن موضوع السودان الذى لم نتناقش فيه قط نحن وزغلول باشا وأصحابه ، خارج بالكلية عن دائرة الاتفاق المقصود لمصر ، فإن البلدين يختلفان اختلافاً عظيماً فى أحوالهما ؛ ونحن نرى أن البحث فى كل منهما يجب أن يكون على وجه مختلف عن وجه البحث الآخر

« إن السودان تقدم تقدماً عظيماً تحت إدارته الحالية المؤسسة على مواد اتفاق سنة ١٨٩٩ ، فيجب والحالة هذه أن لا يسمح لأى تغيير يحصل فى حالة مصر السياسية أن يوقع الاضطراب فى توسيع نطاق تقدم السودان وترقيه على نظام أنتج مثل هذه النتائج الحسنة ، على أننا ندرك من الجهة الأخرى أن لمصر مصلحة حيوية فى إيراد الماء الذى يصل إليها ماراً فى السودان ، ونحن عازمون أن نقترح اقتراحات من شأنها أن تزيل هم مصر وقلقها من جهة كفاية ذلك الإيراد لحاجاتها الحالية والمستقبلية »

الإمضاء ( ملنر )

فهذا الخطاب يبنى عن إصرار الحكومة البريطانية على فصم عرى الوحدة بين مصر والسودان ، واستمرار الوضع الذى أوجدته اتفاقية سنة ١٨٩٩ الباطلة ، هذا الوضع الذى يجعل من السودان شبه مستعمرة انجليزية ، هذا إلى أن مشروع ملنر فى مجموعه إنما يرمى



إلى تصحيح مركز إنجلترا في وادي النيل ، وإقراره من جانب مصر ، وقد أشار سعد باشا إلى هذه النية في خطبته يوم ١٤ يونيه سنة ١٩٢١ في الاجتماع الذي أقيم بدار السيد عبد الحميد البكري بالخرنفس ، فذكر أن اللورد ملتر قال له في حديث معه خلال المفاوضات : « إننا الآن في مصر واضعون يدينا على كل شيء ، ونريد أن نتخلى عنها في مقابل شيء واحد ، وهو أن تعترفوا بمركزنا فيها ، لأنه الآن فعلى ، ونريد أن يكون شرعياً ، مستنداً إلى قوة عسكرية ، نحن نبحث عن مصر منذ أكثر من مائة سنة ، وهي الآن في قبضتنا فعلاً ، ونريد أن يكون مركزنا فيها شرعياً بقبولكم »

وهذا القول يدل على الروح التي صدرت عنها مفاوضات ملتر ، والغاية التي كانت

تنشدها إنجلترا منها

## الفصل الرابع عشر استشارة الأمة في مشروع ملنر

لما عرض اللورد ملنر مشروعه على الوفد كان مفهوماً أن بيت الوفد برأيه فيه بالقبول أو الرفض ، لأن اللورد ملنر أخبر الوفد أن المشروع معروض لسكى يقبل كله أو يرفض كله ، وأنه أقصى ما تستطيع إنجلترا الاتفاق عليه مع مصر

وقد اجتمع أعضاء الوفد للبحث فيما يجيبون به اللورد ملنر ، فرأى فريق منهم قبول المشروع مع إدخال تعديلات عليه ، ورأى فريق آخر رفضه جملة ، وانتهى الرأي إلى استشارة الأمة في المشروع ، قبل أن يقطع الوفد بالجواب ، واتفق الوفد مع اللورد ملنر على تأجيل المفاوضات حتى تتم هذه الاستشارة

وكانت هذه الاستشارة في ذاتها مكسباً للحركة الوطنية ، لأنها رجوع من الوفد إلى الأمة ، وتثبيت لمبدأ ( الأمة مصدر السلطات ) ، الذي هو أساس النظام السياسي الصحيح ، كما أنه السبيل لنهضة الأمة وتطورها في الحياة القومية ، وهو أيضاً تثبيت وتوكيد لحقها في تقرير مصيرها ؛ ولقد كانت هذه الاستشارة ميداناً لشرح المشروع جملة وتفصيلاً ، وتوضيح المبادئ السياسية والدستورية المرتبطة بالاستقلال والعلاقات الدولية بين الأمم ، ثم بحث الفوارق بين الاستقلال والحماية ، مما كان له الأثر في استنارة الأفكار ، ودراسة الحقائق والنظم السياسية والدولية

حقاً قد لاتكون فكرة الرجوع إلى الأمة هي التي دعت الوفد إلى هذه الاستشارة ، بل رغبته في أن لا يتحمل مسئولية إبداء رأيه في مشروع يعلم هو في خاصة نفسه أنه يحتوي على عناصر الحماية ، ولكن مهما يكن الباعث على الاستشارة ، فقد أكتسبت الأمة حقاً كان موضع الشك والنزاع ، وهو الاعتراف بأنها المرجع الأعلى في أمهات المسائل ، وأنها مهما أولت هيئة سياسية من الثقة ، فإن لها حق الرقابة عليها وتوجيهها الوجهة التي يستقر عليها رأيها العام

وإذ انتهى رأى الوفد إلى استشارة الأمة في المشروع ، فقد عهد إلى أربعة من أعضائه الذين اشتركوا في المفاوضات وهم : محمد محمود باشا وعبد اللطيف المكباتى بك وأحمد لطفي السيد بك وعلى ماهر بك ، السفر إلى مصر ، على أن ينضم إليهم بها ثلاثة من الأعضاء الذين كانوا بمصر ، وهم : مصطفى النحاس بك والأستاذ ويصا واصف والدكتور حافظ عفيفي بك ، لكي يتولوا جميعاً مهمة عرض المشروع على الأمة وتعرف رأيها فيه

### بيان سعد إلى الأمة

#### عن مشروع المعاهدة

سافر سعد باشا إلى فيشى للاستشفاء ، ولينتظر نتيجة الاستشارة ، ومن هناك أرسل بياناً إلى الأمة بتاريخ ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٠ لخص فيه أدوار المفاوضات ، وعرض فيه على الأمة إبداء رأيها في المشروع ، قال :

« إخواننا الكرام

« نهضت الأمة المصرية للمطالبة باستقلالها في ظروف علت فيها الأصوات بالحق والعدل وحرية الأمم ، واجتمع أقطاب السياسة لتقرير قواعد السلام ومصير الأقوام ، على حسب ما تتعلق به إرادتهم ويقتضيه اختيارهم

« وندبت من أبنائها أعضاء الوفد المصري ليعبروا عن رأيها ، ويسعوا بكل الطرق المشروعة للحصول على مطالبها ، حينئذ وجدوا للسعي سبيلاً ، فتحملوا هذه الأمانة الكبرى وخصصوا جميع أوقاتهم وأعمالهم للوفاء بها ، وبذلوا في سبيلها من الجهود ما تعلمون وما لاتعلمون ، وصادفوا من الصعوبات ما شعرت به الأمة ، ولقد أمدهم أبنؤها على اختلاف أديانهم وتباين أهوائهم في جميع المواقف بمظاهر اتحادهم وتضامنهم ، ونحوها في سبيل نصرتهم بكل مرتخص وغال ، وكان أول ما وجه الوفد إليه اهتمامه أن يعرض القضية المصرية على مؤتمر السلام مدعمة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، ولكنه لم يجد من رجال المؤتمر سوى الإعراض عنه إذ أوصدوا أبوابهم دونه ولم يريدوا أن يعرفوا صفته ولا وجوده ، وبعد قليل قرروا الاعتراف بحماية إنجلترا على مصر ، فلم يكن منه إلا أن بذل كل

جهده في نشر القضية المصرية في العالم القديم والحديث على طريقة أظهرت حقيقتها لكثير من الأفهام وعرفت لها لكثير من الشعوب التي لم يكن لها معرفة بها من قبل ، حتى استفز بيانه الكثير من الأحرار في البلاد المتقدمة إلى الانتصار لها ، والدعوة لإجراء العدل فيها

« فرأت الحكومة الإنجليزية أن تعين لجنة لتحقيق أمرها ، والوقوف على أسباب الاضطرابات التي عمت بسببها ، فانفتت كلمة الأمة أن تقاطعها ، لعلمها أن الغرض منها لم يكن سوى تأييد الحماية ووضع نظام للبلاد في دائرتها ، وأبت أن تقف منها موقف المسئول من السائل وأحالت أمر المفاوضات إلى عهدة وفدها ، فالتمت اللجنة أن تعود إلى حيث أتت ، ثم دعت للمناقشة بقصد الوصول إلى وضع قواعد اتفاقية توفى بين استقلال مصر ومصالح إنجلترا فيها ، فأبى أن يجيب الدعوة حتى يتأكد من حسن استعداد الحكومة الإنجليزية بالنسبة لاستقلال البلاد ، وأرسل لهذه الغاية كما تعلمون ثلاثة من أعضائه إلى لوندرة ، فتأكدوا من حسن الاستعداد حيث صرح لهم أنه ليس في مصالح إنجلترا بمصر ما يعارض استقلالها ، ولهذا لم نجد بداً من الذهاب إلى لوندرة للدخول في المفاوضات ، ولقد باشرنا منذ وصلنا إليها ومكثنا نزاولها إلى ١٦ أغسطس ، وانتهت المناقشة بوضع ثلاثة مشروعات ، أولها من لجنة ملتر ورفضناه بتاتاً ، والثاني منا ورفضته هذه اللجنة كذلك ، والثالث منها وهو الأخير ، وقد صرح رئيسها لنا عند البحث فيه أنه غير قابل للمناقشة في الأساسات التي بنى عليها ، وأنه يلزم إما أخذه كله أو تركه ، لأنه تضمن في اعتباره أقصى ما يمكن لإنجلترا الاتفاق مع مصر عليه ، بل زاد أن هناك شكاً في صواب التساهل في بعض ما اشتمل عليه ، ولكننا وجدناه — مع ذلك — معلقاً تنفيذه على غير إرادتنا ، وغير وافٍ بمطالبنا ، فلم يسعنا قبوله ، لخروجه عن حدود توكيلنا ، وأظهرنا للجنة ملتر عدم رضانا به

« غير أنه نظراً لاشتماله على مزايا لا يستهان بها ، وتغير الظروف التي حصل التوكيل فيها ، وعدم العلم بما يكون من الأمة بعد معرفتها بمشتملاته ، وقياس المسافة التي بينه وبين أمانها ،

رأى اخواننا معنا خروجاً من كل عهدة ، وحرصاً على كل فائدة ، واستبقاء الكل فرصة ،  
ألا يبتوا فيه رسمياً بما يقتضيه توكيلهم قبل عرضه عليكم أنتم نواب الأمة المسئولون ، وأصحاب  
الرأى فيها ، وبناء عليه اتفقنا مع لورد ملزر على تأجيل القرار النهائى إلى ما بعد هذه الاستشارة ،  
وتعين كل من حضرات محمد باشا محمود . وعبد اللطيف بك المسكبائى . ولطفى بك السيد .  
وعلى بك ماهر . وويصا بك واصف . وحافظ بك عفيفى . ومصطفى بك النحاس لهذه  
الغاية وليشرحوا لكم بالنزاهة المعلومة فيهم والدقة المعروفة عنهم الحقائق والوقائع التى ترون  
الوقوف عليها لازماً لتكوين اعتقادكم حتى تبدو بعد استشارة ضمائركم والتأمل فى حاضرهم  
وقابلهم رأيكم فيه بالرفض أو القبول . فإذا رفضتم أعلن الوفد رسمياً رفضه . وإذا قبلتم  
دخلت المسألة فى دورها النهائى ووضعت معاهدة على القواعد التى تضمنها وعرضت على  
الهيئة النيابية للتصديق عليها ووضع نظام دستورى للبلاد

« أرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمكم الصواب فى ترويكهم ، وأن يكمل بالنجاح  
مساعيكم آمين »

سعد زغلول

فيشى فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٠

### خطابه إلى أعضاء الوفد الثلاثة بمصر

على أن سعد باشا أرسل فى اليوم نفسه خطاباً إلى أعضاء الوفد الثلاثة بمصر (ص ١٦٥)  
صارحهم فيه برأيه فى المشروع ، وهو أنه حماية لا استقلال ، وطلب إليهم عند عرضه على  
الأمة أن يبينوا لها الحقائق ، بلا تفسير أو تأويل ، والحق أن الفرق كبير بين بيانه إلى الأمة  
وخطابه إلى الأعضاء الثلاثة ، قال :

« أهديكم أطيب تحياتى ، وبعد فإنكم تجدون طي هذا بلاغا لنواب الأمة وأرباب  
الرأى فيها تعلمون مضمونه من تلاوته ، وأظنكم تستشفون منه أنى لست من رأى المشروع  
الذى ستعرضونه على الأمة أنتم والقادمون إليكم من إخوانكم ، وهذا موافق للحقيقة لأنه  
( وأريد أن يكون الأمر بينى وبينكم ) مشروع ظاهره الاستقلال والاعتراف به ، وباطنه

الحماية وتقريرها ، ففيه من خصائص الحماية ومميزاتها الشيء الكثير ، كالقوة العسكرية ،  
والتدخل في التشريع للأجانب ، وفي القضاء المختص بهم ، والتدخل في المالية وفي الحقانية  
بواسطة موظفين إنكليز ، وجعل المعتمد الإنجليزى ذا مقام خاص وله التقدم على غيره من  
وكلاء الدول الأخرى ، وتقييد حرية مصر في عقد المعاهدات وفي اختيار وكلائها السياسيين  
وفي التجاء هؤلاء لممثلى إنجلترا ، وتولى انكلترا دون مصر عقد المعاهدات المتعلقة بإلغاء  
الامتيازات مع الدول الأخرى ، وفضلا عن ذلك فإن ما اشترطه من تعليق تنفيذه على قبول  
الدول لإلغاء المحاكم القنصلية ، وصدور الدكرات بإعادة تنظيم المحاكم المختلطة يجعل الفوائد  
التي تعود منه على المصريين وهمية ، إذ قد ينقضى الدهر ولا تقبل الدول ذلك الإلغاء ولا  
تصدر الدكرات بذلك التنظيم ، ولكن إخوانى لا يرون فيه رأى ، ولم أورد أن أظهر  
الخلاف بينى وبينهم حرصاً على الوحدة التي هي قوتنا ، لكيلا يشمت الأعداء بنا ، ولو  
أن إخوانى أصغوا إلى قولى أو لم أكن أخشى على هذه الوحدة من الانقسام لفارقت لندرة  
في يوم ٢٢ يوليه الماضى ، وهو اليوم الذى ورد لنا فيه خطاب من لورد ملزر عن مشروع سابق  
وضعت له لجنته ورفضناه لكونه كان يرمى إلى ما يخالف مبدأنا وتوكيلنا ، وكان رفضنا له  
بالإجماع ، ومن الغريب أن المشروع الثانى جاء أبلغ في باب الحماية لاشتماله على كثير من  
مميزاتها ، ومع ذلك رأى الإخوان صلاحية عرضه على نواب الأمة ، ولا أريد أن أشكو  
منهم إليكم لأنهم إنما رأوا ذلك لأسباب قامت عندهم وأقنعتهم بصحة آرائهم ، أهمها تغيير  
ظروف الحال وعدم وجود السند والنصير لنا في الخارج ، وانفراد الدولة الإنكليزية بالعزة  
والسلطان ، وعدم قدرة الأمة على متابعة المعارضة والمقاومة ، وإنى أعترف بأهمية هذه  
الأسباب ، ولكنها لا يمكن أن تقلب حقيقة المشروع من حماية إلى استقلال ، ولا أن  
تجعلنا نرضى بما نهضنا لمقاومته ، وقمنا للمطالبة ببطلانه ، وما ضحّت به الأمة في سبيل النفور  
منه والقضاء عليه من دماء الكثير من أبنائها وحرية العدد العديد من شيوخها وفتيانها ،  
ولا يحملنا نحن دعاة الاستقلال وحملة ألويتيه والصائحين به في كل صقع وناد على أن نتحول  
إلى تأييد ما هو بعيد عنه في الواقع وإن كان قريباً منه في الظاهر

« وأما إذا قبله غيرنا وكانت الأغلبية معهم ، فذلك شيء آخر لا تقع تبعته علينا ، ولهذا رأيت أن أكتب لكم بفكرى حتى تكونوا فى مستوى واحد مع إخوانكم الذين ستشتركون معهم فى عرض المشروع ، وأن يكون مركزكم ( إذا استحضتم ) من الذين تستشيرونهم مركز الشارح للحقائق العارض للوقائع من غير تأويل ولا تفسير ، لكيلا يجد خصومكم سبيلا للطعن عليكم ولا حسادكم حجة يقيمونها ضدكم ، وسوف تطلعون على جميع المكاتبات التى دارت بيننا وبين لجنة ملتر وعلى المشروعات الثلاثة التى وردت فى البلاغ ذكرها ، وتقفون من الإخوان على جميع المعلومات التى يهتمكم الوقوف عليها فى هذا الشأن ، وإنى على ثقة تامة بأنكم ستكفونون فى عرض هذا المشروع مثال الدقة والنزاهة والبعد عن مزالقي القدم ، وإنى مستعد لأن أرسل إليكم كل ما تشاءون من الأوراق ، ولأن أجيبكم عن كل ما تشاءون الوقوف عليه من المسائل ، والله يكون فى عونكم ويقيكم شر خائنة الأعين وما تخفى الصدور »

« سعد زغلول »

ولقد كان يجدر بسعد باشا أن يصارح الأمة برأيه فى المشروع ، لا أن يكتفى بذكر هذا الرأى فى خطاب خاص إلى الأعضاء الثلاثة ، نعم كان واجبا عليه ، وقد كان يتولى زعامة الأمة ، أن يصارحها برأيه الواضح فى أهم مسألة عرضت لها فى ذلك الحين ، وهى مسألة تقرير مصيرها ، فإذا لم يصارح الزعيم الأمة برأيه فى مثل هذه المسألة الهامة ، فقيم إذن ترجع إلى زعامته ؟ . وفى أى أمر تنتظر الأمة هدايته ونصيحته ؟ من واجب الزعيم أن يتحمل تبعه الرأى الصواب ، يرشد الأمة إليه فى الأوقات العصبية ، ومن الخير أن يرجع إلى الأمة ليستمد سلطته منها ، ولكن على شرط أن يدلى لها برأيه ، وبالتوجيه الذى يرى فيه خيرها وصلاحها ، وبذلك يكون قد أدى لها واجب النصيح والإرشاد ، وهداها سبيل الحق والسداد

وفى الحق ان أعضاء الوفد ، فى الجملة ، لم يكونوا شارحين لقواعد المشروع فحسب ، بل كانوا محبذين ومؤيدين لها فى مجموعها ، وفى ذلك يقول اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية فى خطبته بمجلس اللوردات التى سيرد الكلام عنها : « فى شهر سبتمبر أوفد أربعة من زملاء زغلول باشا إلى مصر لكي يشرحوا لأبناء وطنهم الاقتراحات التى كانوا يبحثونها ،

فلم يشرحوها فقط ، بل جذبوها لأشباعهم ، فكان لها حظ كبير من الموافقة ، وتحسنت الحالة في مصر تحسنا عظيما »

على أن سعد باشا لم يعترض على الوضع الذي جرت عليه الاستشارة ، وحبذ مسلك زملائه في تفسيراتهم ، وأرسل في هذا المعنى تلعرافا بتاريخ ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٠ إلى محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية ، قال فيه : « وصلتنا أبناء الاستشارة فملاتنا سرورا وفخارا ، وقد كان لما أعلنته الأمة بجميع طبقاتها من تأكيد الثقة بنا أعظم وأحسن وقع في نفسى ونفس زملائي أعضاء الوفد ، ولا شك أنه يحق لنا أن نفخر بأمتنا التي وقفت موقفا حكيما جديرا بها ، فأثبتت بذلك ما تنطوى عليه من قوة معنوية وحياة وطنية »

### نتيجة الاستشارة

فاضت الصحف وقتئذ بأراء الهيئات والكتتاب والباحثين والأفراد في مشروع المعاهدة ، فنشر الحزب الوطنى تقريرا مسهبا في معارضته وإظهار ما فيه من عناصر الحماية ، وأصدر القرار الآتى :

### قرار الحزب الوطنى

اجتمعت اللجنة الإدارية للحزب الوطنى فى مساء يوم الاثنين ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٠ وتلت التقرير الذى قدمته إليها اللجنة المكلفة بفحص قواعد الاتفاق وأصدرت القرار الآتى نصه :

(أولا) الموافقة على تقرير اللجنة المكلفة بفحص القواعد بصيغتها النهائية التى ستنشر بعد

(ثانيا) اعتبار قواعد الاتفاق المعروضة خالية من المزايا بالنسبة لمصر ومقررة لحماية ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، ومنظمة لهذه الحماية تنظيما يسلب مصر سيادتها الداخلية والخارجية معتمدة اتفاقية السودان اعتمادا مستورا



(ثالثاً) إبداء النصح للأمة المصرية بأن لا تقبل هذه القواعد أساساً لاتفاق بين  
مصر وإنجلترا

(رابعاً) إلقاء التبعة أمام الشعب وأمام الأجيال المستقبلية وأمام التاريخ وأمام الله على  
كل من يعمل لتحقيق هذا المشروع

(خامساً) الاستمرار في الجهاد الوطني بجميع الوسائل المشروعة «

« وكيال الحزب الوطني «

« على فهمي كامل «

أما التقرير الذي أشار إليه الحزب في قراره ، فقد أوضح فيه رأيه في المشروع تفصيلاً ،  
مما نفتطف هنا بعض فقرات منه ، فقد بين أن المزايا الواردة بالوضع للمائل في المشروع هي  
مزايا وهمية ، فما ذكره عن مزية الاستقلال : « ان الذين تهافتوا على القول بوجود  
الاستقلال في قواعد الاتفاق جروا على طريقة لا تؤدي إلى حكم صحيح ، ومن الغريب أنهم  
على اختلاف أماكنهم ومتهتم اتبعوا في بحثهم جميعاً طريقة واحدة ، واعتمدوا على أدلة  
واحدة ، ثم وصلوا إلى نتيجة واحدة هي وجود الاستقلال

« أغفلوا الكلام جميعاً عن ميزة الاستقلال وعلامته القانونية ، ثم تناولوا من بين  
حقوق إنجلترا الكثيرة في قواعد الاتفاق حقوق الارتفاق التي تريد أن ترتبها لنفسها على  
الأرض المصرية ، وأخذوا في تصغير شأنها ، وقالوا إن لكل منها نظيراً عند بعض الدول  
المستقلة ، هكذا قالوا ، ولكنهم لم يجرؤوا على الادعاء باجتماع عدد من هذه الحقوق عند  
دولة واحدة كما هو الحال مع مصر

« إن ميزة الاستقلال وعلامته القانونية هي أهلية الدولة المستقلة لمباشرة أعمالها وحدها  
داخل بلادها وخارجها ، فإذا زالت من الدولة هذه الأهلية أو تحددت دائرتها بتدخل دولة  
أخرى فلا استقلال «

ونفي مزايا التمثيل السياسي والمجلس النيابي والتخلص من الموظفين الأجانب بالشكل  
الوارد في المشروع ، ثم دحض مزية حرية التصرف في المسألة قائلاً :

« هذه المزية معدومة منه أيضاً للأسباب الآتية :

١ - تنص الفقرة الثالثة من البند الرابع من المشروع على ما يأتي : تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية مستشاراً مالياً يعهد إليه في الوقت اللازم بالاختصاصات المالية التي لأعضاء صندوق الدين ويكون تحت تصرف الحكومة لاستشارته في جميع المسائل الأخرى التي قد ترغب في استشارته فيها »

(١) فهذا النص يفرض على الحكومة المصرية ضرورة تعيين مستشار مالي لها باتفاقها مع الحكومة الإنجليزية ، ويفرض أيضاً إضافة اختصاصات صندوق الدين إلى المستشار ، فوظيفة الاستشارة إذن وظيفة دائمة لا وقتية

(ب) ما دام لدينا مستشار مالي فلا يهّم البحث عما إذا كان المقصود الاختصاصات المالية لصندوق الدين أو اختصاصات جديدة قد تُقرر له كما يمكن أن يستفاد من التعبير الوارد في الفقرة السادسة من البند الثامن التي تقول « التغييرات اللازمة في صندوق الدين » . لا يهمننا هذا البحث لأننا نعرف لغة إنجلترا عند تعبيرها بلفظ مستشار ، نعرف ذلك من تعريف اللورد جرانفيل لهذه الكلمة في تلغرافه المشهور ، ونعرف أيضاً معناها من الكتاب الذي ألفه اللورد ملنر ووضح القواعد فإن القاموس السياسي الإنجليزي يقول ان كلمة المستشار أمرٌ يجب أن يُطاع ، وان إنجلترا لم تستخدم في التعبير لفظ « مستشار » وفعل « استشار » إلا للإدلال على مرادها ، تريد أن تقول لنا بهذا التعبير : إني أقصد المستشار الذي تعرفونه أمراً في ميزانيتكم متصرفاً فيها كما يجب ويهوى ، تريد أن تقول لنا إني أقصد معنى الكلمة حسب قاموس سياستي ، ولذلك اخترت التعبير بها دون غيرها ، وانكم تعرفون لغتي السياسية حق المعرفة من تلغراف اللورد جرانفيل وكتاب اللور ملنر وسوابق عمل المستشار ، فلا يحق لكم أن تفسروها بغير لغتي ، وليس أدل على صحة ما تقوله لنا من أنها عبّرت في الفقرة الرابعة من البند الرابع بلفظ الموظف ولم تعبر بلفظ مستشار مما يدل على أنها تريد أحكاماً مخصوصة لكل من اللفظين

(ج) إننا لم نفهم التعبير بلفظ « في الوقت اللازم » الوارد في النص ، فهو قيد خاص

بهذه الفقرة لا نعرف المراد منه ، و يلاحظ أن هذا القيد لا يمكن تفسيره بالقيد الشامل لجميع البنود ، وهو قيد تعليق تنفيذ المعاهدة على إنفاذ الاتفاقات مع الدول الأجنبية ، فهذا القيد الشامل لجميع البنود لا يحتاج في سريانه للإشارة إليه في بند خاص

( و ) ان انكلترا هي وحدها التي استفادت من إيراد هذا النص في المعاهدة ، فإنها ضمنّت حق إيجاد رقابة لها على المالية المصرية بواسطة هذا المستشار كما أنها ضمنّت أن تكون صاحبة الكامة في تعيينه وبالطبع لا يمكن عزله إلا برضا من عينه

( هـ ) ولا عبرة مما جاء في النص من أنه « يكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في جميع المسائل الأخرى التي ترغب في استشارته فيها » — لا عبرة بهذا النص ، فإنه من الجمل السياسية التي لا تؤدي المعنى الظاهر ، وان انكلترا ما تعمدت التعبير بلفظ « استشارة » مرتين في هذه الجملة القصيرة إلا لتدلنا على مرادها الحقيقي من النص ، والذي يؤيد ذلك ما جاء في أقوال عارضى المشروع من أن اللورد ملنر هو الذي حتمّ بإدخال هذا النص وتشدّد في إبقائه

« فنحن إذن لم نكتسب شيئاً من الوجهة المالية ، وبذلك يكون القول بأننا سنكون أحراراً في إنشاء المدارس التي نريدها وتوسيع التعليم وهما باطلا لأن المستشار سيقف أمامنا في كل مشروع من هذا القبيل »

ودَحْض مزية الجيش والأسطول وأبان أن دخول مصر عصبة الأمم ليس معناه الاعتراف باستقلالها

وأشار إلى ما في المشروع من نصوص أخرى تهدم معاني الاستقلال :

فمنها تخويل انكلترا دون مصر حق المفاوضة مع الدول ذات الامتيازات في تعديلها ،

قال في هذا الصدد :

« ينص البند الثاني على أنه لا يمكن تحقيق العرض الثاني المبين في البند الأول وهو

تعديل الامتيازات إلا بمفاوضات تحصل لهذا الغرض بين الحكومة البريطانية وحكومات

الدول ذوات الامتيازات

« والقيام بهذه المفاوضات من حقوق مصر وحدها باعتبارها دولة مستقلة ، فقيام إنجلترا بهذه المفاوضات هو تطبيق لحماية سنة ١٩١٤ ، لأننا لو سلمنا بالرأى القائل بعدم تمسك إنجلترا بالحماية لما كان هناك وجه شرعى لمباشرة هذه المفاوضات بنفسها ، إن مفاوضات إنجلترا مع الدول بالنيابة عن مصر هو تطبيق لحقها الذى احتفظت به فى خطاب السير ملن شيتهم إلى السلطان حسين ، ولا يمكن أن يقال ان إنجلترا تتلقى هذا الحق بالتوكيل أو التفويض من مصر ، لأن التعبير بعبارة « لا يمكن » ينفي فكرة التفويض أو الوكالة ، أضف إلى ذلك أن القانون الدولى لا يعرف تفويضاً مطلقاً كهذا لا يرجع فيه الأمر فى النهاية إلى الدولة التى أعطت التفويض ، فتسليم مصر لإنجلترا بأنها وحدها صاحبة الصفة فى المفاوضات والاتفاق مع الدول بشأن تعديل الامتيازات يعتبر اعترافاً ضمنياً آخر بحماية سنة ١٩١٤ »

ومنها أبدية المعاهدة والمخالفة ، قال فى هذا الصدد : « وما يؤيد أن النظام حماية عدم تحديد مدة للمخالفة ولا للمعاهدة ، ولم يعرف التاريخ إلى الآن معاهدة أو مخالفة أبدية بين دولتين متساويتين »

ومنها منح الممثل البريطانى مركزاً استثنائياً فى مصر وتحويله حق التقدم على جميع الممثلين السياسيين

وتحويل بريطانيا العظمى حق إبقاء قوة عسكرية بالأراضى المصرية ، قال فى هذا الصدد :

« تنص الفقرة الثانية من البند الرابع على ما يأتى : « تمنح مصر بريطانيا العظمى حق إبقاء قوة عسكرية فى الأرض المصرية لحماية مواصلاتها الامبراطورية وتعين المعاهدة المكان الذى تعسكر فيه القوة وتسوى ما تستتبعه من المسائل التى تحتاج إلى التسوية ولا يعتبر وجود هذه القوة بأى وجه من الوجوه احتلالاً عسكرياً للبلاد كما أنه لا يس حقوق حكومة مصر »

« بهذه المنحة ضمنت الحكومة الإنجليزية بقاء احتلالها إلى الأبد وحولت احتلالاً عسكرياً مؤقتاً إلى احتلال نظامى مؤبد ، بهذه المنحة برئت ذمة إنجلترا من جميع تعهداتها لنا

بالجلاء من سبعين عهداً ووعداً كانت كالشوكة في جوف سياستها المصرية ، وإن لهذه المنحة مثيلاً في معاهدة باردو وقصر سعيد المعقودة بين تونس وفرنسا (المادة ٢ معاهدة) ، غير أن فرنسا كانت فيها أخف وطأة على تونس من إنجلترا علينا ، فلقد بنت فرنسا حقها في احتلال تونس على سبب مؤقت ، وهو وجود مشاغبات على الحدود والشواطئ كما أنها نصت في المادة على إمكان انتهاء الاحتلال بالاتفاق «

ومنها تعيين الموظف القضائي البريطاني لوزارة الحفانية ، قال في هذا الصدد :

« تنص الفقرة الرابعة من البند الرابع على أن : « تعيين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفاً في وزارة الحفانية ، يتمتع بحق الاتصال بالوزير ، ويجب إحاطته بجميع المسائل المتعلقة بإدارة القضاء فيما له مساس بالأجانب ، ويكون أيضاً تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في أي أمر مرتبط بتأييد القانون والنظام »

« فهذا الموظف الذي تعيينه مصر بالاتفاق مع إنجلترا أو بعبارة أخرى هذا الموظف الذي تعيينه إنجلترا سيتدخل في شؤوننا الداخلية بالحقوق الآتية :

١ — له حق الاتصال بالوزير ، ولا نستطيع أن نفهم من هذا النص أن يكون الغرض السماح لهذا الموظف بالدخول على الوزير بدون وساطة أي موظف مصري ، فإن وظيفة من هذا القبيل لا تشغل إنجلترا إلى حد إدراجها في المعاهدة ، وإنما الذي نفهمه من هذه الوظيفة هو أن هذا الموظف يكون له حق الاتصال بعمل الوزير ، وعمل الوزير يتناول تنفيذ القانون والأحكام القضائية والمسائل الإدارية المتعلقة بالادارة القضائية والتحقيقات والنيابة ، وكل ذلك بالنسبة لجميع سكان القطر المصري ، فالموظف له حق الاتصال بجميع هذه الشؤون لا بالنسبة إلى الأجانب فقط ، ولكن بالنسبة للمصريين أيضاً ، ولا ندري ماذا يكون حد هذا الحق ولا حد هذا الاتصال

٢ — ويجب إحاطة هذا الموظف بجميع المسائل المتعلقة بإدارة القضاء فيما له مساس بالأجانب ، وقد نشرت هذه الفقرة مصادفة في بعض الجرائد بنصها الإنكليزي ، فوجدناها تختلف بعض الاختلاف عن الترجمة الصحيحة التي تؤدي إلى أن هذا الموظف يجب إحاطته

بجميع المسائل المتعلقة بإدارة القانون باعتباره ماساً بالأجانب ، وبما أن النص الإنكليزي هو الأصل المعتمد . فإن المعنى أن كل قانون يعتبر ماساً بالأجانب ، وبهذه المثابة يكون لهذا الموظف اختصاص في إدارة القانون الذي يطبق على الأهالي

٣ — ويكون أيضاً تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في أي أمر مرتبط بتأييد القانون والنظام ، فهذا هو المستشار القضائي المعروف ومستشار الداخلية المعروف ، بل هو يجمع في شخصه جميع المستشارين الإنكليز المعروفين ، والفرق بينهم أنه معين من قبل انكلترا ، أما المستشارون فكانوا يعينون ولو في الظاهر من قبل الحكومة المصرية ، فهل يوجد تدخل من انكلترا في أعمال الحكومة الداخلية أكثر من هذا التدخل ؟ وهل بعد ذلك نقول إن حقوق سيادتنا الداخلية سليمة لم تُمس بقواعد الاتفاق .

« ولا يفوتنا أن نلفت النظر إلى أن هناك حقوقاً أخرى لانكلترا واضحة في قواعد الاتفاق ، من أهمها ما تكسبه بالبند التاسع الذي يقضى بإصدار أمر عالٍ باعتبار جميع الإجراءات التشريعية والإدارية والقضائية التي اتخذت بمقتضى الأحكام العرفية صحيحة ، وأنتا لا نستطيع أن نبين جميع هذه الإجراءات لفرط كثرتها ، ولكننا نقول إنها تحتوي على إجراءات تمس سيادة البلاد كالأمر الصادر من القائد العام في ١٩ أغسطس سنة ١٩١٨ القاضي بأن تكون ٥٦٢ فدانا بأبي قبر في حيازة وزير حرية انكلترا وملكاً له بصفة مستديمة لأغراض عسكرية »

وذكر ضياع السودان في المشروع قال :

« ان قواعد الاتفاق تؤدي إلى الاعتراف ضمناً بصحة اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ، وذلك ان التسليم بتجزئة مصر والسودان هو اعتراف بأن السودان ليس جزءاً من مصر ، والسكوت من قبلنا عن المطالبة بالسودان في الوقت الذي نسوى فيه مسائلنا مع انكلترا اعترافاً بأن السودان ليس محلاً للبحث ، وإغفال الكلام في اتفاقية سنة ١٨٩٩ مع هذه الظروف إقراراً بهذه الاتفاقية ، وبيان مندوبي الوفد الذي يقصر مسألة السودان على حقوقنا

في المياه تحديد المسألة السودانية بيننا وبين الإنكليز ، فلا نزاع إذن أننا نغلق بقبول هذه القواعد باب المطالبة بالسودان

« السودان كما هو معلوم جزء من مصر كما هي البحيرة والمنوفية والغربية ، وهو أزم لمصر من الإسكندرية ، وهو مصدر نعمتنا وحياتنا ، وهو النيل كله ، هو كل شيء فكيف نطمئن على حياتنا وعلى بلادنا والسودان في غير يدنا ؟

« أين تلك الضجعة الهائلة التي أحدثناها يوم علمنا بمشاريع الخزانات ؟ أين الاحتجاجات ؟ أين الصحف ؟ أين المهندسون ؟ أين الجمعية التشريعية ؟ أين أعضاء مجالس المديرات ؟ ماذا أصابنا حتى ننسى السودان ، وهو إن تركناه فلا يتركنا كما قال شريف باشا ، فأصبح السودان غير جنسنا لأن اللورد ملنر لم يقبل أن يدخله في البحث ، أصبح مركز إنجلترا فيه شرعياً لأن اللورد ملنر هددنا إما أن نقبل الكل أو نرفض الكل ، أنسينا ما بذلناه في سبيله من الأموال والأرواح ؟ أنسينا أنه كان ولا يزال من القدم امتداد مصر وعضوا من مصر ، أنسينا أننا لا نطمئن على وجودنا ما دام السودان هكذا »<sup>(١)</sup>

ومما نجد تجدر ملاحظته ان هذا التقرير قد تأيد بما فيه من الحجج والأدلة ، وتأيد في مجموعه بما ذكره سعد باشا في خطابه المتقدم ذكره إلى الأعضاء الثلاثة ( ص ١٦٧ ) ، إذ وصف المشروع بأنه مشروع ظاهره الاستقلال والاعتراف به وباطنه الحماية وتقريرها ، وتأيد أيضاً بما ورد في تقرير قدمه الأستاذ عبد العزيز بك فهمي ( باشا ) إلى الوفد في أكتوبر سنة ١٩٢٠ بعد انتهاء الاستشارة<sup>(٢)</sup>

(١) من بواعث الأسف أن فريقاً من الحزب الوطني قد خرجوا على رسالة السليمة التي تبين في هذا التقرير والمستمدة من تعاليم أسلافه العظام ، وأقروا الوضع الذي قرره معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا سنة ١٩٣٦ باشتراكهم غير مرة في الوزارة في ظل هذه المعاهدة وعلى أساس تنفيذها « بروح الود والإخلاص » على ما فيها من إقرار لوجود القوات الأجنبية في البلاد ومحاولة فصح عمري الوحدة بين مصر والسودان ، ومن التناقض بين والتعارض مع مبادئ الحزب قبول هذا الفريق الاشتراك في الحكم على أساس أوضاع رفضها الحزب الوطني ودعا الأمة إلى رفضها ، وإلا فقيم كان اعتراضهم على من يقبلون هذه الأوضاع إذا كانوا يقرونها عملياً باشتراكهم في وزارات تألفت على أساس تنفيذها ؟ لاشك أن الاشتراك في الحكم على أساس هذه الأوضاع وفي ظلها هو انتقاص على رسالة الحزب الوطني ومبادئه ، والعبرة بالمسميات لا بالأسماء

(٢) نشر هذا التقرير في مارس سنة ١٩٢١

## رأى الأستاذ عبد العزيز فهمي

وإنا نأقلون هنا بعض فقرات منه ، قال :

« إن سياسة الإنكليز في هذا المشروع لا تخفى على من ينظر في الأمور بعين الناقد البصير ، هي تنحصر في هذه الصيغة : أخذ إقرار الأمة المصرية نفسها بتصحيح مركزهم إزاءها كما أخذوا إجماعاً أو شبه إجماع من الدول بتصحيح مركزهم في مصر والسودان لئتم لهم بذلك قطع كل احتجاج يقوم في وجههم من الداخل أو الخارج معاً »  
وقال عن القوة العسكرية :

« إن اشتراط وجود قوة عسكرية انكليزية في الأراضي المصرية هو اشتراط لا يتفق مطلقاً مع سيادة البلاد في الداخل ، بل هو من طبيعة الحال في كل بلد للغير حماية عليها أو ملكية فيها ، وندر أن توجد قوة أجنبية في بلده مستقلة حرة ، وليس محو صفة الاحتلال عن هذه القوة العسكرية والنص على عدم مساسها بحقوق الحكومة المصرية يمنع من أنها في ذاتها قوة أجنبية مجرد وجودها كاف للمساس بالسيادة الداخلية التي للبلاد على نفسها ، والغرض المصرح به من وجودها هو غرض مبهم إذ للإمبراطورية الانكليزية مواصلات إلى السودان وغيره من أفريقيا وفلسطين والعراق والهند وغيرها ، وأنواع المواصلات شتى من بحرية ونهرية وحديدية وتلغرافية وتليفونية وهوائية . وللانكليز مع هذا الإبهام ان يدعوا ان ما كان من طرق المواصلات المذكورة داخل حدود القطر المصري ( بخلاف قنال السويس ) فيصدق عليه أنه من مواصلات الإمبراطورية البريطانية ، وأن يرتبوا على ذلك ان لهذه القوة الانتقال من معسكرها إلى أي نقطة بالقطر المصري يحصل فيها أي مساس بهذه المواصلات ، ويكون ذلك أشد وأخطر أنواع المساس بحرية البلاد وسيادتها الداخلية »

وقال عن المستشارين المالي والقضائي :

« تشترط بريطانيا العظمى في الفقرة الثالثة من المادة الرابعة ان تعين مصر بالاشتراك



معها مستشارا انكليزيا بالمالية وتشترط بأخر الفقرة الرابعة من المادة المذكورة ان الموظف الانكليزي الذي يعين بالحقانية بالكيفية المذكورة يجمع بين يديه فوق وظيفته الأصلية وظيفتي مستشار الحقانية والداخلية معاً لقول العبارة « ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية للاستشارة في أية مادة متعلقة بتأييد القانون والنظام تأييداً فعلياً » فالوزارات الثلاث التي هي روح الإدارة الداخلية في البلاد ، وهي المالية والداخلية والحقانية سيكون لها مستشاران من الانجليز لن تستقل الحكومة المصرية بتعيينهما ، بل يكون تعيينهما بالاتفاق مع حكومة بريطانيا ، مهما يُقل من أن هذين المستشارين لن تكون لهما أية سلطة تنفيذية ، وأن الوزراء معهما سيكونون أحراراً لأنهم غير مسئولين إلا أمام البرلمان ، وأن هذه المسئولية تقتضي قانوناً وعملاً عدم الانصياع لآراء المستشارين ومهما يقل فوق ذلك من أن المستشار المالي لن يكون له القول الفصل في المسائل المالية ولا حضور مجلس الوزراء ، فإن أقل مقدار المفهوم من هذه الاشتراطات ان مالية الحكومة المصرية وقضاء البلاد المصرية والأمن العام في البلاد المصرية سيكون ذلك جميعه تحت مراقبة الإنجليز . فدخائل ماليتنا ستكون معلومة لديهم ودخائل إدارتنا وبوليسنا ستكون معلومة لديهم ودخائل قضائنا الأهلي والشرعي ستكون معلومة لديهم ( بقطع النظر عن القضاء المختلط ) ، ويكفي هذا ليحقق للإنجليز ولو معنى المراقبة على إدارة البلاد الداخلية وهذه المراقبة مهما قل أثرها طعن في سيادة البلاد الداخلية ومصداق واضح للحماية

« على أن القول بأن المراقبة المذكورة إنما هي نظرية فقط ، إنما هو قول لا يسلم به إلا من يجمل أثار احتكاك الأمم الكبرى بالصغرى ، ان هذين المستشارين حتى لو أمسكت الحكومة المصرية عن استشارتهما في شيء ما فإنه لا مانع يمنعهما من التبرع بالشورى من تلقاء أنفسهما ، والأخذ والرد بينهما وبين الوزراء — وهما قويان تسندهما سلطة ممثل انكلترا ذي المركز الخاص والقوة العسكرية الإنجليزية الموجودة بالبلاد ، والوزراء على كل حال ضعاف — لا بد أن ينتج عنه في العمل أن ينصاع الوزراء لآرائهما ينفذون منها ما ليس من شأنه أن يعرض على البرلمان ، ويحتهدون في ترويج آرائهما لدى البرلمان فيما من شأنه

أن يعرض عليه ، وينتهي الحال بتعمود البلاد ووزرائها وبرلمانها على خطة مخصوصة هي عدم معارضة آراء هذين المستشارين خوف المشاكل مع إنجلترا القوية ، وتلبث البلاد أبد الأبدين بقوة الاتفاق تابعة للآراء الإنجليزية في أمورها الداخلية ، هذا قول مبنى على مشاهدة ما يجرى وما من شأنه أن يجرى بين القوى والضعيف ، وعلى كل حال فواقع الأمر أن أمورنا الداخلية من مالية وقضائية وإدارية ستكون تحت مراقبة الإنجليز ، ولو تضاءلت هذه المراقبة وأن هذا مساس بالسيادة ومصداق للحماية .

« على أنى فيما قدمت استنتجت أهون ما يمكن مما تدل عليه العبارات الخاصة باستشارة هذين الموظفين وإلا فالتمتعن يرى أن موظف الحفانية سيكون في الواقع مستشاراً لكل وزارات الحكومة ، فإن كل وزارة من وزارات الحكومة حتى الأوقاف إنما تسير على مقتضى القانون الخاص بها ، والنظام ليس شيئاً آخر سوى مراعاة الأمة حاكمها ومحكومها لما تقتضى به القوانين ، فإذا أضيف لهذا أن الوظيفة الأساسية لهذا الموظف هي مراقبة تنفيذ القوانين فيما يتعلق بالأجانب ( وهذه الوظيفة كانت محدودة هكذا في المشروع الأول ، أما في المشروع الأخير فمدلول عليها بوسيلتها فقط ، وهي ضرورة إحاطة هذا الموظف علماً بكل ما يتعلق بإدارة القانون بالنسبة للأجانب ) وهي وظيفة لا تقف عند حد الشورى ، بل تقتضى بذاتها المداخلة والإلزام بالرجوع لموجب القوانين ، وأنها بذلك وظيفة تنفيذية محضة ، نقول متى أضيف هذا لوظيفة الاستشارة تبين أن هذا الموظف سيكون هو الكل في الكل في الحكومة المصرية ، وما أظن أحداً يمكنه أن يقول بحق ان هذا ليس من مشخصات الحماية الصريحة »

وقال عن المركز الخاص للممثل البريطانى :

« لا تقتضى أى مخالفة من المحالفات المعقودة بين الأمم المستقلة الحرة أن يكون للممثل أحداها مركز خاص وتقدم على ممثلى الدول الأخرى إلا محالفاتنا فمشرط بالفقرة السادسة من المادة الرابعة أن من آثارها هذا .

« ان كون ممثل إنجلترا له مركز استثنائى بمصر وله التقدم على سائر معتمدى الدول

الأخرى لا يصح مطلقاً أن يكون نتيجة من نتائج التحالف العادى ، وإنما هو نتيجة صريحة لوضع مصر داخلاً وخارجاً تحت المراقبة الإنجليزية دون سواها ، وهذا الاشتراط لا يعهد له نظير إلا فى البلاد المحمية بغيرها . وأما المستقلة الحرة فلا شىء فيها من هذا القبيل .

وقال عن حلول إنجلترا محل الدول فى امتيازاتها كما ورد فى المشروع :

« إن استقلال بريطانيا العظمى بمباشرة حقوق الأجانب الامتيازية بمصر كقتضى الفقرة الخامسة من المادة الرابعة مقتضاه غل يد الدول الأجنبية عن أن يكون لها أدنى تداخل فى التشريع والقضاء فى حق الأجانب وغل يد المصريين أيضاً عن المفاوضة مع أية دولة بخصوص حقوقها الامتيازية فى القطر المصرى بحيث يصبح المصريون والأجانب معاً فى مصر لا عميل لهم من جهة التشريع والقضاء المختلط إلا الإنجليزية ، وهى سلطة هائلة لا معنى لاستقلال الإنجليزية بها إلا إذا كان لهم بمصر مركز غير مجرد مركز الخليف العادى ، بل مركز الخليف الحامى ، ومن يقل بغير ذلك فوهم .

« فى هذا القدر ما يكفى لبيان حقيقة هذا المشروع ، وأن مصر معه باقية تحت الحماية الإنجليزية والمراقبة الإنجليزية والتداخل الإنكليزى القانونى والفعلى داخلاً وخارجاً . »  
هذا ما ذكره الأستاذ عبد العزيز فهمى عن المشروع ، وقد ختم تقريره بقبول المشروع مع التحفظات ، دون أن يذكر ما هى هذه التحفظات

### بيان الأمراء

هذا وقد أصدر الأمراء عمر طوسون واسماعيل داود وسعيد داود ومحمد على ابراهيم بياناً عن المشروع فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٠ قالوا فيه :

« أصدرنا بلاغنا المعلوم الذى قوبل بمزيد الاستحسان من جميع طبقات الأمة فى ٣ يناير سنة ١٩٢٠ وجئنا اليوم فى هذا الوقت الخطير نبدى رأينا فى مستقبل بلادنا الذى سيبت فيه كباقي أفراد الأمة التى نعتبر أنفسنا منها ، ونتشرف بانتسابنا إليها ، وهو أن مبادئنا التى ذكرت فى ذلك البلاغ لم تتغير ، وإننا لازلنا متمسكين بها أشد التمسك ، وإننا

لا نبرر عقد أى اتفاق ينافى أو ينقص استقلال مصر مع سودانها ، استقلالاً تاماً حقيقياً  
بلا قيد ولا شرط

« هذا هو رأينا فى هذه المسألة الخطيرة ، والأمة الرأى الأعلى فيها . والله يهديننا جميعاً  
إلى الصواب »

عمر طوسون اسماعيل داود سعيد داود محمد على ابراهيم

### رأى الدكتور أبو هيف بك

ونشر الدكتور عبد الحميد أبو هيف بك أستاذ القانون الدولى بمدرسة ( كلية ) الحقوق  
السلطانية ست مقالات<sup>(١)</sup> فى تكييف المشروع ، معارضاً إياه ، نقتطف منها ما يلى ، قال :  
« تدل ألفاظ المشروع على أنه يقرر استقلال مصر ، وأنه يشمل تحالفاً بين بريطانيا  
العظمى والقطر المصرى المستقل ، والمراد معرفته الآن هو :

أولاً - هل يعتبر مركز مصر بمقتضى هذا الاتفاق مركز دولة مستقلة من الدول التى  
تشارك فعلاً فى التمتع بكامل الحقوق التى يوجبها القانون الدولى العام وفى القيام بكل  
الواجبات التى يحتمها ذلك القانون

ثانياً - هل تعتبر هذه المعاهدة تحالفاً بين دولتين مستقلتين يحفظ استقلال كل منهما  
على السواء ولا يمس كيانه

« إن ما يخشاه المصريون أن تكون القيود الواردة فى المعاهدة مضيعة للاستقلال الذى  
هو الغرض الأساسى من الاتفاق ، كما أنهم يخشون أن تكون المعاهدة المقررة للتحالف باللفظ  
مقررة فى الحقيقة للاتحاد بين إنجلترا ومصر اتحاداً قانونياً يجعل مصر غير متمتعة بالاستقلال  
وتابعة بعد ذلك للإمبراطورية البريطانية

« ليس من السهل الحكم من بادى الأمر على ماهية الاتفاق ، بل بالعكس يعتبر

تكييفه من أصعب الأمور ، إذا لم نقل انه يكاد يكون مستحيلا من الوجهة القانونية إدخال الاتفاق المذكور تحت نوع معين من الأنواع المعروفة في القانون »

و بعد أن تكلم عن مبادئ القانون الدولي ، قال :

« وعلامات الحكومة المستقلة هي أن الجماعة المكونة لها قد تأسس اتحادها لغرض سياسي وتوطدت دعائم ارتكازها على جزء من البسيطة معين ، واستقلت بنفسها عن الرقابة الخارجية عليها من أية دولة من الدول الأخرى

« فإذا ما تكونت الحكومة تكويناً كاملاً كان لها بموجب استقلالها الحرية الكاملة في العمل ضمن حدود القانون الدولي . في علاقاتها مع الدول الأخرى . ولا تعتبر حريتها في حكم الزائلة من وجهة القانون الدولي لمجرد كونها قد عقدت مع الدول الأخرى اتفاقات تقيد بها حرية عملها ، بشرط أن تكون تلك الاتفاقات جائزة للنقض في أى وقت أو بعد وقت معين ، أو بشرط ألا تكون تلك الاتفاقات من طبيعتها أن تجعل الإرادة القومية أى إرادة الشعب خاضعة خضوعاً حتمياً لزم من غير معين لسلطة دولة أخرى ، ولذلك بمجرد دخولها في اتفاقات مقصود أنها تكون غير قابلة للنقض أو اتفاقات لا يفهم من طبيعتها أنها تكون قابلة للنقض من أحد الطرفين ويكون من مقتضاها إخضاع أعمال الحكومة الخارجية لإرادة دولة أخرى ، فإن هذه الحكومة تعتبر فيما يتعلق بتلك الاتفاقات فاقدة لاستقلالها وبالتالي لا تعتبر شخصاً من الأشخاص المقر عليهم في القانون الدولي ، غير أن شخصيتها لا تنفى فناء تاماً ، بل تعتبر في الأحوال التي لا مساس لها بالاتفاق حافظلة لكيانها القانوني المعتاد ( هول في القانون الدولي ص ٢٣ )

وقال في تكييف الاستقلال : « الاستقلال هو حق كل حكومة في إدارة شؤونها الداخلية والخارجية بدون رقابة عليها من الحكومات الأخرى ، وهو من حق كل الحكومات المستقلة ، أما الحكومات محدودة الاستقلال أو المستقلة جزئياً فإنها بالضرورة لا تعتبر مستقلة استقلالاً تاماً لأن شروط وجودها تمنعها من أن تكون لها الحرية المطلقة في العمل فيما يتعلق بالأمور الخارجية »

إلى أن قال :

« والاستقلال هو القوة التي بها تستطيع الدولة أن تنفذ قراراتها المنبثقة عن إرادة حرة غير متأثرة بإرادة دولة أخرى ، ولذلك فهو حق الدولة في أن تظهر إرادتها بدون تدخل من الدول الأجنبية في كل الأمور وفي كل الظروف التي تعمل فيها بصفتها دولة مستقلة ، وبهذا يعتبر شاملاً لحق المحافظة على الوجود وتنمية موارد الحياة »

وقال في تطبيق مبادئ القانون الدولي المشروع :

« وأصبح ظاهراً للملأ أن قواعد الاتفاق لا تنطبق على الاستقلال التام ، ولقد تبين من القواعد القانونية كيف ضاع الاستقلال التام بين « الاستقلال والتحالف » ، وتبين أنه يكاد يكون من المستحيل قانوناً إدخال الاتفاق تحت نوع معين من أنواع الحكم الموجودة في القانون الدولي وذلك لسكونه يختلف عن كل نوع بفوارق معينة ، والحقيقة المرة أن المشروع لا يقرر الاستقلال المعروف في القانون الدولي والذي تتمتع به (الدول المستقلة) ، نعم أنه يقرر بعض مظاهر الاستقلال الخارجي مثل التمثيل ( في البلاد الأجنبية ) وحق عمل المعاهدات الذي ( يفهم ) من قول المشروع ( تتعهد مصر بأن لا تعقد مع دولة أجنبية أى اتفاق ضار بالمصالح البريطانية ) ، ولكن هذين المظهرين قد يوجدان حيث يكون الاستقلال معدوماً أو شبه معدوم ، ألم يكن بعض الحكومات الألمانية الخاضعة لسلطة بروسيا متمتعة بحق التمثيل ؟ أفئن أعطى لنا هذا الحق بما هو مقيد به من القيود مع استقلال داخلي نائص جداً ، فيقال اننا مستقلون ؟ كلا ، ان المبرة بمجموعة الحقوق التي يتمتع بها البلد لا بظاهرة من مظاهر الاستقلال الخارجي ! تعطى لنا لمجرد المحافظة على إحساساتنا أو لإرضاء لبعض مطامعنا ، وأما حق التعاهد مع الغير فإنه متى كان مقيداً بقيده السابق ذكره ، فإنه لا يكون ظاهرة من مظاهر الاستقلال الخارجي ، بل هو ينادى من نفسه بعكس ذلك

« سيقال إن التحالف يستتبع قيوداً لا بد منها ، وان التحالف من شأن الأمم المستقلة . نعم ان الدولة المستقلة حرة في الدخول في معاهدات أو محالفات تقيد بها حريتها من بعض الوجوه لمنافع تعود عليها أو لمصلحة دولية تراها الدول مقدمة على مصلحتها الخاصة بها ،

فيرغمها عليها إرغاماً ، ولكن يشترط فيها كلها ألا تكون هادمة للاستقلال أو مضيعة له ، وضغط الدول متجمعة يعتبر في نظر القانون الدولي مختلفاً اختلافاً كبيراً عن ضغط دولة على دولة ، فإن هذا يذهب بالاستقلال أو يقيدده تقييداً يعتبر غنياً لصالح الدولة ذات القوة ونقصاً في استقلال الدولة الضعيفة فتنشأ عن ذلك علاقات (تبعية) تتشكل بالأشكال المختلفة التي سبق الكلام عنها أو بأشكال أخرى لا تختلف عنها في جوهرها ، أما ضغط الدول المتجمعة على دولة واحدة فليس له هذا الأثر ، بمعنى أن ما ينقص من استقلال الدولة الضعيفة يكون غنياً لمصلحة الجماعة ولا تكون ثمة علاقات (تبعية) تجعل الدولة الضعيفة تشعر شعوراً مستديماً بخضوعها لدولة معينة

«قد يقال انه سوف لا يكون ثمة خضوع ، وإنما سنكون متممين بتمام الحرية داخل بلادنا وخارجها مع بعض قيود تستدعيها المصالح البريطانية في مصر ، ولكننا نقول والأسف ملء الفؤاد إننا نفهم مما قرره علماء القانون الدولي الإنجليز أنفسهم ان استقلالنا المقرر بالمشروع لا يجعلنا حكومة مستقلة عن بريطانيا العظمى ، وان استقلالنا عن جميع الدول الأخرى »

وقال عن المركز الاستثنائي لممثل إنجلترا : « فماذا عسى أن تكون مزايا هذا المركز وواجباته ومستلزماته في أمة مستقلة ؟ سيقال انه ضروري أو جائز أن ينص على ذلك حتى يقوم هذا الممثل بالواجب المفروض عليه فيما يتعلق بالنشرع بالنسبة للأجانب ، ولكن النص على اختصاصه في ذلك كاف في تحويله ما يستتبعه ذلك الاختصاص من نفوذ في الحكومة المصرية ، ولا داعي مطلقاً للنص عليه . سيقال ان هذا المركز الاستثنائي إنما يمتاز به على جميع الممثلين الآخرين لأنه ممثل حليفتنا ، والرد ان هذا يكفي فيه الشرط الأخير من الفقرة نفسها ( الفقرة السادسة من البند الرابع ) ، وهذا قد لا يعنيننا لأنه ترتيب بين غيرنا ، أما المركز الاستثنائي فهو الذي يدخل الرعب في قلوبنا لأنه نذير التدخل المبني على مسئولية إنجلترا عن مصر

«حقاً ان التدخل قد كتب علينا من جانب ممثل إنجلترا فيما يتعلق بمنع تنفيذ القوانين على الأجانب ولكن هذا مسلم أنه جائز الآن ونحن نقبله كارهين حتى يثق الغرب بالشرق

أو يشقوا بنا ولا يجدون بعد ذلك ما يجعلهم يتطلبون ضمانات بالنسبة للأجانب ، غير أن التدخل لمصلحة الأجانب في أحوال معينة شيء واستعمال المركز الاستثنائي شيء آخر في نظري

« إن جلاء الموظفين البريطانيين كلهم أو بعضهم وإن كان يمكن المصريين من تحمل مسؤولية الوظائف وخدمهم وبطلق لهم الحرية فيما يرونه نافعا لوطنهم إلا أن هذا الجلاء لا يفيد أن قواعد الاتفاق تجعله علينا من غير عوض ، وهذا العوض هو المركز الاستثنائي الذي يكون لممثل إنجلترا ، هو وحده في نظر علماء القانون الدولي الإنجليز قد يقوم مقامهم جميعاً تمام القيام »

إلى أن قال : « إن المجاذبة والتشاد اللذين أحاطا بالمفاوضة يظهران لكل إنسان إن إنجلترا لم ترد أن تجعلنا مستقلين عنها وتكتفي بالضمانات اللازمة لمصالحها والتي لا تمس استقلالنا ، بل إنها للآن تمنحنا حقوقاً معينة فردية منعزلة بعضها عن البعض الآخر بحيث تعتبر أن الأصل أن كل الحقوق لها واننا نتناول منها بعض ما ترانا جديرين بأن نتولاه بنفسنا ، يؤيد ذلك قول سعد باشا في بيانه نقلاً عن لورد ملتر « أن هذا المشروع تضمن في اعتباره أقصى ما يمكن لإنجلترا الاتفاق مع مصر عليه » بل زاد « أن هناك شكاً في صواب التساهل في بعض ما اشتمل عليه »

« لست أقول ذلك لأننا لننا استقلالنا بقوة السيف أو أننا قادرون على أن نناله كذلك ، ولكن أقوله لأبين مقدار الخطر من وجود صاحب المركز الاستثنائي يستعمل مركزه بقوة الاتفاق ليتوصل إلى كل أو بعض ما يتوصلون به بواسطة جيش الموظفين وبدون لزوم لأن يذكر في المعاهدة شيء عن التدخل في الأمور الداخلية

« إن من يقول أن الاستقلال ينافي التدخل يصيب إذا كان استقلالنا تاماً ولكنه بالأسف ليس كذلك فلا يكون التدخل ممنوعاً من نفسه

« يؤيد نظرية استبقاء نية التدخل عند بريطانيا العظمى النص على الاستشارة فيما يتعلق بالمستشار المالي والموظف الكبير الذي يتمتع بحق الاتصال بالوزير في الحاقانية ، فإن



من يتتبع تفسير رجال الوفد للنصوص المتعلقة بالاستشارتين وبيانهم لبعض تفاصيل المفاوضات يجد أن فكرة استبقاء نية التدخل متجسمة في مشروع الاتفاق ككل التجسم ولا تستطيع إنجلترا أن تتخلى عنه وقد اعترفت لها الدول بحمايتها على مصر وتنازلت لها تركيا عن سيادتها عليها<sup>(١)</sup>

« ان تدخل صاحب المركز الاستثنائي أشد خطراً في نظري على استقلال البلاد من وجود نقطة عسكرية على مقربة من القنال »

ثم عدد المظاهر التي تخذل الاستقلال في المشروع ومنها : منح مصر بريطانيا العظمى الحقوق التي تلازم لصيانة مصالحها الخاصة ، والحقوق التي تلزم لتمكينها من تقديم الضمانات التي يجب أن تعطى للدول الأجنبية لتحقيق تحلى تلك الدول عن الحقوق المحولة لها بمقتضى الامتيازات ، وعدم التكافؤ في التعهد بالمساعدة الحربية ، وثقل وطأة التزاماتنا الحربية ، وتعهد مصر وحدها ألا تتخذ في البلاد الأجنبية خطة لا تتفق مع المخالفة ، وفي هذا القيد من المعاني ما فيه ، وتعهدا وحدها بالألا توجد صعوبات لبريطانيا العظمى ، و بعدم عقدها مع دولة أجنبية أى اتفاق ضار بالمصالح البريطانية على الإطلاق ، وان تمنح مصر بريطانيا العظمى حق ابقاء قوة عسكرية في الأرض المصرية ، وجواز استشارة الحكومة المصرية للمستشار المالى البريطانى وهذا الحق يبقى حتماً في نظر بريطانيا العظمى بعد زوال الديون الأجنبية لأنه لو كان صحيحاً ان زوالها يزيل الاستشارة ما تمسكوا شديداً بابقاء اسمه وجواز استشارته ، ثم جواز استشارة الموظف الكبير المتصل بالحقانية في أى أمر مرتبط بتأييد القانون والنظام ، وهذا يظهر بوضوح ان بريطانيا العظمى ترى نفسها مسئولة عن تأييد القانون والنظام في مصر ، وهذه المسئولية تستتبع التدخل في شؤوننا الداخلية في نظر القانون ، وحلول بريطانيا العظمى بمفردها محل جميع الدول صاحبة الامتيازات فان هذا الحل حاصل أو حصل بمقتضى ما لها من الحماية على مصر وهى الآن تريد ان تنفذ حق حماية الأجانب

(١) يشير إلى معاهدة سيفر التي عقدت يوم ١٩ أغسطس ١٩٢٠ ، على أن هذه المعاهدة قد ألغيت وحلت محلها معاهدة لوزان في ٢٤ يولييه سنة ١٩٢٣ (انظر هامش ص ٩٠)

فتعطيه شكل التدخل بوساطة ممثلها ذي المركز الاستثنائي ليمنع أن ينفذ على الأجانب أى قانون مصرى يستدعى الآن موافقة الدول الأجنبية

إلى أن قال : « ان مظاهر الاستقلال الداخلى أهم فى نظرى كثيراً من مظاهر الاستقلال الخارجى لأن هذا الأخير لا قيمة له إذا لم يكن الاستقلال الداخلى مبنياً على أسس ودعائم ثابتة لا يحيط بها النفوذ الأجنبى من جانب دولة واحدة ولا يتعرض لأن تتهدم جوانبه كل يوم بواسطة التدخل من ممثل بريطانيا العظمى صاحب المركز الاستثنائى ، ومن مستشاريه صاحبى المقام الرفيع فى المالية والحقانية ، إننى أحرص على الاستقلال الداخلى أكثر مما أتمسك بمظاهر الاستقلال الخارجى ، لأن الأول منهما ما دام يرتكز على أسس صحيحة فإنه يوصل حتماً إلى الثانى تماماً وبكامل مظهره ولذلك فإن أهم ما يجب أن تتمسك به بعد زوال الحماية والاعتراف بالاستقلال هو تفاصيل الاستقلال الداخلى . يجب أن يكون هذا الاستقلال كاملاً غير منتقص إلا بقدر ما تستلزم ذلك الامتيازات الأجنبية وحقوق الدائنين الأجانب فقط »

وقال فى ختام بحثه :

« إن آخر الضربات التى كان ينتظر توجيهها إلينا قد نزل بنا بالاعترافات الكثيرة بحماية إنجلترا علينا وبنزول تركيا عن سيادتها إلى إنجلترا<sup>(١)</sup> ، فلم يبق لدينا إلا أن نساوم على استقلالنا حتى نشتره ، وليكن ذلك بأى ثمن إلا بالاستقلال نفسه ، فهذا ما لا حياة من بعده »

وثمة فريق آخر من الكتائب نشروا آراءهم بتحييد المشروع والموافقة عليه وسأكت أغلبية الأمة طريقاً وسطاً ، بأن أبدت تحفظات على المشروع لا تقبله دون تحقيقها ، وبعض هذه التحفظات يتعارض فى الواقع مع روح المشروع وقواعده ، بحيث كان إبدؤها رفضاً للمشروع

(١) انظر هامش ١٨٧ و ٩٠

## استئناف المفاوضات

قضى أعضاء الوفد المنتدبون في مصر حوالى الشهر لاستشارة الأمة في مشروع المعاهدة ثم غادروا مصر إلى باريس في أوائل أكتوبر سنة ١٩٢٠ ، وهناك اجتمع الوفد وأخذ يبحث تقارير الأعضاء المنتدبين عن نتيجة الاستشارة ، واستخرج من مجموع تحفظات الأمة مارآه هو مهما

وأوفد اللورد ملنر مندوباً خاصاً لدعوة الوفد إلى موافاته بلندن لإتمام المفاوضات ، وعلى ذلك قرر الوفد تلبية الدعوة ، وأن يصحبه عدلى باشا يكن ، فسافر أعضاء الوفد إلى لندن على دفتين ، والتقى سعد باللورد ملنر ، وأفضى إليه بأن الأمة أبدت تحفظات على المشروع ، فرفض ملنر بحث هذه التحفظات ، متمسكا برأيه الأول ، وهو قبول المشروع كله ، أو رفضه كله ، وقال في تفسير موقفه :

« ان مأموريته قد انتهت وأنه يجب عليه أن يقدم تقريره الذى استبطأ قومه ظهوره ، وان من المفهوم أن لكل فريق تحفظات وملاحظات يريد إبداءها ، فمثل هذه وتلك يجب تركها للمفاوضات الرسمية القريبة ، وبخاصة لأن المشروع عبارة عن أسس خالية من التفصيل والتأويل »

ولكن سعداً لم يقبل هذا الوضع وتمسك بالتحفظات ، ووقف الأمر مؤقتاً عند هذا الحد

## التحفظات التي قدمها الوفد

وفي ١٢٥ أكتوبر دُعى الوفد إلى مقابلة اللورد ملنر ثانية ، فلبى الدعوة ، وحضر سعد ومعه كل من عدلى باشا . وعبد العزيز فهمى بك . ومصطفى النحاس بك . وعلى ماهر بك . وقبل اللورد ملنر في هذا الاجتماع أن يستمع إلى تحفظات الوفد على أن لا تتقيد اللجنة بشيء جديد ، فقدم الوفد الفوج الأول من التحفظات ، وهى :

أولاً — إلغاء الحماية صراحة

ثانياً — حذف العبارة الثانية من الفقرة الأولى من المادة الثالثة من المشروع التي تقضى بأن مصر تحول بريطانيا العظمى الحقوق اللازمة لضمانة مصالحها الخاصة وتمكينها من تقديم الضمانات اللازمة للدول الأجنبية للحصول على تنازلها عن حقوقها الامتيازية ، لكي لا يترك مجال للقول بأن مصر تعطي حقوقاً أزيد من الحقوق المبينة بطريق الحصر في مشروع المعاهدة

ثالثاً — (١) حذف الشرط الوارد في المادة الخامسة الذي يعلق تنفيذ المعاهدة على قبول الدول انتقال حقوقها الامتيازية إلى بريطانيا العظمى ، وعلى إنفاذ المراسيم المعدلة للنظام القضائي المختلط ، بحيث تكون المعاهدة نافذة المفعول ، بمجرد اعتماد مصر وبريطانيا العظمى لها

(ب) النص على عرض مشروعات تعديل النظام القضائي المختلط على الهيئات النيابية المصرية وإقرارها عليها قبل نشرها

رابعاً — دخول مصر بصفة طرف متعاقد في الاتفاقات المراد عملها مع الدول بشأن حقوقها الامتيازية

خامساً — (١) حذف النص الوارد في المادة الرابعة ، الخاص بتعيين موظف بريطاني بوزارة الحفانية ، فإن وجود نائب عمومي انجليزي باختصاصاته العادية فيه الضمان الكافي للأجانب

(ب) حذف النص الوارد في المادة الثالثة الخاص باستشارة المستشار المالي

سادساً — قصر الاتفاقات الواردة في الفقرة الأولى من المادة الرابعة والتي لا يمكن لمصر عقدها مع الدول متى كان فيها إضرار بالمصالح الإنجليزية على المعاهدات السياسية المحضة ، بحيث يبقى لمصر الحرية في عقد الاتفاقات التجارية والاقتصادية وغيرها بدون أدبي قيد

سابعاً — حل مسألة السودان على الأساس الآتي :

(١) ضمان مياه النيل اللازمة لرى أرض مصر المنزرعة الآن وأراضيها القابلة

للإصلاح والزراعة

(ب) أولوية مصر فى أخذ المياه عند عدم كفايتها للقطرين

(ج) تمتع مصر فعلاً بحقوق سيادتها فى السودان

ثامناً - إلغاء كل حكم فى المعاهدة مقيد لاستقلال مصر بمجرد زوال الأسباب الداعية

لهذا التقييد

ومما يلاحظ على هذه التحفظات أنها ليست جوهرية ، ولا تغير من قواعد المشروع شيئاً ، وفى التحفظ الخاص بالسودان حصر الوفد اهتمامه فى مسألة ماء النيل وأولوية مصر فى أخذ المياه عند عدم كفايتها للقطرين ، وهذا التحفظ لا يلىق صدوره ، لأن أول مانعنى به مصر هو تحقيق وحدة وادى النيل واعتبار مصر والسودان جزئين لا يتجزآن من وطن واحد ودولة واحدة

هذا ، وبعد أن انفض اجتماع ٢٥ أكتوبر ، استدعى الوفد بقية أعضائه من باريس فلما حضروا اجتمع بكامل هيئته يوم أول نوفمبر ، وقرر إرسال خطاب إلى اللورد ملنر يطلب فيه موعداً آخر للاجتماع ، لىكى يتم عرض التحفظات والتعديلات التى طلبتها أغلبية الأمة ، وهذا تعريب الخطاب :

« سافواى أوتيل بلندره فى أول نوفمبر سنة ١٩٢٠

« عزيزى اللورد

« قد أرسلتم فى شهر أغسطس الماضى عن يد صديقنا عدلى باشا مشروعاً متضمناً القواعد التى رأيتم فحامتكم وزملائكم أنها صالحة لتكون أساساً لاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر ، ولما لم يكن فى استطاعتنا قبول هذا المشروع الذى يتجاوز نصوص حدود توكيلنا اتفقنا معكم على إرجاء المفاوضات إلى وقت آخر حتى يعرض المشروع على الأمة ، وقد ندب الوفد أربعة من أعضائه لاسفر إلى مصر لهذا الغرض ، وجاءت نتيجة مهمتهم مثبتة لرغبة الشعب المصرى الصادقة فى تأسيس اتفاق بينه وبين بريطانيا العظمى على المودة المتبادلة المبينة

على الثقة والإخلاص ، ولأجل الوصول إلى هذه الغاية رأت الأمة من الضروري إدخال تعديلات على المشروع الذي عرض عليها ، وهذه التعديلات ترجع في قسم عظيم منها إلى تحديد معنى بعض النصوص ومرماها بما يزيل الإبهام ولا يجعل محلاً لتغيير لا يكون متفقاً مع قصد المتعاقدين ، ولقد أنعم الوفد المصري النظر في المطالب التي قدمت إليه وفحصها فحصاً جيداً ، واستخرج منها بعض النقاط الأساسية التي طلبتها الأغلبية العظمى للأمة ، وكان لنا الشرف بأن عرضنا عليكم بعض هذه التحفظات أثناء اجتماعنا بالجلسة التي انعقدت بوزارة المستعمرات في يوم ٢٥ أكتوبر التي تفضلتم فيها بأن أقررتم التفاسير التي فسر بها المندوبون المشروع في مصر ، ثم تأجلت الجلسة لحين حضور باقي أعضاء الوفد من باريس وهم الآن بلندره ، فأرجو أن تفضلوا بتحديد جلسة لتمكن فيها من إتمام عرض مطالب الشعب ، ولى كامل الثقة في أن غناتكم تقبلون هذه التحفظات بالارتياح ، فإن قبولها يمكن الوفد المصري من تعضيد الاتفاق المنوي عقده بين بريطانيا العظمى ومصر ويضمن له النجاح ، وتفضلوا الخ « سعد زغلول »

### مناقشات مجلس اللوردات

في المسألة المصرية — ٤ نوفمبر سنة ١٩٢٠

وفي غضون ذلك طرحت المسألة المصرية في ميدان البحث والمناقشة أمام مجلس اللوردات بجلسة ٤ نوفمبر سنة ١٩٢٠ ، فتكلم في هذه الجلسة خطباء من معارضي الحكومة ومؤيديها ، وسندكر هنا خلاصة وافية لخطبة كل من اللورد سالسبري من المعارضين ، واللورد كيرزون وزير الخارجية ، واللورد ملتروزير المستعمرات وصاحب مشروع المعاهدة ، فإن هذه الخلاصة تعطيك فكرة واضحة عن نيات الساسة البريطانيين نحو مصر ، سواء كانوا مؤيدين لحكومتهم أو معارضين

### خطبة اللورد سالسبري

خطب اللورد سالسبري معارضا سياسة الحكومة ، متهما إياها بكتمان حقائق المسألة

المصرية عن المجلس وعن الجمهور البريطاني ، ورمها بالضعف وبأن ليس لها سياسة مستقرة فيها ، وطعن في مبدأ « تقرير المصير » الذي نادى به الرئيس ويلسن ، وانتقد ما سماه ضعفا من الحكومة البريطانية بتقريرها الإفراج عن سعد وصحبه بعد نفيهم إلى مالطة ، وانتقد تباطؤ الحكومة في إيفاد لجنة اللورد مانر وتباطؤ اللجنة في أداء مهمتها ، ثم عرض في ختام خطبته قواعد أربعة تنم عن نزعة العريضة في الاستعمار وطلب ملاحظتها في أية تسوية للمسألة المصرية

قال في مقدمة خطبته : « ان أهل هذه البلاد ( إنجلترا ) يحتاجون إلى معلومات أوفى مما بين أيديهم في الوقت الحاضر ، وهذا هو السبب الرئيسي الذي من أجله اجترأت الآن أن أعرض هذا الموضوع على أنظاركم

#### سياسة التكنم

« قيل شيء كثير منذ زمن وجيز عن السياسة السرية وقيل لنا ان الأيام السيئة القديمة قد مضت وانقضت وان لنا في المستقبل أن نأمل وضع ترتيبات تكون الأمة بمقتضاها أدخل في ثقة الحكومة منها الآن فيما له مساس بالمفاوضات ، ولقد كانت تلك آمالا باطلة ، ولا أستطيع أن أقول إنى كنت أومن كثيراً بتحقيقها ، ولكننا بدلا من أن نتحسن الأحوال القديمة رجعنا إلى الوراء رجوعاً بينا وصار أهل هذه البلاد أقل علما بدلا من أن يكونوا أكثر إحاطة مما كانوا قبل الحرب بما يصنع باسمهم

«ولو ان هذه كانت أوقات هدوء لا تقع فيها حوادث كبيرة لرضينا بمثل هذا النظام ، ولكن حوادث عظيمة تمر بنا ، وأنا أستجيز لنفسي أن أقول ان تغييرات من أعمق نوع تهدد الامبراطورية من كل جانب ، ولا أرى أن أتخشى هذه الكلمة فإننا نحس كأننا نحن مقبلون على عصر تفكك ، ومن أجل هذا ينبغي أكثر من ذي قبل أن يعرف أبناء هذه البلاد الذين يعينهم الأمر قبل غيرهم ما يصنع حكامهم على وجه الدقة

عدم وجود سياسة

« ويظهر ان الوزراء ليست لهم آراء مستقرة تمام الاستقرار ، ويخيل إلى أنهم يختطون سياسة في آخر لحظة ولا يحكمون الحوادث وإنما ينساقون أمامها إلى ما تكررهم عليه ، وسواء وجهنا النظر إلى إرلندا أو الهند و بولندا أو سورية فلسنا نحس ان هناك سياسة مبرمة تتوخاها حكومة جلالة الملك بعد التفكير والروية فيها ، ولا حاجة بي إلى الكلام على إرلندا ، فقد اشتغلت بموضوعها منذ يومين ، ولكنه من الجلي أن هناك شيئاً تتحرى الحكومة كتمانها عن الأمة فيما يتعلق بإرلندا ، أما من حيث الهند فلم يكن ثم شيء أوضح — مهما كان الرأي في قيمة السياسة التي اتبعتها الحكومة — من أن أيدي البرلمان والبلاد مضغوط عليها وأن ليس في نية الحكومة مصارحة البلاد والبرلمان قبل الوصول إلى قرارات لم يكن إلى الرجوع عنها سبيل ، ولا يعلم أحد شيئاً عن ارتباطات الحكومة في المسألتين البوانندية والسورية ولا عن كيفية القيام بها وتنفيذها

« ومما له دلالة كبيرة أن العادة التي كانت متبعة في زمن السلم من تقديم « السكتب الزرقاء » إلى البرلمان قد عدل عنها عدولا تاما على ما يظهر ، وإلا فلماذا لا نرى أوراقا عن سورية و بولندا ؟ لقد كانت العادة في الأيام القديمة السالفة أن يعد كتاب أزرق بعد كل حادثة كبيرة ويقدم إلى البرلمان وكانت تنشر التلغرافات المتبادلة مع تقييدات ضرورية معينة توخياً للمصلحة العامة وكانت تطبع رسالة كبيرة تتضمن سياسة الحكومة وردود الحكومات الأجنبية التي يعنىها الأمر ، فكان البرلمان والبلاد يستطيعان أن يعرفا المسألة التي تعرضها الحكومة على الأمة والردود الواردة من الأطراف الأخرى للمفاوضات ، وأن يصدرا حكما عادلا ورأيارصينا في الأمر ، ونحن بعد بلاد تحكم نفسها ، أو نحن كنا كذلك ، وانه لواجب الأمة نفسها أن تضمن المحافظة على مصالحها وشرفها ، وهي لا تستطيع ذلك إلا إذا توافرت لديها المعلومات اللازمة ، وأنا أقترح أن تنفى الحكومة عن أذهانها كل الآراء الناشئة عن الحرب وأن تطرد الاعتقاد بأن البلاد مستعدة أن تثق بها ثقة عمياء كما فعلت بحق



أثناء الحرب ، وعلى الحكومة أن ترتدى ثوب السلم وتخضع كما خضعت كل الحكومات  
السالفة لحكم البلاد

سياسة بريطانيا في مصر

« وماذا عن مصر ؟ ماذا نعلم عن سياسة الحكومة في مصر ؟ إن في الصحف مقداراً  
معيناً من المعلومات ، ولكنى لا أظن أنه قدم للبرلمان ورق ما منذ عرضت تلك الورقة  
« البرلمانية » الخاصة بالثورة في تلك البلاد  
لورد ملتر — إن هناك تقرير لورد ألنبي

لورد سالسبرى — هذا صحيح فقد قدم إلينا تقرير لورد ألنبي ، ولكن هذا هو التقرير  
المعتاد الذى يتناول الشؤون الداخلية المصرية ورفاهيتها وأحوالها ، وليس له علاقة ما بالمسائل  
السياسية الكبيرة الخاصة بتلك البلاد ، ولا ريب أن هناك مكاتبات ، ولا أشك في أن  
رسائل وبضعة تلفرافات تبودلت بين حكومة جلالة الملك والندوب السامى ، وقد عاد إلى  
هنا مندوبان ساميان عوملا على ما فهمت معاملة ليست حسنة جداً ، وقد كان في الإمكان  
الانتفاع بمعلومات السير هنرى مكماهون<sup>(١)</sup> ، والسر رجنالد ونجت<sup>(٢)</sup> فهل استشيرنا ؟ وهل  
هناك أوراق تتضمن رأيهما ؟ هذان هما الرجلان اللذان شهدا الأمر وعايناه ، وهناك بالبداية  
لجنة الفيكونت النبيل الجالس أمامى ( ملتر ) ، وهى لجنة لا شك عندى في أن البلاد كلها  
تشكرها ولا بد أن تكون هناك تعليقات أعدت وصدرت إليه ( ملتر ) — إذا كانت وزارة  
الخارجية تسير على ما ألفنا من قبل — وتضمنت وصف المسألة وما يطلب إليه القيام ببحثه  
والحدود التى خولته الحكومة العمل فى دائرتها — وكلها أمور لا شك أنها موجودة كتابة  
وينبغى أن تعرض على البرلمان ، على أن الذى نريده فوق كل شيء هو روح الثقة المتبادلة  
بين الحكومة والبلاد ، ونحن نريد أن نكون على ثقة من أن الحكومة فى عزمها أن تطلع  
البلاد على سياستها وإجراءاتها ، وأن تدرك أن المسألة ليست فقط خاصة بها وبالأمّة المصرية  
أو الذين يتكلمون باسمها ، بل إن للرأى العام البريطانى والبرلمان دخلاً فى ذلك لعله أعظم

من دخل كل من عداها ، وانهما يجب أن يحاطا بأتم المعلومات في الوقت المناسب ، ولست أريد أن أمثل أمامكم كحجة في شؤون مصر ، ولكن أعلم أن مصر كانت أثناء حياتي السياسية كلها من أهم المصالح السياسية للبلاد »

إلى أن قال : « إن علينا أخيراً مسئوليتنا أمام امبراطوريتنا ، أى مسئولية المحافظة تماماً على القوة التي نستطيع بواسطتها أن نحكم امبراطوريتنا ، وأن نجود بنعم حكمتنا على شعوب لا حصر لها في الشرق ( ! ) وهذه أمور لا يمكن أن يسمح لها أن تضطرب إكراماً لعبارة مثل « تقرير المصير » ، وأحسب أن ليس ثم كلمة خليقة بأن تحدث من الضرر في السياسة ما تحدثه هذه الكلمة ، نعم انها تتضمن فكرة نبيلة عظيمة ، ولكن الواجب تفسيرها بأعظم التحفظ ، أما الفكرة القائلة بأن نتخلى عن مسئولية امبراطوريتنا من أجل أن سياسياً أمريكياً فقد الآن ثقة مواطنيه أنفسهم<sup>(١)</sup> اخترع عبارة « حق تقرير المصير » فهي فكرة يثور عليها كل سياسي عملي

#### تقد السياسة البريطانية

« ماذا كانت سياسة حكومة جلالة الملك ؟ إني إذا انتقدت هذه السياسة فليس ذلك لخطأ فيها بل لأنه لم يكن هناك سياسة بالمرّة ، إلى أن تناول المسألة الفيكونت ملنر ، ولقد كانت سياسة الحكومة البريطانية في مصر إلى أن قامت الحرب واضحة ، وكنا مشغولين بترقية الحكومة وتمسينها في تلك البلاد ، ولم يكن ذلك لأننا كنا ضد التغيير الدستوري ، بل على العكس إذا لم تكن الذكرة قد خانتني كان كل من اللورد كرومر واللورد كتشنر دائمى الرغبة في السير في طريق الحكم الدستوري ، وأظن أن آخر أعمال اللورد كتشنر قبل سفره لمباشرة عمله العظيم في الحرب أن خطأ خطوة أخرى في سياسة الحكم الدستوري في مصر ، ولقد توخينا نفس هذه السياسة حتى بعد الحرب ، ولما أعلنت الحماية كان الظن أن نكون أقدر على القيام بمهمتنا الكبيرة ، لأن الحماية كان من تأثيرها — أو كان المرجو أن يكون من تأثيرها — جعل مركزنا أبسط وأسهل وتمكيننا من التخلص من كل العوائق ،

(١) يريد الرئيس ويلسن . انظر ج ١ ص ٥٧

وأعتقد أنه كان المظنون أن نستطيع التخلص من كل شيء يقف في طريقنا بسبب التدخل الزائد عن الحاجة الذي تسمح به امتيازات الدول الأجنبية ، فهذه كانت سياسة سائرة في طريق واحد

« فماذا حدث بعد ذلك ؟ لبثنا وقتاً طويلاً وليس هناك إلا سياسة الإرجاء والتردد ، وأنا أشعر أن في قولي هذا شيئاً من الغمط للوزراء المكشوفين في تلك الأيام ، ولا ينبغي أن يتوهم أحد أن مخطئة السياسة تستدعي بالضرورة الإجماع على الوزراء الذين كانوا منهمكين في الحرب والذين هم مسئولون عن هذه السياسة ، ولكن الحقائق عنيدة ، ومهما قيل على سبيل الاعتذار عن الوزراء فإن السياسة السيئة لا تحدث إلا نتائج سيئة ، وهذا هو الذي يجب عليكم معشر اللوردات بصفتم رجالاً عمليين أن تتناولوه

« كانت هناك سياسة استسلام لمجرى الحوادث ، على الرغم من التحذير والاحتجاج ، ولم يكن ممثلاً هناك صامتين لا يتكلمون ، فقد كانوا على العكس لا ينفكون يطالبون الحكومة بأن تكون لها سياسة

لورد كيرزون — متى كان هذا ؟

لورد سالسبرى — في أثناء الحرب

لورد كيرزون — أحب أن أقول انى وأنا أصغى إلى الماركيز النبيل لم أستطع أن أفهم متى انتهى عهد السياسة المحدودة ، وتلتها سياسة الاستسلام لمجرى الحوادث والضعف والإرجاء ، وأظن أنى أكون أفدر على الرد عليه إذا تفضل بتحديد التاريخ

لورد سالسبرى — لم أتهم قط صديقى النبيل بالضعف ، فإن هذه خشونة لأدب فيها ، وقد بدأت سياسة الاستسلام بعد إعلان الحماية تقريباً ، وكان من الواضح أنه يجب على الحكومة أن تعد سياسة لما بعد الحرب ، وأظن صديقى النبيل يوافق على هذا ، وقد قال المصريون ذلك للحكومة هناك ، ولكن هذا لم يكن له تأثير على حكومة جلالة الملك ، فلم تفعل شيئاً ولعلها فكرت في ذلك ولكنها لم تفعل شيئاً واستسلمت للحوادث ، والواقع أنه

لم يحدث شيء إلى آخر الحرب على سبيل اتخاذ الأهبة لوقت يجب فيه إخراج سياسة  
« ولما وضعت الحرب أوزارها تبين أنه كان من الضروري الاستعداد ، لأن الوطنيين  
المصريين تحركوا ، ولم تكذب الهدنة تعقد حتى بدأت المتاعب في مصر ، ولا حاجة بي إلى  
تذكيركم بسلسلة تلك الحوادث ، وإنه لمن البديهي أن حكومة جلالة الملك لم تكن عندها  
فكرة واضحة عما يجب عمله ، ولما تحدى الوطنيون سلطة بريطانيا في مصر قوبل ذلك منهم  
في أول الأمر بهمة ، ونفى أربعة من زعمائهم إلى مالطة ، فشبت الفتنة على أثر ذلك مباشرة ،  
فلم تلبث حكومة جلالة الملك أن لانت وسمحت للزعماء الأربعة بالعودة إلى مصر ، ولست  
أشك في أنه كانت هناك أسباب لهذه السياسة ، ولكنها فشلت كل الفشل كما تفشل كل  
سياسة ضعيفة ، فهي لم تتألف أحداً ، وحدث عقب ذلك مباشرة ما يسمى إضراباً - حسب  
تعايير هذه الأيام - فأضرب الموظفون فيما أظن وكل من استطاع أن يضرب غيرهم ، ولم  
تجد سياسة الإفراج عن هؤلاء الزعماء الوطنيين

« وفي مايو من السنة الماضية قالت الحكومة انه لا بد من عمل شيء ، وفعلاً صنعت  
خبر ما تستطيع في هذه الظروف ، إذ قصدت إلى الفيكونت ملنر ، وطلبت إليه أن يذهب  
إلى مصر ، وهذه سياسة حميدة لو أنها نفذت حينما وضعت ، ولكن الحكومة أبطأت مرة  
أخرى ، ولا علم لي بالسبب ، وأحسب أن حوادث أخرى حالت دون التنفيذ فلم يصنع شيء  
بين مايو ونوفمبر ، ولم ينزل صديقي النبيل بأرض مصر إلا في نوفمبر ، وفي مرجوى ان  
تكون هذه التواريخ صحيحة ، وأن يصحح خطئي إذا أخطأت ، إذ ليس من همي ان أفص  
الأمر على غير وجهه

لورد ملنر - صدقت فإن هذا كان في نوفمبر ...

لورد سالسبرى - وإذا سمح لي الفيكونت الذليل فإنني أقول ان استقباله لم يكن حسناً  
جداً ، وقد كان عليه أن يباشر مهمته أمام صعوبات كبيرة قابلها برجولة كما هو المنتظر من  
مثله ، ومن الأسباب التي أوجدت هذه الصعوبات طول هذا التباطؤ ، ولست حجة في  
مسائل الشرق ، ولكن أظن أن أخطر الأشياء في معاملة الشرقيين عدم وجود الثقة بالنفس

وظهور التردد في ما ينبغي عمله ، وقد لاتكون إجراءات الحكومة كذلك ، ولكن علائم التردد وعدم الثقة بالنفس كانت ظاهرة كل الظهور في السياسة التي كان ينبغي اتباعها

« وقد نشرت ذكرى هذه الحوادث في تاريخ مصر الحديث لأني أحس بالحاجة إلى تبرير موقف عدم الثقة بالوزراء فيما يتعلق بمسائل السياسة الكبرى ، وبودي لو تحققت أن للحكومة في أي ميدان من ميادين السياسة الكبرى التي ذكرتها مبادئ ثابتة ونيات ثابتة ، وليس في قولي هذا شيء شخصي ضد صديقي النبيل ، فإن لي أعظم ثقة في الفيكونت النبيل الذي قام بهذه المهمة ، وإنني أكون من أعظم الناس اطمئناناً على المستقبل إذا أحسست أن هؤلاء الوزراء النابهين يستقبلون إذا لم يُمكنوا من اتباع خطتهم ، ولكنني على أتم ثقة من أنهم لا يفعلون هذا

لورد ملتر — هل تعنى في مصر أم هنا ؟

لورد سالسبري — يؤسفني أن أقول هنا ، ولسبب وجيه ، ولست أشك في حسن نية صديقي النبيل ، ولكن الوزراء يرون على ما يظهر أن الاحتفاظ بالحكومة من الأهمية بحيث لا يتبعون المنهج المألوف أي رفض المسؤولية عن سياسة لا يستطيعون أن يوافقوا عليها ، وإنني أفهم بواعثهم ، حتى وإن كنت أخالفهم في النتيجة التي يصلون إليها

المبادئ التي يعرضها — المبدأ الأول

« ولهذا السبب وحده اجترأت أن أعرض اعتباراً أو اثنتين ينبغي أن يلاحظا في وضع التسوية لمصر ، ولست أريد الدخول في التفاصيل ، فإنني واثق من عدم كفايتي لذلك ولعدم استعدادي لعمل بيان شامل في الموضوع ، ولكن هناك مسألة أو اثنتين على جانب من الأهمية فيما أرى ، فمن ذلك أنه من الأمور الحيوية أن تكون السلطة التي تحتفظ بها بريطانيا العظمى في مصر سلطة حقيقية مهما كان مبلغها ، ولقد ألفنا في السياسة البريطانية تلك الحالة التي يكون لنا فيها السلطة الحقيقية وإن لم يكن لنا مظهرها ، وبما هو خليق أن يزججني أن يعكس هذا المبدأ في أية تسوية توضع لمصر ، وإن تحتفظ بمظهر السلطة ونفقد حقيقتها ، وأظن أن من المسلم به أنه ليس ثم دولة أوروبية سوانا ينبغي أن تكون لها الغلبة

في مصر ، وماذا عساه يحدث إذا فرضنا أن دولة أجنبية ساءها بعض أعمال الوزراء المصريين ؟ لا شك انها تقول لنا إما أن تنصفونا وإلا أنصفنا أنفسنا ؛ ومن الواضح أن هذا لا بد أن يقع ، فلنكن نستعد لهذا الطارىء الذى قد لا يحدث أبداً ، والذى يجب علينا مع ذلك أن نتوقعه بصفتنا أهل حزم — يجب علينا أن تكون لنا حقيقة السلطة

#### المبدأ الثانى

« وهذا يقودنى إلى المبدأ الثانى العام ، وهو أنه يخيّل لى ولعدد كبير منكم فيما أعتقد أن علاقات مصر الخارجية يجب أن تكون دائماً فى أيدي الحكومة البريطانية ، وقد سمعت إشاعة بأن من يفاوضون عن مصر لا يريدون أن تترك العلاقات الخارجية فى أيدي الحكومة البريطانية ، وهذا ما أرى أن لا سبيل للتوسط فيه للأسباب التى أبديتها ، وإذا سمحتم لى قلت ان هذا مطابق لأحدث المبادئ فى السياسة الدولية ، لأن العلاقات الخارجية فى كل الحمايات تكون فى أيدي الدولة الحامية مهما كانت الحماية من الكرم واتساع النطاق فى الجهات الأخرى ، ولا بد أنكم لاحظتم ذلك فى عهد عصبة الأمم لورد ملتر — فى الوصايات ؟

لورد سالسبرى — فى كل انتداب ، ولست أجهل أن مصر غير خاضعة للوصاية ، وكل ما أقوله إذا اعتبرتم عهد عصبة الأمم أنه فى كل وصاية وهى آخر شىء نشأ فى القانون الدولى — مهما كان كرم شروط الانتداب تحتفظ الدولة الحامية بالعلاقات الخارجية

#### المبدأ الثالث

« والشرط الثالث الحيوى الأهمية هو مركز السودان ، وينبغى أن تكون حكومة السودان فى أيدينا للأسباب التى أبديتها ، ومهما يكن تقدم مصر وترقيتها فى القدرة على إدارة أمورها فلا شك أنه ليس لها من التجارب ما يكفي فى حكم شعب آخر فان هذه مهمة شاقة نحن أهل لها بصفة خاصة ، ولا نستطيع أن ننفذ أيدينا منها بدون أن نسمي إلى سمعنا ، ولكن إذا كانت حكومة السودان مستقل فى أيدينا فان مسائل صعبة ستنشأ من أجل مركز مصر بالنسبة إليه وأتم تعلمون أن العلمين المصرى والبريطانى يخفقان على

السودان في الوقت الحاضر وأن البلدين من حيث القانون في مستوى واحد من حيث السودان ، ولكن الواقع ان للحكومة البريطانية الكلمة العليا ، وان حكومة السودان في أيدينا ، وهذا ترتيب ممكن ما دام لنا الإشراف على الحكومة المصرية ، ولكن على قدر سحب إشرافنا على مصر يتعقد مركزنا بصفتها مساوية لنا في الحقوق في السودان وهناك صعوبة أخرى ، وهي مسألة الحامية التي تتألف الآن من الجنود المصرية على الأكثر ، ولست أسأل الحكومة شيئاً لأنني لا أريد ان ألح عليها في الإباحة بما ينبغي لها كتابته صيانة للمصلحة العامة ، ولكنني أقول انه على قدر نقص إشرافنا على مصر تكون صعوبة استخدام الجنود المصريين في حكومة السودان

#### المبدأ الرابع

« يضاف إلى الشروط الثلاثة شرط رابع خاص بالمركز الحربي لبريطانيا العظمى في السودان ، وليس في نيتي أن أقول شيئاً لأنني أرجو متى قدمت إلى البرلمان الأوراق اللازمة أن يكون أمامنا رأى المندوب السامي نفسه عما يحتاج إليه مركز بريطانيا الحربي حسب الترتيب الجديد الذي سيوضع

» وألاحظ أن هناك صعوبة خاصة ستنشأ فيما يتعلق بإمداد منطقة القناة بالماء فان هذا الماء يأتي من النيل ، ولا حاجة بي إلى تكبيركم بأننا إذا فقدنا السيطرة على الماء اللازم للحامية فقد نصبح في موقف صعب جدا

« وأنا ألح على حكومة جلالة الملك في النظر في هذه الاعتبارات ، ولن أشكو أقل شكوى إذا اتهموني بالجهل ، وهم يردون عليّ لما لهم من العلم والتجربة وغير ذلك مما ليس لي ، ولأنني لا أدعي كما أسلفت أني ثقة في هذه الأمور ، ولكن المهم الآن هو تقارب الدنيا ، بحيث صار كل ما يعمل في ناحية منها تتجاوب بأصدائه الكرة كلها ، ولا ينبغي أن كل شيء يعتبر سابقة ، وأن كل ما تزرعون في مصر تحصدونه في الهند ، فكل عمل تعملونه وكل مبدأ تقبلونه وكل منحة تعطونها حتى ولو كانت منحة يسهل الدفاع عنها ، يجب أن ينظر إليه في ضوء تأثيره في ناحية أخرى ، وثقوا أنه سيطلب إليكم المساواة

والمشابهة في المعاملة من نواحي أخرى من الامبراطورية ، ولذلك ليس لكم مفر من الحذر والعناية ، ولست أريد أن أقول إنه من واجبكم أن تفعلوا شيئاً خليقاً أن يزيد في عبء النفقات المنقل بها كاهل هذه البلاد ، ولما كنت على يقين من أن السياسة التي توضع بعد روية وتفكير هي في الحقيقة أرخص من سياسة مترددة فقد طلبت إلى حكومة جلالة الملك ملاحظة هذه الاعتبارات بإلحاح ، وإن أستطيع أن أؤكد للحكومة أنها في مثل هذه القرارات ستنال التأييد التام من الأمة الإنجليزية ، ونحن لم نسأم بعد من الامبراطورية ، ولم نتعب من حمل عبئها ، ومازلنا مستعدين لأداء واجبنا والقيام بما تفرضه علينا لها ، ولم نفكّ على أتم استعداد للقيام بهذا الواجب مع ملاحظة الغير ، ونحن نريد أن تتألف النفوس النافرة ، ولكننا مصممون على أداء واجبنا الامبراطوري وسنفعله بغير تردد أو خوف »

### خطبة اللورد كيرزون

وألقى اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية خطبة رد فيها على خطبة اللورد سالسبري وأوضح فيها سياسة إنجلترا نحو مصر ، قال بعد مقدمة وجيزة :

« تظن المعارضة دائماً أن الحكومة تخفي ما ينبغي الكشف عنه وتحسب أن قناع التستر والتكتم مسدل أبداً على سياسة البلاد الخارجية ، وملاحظتي على ذلك أنها شكوى غير وجيهة إذا صدرت من أحد أعضاء مجلسكم ، لأن لكم امتيازات استثنائية يستطيع بفضائها أى عضو إذا دون الاقتراح على الورقة أن يضمن المناقشة في أى موضوع متعلق بالشئون الخارجية ، مهماً كان أو غير مهم ، ومع أنه قد يحدث أحياناً أن ممثل وزارة الخارجية أمام هذا المجلس يستنكر — كما فعلت هذا مرات — المناقشة في ظرف معين إلا أن هذا لا يؤثر في المبدأ العام الذى يجعل من حقكم في أى لحظة أن تتناقشوا في مسألة مصر أو فارس أو العراق أو سورية أو أية بلاد أخرى

نق التكم

« وقد شكوا صديقى النبيل من العدول عن إصدار الكتب الزرقاء أو الأوراق البيضاء ،



وإني لأعجب كيف لم يخطر له اعتباران أولهما أننا خارجون من حرب كانت فيها كل هات هذه البلاد وفي حملتها وزارة الخارجية وغيرها من الوزارات موجهة إلى إجراء القتال وضمان النصر ، وأنا أشك في أنه يستطيع أن يجد في أية وزارة خارجية أو أى برلمان فى أوروبا ذلك السيل من المطبوعات الرسمية عن الشؤون الخارجية الذى اعتدناه فى الأيام العادية ، أما الاعتبار الثانى فهو أنه من المؤلف إصدار « كتب زرقاء » متى بلغ مجرى الحوادث أو السياسة مرحلة محدودة ولا أقول نهائية ، وهذا مبدأ تلقينته عن والده الكبير<sup>(١)</sup> ، وإني لا أذكر أحوالا كثيرة عظم فيها الإلحاح فى إصدار أوراق عند مرحلة يكون إصدار الأوراق فيها خليقاً أن يثير المتاعب ، وقد يعوق التسوية أو يحدث الاحتكاك ، وكثيراً ما كان يقال فى مثل هذه الظروف : « دعونا ننتظر حتى نقطع مرحلة يكون قد تم فيها شيء أو انتهينا عندها إلى نتيجة ، ثم بعد ذلك تقدم الأوراق إلى البرلمان » ، وإني أؤكد للمركز النبيل أن هذا هو المبدأ الذى نعمل به ونتوخاه ، فليست هناك رغبة منا فى التكتّم ، وستكون القصة كلها بعد قليل أو كثير فى متناول اللوردات والبرلمان والجمهور

التعليات إلى لجنة ملنر

« ولأتناول الآن مسألة أو اثنتين ذكرهما المركز النبيل فى خطابه استشهدا على النظرية التى أشرت إليها ، فمن ذلك ما قال عن التعليقات الصادرة إلى صديقى النبيل لورد ملنر ، ومع أن المركز النبيل يثق بعلم لورد ملنر وقدرته ثقة عظيمة طبيعية فقد قال : « لماذا لم نعرف فى أى شيء أرسل ؟ » ، فيا أيها الأعيان ان التعليقات الصادرة إلى لورد ملنر تليت فى البرلمان ونشرت فى الصحف ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ان لورد ملنر لما وصل إلى مصر بصفته رئيس لجنة أذاع بياناً بالنيابة عن الحكومة واللجنة أوضح فيها الظروف التى حملته إلى مصر والأغراض التى يرمى إليها

(١) اللورد سالبرى زعيم المحافظين ورئيس الوزارة البريطانية غير مرة . توفى سنة ١٩٠٣

حوادث مصر في السنوات الأخيرة

« استطرد المركزي النبيل من ذلك إلى سرد تاريخ غريب بعض الغرابة لحوادث مصر في السنوات الأخيرة ، وإنى أعترف بعجزى عن تطبيق ما روى على الحقائق كما أعرفها أنا ، ويظهر مما قال أنه مر عصر كانت لنا فيه سياسة معينة مقرونة باسم لورد كرومر أولاً ثم بعد ذلك بشخصية لورد كيتشر ، والذي فهمته أن هذا العهد لم يوجه إليه نقد ما ، ولكن بعد ذلك جاء عصر تردد واستسلام لمجرى الحوادث وإبطاء ، ولما سألت المركزي النبيل وأنا دهش متى بدأ هذا العهد قال رداً على أن مبدأه اعلان الحماية على مصر في أوليات الحرب وخريف ١٩١٤ ، فنحن كانت لنا سياسة إلى ذلك العهد على قول المركزي النبيل ؛ و بعد ذلك لبثنا بغير سياسة ما ، وأظن في هذا إساءة كبيرة لممثلينا في مصر في ذلك الوقت ، وتعرضاً خطيراً بحكومة جلالة الملك في ذلك العهد ، وقد كان لورد جراى على ما أذكر وزير الخارجية ، وكان رئيس الوزارة المستراسكويث ، فلو كانت البلاد سائرة في طريق الارتباك والحراب فكيف لم توجه هذه الشكوى إلى هؤلاء الوزراء وإلى تلك الحكومة ؟ لقد كنت أحد الذين انضموا إلى الحكومة (الوزارة) في مايو سنة ١٩١٥ ، ولست أذكر شكوى من هذا القبيل ، واسمحوا لي أن أرد هنا بما رددت به في موضع آخر ، وهو أن كل همتنا أثناء الحرب — سواء كان في مصر أو هنا — كانت موجهة إلى تسيير الحرب ، ولم تتخذ المسألة السياسية صورة مهمة إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، فكان علينا أن نعالج الأزمات السياسية التي ظهرت

فق سعد باشا وزملائه

« وهنا نقطة أخرى إذا سمح لي المركزي النبيل قلت له ان معلوماته فيها خطأ ، فقد أنبى باللوم الخاص على حكومة جلالة الملك لسماعها بعودة زغلول باشا وبعض إخوانه من مالطة التي اعتقلوا فيها إلى مصر التي نفوا منها ، ولعل المركزي النبيل لا يعرف الظروف التي أعيدوا فيها ، فقد نفوا بناء على مشورة القائم بأعمال المندوب السامى في مصر ، و بعد ذلك بقليل

— وأظن بعد بضعة أسابيع إذا لم تخنى الذاكرة — عين لورد ألنبي عقب انتصاراته في الشرق مندوباً سامياً في مصر، فحمل إليها معه تأثير تجار به العظيمة ونفوذه الكبير، وخول السلطة التامة لمعالجة الموقف — الذي لم يكن ينقصه الانفجار — على ما يشاء ويختار، فكان أول ما أشار به أن يعاد زغلول باشا وإخوانه من مالطة، فهل يعنى المريكز النبيل حقيقة أنه كان من واجب الحكومة بغية وضع سياسة أن تهمل أول اقتراحاته، وتصر على إبقاء هؤلاء الناس على رغم مشورته؟ ان المريكز النبيل أعظم تجربة من أن يذهب إلى شيء من هذا النوع

تأخير لإرسال لجنة ملنر

« وقد بث المريكز النبيل شكواه من التباطؤ في سفر اللجنة المسندة رياستها إلى صديق النبيل لورد ملنر، واعتبر هذا التباطؤ دليلاً آخر على تردد حكومة جلالة الملك تردداً ليس منه دواء ولا له علاج، وقال ان هذا التأخير غير معروف السبب، وآخر ما انتظر أن يذكره أى إنسان — حتى من كان قوى الذاكرة مثل المريكز النبيل — هو خطبة أقيمتها أنا، ولكن الواضع أنى أقيمت منذ عام تقريباً خطاباً وافياً في مجلسكم هذا عن مصر ومع أنى لم أتوقع أن يشرفنى أحد بالإشارة إليه في هذا المساء فإن من حسن الحظ أن معى الآن نصه لأنى بذلك أستطيع أن أقرأ للمريكز النبيل ما قلته بالضبط في هذه النقطة، وهذا ما قلته بالحرف: لقد كان في العزم إرسال لجنة لورد ملنر في تاريخ مبكر متى تم تأليفها، ولكننا صادفنا صعوبات من جهات شتى فلم نجد من السهل العثور على أعضاء لهم التجربة والقوة اللازمتان، وليس الشتاء أنسب الأوقات للقيام بأبحاث وتحقيقات في داخل بلاد مثل مصر في مناخها، ورأينا من المرغوب فيه أن تتيح الفرصة للإدارة (الوزارة) المصرية<sup>(١)</sup> المؤلفة حديثاً لسكى توطد مركزها، ووطننا في ذلك الوقت — وهو ظن طاش — أن مؤتمر الصلح في باريس، قد يستطيع قبل الخريف أن يفرغ لحل المسألة الشرقية، وقد أبلغنا لورد ألنبي الذى تعتمد حكومة جلالة الملك على رأيه اعتماداً كبيراً، ان كلا من سلطان مصر ورئيس

(١) وزارة محمد سعيد باشا

الوزراء يميل إلى تأخير مجيء اللجنة إلى الخريف ، وانه موافق على رأيهما ، وهذه هي الظروف التي استدعت أن يتأخر موعد سفر اللجنة ، فهل كان علينا مرة أخرى أن نهمل نصيحة لورد ألنبي ؟ وأن نعمل على عكس رغبات السلطان ووزرائه ؟ لا يشير بشيء من هذا من كان مثل المركزي النبيل تجربة وعقلا

عدم استقالة الوزراء

« وما أحب أن ألفت أنظاركم إليه مما جاء في خطبة المركزي النبيل إعرابه عن استيائه التام من أن بعضنا لم يستقل ، وقد تركني المركزي أنا وزميلي لورد ملنر في حيرة لا نعلم ماذا كان ينتظر منا أن نصنع ، فهل نحن اللذان ينبغي أن نستقيل أم يستعفى غيرنا ونبقى نحن ؟ هذه مسألة مسدلة عليها حجب الغموض الذي يقال لنا انه يكتنف إجراءات حكومة جلالة الملك ، ويحيل إلى — حسب ما جربت من ذلك — أن الوقت الذي يحس فيه الوزير أنه مطالب بالاستقالة هو إذ يجد نفسه قد عزلته عن زملائه خلافاً راجعة إلى المبدأ أو الشرف ، والمركيز النبيل يوافق على هذا ، فمن أين جاءه أن هناك اختلافات ؟

لورد سالسبري — أنا لا أعلم بوجودها ، وإنما ظننت فقط

لورد كيرزون — لماذا يلح علينا إذن في الاستقالة ؟ الحقيقة ان المركزي النبيل بلغ من سخطه على الحكومة الحاضرة أنه لما رآها لا تستقيل جملة أزججه أننا لا نستقيل واحداً بعد واحد . . .

لورد سالسبري — كل ما في الأمر أني لم أحسبك موافقاً على كل ما فعلته الحكومة

لورد كيرزون — إن المركزي النبيل كان مرة عضواً في وزارة ، وفي كل وزارة مقدار من الأخذ والعطاء ، ولعل تاريخ المركزي النبيل السياسي في الوزارة كان يكون أقصر لو أنه استقال كلما خالف زملاءه ، ولكن الحكومة لا تسير بهذه الطريقة ، وإنما يستقيل الوزير متى نشأت خلافات أساسية بينه وبين زملائه ، وقد وقفت هذا الموقف مرة ووقفه غيره من زملائي في أثناء حياة الحكومة الحالية ، أما هذه الإشارة المهمة الموجهة إلينا بأنه ينبغي

علينا أن نسهل على المريكز النبيل آراءه بأن نستقبل — فليست مما يملأ نفسى ثقة كبيرة

لماذا أرسلت لجنة ملنر ؟

« فهل نحن هنا هذا المساء لنناقش بطريقة غامضة خطائية في تاريخ مصر الماضي ؟  
لاشك أن الأمر ليس كذلك ! لما انتهت الحرب وقام الاضطراب في مصر أوائل ربيع العام  
الماضى بدأ طور جديد في علاقاتنا بتلك البلاد ( مصر ) ، وكان ذلك طوراً يستوجب أعظم  
العناية في التفكير ، وأعمق البحث عن الأسباب التي لعلها أحدثت الاضطراب ، وأشد  
الروية والتدبر في الوصول إلى حل ، هذه هي الأغراض التي من أجلها قررنا في خلال العام  
الماضى أن نطلب إلى صديقى النبيل لورد ملنر نظراً إلى قدرته وتجاربه الخاصة أن يذهب  
إلى مصر

ماذا حدث بعد ذلك

« واسمحوا لى في خلال الدقائق الباقية التي سأستغرقها من وقتكم أن أتناول ما هو في  
الحقيقة الشيء المهم الذي حدث منذ ذلك الوقت ، ذهب صديقى النبيل وزملاؤه إلى مصر  
في نوفمبر سنة ١٩١٩ وبلغوها في شهر ديسمبر ، ولا تنكر أن ما قوبلوا به هناك لم يكن من  
شأنه أن يشجعهم ، فقد كانت الإضرابات على قدم وساق ، وبذل حزب الوطنيين مجهوداً  
مديراً لمقاطعة أعضاء اللجنة ومقاطعة إجراءاتها كذلك ، والواقع أنهم لم يلقوا تسهيلات قط  
في المراحل الأولى من عملهم ، ولكن صديقى النبيل وزملاءه واصلوا القيام بواجبهم بصبر  
لا يعرف الملل ، ووجد يستحق الإعجاب ، وفي خلال الشهور الثلاثة التي قضوها في مصر  
حدثوا رجالاً من كل مراتب الحياة ، وكل طبقات الاجتماع ، وزاروا الأقاليم وفحصوا عمل  
كل مصلحة ، ونقبوا عن أسباب الاضطراب ودواعى الانتفاض في أوليات العام ، واستمعوا  
لكل رأى ، وجمعوا مقداراً عظيماً من الإثبات ، ولست أظن شيئاً فاتهم ، ثم قفلوا عائدين  
إلى هذه البلاد في شهر مارس ، وبعد أن زابلوا مصر — وفي خلال شهر مارس وابريل —  
تجددت الاضطرابات والفضائع في تلك البلاد ، وأطلقت النار على الضباط البريطانيين  
في الطرقات ، وقتل ضابط وأقيت القنابل على أكثر من وزير مصرى واحد ، ويسرنى أن

أقول ان الاضطراب المتجدد كان قصير العمر فقد خمد في شهر مايو وانطفأت جذوته ولم يتجدد شيء من هذا النوع بعد ذلك

المفاوضة بين سعد باشا ولورد ملنر

« نأتى الآن إلى صيف هذا العام ، ففي شهر يوليو جاء سعد باشا وزملاؤه الذين لبثوا مدة في باريس إلى إنجلترا ، وبدأت المحادثات بينهم وبين صديقي النبيل وزملائه ، ولم تكن هذه زيارة رسمية قام بها هؤلاء السادة ، فإنهم لم يكونوا وفدأ ، ولم يمثلوا الحكومة المصرية ، وإنما كانوا أشخاصاً ذوى نفوذ ينطقون بلسان عدد كبير من مواطنيهم ، وكان صديقي النبيل وزملاؤه على أتم استعداد ورغبة للدخول معهم في محادثات ، والواقع أن هذا كان من واجبه كما فعلوا مثل ذلك مع طبقات شتى دعوها إلى محادثات شبيهة بهذه لما كانوا في مصر ، وقد استمرت هذه المحادثات شهرى يوليو وأغسطس ، وفي أغسطس — وأظن في الأسبوع الثالث منه — أرسلت إلى القاهرة مذكرة بالمحادثات التي جرت بين اللجنة وبين هؤلاء السادة ، ونشرت في الصحف خلاصة وجيزة لها ، وكان صديقي النبيل أوضح لهم أن هذه ليست إلا آراء لورد ملنر وزملائه ، وقيل ان الحكومة لم تنظر فيها ، وانه لم تكن هناك فرصة لذلك لأن رئيس الوزارة ( المستر لويد جورج ) كان في ذلك الوقت قد ذهب إلى الخارج ، وكان البرلمان في عطلة والوزارة لاتعقد اجتماعات ، وكان من الواضح تماماً أن النظر في الموضوع — وهو شيء محتم على أى حال — لا بد أن يرجأ إلى الخريف ، وفي شهر سبتمبر أرسل زغلول باشا أربعة من زملائه إلى مصر ليشرحوا لمواطنيهم الاقتراحات التي كانوا يبحثونها مع لجنة ملنر ، فلم يشرحوها فقط بل حبذوها لأشيائهم ، فكان لها حظ كبير من الموافقة في تلك البلاد ؛ وإذا نظرنا الآن إلى الحالة في مصر ، فإنه يسرنا جميعاً أن نعلم أن الموقف قد تحسن كثيراً ، فقد زال الشعور العدائى الذى كان سائداً منذ عام ونصف عام ، وعادت الأمور إلى مجاريها المألوفة ، وتدل آخر التقارير التي كنت أتلو منها أن الضباط البريطانيين يلقون مقابلة ودية في نواحي البلاد المختلفة ، هذه هي الحال الموجودة الآن في مصر

الموقف في الوقت الحاضر

« قد تسألون ما هو الموقف هنا في بلادنا ؟ إنه هذا : إن الوزارة تعنى بدرس الاقتراحات التي وصل إليها لورد ملنر وزملاؤه في الظروف التي وضعتها لجنّتهم ، ولا يصعب عليكم أن تدركوا أنها ليست مسألة تقرر أو ترفض في جلستين تعقدها الوزارة ، لا ولا في ثلاث جلسات ، لأن الموضوع ينطوي على مسائل كبيرة ، خذوا مثلاً الاعتبارات الأربعة التي لفت المريكز النبيل الأنظار بحق إليها ، فإن حل كل واحدة من هذه يثير مصاعب عظيمة وأنا على يقين من أنه سيكون آخر من يلج على الحكومة أن تعجل بغير ضرورة في وضع قرار عن هذه المسائل ، ولم يذهب لورد ملنر ولا أحد سواه إلى أن مشروعه هو وزملاؤه — مهما كانت رجاحة الوزن فيه — هو مشروع الحكومة ، وليست اقتراحاته باقتراحات الحكومة ، وعلى أنها لم تعرض بعد صفة رسمية على الحكومة المصرية فهي قابلة للنظر وإعادة النظر هنا في الظروف التي وصفتها ، وهي كذلك محل لنظر الحكومة المصرية نفسها ، وكلا الطرفين يحتفظ لنفسه بمقدار متساوٍ من الحرية في الموضوع .

مفاوضة الدول

« وهناك أيضاً البحث مع الدول بحثاً هو بالضرورة طويل معقد ، وقد أشار إليه المريكز النبيل وأعنى به البحث الذي لا بد أن يدور مع الدول التي تتمتع بحقوق الامتيازات في مصر ، والتي ستنزّل عن امتيازاتها التي تتمتع بها بدون أن تأخذ ضمانات كافية في مقابل ذلك ، وهذه مرحلة لا بد من اجتيازها ، ومتى وصلت المناقشات هنا إلى درجة متقدمة ، فإن المفروض أن سلطان مصر سيرسل ممثلين معتمدين ليقابلوا حكومة جلالة الملك ، وليواصلوا حل هذه الأمور ، هذه هي الحالة كما هي الآن ، ولا شك أنها كما بينتها — ولتصدقوني إذا قلت اني عرضتها بصراحة وإخلاص تامين — لا تدل على ما قاله المريكز النبيل من أننا نتعلق بأهداب سياسية في اللحظة الأخيرة ، إذ ليس ثم ما هو أعظم من هذا الخذر والتدبر ، ولا أشد بظاً من هذه المراحل التي نجتازها ونقطعها واحدة بعد أخرى ، وبودي لو استطعنا أن نسرع السير ، ولكنه لا يوجد رجل يعرف مصر ، حتى ولا المريكز النبيل نفسه ، يرضى أن يحثنا على الإسراع والمخاطرة بما يحتمل أن يحدث منه تقوض كل ما شئد .

الاعتبارات الثلاثة الرئيسية

« وقد قال المريكز النبيل في أواخر كلامه ان هناك ثلاثة اعتبارات رئيسية لا بد من ذكرها ، وقد أشرت إلى أولها وهي حماية الحقوق الأجنبية في مصر ، ولا حاجة بي أن أقول أكثر من أنها بالبداهة لا بد أن تكون موضع الدرس الدقيق والعناية التامة ، أما الاعتبار الثاني فخاص بالعلاقات الخارجية بحكومة مصر في المستقبل ، والثالث خاص بمسألة على أعظم جانب من الأهمية الحقيقية ، أي مستقبل المركز الحربى والسياسى فى السودان ، وكل هذه المسائل كانت محل نظر لجنة لورد ملنر ، وهى الآن موضع درس الحكومة ، وللمريكز النبيل أن يثق أننا لم ننسها ولا غفلنا عنها »

خطبة اللورد ملنر

وألقى اللورد ملنر خطبة ذكر فيها طرفا من أعمال لجنته ، والنتائج العامة التى يراها ، قال :  
« لقد خالجنى بعض الشك فى هل ينبغى لى أن أقول شيئاً فى هذه الفرصة لأسباب سأبينها لكم بعد قليل ، وإنى لأتسكلم بصعوبة وأعانى مقداراً كبيراً من التقيد ، ولولا أن خطباً معينة ألقيت على أثر ما قاله صديقى النبيل ( لورد كيرزون ) لما وجدت داعياً إلى الكلام ولا باعثاً عليه ، فقد شرح الموقف الحالى شرحاً واضحاً بديعاً ، ولكن من تلوه من الخطباء ولا سيما صديقى النبيل الجالس أمامى ( لورد سلبورن ) ضمنوا كلامهم ببعض انتقادات لا أرى مفرأ من الإجابة عليها بإيجاز ، وأظن أن الرد الوحيد الذى أستطيعه على تهم التسكلم التى رميت بها الحكومة هو أن أسرد لكم ما حدث فى هذا الموضوع سرداً بسيطاً

« وقد خاف صديقى النبيل - ولا أدرى لماذا؟ - أن يصبح وإذا بهذه المسألة التى هى من أعقد وأصعب ما يمكن أن نعالجه والتى مهما تكن النتيجة لا مفر من البطء فيها - خاف أن يصبح فإذا بها قد سويت فجأة بطريقة لا سبيل إلى تعديلها ، وبغير أن تتاح الفرصة للأمة ولهذا المجلس أن يعر با عن رأيهما فيها ، إلا أنى لأهم أن أقول : بوى لو أمكن السير مثل هذه السرعة !



الموقف الحالي — متى يطرح الموضوع

« وما هو الموقف اليوم ؟ إن اللجنة التي أشرف برياستها والتي تعالج حل هذه المسألة منذ آخر العام الماضي لم تضع تقريرها بعد ، وأنا في هذه المسألة لى صفتان ، فإني رئيس اللجنة ، ومن وزراء حكومة جلاله الملك ، وما أعظم التبعة للملقة على عاتقى بصفتى الأولى وما أعجزنى عن تصور تبعة أخطر من هذه من حيث تقرير اللجنة ، ولكنى متى وضعت اللجنة تقريرها فسيكون على حكومة جلاله الملك أن تدرس التقرير بعناية ، ولا ريب أن على تبعة معينة أيضاً عن درسها هذا وبحثها وسادافع بالبداهة بأقصى ما يسهه طوقى عما أشير به وأنصح ، ولكن متى تم ذلك وأوسعت الوزارة تقرير اللجنة درساً وخصاً فستصدر الحكومة بياناً عن سياستها فى شكل من الأشكال ، وحينئذ — إذ لا يمكن أن تبعث الحكمة والعقل على اختيار وقت قبل هذا — يطرح الموضوع كله على هذا المجلس وعلى البلاد كلها متى نشر تقرير اللجنة واستطاعت الحكومة أن تقول ماذا تنصح للبلاد بالأخذ به فيما يتعلق باقتراحات اللجنة

طول الوقت

« ومع أن اللجنة لم تضع تقريرها بعد ، فأظن أنه قد ذاع عن إجراءاتها أكثر مما يعرف عادة فى مثل هذه الأحوال ، وقد استفاض الخبر بجانب كبير من أعمالنا ، ولعل الذى يحتاج إلى تعليل أو إلى تبرير هو طول الوقت الذى مضى منذ ذهبت اللجنة إلى مصر ، والذى سيمر إلى أن تضع اللجنة تقريرها ، وفى وسعى أن أعلل ذلك وأفسره ، واسمحوا لى أن أقول فى الوقت نفسه انى وإن كنت شديد الأسف — ولأسباب شخصية أجد كل شىء يحملنى على الأسف — لطول الإجراءات فقد جنينا منفعة عظيمة من هذا الطول ، لأننا فى الأدوار الأخيرة حصلنا على مقدار من المعلومات ، ودارت معنا محادثات ستكون لها عندنا أكبر قيمة ممكنة فى تكوين رأينا ، ولقد كنت أقدر لما غادرنا مصر فى مارس الماضى أن نستطيع رفع تقريرنا فى أبريل أو مايو ، ولكنى كنت أحس حينذاك — وإنى أعنى إذ أقول « أنا » نفسى وزملائى جميعاً الذين شاطرونى رأينى فى هذه النقطة وفى أكثر النقط

المهمة التي عرضت لنا فيما أعتقد — أقول إنى أحسست أننا لو كنا قدمنا تقريرنا في أبريل أو مايو لجاء ناقصاً ، لأن فرصة الاطلاع على آراء عدد من الأشخاص ذوى النفوذ العظيم في مصر والذين يمثلون على أى حال جانباً كبيراً من رأى العام المصرى ، هذه الفرصة لم تكن قد أمكنتنا من قيادها ، فإننا أثناء وجودنا في مصر ، وإن كانت قد أتاحت لنا فرص لا حصر لها انتفعنا بها على قدر ما وسعته قدرتنا في الاطلاع على آراء الناس من جميع الطبقات ، كان بيننا وبين المصريين دائماً حجاب حائل لا يرفع ، ومع أن الناس حادثونا على انفراد فلم يكن ثم أحد مستعداً أن يتقدم ويقول انه يستطيع أن يعرب لنا عن آراء أى طائفة كبيرة من الأمة المصرية

الإحالة على سعد

« لم يرض أحد أن يتقدم إلينا ويقرر هذا ، ولم يكن أحد مستعداً أن يكون معنا على أتم صراحة ، وكنا دائماً نحال على أشخاص لم يكونوا في مصر — على زغلول باشا وآخرين بصفتهم الذين ينبغي لنا أن نتجه إليهم ليعربوا لنا إعراباً صادقاً عن رأى العام المصرى ، فلو أننا كنا قدمنا تقريرنا بعد عودتنا لكننا شعرنا فيما أرى أننا استطعنا إلى مدى كبير أن نسبر غور إحساسات الأمة المصرية ، لكننا كنا دائماً نرجو ونحن في مصر أن يحادثنا وينفعنا بآرائه على كل حال رجل يعده جانب كبير من مواطنيه ممثلاً بصفة خاصة لآرائهم ، وهذا لم يكن ميسوراً في مصر ، ولكن بعد قليل من أوبتنا إلى إنجلترا اتصل بى أن زغلول باشا وزملائه الرئيسيين الذين هم أعضاء ما يعرف في مصر باسم «الوفد» يرغبون أن يعرضوا علينا آراءهم ، فاستقر رأينا في اثر ذلك على أن الأفضل أن نرجى تقريرنا إلى أن نظفر بفرصة هذه المناقشات التي كنا دائماً نرغب فيها ونحن في مصر والتي لم تنهياً لنا فرصتها أثناء مقامنا هناك ، فجاء زغلول باشا وطائفة من زملائه الرئيسيين إلى لندن ثم لحق بهم مصريون آخرون ليسوا من هذا الفريق الخاص (يعنى الوفد) — رجال آخرون لهم نفوذ وأهمية ، أخص بالذكر منهم عدلى باشا ، أمكنتنا الفرصة من محادثة بعضهم في مصر ولم تمكننا من محادثة البعض الآخر ، ولى أن أقول ان التأخير الذى طال شهوراً عديدة والذي كان

داعيه هذه الظروف التي بينتها — هذا التأخير كان له في رأينا أعظم فائدة ممكنة ، وانا سنكون اليوم في مركز أفضل من مركزنا الأول يسمح لنا أن نقدم إلى حكومة جلالة الملك تقريراً جامعاً شاملاً للرأى العام المصرى ومتضمناً توصيات قائمة على أساس هذا الرأى العام وهو ما لم نك نستطيعه لو كنا اقتصرنا على المعلومات التي وقفنا إلى جمعها لما كنا في مصر

#### نتيجة المحادثات

« والآن دعونى أقول شيئاً آخر لعله أهم الجميع ، ان نتيجة هذه المحادثات قد تكون ، وقد لا تكون ، قاعدة اتفاق مستقبل بين الحكومة البريطانية والحكومة المصرية ، وربما حدث — وقد لا يحدث — أن نشير نحن أعنى اللجنة على الحكومة البريطانية بالدخول في « ترتيب » يمكن أن يسمى معاهدة ، ولست إلى الآن في مركز يحولى أن أقول شيئاً قاطعاً ، ولكنى واثق من شىء واحد — وهو أن المحادثات التي دارت بين اللجنة وبين هؤلاء السادة المصريين الذين أشرت إليهم قد أيدت اعتقاداً كان ينمو في ذهنى وهو أننا كنا مخطئين بعض الخطأ في فكرتنا عن غايات الوطنية المصرية وروحها

« لقد وقعت في خلال الهياج الذى كان موجوداً بمصر في العام الماضى أو العامين حوادث كثيرة يؤسف لها ، واتبع ما يعرف باسم « الحزب الوطنى » المصرى منهجاً كان فيما يظهر يدل على عداوة مرهذه البلاد ( انجلترا ) وعلى وجود روح لا سبيل إلى تألفها ومصالحتها ، وتجربتى الخاصة هى أننا لما صرنا وجهاً لوجه أمام بعض هؤلاء الذين يعدون من أشد الزعماء المصريين عداوة للإنجليز وجدنا ولا شك اختلافاً عظيماً في الرأى في كثير من النقط ولكننا اكتشفنا أيضاً — أو على الأقل ثبتت لدى بعضنا فكرة كانت تجول في نفوسهم من قبل — انه ليس ثم من سبب يدعوننا أن نظن أن الوطنيين المصريين على العموم معادون لبريطانيا العظمى ، أو ان بلوغ أمانهم متعارض بالضرورة مع ضمانة المصالح البريطانية في مصر أو مع ضمانة الإصلاحات التي كانت بريطانيا العظمى واسطة في إجرائها بمصر ، ومع أنه لا يزال من المستحيل أن يتكهن أحد بما عسى أن تكون نتيجة المحادثات التي أسلفت الإشارة إليها ، بل حتى بما عسى أن توصى به في النهاية هذه اللجنة

التي تشرفت برياستها ، فإنه لا يسعني أن أقول شيئاً سوى ان الحادثات الوثيقة — ولى أن أضيف إلى نعوتها « الودية » — التي دارت معنا هنا مع الأشخاص الذين ذكرتهم ، والتي لم تنته حتى الآن ، قد جعلتني أعظم أملاً مما كنت منذ ستة شهور ، بل مما كنت في أي وقت قبل ذلك وأكبر رجاء في إمكان الوصول إلى تفاهم حسن دائم ، أو دعوتني أقول في إمكان تبديد سحب الشك والمرارة التي تكاثفت وأظلت العلاقات بين البريطانيين والمصريين بعد أن كانت في بعض ما مر وانقضى حسنة مرجوة الخير

« فأما اننا نستطيع أن نحفظ بمركزنا في مصر بالقوة إلى الأبد فلا يخالفني في ذلك أدنى شك ، ولا حاجة بي أن أوكد لكم أنني شخصياً لن أوافق أبداً على أي شيء أعتقد أنه يمكن إلى أقل درجة أن يضعف المركز الامبراطوري الذي لبريطانيا العظمى في مصر ، ولكن الخطر الذي كان يهددني في بعض الأوقات هو أن نلقي أنفسنا محتفظين بهذا المركز ضد رغبات الشعب المصري ومع استمرار روح الاستياء والانتقاص من جانبه على ما قد يعدونه نيراً أجنبياً غريباً ، وفي اعتقادي أن من الممكن انتهاج خطة عمل تمكننا من الاستيثاق من كل ما نحتاج إليه في مصر بما في ذلك المحافظة على النظام والتقدم اللذين كنا نحن موجديهما في مصر ، بدون ان نورط أنفسنا في عداًء دائم مع الأمة المصرية ، وأنا مقتنع أعظم الاقتناع بأنه وان كان هناك ولا شك عنصر من عناصر الوطنية المصرية معاد لبريطانيا ، إلا أن سائر عناصرها التي هي خير وأقوى ، ليست معادية لبريطانيا ، ولكنها فقط متمسكة بمصريتها ، وأنه يمكن أن يوجد تحالف حسن دائم بين الوطنيين المتمسكين بمصريتهم وبين السياسي البريطاني « الامبراطوري » ، وأنه ليس هناك تضارب دائم في المصالح ، وإني لأدرك المصاعب الكبيرة التي تعترض طريق التفاهم الحسن في هذا الموضوع بيننا وبين الوطنيين المصريين الذين يريدون أن يروا بلادهم تشغل مكانها تحت الشمس وتكون لها قومية معترف بها ومركز قائم بنفسه ، ولكني شخصياً لا أعتقد أن تذليل هذه العقبات من وراء الإمكان ، واست استطيع تفصيل توصياتنا وشرح الأسباب التي تبررها

في نظرنا وتدعو إليها ، وستكون كلها بعد قليل بين أيدي الحكومة ، ثم تعلن إلى المجلس والجمهور ، ولا أدري ماذا ادخر الحظ لها ، وقد تلقي «قطعتي» صغير الاستهجان في المسرح ، ولكنني على يقين ان اللوردات النبلاء لا ينوون أن يستهجنوها قبل أن يسمعوها »

### رد على هذه المناقشات

يطول بنا المقام لو أردنا أن ترد على النزعات الاستعمارية البادية في هذه المناقشات ، وقد رددنا على مثلها في فصول الكتاب السابقة ، على أننا نود أن ننقل هنا بعض نصائح أزجهاها للمصريين رجل من خيار البريطانيين ، وهو المستر بلنت Blunt ، صديق مصر والمصريين ، أوضح فيها السياسة البريطانية نحو مصر ، وذلك في رسالة له إلى المؤتمر الوطني المصري الذي انعقد برأسه المرحوم محمد فريد في بروكسل عاصمة بلجيكا عام ١٩١٠ ، فإن في هذه النصائح أبلغ رد على تلك المناقشات ، قال في رسالته مخاطبا المصريين :

« احذروا منا ، فإننا لا نريد لكم شيئا من الخير ، لن نالوا منا الدستور ولا حرية الصحافة ولا حرية التعليم ولا الحرية الشخصية ، وما دنا في مصر فالغرض الذي نسعى إليه من البقاء فيها هو أن نستغلها لمصلحة صناعتنا القطنية في منشستر ، وان نستخدم أموالكم لتنمية مملكتنا الأفريقية في السودان ، وأن نستمر بأقل حياء من الماضي في تنمية مشروعاتنا المالية الإنجليزية الصهيونية في بلادكم ، وأن نقيد أيديكم وأرجلكم لنجعلكم هدفا لأطماعنا الاقتصادية

« لم يبق لكم عذر إذا أتممنا نياتنا بعد أن وضع الأمر فيها وضوحا تاما ، فاحذروا أن تنساقوا إلى الرضى باستعباد بلادكم ودمارها »

ثم أخذ ينصح للوطنيين المصريين فقال : « ثابروا على أن تعارضونا معارضة جهرية جريئة كل يوم ، اطلبوا بلسان واحد وفي كل فرصة أن يوضع حد لما تتألمون منه ، وأن نعود نحن إلى حظيرة القانون وأن نسحب جنودنا من بلادكم ، وأن نكف عن التدخل في شؤونكم ، اطلبوا ذلك فإنكم بطلبه لا تخسرون شيئا إذ نحن غرباء في بلادكم ، ومن حكم

أن تطالبونا بترككم ، ذكرونا دائماً وبكل وسائل الإعلام بأن لا حق لاجلنا في أن نتصرف عندكم تصرف السيد ، وأنكم لا تريدوننا حامين لكم ولا مستشارين ولا منظمين لإدارتكم ولا تتركوا لنا عذرا نعتذر به لندعى لأنفسنا شيئاً من ذلك

« اظهروا معاداتكم لنا بصراحة ، ولكن لا تظهروها بثورات سابقة للأوان لا تفيدكم شيئاً ، بل بتلك الوسائل التي تستطيعها كل الشعوب التي تمنى بالأجنبي لتثبت له استيادها ، وهي مقاطعته في معاملاته التجارية والرسمية وفي علاقات الأفراد بعضهم ببعض

« لا ، لم يبق لكم إلا وسيلة واحدة لإفناعنا ، وهي أن تثبتوا لنا أن احتلالنا بلادكم مصدر تعب لنا ينمو دائماً ، ومصدر خطر عظيم علينا إذا شبت الحرب ، أقنعونا بذلك ، إذ في اليوم الذي يفهم فيه ذهن جمهورنا الثقيل ان الفائدة من احتلال بلادكم لا توازي المتاعب والأخطار التي يسببها لنا ، نرى أنكم محقون ونترك بلادكم ، وثقوا بأننا لن نترك بلادكم قبل ذلك بلحظة واحدة »<sup>(١)</sup>

### قطع المفاوضات - ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٠

كان الوفد يأمل بعد خطبة اللورد ملتر في مجلس اللوردات أن تستأنف اللجنة مفاوضاتها معه في التحفظات ، وقد التقى بكامل هيئته بهيئة اللجنة في الموعد الذي حدده اللورد ملتر لهذا الاجتماع وهو يوم ٩ نوفمبر ، ولكن لم تدر فيه مناقشة ، وظهر في جو الاجتماع منذ بدايته طابع الوجوم ، وبعد تبادل التحية بين أعضاء الوفد وأعضاء اللجنة وقف اللورد ملتر وأمسك بيده ورقة تلاها على أعضاء الوفد بصوت متهدج من أثر الانفعال الذي كان باديا عليه ، وأعلن فيها أنه ليس من الملائم المناقشة الآن في التحفظات ، وأنه إذا تقرر عقد معاهدة فإنها لا تكون إلا نتيجة لمفاوضات رسمية بين الحكومتين البريطانية والمصرية ، وفي هذه المفاوضات يمكن إبداء هذه الأمور ( التحفظات )

ولما انتهى اللورد ملتر من تلاوة هذه الكلمة وقف سعد باشا ورد عليه بكلمة قصيرة ،

(١) ص ٨٧ من كتاب « أعمال المؤتمر الوطني المصري بروكسل سنة ١٩١٠ » بالفرنسية

خلاصتها أنه شديد الرغبة في إيجاد حالة موافقة للتسوية ، كما أن اللجنة شديدة الرغبة في ذلك ، ولكن مساعيه في هذا السبيل تضعف جداً إذا لم يستطع أن يحقق شيئاً من تحفظات الأمة التي أبدتها ، ولا سيما إذا عجز عن أن يقول للمصريين ان بريطانيا العظمى ألغت الحماية نهائياً ، وعلى ذلك انفض الاجتماع ، وقبيل انفضاضه طلب الوفد صورة من الكلمة التي تلاها اللورد ملترلييمث برده الكتابي عليها ، فأرسلتها اللجنة في شكل مذكرة هذا تعريبها :

### مذكرة اللجنة

« تراهى من المرغوب فيه عقد هذا الاجتماع قبل سفر النواب المصريين بقصد إيضاح الحالة وترك الباب مفتوحاً للعمل بالاشتراك بينهم وبين اللجنة في المستقبل

« ان التقرير الذى أتى لنا به حضرات من عادوا أخيراً من مصر يظهر أنه دال على ميل قسم عظيم من الرأى العام لتسوية تكون على الأساس الوارد بمذكرة أغسطس ، ومن جهة أخرى فإنهم يقولون ان بالمذكرة نقطاً عديدة يرغبون في تعديلها وان هناك شروطاً أخرى يريدون إضافتها ، وذلك قبل أن يعدوا بتعويضهم تعويضاً مطلقاً ، إني لاحتاجة بى إلى المناقشة اليوم في هذه الأمور فإن اللجنة مجمعة رأيتها على أن لافائدة من زيادة المناقشة في مسائل تفصيلية في الدور الحاضر

« لم يكن قط مقصوداً بالمذكرة أزيد من بيان القواعد العامة التي يمكن الوصول بها لبناء اتفاق عليها ، وعلى كل حال فإنه ( كما حسبنا دائماً ) إذا تقرر عمل اتفاق ، فإن هذا الاتفاق في ذاته لن يكون إلا نتيجة لمفاوضات رسمية بين نواب معتمدين بطريقة أصولية من الحكومتين البريطانية والمصرية ، في تلك المفاوضات يمكن إبداء الأمور التي قدمتموها قائلين إنها نتيجة زيارة بعضكم لمصر ، كما يمكن إبداء أمور أخرى من كلا الطرفين ، إذ ذاك يكون من المستحيل ومن غير المرغوب فيه نبد أى طلب غير مناف منافاة بديهية لروح الاتفاق المرسوم هيكله بتلك المذكرة التي كما يلوح عليها تستدعى إيضاحاً قبل إمكان صيرورتها

معاهدة رسمية ، إن تعجيل هذه المناقشات لا يكون من شأنه في رأينا أن يسهل أى تسوية ،  
وعليه فنظن من الأحكم الإمساك في الوقت الحاضر عن إبداء أى رأى بخصوص النقط  
الجديدة التي أترتموها أخيراً ، وإن كنا نعتقد أنه في الإمكان إيجاد حل مرض بل ان هذا  
الحل سيوجد متى أمكن ابتداء المفاوضات الرسمية

« وأهم من إطالة المناقشة في التفصيلات في الدور الحاضر أن يحصل التأثير على الرأى  
العام هنا وفي مصر لاستماتته لتسوية المسألة على المبادئ التي استصوبناها معاً ، وعلى  
الخصوص أن تستعمل كل الوسائل لتنمية روح المودة والثقة المتبادلة وتمكينها ، تلك الروح  
التي ساعدت محادثاتنا هنا على إيجادها والتي يجب أن تسرى سرياناً شاملاً بين الطرفين إذا  
أريد لمجهوداتنا أن تكون موصلة للغاية المنشودة ، أما فيما يتعلق ببلادنا نحن فإننا نتعشم أن  
تقرير اللجنة الذي نحن مهتمون بإتمامه في أقرب ما يمكن يكون من وراء تقديمه الوصول لهذه  
الغاية ، ولكن من المهم أيضاً أن مثل هذا الأثر يحدث في مصر بفضل مساعيكم ، وإنا  
لنعترف بما قمتم به من العمل في هذا السبيل ونحمدكم عليه ، ولكن من البديهي أنه مازالت  
هناك معارضة يلزم التغلب عليها إذ يوجد عدد عظيم من المصريين لم يتشربوا روح الاتفاق ،  
ولكنهم لسبب ما ، يكرهون حسن التفاهم بين إنجلترا ومصر ، هؤلاء يتشككون في نيات  
بلادنا أو يظهرون أنفسهم بمظهر المتشككين ولا يقدرون ما يخامر بريطانيا العظمى من  
العواطف الكريمة التي تجعلها حسنة الاستعداد لتقبل مطالب الشعب المصرى ، فأنتم بمقدار  
ما تستطيعون من تبديد هذه الظنون السيئة ومن إزالة سوء التفاهم ومن تقوية الشعور الحسن  
تكونون قد قطعتم في السبيل الموصلة إلى التسوية التي يشغف بها كلانا شوطاً لا يُقطع بأية  
وسيلة أخرى »

### ردّ الوفد

فلما وصلت هذه المذكرة إلى الوفد أرسل إلى اللجنة رداً تمسك فيه بوجوب المناقشة  
في التحفظات قبل الدخول في المفاوضات الرسمية وأعرب عن رأيه في أن إرجاء هذه المناقشة



إلى أن تبدأ المفاوضات بين الحكومتين معناه إرغام المفاوض المصري على الدخول في تعاقد على قواعد مخالفة كل المخالفة لأمانى البلاد التي تريد استقلالها وتريد إلغاء الحماية ، وطلب أيضاً إلغاء القوانين الاستثنائية والمحاكم العسكرية في مصر لإمكان تهيئة الجو للاتفاق بين البلدين ، قال :

« أشرف أن أبلغكم أنى تسلمت نص المذكرة التي تلتموها في جلسة ٩ نوفمبر الجارى وهذه المذكرة تقرر أن باب المناقشة لا يزال مفتوحاً بين لجنتم والوفد وأنه من غير المناسب أن تبحث الآن التحفظات التي أبدتها الأمة المصرية بالنسبة للمشروع الذي وضع في ١٨ أغسطس الماضى ، وان محل هذا البحث يكون في خلال المفاوضات الرسمية ، وتشير هذه المذكرة بنوع خاص إلى المصلحة الرئيسية التي تنجم من إيقاف الرأى العام في البلدين على الحالة بحيث توجد بين الأمتين روح حقيقية للوفاق بدونها لا يكون أى اتفاق ممكناً ، ولا جرم ان الوفد المصرى مقتنع بهذه النظرية كل الاقتناع ، ولذلك ما فتى يظهر رغبته الشديدة في مناقشة التحفظات في الدور الحالى من المفاوضات ، ولو تم ذلك لأدت هذه المناقشة إلى إزالة كل سوء تفاهم ومحو كل أثر للشكوك وتحقيق الغرض المنشود محققاً كلياً ، وهو إيجاد وفاق مرتكز على الثقة المتبادلة بين الأمتين

« ولا يخفى أيضاً ان مناقشة التحفظات الآن أمر لا مندوحة عنه لأنها مرتبطة كل الارتباط بأحكام المشروع الذي يراد أن يكون قاعدة للمفاوضات الرسمية ، فإرجاء هذه المناقشة إلى أن تبدأ المفاوضات بين الحكومتين معناه إرغام المفاوض المصري على الدخول في تعاقد على قواعد مخالفة كل المخالفة لأمانى البلاد التي تريد استقلالها كما تريد إلغاء الحماية ، وهذا مالا يقبله الوفد ولا أى مصر حائز لشيء من ثقة مواطنيه

« ولأجل هذا السبب لم نستطع قبول مشروع ١٨ أغسطس ، ولنفس هذا السبب أيضاً لم تتردد البلاد في المطالبة بتعديله بما أبدته من التحفظات التي تشرفت بإبلاغها إلى جنابكم

« على أن هناك من جهة أخرى تلك القوانين الاستثنائية التي تطبق في مصر منذ سنين

عديدة ، وكذلك المحاكم العسكرية وغيرها من الوسائل والأعمال التي لا تتمشى مع روح الاتفاق ولا مع الرغبة الصادقة التي أظهرتموها في إلقاء مقاليد حكم البلاد إلى أبنائها ، وهذا كله يجعل من العبث أية محاولة في توجيه الدعوة لإحلال الثقة في النفوس ، فالإنسان الذي يقف في مثل هذا الجو ليدعو إلى الاتفاق لا بد أن تعده البلاد خادعاً أو مخدوعاً مهما كانت الثقة فيه غير محدودة ، ومهما كان حائزاً لاحترام الجميع ومحبتهم ، ولا شك أنه يسقط تحت صيحات الاستياء العام لاتباعه منهجاً منافياً للحقيقة ولشعور كل مصري ولحكم العقل نفسه « وعلى ذلك فالوفد المصري يأسف كل الأسف لأنه يرى من المستحيل انتهاج السبيل الذي تدعونه إليه ، ولقد كان يعد نفسه سعيداً إذا كنتم خولتموه الوسائل الضرورية التي تمكنه من أن يسعى سعياً نافعاً في إيجاد تيار ميال للوفاق في البلاد ، ومهما يكن من الأمر فإن ترك باب المناقشة مفتوحاً بين لجننتكم والوفد يجعلنا نأمل في الاعتماد على حكمتكم وحكمة زملائكم لتذليل الصعاب الحاضرة حتى يكون في مقدرتنا أن نبث بين أبناء الأمة المصرية روح الثقة الحقيقية والرغبة الصادقة في الاتفاق التام مع بريطانيا العظمى » « سعد زغلول »

### سفر الوفد إلى باريس

وقد غادر الوفد لندن يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ ووصل إلى باريس ، ومن هناك أرسل سعد باشا إلى مصر النداء الآتي يدعو فيه الأمة إلى الاتحاد والتضحية والإيمان بالنفس وبعدالة القضية الوطنية لكي تنال استقلالها ، قال :

« أيها المواطنون الأعزاء ، لقد رفعت منذ عامين عن كبر يائكم القومي ذلك العبء الذي كان يثقل كاهله ، وبصيحة الاستقلال أعلنتم في وجه العالم بأسره حقكم في الحياة وما زلت منذ ذلك اليوم تثبتون أنكم جديرون بأمانيتكم الوطنية ، وجاءت نتيجة الاستنارة برأيكم في مشروع الاتفاق مثبتة أن الاستقلال ليس في نظركم كلمة تردد في الفضاء بغير معنى ، بل أنتم تريدونه استقلالاً حقيقياً خليقاً بكم وبمستقبلكم الذي سيرسل غداً أشعته الوضوء على مصر الحرة وهذا الاستقلال سنحصل عليه باتحادنا وبروح التضحية والإيمان بأنفسنا وبعدالة قضيتنا المقدسة إيماناً هادئاً صادقاً » « سعد زغلول »

وفي الحق ان البلاد تد كسبت ولم تخسر شيئاً بقطع هذه المفاوضات وحبوط مشروع ملتر ، فإن « المزايا التي لا يستهان بها » والتي أشار سعد إلى اشتاله عليها في بيانه إلى الأمة (ص ١٦٦) قد نالتها بشيء من الصبر والجهاد دون أن ترتبط بتلك القيود الواردة في المشروع والمضيعة للاستقلال والسودان ، فهذه المزايا تنحصر في إلغاء الحماية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وقد اعترفت انجلترا بكلا الأمرين في تصريح من جانبها ، وهو تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذي سيرد الكلام عنه في الفصل الثالث من كتاب « في أعقاب الثورة » ، ولا شك أن هذا التصريح مهم ما قيل فيه أقل ضرراً من مشروع ملتر ، ولا يقيد الأمة في شيء ، لأنه تصريح من جانب واحد

### قرار الوفد

واجتمع الوفد في باريس بكامل هيئته وقرر بالإجماع أن لا يدخل المفاوضات الرسمية على أساس مشروع ملتر قبل تعديل هذا الأساس بالتحفظات التي أبدتها الأمة

### قرار الحزب الوطني

وأصدر الحزب الوطني نداء إلى الأمة بعد قطع المفاوضات ، أهاب بها أن تظل متمسكة باستقلالها التام لا ترضى عنه بديلاً ، قال :

« اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطني في يوم الاثنين ١٥ نوفمبر الجاري وأصدرت بياناً سياسياً للأمة هذا نصه :

« أصدر الحزب نشرة في ٩ ابريل سنة ١٩١٩ قال فيها : انه يعاون الأمة بكل ما في وسعه على العمل لنيل الاستقلال التام ويمد يده بإخلاص إلى كل حزب أو جماعة أو طائفة أو أي كائن من كان يعمل لهذا الاستقلال ، ولقد صار الحزب يجد في هذه السبيل الشريفة وجعل يعمل لهذا الغرض الأسمى بهمة رافعاً الاحتجاج تلو الاحتجاج ، مصدراً البيان تلو البيان ، ناشراً التقرير تلو التقرير داعياً الأمة إلى الاتحاد والصبر والثبات ، حتى إذا ما هبطت

لجنة لورد ملنر أرض البلاد وأصدرت بلاغها الشهير في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ أصدر الحزب بلاغه الذي رغب إلى الأمة فيه ألا تفاوض أية هيئة إنجليزية في أمر الاتفاق بين مصر وإنجلترا إلا إذا أعلنت الحكومة البريطانية بصفة رسمية دولية استقلالها التام غير المشوب بأية شائبة ، وجلت جنودها عن البلاد ، مكرراً دعوة الأمة إلى الاحتفاظ باتحادها ومشاربتها على طلب الاستقلال التام

« ولما عرضت على الأمة مذكرة لورد ملنر الشاملة قواعد الاتفاق في ١٠ سبتمبر الفائت محضت لجنة الحزب الرئيسية هذه القواعد تمحيصاً دقيقاً وأصدرت باسم الحزب قراراً أعلنت فيه للأمة رفض المشروع بخذافيره مبينة الأسباب في تقرير نشرته بالعربية في طول البلاد وعرضها ، وبالفرنسية والإنجليزية في العالمين الأوروبي والأمريكي ، وألقت تبعة قبول هذا المشروع على الذين يروجونه ليهدموا كيان مصر السياسي الشرعي ويقضوا على مطالبته الأمة ونفسيها قضاء مبرماً ، كما حضت الأمة على الاستمرار في الجهاد بجميع الوسائل المشروعة » هذا وقد كانت النتيجة السارة أن الأمة بأسرها أعلنت العالم كله مرة أخرى رغبتها الأكيدة في الحياة المستقلة الحرة بتمسكها بالاستقلال التام تمسكاً لا شبهة فيه ، وازداد اتحادها قوة وثباتها متانة وعقيدتها في الاستقلال التام إيماناً راسخاً لا تتحول عنه يميناً ولا شمالاً ، ولقد زال الأثر الذي كان قد ألم ببعض النفوس من جراء أعمال بعض خصوم استقلالنا عندما أعلنت الأمة في هذه الأيام على رؤوس الأشهاد ما أعلنه من قبل من أن الاستقلال لم يكن لفظاً فحسب ، بل هو ما يضم مدلوله من كل معاني السيادة التامة للأمة على مراقبها جميعاً داخل بلادها وخارجها دون تدخل أية سلطة أجنبية في مرفق واحد منها ، ولذلك يكرر الحزب الوطني الرجاء لكل مصري طاهر القلب صادق العزيمة أن يثبت على عقيدته الوطنية مثابراً على المطالبة بالاستقلال التام متحدداً مع العالمين له بإخلاص ونزاهة ، وكذلك يعلن الحزب من جهته أن يده ممدودة من يوم عمل الحرية بلاده واستقلالها

ولا تزال ممدودة لكل رجل ثابت الجنان أبي النفس موفور الكرامة يعمل لهذا المبدأ  
الأرفع مبدأ الاستقلال التام ، فإنما الشخصيات تفتى في خدمة الغاية الرافعة من ضعة ، غاية  
النجاة والحياة ، والله نصير العاملين »  
وكيل الحزب  
على فهمي كامل

### تقرير اللورد ملنر — ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٠

رفع اللورد ملنر تقريره إلى اللورد كيرزون وزير خارجية إنجلترا في ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ،  
وأذنت الحكومة البريطانية بنشره في ١٩ فبراير سنة ١٩٢١ ، وقام خلاف بينه وبين زملائه  
في الوزارة — إذ كان وزيراً للمستعمرات — انتهى باستقالته كما سيجيء بيانه  
وهذا التقرير هو من الوثائق الهامة في تاريخ المسألة المصرية ، وهو في أهميته يشبه  
تقرير اللورد دفرين الذي أوفدته الحكومة البريطانية إلى مصر عقب إخماد الثورة العراقية  
لدرس أحوالها ووضع تقرير عنها ، وقد قدم هذا التقرير إلى حكومته في ٦ فبراير سنة ١٨٨٣ ،  
ووضع فيه قواعد سياسة إنجلترا في مصر على عهد الاحتلال ، وخلاصتها فرض الحماية المتقنة  
على مصر ، وأساس هذه الحماية إبقاء جيش الاحتلال في البلاد ووضع طائفة من كبار  
الموظفين البريطانيين على رأس المصالح العامة وجعل الحكومة خاضعة لهم<sup>(١)</sup>

وقد وضع اللورد ملنر في تقريره قواعد السياسة التي اتبعتها إنجلترا في مصر من سنة ١٩٢١  
حتى سنة ١٩٣٦ وما بعدها حيث أبرمت معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا

بسط اللورد ملنر في هذا التقرير عمل لجنته في مصر ، وما صادفته من صعوبات بسبب  
المقاطعة والهياج اللذين قاما في وجهها ، وخلاصة الحوادث التي جرت أثناء إقامة اللجنة ،  
وشرح أسباب ثورة سنة ١٩١٩ من وجهة النظر البريطانية ، وتكلم عن تطور الحوادث في  
مصر منذ إعلان الهدنة إلى قيام الثورة ، وذكر بعض وقائعها ، ثم تكلم عن الحركة الوطنية

(١) راجع مهمة اللورد دفرين وتقريره في كتابنا ( ممر والسودان في أوائل عهد الاحتلال )

والمطالب المصرية ، ورسم قواعد السياسة المقبلة التي اقترحها على حكومته ، فقال ما خلاصته انه يرى العدول عن السياسة القديمة التي كانت تتبعها قبل الحرب من فرض حماية ( وقد سماها وصاية ) على مصر تستأثر بشؤون الحكم في البلاد ، وان حالة الهياج الذي شاهده في مصر لا يمكن معالجته بالرجوع إلى هذا النظام القديم ، ولا بإصلاح إدارى في أداة الحكم ، بل يرى إحداث تغيير جوهري يناسب الحالة الجديدة ، واقترح أن يكون حل المسألة المصرية بعقد معاهدة يرضاها الفريقان ( إنجلترا ومصر ) توفق بين أماني مصر في الاستقلال ومصالح إنجلترا الجوهريّة في مصر ومصالح الأجانب فيها ، وذكر النقط البارزة التي تسكفل المصالح البريطانية ، وهي أن تسترشد مصر ببريطانيا العظمى في علاقاتها الخارجية ، وأن تعطى حقوقاً معينة في الأراضي المصرية ، وهذه الحقوق في نظره وبحسب تسميته على نوعين ، أولها أن يكون لبريطانيا العظمى الحق في إبقاء قوة عسكرية في أرض مصر لتحمى سلامة مواصلاتها الامبراطورية ، وثانيهما أن يكون لها نصيب من المراقبة على التشريع المصرى والإدارة المصرية فيما يختص بمصالح الأجانب المشروعة ، وأن تترك إنجلترا لمصر شؤونها الداخلية فيما عدا ذلك تتولاها بنفسها ، وقال إنه إذا استثنيت هذه الضمانات للمصالح البريطانية والمصالح الأجنبية ، فإنه يرى أن تعاد حكومة مصر فعلاً إلى ما كانت عليه نظرياً مدة الاحتلال ، أى حكومة مصرية للمصريين ، وأشار بأن تعترف إنجلترا لمصر باستقلالها مقيداً بهذه القيود ، مع استبعاد السودان إطلائاً من هذه التسوية ، وإبقاء الحالة فيه على ما هي عليه طبقاً للوضع الذى أوجده اتفاق ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ، كما أوضحه في خطابه المرافق لمشروعه ( ص ١٦١ ) ، واشترط أن تقرر المعاهدة جمعية وطنية تنوب عن الأمة المصرية نيابة حقيقية .

هذه هي خلاصة القواعد التي اقترحها اللورد ملنر في تقريره ، وهي كما ترى بعيدة بعدا شاسعا عن الاستقلال بمعناه الصحيح ، الذى تفهمه الأمم كافة ، وتدركه الفطرة الوطنية السليمة ، وذكر أنه عرض هذه القواعد على بعض ذوى المكانة في مصر بصفة غير رسمية فلم يجد منهم فى الجملة اعتراضاً جوهرياً عليها ، وإنما أحالوه للمناقشة فيها على الوفد المصرى

الذى يرأسه سعد زغلول باشا والذى كان فى باريس وقتئذ ، ثم ذكر خلاصة مفاوضاته مع الوفد فى لندن مما لا يخرج عما أوردناه فى موضعه ( ص ١٥٠ ) وأنها أسفرت عن مشروع ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠ (الذى نشرناه فى موضعه وقد أسماه مذكرة) ، وقد وضعت اللجنة محتويا على النصوص التى تجبدها وتشير على الحكومة البريطانية بقبولها ، وأورد فى تقريره نصوص هذا المشروع وشرحها ، وقال ان الوفد فى مفاوضاته اللجنة سلم من بادية الأمر بتحويل بريطانيا العظمى قاعدة عسكرية فى أرض مصر لحماية مواصلاتها الامبراطورية ، غير أن أعضاءه ألحوا فى أن يكون معسكر تلك القوة على ضفة قناة السويس ، وفضلوا أن تكون فى الضفة الشرقية ، ولم يأبوا أن تتسلم بريطانيا العظمى زمام الموارد المصرية كلها فى مدة الحرب ، وقال انه أخرج السودان عمداً من مناقشاته مع الوفد ، وكان ذلك مفهوما دائماً عند أعضاءه ، وان المعاهدة لا تمس حالة السودان بحال ، وعرض لاستشارة الأمة فى مشروعه ، فقال انه تبين من أقوال مندوبى الوفد ان رأى العام قابل شروط التسوية المنوية بالاستحسان ، وقال فى هذا الصدد ما يأتى : « صحيح ان الحزب الوطنى وآخرين من المتطرفين قد حملوا على التسوية المنوية حملة منكرة فى أول الأمر ، وقال الناقدون ان الاستقلال المنوى لمصر ليس استقلالاً حقيقياً ، واحتجوا خصوصاً بعدم ادخال السودان فى المشروع ، وقام فى مقدمة المعارضين أربعة من أمراء البيت السلطانى الذين أصدروا منشورهم المؤرخ فى ٣ يناير سنة ١٩٢٠ (ص ١٢٧) ، فاتهمزوا الفرصة ونشروا فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٠ بلاغا آخر بأن آراءهم لم تتغير وأنهم لا يؤيدون اتفاقا يضيق نطاق استقلال مصر ، قال ولكن هذه المظاهرة لم تؤثر فى الجمهور تأثيرا يذكر ، ولما رأى أولئك الأمراء ان مقترحات اللجنة وقعت وقعا حسنا عند الناس عموماً ( كذا على ما يزعم ) تداركوا الأمر بأن نشروا كلاما يعفو أثر ما كانوا قد نشروه قبلاً<sup>(١)</sup>

(١) يشير إلى حديث للأمير عمر طوسون مع الشيخ عبد المجيد البيان نشرته جريدة ( الأهرام ) فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٠ قال فيه الأمير : « إنه يقدر جهاد العاملين حق قدره وتسره نهضة الأمة واحتفاظها بحقوقها ، وانه وان كان رأيه الحاس الذى يتمسك به كل التمسك هو وجوب حصول البلاد على حقوقها كاملة غير منقوصة ، فهو يحترم رأى الأمة لأنه رأى الجماعة التى يتحتم احترام رأيها ، وإن بلاغ الأمراء إنما هو =

ونصح بالتغلب على الحزب الوطني الذي سمي أعضائه بالمعارضين في الاتفاق ، قال :  
« من البين أنه لا يزال هناك معارضة يجب التغلب عليها ، وان في مصر أناساً كثيرين لم  
يتشربوا روح الاتفاق ، بل لا يزالون معادين لحسن التفاهم بين بريطانيا العظمى ومصر لسبب  
من الأسباب ، فهم يرتابون في نيات هذه البلاد أو يدعون ذلك ، غير مدركين مقدار السخاء  
الذي تقابل به بريطانيا العظمى أمانى الشعب المصرى »

وأشار إلى ان أهم الشهادات الناطقة باستحسان رأى العام للمشروع شهادة الأعضاء  
الباقيين من « الجمعية التشريعية » في اجتماع عقدوه في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٠ بحضور مندوبى  
الوفد ، وكان عدد أولئك الأعضاء ٤٩ عضواً ، أقر ٤٥ منهم قواعد المشروع وامتنع اثنان  
عن إبداء رأيهما وعارض اثنان فقط فيه وتخلف عن الحضور اثنان وكتبوا يعربان عن رأيهما  
بالموافقة عليه ، قال وعلى ذلك يكون ٤٧ من الواحد والخمسين عضواً الباقيين أحياء من  
أعضاء الجمعية التشريعية قد وافقوا عليه

وختم اللورد ملنر تقريره ( الذى وقع عليه هو وأعضاء لجنته ) بالنصح إلى الحكومة  
البريطانية بالتعجيل فى مفاوضة الحكومة المصرية لعقد المعاهدة ، قال فى هذا الصدد ما يلى :  
« فنصيحتنا لحكومة جلالة الملك هى أن تشرع بلا إبطاء زائد فى مفاوضة الحكومة  
المصرية لعقد معاهدة على المبادئ التى حبذناها ، وعندنا أن إضاعة هذه الفرصة  
مصيبة عظيمة »

### استقالة اللورد مانر ، وتصريح المستر تشرشل

بأن مصر جزء من الدائرة الإمبراطورية للرنة

وبعد ان قدم اللورد ملنر تقريره إلى حكومته ، حدث خلاف فى شأنه بينه وبين

== مجرد إبداء لرأيهم كأفراد مصريين يودون لأمتهم السكالم ، وانه لا يقصد به التأثير فى رأى العام أو  
تحويل اتجاهه ، وإن كل رأى تراه الأمة فهو يحترمه ويحمله ، وان شعاره سيظل دائماً النهوض بمصر  
والعمل لإبلاغها السعادة التى يجب أن يتمتع بها الشعب المصرى العريق ، وان هذا المعنى هو الذى تشير إليه  
خاتمة بلاغتنا حيث أسندنا الأمر فى النهاية إلى الأمة وجعلنا لها الكلمة العليا فى مشروع الاتفاق ، وليس  
فى هذا الحديث عدول من الأمير عن رأيه فى مشروع ملنر ورفضه إياه



زملائه في الوزارة ، أدى إلى استقالته من منصبه في يناير سنة ١٩٢١ ( وكان وزيراً للمستعمرات ) ، وفي فبراير سنة ١٩٢١ خلفه في منصبه المستر ونستون تشرشل ، وقبيل تسلمه مهام هذا المنصب رسمياً أدى بتصريح في مأدبة أقيمت للورد ريدنج حاكم الهند العام ، تناول فيه المسألة المصرية ، فعدها من المسائل البريطانية ، وعدّ مصر جزءاً من الامبراطورية البريطانية المرنة ، وأعرب عن أمله في أن الصعاب القائمة من جانب إيرلندا ومصر تتناقص في سنين قليلة ، وأن تتولى هاتان الأمتان شؤونهما تحت ظلال السلام والفلاح ضمن الدائرة المرنة للامبراطورية البريطانية

### الاحتجاج على تصريح تشرشل

وقد أثار هذا التصريح عاصفة من الاحتجاج في مصر ، إذ جاء في أعقاب ما أبدته الأمة من التمسك باستقلالها التام ، فكيف تفاجأ بتصريح من وزير المستعمرات الجديد بأنها جزء من الامبراطورية البريطانية وبأنها يجب أن تبقى ضمن الدائرة المرنة لهذه الامبراطورية ، وقد أرسلت برقيات الاحتجاج من مختلف الهيئات والجماعات على هذا التصريح إلى جميع الصحف والدوائر السياسية

## الفصل الخامس عشر

### التبليغ البريطاني

#### بأن الحماية علاقة غير مرضية

على اثر دراسة الوزارة البريطانية (وزارة المستر لويد جورج) تقرير اللورد ملنر ، قررت اعتبار الحماية التي أعلنتها على مصر علاقة غير مرضية ، ودعوة مصر إلى الدخول في مفاوضات رسمية « للوصول إذا أمكن إلى إبدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخاصة لبريطانيا العظمى وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الأجنبية ، وتطابق الأمانى المشروعة لمصر والشعب المصرى » (كذا)

وقد أبلغ اللورد ألنبي هذا القرار إلى السلطان فؤاد في خطاب أرسله إلى عظمته في ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١ ، قال :

« دار الحماية : القاهرة في ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١

« إلى حضرة صاحب العظمة السلطان بسراى عابدين

« يا صاحب العظمة . لم أتأخر عن إبلاغ حكومة جلالتك<sup>(١)</sup> الرأى الذى أبدىتموه عظمتكم مرارا عن ضرورة وصول الحكومة إلى قرار فى موضوع اقتراحات اللورد ملنر يتفق مع أمانى مصر والشعب المصرى تلك الأمانى التى اشتهر عطف عظمتكم عليها « ويسرنى الآن أن أبلغ عظمتكم قرار حكومتى ، وإنى متأكد أن هذا القرار يطابق رأى عظمتكم ويسهل المهمة العظيمة الشأن التى عهد فيها إلى عظمتكم ، وهى تعيين وفد رسمى لأجل الشروع فى تبادل الآراء مع حكومة جلالتك فى ما يختص بالاتفاق المنوى عقده ، وإنى أود بصفة خاصة أن أوجه نظر عظمتكم إلى روح حسن النية الذى أظهرته حكومتى بقبولها التساهل فى أمر إلغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ، وستقدرون عظمتكم

(١) كذا فى الأصل ، أى حكومة جلالة ملك بريطانيا ، وهو تعبير مألوف فى المراسلات السياسية البريطانية

أن هذا التساهل الكبير دليل صريح على الأهمية التي تعلقها حكومتى على إقامة علاقاتها مع الشعب المصرى على أساس ودى دائم

« وهذا هو نص قرار حكومتى الذى كلفت إبلاغه إلى عظمتكم :

« ان حكومة جلالة الملك بعد درس الاقتراحات التى اقترحها اللورد ملنر استنتجت ان نظام الحماية لا يكون علاقة مرضية تبقى فيها مصر تجاه بريطانيا العظمى ، ومع ان حكومة جلالتهم لم تتوصل بعد إلى قرارات نهائية فى ما يختص باقتراحات اللورد ملنر فإنها ترغب فى الشروع فى تبادل الآراء فى هذه الاقتراحات مع وفد يعينه عظمة السلطان للوصول إذا أمكن إلى إبدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخصوصية التى لبريطانيا العظمى وتمسكها من تقديم الضمانات الكافية للدول الأجنبية وتطابق الأمانى المشروعة لمصر والشعب المصرى

« وإنى أعتزم هذه الفرصة فأكرر لعظمتكم تأكيد احترامى الفائق » « أللنبى »

وقد أذيع هذا الخطاب فى القاهرة يوم ٤ مارس سنة ١٩٢١

كان هذا التبليغ حادثاً جديداً فى السياسة البريطانية ، حقاً إنه لم يكن ليدنى مصر من استقلالها ، ولا يخطو بها إلى تحقيق آمالها ، ولا يصلح أساساً لمفاوضات ناجحة ، ولكن أمراً هاماً يبرز فيه ، وهو أنه احتوى أسلوباً جديداً للحكومة البريطانية فى مخاطبة الشعب المصرى ، وخطة جديدة فى مواجهته ، وهذا الأسلوب يختلف عن أسلوبها من قبل ، فهى فى هذا التبليغ تعترف بأن الحماية التى أعلنتها وفرضتها قسراً على البلاد ، وتمسكت بها على تعاقب السنين ، هى علاقة غير مرضية ، فهذا الاعتراف هو حجة جديدة كسبتها مصر فى ميدان النضال ، تؤيدها فى نورتها ضد الحماية والاحتلال ، وفى مطالبتها بالاستقلال التام ، ولا يخفى أن سياسة الاستعمار تتشكل وتنوع تبعاً لدرجة قوة المقاومة لدى الأمم المهضومة حقوقها ، فكلما زادت قوة المقاومة فيها ، تراخت تبعاً لذلك قبضة الاستعمار

قارن بين هذا التبليغ وبين إعلان الحماية ذاته ، أو بينه وبين تلغراف اللورد جرانفيل

فى ٣ يناير سنة ١٨٨٣ ، وتلغرافه الثانى فى ٤ يناير سنة ١٨٨٤ ، تجذ فرقا كبيراً فى

الأسلوب والمعانى

ففي بلاغ إعلان الحماية (١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤) أعلن وزير الخارجية أنه « بالنظر إلى حالة الحرب بين إنجلترا وتركيا قد وضعت مصر تحت الحماية البريطانية ، وأنها أصبحت من الآن فصاعداً من البلاد المشمولة بهذه الحماية »

وفي تلغراف اللورد جرانفيل في ٣ يناير سنة ١٨٨٣ ، قال مخاطباً الدول العظمى : « إنه وإن كانت القوات البريطانية باقية في مصر إلى الآن لصيانة النظام العام ، فإن حكومة جلالة الملكة تنوى سحبها عند ما تسمح بذلك حالة البلاد ، وتستطيع بوسائلها تثبيت سلطة الخديو ، وإلى أن يحين ذلك فإن مركز حكومة جلالة الملكة بإزاء سموه يقضى عليها ببذل « نصائح » لتتأكد من أن النظام الذي سيوجد يكون مرضياً ويحتوى على عوامل الاستقرار والتقدم »

وقال في تلغرافه الثانى الذى أرسله بتاريخ ٤ يناير سنة ١٨٨٤ إلى السير افلين بارنج (اللورد كروس) : « ذكركم في برقيتكم المؤرخة في ٢٢ من الشهر الماضى أنه في حالة إصرار حكومة صاحبة الجلالة الملكة على طلب إخلاء السودان ، لا تقبل حكومة سمو الخديو حسب رأيكم تنفيذ هذه السياسة ، ولا أرى حاجة إلى أن أوضح لكم أنه من الواجب مادام الاحتلال البريطانى المؤقت قائماً في مصر أن تتأكد حكومة جلالة الملكة من ضرورة اتباع « النصائح » التى ترى إسداءها للخديو في المسائل الهامة التى تستهدف فيها إدارة مصر وسلامتها للخطر ، ويجب على الوزراء والمديرين المصريين أن يكونوا على بينة من أن المسئولية الملقاة الآن على عاتق الحكومة البريطانية تضطرها إلى أن تصر على اتباع السياسة التى تراها ، ومن الضرورى أن يتخلى عن منصبه كل وزير أو مدير لا يسير وفقاً لهذه السياسة ، وإن حكومة جلالة الملكة لوائقة من أنه إذا اقتضت الحال استبدال أحد الوزراء ، فهناك من المصريين سواء من شغلوا منصب الوزارة أو شغلوا مناصب أقل درجة ، من هم على استعداد لتنفيذ الأوامر التى قد يصدرها إليهم الخديو بناء على نصائح حكومة جلالة الملكة »<sup>(١)</sup>

(١) راجع كتاب مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال س ٢٨

فإذا وضعت هذه الوثائق وغيرها إلى جانب التبليغ ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١ ، نجد اعترافاً من الحكومة البريطانية بالعدول عن التمسك بالحماية ، وتغييراً في أسلوبها ، بحيث أخذت تحسب حساباً للشعب المصرى ، وهذا التغيير هو نتيجة لازدياد قوة المقاومة الوطنية في البلاد

### استقالة وزارة نسيم باشا

١٥ مارس سنة ١٩٢١

كان منتظراً بعد هذا التبليغ أن تستقيل وزارة نسيم باشا ، البغيضة إلى الشعب ، وتخلفها وزارة تمثل البلاد بصفة عامة ، وتساهم في خدمة قضيتها ، وقد اتجهت الأنظار إلى عدلى باشا ليؤلف هذه الوزارة

ولم يكن السلطان يميل إلى استقالة وزارة نسيم باشا ، لأنه كان واثقاً من سياستها في تدعيم الحكم المطلق في البلاد ، والخضوع لسياسة السراى ، مع الإذعان للأوامر البريطانية وكان يبغي أن تبقى رغم سخط الشعب عليها ، وأن يعهد إلى عدلى باشا بكن بمهمة المفاوضات ، لكن عدلى باشا لم يكن مطمئناً إلى سياسة نسيم باشا ودسائسه ، وبخاصة لأن عدلى قد اعتزم أن يجعل ضمن برنامج وزارته هدفاً داخلياً هاماً ، كانت تتمخض عنه الحوادث ، وهو إعلان الدستور ، ولم يكن هذا البرنامج مما يتفق مع سياسة السراى في الحكم ، لأن السلطان فؤاد لم يكن يميل في خاصة نفسه إلى النظام الدستورى ، وظلَّ برماً به ، متجهماً له ، طول حياته ، فاستمسك ببقاء نسيم في رآسة الوزارة ، وطلب إلى عدلى باشا أن يقتصر على رآسة وفد المفاوضات ، فرفض عدلى هذا العرض ، ولم ير السلطان بداً من الإذعان لضغط الحوادث ، وتنحية وزيره الثقة الأمين ، فرفع هذا إليه كتاب استقالته في ١٥ مارس سنة ١٩٢١ ، وضمَّته ما كان من إعلانه حين ألف وزارته أنها لا تبت في نظامات البلاد السياسية حتى يفصل في حالتها السياسية ، وأشار إلى المفاوضات غير الرسمية ، ثم إلى قرار الحكومة البريطانية الأخير في شأن التسهيل في أمر إلغاء الحماية والمفاوضات الرسمية ، وأنه لذلك يقدم استقالته ، قال :

« يا صاحب العظمة :

« لما رأى مولاي ورأيه الموفق على الدوام أن يعهد إلى خادمه المطيع بتأليف حكومة في وقت لم تكن سكنت فيه عاصفة الكون صدعت للأمر وقت وزملائي بخدمة الأمة بصدور وسعت هموم العمل أداءً للواجب المفروض على أبناء البلاد، حملنا هذه الأمانة عالمين ما كان عليه الناس من مختلف القول ففرغنا إلى عملنا بصدق من نياتنا ، وأمسكنا الأمر ما استمسك حتى بدأت الحقوق تؤخذ مسمحة ، والله مصائر الخلق وعواقب الأمر

« بدأت هذه الحكومة عهداً فبدأت معه المفاوضات غير الرسمية بشأن أمانى الأمة ومصالح الغير ، بين رهوس مدبرة ، وعقول مفكرة ، وهى تتمه بظهور آية البشرى على يد سيد البلاد وسلطانها ، فكانت خاتمة الماضى وبشير فاتحة المستقبل ، أخذ الله بقلوبنا إلى مواطن الحق لينمو المستقبل العظيم للوطن الكريم فى أيدي العاملين خير البلاد وإسعادها

« لقد أعلنت حكومة عظمتكم جبهة اثر تشكيلها أنها تسلمت الأعمال لتكون أمانة فى يدها ، وأن لا تبت فى نظمات القطر السياسية حتى يفصل فى حالة مصر السياسية ، كما أنى قبلت وقتئذ الرياسة معلناً ارتياحى لبدء تلك المفاوضات ، مقدماً حينئذ تنازلى عن الرياسة لمن يقع اختيار عظمتكم عليه إذا وفق الله ، وجاء دور المفاوضات الرسمية

« ولما كان مولاي وصل بفضل مسعاه إلى ما وصل إليه بشأن الحالة السياسية للبلاد من قبول الحكومة الإنجليزية التساهل فى أمر إلغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ووجوب تعيين وفد رسمى لأجل الشروع فى تبادل الآراء مع الحكومة المذكورة فيما يتعلق بالاتفاق المنوى عقده فإنى أتقدم لعرشكم المجيد رافعاً استقالتي بقلب ملؤه الإخلاص لذاتكم السنية ومفعم بالإجلال والإعظام لسدتكم العلية واضعاً هذه الأمانة بين يدي المليك المعظم الأمين على البلاد والذي هو لكل وليس للفرد ، والمتعالى بمقامه الأسمى فوق الأحزاب ، ولا زلت

يا مولاي عبدكم الأمين «

« محمد توفيق نسيم »

## تأليف وزارة عدلى يكن باشا

١٧ مارس سنة ١٩٢١

قبل السلطان استقالة وزارة نسيم باشا في ١٦ مارس ، وعهد في اليوم ذاته إلى عدلى باشا يكن تأليف الوزارة الجديدة ، فألفها وصدر المرسوم بتأليفها في ١٧ مارس ؛ وضمن عدلى باشا جوابه برنامج وزارته ، فأعلن أنها ستجعل نصب عينيها في المفاوضات الرسمية أن تصل إلى اتفاق لا يجعل محلا للشك في استقلال مصر ، وأنها ستدعو الوفد المصرى إلى الاشتراك فيها ، وأن الأمة سيكون لها على لسان ممثليها في جمعية وطنية القول الفصل في هذا الاتفاق ، وأن هذه الجمعية ستكون أيضا جمعية تأسيسية تضع الدستور ، وستكون الانتخابات لها حرة بحيث تمثل رأى الأمة تمثيلا صحيحا ، ووعد بالعمل على رفع الأحكام العسكرية وإلغاء الرقابة على الصحف وبالامتناع عن إحداث كل تغيير جوهرى قبل تنفيذ النظام النيابى الجديد

وهالك نص الوثائق التى تبودلت فى صدد تأليف الوزارة :

### كتاب السلطان إلى عدلى باشا

« عزيزى عدلى يكن باشا

« لقد كان من أقوى بواعث السرور لدينا إبلاغ أمتنا المحبوبة قرار الحكومة البريطانية الذى تبلغ إلينا بواسطة حضرة صاحب المقام الجليل مندوبها السامى فيما يتعلق بإلغاء الحماية وتعيين وفد رسمى من جانبنا للمفاوضة فى وضع اتفاق بين البلدين ، وإنا لنبتهج لهذا القرار الذى فتح الطريق لتحقيق الأمنى القومية ، وبما لنا فى ذاتكم من الثقة الكاملة قديما وما نعهد فىكم من الروية الصائبة التى تستدعيها مهام الأمور قد اقتضت إرادتنا السلطانية توجيه مسند رياسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرياسة الجليلة لعهدة لياقتكم وأصدرنا أمرا هذا لدولتكم

للأخذ بتأليف هيئة وزارة جديدة تقوم بأخذ الوسائل السياسية التي تقتضيها الظروف الحاضرة  
وعرض مشروعه لجانبنا لصدور مرسومنا العالى به

« وإنى أضرع إلى الله عز وجل بأن يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود على بلادنا ورعايانا  
بالخير والسعادة بحوله تعالى وقوته »

في ٦ رجب سنة ١٣٣٩ ( ١٦ مارس سنة ١٩٢١ ) « فؤاد »

جواب عدلى باشا

« يا صاحب العظمة

« أتقدم لعظمتكم بجزيل الشكر على ما أوليتموني من الثقة العالية إذ تفضلتم بتكليفى  
بتأليف الوزارة فى الظروف الحاضرة وشرفتمونى بتقليدى رتبة الرياسة ، لقد كان لى من جليل  
عواطف عظمتكم أكبر مشجع على قبول تلك المهمة ووضع إخلاصى كله فى خدمتكم وفى  
خدمة البلاد ، لذلك أتشرف بأن أعرض على عظمتكم أسماء الوزراء الذين تتألف منهم هيئة  
الوزارة وقد قبلوا مشاركتى فى العمل حتى إذا صادف ذلك الاستحسان العالى يصدر الأمر  
السكرىم بالتصديق عليه

« حسين رشدى باشا نائب رئيس مجلس الوزراء . عبد الخالق ثروت باشا وزير  
الداخلية . اسماعيل صدقى باشا وزير المالية . أحمد زيور باشا وزير المواصلات . جعفر ولى  
باشا وزير المعارف . أحمد مدحت يكن باشا وزير الأوقاف . محمد شفيق باشا وزير الأشغال  
العمومية والحربية والبحرية . نجيب بطرس غالى باشا وزير الزراعة . عبد الفتاح يحيى باشا  
وزير الحفانية

« إن الوزارة ستجعل نصب عينىها فى المهمة السياسية التى ستقوم بها لتحديد العلاقات  
الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر الوصول إلى اتفاق لا يجعل محلا للشك فى استقلال  
مصر ، وستجرى فى هذه المهمة متشعبة بما تتوق إليه البلاد ومسترشدة بما رسمته إرادة الأمة ،  
وستدعو الوفد المصرى الذى يرأسه سعد زغلول باشا إلى الاشتراك فى العمل لتحقيق هذا الغرض



« وما يوجب الارتياح أن تصریح الحكومة البريطانية بأن المفاوضات ستجرى على أساس إلغاء الحماية من شأنه أن يسهل مهمة الوزارة من هذه الوجهة فإن ذلك التصريح الذى يدل على حسن استعداد بريطانيا العظمى مما يدعو إلى الأمل بأن المفاوضات التى ستحصل بهذه الروح ستفضى إلى اتفاق محقق للأمانى الوطنية ويكون فاتحة عصر جديد بين البلدين شعاره المودة وتبادل الثقة ، وسيكون للأمة على لسان الممثلين لها فى الجمعية الوطنية القول الفصل فى هذا الاتفاق ، وبما أن هذه الجمعية ستكون أيضاً بمثابة جمعية تأسيسية فإن الوزارة ستأخذ على عاتقها تحضير مشروع دستور موافق للمبادئ الحديثة للأظمة الدستورية وستحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التى تكفل تمام حريتها وتنظم بكيفية تحقّق تمثيل رأى الأمة تمثيلاً صحيحاً ، وفى هذا المقام تعرب الوزارة عن اعتقادها بأن الظروف الحاضرة تبرر الإسراع فى الرجوع إلى النظام العادى ، وبأنها ستتمكن بفضل نفوذ عظمتكم من رفع الأحكام العسكرية وإلغاء الرقابة فى القريب العاجل ، وانا نعتمد على حكمة الأمة فى تسهيل هذا العمل الذى يحقق نجاحه أعز أمانى الوزارة

« وإنا لندرك حق الإدراك ما تحتاجه البلاد من الإصلاحات الكبرى ، بيد أننا لتمسكنا باشتراك الأمة فى وضعها نمتنع عن كل تغيير جوهرى قبل تنفيذ النظام النيابى الجديد ، على أننا بتأييد عظمتكم لنا سنعنى بإدارة أمور البلاد وننشط بها فى خير الطرق وأصلحها للمحافظة على مرافقها وتوسيع نطاق رقيها وستكون المسألة الاقتصادية الحاضرة موضوع اهتمامنا العظيم ، هذا وإن الوزارة لعلى يقين من أن هذا المنهاج يوافق المقاصد التى ما زالت عظمتكم تصبو إليها لخير رعاياها وهى مع ما تشعر به من عبء المسئولية الملقاة على عاتقها تأمل الوصول بمهمتها إلى النجاح المنشود معتزة بعطف وتعزید عظمتكم ومعتمدة على ثقة البلاد ، وانى لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الأمين »

القاهرة فى ٧ رجب سنة ١٣٣٩ — ١٧ مارس سنة ١٩٢١ « عدلى يكن »

وقد صدر المرسوم السلطانى يوم ١٧ مارس على النحو الوارد فى كتاب عدلى باشا

## وزارة الثقة

سميت وزارة عدلى «وزارة الثقة» ، وترجع هذه التسمية إلى سعد ، فهو الذى اختارها لها ، ذلك أنه حين جاء اللورد ملنر إلى مصر على رأس لجنته قابل ضمن من قابلهم عدلى ورشدى وثروت ، فصارحوه الرأى بأن اللجنة يحسن أن تتوجه بالمحادثة إلى الوفد ، وبأن لا أمل فى محادثة مع غير الوفد ، وقد أرسل سعد باشا برقية إلى ابراهيم باشا سعيد وكيل لجنة الوفد المركزية فى ٢٦ يناير سنة ١٩٢٠ يشكر الوزراء الثلاثة على موقفهم ، قال : « سيصلكم خطاب بالموافقة على تقريركم ( أى تقرير اللجنة المركزية للوفد ) ، وقد أرسلنا قرارنا لتلغرافيا إلى أصدقائنا الوزراء الثلاثة الذين بعثوا إلينا بصورة أحاديثهم مع اللورد ملنر ، وقد تبينا ان ما قالوه للورد كان مملوءاً بحكمة ووطنية خالصة »

وكان سعد على اتصال بعدلى أثناء إقامة لجنة ملنر بمصر ، وبعد رحيلها ، ورأى تأليف « وزارة ثقة » تضع الدستور وتتولى المفاوضات ، فأرسل إلى عدلى خطاباً من باريس فى ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ يشرح فيه هذا المعنى ويؤيده وينوه بأن يتولى عدلى باشا تأليف هذه الوزارة ، قال :

« لم يخطر ببالى ولا ببال أحد من زملائى التوجه إلى لوندرد للمفاوضة فيها مع لجنة ملنر إذ ليس فى محادثته معكم ولا فى مذكرته لكم ما يشجع على هذا ، لأن مذكرته مع كونها خصوصية سرية لا تتضمن ما يصح أن يعتمد الإنسان عليه حتى فى نفسه بالنسبة لأمر هام كسألتنا ، بل فى محادثته ما يمنع من هذا الانتقال ، وهو عدم رضا الحكومة الإنجليزية بالمفاوضة مع الوفد وحده ، لأن فيه إنكاراً لصفته التى أجمعت عليها الأمة من توكيله وحده للمفاوضات ، أما العودة إلى مصر فلم يتغير فيها رأينا للأسباب التى بينها لكم ، نعم ان ترجمة عبارة Self governing institutions بالحكومة الدستورية هى الأصح ، ولكن صحة هذه الترجمة فى نفسها لا تحمل على تعديل قرارنا ، لأن هناك أسباباً أخرى غيرها ، ولأن إيرادها

في المكان الذي وردت فيه من البلاغ<sup>(١)</sup> مع عدم اقتضاء المقام لها بعد التصريح فيه بأن مأمورية اللجنة هي التي حددتها الحكومة ووافق عليها البرلمان يوقع في الذهن بأن المقصود بها هو المعنى الذي فهمناه ، والقول بأن القصد منها إنما هو ألا يكون الاتفاق إلا مع حكومة دستورية لا يتفق في ظاهره مع كون هذه العبارة وردت على أنها نتيجة للتعاقد لا وسيلة له « ومع ذلك فإذا كان القصد منها هو كما يؤكد جنابه من ( ان الحكومة الإنجليزية لا يصح أن ترتبط بمعاهدة إلا مع حكومة ذات نظام دستوري ) لزم قبل كل شيء وضع هذا النظام لتشكيل حكومة دستورية تكون أهلاً للتعاقد على تحديد العلاقات بين مصر وإنجلترا

« ولا أخفي عليكم أن فكرة هذا النظام خطرت أول الأمر ببالنا على أنها الوسيلة القانونية لحل المسألة ، لذلك نحن نوافق كل الموافقة عليها بل نحبذها ، والطريقة المثلى للوصول إلى هذه الغاية في رأينا هي أن يُبدأ بتأليف وزارة من غير أعضاء الوفد ، موثوق بها ، ويكون البرجرام الذي تعلنه هذه الوزارة هو وضع ذلك النظام ثم المفاوضة مع الحكومة الإنجليزية بغرض الوصول إلى وضع اتفاق يضمن استقلال مصر التام ومصالح إنجلترا الخصوصية ، ثم عرض ما تنتهي المفاوضة إليه على الهيئة النيابية التي تتألف بموجب ذلك النظام للتصديق ، ومتى تم تشكيل الوزارة على هذا النحو وأعلنت برجرامها على هذه الصيغة أو بما في معناها لا نتردد نحن وزملائنا في العودة إلى مصر لمساعدتكم على القيام بمهمتكم لدى الأمة ، والسعي في أن تنتخب أعضاء في تلك الهيئة ، إذا تم لكم أن تفعلوا ذلك خدمتم بلادكم أجل خدمة وخدمتم لكم في التاريخ أحسن الذكري »

وأرسل سعد إلى عدلى برقية من باريس في ١٣ فبراير سنة ١٩٢٠ ، قال فيها :

« نتمسك برأينا في موضوع عودتنا إلى مصر ، ونظراً لأننا لم نفكر مطلقاً في ذهابنا إلى لונدره فأننا سنفحص المسألة متى قدم لنا اقتراح ، وبما أن المفهوم من عبارة Self

(١) بلاغ لجنة ملز الصادر في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ ص ١٢٢

governing institutions أن الحكومة البريطانية لا تتعاقد إلا مع حكومة دستورية  
فقد صار إذاً من اللازم مبدئياً تحضير دستور بتأليف وزارة ثقة يكون برنامجها تحضير هذا  
الدستور ثم المفاوضة للوصول إلى مشروع معاهدة تضمن لمصر استقلالها ولبريطانيا مصالحها  
الخاصة ، ويجب أن يعرض هذا المشروع على تصديق الجمعية النيابية التي ينشئها الدستور  
الحديث ، وقد سبق إرسال خطاب تفصيلي « سعد زغلول »

وكتب سعد إلى عدلى خطاباً آخر استيفاء لشرح هذه المسألة ، قال :

« صديق العزيز

« إن الطريقة التي عرضناها فيما كتبناه لكم هي في اعتبارنا أمثل طريقة لحل العقدة  
الحاضرة ، لأنه من الطبيعي أن تجرى المفاوضة مع هيئة رسمية موثوق بها خصوصاً من الأمة ،  
وأن يتصدق على ما تنتهي المفاوضة إليه من النواب الذين تختارهم لهذه الغاية ، وهي طريقة  
تقرب في ظننا من التي يظهر أن اللورد مانر يدلي بها في محادثاته معكم وفيما أكده لكم من  
المقصود بعبارة Self governing institutions التي أوردتها في بلاغه إن لم تكن هي  
بذاتها ، ولهذا يغلب على ظننا أنه يهش لها ويعمل على تنفيذها ، ولا يصعب عليه أن يتضمن  
برجرامكم عبارة الاستقلال التي أوضحناها فيما كتبته لكم ، لأنها لا تربط غيركم ، وهي فوق  
هذا ضرورية جداً حتى لا تقابلكم الأمة بالنفور الذي تلاقى به كل وزارة لا يكون السعى  
إلى هذه الغاية أول قصدها وأكبرهما ، نعم إن فيها مشقة عظيمة لكم ومسئولية كبرى  
عليكم ولكنها ليست فوق هممكم وأنتم أهل لتحمل مثل هذه المسئولية في خدمة بلادكم ،  
والوفد مستعد لأن يعمل ما في وسعه لتسهيلها عليكم ، ولهذا يرى أن يكون أعضاؤه خارجين  
عن هيئتك حتى لا يساء الظن في نزاهتهم وتبقى الثقة فيهم يستعينون بها في تأييدكم وتمهيد  
الطرق أمامكم ، وبعد أن تتألف الهيئة الجديدة تحت رياستكم ويعلن برجرامها لا يترددون  
في العودة ليكونوا قريباً منكم يعملون على تنوير الأفهام ، وصيانة الرأي العام من خطرات  
الأوهام التي لا يقصد ذوو الأغراض الفاسدة من بثها فيه وتسليطها عليه إلا ترويحاً لمقاصدهم

الفاسدة وتحصيلاً لمطامعهم الباطلة ، ولا يهمننا فيمن تختارونهم لمعاونتكم إلا أن يكونوا محلاً  
لثقتكم وأهلاً لأن يتضامنوا معكم في تحمل تلك المسئولية الكبرى «

« سعد زغلول »

ففي هاتين الرسالتين نوه سعد بوجود تأليف وزارة ثقة برئاسة عدلى تتولى وضع  
الدستور ، ثم تباشر المفاوضات ، ولا يدخلها الوفد

ولما انتهى اللورد ملتر من عمله في مصر أرسل سعد يستدعى عدلى إلى باريس ،  
وبعث إليه ببرقية بتاريخ ٨ مارس سنة ١٩٢٠ ، قال فيها :

« نكون سعداء برويقتكم في باريس ، أما عن الاقتراح الثانى <sup>(١)</sup> فإننا نوافقكم عليه ،  
ويكون تأييدنا لكم أشد تأثيراً إذا بقى الوفد رسمياً خارج اللجنة المكلفة بالمفاوضات «

« سعد زغلول »

وكرر استدعاه إياه في برقية بتاريخ ٢٥ مارس ، هذا نصها :

« نشارككم رأيكم في عدم قبول الأساسات كما عرضت (وهى اقتراحات من اللورد

ملتر) نرجوكم تقديم ميعاد وصولكم إلى باريس بقدر المستطاع « « زغلول »

فرد عليه عدلى بتاريخ ٢٦ مارس ببرقية هذا نصها :

سعد زغلول باشا ٣٩ شارع شانزليزيه — باريس

« قبل تحديد ميعاد السفر أكون سعيداً باستلام خطاب تفصيلي «

« عدلى يكن »

فرد عليه سعد بالبرقية الآتية في ٣١ مارس سنة ١٩٢٠ :

« وصل تلغرافكم متأخراً ، نكون سعداء برويقتكم في أقرب فرصة لتبادل الآراء طبق

« زغلول »

« خطابكم »

فلم يرد عدلى دعوة سعد ، وبارح مصر في ١٦ أبريل ، ولازم الوفد في مفاوضاته مع

ملتر ، ثم عاد إلى مصر في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٠

(١) وهو اشترك الوفد مع الوزارة في المفاوضات

فلما أُلِّفَ وزارته في ١٦ مارس ١٩٢١ ، كانت هي « وزارة الثقة » التي دعا سعد إلى تأليفها ، ومن هنا جاءت تسميتها « وزارة الثقة » فلا غرو أن قوبلت بابتهاج الأمة واغتيابها ، وجاءتها البرقيات من مختلف الهيئات ، كما جاءت الوفود من كل ناحية تعلن هذا الابتهاج ، وكانت من هذه الناحية تشبه وزارة شريف باشا التي تألفت سنة ١٨٨١ في إبان الثورة العرابية ، نزولاً على إرادة الأمة ، وقوبل تأليفها بالاغتياب العظيم ، وسميها « وزارة الأمة »<sup>(١)</sup>

ومن غرائب المصادفات أن مصير وزارة عدلي كان شبيهاً بمصير وزارة شريف باشا<sup>(٢)</sup> ، بل كان أسوأ منه ، وانتهت بمثل ما انتهت به الأولى ، إذ استهدفت كلتا الوزارتين للسقوط بين مظاهر السخط والاستنكار ، وفي الحق أن نصيب عدلي من هذه المظاهر كان أكبر بكثير من نصيب شريف باشا

### عودة سعد إلى مصر

أرسل عدلي إلى سعد بطريق البرق نبأ تأليف وزارته وبرنامجهما ، ودعوة الوفد إلى الاشتراك في المفاوضات الرسمية

فجاء الرد من سعد تلغرافياً في ١٩ مارس بأنه اعتمزم العودة إلى مصر ، وغادر باريس يوم ٢٩ مارس ، ووصل الإسكندرية يوم الاثنين ٤ أبريل ، وإلى القاهرة يوم ٥ منه ، وقوبل في الإسكندرية وفي الطريق منها إلى القاهرة ، وفي العاصمة ، بأعظم مظاهر الفرح والحماسة ، بحيث كانت مقابله سلسلة لا نهاية لها من المظاهرات والزينات والأفراح والحفلات مما لم يسبق له نظير في تاريخ مصر الحديث

وهنا تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ مصر القومي ، سنعرض لها في كتاب « في أعقاب

الثورة المصرية »

(٢،١) راجع في تفصيل ذلك كتاب ( الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي ) ص ١٣٨ وما بعدها و ١٩٧ وما بعدها .

## الفصل السادس عشر

### هل نجحت ثورة سنة ١٩١٩؟

#### وفيم نجحت؟

نريد في الفصل الأخير من هذا الكتاب ، أن نستبق الحوادث التي سيرد ذكرها في كتاب « في أعقاب الثورة المصرية » ، لأن هذه الحوادث لا تغير شيئاً من جوهر الرأي في نتائج ثورة ١٩١٩ ، فوضع هذا البحث هو في كتاب الثورة ، لأن الواجب يقتضى منا بعد أن تحدثنا عن أسباب الثورة ووقائعها ، أن نبحث في نتائجها ، وهل نجحت في الجملة أم لم تنجح ، وإذا كانت قد نجحت ، فما هو مدى نجاحها ؟ وفي أي النواحي كان هذا النجاح ؟

لقد قيل كلامٌ كثيرٌ في هذا الموضوع ، واختلفت الآراء اختلافاً بيناً في الجواب على ذلك السؤال ، وهذا الخلاف يرجع في الغالب إلى الزمن الذي يصدر فيه الجواب ، والظروف التي تلابسه ، وحالة الإنسان النفسية في الوقت الذي يجيب فيه

ومن الواجب علينا بادي ذي بدء ، لكي نصل إلى جواب أقرب إلى الحقيقة وأدنى إلى الإنصاف ، وأبعد عن التأثيرات الشخصية ، أن نوسع دائرة البحث والتحقيق ، وأن نتخير القواعد التي نبني عليها بحثنا

فأول قاعدة يصح أن نتخذها أساساً للبحث في مبلغ نجاح أية ثورة أو عدم نجاحها ، هي تعرف الحالة التي كانت عليها البلاد قبل الثورة ، والحالة التي وصلت إليها بعد الثورة ، وهل تقدمت أم تأخرت ، وما علاقة الثورة بهذا التقدم أو التأخر

اتبعنا هذه القاعدة في الجواب على مثل هذا السؤال بالنسبة للثورة العربية ، وانهينا

إلى أنها أخفقت ولم تنجح ، و بينا أسباب إخفاقها ، وأفردنا لذلك الفصل التاسع عشر من كتابنا عنها ( لماذا أخفقت الثورة العراقية )<sup>(١)</sup>

قامت الثورة العراقية في أوائل سنة ١٨٨١ لتقرير النظام الدستوري أساساً للحكم في البلاد ، وتحريرها من الحكم المطلق ، ومن التدخل الأجنبي معاً ، ونجحت مؤقتاً فيما قصدت إليه ، إذ أعلن النظام الدستوري الكامل في فبراير سنة ١٨٨٢ ، ولكن الأحداث التي تعاقبت على البلاد ، والدسائس الاستعمارية ، قد أفست عليها نهاية الثورة ، فاتمته بإلغاء دستور سنة ١٨٨٢ ، وضياح الاستقلال معاً ، وحل محلها الاحتلال الأجنبي والحكم المطلق ، فكان حقاً علينا أن نعتبر الثورة العراقية قد أخفقت فيما قامت من أجله

ظل الاحتلال منذ سنة ١٨٨٢ ، يعصف باستقلال مصر ، ويسيطر عليها ، ويستأثر بشؤون الحكم فيها ، وزادت وطأته شدة بإعلان الحماية في ديسمبر سنة ١٩١٤ ، فصار احتلالاً مقروناً بحماية ، إلى أن قامت ثورة سنة ١٩١٩

### أثر الثورة في الناحية السياسية

أوضحنا في أسباب الثورة ( ج ١ ص ٥١ ) أنها قامت ضد الحماية وضد الاحتلال ، فمن الحق أن نقول ان الثورة نجحت في قومتها ضد الحماية ، إذ اعترفت الحكومة البريطانية في فبراير سنة ١٩٢١ أن الحماية علاقة غير مرضية ، ثم أعلنت إلغائها في تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، كما اعترفت بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، أما الاحتلال فلم تنجح الثورة في إجلائه ، لأنه مع الأسف لا يزال قائماً حتى اليوم ( ١٩٤٥ )

حقاً ان الاحتلال يجعل في طياته عناصر السيطرة الأجنبية التي قد تشبه الحماية الفعلية من بعض النواحي ، وحقاً ان الاستقلال الذي اعترفت به الحكومة البريطانية ليس هو الاستقلال الحقيقي الذي تنشده مصر ، ولكن من الحق أن نعتبر إلغاء الحماية مكسباً دولياً

(١) كتاب الثورة العراقية ص ٥٥١ وما بعدها



لمصر ، وربحاً سياسياً وأديباً لسكرامتها القومية ، لأن هناك فرقا كبيراً بين دولة مضمولة بحماية دولة أجنبية ، ودولة مستقلة يحد من استقلالها احتلال أجنبي ، ليست له بأى حال صفة شرعية وليس يخفى أن الحماية التي أعلنت إنجلترا إلغائها سنة ١٩٢٢ هي الحماية التي اعترفت بها الدول بطلب إنجلترا ذاتها في مؤتمر فرساي ، فالغاؤها من الدولة التي أعلنتها ، وتبليغ الإلغاء إلى تلك الدول التي سبق أن اعترفت بها ، جعل لهذا الإلغاء صبغة دولية ، فمصر الآن في نظر الدول الأجنبية جمعاء دولة مستقلة ، وهي من هذه الناحية لها مكانة دولية وأدبية لا تُنكر ، بين مجموعة الأمم المستقلة ، أما الاحتلال الأجنبي فهو غضب ثم يزول ، وسيزول إن شاء الله في وقت أقرب مما يظنون ، ولا نزاع في أن أثر الاحتلال في الحد من الاستقلال أقل بكثير من أثر الحماية والاحتلال معاً

فتورة سنة ١٩١٩ قد نجحت إذن في إلغاء الحماية ، وفي حمل إنجلترا على إعلان هذا الإلغاء ، والاعتراف باستقلال مصر

ولا تظنَّ أن الحماية كانت سائرة من نفسها إلى الزوال ، أو أنها كانت في نظر إنجلترا ضرورة من ضرورات الحرب ، بل الواقع أنها حين أعلنتها في ديسمبر سنة ١٩١٤ كانت ترمى إلى تثبيتها وتوكيدها ، وتدعيمها وتأييدها ، ولولا ثورة سنة ١٩١٩ ، لظلت مضروبة على البلاد ، أما نظرية أن الحماية كانت من ضرورات الحرب ، فإنما كانت دعاية من الجانب المصري ، لإقامة الحجة عليها بعد انتهاء الحرب ، ولعمري إنها لم تكن من ضرورات الحرب ، بل كانت من وسائل البغي والعدوان فحسب

وإنك إذا تأملت في وثائق الحماية ، وبخاصة في التبليغ البريطاني إلى السلطان حسين كامل حين توليته عرش مصر سنة ١٩١٤ (ج ١ ص ١٩) ، تجد أن إنجلترا إذ أعلنت الحماية قد اعتبرت أنها نظام دائم ، وهذا ظاهر من قولها في هذا التبليغ : « وقد رأت حكومة جلالتها أن أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسؤولية التي عليها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية إعلاناً صريحاً ، وأن تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقاً لنظام ورائي يقرر فيما بعد » (ص ٢١)

وكررت هذا المعنى في تبليغها إلى السلطان فؤاد سنة ١٩١٧ (ج ١ ص ٤٥) إذ قالت :  
« إن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوء هذا العرش السامى على أن  
يكون لورثتكم من بعدكم حسب النظام الورائى الذى سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب  
الجلالة البريطانية وبين عظمتكم »

وردد السلطان حسين كامل هذا المعنى فى كتابه إلى رشدى باشا (ج ١ ص ٢٧) إذ  
قال : « ان الحوادث السياسية التى وقعت فى هذه الأيام أدت إلى بسط بريطانيا العظمى  
حمايتها على مصر وإلى خلو الأريكة الخديوية »

كما ردده السلطان فؤاد إذ قال فى كتابه إلى رشدى باشا (ج ١ ص ٤٦) : « قد تولينا  
بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية على أن يكون هذا العرش من بعدنا لورثتنا  
طبقاً للنظام الورائى الذى سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها »

ولما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، لم تتغير وجهة نظر الحكومة البريطانية  
فى اعتبار الحماية نظاماً دائماً ، وهذا ظاهر من الخطاب الذى أرسله سكرتير المندوب السامى  
البريطانى إلى سعد باشا فى أول ديسمبر سنة ١٩١٨ (ج ١ ص ١٣٩) ، وفيه يبلغه رفض  
الترخيص للوفد المصرى بالسفر ، وينبئه أنه إذا كان للوفد مقترحات عن نظام الحكم فى  
مصر فليتقدم بها إلى المندوب السامى البريطانى على أن لا يخرج عن حدود التبليغ البريطانى  
إلى السلطان حسين كامل ، أى فى حدود الحماية

ولما شبت الثورة ، احتجاجاً على الحماية ، أصرت الحكومة البريطانية فى بلاغاتها  
وتصريحات وزرائها ورجالها على تثبيتها والاستمسك بها ، وحمل الدول على الاعتراف بها ،  
ففى بلاغها الصادر بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩١٩ بتعيين الجنرال ألنبي مندوباً سامياً فى مصر  
(ج ١ ص ٢٤٥) أكدت أنها وكلت إليه اتخاذ « جميع الوسائل التى يرى ضرورتها  
ومناسبتها حتى يعيد القانون والنظام فى هذه البلاد وحتى يدير جميع الشؤون إذا لزم الأمر  
ناظراً إلى ضرورة تأييد حماية جلالة الملك على القطر المصرى »

وبادرت إلى حمل الرئيس ويلسن على الاعتراف بالحماية في أبريل سنة ١٩١٩ ، واعترف بها مؤتمر الصلح في مايو ، وأقرتها معاهدة الصلح مع ألمانيا ( معاهدة فرساي ) في يونيو من تلك السنة ، وصرح اللورد كيرزون في خطبته بمجلس اللوردات يوم ١٥ مايو سنة ١٩١٩ ( ص ٣٥ ) بأن الحماية ستنال بعد توقيع ألمانيا على المعاهدة ( وقد وقعت عليها في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ ) الاعتراف العام ، وان الحكومة البريطانية لا تنوى مطلقاً أن تغفل أو تتخلى عن التبعات التي تحملتها عند ما وضعت مهمة الحكم في مصر على عاتقها ، وأن هذه التبعات قد تأيدت بإعلان الحماية البريطانية عليها ، وظفرت الحكومة البريطانية باعتراف النمسا بالحماية في معاهدة الصلح المعقودة معها في ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ ، والمعروفة بمعاهدة « سان جرمان » ، وظفرت أيضاً باعتراف تركيا بهذه الحماية في معاهدة سيفر المعقودة في ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠<sup>(١)</sup>

ولما ألفت لجنة ملنر كانت مهمتها « تحقيق أسباب الاضطرابات التي حدثت أخيراً في القطر المصري وتقديم تقرير عن الحالة الحاضرة في تلك البلاد وعن شكل القانون النظامي الذي يعد تحت الحماية الخ »

كل هذه التصريحات والملايسات تدل قطعاً على أن الحكومة البريطانية منذ أعلنت حمايتها الباطلة على مصر كانت وظلت مصرة على تثبيتها والاستمسك بها

فإذا كانت قد رأت في أعقاب الثورة ، وبعد ما أعيتهما الخيل في حمل الأمة المصرية على قبول هذا النظام البغيض ، أن تعدل عنه ، وتعلن إلغاء الحماية ، فهذا ولا شك كان نتيجة الثورة ، وهو أول نجاح لها من الوجهة السياسية

ولا سراة أيضاً في أن إلغاء الامتيازات الأجنبية<sup>(٢)</sup> في مصر كان ثمرة لثورة سنة ١٩١٩ ، فإن سياسة إنجلترا قبل الثورة ، وبعدها ، كانت ترمى إلى أن تحل هي محل الدول الأجنبية في امتيازاتها ، ولكن الثورة قد نجحت في إلغاء هذه الامتيازات إطلاقاً ، وفي بسط سلطان

(١) ألغيت معاهدة سيفر بعد فوز الثورة الكمالية كما تقدم بيانه ( ص ٩٠ )

(٢) ألغيت بموجب اتفاقية منرو التي عقدت في ٨ مايو سنة ١٩٣٧

الحكومة المصرية على الأجانب في التشريع والإدارة والأمن العام منذ سنة ١٩٣٧ ،  
والقضاء ( ابتداء من ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٩ ) ، وهذا ولا شك مكسب قومي كبير

## في نظام الحكم

وثمة نجاح آخر للثورة في نظام الحكم ، فلقد كان لها الفضل الأكبر في تقرير النظام  
الدستوري ، وتوّجت بذلك جهاداً طويلاً شاقاً ، استمر أربعين سنة سبقت الثورة ، فليس  
يخفى أن جهاد الأمة في سبيل الدستور قد بدأ في أواخر عهد اسماعيل ، إذ فزعت الطبقة  
المفكرة إلى التخلص من مساوي الاستبداد ، وإنقاذ البلاد من تدخل الدول الأوروبية  
في شؤونها ، ذلك التدخل الذي بدأ في ذلك العهد ، ونجح الأحرار في دعوتهم ، وألف  
شريف باشا وزارته الأولى في أواخر عهد اسماعيل ، وجعلها مسئولة أمام مجلس شوري  
النواب ، فوضع الحجر الأساسي للنظام الدستوري في مصر ، وسنّ دستوراً يحقق سلطة  
الأمة ، وهو المعروف بدستور سنة ١٨٧٩<sup>(١)</sup> ، ثم خلع الخديو اسماعيل في يونيه سنة ١٨٧٩  
بناء على طلب الدول ، وتعطل إنفاذ الدستور زهاء سنتين في أوائل حكم الخديو توفيق ،  
إلى أن قامت الثورة العرابية ، فكان من نتائجها الأولى تأليف مجلس نواب كامل السلطة ،  
وإعلان دستور سنة ١٨٨٢<sup>(٢)</sup> ؛ الذي لا يختلف في جوهره عن دستور سنة ١٨٧٩ ، ثم  
تلاحقت الأحداث والدسائس الأجنبية ، فأفضت إلى الاحتلال البريطاني ، وكان أول  
عمل هام له من ناحية نظام الحكم إلغاء دستور سنة ١٨٨٢ ، وإنشاء نظام فاسد يجعل  
سلطة الأمة معدومة حكماً وفعلاً ؛ وهو نظام « مجلس شوري القوانين » و « الجمعية العمومية »  
الذي فرض على البلاد من سنة ١٨٨٣ إلى سنة ١٩١٣ ؛ أي زهاء ثلاثين سنة ؛ ثم حلّ  
محلّه نظام ( الجمعية التشريعية ) سنة ١٩١٣ ؛ وهو أيضاً من صنّع الاحتلال ؛ ومن النظم

(١) راجع نصوصه في كتاب عصر اسماعيل ج ٢ ص ٢٣٠

(١) راجع نصوصه في كتاب عصر اسماعيل ج ٢ ص ٢٣٧

التي أرادت بها السياسة البريطانية إهدار سلطة الشعب ، والاستيثاق من خضوع الوزارات المصرية لإرادتها وأوامرها

ولقد جاهد الحزب الوطني وجاهدت الأمة جهاداً طويلاً في سبيل الدستور ، سواء في عهد مصطفى كامل أو في عهد محمد فريد

فكان مصطفى كامل ، إلى جانب دعوته إلى الجلاء ، لا يني في المطالبة بالدستور ، سواء في خطبه أو مقالاته

كتب في عدد ٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠ من « اللواء » مقالة بعنوان ( الحكومة والأمة في مصر ) ، ذكر فيها وعد اللورد دفرين باسم حكومته أن يؤسس في مصر مجلس نيابي ، وإخلاف الحكومة البريطانية هذا الوعد ، كإخلافها وعودها في الجلاء ، ثم قال : « لعمري إذا كان الانجليز يودون حقيقة أن يعيشوا مع هذا الشعب المصري في وفاق واتفاق ويسيروا به في طريق السعادة كما يدعون فأول واجب نطالبهم به هو أن يحققوا وعد اللورد دفرين ويجعلوا للحرية والعدالة أساسات قوية متينة لا تستطيع يد بشرية انجليزية أو مصرية أن تمسها بسوء »

ودعا إلى الدستور في خطبته في العيد المئبني لمحمد علي يوم ٢١ مايو سنة ١٩٠٢ ، وكان على صفحات « اللواء » يدعو إلى إنشاء المجلس النيابي كأداة للحكم الصالح ، كتب في عدد ١٦ نوفمبر سنة ١٩٠٢ مقالة تحت عنوان ( إفلاس احتلال ) أظهر فيها فساد الأداة الحكومية في المعارف والداخلية ، وختمها بقوله : « وعندى أن هذه الأدوار المختلفة والأدواء المتنوعة دالة كلها على شدة حاجة البلاد إلى مجلس نيابي تسكون له السلطة التشريعية الكبرى ، فلا يسُن قانون بغير إرادته ولا تحور مادة إلا بمشيئته ، ولا يززع نظام بغير أمره ، ولا تعلق كلمة على كلمته ، وإلا فإن بقاء السلطة المطلقة في يد رجل واحد سواء كان مصرياً أو أجنبياً يضر بالبلاد كثيراً ويجر عليها الوبال »

وكتب تحت عنوان ( إنشاء مجلس نيابي ) في عدد ٩ مارس سنة ١٩٠٤ من اللواء

مايأتى : « لعل قراء اللواء وغيرهم من أفراد الأمة المصرية يذكرون ما قلناه من فوق المنابر وكتبتناه في هذه الجريدة وغيرها من وجوب إنشاء مجلس نيابى منذ عشر سنوات كاملات ، ويسرهم كما سرنا أن هذا المطلب العزيز صار على السنة السكثيرين من أهل القطر ، لأنه الأنشودة التى يجب أن يترنم بها المصريون بعد طلب الاستقلال ، وسواء كان سابقاً أو لاحقاً لتخلص البلاد من رق الاحتلال ، فإنه الضمانة الوحيدة والكفالة الصحيحة لسلامة القوانين والحرية الخاصة والعامة » إلى أن قال : « ليس للاحتلال مصلحة في إيجاد مجلس نيابى لهذه البلاد ، ولكن صوت الأمة يعلو على صوته إذا تمسكت به ودعت إليه وطالبت وجاهدت بقوة الرأى والفكر والثبات التى هى أكبر القوى الفعالة في حياة الأمم ، فلتفعل ، فإنها تخطو بالوصول إليه أكبر خطوة في طريق الاستقلال »

واستمر جهاد الحزب الوطنى في سبيل الدستور ، إلى جانب جهاده في سبيل الجلاء ، على عهد محمد فريد ، فقد كان من أجل أعمال الفقيه توجيه الأمة إلى حركة إجماعية للمطالبة بالدستور ، وذلك لمناسبة رد مجلس الوزراء على ماطلبتة « الجمعية العمومية » في شهر مارس سنة ١٩٠٧ من إنشاء المجلس النيابى ، إذ جاء في هذا الرد المؤرخ ٨ فبراير سنة ١٩٠٨ ما يأتى : « ترى الحكومة أن الوقت لم يأت بعد لتشكل مجلس نواب يرُجى منه النفع العام الذى ينتظر من المجالس النيابية ، ولكنها تشتغل الآن في توسيع اختصاص مجالس المديرىات » كان هذا الجواب إهانة للأمة ، واتهاماً لها بعدم كفايتها للنظام الدستورى ، وترديداً وتأييداً لوجهة النظر الاستعمارية في هذا الصدد ، فاعتزم محمد فريد رد هذه الإهانة ببعث حركة إجماعية من الأمة للمطالبة بالدستور ، وأعد الحزب الوطنى عرائض لتقدمها إلى الخديو بطلب إنشاء المجلس النيابى ، وطبع عشرات الألوف من هذه العرائض ، ووزعها على أعضائه وأنصاره ، والمصريين كافة في جميع الجهات ، للتوقيع عليها ، فانهاالت عرائض الدستور على الحزب من العاصمة والثغور والمدن والأقاليم ، واشترك في توقيعها أعيان البلاد والطبقة الممتازة والمتففة ، والسيدات والآنسات المهدبات ، وتبعهم جميع طبقات الأمة ، وبلغ عدد الموقعين على الفوج الأول منها ٤٥٠٠٠ قدّمها الفقيه إلى الخديو عباس الثانى في أبريل سنة ١٩٠٨ ،

وفي ديسمبر من تلك السنة قدّم الفوج الثاني منها ، وعليها ١٦ر٠٠٠ توقيع ، فكان لهذه العرائض دوىً هائل في البلاد ، وكانت أكبر دعاية للدستور

ولقى الحزب الوطني من الاحتلال مقاومة مستمرة لدعوته وجهاده للدستور ، مثل المقاومة التي لقيها منه في دعوته للجلاء ، وكانت الحكومة البريطانية لا تفتأ تعلن على لسان وزرائها ومعتمديها في مصر معارضتها في عودة الدستور ، رداً على كل حركة يقوم بها الحزب الوطني في هذه الناحية ، اعتبر ذلك فيما صرح به السير إلدون جورست المعتمد البريطاني في مصر سنة ١٩٠٨ رداً على العرائض الإجماعية التي قدمها محمد فريد إلى الخديو بطلب الدستور ، إذ قال : « إذا كان المقصود من هذه الصيحة في طلب الدستور إنشاء مجلس نيابي بإطلاق المعنى كما هو الحال في إنجلترا وفي بلدان أخرى أوروبية فليس عندي على ذلك إلا جواب واحد ، وهو ان الشروط اللازمة لإدارة البلاد بموجب نظام مثل هذا النظام غير متوفرة الآن ، والتفكير في إدخال تغيير يحدث انقلاباً كهذا الانقلاب ضرب من الحماسة والجنون »

وبقيت السياسة البريطانية على إصرارها في مقاومة عودة الدستور ، يعاونها في ذلك الخديو والوزراء المصريون — وهذا ما يدعو إلى الأسف — وكل ما تراخت فيه تحت ضغط الحركة الوطنية هو إدخال بعض تعديلات طفيفة في نظام مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، كجعل جلساتها علنية ( قانون ٣ مارس سنة ١٩٠٩ ) ، بعد أن كانت من قبل سرية ، وتقرير حق سؤال الوزراء في مجلس شورى القوانين ، وتوسيع اختصاصات مجالس المديرية ، وعدة المرحوم محمد فريد هذه التعديلات مكسباً للحركة الوطنية — وقد كانت حقاً مكسباً في ذلك الوقت العصيب — إذ قال عنها في خطبته بالمؤتمر الوطني يوم ٧ يناير سنة ١٩١٠ : « مما نالته الأمة بفضل مجهوداتها في هذه السنة — ١٩٠٩ — علنية مجلس الشورى والجمعية العمومية ، وتعديل نظام مجالس المديرية ، وحق سؤال النظار بمجلس الشورى ، وهي مسائل وان كانت في ذاتها لاتعد شيئاً مذكوراً بالنسبة للدستور الذي تطلبه الأمة وتسمى وراءه مهما كلفها من المجهودات والأموال والأنفس ، إلا أنها تعد

خطوة ولو صغيرة في سبيله ، وتعود ببعض الفائدة على الأمة لو أحسن أبنائها استعمالها وعرفوا طريق الانتفاع بها ، وقد ظهرت فوائد علنية لمجلس الشورى في مجادلات أعضائه للنظار ، ومباحثاتهم في القوانين المطروحة أمامهم ، فإن الأعضاء أصبحوا يحسبون لصوت الأمة ، وللجرائد التي تعبر عن أفكارها ، حساباً كبيراً ، وأصبح كل منهم يسعى لنيل ثقة الأمة ورضائها عنه بوقوفه موقف المناقش العاقل والمحاسب المفكر ، لا موقف المعاند أو المكابر ، حتى اضطروا الحكومة في عدة مواقف إلى احترام آرائهم والأخذ بملاحظاتهم »

وكان لا يفتأ يدعو الأمة إلى المطالبة بالدستور ، إلى جانب المطالبة بالجللاء ، وآخر موقف له في ذلك قبل منفاه كان في المؤتمر الوطني الذي اجتمع يوم ٢٢ مارس سنة ١٩١٢ ، إذ دعا في خطبته إلى إصدار قرار بتجديد الاحتجاج على الاحتلال وإرسال برقية بذلك إلى وزير خارجية إنجلترا ، وقرار آخر بطلب ردّ الدستور إلى الأمة ، وإرسال برقية بذلك إلى الخديو ، ولتبي المؤتمر دعوته وأصدر القرارين معاً ، وقد تعقب الاحتلال الفقيده بعد هذه الخطبة ، وأوحى إلى صنائعه من الوزراء والحكام والقوامين على الدعوى العمومية أن يعتبروا المطالبة بالدستور تهمة تقع تحت طائلة العقاب ! وعدوها تحريضاً على كراهية الحكومة وبغضها وازدراءها ، وحوكم الفقيه عليها فعلاً ، وحكم عليه وعلى اثنين من زملائه في الجهاد وهما علي فهمي كامل ، وإسماعيل حافظ ، بالحبس سنة له ، وثلاثة أشهر لزميليه

وظلت الحكومة البريطانية على تعاقب السنين تحول دون الأمة ودستورها ، ولما شبت الحرب العالمية الأولى أعلنت الأحكام العرفية في نوفمبر سنة ١٩١٤ ، وأعقبها إعلان الحماية في ديسمبر من تلك السنة ، فازدادت الأمة بُعداً عن تحقيق آمالها في الدستور ، وبدا من وثائق الحماية تصميم السياسة الإنجليزية على إهدار سلطة الأمة ، ففي تبليغها إلى السلطان حسين كامل ( ج ١ ص ١٩ ) أعلنت أنها دائبة على ما أسمته سياسة « التدرج في إشراك المحكومين في الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الأمة في الرق السياسي » ، وهي هي السياسة التي سارت عليها منذ سنة ١٨٨٢ ، وسوغت بها حرمان الأمة دستورها أربعين سنة متوالية ، وكان في نيتها الاستمرار عليها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، لولا ثورة



سنة ١٩١٩ ، وتبدو هذه النية في مشروع القانون النظامى الذى وضعه السير ويليم برونيت المستشار المالى البريطانى فى نوفمبر سنة ١٩١٨ والذى تقدم الكلام عنه ( ج ١ ص ٧١ ) ، فإنه مشروع ينزل بمصر إلى مرتبة أسوأ من كثير من المستعمرات البريطانية ، إذ يجعل سلطة التشريع فيها فى يد شرذمة من الأجانب تهدر بجانبها شخصية الأمة وكرامتها وسلطانها الشرعية ، وهذا المشروع يدل على مبلغ ما كان يُبيت للبلاد من أسوأ النيات بالنسبة لنظام الحكم فيها

فتورة سنة ١٩١٩ قد نجحت فعلا فى وأد هذا المشروع وهو فى مهده ، وفى تقرير الدستور نظاماً للحكم ، وإعلانه سنة ١٩٢٣ ، وهذا الدستور فضلا عن تقريره سلطة الشعب وحقه الشرعى فى حكم نفسه بنفسه ، فإنه قرر حقوق المصريين وحرىاتهم السياسية والشخصية ومن الحق أن نقول إن هذه الثورة هى حدٌ فاصل بين عهد وعهد ، بين نظام قديم قوامه إلغاء سلطة الأمة حكماً وفعلاً ، وإلزام الحكومة الأهلية باتباع « النصائح » البريطانية طبقاً لتلغراف اللورد جرانفيل فى ٣ يناير سنة ١٨٨٣ وتلغرافه الثانى فى ٤ يناير سنة ١٨٨٤ ، وحصار السلطة فى يد المستشارين والموظفين البريطانيين ، وفرض حماية باطلة على البلاد ، ونظام جديد ، قوامه استقلال ناقص ، يشوبه احتلال أجنبي غير مشروع ، ودستور يقرر سلطة الأمة ويحد من سلطة الفرد ومن التدخل الأجنبي .

وينبغى أن لا نفعل عن حقيقة جوهرية ، لا أفأنا أنادى بها ، وهى أن الدستور لا يكون كاملاً ، وسلطة الأمة لا تكون مستقرة ، مادام الاحتلال الأجنبي قائماً ، هذه حقيقة لا مرأى فيها ، ولكن إلى جانب هذه الحقيقة حقيقة أخرى ، وهى أن الدستور هو الأداة الطبيعية القومية لحكم الشعب حكماً مشروعاً ، وهو من أسلحة النضال عن الاستقلال وعن سلطة الأمة وحقوقها ومصالحها ، فالبلاد التى يسود فيها نظام الحكم المطلق تحرم هذه الأداة الطبيعية ، وتعيش مستعبدة من الداخل ، وفرق كبير بين الأمة الحرة والأمة المستعبدة فى نضالهما عن حقوقهما

وهنا يلزمنى أن أردّ على قوم لا يعدّون الحياة الدستورية مغنياً ، بل يتجهّمون

لها ويتنكرون ، ويطيب لهم أن يعدوا عليها المآخذ والعيوب ! ويضعوا في طريقها العقبات  
سراً وعلناً

هؤلاء الناقمون لهم دعيتهم ضد الدستور ، وهم وإن لم يعلنوا هذه الدعاية جهرة ، فإنهم  
يبشونها في أحاديثهم ومجالسهم ، وتنم عليها أعمالهم وتدابيرهم ، واتجاهات أفكارهم ، فإلى  
هؤلاء الناقمين أوجه القول في صدق وإخلاص ، وأناشدهم أن يعيدوا النظر في آرائهم ،  
فقد يكون الرأي الذي يقولون به هو نتيجة التسرع في الحكم ، أو عدم الإحاطة بالموضوع  
من شتى نواحيه ، أو نتيجة للتأثرات الوقتية ، أو الاعتبارات الشخصية ، ولعلمهم يتدبرون  
في جسامه التبعة الأدبية التي يحملونها في الحيلولة بين الأمة وحقوقها الدستورية والرجوع  
بالبلاد خمسا وستين سنة إلى الوراء

والحقيقة أن النظام الدستوري — وأساسه حكم الشعب بإرادته ممثلة في انتخابات  
حرة — لا يمكن أن يبلغ الغاية من الكمال في سنة أو سنتين ، بل هو في حاجة إلى مران  
طويل ، وممارسة مستمرة ، لكي تُشرب نفوس الخاصة والعامة روح الدستور ومعانيه ،  
ولا يضير الأمم أن تخطئ في ممارسة هذا النظام ، فإن الخطأ يصلح مع الزمن ، والأمة في  
ممارستها حقوقها الدستورية كالفرد الذي يدخل معترك الحياة ، قد يخطئ ويتعثر في سيره ،  
بادئ الأمر ، ولكن هذه الأخطاء هي التجارب للإنسان ، يفيد منها ، ولا بدله من  
المرور بها حتى يتم له النضج والخبرة ، وليس العلاج للشباب الناشئ في الحياة أن تحرمه  
حرية العمل ، أو أن تحجر عليه ، وتفرض عليه وصيًا بحجة حمايته من الخطأ والعتار ،  
فإنك إن فعلت ذلك سلبته الإرادة والحرية ، اللتين هما المميز للإنسان ، وهما قوام النجاح  
في الحياة ، وقضيت عليه بأن يألف عيشة التبعية والعبودية ؛ وبذلك تقتل فيه روح الحياة  
والخبرة والنهوض والتقدم ، وكذلك الأمم ، لا تنجح ولا تنهض تحت نير النظم الاستبدادية ؛  
وإنما طريق التقدم والنجاح لها أن تتبار على ممارسة حقوقها السياسية والدستورية ، التي  
تبعث فيها روح الحرية والكرامة الإنسانية ؛ ولا يُطلب من الأمة المصرية التي حُرمت  
الدستور أربعين سنة متوالية أن تصل فيه إلى الكمال في بداية حياتها الدستورية ؛ بل

هي في حاجة إلى سنين عديدة ، لكي تعوّض من ذلك الحرمان الطويل خبرةً ومرانا  
ومهما تكن عيوب الحياة الدستورية ؛ فإن الزمن كفيل بإصلاحها ؛ أما النظم  
الاستبدادية فعيوبها مستديمة ، وحسبك أنها تقتل في الأمم روح العزة والكرامة ، وتفرض  
فيها طبائع الذل والهوان والعبودية

كانت هذه النظم آفة الشرق في الجملة ، بل كانت سبيل الغرب إلى بسط سيطرته على  
بلدانه ، فلقد وجد الاستعمار الأوروبي في الشرق مرتعاً خصباً ، لم يجد مثله في الغرب ،  
ولهذه الظاهرة أسباب شتى ، أهمها أن الشعوب الشرقية قد أضعفتها النظم الاستبدادية  
الداخلية وأرهقتها على توالي السنين ، وأفسدت أخلاقها ، وأضعفت روح المقاومة المعنوية في  
نفوس أبنائها ، فلم تقو على صدّ أمواج الاستعمار التي ارتطمت بها ، لأن الشعب الذي يأنف  
العبودية الداخلية هيئات أن يقاوم العبودية أو السيطرة الأجنبية ؛ فالعيوب التي ظهرت  
أو ستظهر في الحياة الدستورية عندنا ، أقل بكثير من مزاياها ، بل هي أقل من مثلها في  
بلاد من أرقى الأمم حضارة وسلطاناً ، ثم إنها بلا مساءة أقل من عيوب الحكم المطلق  
على أن عيوبها لا ترجع إلى الدستور في ذاته ، ولا إلى قواعده ومبادئه ، بل إلى أخلاق  
بعض أفراد الشعب ، من خاصته وعامته ، وهذا النقص الخلقى هو نتيجة النظم الاستبدادية  
التي رزح الشعب تحت نيرها السنين الطوال ، وزاد في تأثيرها الاحتلال الأجنبي

وإصلاح هذه العيوب لا يكون بالتشكر للدستور والتبرم به ، وإهداره حكماً أو فعلاً ،  
بل بإصلاح أخلاقنا وتقويمها ، ولا تصلح الأخلاق في ظل الاستبداد والحكم المطلق ، بل  
تزداد ضعفاً وفساداً ، لأن الاستبداد آفة الأخلاق والنفوس ، والنظم الحرة تنشى الأمم  
الحرة ، أما النظم الاستبدادية فلا تنشى إلا أمماً مستعبدة

هذا إلى أن الدعاية إلى إهدار حقوق الأمة الدستورية تضر بالبلاد في حقوقها الاستقلالية ،  
لأن هذه الدعاية معناها أن الأمة لا تصلح لأن تحكم نفسها بإرادتها ، وإنما في حاجة إلى  
وصاية داخلية تفرضها عليها الحكومات فرضاً ، وهذا ولا شك شر إعلان عن الأمة ،  
وإساءة إلى سمعتها بين الدول والشعوب ، وهو سلاح يستخدمه الغير للعدوان على حقوقها

الاستقلالية ، لأن الحكم الأهلي ما هو إلا ركن من أركان السيادة القومية التي يتألف منها الاستقلال ، فإذا قام في أمة من ينادى بأنها لاتصلح لحكم نفسها بإرادتها ، فإن هذا يغري بها الطامعين ، ويحرضهم على الاستهانة باستقلالها ، ومن ناحية أخرى فإن تعويد الشعب على الإذعان والخضوع والتفريط في حقوقه الدستورية ، ينتقل بطريق العدوى إلى حقوقه الاستقلالية ، وهنا الخطر كل الخطر ، لأن كلا النوعين من الحقوق حقوق عامة كسبتها أو تكسبها الأمة في ميدان النضال ، فالتفريط في أحدها يغري بالتفريط في الأخرى ، ولعلك إذا تأملت في سير الحوادث قديمها وحديثها ، تجد أن البيئات التي صدرت عنها نزعات الاستهتار بحقوق الشعب الدستورية هي أقرب البيئات إلى التفريط في حقوق البلاد الاستقلالية

يخلص مما تقدم أن ثورة سنة ١٩١٩ قد أفلحت في تقرير الدستور نظاما للحكم في مصر ، وهي من هذه الناحية قد نجحت ، حيث أخفقت الثورة العراقية

### في الناحية المعنوية

وثمة نجاح آخر لثورة سنة ١٩١٩ ، وهو نجاح معنوي ، يرتبط بتاريخها القومي ، ذلك أنه قد تألفت من الثورة صفحة مجيدة من البطولة والتضحية ، جديرة بأن تحيي في النفوس روح الإخلاص للوطن ، هذه الروح التي هي عُدتنا في النضال والكفاح ، فهؤلاء الشهداء المجهولون الذين جادوا بحياتهم سنة ١٩١٩ وما تلاها ، في سبيل مجد الوطن وعظمته ، غير ناظرين إلى مكافأة ينالونها ، أو منافع يجنونها ، خليقون بأن يبعثوا في نفوس مواطنيهم على تعاقب الأجيال روح الجهاد الخالص لله والوطن

ولا تظنن أن أثر هؤلاء الشهداء المجهولين قد تلاشى مع الأيام ، ولا تقولن إن هذه الصفحة المجيدة قد عفى عليها الزمان ، وأعقبها صفحات أخرى من التهاافت على الغنائم ، فإلى جانب هذا التهاافت تبقى دائما فكرة الوطنية التي كانت الثورة إحدى مراحلها ووسيلة لبثها في طبقات الشعب

حقاً إن هذه الفكرة لم ترسخ بعد في النفوس بالقدر الذي بلغته عند كثير من الأمم الأخرى ، ولا يزال مستوى الوطنية ضعيفاً في نفوسنا ، ويلزمنا جهاد طويل لتثبيتها وتدعيمها وتعميمها ، لكنها قد شقت طريقها إلى الأمام ، ووصلت إلى مرحلة تتلوها إن شاء الله مراحل نمو والكمال

ولا يغيبن عن أذهاننا ان صفحات المجد في حياة الأمم لا تبلى عظمتها ، ولا تخلق جدتها ، ولا تنال منها السنون ، ولئن رانت على بعض النفوس شوائب النفعية ، فليس هذا ذنب الثورة ، بل ذنب بعض خلفائها أو المنتسبين إليها أو مستغليها ، وستبقى صفحة الثورة ناصعة البياض ، توحى بالعمل الصالح ، وإذا كانت سيرة البطل الواحد خليفة بأن تكون مصدراً لهذا الوحي ، بالرغم من تقادم العهد وتداول السنين ، فأخلق بأولئك الشهداء المجهولين ان يكونوا مصدراً دائماً لمثل هذا الوحي المجيد

ليست روح الثورة في قيام الجماعات ضد نظام من للنظم ، ولا في نزوعها إلى الشر والعدوان ، أو الفوضى والانقسام ، فإن مثل هذه الظواهر قد تهدم أسس معاني الثورة ، وإنما الروح المجيدة للثورة هي عقيدة الإخلاص الذي لا نهاية له في نفس الوطني ، فهذه العقيدة هي روح الثورة ، وهي تراثها الدائم الذي به تعيش وتتجدد ذكراها في النفوس على تعاقب الأجيال ، ولا غرو فهذه العقيدة — عقيدة الإخلاص للوطن — هي الأساس الثابت لكل نهضة قومية ، ولكل عمل صالح في حياة الأمم

وإذا كان لي أن أنصح الشباب ممن يقرءون هذا الكتاب ، فإني أقول لهم: لا تكونوا ثوريين كأسلافكم سنة ١٩١٩ ، بل كونوا مثلهم مخلصين للوطن في أعمالكم وأهدافكم

لا تكونوا مثلهم ثوريين ، فان في ميادين الجهاد السلمي السياسي والاقتصادي والاجتماعي مجالاً فسيحاً لجهودكم ، وإخلاصكم وتضحياتكم ، وان فيها لأعمالاً مجيدة تنظركم ، لكي تنهضوا بلادكم في مختلف النواحي

لا تكونوا في حياتكم الوطنية معتدين ، فإنه لخير للبلاد وللحركة الوطنية أن تكونوا

معتدّي عليكم لا معتدين ، فباستهدافكم للاعتداء عليكم ، تقوى في نفوسكم روح التضحية واحتمال الشدائد في سبيل بلادكم

وإذا انتظمت في سلك الحياة العملية ، فتعهدوا في نفوسكم شعلة الوطنية ، ولا تدعوها تنطفئ أو تذبل على الأيام ، فهي الشعلة التي تنير للأمم طريق الحياة والنهوض ، والسعادة والمجد أدوا واجبكم في الحياة ، فلو أدى كل منكم ، رجالا ونساء ، واجبه نحو الوطن ، الزارع في حقله ، والصانع في مصنعه ، والتاجر في متجره ، والكاتب والأديب في أدبه وتفكيره ، والموظف في وظيفته ؛ وصاحب المهنة الحرة في مهنته ، والسياسي في بيئته ، لسعد بكم الوطن ، ولأديتم له من الخدمات أكثر مما أدى أسلافكم

كونوا مؤمنين بالوطن ، مؤمنين بالواجب نحوه ، ولا يززع إيمانكم يأس أو خيبة أمل ، فإن الأمم لا تنهض بأقوام يتجسسون مواضع النقص والضعف في مواطنهم ، لا ليصلحوها ، بل ليسوغوا لأنفسهم نزعة التنكير للمثل العليا ، ولا تنهض بأقوام يحاسبون بلادهم حسابا عسيرا في اقتضاء المكافأة العاجلة على أعمالهم وخدماتهم ، لا تنهض الأمم ، بهؤلاء وأولئك ، بل تنهض بقوم يملأ الإخلاص قلوبهم ، فيترسمون في الحياة سبيل الواجب نحو بلادهم ، يؤدونه ، ولو كانوا ضحية هذا الواجب ، أو ضحية المجتمع الذي له يخلصون ، فهما تباغ تضحيات المرء في هذه الدنيا ، فإنها لا تقاس إلى تضحيات الشهداء في ثورة سنة ١٩١٩ ، وشهداء الوطن عامة ، أو شهداء الأمم في الحروب التي حصدت الملايين من بنى الإنسان ، بمن بذلوا أرواحهم في سبيل أوطانهم

فثورة سنة ١٩١٩ هي من هذه الناحية معين لا ينضب لعقيدة الإخلاص للوطن

### في الناحية الأخلاقية

هل نجحت الثورة في الناحية الأخلاقية للأمة ؟

أرى أن الثورة لم يكن لها أثر جوهري في أخلاق الأمة ، لأن الأخلاق ترجع في صلاحها أو فسادها إلى عوامل أخرى ، لادخل للثورة فيها ، وأهمها الوراثة ، والتربية

المنزلية والمدرسية ، ثم البيئة الاجتماعية ، على أن الأخلاق عامة قد تراجعت بعد الثورة ، فالصدق والإخلاص ، والوفاء والمروءة ، قد نقص مستواها عما كانت عليه من قبل ، وطلعت على النفوس موجة من النفعية يلزمنا أن نتعاون على صدّها ، وهذه العوارض لاعلاقة لها بالثورة ، وبعضها كان موجودا إلى حد ما قبل الثورة ، ولكن قوة الملاحظة قد زادت فينا بسبب ارتقاء مستوى المدارك والأفكار ، فكشفت لنا عن عيوب كنا نغفل عنها ، أو لانلقى بالآ إليها ، وازدياد قوة الملاحظة ظاهرة طيبة تدل على أن الأمة سائرة في الجلمة إلى الإمام ، ومن الحق أن نقرر أن معظم عيوبنا الأخلاقية قد ورثناها عن الأجيال الماضية ، وهي من نتائج نظم الحكم التي كانت مضرّوبة على البلاد ، كما أن الجانب الأكبر منها يرجع إلى الاحتلال الأجنبي ، وما أفسده من نفوس الناس وأخلاقهم ووطنيتهم ، فهذا الذي نشكو منه ، من نفاق وجبن وذبذبة ، وتهافت على المنافع الشخصية ، هو في الغالب من تراث الحكم المطلق وتأثير الاحتلال ، على أن من الواجب أن نعترف أيضاً أن الشباب المتعلم كانوا قبل الثورة خيرا منهم بعدها ، فقد كانوا — في الجلمة — أكثر جليدا على العمل ، وأبعد عن مفاتن الشباب وغروره ، وأكثر وفاء ، وأشد إخلاصا في العمل لوجه الله والوطن ، ولعل من أهم أسباب هذه الظاهرة أن الثورة قامت على أكتاف الشباب ، ونجاحها يرجع إلى مظاهراتهم وإضراباتهم وتضحياتهم ، وجمعياتهم وخطبهم وقراراتهم ، فسرى الزهو والخيلاء إلى نفوس الشباب عامة ، حتى الذين لم يشتركوا في تضحيات الثورة ، ولم يقتبسوا من فضائلها ، فصرفهم هذا الشعور عن الإكباب على دروسهم ، والاستزادة من العلم والمعرفة ، وداخلهم من هذه الناحية شيء كبير من الاستهتار والغرور ، ومال ميزان الأخلاق في نفوس الجيل ومما زاد الحالة سوءاً أن الشباب رأوا من تملق بعض الشيوخ والزعماء لهم ما زادهم غروراً ، ولما استمر الانقسام بين الزعماء ، جهد بعضهم في أن يستميل إلى جانبه المجتدين السابقين في الثورة ، أو خلفاءهم ، وأغرّوهم بالمنافع والمزايا ، فأفسدوا فيهم روح الإخلاص ، وأضعفوا فيهم الناحية الخلقية

ومن الممكن إصلاح هذا الضعف ببث روح الوطنية والإخلاص في نفوسهم ، وتحبيبها

إليهم بالقدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة ، والدعوة الخالصة ، ويجب على الخاصة أن تبدأ بهذا الإصلاح ، وتأخذ في إصلاح نفوسها أولاً ، لأننا مع الأسف ينقصنا من الأخلاق السياسية والأخلاق الشخصية ما ينهض بالنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفي الحق ان هذه ناحية هامة من الإصلاح ، يجب أن نتعاون جميعاً على النهوض بها ، لأن الأخلاق هي سياج نهضة الأمم ، ولا يمكن للمرء أن يؤدي رسالته في الحياة إلا إذا كان متحصناً بالأخلاق والفضائل القومية التي تجعل منه جندياً مخلصاً من جنود الوطن

### الثورة والنهضة الاقتصادية

هل نجحت ثورة سنة ١٩١٩ في النهضة الاقتصادية ؟

إذا رجعنا إلى زعامة الثورة نجد أنها أهملت الناحية الاقتصادية إهمالاً شاملاً ، وهنا تبدو ناحية من نواحي النقص في زعامة الثورة ، إذا قورنت بالزعامة الوطنية قبل الثورة ، فان زعامة قبل الثورة تفضل زعامة الثورة في توجيه الأمة إلى البعث الاقتصادي ، مما بدأ أثره في تأسيس البنوك التعاونية ومنشآت التعاون عامة ، والمؤسسات والنقابات العمالية ، وذلك على الرغم من أن الظروف لم تكن مواتية لهذا البعث ، وغاندى وأنصاره في الهند قد جعلوا أيضاً لدعوتهم جانباً اقتصادياً واسع المدى ، كان له الأثر الفعال في زيادة الثروة الأهلية ، وفي قوة الحركة الوطنية عامة ، أما زعامة الثورة سنة ١٩١٩ فقد أغفلت هذا الجانب الهام من البرنامج القومي

على أن منطق الثورة السليم قد سار على خلاف توجيه الزعامة السياسية فيها ، فأتمجه من تلقاء نفسه إلى تعضيد النهضة الاقتصادية ، وإلى متابعة البعث الاقتصادي الذي بدأ قبل الثورة

فما ان ظهرت في أعقاب الثورة دعوة الزعيم الاقتصادي طلعت حرب إلى تأسيس بنك مصر ( أغسطس سنة ١٩١٩ ) حتى ناصره الشباب وأيدوه ، وبنوا دعوته بين طبقات الشعب في المدن والأقاليم ، مدفوعين إلى ذلك بفطرتهم السليمة ، ونجحت الدعوة إلى هذه



المؤسسة العظيمة ، بعيدة عن زعامة الثورة ، وتأسس البنك في سنة ١٩٢٠ ، وليس يخفى أن تأسيس بنك مصر هو النواة للنهضة الاقتصادية والمالية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى ، وهو الثمرة الاقتصادية للثورة ، فالروح العامة التي أوجدتها الثورة في النفوس كان لها أثرها في نجاح هذه الدعوة ، ونستطيع أن نلمس هذا الأثر إذا رجعنا قليلاً إلى الماضي ، فإن الدعوة إلى تأسيس البنك الوطني قد ظهرت في إبان الثورة العراقية ، ثم تجددت قبل الحرب العالمية الأولى ، وقبل ظهور ثورة سنة ١٩١٩ بأكثر من عشر سنوات ، ولكنها لم تلتق من الأمة التأييد الذي يكفل نجاحها ، وفي ذلك يقول المرحوم عمر بك لطفى في خطبته التي ألقاها يوم ٢١ يناير سنة ١٩٠٩ : « إني وإن كنت أحبذ فكرة إنشاء بنك وطني كبير لكني أظن أن هذا المشروع سابق لأوانه وأن الأفكار لم تنهياً بعد لقبوله ، وفي اعتقادي أن خير نظام يحسن إدخاله الآن هو نظام التسليف القائم على مبادئ التعاون » ، وقال في خطبته التي ألقاها في ٢ مايو سنة ١٩١١ ، أي بعد أكثر من سنتين من خطبته السابقة : « إذا كان المصريون غير قادرين اليوم أو ليسوا موفقين اليوم إلى إنشاء مصرف عام فعلى الأقل يجب عليهم أن يقوموا بتأسيس النقابات وبنوك التعاون الصغيرة ليخلصوا على الأقل من شر المرابين » ، وأخرج المرحوم طلعت حرب في نوفمبر سنة ١٩١١ كتاباً عن ( علاج مصر الاقتصادية ومشروع بنك المصريين أو بنك الأمة ) ، دعا فيه إلى إنشاء البنك الوطني ، ولكن دعوته لم تتحقق في ذلك الحين ، ولم يكن طلعت حرب لتعوزه المهمة والعزيمة والسكافية اللازمة لتحقيقها ، ولكنه لم يجد من الأمة في سنة ١٩١١ ، من الاستعداد لتأييد دعوته ، مثلما وجد في سنة ١٩٢٠ ، أو بعبارة أخرى : إن الدعوة إلى تأسيس البنك الوطني لم تلتق من مناصرة الأمة قبل الثورة ، ما لقيته بعد الثورة ، وهذا ولا شك مرجعه إلى أن الروح العامة للثورة قد بعثت في النفوس قوة معنوية كفلت نجاح الدعوة إلى تأسيس بنك مصر

## الثورة والنهضة الاجتماعية

كانت النهضة الاجتماعية في مصر قبل الحرب العالمية الأولى من أسباب الثورة ، كما أوضحنا ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، ومن الحق أن نقول أيضاً إن الثورة كان لها أثرها في تطور هذه النهضة ، وازدياد عناصر النشاط فيها ، إذ أخذت طبقات المجتمع ، تحت تأثير الثورة ، تسلك مرحلة جديدة من مراحل العمل والنهوض ، وأول ظاهرة لهذا التطور ذبوع الروح الرياضية في الشباب وغير الشباب ، وكانت من قبل محصورة في أضيق دائرة ، فبدأ الشباب ومن إليهم يؤلفون الجماعات والنوادي الرياضية ، وتألقت فرق الكشافة المصرية في المدن والأقاليم ، وتأسست في أبريل سنة ١٩٢٠ جمعية الكشافة الأهلية لضم فرق الكشافة والتشجيع على إنشاء فرق جديدة وتنظيمها ، فنمو الروح الرياضية كان نتيجة للروح التي أوجدتها الثورة في النفوس

وكان للثورة أثرها في النهضة النسائية ، فإن اعتياد السيدات تأليف المظاهرات ، وإلقاءهن الخطب في المجتمعات ، وتأليفهن الجمعيات ، ونشر آرائهن وأبحاثهن في الصحف والمجلات ، ومساهمتهن في تطور الحوادث عامة ، واضطلاعهن بأعمال البر والإحسان ، وبخاصة التي يقصد منها النهوض بالطبقات الشعبية ، كل هذه العوامل قد أفادت من الثورة ، حقاً إن بعضها كان سابقاً عليها ، ولكن الثورة كان لها أثرها في إبرازها واتساع مداها

وكذلك كان للثورة أثر فعال في النهضة التعاونية ، والنهضة العمالية ، فقد ركزت الحركة التعاونية خلال الحرب العظمى الأولى ، ولكنها بعثت بعثاً جديداً في أعقاب الثورة ، فازدادت جمعياتها ، واتجهت أفكار المتعاونين وعزائمهم إلى استئناف نشاطهم ، ولما اشتد الغلاء اتجهت الحركة التعاونية إلى مكافحة الغلاء بالتعاون ، وبخاصة بين الطبقات الفقيرة والمتوسطة اليسار ، فأخذ التعاون شكلاً اجتماعياً إنسانياً بتأسيس جمعيات التموين الخيرية التي قامت على المبادئ التعاونية ، وانتشرت هذه الجمعيات سنة ١٩٢٠ في العواصم

والمدن والقرى ، وكان لها فضل كبير في مكافحة الغلاء وتيسير حصول الطبقات الفقيرة على حاجاتها بأسعار معتدلة ، واستأنف التعاون نشاطه في الريف والحضر

ونشطت الحركة العمالية خلال الثورة وفي أعقابها ، فازداد شعور العمال بالتضامن لتحسين حالتهم ، والمطالبة بحقوقهم ، وترقية شئونهم ، وكثرت مطالب العمال في مختلف جهات العمل ، فألفت الحكومة في أغسطس سنة ١٩١٩ لجنة للتوفيق بين العمال وأصحاب العمل للنظر في هذه المطالب ، وحل ما ينشأ من خلاف على أجور وساعات العمل وشروطه وتعددت نقابات العمال ، بحيث لم يكن يمر وقت إلا ونسمع بين حين وآخر نبأ تأليف نقابة جديدة لهم ، فكانت سنة ١٩١٩ و ١٩٢٠ بعثاً جديداً للنهضة العمالية ، وسرت الروح النقابية إلى طوائف أخرى ، كالمعلمين والخبراء والصحف والأطباء ، والتجار ، وبعض الموظفين ، فشرعوا من ذلك الحين في تأسيس نقابات لهم

فروح الثورة قد طافت بالمجتمع ، على اختلاف طبقاته وبيئاته ، واستثارت فيها عوامل الوعي والتقدم ، بما أشاعت في النفوس كافة من التطلع إلى المثل العليا ، وتحقيق ما يجيش بها من أمان وآمال ، وظهرت هذه الروح أكثر ما ظهرت في الطبقات الشعبية ، ولا غرو فهي التي احتملت أكبر قسط من أعباء الثورة وتضحياتها ، فكان من حقها أن تساهم في الحياة العامة بأكثر مما كان لها من قبل

وصفوة القول ، إن ثورة سنة ١٩١٩ تعد بحق من الثورات الناجحة في تاريخ الحركات القومية ، وقد ظهر نجاحها في شتى النواحي السياسية والمعنوية والاقتصادية والاجتماعية ، ومن حق الأمة المصرية أن تفخر بهذه الثورة

## وثائق تاريخية

### عهود إنجلترا باحترام استقلال مصر

ووعودها بالجلاء<sup>(١)</sup> ( انظر ص ١٢٤ )

نذكر فيما يلي أهم عهود الإنجليز المتكررة باحترام استقلال مصر ووعودهم العديدة بالجلاء:

١ - تصريح السير هنرى اليوت Henry Elliott سفير إنجلترا فى الاستانة للسلطان

سنة ١٨٧٣ ( مجموعة الفرمانات السلطانية لمصر سنة ١٨٨٢ ص ٣١ )

« ليس فى إنجلترا حرب له أقل رغبة فى الاستيلاء على مصر »

٢ - تصريح السير إدوار مالت Edward Malet قنصل إنجلترا العام فى مصر

للسلطان فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٨١ (الكتاب الأزرق ٩ سبتمبر - ١٤ أكتوبر سنة ١٨٨١)

« إن حكومة جلالة الملكة لا ترمى إلا للاحتفاظ بسيادة الباب العالى وبمحموق الخديو ،

وهى لا ترغب فى احتلال مصر ولا ضمها »

٣ - تلغراف اللورد جرانفيل Granville وزير خارجية إنجلترا إلى السير إدوار مالت

فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ ( الكتاب الأزرق السابق والجريدة الرسمية - الوقائع المصرية -

فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨١ )

« ليس لحكومة جلالة الملكة غرض سوى سعادة مصر وتمتعها بكامل حريتها التى

نالها الخديو بموجب الفرمانات العديدة وباستقلالها الإدارى الذى ضمنه السلطان لها ، وان

إنجلترا لتناقض أعز تقاليد تاريخها القومى إذا هى رغبت فى انتقاص هذه الحرية ، وإن

العلاقة التى تربط مصر بالباب العالى تعد ضمانة كبرى ضد كل تدخل أجنبى ، فإذا قطعت

هذه العلاقة أصبحت مصر فى مستقبل قريب معرضة لخطر أطماع المتنافسين »

(١) نشرنا فى كتاب «مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال» ص ٢٤٣ ، ونعيد نشرها هنا

٤ — تصريح اللورد جرانفيل إلى موزوروس باشا سفير تركيا في لندن في ٤ أكتوبر سنة ١٨٨١ (الكتاب الأزرق لسنة ١٨٨١)

بالرغم من جميع الإشاعات والشكوك ليس لنا أية رغبة في أن نعمل لاحتلال مصر أو ضمها وإنما نحن نرغب في الاحتفاظ بالحالة الحاضرة وبحقوق السلطان «

٥ — تصريح اللورد جرانفيل لسفير روسيا في لندن في ١٩ أكتوبر سنة ١٨٨١ (الكتاب الأزرق لسنة ١٨٨١)

« ليس لحكومة جلالة الملكة مطمع شخصي وإنما غرضها الاحتفاظ بالحالة الحاضرة «

٦ — تصريح اللورد دفرين Dufferin سفير إنجلترا في الاستانة للسلطان في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ (الكتاب الأزرق لسنة ١٨٨١)

« لقد صرحت للسلطان أن إنجلترا بعيدة عن أن يكون لها مطامع في مصر ، فإن غرضها الوحيد هو الاحتفاظ فيها بالحالة الحاضرة ، والرأي العام في إنجلترا يجمع على هذه السياسة ، وقد ضفت إلى ذلك أني لأجهل أن السلطان يرتاب في نياتنا ، وإن من الأسف العظيم أن يتولاه مثل هذا الخوف الخيالي «

٧ — تلغراف اللورد جرانفيل إلى اللورد ليونس Lyons سفير إنجلترا في باريس في ٣ يناير سنة ١٨٨٢ (الكتاب الأزرق ٥ نوفمبر سنة ١٨٨١ — ٦ نوفمبر سنة ١٨٨٢)

« إن لدى الحكومة البريطانية اعتراضات قوية ضد احتلال إنجلترا مصر لأنه يثير مقاومة مصر وتركيا ، وإن التدخل التركي أو تدخل الدول هو خير الوسائل لتسوية المسألة «

٨ — تصريح اللورد ليونس إلى المسيو دي فريسينييه رئيس الوزارة الفرنسية في ٢ فبراير سنة ١٨٨٢ (الكتاب الأصفر سنة ١٨٨٢)

« إن حكومة جلالة الملكة تمتت كل تدخل حربي في مصر «

٩ — تصريح الملكة فيكتوريا في خطبة العرش يوم ٧ فبراير سنة ١٨٨٢

« سأبذل كل مالدي من نفوذ للاحتفاظ بالحقوق التي قررتها الفرمانات والاتفاقات

الدولية بما يكفل إدارة البلاد (مصر) إدارة حسنة مع ترقية نظاماتها «

١٠ — تصريح اللورد جرانفيل إلى المسيو تيسو Tissot في ٢٠ مارس سنة ١٨٨٢  
(الكتاب الأزرق والكتاب الأصفر سنة ١٨٨٢)

« إن الحكومة الإنجليزية متفقة مع الحكومة الفرنسية على اجتناب التدخل الفعلي  
في مصر أو احتلالها حربيا »

١١ — ميثاق النزاهة الموقع عليه يوم ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٢ بالاستانة من سفراء إنجلترا  
وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر والروسيا وإيطاليا (الكتاب الأصفر سنة ١٨٨٢)

« تتعهد الحكومات التي توقع مندوبوها على هذا القرار بأنها في كل اتفاق يحصل  
بشأن تسوية المسألة المصرية لا تبحث عن احتلال أي جزء من أراضي مصر ، ولا الحصول  
على امتياز خاص بها ، ولا على نيل امتياز تجاري لرعاياها لا يخول لرعايا الحكومات الأخرى »  
١٢ — منشور اللورد جرانفيل إلى الدول في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢ (الكتاب الأزرق  
لسنة ١٨٨٢)

« إن عمل الأميرال سيمور سيقصر على الدفاع الشرعي دون أن يكون للحكومة  
الإنجليزية غرض مستتر »

١٣ — تلغراف اللورد جرانفيل إلى اللورد دفرين سفير إنجلترا بالاستانة في ١١ يولييه  
سنة ١٨٨٢ (الكتاب الأزرق سنة ١٨٨٢)

« إن إنجلترا لا تسعى في مصر وراء غرض شخصي لا يتفق مع مصالح أوروبا ولا وراء  
غرض ينافي مصالح الشعب المصري »

١٤ — تصريح السير شالس ديلك Charles Dilke وكيل وزارة الخارجية البريطانية  
إلى المسيو تيسو Tissot في ١٨ يولييه سنة ١٨٨٢ (الكتاب الأزرق لسنة ١٨٨٢)  
« إن الجنود التي نزلت إلى البر تكون مهمتها الوحيدة الاحتفاظ بالأمن في  
الإسكندرية »

١٥ — تصريح المستر جلاستون Gladstone رئيس الوزارة البريطانية في مجلس  
العموم يوم ٢٤ يولييه سنة ١٨٨٢ (الكتاب الأزرق لسنة ١٨٨٢)

« ليس لبريطانيا العظمى مطامع في مصر ، وهي لم ترسل الجنود إليها إلا لإعادة الأمن فيها ، ولكي ترجع للخديو سلطته التي فقدتها ، وهي تنوى بكل تحقيق أن تعرض على الاتفاق الأوروبي تسوية المسألة المصرية تسوية نهائية »

١٦ — تصريح السير شارلس ديلاك في مجلس العموم يوم ٢٥ يوليه سنة ١٨٨٢ :

« إن رغبة حكومة جلالة الملكة هي أن تترك المصريين وشأنهم بعد تحرير مصر من الطغيان العسكري ، ونحن على يقين أنه خير لإنجلترا ولمصر أن تقوم في مصر حكومة حرة لا حكومة مستبدة ، نحن لا نريد أن نلزم مصر بنظم نختارها لها ، بل نريد أن ندعها تختار ما تشاء ، وإن الشرف ليقضى علينا أن نحترم النظم الحرة التي نفخر بها »

١٧ — خطاب الأميرال سيمور إلى الخديو توفيق في ٢٦ يوليه سنة ١٨٨٢ :

« أنا أميرال الأسطول البريطاني أرى الفرصة سانحة لأسارع إلى التأكيد لسموكم بأن حكومة بريطانيا العظمى لا تنوى مطلقاً فتح مصر ولا التعرض لدين المصريين ولا لحرمتهم بحال ، وإن غرضها الوحيد أن تحمي سموكم والمصريين من العصاة »

١٨ — تصريح المستر جلادستون في مجلس العموم يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨٨٢

« ليس في نيتنا مطلقاً أن نحمل مصر ، وإذا كان هناك شيء لا نقدم عليه فهو ذلك الاحتلال ، لأن فيه مناقضة تامة للمبادئ التي أعلنتها حكومة جلالة الملكة ، وللوعود التي وعدتها أوروبا واسياسة أوروبا بنفسها »

١٩ — منشور الجنرال ولسلي قائد الحملة البريطانية إلى المصريين في ١٩ أغسطس سنة

١٨٨٢ ( الوقائع المصرية عدد ٢١ سبتمبر سنة ١٨٨٢ )

« يعلن الجنرال قائد الجيوش الإنجليزية بأن مقاصد الدولة البريطانية في إرسالها تجريدة عسكرية إلى القطر المصري ليست إلا لتأييد سلطة الحضرة الخديوية ، وعساكرنا يحاربون فقط الحاملين السلاح ضد سموه »

٢٠ — منشور اللورد جرانفيل وزير الخارجية للسفراء في أغسطس سنة ١٨٨٢ :

« يجب على سفراء الملكة في الخارج أن يؤكدوا لجميع الحكومات عدم وجود مطامع

شخصية لإنجلترا ، وان الحكومة الإنجليزية مصممة على أن لا تسوى مسألة مصر وقناة السويس بدون اشتراك الدول «

٢١ - تصريح اللورد دفرين لسعيد باشا في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٨٢  
« لا ضرورة لإرسال جنود تركية إلى مصر لأن حكومة جلالة الملكة تتأهب لاستدعاء جزء من جنودها «

٢٢ - تصريح اللورد جرانفيل وزير الخارجية للجنرال مينابرى في سبتمبر سنة ١٨٨٢  
« إن إنجلترا لا ترمي إلى بسط حمايتها على مصر أو إرغام أحد على الخضوع لإرادتها «  
٢٣ - تصريح المستر دودسون Codson في خطابه بسكر برو Scarborough يوم ١١ أكتوبر سنة ١٨٨٢

« ليس لإنجلترا نية البقاء في مصر يوماً واحداً أكثر مما تقتضيه الضرورة وهي تؤمل أن تعود الحكومة الأهلية بعد قريب ولا حاجة لإنجلترا في بسط سيادتها على مصر ولا في ضمها وإنما هي ترغب في أن تعيد مصر للمصريين «

٢٤ - تصريح جلادستون رئيس الوزارة في مجلس العموم يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٢  
« انقص عدد الجنود البريطانية إلى ١٢ ألفاً منذ ٤ نوفمبر وليس الاحتلال إلا وقتياً وستضع الحكومة الإنجليزية شروطه عن قريب بالاتفاق مع الحكومة المصرية «

٢٥ - خطبة المستر تشمبرلين في ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٢  
« إني لا أضيع وقتي في تكذيب ما ينسبونه للحكومة من أنها تنوى بسط حمايتها الدائمة على مصر لأن مثل هذا العمل يسبب الأسف الشديد لخلفنا إذ به نكون قد أوجدنا أيرلندا جديدة في الشرق ، ولا ريب في أننا سنجلو عن مصر متى استتب النظام فيها ، وإننا لانرغب سوى أن نضمن لمصر الأمن والسعادة والاستقلال «

٢٦ - تصريح الملكة فيكتوريا في خطاب العرش يوم ١٥ فبراير سنة ١٨٨٣  
« سنحترم كل الالتزامات الدولية في مصر «

٢٧ - تصريح جلادستون رئيس الوزارة في مجلس العموم يوم ٥ مارس سنة ١٨٨٣ :



« إننا لانظيل أجل احتلال مصر إلى ما بعد الوقت الذي تقضى فيه الضرورة بوجود الجنود بها ، ولا ريب أن هناك أمماً أخرى لها من الحقوق والمصالح ما لإنجلترا في مصر ، والحكومة الإنجليزية لاتعترف بمصالح انجليزية منفصلة عن المصالح العامة التي للأمم المتحضرة»

٢٨ — تصريح جلادستون في مجلس العموم يوم ٦ أغسطس سنة ١٨٨٣ :

« لم تنس حكومة جلالة الملكة وعودها ، ولن تبقى الجنود البريطانية بوادي النيل يوماً واحداً أكثر مما تقتضيه الضرورة »

٢٩ — تصريح جلادستون في خطبته بوليمية محافظ لندن يوم ٨ أغسطس سنة ١٨٨٣ :

« لم نذهب إلى مصر لأغراض أنانية ، وإن رغبتنا الوحيدة هي تعجيل الإصلاح في مصر ، وعند تمام هذا الإصلاح سنرحل عنها »

٣٠ — تصريح جلادسون رئيس الوزارة في مجلس العموم يوم ٩ أغسطس سنة ١٨٨٣ :

« إن الحكومة الإنجليزية لم تفكر في ضم مصر لأن هذا العمل يمس شرف إنجلترا »

٣١ — تصريح السير شارلس ديلاك وكيل وزارة الخارجية في مجلس العموم يوم

٩ أغسطس سنة ١٨٨٣ :

« إن حكومة جلالة الملكة معارضة في ضم مصر وفي كل ما يشبه هذا الضم احتفاظاً بعهودها وصيانة لمصالح إنجلترا »

٣٢ — تصريح السير وليم هر كور William Harcourt في ١٥ ابريل سنة ١٨٨٤ :

« ان إنجلترا لاتنوي ضم مصر مطلقاً ولا تعترف لنفسها بأى حق في هذا العمل الذي يعدّ وسيلة غير سياسية ، لقد كان ضم قبرص مما يؤسف له ، فلا ضم ولا حماية ، بل إننا سنجلب عن مصر متى استتب الأمن والهدوء فيها »

٣٣ — تصريح اللورد حرانفيل وزير الخارجية للسيو وادنجتون في ١٦ يونيه سنة ١٨٨٤

( انظر الكتاب الأصفر لسنة ١٨٨٤ ) :

« تتعهد حكومة جلالة الملكة بأن تسحب جنودها في بدء سنة ١٨٨٨ بشرط أن ترى

الدول وقتئذ أن الجلاء يمكن أن يتم بدون تعكير السلام والأمن في مصر »

٣٤ — تصريح جلادستون رئيس الوزارة في مجلس العموم يوم ٢٣ يونيه سنة ١٨٨٤ :  
« نتعهد أن لانظيل احتلالنا الحربى لمصر إلى ما بعد أول يناير سنة ١٨٨٨ إذا كانت  
الدول يومئذ تصرح أن حالة البلاد تسمح برحيلنا بدون تعكير الأمن في مصر ، ولا جرم  
أنا إذا كنا ننوى عرقلة عمل الدول بمقاومتنا عندما يحين وقت تنفيذ ماتعهدنا به ، فلن  
يصبح لبلادنا شرف يتكلم به أحد »

٣٥ — تصريح اللورد جرانفيل وزير الخارجية في مجلس اللوردات يوم ٢٣ يونيه  
سنة ١٨٨٤ :

« مثل التصريح السابق »

٣٦ — تصريح اللورد جرانفيل وزير الخارجية لحسن فهمى باشا في ٨ فبراير سنة ١٨٨٥  
( انظر الكتاب الأزرق لسنة ١٨٨٥ ) :

« تنوى الحكومة الإنجليزية نية صريحة أن تنسحب من مصر لأسباب سياسية ومالية »

٣٧ — تصريح جلادستون رئيس الوزارة في مجلس العموم يوم ١٥ فبراير سنة ١٨٨٥ :

« الحكومة مصممة على أن لا تبقى في السودان يوماً واحداً ، أكثر مما تقتضى به الضرورة »

٣٨ — تصريح اللورد كمبرى Kimberley وزير الهند في مجلس اللوردات يوم

٢٧ فبراير سنة ١٨٨٥ :

« سنرحل عن مصر يوم أن تتألف فيها حكومة مستقرة ، ولا يمكن لأية حكومة  
بريطانية أن تواجه أوروبا بسياسة أخرى ، وإذا نحن صرحنا باستعدادنا لضم جزء كبير  
من السودان الشرقى فسنضطر إلى إبقاء جيش قوى بالسودان لأغراض لا تتناسب مع ما يستلزم  
ذلك من التضحيات »

٣٩ — تصريح السير ميخائيل بيث Michael Beach وزير المالية في مجلس العموم

يوم ٥ أغسطس سنة ١٨٨٧ :

« ليس في نية انجلترا أن تبقى على الدوام في مصر ؛ وإن الغرض الوحيد للحكومة

جلالة الملكة هو إعداد هذه البلاد للاستقلال »

٤٠ — تصريح جلادستون رئيس الوزارة في منشور انتخابي يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٥ :  
« يجب على إنجلترا أن تنسحب من مصر متى سمح بذلك الشرف البريطاني ، ونحن  
لا نقبل ضمّاً ولا حماية ولا إطالة غير محدودة للاحتلال ، كما أننا نرفض كل فكرة تعويض  
مهما كان نوعه في مقابل الجهود والتضحيات التي بذلناها لليوم ، إن السياسة الإنجليزية  
قائمة على خطأ ، وإن أحسن ما يعمل في مثل هذه الحالة هو أن نضع بسرعة حداً لمثل  
هذا التدخل »

٤١ — تصريح اللورد سالسبرى رئيس الوزارة للسيو وادنجتون في ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٦ :  
« إذا ظننتم أننا نريد البقاء في مصر تكونون مخدوعين ، لأننا لا نبحث إلا عن  
الخروج منها بشرف ونحن مصممون على الجلاء »

٤٢ — تصريح اللورد سالسبرى رئيس الوزارة في خطاب ألقاه في الولاية التي أقامها  
محافظ لندن يوم ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٦ :

« لقد اعترف جميع الوزراء الذين تعاقبوا منذ أربع سنوات أن الاحتلال سينتهي ، وإن  
أقوال أوروبا في هذا الصدد من شأنها أن تمنع تملك مصر بمضى المدة »

٤٣ — تصريح اللورد سالسبرى رئيس الوزارة في مجلس اللوردات في ١٠ يونيه  
سنة ١٨٨٧ :

« لا تستطيع الحكومة الإنجليزية وضع مصر تحت حمايتها ، وذلك بناء على تعهداتها  
السابقة واحتراماً لقواعد القانون الدولي ، وإن مهمتها يجب أن تقف عند الاتفاق مع الباب  
العالي على الدفاع عن الخديو ضد الفتن السياسية ، ولا تتعدى الاحتفاظ بالحالة الحاضرة في  
وادي النيل ، ولقد عقدت اتفاقية في هذا الصدد مع تركيا ، وهي تقضى بأن الاحتلال  
الإنجليزي ينتهي بعد ثلاث سنوات »

٤٤ — تصريح السير هنري درومندولف إلى الصدر الأعظم في سنة ١٨٨٧ (الكتاب  
الأزرق رقم ٢ سنة ١٨٨٧) :

« كذبت الحكومة الإنجليزية كل نية في ضم مصر أو بسط الحماية عليها ، ولقد

نسبوا لاجتراء فكرة أنها تريد احتلال مصر احتلالاً أبدياً ، ولكن هذا يعد خرقاً لتقاليد  
اجتراء السياسة ، ونقضاً لتهدياتها نحو السلطان ، وانتهى كاحرمة القانون الدولي «

٤٥ — تصريح اللورد سالسبرى رئيس الوزارة فى مادة بحافظ لندن يوم ١٠ أغسطس  
سنة ١٨٨٧ :

« إن نتيجة مفاوضات الاستانة<sup>(١)</sup> لا تغير شيئاً من واجبات بريطانيا العظمى «

٤٦ — تصريح السير جيمس فرجسن James Fergusson وكيل وزارة الخارجية  
فى مجلس العموم يوم ١١ أغسطس سنة ١٨٨٧ :

« إن إخفاق المفاوضات الإنجليزية التركية ( مفاوضات درومندولف ) لا يحل قط  
اجتراء من عهودها للدول من احترامها لهذه العهود «

٤٧ — تصريح السير جيمس فرجسن المذكور فى مجلس العموم يوم أول ديسمبر  
سنة ١٨٨٨ :

« لسنا فى سواكن إلا فى مركز الدفاع ، ولا نرمى قط إلى غرض الفتح «

٤٨ — تصريح المستر ستانهورب Stanhops وكيل وزارة الحربية فى مجلس العموم  
يوم أول ديسمبر سنة ١٨٨٨ :

« التصريح السابق «

٤٩ — تصريح و . ه . سميث W. H. Smith وزير الخزانة فى مجلس العموم يوم  
أول ديسمبر سنة ١٨٨٨ :

« يمكننا أن نتوقع فى مستقبل قريب جدا الجلاء عن وادى النيل كله «

٥٠ — تصريح اللورد سالسبرى رئيس الوزارة فى مجلس اللوردات يوم ١٢ أغسطس  
سنة ١٨٨٩ :

---

(١) هى مفاوضات درومندولف بشأن الجلاء . انظر ص ٧٧ من كتابنا ( مصر والسودان فى أوائل  
عهد احتلال )

« لا نستطيع إعلان حمايتنا على مصر ولا إعلان نيتنا بأننا نريد أن نحتلها احتلالاً فعلياً أبدياً ؛ لأن هذا يعد نقضاً لتعهدات إنجلترا الدولية »

٥١ — تصريح اللورد سالسبرى رئيس الوزارة في وليمة محافظ لندن يوم ٩ نوفمبر سنة ١٨٩١ :

« ليس غرضنا الأساسى قطع العلاقة التي تربط مصر بالدولة العلية ، وإنما نحن نرغب في أن نحافظ على مركز مصر الشرعى الحالى ومركزها حيالى الإمبراطورية العثمانية المبين فى المعاهدات والفرمانات ، وإنما نتقدم فى هذا السبيل ونؤمل من صميم أفئدتنا أن ندرك ذلك الغرض قريباً »

٥٢ — تصريح السير شارلس ديلاك وكيل وزارة الخارجية البريطانية سابقاً فى خطابه بمدينة سدن فى ١١ يناير سنة ١٨٩٢ :

« تعهدت إنجلترا بالجلء عن مصر متى قامت فيها حكومة غير مزعزعة ، ولقد حل اليوم وقت الجلاء ، وليس هذا لأننا وعدنا به ، بل لأن مصلحتنا أيضاً تتطلب القيام به ، فإن احتلال مصر هو الذى جر الحكومة إلى التنازل عن هلمجولند والتخلى عن الهوفاس فى مدغشقر ، وتضحية حقوق المستعمرين فى ترنيف »

٥٣ — تصريح اللورد دفرين سفير إنجلترا فى باريس للمسيو دفيل فى ٢٥ يناير سنة ١٨٩٣ :

« إن زياده الحماية الإنجليزية فى مصر لا تدعو إلى أى تعديل فى التأكيدات التى قدمتها حكومة جلالة الملكة فى عدة مواقف بخصوص الجلاء عن مصر ، كما أنها لا تدعو لأى تغيير سياسى »

٥٤ — تصريح اللورد روزبرى وزير الخارجية للمسيو وادنجتن فى ٢٥ يناير سنة ١٨٩٣ :

« مثل التصريح السابق »

٥٥ — تصريح اللورد كمبرى وزير الهند فى مجلس اللوردات فى ٣١ يناير سنة ١٨٩٣ :

« إن إرسال المدد إلى مصر لا يغير بأى حال مركز إنجلترا حيال هذا البلد »

٥٦ — تصريح السير هنرى كبل بانرمان Sir Henry Cambell Bannerman

وزير الحربية لجريدة نيوز وينر في ٩ أكتوبر سنة ١٨٩٤ :

« ليس احتلال مصر إلا وقتياً ، وإنما لا يمكننا البقاء إلى الأبد في مصر إلا إذا تقضنا

تعهداتنا الرسمية وجعلنا أنفسنا محتقرين في نظر أوروبا »

٥٧ — تصريح السير شارلس ديلك وكيل وزارة الخارجية السابق في محاضراته التي

ألقاها يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٨٩٥ :

« الاحتلال الإنجليزي مصدر ضعف لإنجلترا ، وحيث أننا لا نرى أية مصلحة في

البقاء بمصر فلا يوجد سبب يمنع جلاءنا عن هذا البلد »

٥٨ — تصريح المستر جلادستون في خطابه الذي أرسله إلى المرحوم مصطفى كامل

في ١٤ يناير سنة ١٨٩٦ ( انظر كتاب مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ص ٥٧ من

الطبعة الأولى و ٥١ من الطبعة الثانية ) :

« إن زمن الجلاء على ما أعلم قد وافي منذ سنين »

٥٩ — تصريح اللورد سالسبرى رئيس الوزارة في مجلس اللوردات يوم ٦ فبراير

سنة ١٨٩٩ :

« ليس في نيتنا مطلقاً أن ننازع حليفنا الحديو حقوقه ، ولا أن نرتكب حياله أى

عمل ظالم »

\* \* \*

معاهدة الاستانة — ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨

المعقودة بين إنجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا والروسيا وتركيا وأسبانيا

وهولندا . والمقررة والمنظمة لحياة قناة السويس ( انظر ص ٩٠ و ١٥٥ )

المادة « — تكون الملاحة حرة في قناة السويس البحرية ، وتباح الملاحة فيها وقت

الحرب ووقت السلم على السواء لجميع السفن التجارية أو الحربية ، دون تمييز بين الدول ولهذا فإن الدول المتعاقدة تتعهد بأن لا تعرقل بأية طريقة حرية استعمال القناة في وقت الحرب أو في وقت السلم ، ولا تخضع القناة مطلقاً للحصر البحري

المادة ٢ — تعترف الدول المتعاقدة بأهمية ترعة المياه العذبة للقناة البحرية ، ومن ثم تقر تعهدات الجناب الخديوي مع شركة قناة السويس العمومية ، فيما يختص بترعة المياه العذبة ، تلك التعهدات المنصوص عنها في الاتفاق المؤرخ في ١٨ مارس سنة ١٨٦٣ ، والتي تتكون من مقدمة وأربع مواد

وتتعهد الدول أن لا تمس سلامة هذه الترعة أو أحد فروعها بحيث تبقى بآمن من أى شروع في ردمها

المادة ٣ — تتعهد الدول المتعاقدة أيضاً بأن لا تعرض بسوء للمهمات أو المباني أو المنشآت أو سائر متعلقات القناة البحرية أو ترعة المياه العذبة

المادة ٤ — بما أن القناة تبقى مفتوحة وقت الحرب ، وتباح حرية الملاحة فيها حتى للبوارج الحربية التابعة للدول المحاربة ، حسب نص المادة الأولى من هذه المعاهدة ، فإن الدول المتعاقدة تتعهد بعدم استعمال أى حق للحرب وعدم القيام بأى عمل عدائى ، أو أى عمل من شأنه أن يعوق حرية الملاحة في القناة ، أو في أحد موانئها وفي منطقة ثلاثة أميال بحرية من هذه الموانئ ، حتى ولو كانت السلطنة العثمانية هي إحدى الدول المحاربة

وليس للبوارج الحربية التابعة للدول المحاربة أن تمتاز في القناة أو في أحد موانئها إلا في حدود ما تقتضيه الضرورة ، وعليها أن تجتاز القناة بأسرع ما يمكن بحسب اللوائح المعمول بها ، وبدون أن تقف بها إلا بما تقتضيه ضرورات خدمة السفينة ، ويجب أن لا تتعدى مدة إقامتها في بور سعيد أو في ميناء السويس مدة أربع وعشرين ساعة ، إلا في الأحوال القهرية ، وفي مثل هذه الحالة يجب أن تغلق هذه السفن في أقرب وقت ممكن ، ويجب في حالة مرور عدة سفن حربية معادية في القناة أن تمر أربع وعشرون ساعة بين خروج إحدى هذه السفن من الميناء وبين إنقلاع سفينة معادية لها من نفس الميناء

المادة ٥ - لا يجوز في وقت الحرب للدول المحاربة أن تنزل في القناة وموانئها ، أو تنقل منها جنوداً أو ذخائر أو مهمات حربية ، ولكن عندما تعترض السفن عوائق مفاجئة في القناة تعوق سيرها ، فإنه يمكن إنزال أو نقل جماعات مجزأة من الجند في القناة وموانئها ، بشرط أن لا تزيد كل جماعة منها على ١٠٠٠ رجل مع ما يناسب هذا العدد من مهمات الحرب

المادة ٦ - تخضع غنائم الحرب للنظام المتبع في هذا الصدد بالنسبة للسفن الحربية للدول المحاربة

المادة ٧ - لا يجوز للدول أن تبقى أية بارجة حربية لها في مياه القناة ويدخل فيها بحيرة التمساح والبحيرات المرة

ومع ذلك فإن الدول تستطيع أن تبقى في مينائى بور سعيد والسويس بوارج بشرط أن لا يزيد عددها على اثنتين لكل دولة ، ولا يخول هذا الحق للدول المحاربة

المادة ٨ - يعهد لممثلى الدول الموقعة على هذه المعاهدة في مصر ملاحظة تنفيذ أحكامها ، وفي كل الأحوال التي تصبح فيها سلامة القناة أو حرية الملاحة فيها مهددة يجتمع هؤلاء الممثلون بناء على دعوة ثلاثة منهم وتحت رئاسة عميدهم لاتخاذ الملاحظات والمعائنات اللازمة ، وعليهم أن يحيطوا الحكومة المصرية علماً بالخطر الذى لاحظوه ، لكي تتخذ هي الوسائل التي تكفل حماية القناة وضمان حرية الملاحة فيها

وعلى كل حال فعليهم أن يعقدوا اجتماعاً مرة في كل سنة ، ليتأكدوا من حسن تنفيذ هذه المعاهدة ، وتعقد هذه الاجتماعات السنوية برئاسة مندوب خاص تعينه لهذا الغرض حكومة السلطنة العثمانية ، ويمكن أن يحضر هذه الاجتماعات مندوب من قبل الخديو ، وله أن يرأسها في حالة غياب المندوب العثمانى

ويحق لهؤلاء الممثلين أن يطلبوا إزالة أى بناء أو تفريق أى حشد على إحدى ضفتى القناة ، يكون الغرض منه أو تكون نتيجته عرقلة حرية الملاحة وسلامتها في القناة



المادة ٩ — تتخذ الحكومة المصرية الوسائل الكفيلة باحترام تنفيذ هذه المعاهدة ، وذلك في حدود سلطتها المخولة لها بموجب الفرمانات ، وعلى النحو المقرر في هذه المعاهدة وفي حالة ما إذا لم يكن لدى الحكومة المصرية الوسائل الكافية لذلك ، فعليها أن تطلب معارضة الحكومة العثمانية التي عليها أن تتخذ الوسائل لتلبية هذا الطلب ، وتخبر بذلك الدول الموقعة على تصريح لندن المعهود في ١٧ مارس سنة ١٨٨٥<sup>(١)</sup> وتبادل الرأي معها عند اللزوم في هذا الموضوع

ولا تمنع نصوص المواد ٤ و ٥ و ٧ و ٨ ومن الإجراءات التي يمكن اتخاذها تنفيذاً لهذه المادة

المادة ١٠ — وكذلك فإن نصوص المواد ٤ و ٥ و ٧ و ٨ لا تمنع من اتخاذ الوسائل التي يرى جلالته السلطان وسمو الخديو في حدود الفرمانات المخولة له ضرورة اتخاذها لضمان الدفاع بقواتها الذاتية عن مصر أو حفظ النظام العام فيها وفي هذه الحالة تحيط الحكومة العثمانية الدول الموقعة على تصريح لندن علماً بذلك ومن المتفق عليه أيضاً أن نصوص المواد الأربع سالفه الذكر لا تمنع بحال ما الوسائل التي تراها الحكومة العثمانية ضرورية لتأمين الدفاع بقواتها الذاتية عن ممتلكاتها الواقعة على الشاطئ<sup>\*</sup> الشرقى للبحر الأحمر

المادة ١١ — إن الوسائل التي تتخذ بمقتضى نصوص المادتين ٩ و ١٠ من هذه المعاهدة يجب أن لا تعرقل حرية الملاحة في القناة وفي هذه الأحوال فإنه يبقى محظوراً إقامة الحصون الدائمة التي تقام على خلاف نص المادة الثامنة من هذه المعاهدة

المادة ١٢ — تتمتع الدول المتعاقدة بأنها تطبيقاً لمبدأ المساواة في حرية الملاحة في القناة الذي يعتبر ركناً هاماً من أركان هذه المعاهدة بأن لا تسعى إحداها للحصول على منافع

(١) انظر كتاب ( مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ) ص ٢٣٩

إقليمية أو تجارية أو امتيازات في الاتفاقات الدولية التي قد تعقد فيما بعد ، خاصة بالقناة ، مع الاحتفاظ للدولة العثمانية بحقوقها الإقليمية

المادة ١٣ — فيما عدا الالتزامات الموضحة صراحة في نصوص هذه المعاهدة فلا تمس حقوق جلالة السلطان ولا الحقوق والحصانات والضمانات التي لسمو الخديو بمقتضى فرمانات

المادة ١٤ — تتفق الدول المتعاقدة على أن التعهدات المنصوص عليها في هذه المعاهدة لا تكون موقوتة بالمدة المقررة لامتياز شركة قناة السويس

المادة ١٥ — شروط هذه المعاهدة لا تمتع من اتخاذ الوسائل الصحية المعمول بها في القطر المصرى

المادة ١٦ — تتعهد الدول المتعاقدة بأن تحيط الدول التي لم توقع على هذه المعاهدة علماً بأحكامها ، وأن تسمى لديها للموافقة عليها

المادة ١٧ — يحصل التصديق على هذه المعاهدة وتبادل التصديقات في الاستانة في مدة شهر أو أقل من ذلك إذا أمكن

### النصوص الخاصة بمصر

في معاهدة لوزان المعقودة بين تركيا وأنجلترا وحلفائهما في ٢٤ يولييه سنة ١٩٢٣ ( انظر ص ٩٠ )

المادة ١٧ — يسرى مفعول تنازل تركيا عن كل حقوقها على مصر والسودان من ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤

المادة ١٨ — صارت تركيا محررة من كل تعهداتها الخاصة بالقروض العثمانية المضمونة بالجزية المصرية ، وهي القروض المعقودة في سنوات ١٨٥٥؛ ١٨٩١ و ١٨٩٤ وصارت المدفوعات السنوية التي تدفعها مصر لوفاء هذه القروض الثلاثة جزءاً من مدفوعات الدين المصرى العام ، وصارت مصر محررة من كافة التعهدات الأخرى المتعلقة بالديون العثمانية

المادة ١٩ — إن المسائل الناتجة عن الاعتراف بالدول المصرية التي لا تسرى عليها الأحكام الخاصة بالأملاك المنسلخه من تركيا بمقتضى هذه المعاهدة ستسوى فيما بعد باتفاقات بين الدول صاحبات الشأن في الظروف التي تعينها

المادة ٩٩ — ابتداء من نفاذ هذه المعاهدة و بدون مساس بالنصوص الواردة فيها تنفذ من جديد المعاهدات والاتفاقات التي لها صبغة اقتصادية أو فنية الميينة فيما يلي بين تركيا والدول المتعاقدة فيها :

. . . . .

(٦) معاهدة الاستانة المعقودة في ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ الخاصة بوضع نظام لحرية الملاحة في قناة السويس مع التحفظ الوارد في المادة ١٩ من المعاهدة الحالية

## فهرست الجزء الثانى

### الفصل التاسع

#### ٣ مهادنة الثورة

٥ ... ..	مظاهرات الفرح والابتهاج	٣ ... ..	الإفراج عن سعد وصحبه
٦ ... ..	مظاهرة ٨ أبريل الكبرى	٣ ... ..	منشور السلطان إلى الأمة
٧ ... ..	الاعتداء على المتظاهرين		منشور الجنرال أللنبى بالإفراج عن سعد
٨ ... ..	تأليف وزارة رشدى باشا الرابعة	٥ ... ..	وصحبه

### الفصل العاشر

#### ١٠ استمرار الثورة

٢٢ ... ..	عودة الحمامين	١٠ ... ..	استمرار الثورة
٢٣ ... ..	عودة عمال العنابر	١١ ... ..	استمرار اعتداء الجنود الإنجليز
٢٣ ... ..	اعتراف الرئيس ويلسن بالحماية	١٣ ... ..	سفر الوفد إلى باريس
٢٥ ... ..	تحويل وكلاء الوزارات سلطة الوزراء	١٣ ... ..	الموظفون ووزارة رشدى باشا
	استمرار إضراب الطلبة وإنذار الجنرال	١٦ ... ..	مؤتمر عام لتأييد الموظفين
٢٦ ... ..	أللنبى	١٧ ... ..	استقالة وزارة رشدى باشا
٢٧ ... ..	عيد جلوس ملك بريطانيا	١٨ ... ..	عودة الموظفين إلى العمل
٢٧ ... ..	تفريق الاجتماع فى المقاهى	١٩ ... ..	إنذار الجنرال اللنبى للموظفين
٢٨ ... ..	إصلاح السكك الحديدية	٢٠ ... ..	قرار لجنة الموظفين بالعودة إلى العمل

صفحة	صفحة
٤٦ ... .. امضاء معاهدة الصلح	٢٨ ... .. إعادة البريد
٤٧ ... .. إيقاف الحاكم العسكرية	٢٨ ... .. اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية
٤٨ ... .. إلغاء الرقابة على الصحف	٢٩ ... .. النصوص الخاصة بمصر في معاهدة فرساي
٥٠ ... .. الاعتداء على محمد سعيد باشا	... .. احتجاج الوفد على اعتراف مؤتمر الصلح
... .. قرار لجنة الشؤون الخارجية بمجلس	٣٠ ... .. بالحماية
٥٠ ... .. الشيوخ الأمريكى في المسألة المصرية	... .. اشتداد الاضطهاد بعد اعتراف المؤتمر
٥١ ... .. احتجاج الحزب الوطنى على الاحتلال	٣٤ ... .. بالحماية
٥٢ ... .. تعديل في هيئة الوفد	٣٥ ... .. خطبة اللورد كيرزون
٥٢ ... .. تأليف لجنة لتعويضات حوادث الثورة	٣٧ ... .. تأليف وزارة محمد سعيد باشا
٥٣ ... .. وفاة زعيم الوطنية « محمد فريد »	٣٨ ... .. كتاب السلطان إلى سعيد باشا
٥٣ ... .. لمحة من تاريخه	٣٨ ... .. جواب سعيد باشا
٥٩ ... .. مذكراته إلى مؤتمر الصلح	٣٩ ... .. الاحتجاج على تأليف وزارة سعيد باشا
... .. مذكرته إلى المؤتمر الدولى الاشتراكى	٤٠ ... .. زواج السلطان فؤاد
٦٠ ... .. في برن	٤٠ ... .. اهتمام الوزارة بإحياء ليالى رمضان
... .. مذكرته إلى المؤتمر الدولى الاشتراكى	٤١ ... .. زيادة رواتب الموظفين
٦١ ... .. في لوسرن	٤٢ ... .. الإفراج عن بعض المعتقلين
٦١ ... .. الفقيه وثورة سنة ١٩١٩	٤٣ ... .. استمرار الاضطهاد
٦٤ ... .. آخر رسالة للفقيه إلى الأمة	٤٤ ... .. النشرات والصحافة السرية
٦٦ ... .. وصول نعى الفقيه إلى مصر	٤٥ ... .. عيد ميلاد ملك بريطانيا
٦٧ ... .. كلمتى في رئائه	٤٥ ... .. إنشاء وزارة المواصلات وتعيينات أخرى
	٤٥ ... .. فرض غرامات على البلاد

الفصل الحادى عشر

٧٠ محاكمات الثورة

٧٨ ... .. قضية فأقوس	٧٠ ... .. قضية ديرمواس
٧٨ ... .. قضية رشيد	٧١ ... .. أسماء المتهمين
٧٩ ... .. قضية قليبوب	٧٣ ... .. الحكم فى القضية
٨٠ ... .. قضايا أخرى	٧٣ ... .. المحكوم عليهم بالإعدام
٨٠ ... .. فى القاهرة	٧٥ ... .. أحكام أخرى فى القضية
٨١ ... .. فى الإسكندرية	٧٥ ... .. قضية مأمور بندر أسيوط
٨٢ ... .. فى الغربية	٧٥ ... .. قضية الواسطى
٨٢ ... .. فى أسيوط والمنيا وبنى سويف	٧٦ ... .. قضية شلش
٨٤ ... .. فى كوم أمبو	٧٦ ... .. قضية صنبيو
٨٤ ... .. قضية عبد الرحمن فهمى بك ومن معه	٧٦ ... .. قضية ملوى
	٧٦ ... .. قضية المنيا

الفصل الثانى عشر

لجنة ملنر

٨٩ والحوادث التى لابستها

٩٣ ... .. فى الإسكندرية	٨٩ ... .. التفكير فى إيفاد اللجنة
٩٧ ... .. قرار مجلس الوزراء بمنع المظاهرات	٩١ ... .. التمهيد لقدم اللجنة
بلاغ دار الحماية عن قدم لجنة ملنر	٩٢ ... .. إعلان تأليف اللجنة
٩٨ ... .. ومهمتها	٩٣ ... .. مظاهرات الاحتجاج على تأليفها

صفحة	صفحة
١١٨ ... ..	جواب الحزب الوطنى — لا مفاوضة إلا
١٢٠ ... ..	بعد الجلاء ... .. ٩٩
١٢١ رأى علماء الأزهر فى الموقف السياسى	١٠٠ ... .. جواب الوفد
١٢٢ ... .. تهديد الطلبة المضربين	١٠١ مظاهرات الاحتجاج على دار الحماية
١٢٢ ... .. بلاغ اللورد ملتر عن مهمته	١٠١ ... .. فى القاهرة
١٢٣ ... .. رد الوفد على بلاغ ملتر	١٠٢ ... .. فى الإسكندرية والمدن الأخرى
١٢٤ ... .. رد الحزب الوطنى	١٠٤ ... .. استقالة وزارة سعيد باشا
١٢٧ ... .. رسالة الأسراء	١٠٥ ... .. تأليف وزارة يوسف وهبه باشا
١٢٨ ... .. مذكرة الأسراء إلى اللورد ملتر	١٠٥ احتجاج الأقباط على تأليف الوزارة
١٢٩ ... .. الاعتداء على الوزراء	١٠٦ ... .. المحامون ولجنة ملتر
١٣١ ... .. رفع معاش الزوا	١٠٦ ... .. اعتقالات جديدة
١٣١ ... .. مولد فاروق	تحذير جديد من التحريض على
١٣٢ ... .. التدخل البريطانى فى وراثة العرش	١٠٧ ... .. المظاهرات
١٣٤ ... .. احتجاج الحزب الوطنى	١٠٧ ... .. خطبة اللورد كيرزون
١٣٦ ... .. احتجاج الوفد	١١٢ ... .. وصول لجنة ملتر
١٣٦ ... .. إعادة الرقابة على الصحف	١١٤ ... .. الاحتجاج على اللجنة ومقاطعتها
١٣٧ ... .. إضراب الصحف احتجاجا على الرقابة	١١٥ ... .. إضراب المحامين
١٣٧ ... .. عودة لجنة ملتر	اجتماع السيدات المصريات بالكتدرائية
١٣٨ ... .. اجتماع الجمعية التشريعية وقراراتها	١١٥ ... .. المرقسية
١٤١ ... .. أسرى عسكري بمنع اجتماع النواب	١١٦ ... .. احتجاج الموظفين
١٤٢ ... .. تغيير فى صيغة خطبة الجمعة	١١٦ ... .. إنذار الصحف
كارثة القطار فى أوديني ووفاة اثني	١١٧ ... .. اقتحام الجنود الإنجليز الأزهر

صفحة	صفحة
١٤٥ ... .. الاعتراف على رئيس الوزارة	١٤٢ ... .. عشر طالبا مصريا
١٤٦ ... .. تصفية أملاك الخديو عباس الثانى	١٤٣ ... .. استقالة وزارة يوسف وهبه باشا
	١٤٤ ... .. تأليف وزارة نسيم باشا الأولى

### الفصل الثالث عشر

#### ١٤٧ مفاوضات ملتر

مشروع ملتر الأخير — ١٨ أغسطس	١٤٩ ... .. سفر الوفد إلى لندن للمفاوضات
سنة ١٩٢٠ ... ..	١٤٩ ... .. المفاوضات
خطاب ملتر إلى عدلى باشا ... ..	ترجمة مشروع المعاهدة الذى قدمه اللورد
نص المشروع ... ..	١٥٠ ... .. ملتر إلى الوفد فى ١٧ يولييه سنة ١٩٢٠
كتاب اللورد ملتر عن السودان ... ..	١٥٢ ... .. مشروع الوفد

### الفصل الرابع عشر

#### استشارة الأمة

#### ١٦٤ فى مشروع ملتر

رأى الدكتور أبوهيف بك ... ..	١٦٥ ... .. بيان سعد إلى الأمة عن مشروع المعاهدة
استئناف المفاوضات ... ..	١٦٧ ... .. خطابه إلى أعضاء الوفد الثلاثة بمصر
التحفظات التى قدمها الوفد ... ..	١٧٠ ... .. نتيجة الاستشارة
مناقشات مجلس اللوردات فى المسألة	١٧٠ ... .. قرار الحزب الوطنى وتقريره
المصرية ... ..	١٧٨ ... .. رأى الأستاذ عبدالعزى زفهمى بك
خطبة اللورد سالسبرى ... ..	١٨١ ... .. بيان الأمراء



صفحة	صفحة
٢٢٠ ... .. قرار الوفد	٢٠٢ ... .. خطبة اللورد كيرزون
٢٢١ ... .. قرار الحزب الوطني	٢١٠ ... .. خطبة اللورد ملنر
٢٢٣ ... .. تقرير اللورد ملنر	٢١٥ ... .. رد على هذه المناقشات
استقالة اللورد ملنر وتصريح المستر	٢١٥ ... .. نصيحة المستر بلنت إلى المصريين
تشرشل بأن مصر جزء من الدائرة	٢١٦ ... .. قطع المفاوضات
الامبراطورية المرنة	٢١٧ ... .. مذكرة لجنة ملنر
٢٢٧ ... .. الاحتجاج على تصريح تشرشل	٢١٨ ... .. رد الوفد
٢٢٧ ... ..	٢٢٠ ... .. سفر الوفد إلى باريس

### الفصل الخامس عشر

٢٢٨	التبليغ البريطاني بأن الحماية علاقة غير مرضية	٢٢٨ ... .. التبليغ البريطاني إلى السلطان فؤاد
٢٣٤ ... .. جواب عدلى باشا	٢٣١ ... .. استقالة وزارة نسيم باشا	٢٣٣ ... .. تأليف وزارة عدلى يكن باشا
٢٣٦ ... .. وزارة الثقة	٢٣٣ ... .. كتاب السلطان إلى عدلى باشا	
٢٤٠ ... .. عودة سعد إلى مصر		

### الفصل السادس عشر

٢٤١	هل نجحت ثورة سنة ١٩١٩؟ وفيما نجحت؟	٢٤١ ... .. قاعدة البحث
٢٥٦ ... .. في الناحية الأخلاقية	٢٤٢ ... .. أثر الثورة في الناحية السياسية	٢٤٦ ... .. في نظام الحكم
٢٥٨ ... .. في الناحية الاقتصادية	٢٥٤ ... .. في الناحية المعنوية	
٢٦٠ ... .. في الناحية الاجتماعية		

وُفَائِي تَارِيخِيَّة

صفحة	صفحة
النصوص الخاصة بمصر في معاهدة	عهد إنجلترا باحترام استقلال مصر
٢٧٦ ... .. ١٩٢٣	٢٦٢ ... ..
لوزان سنة ١٩٢٣	ووعودها بالجلء
٢٧٨ ... ..	٢٧٢ ... ..
فهرست الكتاب	معاهدة الاستانة سنة ١٨٨٨ المقررة
٢٨٥ ... ..	والمنظمة لحياد قناة السويس
فهرست هجائي للكتاب	

## فهرست هجائی للكتاب<sup>(١)</sup>

الرقم الأول يشير إلى الجزء ، والذي يليه إلى الصحيفة ، وبينهما هذه العلامة -

ابراهيم السيد ١ - ٣٢	
ابراهيم السيد ١ - ٢٢٦	
ابراهيم سيد رقى ١ - ٢٦٤	
ابراهيم شاكر ٢ - ٨٣	
ابراهيم شلي ٢ - ٨٢	
الدكتور ابراهيم شوقى ١ - ٢٦٢	
ابراهيم صبحى ١ - ٣٢	
ابراهيم صقر البهى ٢ - ١١٩	
ابراهيم العبد ٢ - ١٤٣	
ابراهيم عبد الهادى } ١ - ٢٠٤	
٢ - ٨٧ ، ٨٦	
ابراهيم عطوة الدالى ١ - ٢٦٤	
ابراهيم على بك ٢ - ١٣٨	
ابراهيم غباشى ١ - ٢١١	
ابراهيم فتحى باشا ١ - ٤٨ ، ٣٤	
الدكتور ابراهيم فهمى النياوى ١ - ٢٦٢	
ابراهيم محمد ١ - ٢٢٥	
ابراهيم محمد العطار ٢ - ٨١	
ابراهيم محمد عطوة ١ - ٢٢٣	
ابراهيم محمد عمر ١ - ٢١٤	
الملازم الأول ابراهيم محمد عمار ١ - ٢٢١	
٢ - ٨٢	
ابراهيم مراد باشا ١ - ٢٥٠	
ابراهيم مروفى ١ - ٣١	
ابراهيم المهدي ابراهيم ١ - ٢٢٣	
ابراهيم نبيه باشا ١ - ٢٥٠	
ابراهيم النقراشى ٢ - ١٢٠	
ابراهيم الهلباوى بك ١ - ١٨٢	
	(١)
	ابراهيم احمد الحلوى ١ - ٢٢٣
	ابراهيم الأقطش ٢ - ٧٩
	ابراهيم إلياهو ٢ - ٨١
	ابراهيم امباني ١ - ٢٢٦
	ابراهيم بدوى ٢ - ٨
	ابراهيم حامد ١ - ١٧٨
	ابراهيم الحديدي ٢ - ١١٩
	ابراهيم حسن حبش ١ - ٢١٣
	ابراهيم حسن مسعود ٢ - ١٤٥
	ابراهيم حليم باشا ١ - ٢١٣
	ابراهيم خشبة ٢ - ١٢
	ابراهيم خليل ٢ - ٤٢
	ابراهيم التسوقى ٢ - ١٢٠
	ابراهيم دسوقى أباطة بك } ١ - ٢٦٩
	٢ - ٢٢
	ابراهيم دسوقى رشدان ١ - ٢٦٣
	ابراهيم الدنف ٢ - ٧٩
	ابراهيم دويدار ٢ - ١٣٩
	ابراهيم رمزى ٢ - ٢٢
	ابراهيم رياض ١ - ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١
	ابراهيم زيان ٢ - ١١٩
	ابراهيم زيدان ١ - ٢١٥
	ابراهيم الزينى ١ - ٢١٣
	ابراهيم باشا سعيد } ١ - ٢٠٤
	٢ - ١٠٧ ، ١٠٦
	١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢٣٦

(١) وضع هذا الفهرست الأديب الشاعر الأستاذ محمد ابراهيم جمعة المدرس الأول بالمدارس الثانوية الأميرية ، فله منى خالص الشكر وموفور الثناء.

- أحمد خضرم بك ٢ — ٤٢  
 أحمد خلوصى ٢ — ١٠٢  
 أحمد خليل ابراهيم ٢ — ٧٣  
 أحمد خليل كرات ٢ — ٧٨  
 أحمد خيرى باشا ١ — ٢٥٠  
 أحمد ذو الفقار باشا ١ — ٣٧ ، ٣٩ ، ١٠٥ ، ١٤٤  
 أحمد رشوان بك ١ — ٢٥٠  
 أحمد بك رمزى ١ — ١٨٠  
 أحمد رمضان ١ — ٢٢٧  
 أحمد رمضان زيان ١ — ٣١  
 أحمد روى ١ — ٢٢٧  
 أحمد زكى باشا ٢ — ١١٩  
 أحمد الزهار ٢ — ٧٩  
 أحمد زيدان المباريدى ٢ — ٦٢  
 أحمد زيور باشا ١ — ٤٨ ، ١٥٤ ، ٢٥٠  
 ١٤٤ ، ١٠٥ ، ٤٥ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٩ — ٢  
 أحمد سابق ١ — ٣٤ }  
 ٢ — ٤٣ }  
 أحمد السرسى ١ — ٢١١  
 أحمد شرف الدين ٢ — ٢١  
 السيد احمد الشريف السنوسى ١ — ٣٨  
 أحمد شفيق باشا ١ — ٢٦٢  
 أحمد صادق ٢ — ٢٢  
 أحمد صادق ٢ — ٤٣  
 أحمد الصفقى ٢ — ١١٩  
 أحمد طلعت باشا ١ — ١٨٢ }  
 ٢ — ٤٥ }  
 أحمد طلعت أسعد ٢ — ١٤٢  
 أحمد عبد الباقي راضى ١ — ٣٣  
 أحمد عبد اللطيف ١ — ٣٢  
 أحمد عبد الحليم هيكل ٣ — ١٢٠  
 الدكتور أحمد عبد السلام ٢ — ٩٥  
 أحمد عبد السلام ٢ — ١١٩  
 أحمد عبد الكريم السودانى ٢ — ٨  
 أحمد عبد اللطيف ٢ — ١١٩  
 ابن القبايقى ( محمد اسماعيل ) ١ — ٢٥٩  
 أبو سريع درويش ١ — ٢٠٨  
 أبو الفتح الفقى ٢ — ٢٢  
 أبو القمصان ٢ — ٧٢  
 أبو المجد محمد عبد الله ٢ — ٧١ ، ٥٩  
 أبو المجد محمد الناظر ٢ — ٧١ ، ٧٥  
 أبو النصر طليخة ٢ — ٧٨  
 اتفاقية الاستانة ( سنة ١٨٨٧ ) ١ — ١١٣  
 ٢ — ١٥٥  
 اتفاقية السودان ( سنة ١٨٩٩ ) ١ — ٩٨ ،  
 ١٢٣ ، ١٢٦  
 ٢ — ١٦٢ ، ١٧٦ ، ٢٧٢  
 اتفاقية ( سنة ١٩٠٤ ) ١ — ١٢١ ، ١٣١  
 إحسان القوصى ٢ — ١١٦  
 أحمد ابراهيم ٢ — ١٢  
 أحمد ابراهيم موسى الصعبدى ٢ — ٧٢ ، ٧٤  
 أحمد أبو السعود ١ — ٢١٣  
 أحمد احمد حسين ١ — ٢٢٧  
 أحمد احمد عبد الله ١ — ٣٢ ، ٣٣  
 أحمد اسماعيل فهمى ١ — ٣٢  
 أحمد البرم ٢ — ٧٨  
 الأميرلاى أحمد بكرى بك ٢ — ٤٣  
 أحمد الجارم ١ — ٢١٥  
 أحمد جمعة ٢ — ١٢  
 الشيخ أحمد حتاتة ١ — ٢٢٩  
 أحمد حراز ٢ — ٧٩  
 أحمد حسن ٢ — ٢٢  
 أحمد حسن السرجانى ١ — ١٧٨  
 أحمد حسنى ١ — ٣٣١  
 أحمد حمودة ٢ — ٤٣  
 أحمد حشمت باشا ١ — ٢٥٠  
 الملازم الأول أحمد حلمى ١ — ٣٦  
 أحمد حلمى باشا ١ — ٢٩ ، ٤٨ ، ٢٥٠  
 ٢ — ٩  
 أحمد حمدى سيف النصر باشا ١ — ٢٦٧  
 أحمد حنفى ١ — ٢٢٧

- أحمد محمد حسين ١ — ٢١٤  
 أحمد محمد السخاوي ١ — ٢١٣  
 أحمد محمد ماهر ١ — ٢٢٣  
 أحمد محمد عمر ٢ — ٨١  
 أحمد محمد عمران ٢ — ٦  
 أحمد محمود ١ — ٢٢٦  
 أحمد محمود السلاموني ٢ — ٧٧  
 أحمد محمود محمد ١ — ٣٢  
 أحمد مختار نجيت ٢ — ٢٢  
 أحمد مدحت يكن ٢ — ٩  
 أحمد مرسي بدر ١ — ٣٣ ، ٣٢  
 أحمد المرشدي ٢ — ١٢٠  
 أحمد مظلوم باشا ١ — ٢٤٩  
 أحمد مصطفى باشا ١ — ١٠٧ ، ٤٣  
 أحمد بك مصطفى ١ — ١٧٩  
 أحمد بك مصطفى ٢ — ١١٥  
 أحمد مصطفى ٢ — ١١  
 أحمد مصطفى حنفي ٢ — ٨٠  
 أحمد مصطفى شكري ١ — ٢١١  
 أحمد مفتاح أحمد ٢ — ٧٤ ، ٧١  
 أحمد المكاوي ٢ — ١١٩  
 أحمد بك المليج ١ — ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٧  
 أحمد نصر ٢ — ١١٩  
 اليوزباشي أحمد نبيه قيودان ١ — ٣١  
 أحمد ٢ — ٩٥ ، ٤٣  
 أحمد هلال ٢ — ٧٩  
 أحمد هندي ٢ — ٨٣  
 أحمد والي الجندي ١ — ٣٣ ، ٣٢  
 أحمد وقيق ١ — ٣١  
 أحمد يوسف عاشور ٢ — ٨٢  
 إدوار قصيري ١ — ١٧٩  
 السير إدوار مات ٢ — ١١٣  
 المستر آرثر سميت ١ — ٢٢٦  
 المستر آرثر سميت ٢ — ٧٥  
 الضابط آرشر ١ — ١٧١  
 السير أرشبلد مصري ١ — ٤٨ ، ٣٤  
 السير أرشبلد مصري ٢ — ١٤٦  
 أحمد عثمان ٢ — ٧٤ ، ٧٢  
 أحمد عرابي باشا ١ — ١١٢ ، ١١٠ ، ٧٠ ، ١١٣  
 أحمد ٢ — ٥٨ ، ٥٦  
 أحمد علي ١ — ١١٣  
 أحمد علي صالح ١ — ٢١٣  
 السلطان ( الملك ) أحمد فؤاد ١ — ٤٥ ، ٣  
 أحمد ١٤٨ ، ١١٨ ، ١٠١ ، ٧٩ ، ٤٧ ، ٤٦  
 أحمد ٢ — ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ١٥ ، ٨ ، ٥ ، ٥  
 أحمد ١١٨ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٢  
 أحمد ٢٣٤ ، ٢٣١  
 أحمد عفيفي باشا ١ — ٢٥٠  
 أحمد عيسى السلاموني ٢ — ١١٩  
 أحمد غلوش ٢ — ٤٢  
 أحمد الفخراني ٢ — ٨٢  
 أحمد فريد أبو حديد ٢ — ٤٢  
 أحمد فهمي ٢ — ١٢  
 أحمد فهمي ٢ — ٢٢  
 أحمد فهمي ١ — ٢١١  
 أحمد فوزي ٢ — ٤٣  
 الحاج أحمد الصبالي ٢ — ١٢  
 أحمد قرشي ٢ — ٧٦  
 أحمد بك قرشي أحمد ٢ — ٧١  
 أحمد كيلاني ١ — ٢١١  
 أحمد السكيلاني جاويش ٢ — ١٢  
 أحمد بك لطفى ١ — ١٨٢ ، ١٧٩ ، ٣١  
 أحمد لطفى ١ — ٣٣ ، ٣٢  
 أحمد لطفى ٢ — ٧٦  
 أحمد لطفى السيد بك ١ — ١٠٢ ، ١٠٠  
 أحمد ٢٥١ ، ٢٥٠  
 أحمد ٢ — ١٦٧ ، ١٦٥ ، ١٣  
 أحمد متولى القرموطي ١ — ٢٢٤  
 أحمد محمد ابراهيم ٢ — ٧٤ ، ٧٢  
 أحمد محمد أنيس ٢ — ٨٣  
 أحمد محمد حسان ١ — ٢١٣

ألفني ١ — ١٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٣٣ ،  
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ،  
 ٢٥٨  
 ٢ — ٣ ، ٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٣٥ ،  
 ٦٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،  
 ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،  
 ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،  
 ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤١  
 إلياس عوض بك ١ — ٢٥٠  
 أم محمد بنت جاد ١ — ٢٢٦  
 إمام أحمد إبراهيم حسن ٢ — ٨  
 إمام التلواني ١ — ٢٢٦  
 إمام السيد ٢ — ١٢  
 إمام علي الشمرشي ٢ — ٧٩  
 إمام بك فهمي ١ — ١٨٠  
 الامتيازات الأجنبية ١ — ١٢ ، ٢١  
 ٢ — ٢٩ ، ١٥٣ ، ١٥٩  
 الأمير العطار ١ — ٣١  
 ٢ — ٤٣  
 أمين حمزة النواوي ٢ — ١١٩  
 أمين خطاب ٢ — ١١٩  
 أمين خليفة أبو زيد ١ — ٣٢  
 أمين بك الرافعي ١ — ٣٠ ، ٣١ ، ١٠٧ ،  
 ١٢٥ ، ٢٠٥  
 أمين بك الريدي ٢ — ٧٦  
 أمين سامي باشا ٢ — ١٣٨  
 أمين الشيخ ٢ — ١١٩  
 أمين عبد القادر ٢ — ٧٦  
 أمين فريد ٢ — ٢٢  
 أمين محمد جوهر ١ — ٢١٤  
 أمين يحيى باشا ١ — ١٠١  
 أناتول فرانس ٢ — ١٤٧  
 المستر انجرام ١ — ٢١٢  
 ٢ — ٩٢  
 أنور علي ١ — ٣٣  
 الدكتور أنيس أنسي ١ — ٢٦٢  
 أنيس سليمان ٢ — ٧٦

المستر أرنت دوسن ٢ — ٢٥  
 أرصدة إسترلينية ١ — ٨٨ ، ٨٢  
 الأزهر ١ — ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،  
 ٢٠٧ ، ٢٥٩  
 ٢ — ١٥ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٦٣ ، ١١٧ ،  
 ١١٨ ، ١٢٠ ، ٢٢١  
 أسعد أمين ١ — ٢٢٤  
 الحديو إسماعيل ١ — ١١٧ ، ٦١  
 إسماعيل أباطة باشا ١ — ٢٥٠  
 ٢ — ١٣٨  
 إسماعيل بك حافظ ١ — ٣١  
 إسماعيل حسين ١ — ٣١  
 إسماعيل حسين ٢ — ١١٩  
 إسماعيل حسنين ١ — ٢٥٦  
 إسماعيل حسنين باشا ٢ — ٢٥  
 إسماعيل بك حمد ١ — ٢١٧  
 الأمير إسماعيل داود ٢ — ١٢٧ ، ١٢٨ ،  
 ١٨١ ، ١٨٢  
 إسماعيل الدياح ٢ — ٧٢  
 إسماعيل زهدى ١ — ١٧٩  
 إسماعيل سرى باشا ١ — ٢٩ ، ٤٠ ، ٤٨ ،  
 ١٥٤ ، ٢٤٩  
 ٢ — ٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ١٠٥ ، ١٣٠  
 إسماعيل صدقي باشا ١ — ٢٩ ، ٣٤ ، ١٢٦ ،  
 ١٦٦ ، ١٦٨  
 ٢ — ٥ ، ١٣ ، ٥٢ ، ٦٢  
 إسماعيل ضيائي ١ — ٢٦١  
 إسماعيل علي ٢ — ١١٩  
 إسماعيل محمد ١ — ٢١٣  
 إسماعيل محمد دبوس ١ — ٣٢  
 إسماعيل محمد نور الدين ١ — ٢٢٦  
 إسماعيل محمود حمدي ١ — ٣٢ ، ٣٣  
 إسماعيل محمود زين الدين ١ — ٢٢٣  
 إسماعيل نيازي ٢ — ٢٢  
 إسماعيل الورداني ٢ — ٧٧  
 السير ألكسندروودرتون ٢ — ٥٣

- القائمقام بوب بك ١ — ٢٣٠  
 القمص بولس غبريال ١ — ٢٠٤  
 بوليس وطني ٢٠٨ ، ٢٠٩  
 بيت الأمة ١ — ١٠٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ،  
 ١٨٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨  
 ٢ — ٦  
 بيوى حسين ٢ — ١٢  
 بيوى عطية ١ — ٢٢٦  
 بيوى مدكور بك ١ — ٢٦٧

(ت)

- تحوّمس الثالث ١ — ١٠٩  
 المستر تريلوني ٢ — ٢٦  
 تغيان سليمان حسان ٢ — ٧١ ، ٧٤  
 المستر تشرشل ٢ — ٢٢٦ ، ٢٢٧  
 المستر توتنهام ١ — ١١٩ ، ٢ — ٢٥  
 الحديو توفيق ١ — ١٠٩ ، ٢ — ٥٦ ، ١١٣  
 توفيق بك اسماعيل ٢ — ٧٧  
 توفيق حبيب ٢ — ١٠٥  
 توفيق صليب ٢ — ٨٦ ، ٨٧  
 توفيق عبد الباسط ١ — ٢٢٧  
 توفيق علي بيوى ٢ — ٨٤  
 توفيق محمد ٢ — ١٢٠  
 تيودور روزفلات ١ — ٢٣٧

(ث)

- ثابت الجرجاوى ٢ — ٤٣  
 ثابت السيد ٢ — ٧٢  
 المستر ثورب ٢ — ٨٧  
 ثورة سنة ١٩١٩ — أكثر صفحات الكتاب  
 الثورة العراقية ١ — ٥ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ١٩١  
 ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ — ١ — ٢

- الجزال اوين توماس ٢ — ٩٢ ، ١١٢  
 المستر ليموس ١ — ١٥١ ، ١٧٠ ، ١٨١

(ب)

- بارسن ٢ — ٢٥  
 القمص باسليوس ٢ — ١٠٥ ، ١٠٦  
 المستر بالقور ١ — ١٥٤ ، ٢ — ١٢٥  
 مستر بتر ٢ — ٥٣  
 بدرخان علي ٢ — ٢٢  
 بدر عبد الصمد ٢ — ٧٢  
 بدوى الديب ٢ — ٧٦  
 بدوى عبد النبي ١ — ٢٢٧  
 برسوم روفائيل ٢ — ٢٢  
 المستر برسيفال ١ — ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ،  
 ١٨١  
 بركات أحمد ٢ — ١١٩  
 المسيو برميت ١ — ١١٩  
 برنار باشا ١ — ٢٢٦  
 الأستاذ برى ١ — ١١٤  
 مستر بريلسفورد ١ — ٩٨  
 مستر بزلى ١ — ٧٨  
 بسمارك ١ — ١٣٠  
 بسيوفى عطا ٢ — ٧٩  
 بكير الجندى ١ — ٢٤١ ، ٢٤٢  
 البكباشى بلنتر ٢ — ١٠٢  
 المقتننت جنرال بلقن ١ — ١٩٣ ، ٢ — ٤٤ ، ٤٥  
 البكباشى بلكن ٢ — ٩٤  
 مستر بلنت ١ — ١٣١  
 ٢ — ٢١٥  
 مستر بلند ٢ — ١١٣  
 بندارى محمد ١ — ٢٢٦  
 البنك الأهلى ١ — ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ،  
 ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨  
 البنك الزراعى ١ — ٧٤

٢ — ٢٤ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،  
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٧٥

- جمال الدين الأفغانى ١ — ٦٨  
جمعة يوسف مراد ٢ — ٧٩  
جمعية الأمم ١ — ٢٦٨  
٢ — ١٥٦  
جمعية الانتقام ٢ — ٨٦  
الجمعية التشريعية ١ — ٧١ ، ٩١ ، ٩٢ ،  
١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٥٢  
٢ — ٣٨ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٧٧  
جمعية العمال ٢ — ٨٢  
الملك جورج الخامس ١ — ٣٩  
٢ — ٢٧ ، ٤٥ ، ١٣٣ ، ١٣٤  
جورج خياط بك ١ — ١٢٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥١  
٢ — ١٣  
جورج دوماني ٢ — ١٣  
المسيو جورج كليمنسو ١ — ١٣٥ ، ١٥١  
٢ — ٣٠ ، ٣١  
البريجمدير جنرال جورج ماكولى ٢ — ٢٦  
المستر جورج موريس ٢ — ٢٥  
الدكتور جورجى صبحى ١ — ٢٦٢  
السير جورست ١ — ٤٢ ، ١١٩  
المستر جوزيف فولك ٢ — ١٤٨  
الدكتور جيت ١ — ٥٦  
جوليت صليب ١ — ١٨٨  
المستر جون لانجلى ٢ — ٢٥  
الجنرال جون مكسويل ١ — ١٤ ، ١٥ ،  
١٦ ، ٣٧  
٢ — ٩٢ ، ١١٢ ، ١١٤  
الماجور جنرال جون شى ١ — ٢٣٢  
الدكتور جيمس ليز ٢ — ٢٦

(ح)

- حافظ ابراهيم ١ — ١٨٩  
حافظ أمين ١ — ١٧٦

(ج)

- جاد دياب ٢ — ٨٤  
جاد محمد حسين ٢ — ٤٢  
الماجور جارفز ١ — ٢٣٠  
الأميرلاى جارفز ١ — ٢١٢  
السكرولونل جارتز ٢ — ٢٦  
جان دارك ١ — ٢١١  
جبالى عزام ٢ — ٧٧  
الدكتور جبرائيل بحرى ١ — ٢٦٢  
اللورد جراثيل } ١ — ١٢٣ ، ١٢٩  
                          } ٢ — ١٧٢  
جرجس بولس ١ — ٢٧٢  
الدكتور جرس جرجس الضبع ١ — ٢٦٢  
جريدة استكهم داجبلاد ٢ — ٥٥  
جريدة الأفكار ٢ — ٦٤  
\* الجمهور ١ — ٢١٧  
\* الجريدة ١ — ٧٥  
\* رائدة العمال الإنجليزية ١ — ٥٥  
\* الدايل نيوز ١ — ٥٦ ، ٩٨  
\* الشعب ١ — ٣٠  
\* الطان } ١ — ١١٢  
                  } ٢ — ٤١ ، ٩٠  
\* مصر ٢ — ٦٧  
\* المصرى الحر ٢ — ٤٤  
\* المقطم } ١ — ٩٨  
                  } ٢ — ٢٨  
\* وادى النيل ١ — ١٥٣  
\* وستمنستر جازيت ٢ — ٩٢  
جريدة الوقائع المصرية ١ — ١٤ ، ١٦ ، ٤٥ ،  
٧٥ ، ٧٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٨  
٢ — ٤ ، ١٣٢ ، ١٣٤  
جعفر والى باشا ٢ — ٩ ، ٤٥ ، ٦٣  
الجللاء ١ — ٧ ، ٥٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ،  
١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،  
١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٥١



- حافظ حسن عامر ١ — ٣٢ ، ٣٣  
حافظ خليل القصيني ١ — ٢٢٣  
حافظ سعد ابراهيم ٢ — ٧١ ، ٧٤  
حافظ سعودى ٢ — ٨٣  
الدكتور حافظ عفيفى ١ — ١٢٦ ، ٢٣٥ ،  
٢٥٠ ، ٢٥١  
٢ — ١٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧  
حافظ محمود عواد ٢ — ٨٦ ، ٨٨  
اليوزباشى حافظ محمود قبودان ١ — ٣١  
٢ — ٤٣  
حافظ المنشاوى بك ١ — ٢٥٠  
٢ — ١٣٨  
حامد حسين ٢ — ٨٤  
حامد العبدى ٢ — ٤٣  
حامد العلابى ١ — ٣١  
٢ — ٤٣  
حامد المليجى ٢ — ٤٣ ، ٨٧  
حديث ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨: ٩٠ — ٩٣ ،  
١٥٣  
الحرب العالمية الأولى ١ — ٥ ، ١١ ، ٥٥ ،  
٨١ ، ٩٧ ، ٢٠٣  
٢ — ٥٤ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢  
الحرب العالمية الثانية ١ — ٨١ ، ٨٨  
حرم الدكتور ابراهيم حسن ١ — ١٨٨  
\* ابراهيم رأفت باشا ١ — ١٨٨  
\* ابراهيم بك شريف ١ — ١٨٩  
\* ابراهيم بك فاضل ١ — ١٨٩  
\* احمد بك ابوصعب ١ — ١٨٩  
\* احمد راجب بدر بك ١ — ١٨٨  
\* احمد بك حجازى ١ — ١٨٨  
\* احمد بك حمدى ١ — ١٨٨  
\* احمد سعيد بك ١ — ١٨٩  
\* احمد بك شكرى ١ — ١٨٨  
\* احمد بك عباس يكنى ١ — ١٨٩  
\* احمد عبد العلييف بك ١ — ١٨٨  
\* احمد عفيفى باشا ١ — ١٨٩
- حرم أحمد بك لطفى ١ — ١٨٨  
\* اسكندر بك مسيحة ١ — ١٨٨  
\* اسماعيل حسنين باشا ١ — ١٨٨  
\* اسماعيل بك سالم ١ — ١٨٨  
\* اسماعيل سرى باشا ١ — ١٨٨  
\* اسماعيل صدق باشا ١ — ١٨٨  
\* اسماعيل بك فاضل ١ — ١٨٩  
\* أمين بك فؤاد ١ — ١٨٩  
\* بهى الدين بركات بك ١ — ١٨٩  
\* توفيق باشا ١ — ١٨٩  
\* توفيق بك صادق ١ — ١٨٨  
\* توفيق مصطفى ١ — ١٨٨  
\* حافظ بك محمد ١ — ١٨٨  
\* حبيب بك خياط ٢ — ١١٦  
\* حسن بك بهادر ١ — ١٨٩  
\* حسن بك خيرى ١ — ١٨٨  
\* حسن باشا عاصم ١ — ١٨٨  
\* الدكتور حسن محرم بك ١ — ١٨٨  
\* حسين رشدى باشا ١ — ١٨٨  
\* حسين بك راجب ١ — ١٨٩  
\* حسين بك رياض ١ — ١٨٨  
\* حسين بك محرم ١ — ١٨٩  
\* حسين بك هلال ١ — ١٨٨  
\* حنا بك مسيحة ١ — ١٨٨  
\* داود بك رانب ١ — ١٨٩  
\* رفيق بك فتحي ١ — ١٨٩  
\* رياض عفيفى بك ١ — ١٨٨  
\* سعد زغلول باشا ١ — ١٨٨  
\* سعيد بك حلمى ١ — ١٨٨  
\* شاكر بك حلمى ١ — ١٨٩  
\* صالح بك جمالى ابوصعب ١ — ١٨٩  
\* صالح بك نامق ابوصعب ١ — ١٨٩  
\* صليب بك منقرىوس ١ — ١٨٩  
\* طاهر بك اللوزى ١ — ١٨٨  
\* عبدالحليم بك العلابى ١ — ١٨٨  
\* عبدالله بك أباطه ١ — ١٨٩

حرم مصطفى بك عبدالحالقي ١ — ١٨٩  
 » ميخائيل لبيب ١ — ١٨٩  
 » الدكتور نجيب اسكندر ١ — ١٨٨  
 » الأستاذ وريصا واصف ١ — ١٨٨  
 حزب الأمة ١ — ٩٥ ، ١٢٥  
 حزب العمال البريطاني ٢ — ٦١  
 الحزب الوطني ١ — ٦ ، ٣٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ،  
 ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،  
 ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٣٥  
 ٢ — ٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٩١ ،  
 ٩٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،  
 ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٧ ،  
 ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦  
 حسان مشرقى ٢ — ٧٢ ، ٧٤  
 حسن أحمد سليمان ١ — ٢٢٣  
 حسن أبو عرب ٢ — ١٢٠  
 حسن اسماعيل الهضيبي بك ١ — ٣٢  
 حسن الإهوانى ٢ — ٤٣  
 حسن البربرى ٢ — ٧٩  
 حسن التوتى ١ — ٢١٣  
 حسن جمعة ٢ — ١٠٢  
 حسن حبيب باشا ٢ — ٩ ، ٦٣  
 حسن حسين ١ — ٢٢٧  
 حسن السيد ١ — ٢٢٦  
 حسن سيف افندى ٢ — ١٣٨  
 الدكتور حسن شاهين ١ — ٢٦٢  
 حسن عامر مدكور ٢ — ١١٩  
 حسن عبد الرحمن ٢ — ٤٢  
 حسن عبد الباقي التمرجى ١ — ١٨٤  
 حسن عبد الرازق باشا ٢ — ٤٥ ، ٩٤ ، ١٠٢  
 حسن عبدون ٢ — ٧٨  
 حسن الغرازى ١ — ٢١٣  
 حسن على ٢ — ٧٨  
 حسن على طراف } ١ — ٢٢٩  
 ٢ — ٧٧  
 حسن على ناصر ١ — ٢٢٦

حرم عثمان عرفى باشا ١ — ١٨٨  
 » عثمان باشا مرتضى ١ — ١٨٨  
 » الأستاذ عزيز مشرقى ١ — ١٨٨  
 » الدكتور على ابراهيم ١ — ١٨٩  
 » على بك سعد الدين ١ — ١٨٨  
 » على بك فؤاد ١ — ١٨٩  
 » على بك مبارك ١ — ١٨٨  
 » عمر سلطان باشا ١ — ١٨٨  
 » فؤاد بك شربى ١ — ١٨٩  
 » فهمى بك وريصا ٢ — ١١٦  
 » قاسم أمين بك ١ — ١٨٩  
 » لبيب بك مسلم ١ — ١٨٩  
 » مجيب بك فتحى ١ — ١٨٨  
 » محمد أبوشادى بك ١ — ١٨٩  
 » محمد أمين يوسف بك ١ — ١٨٨  
 » محمد بك برهان ١ — ١٨٩  
 » محمد بك حسن ١ — ١٨٩  
 » محمد راتب باشا ١ — ١٨٨  
 » محمد بك رأفت ١ — ١٨٨  
 » محمد رؤوف باشا ١ — ١٨٨  
 » محمد سعيد باشا ١ — ١٨٨  
 » محمد شفيق رفعت ١ — ١٨٨  
 » محمد شكرى باشا ١ — ١٨٨  
 » محمد صدقى باشا ١ — ١٨٨  
 » الدكتور محمد صدقى بك ١ — ١٨٨  
 » محمد العروسى ١ — ١٨٨  
 » الدكتور محمد علوى باشا ١ — ١٨٨  
 » محمد محرز باشا ١ — ١٨٨  
 » محمد بك يوسف ١ — ١٨٨  
 » محمود رياض باشا ١ — ١٨٨  
 » محمود باشا رأفت ٢ — ١١٦  
 » محمود سامى باشا البارودى ١ — ١٨٨  
 » محمود سرى بك ١ — ١٨٨  
 » محمود بك الطوير ١ — ١٨٨  
 » مختار بك الأرنأوطى ١ — ١٨٩  
 » مصطفى بك توفيق ١ — ١٨٨

- حسين محمد ٢ — ٨١  
 حسين محمود الحماني ١ — ٢١١  
 حسين افندي مطاوع ١ — ٢٤١  
 حسين هلال بك ٢ — ١٣٨  
 حسين واصف باشا ١ — ١٢٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥١  
 ٢ — ١٣٨ ، ٥٢ ، ١٣  
 حفناوى السيد الجيزاوى ٢ — ١١٩  
 حكومة الديركتوار ١ — ٢٠٣  
 حمد الباسل باشا ١ — ١٠٤ ، ١٢٦ ، ١٤٤ ،  
 ١٦٨ ، ١٦٦ ، ١٤٥  
 ٢ — ٦٢ ، ١٣ ، ٥  
 حمزة أحمد هلال ٢ — ٧٩  
 الحملة الفرنسية ١ — ٢٠٣  
 ٢ — ٤٢  
 حميدة سليمان ١ — ٢٢٧  
 حنفي السيد ٢ — ١٢  
 حنفي منصور بك ٢ — ١٣٨  
 حنيفة أم عجوة ١ — ٢٢٥

( خ )

- خالد محمد مؤمن ١ — ٣٢  
 خفاجة مرزوق ١ — ٢٦٥  
 خليفة جمعة ١ — ٣٣  
 خليفة راشد ٢ — ١١٩  
 خليفة يوسف ٢ — ١٤٥  
 خليل أبو زيد على ٢ — ٧٤ ، ٧١  
 الأميرالاي خليل حمدي ٢ — ٤٣  
 الحاج خليل غفيني ٢ — ٦٩  
 خليل مصطفي ١ — ١٧٨  
 خميس بدوي ١ — ٢٢٧

( د )

- مس درهام ١ — ٥٦  
 درو مندوولف ١ — ١١٣ ، ١٣١  
 درويش ابراهيم ١ — ٢٢٧  
 درويش مصطفي ٢ — ٧٧

- حسن عيسى ٢ — ٤٣  
 حسن الفكهاني ١ — ١٨٤  
 حسن محمد الجداي ١ — ٢٢٣  
 حسن مختار رسمي ١ — ١٦٨  
 حسن نشأت ٢ — ٢١  
 حسن نور الدين ١ — ٣١  
 ٢ — ٤٣  
 حسن فهمي باشا ٢ —  
 حسن يس ١ — ٢٠٤ ، ٣٣ ، ٣٢  
 البكباشي حسني شفيق ٢ — ٤٣  
 حسن الشنتناوي ٢ — ٨٧ ، ٨٦  
 حسنين يوسف ١ — ١٧٨  
 حسين حافظ سالم ٢ — ٧٧  
 حسين خليفة ٢ — ٨٤  
 حسين درويش باشا ٢ — ١٠٥ ، ١٣٠ ، ١٤٤  
 حسين رشدي باشا ١ — ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ،  
 ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٨  
 ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،  
 ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٤٠ ،  
 ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،  
 ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٤٥ ،  
 ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥  
 ٢ — ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ،  
 ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٢ ،  
 ٤٥ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٨ ، ١٣١  
 حسين الشريمي بك ٢ — ١٣٩  
 حسين شلي ٢ — ١٤٣  
 حسين صالح ٢ — ١٠٢  
 حسين فتوح ٢ — ٤٢  
 السلطان حسين كامل ١ — ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ،  
 ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ،  
 ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ،  
 ١٠٢ ، ١٤٠ ، ١٤٢  
 ٢ — ١٣٢ ، ١٧٤ ، ٢٢٤  
 حسين كامل بك ٢ — ٥٣  
 حسين الكسبري ٢ — ٧٩

- الأستاذ رياض الجمل ٢ — ٧٧  
 الأستاذ رياض الجمل ١ — ٢٢٩  
 رياض الجمل ٢ — ٧٧  
 رياض الجندي ١ — ٢٤١  
 رياض الشريف ١ — ٣٣  
 رياض باشا ١ — ٧٠

( ز )

- الشيخ زرد محمد ٢ — ٧٢  
 زكريا نامق بك ٢ — ١٣٩  
 زكي السيد ٢ — ٩٦  
 زكي فوزي أبو ربه ٢ — ٤٢  
 الدكتور زكي مبارك ١ — ٢٠٤  
 زكي محمد ١ — ٢١١  
 زكي محمد ٣ — ١١  
 زكي محمد غراب ١ — ٢٦٢  
 زهران دكروري ٢ — ٧٢  
 زين قرشي ٢ — ٧٦

( س )

- اللورد ساليورن ٢ — ٢١٠  
 اللورد ساليوري ١ — ١٦٠ ، ١١٦  
 ٢ — ١١٩ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٥ ، ١٩٢ ، ٢٠٠  
 المسيو سان بلانكا ٢ — ٥٣  
 سجن الباستيل ١ — ١٢٧  
 المستر سبندر ٢ — ١١٢ ، ٩٢  
 سعد احمد الذهبي ٢ — ١١٩  
 سعد حلمي ٢ — ٤٢  
 سعد زغلول ١ — ٦٨ ، ٥١ ، ٢٦ ، ٧ ، ٦  
 ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٢ ، ٧٠ ، ٦٩  
 ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٨ ، ٩٨  
 ، ١٣٨ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣  
 ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩  
 ، ١٥٣ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٥ ، ١٤٤

- الأستاذ دسبانيه ١ — ١١٤ ، ١٢١  
 ١ — ٢٤  
 اللورد دفرين ٢ — ١١٣  
 دكريتون ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٤ ٢ — ٢٩  
 اللقنتنت كولونل دونس ٢ — ٧٣  
 المستر ديكسن ١ — ٢٥٧ ، ٢٥٥  
 دي مارتنس ١ — ١١٤  
 دي لافوس ١ — ١٣١

( ر )

- رائف كمال فضلي ٢ — ٧٩  
 راتب حمزة ١ — ٣٢  
 راغب سويني ٢ — ٧٤ ، ٧١  
 راغب عبد العال هلال ٢ — ٧٤ ، ٧١  
 راغب عطية بك ٢ — ١٣٨  
 راغب محمد عبد الله دويدار ١ — ٣٣  
 راغب وهي ١ — ١٧٩  
 رجب ابراهيم ٢ — ٨  
 رديارد كيلنج ١ — ٩٩  
 رزق مراد عبد الله ٢ — ٧٣ ، ٧١  
 الدكتور رزق مينا ٢ — ١٢  
 رزق يعقوب ٢ — ١٤٢  
 رسل بك ١ — ٢٠٤ ، ١٧١  
 ٢ — ١١٢  
 روفائيل سليمان ٢ — ٨٠  
 رفته ناوضروس بك ٢ — ٥٣  
 رقية بنت أحمد متولى ١ — ٢٢٤  
 رمضان ابراهيم عطية ١ — ٢٢٣  
 رمضان العفيق كامل ١ — ٢٢٣  
 رمضان محمود هدايت ٢ — ١٤٢  
 اليكباشي رمندا ٢ — ٩٤  
 السير رنل رود ٢ — ١١٤ ، ١١٢ ، ٩٢  
 المستر روبر ستن ١ — ٥٦  
 رونالد لندس ١ — ٧٨  
 اللورد ريدنج ٢ —  
 القيسوف روسو ٢ — ٣٣

- سليمان محمود القولي ١ — ٢٦٥ ،  
 سليمان بك مصطفى خليل ٢ — ٧٨ ،  
 سليمان نافع ١ — ٢٢٤ ،  
 سليمان نجيب ١ — ٣٣ ،  
 سليمان هلال ١ — ٢٢٤ ،  
 المستر سندرس ٢ — ٥٣ ،  
 السودان ١ — ٥ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٣٩ ،  
 ٤٣ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ،  
 ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ،  
 ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ٢٢٦ ،  
 ٢ — ٤٩ — ١٥٦ ، ١٤٠ ، ٩٠ ، ٥٨ ،  
 ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ،  
 ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،  
 سفينة محمود الجندي ١ — ٢٤١ ،  
 سيد افندي ابراهيم ٢ — ٨٣ ،  
 سيد ابراهيم أبو نشابة ١ — ٢٢٦ ،  
 السيد أبو العينين ١ — ٢١٣ ،  
 سيد احمد احمد بريش ٢ — ٧٩ ،  
 سيد احمد كامل ٢ — ١٢ ،  
 السيد الاسكندراني ٢ — ٧٨ ،  
 السيد احمد محمد ابراهيم ١ — ٣٢ ،  
 سيد حجاج ٢ — ٨٣ ،  
 سيدة حسن ١ — ٢٠٧ ،  
 السيد خالد جابر ابراهيم ٢ — ٧٦ ،  
 سيد افندي دويدار ١ — ٢٦٧ ،  
 السيد سالم ١ — ٢٢٦ ،  
 السيد سليمان سعد ١ — ٢٢٣ ،  
 السيد سويلم ١ — ٢٢٦ ،  
 السيد السيد أبوقورة ١ — ٢١٦ ،  
 سيد صقر ٢ — ٨ ،  
 الدكتور سيد عبد الحميد سليمان باشا ١ — ٢٦١ ،  
 السيد عبد الحميد ١ — ٢١٣ ،  
 سيد علي ١ — ٢٢٦ ،  
 السيد علي محمد ٢ — ٥٠ ،  
 سيد علي عيسى ٢ — ٨٤ ،  
 السيد عنتر أبو حبيب ١ — ٢١٧ ،  
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،  
 ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،  
 ٢ — ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٣ ، ٣٤ ،  
 ٣٥ ، ٣٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ،  
 ١١٠ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ،  
 ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ،  
 ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ،  
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢٠ ،  
 ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،  
 ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،  
 سعد اللبان ٢ — ٩٥ ،  
 سعد محمد عبدالعال الأشقر ٢ — ٧٨ ،  
 سعد بك مكرم ١ — ٢٦٧ ،  
 السعدى بشارة الطحاوى بك ٢ — ١٣٨ ،  
 السعدى محمد ٢ — ١١٩ ،  
 سعيد أباطة ٢ — ٤٢ ،  
 سعيد أبو الغز ٢ — ٧٩ ،  
 سعيد داود ٢ — ١٨٢ ، ١٨١ ،  
 سعيد ذوالفقار باشا ٢ — ٦ ،  
 سعيد حسن ٢ — ١١٩ ،  
 سعيد عبدالغنى ابراهيم طلبه ١ — ٢٦٥ ،  
 سعيد عبدالله ٢ — ١٢٠ ،  
 سعيد محمد سعيد ٢ — ٧١ ،  
 السير سكوت منكريرف ١ — ١١٩ ،  
 سلامة محمد المولى ١ — ٣١ ،  
 ٢ — ٤٣ ،  
 سلامة محمد ١ — ٢٢٦ ،  
 سلامة منصور ٢ — ١٠٥ ،  
 سلامة ميخائيل ٢ — ٢١ ،  
 سليم خيرى ١ — ٣٢ ،  
 الدكتور سليم الفلعاوى ٢ — ٦٣ ،  
 سليمان ابراهيم البيلى ٢ — ١٢٠ ،  
 سليمان حافظ ١ — ٣٢ ،  
 سليمان عبدالله ٢ — ٤٢ ،  
 الدكتور سليمان عزمى باشا ١ — ٢٦١ ،  
 سليمان فائد ٢ — ١٢٠ ،

- شفيق سعيد ٢ — ١٤٢  
شفيق منصور ١ — ٣٤  
الدكتور شفيق منصور ٢ — ٤٣  
شلي عوض ٢ — ٩٤

(ص)

- صادق حسن الصانع ١ — ١٨٤  
صادق حسنين ٢ — ١٠٢  
صادق حنين ٢ — ٢٢  
صادق شعيب ٢ — ١٢٠  
صادق العجيري ١ — ٣٢ — ٣٣  
صادق عزام ٢ — ١١٩  
صالح حسن شملي ٢ — ٨٨ ، ٨٦  
صالح الدسوقي جودة ١ — ٢٢٣  
صالح رياض ١ — ١٨٤  
صالح عبد اللطيف ١ — ٣٤  
الصاوي عفيفي ١ — ٢١٣  
الدكتور صديق أبو النجا ١ — ٢٤ ، ٢٤٣  
الآنسة صديقة عروس عبد الحميد إبراهيم ١ —  
٢٢٣  
صندوق الدين ١ — ٩٦ — ٢ — ١٥٠ ،  
١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٧٢

(ط)

- طه علي عامر ١ — ٢١٣  
طلبة حسن ١ — ١٧٤  
طلبة سعودي باشا ٢ — ١٣٩  
طلعت حرب باشا ٢ — ٢٦٤  
طنطاوي بك طنطاوي ٢ — ١٣٩

(ع)

- السيدة عائشة عمر ٢ — ١٢  
السيدة عائشة محمد ٢ — ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠١  
عاذر غبريال ٢ — ٨٨ ، ٨٦  
السيدة عالية ١ — ٢٦٤

- السيد فؤاد الخولي ٢ — ٤٣  
السيد فتح الباب ١ — ٢٢٧  
السيد الكراني ١ — ٢٢٦  
سيد محمد ٢ — ١٠١  
سيد محمد خشبه بك ١ — ٢٥٠  
سيد محمود ١ — ٢٢٧  
السيد المصري ١ — ٢١٤  
السيد منسى ٢ — ٧٩  
سيد يوسف ٢ — ٨  
السيد يوسف المبيض ١ — ٢١٦  
سيف عبد الله الغرابي ٢ — ٧٢ ، ٧٤  
سيف النصر حسين حيدر ١ — ٣٣  
الفتننت كولونيل سيمس ١ — ١٣٩  
١٣٧ — ٢

- الأميرال سيمور ١ — ١١١  
٢ — ٥٦

- سينوت حنا بك ١ — ١٢٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥١  
١٣٨ — ٢

(ش)

- السير شارل ديلاك ١ — ١٣٢  
شاكر عبد الملاك ٢ — ١٢  
السكرولونيل شاني لونج ١ — ١٣٢  
الشافعي قاسم ١ — ٢١٣  
البكباشي شاهين ١ — ٢٢٨ ، ٢٢٩  
الشحات سليمان ١ — ٢٢٣  
الشحات محمد حسين ١ — ٢٢١  
شعانة طه العوضي ١ — ٢٢٤  
شعانة محمد الدكتور ٢ — ١٢  
شريف باشا ١ — ١١٥  
٢ — ١٧٧ ، ٢٤٠  
شريعة رياض ٢ — ١١٦  
شعبان المبيض ١ — ٢٢١  
شفيقة محمد ١ — ٢١١  
٢ — ١٢  
شفيق حنا ٢ — ٧٦ ، ٧١

- عبدالجواد حسنين ٢ — ١٢  
عبدالجواد سيد ١ — ٢٦٤  
عبدالحليم البيلى ١ — ١٧٩  
عبدالحليم جبرى ٢ — ٧٩  
عبدالحليم سعد ٢ — ١١٩  
عبدالحليم سعد محمد ١ — ٢٠٨  
عبدالحليم عابدين ٢ — ٨٧ ، ٨٦  
الدكتور عبدالحليم متولى ١ — ٣١  
عبدالحليم محمود ٢ — ١٤٢  
عبدالحفيظ محمود ٢ — ٧٣  
عبد الحكيم الجارم ١ — ٢١٥  
٢ — ٧٩  
عبدالحكيم عبدالباقى ٢ — ٧٣ ، ٧١  
عبدالحكيم محمد ٢ — ١١٩  
السلطان عبدالحميد ١ — ٦٠  
عبدالحميد أبو السعود ٢ — ٤٣  
عبدالحميد أبو هيف بك ٢ — ١٨٢  
الشيخ عبدالحميد احمد باشا ٢ — ٩٥  
عبدالحميد اسماعيل أبو زهرة ٢ — ٧٩  
السيد عبدالحميد البكرى ١ — ٢٤٩  
٢ — ١٦٣  
عبدالحميد حسن ٢ — ٨١  
عبدالحميد حمدى ١ — ١٨٠  
٢ — ٤٣  
عبدالحميد زايد ٢ — ١١٩  
عبدالحميد زكى ٢ — ١٠٢  
عبدالحميد سالم ٢ — ٤٢  
عبدالحميد سمك ١ — ٢١٥  
٢ — ٧٨  
عبدالحميد عثمان ١ — ٢٢٦  
عبدالحميد محمد عمر وشاحى ١ — ٣٣  
عبدالحميد النعاس ٢ — ٤٣  
عبدالحميد الهناى ٢ — ١٢٠  
عبدالحالى ثروت باشا ١ — ١٥١ ، ٤٨ ، ٢٩ ،  
٢٤٩ ، ١٥٤  
٢ — ٦٣ ، ٩  
عبدالحالى مذكور ١ — ١٢٦
- عبدالدايم عبدالرحيم ٢ — ٧٤ ، ٧١  
عبدالراضى حمدان ٢ — ٧٤ ، ٧١  
عبدالرزوف عبدالسلام ٢ — ١٢٠  
عبدربه على الغنام ٢ — ١٢  
عبدربه مفتاح ١ — ٢٠٤  
٢ — ١١٩  
عبدالرحمن ابراهيم عبدالدايم ٢ — ٧٩  
عبدالرحمن بن هرمر ١ — ٣٤  
عبدالرحمن حسن محمود ٢ — ٧٤ ، ٧٢  
عبدالرحمن الراقعى ١ — ٣١ ، ٣٠ ، ٩ ، ٤ ،  
١٨٠  
٢ — ١١٥ ، ٦٩  
عبدالرحمن رمضان عطية ١ — ٢٢١  
عبدالرحمن عبدربه ٢ — ١١٩  
عبدالرحمن عوض ٢ — ١٣٨  
عبدالرحمن عيد المحلاوى ٢ — ١١٩  
عبدالرحمن فهمى بك ١ — ٢٠٤  
٢ — ١٠٥ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٤٧  
عبدالرحمن قراعة ٢ — ١١٩  
عبدالرحمن محمود بك ١ — ٢٥٠  
٢ — ١٣٩  
عبدالرحمن مصطفى ٢ — ٧٢  
عبدالرحمن نصر ١ — ٢١٦  
عبدالرحيم ابراهيم طلبة ١ — ٢٦٥  
عبدالرحيم البرديسى ٢ — ١٢٠  
عبدالرحيم صبحى ٢ — ٤٣  
عبدالرحيم صبرى باشا ٢ — ٤٠ ، ٣٩  
عبدالرسول خليفة ٢ — ١٢٠  
عبدالرشيد أبو زيد ٢ — ٧٥ ، ٧٢  
عبدالستار الباسل بك ١ — ٢٥٠  
عبدالسلام أبو العلا ٢ — ٧٤ ، ٧٢  
عبدالسلام احمد ٢ — ١٠٢  
عبدالسلام البشمري ٢ — ١١٩  
عبدالسلام ذهنى بك ١ — ١٨٠  
عبدالسلام العلابى بك ٢ — ١٣٩  
البكباشى عبدالسلام فهمى ٢ — ٧٦  
عبدالسلام محمد ١ — ٢٢٥

- عبدالعالم يوسف ١ — ٣٢  
عبدالسيد شحاته ٢ — ٧٦  
عبدالظاهر السالموطي ٢ — ٨٦  
عبدالعال أبو زيد أحمد ٢ — ٧٢  
عبدالعال رزق ١ — ٢٢٧  
عبدالعال حلمي ١ — ٧٠  
عبدالعال السيد ١ — ٣٢  
عبدالعال عمر ٢ — ٧٥ ، ٧١  
عبدالعزیز ابراهيم عبده ١ — ٣٣ ، ٣٢  
عبدالعزیز أحمد السقا ١ — ٢٦٢  
عبدالعزیز حسن هندن ٢ — ٨٩ ، ٨٦  
عبدالعزیز سمك ١ — ٢١٥  
عبدالعزیز عبدالخالق ١ — ٢١٤  
عبدالعزیز عبدالسلام ٢ — ٧٢  
عبدالعزیز عبدون ٢ — ٧٨  
عبدالعزیز عثمان شرابي ٢ — ٧٤ ، ٧٢  
عبدالعزیز بحيمية ١ — ٢١٥  
عبدالعزیز عنتر محمدین ٢ — ٧٥ ، ٧٢  
عبدالعزیز فريد ٢ — ٢٢  
عبدالعزیز قزاع ١ — ٢١٤  
عبدالعزیز فهمي باشا ١ — ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١
- عبدالعالم حافظ ١ — ٢٢٧  
عبدالعالم خليفه ٢ — ٧١  
عبدالعالم رضوان ٢ — ١٢٠  
عبدالعالم علي جادالله ١ — ٢٢٤  
عبدالعالم فولي ٢ — ٧٣ ، ٧١  
الدكتور عبدالغفار متولي ١ — ٣١  
٤٣ — ٢  
عبدالعالم ابراهيم طلبه ١ — ٢٦٥  
عبدالعالم زيدان ١ — ٣٣  
عبدالعالم محمود ٢ — ١١٩  
عبدالعالم مهنا ٢ — ١١٩  
عبدالعالم ابراهيم الزناتي ٢ — ١٢  
عبدالعالم احمد ٢ — ١٢٠  
عبدالعالم احمد عبدالرحمن ٢ — ٧٩  
عبدالعالم ترك ٢ — ٧٩  
عبدالعالم الجمل ٢ — ١٣٨  
عبدالعالم رجائي ١ — ٢٣٥  
عبدالعالم سيد احمد ١ — ٢٢٤  
عبدالعالم محمود جاد ١ — ١٧٤  
عبدالعالم يحيى باشا ٢ — ٤٥ ،  
الدكتور عبدالفتاح يوسف ١ — ٣٤ ، ٣١  
٤٣ — ٢  
عبدالقادر شحاته ٢ — ١٣٠  
عبدالقادر مختار ١ — ٢١٨  
عبدالله ابراهيم ١ — ٢٢٦  
عبدالله أبو زيد ٢ — ٧٦  
عبدالله بهجت ١ — ٣٢  
عبدالله جلال ١ — ٢٦٢  
عبدالله حسن ١ — ٣٤  
عبدالله الشامي ١ — ٢٣١  
عبدالله بك طلعت ١ — ٣١ ، ٣٠  
عبدالله عبدالسميع بك ١ — ٢٥٠  
عبدالله علي دلدول ٢ — ٤٢  
عبدالله قنديل ٢ — ١١٩  
عبدالله محروس ٢ — ٧٤ ، ٧١  
عبداللطيف احمد ١ — ٣٢  
عبداللطيف جاويش ٢ — ٤٢



- عبد اللطيف الصوفاني بك } ٣١ — ١  
 ١٣٨ — ٢ }  
 عبد اللطيف علي عبد الله ٢ — ٧١ ، ٧٤ ، ٥٩  
 عبد اللطيف بك غنام ١ — ٢٤١  
 عبد اللطيف المكباتي بك ١ — ١٠٠ ، ١٠٢ ،  
 ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ١٢٥  
 ١ — ١٦٧ ، ١٦٥ ، ١٣  
 عبد الحميد ابراهيم ١ — ٢٢٤  
 » الحميد اللبان ٢ — ٢٢٩  
 » الحميد ابراهيم النبي ١ — ٢١٦  
 » الحميد البيومي ١ — ١٧٥  
 » الحميد الشاذلي ٢ — ١١٩  
 » الحميد فولي ٢ — ٧٣ ، ٧١  
 » الحميد محمد صالح ٢ — ٧١  
 » الحميد محمود ١ — ٢٦٢  
 » المحسن خالد ٢ — ٧٦  
 » المحسن شهاب ٢ — ٧٩  
 » المعطي الحجاجي ٢ — ٤٣  
 » المعطي الشريشي ٢ — ١١٩  
 الأستاذ عبد المقصود متولي ١ — ٣١ ، ١٠٣ ،  
 ٢٣٥  
 عبد الملك أبو زيد علي ٢ — ٧٤ ، ٧٢  
 » الملك سليم ابراهيم ٢ — ٧٤ ، ٧١  
 » الملك فرحات ٢ — ٧٤ ، ٧١  
 » المنعم سليم ٢ — ٧٢  
 » المنعم عبد الجليل ٢ — ٧٤ ، ٧٢  
 » الناصر منصور ٢ — ٧١  
 » النعم عبد السميع ٢ — ٧٣  
 » الهادي عبد الرحمن سالم ٢ — ٧٧  
 » الواحد بك القط ١ — ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠  
 » الوكيل أحمد خاطر ٢ — ١١٩  
 » الوهاب أحمد سبع ٢ — ١٤٢  
 » الوهاب البرعي ١ — ٢٤٠  
 » الوهاب عثمان ١ — ٢٢٣  
 » الوهاب محمد فايد ٢ — ٧٤ ، ٧٢  
 الملازم الأول عبده ابراهيم ٢ — ٧١  
 عبده أحمد ١ — ٢١٣
- عبد أحمد فرج ٢ — ١٢  
 عبده عبد الفتاح أبو سنه ١ — ٢٢٦  
 عبده عبدالله سيدهم الشهير بجرسي ٢ — ٧  
 عبد الفزق ٢ — ٧٩  
 عبده محرم ١ — ٣٣  
 عبده المنفلوطي ٢ — ٧٨  
 عثمان عطية ١ — ٢٢٧  
 عثمان فهمي ١ — ٣٢  
 عثمان منصور ٢ — ٨٠  
 عدلي يكن باشا ١ — ٢٩ ، ٤٨ ، ٦٩ ، ٩٩ ،  
 ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،  
 ١٦١ ، ١٦٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩  
 ٢ — ٩ ، ٣٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٥٦ ،  
 ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٨٩  
 العدوي محمد عزام ١ — ٢٢٣  
 عريان يوسف سعد ٢ — ١٣٠  
 عزيز اسكندر ١ — ٢٦٢  
 عزيز منسي ٢ — ١٣  
 عصمت باشا ٢ — ٩٠  
 عطا حسني بك ٢ — ٤٣  
 عطية ابراهيم ٢ — ٧٢  
 عطية حجاج ٢ — ٢٢  
 عطية حسن حلوه ١ — ٢٢٤  
 عطية الغلبان ١ — ٢٢٦  
 عفيف عطا الله ١ — ٢٢٦  
 علام علي ١ — ٢٢٦  
 علوي الجزار بك ٢ — ١٣٩  
 الدكتور علي ابراهيم باشا ١ — ٢٦١  
 علي بن دينار ١ — ٣٨ ، ٣٩  
 » أحمد رضا ١ — ٣٢ ، ٣٣  
 » أحمد المصلوح ١ — ٢٥٦  
 » الأتسكة ٢ — ٧٩  
 » بيومي ٢ — ٨٤  
 » جاد الحق ٢ — ١١٩  
 » الجندي ٢ — ٤٢  
 » جنيدى محمد ٢ — ٧٢ ، ٧٤  
 » بك حافظ رمضان ٢ — ١٢

علي ماهر باشا ٢ — ٢١ ، ٤٤ ، ٥٢ ،  
 ١٠٧ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٨٩  
 علي محمد ١ — ٢٢٧  
 محمد الشيخ ٢ — ١١٩  
 محمد صبره ٢ — ١١٩  
 محمد النجار ٢ — ١٢٠  
 محمود ٢ — ١١٩  
 مصطفى أبو درة ٢ — ١١٩  
 بك مصطفى خليل ٢ — ٧٨  
 معوض ٢ — ٨٠  
 المصري بك ١ — ٢٥٠  
 المنزلاوي بك ١ — ٢٥٠  
 ١٣٨ — ٢  
 ناصر ١ — ١٧٩  
 هنداوي ٢ — ٨٦ ، ٨٧  
 عمر أبو زيد فايد ٢ — ٧٢ ، ٧٤  
 عمر حسن الأفندي ١ — ٢١٣  
 عمر خلف الله بك ٢ — ١٣٨  
 الأمير عمر طوسون ١ — ١٠١ ، ١٠٢  
 ٢ — ٤١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٨١ ، ١٨٢  
 ٢٢٥  
 عمر عبد الآخر بك ١ — ٢٥٠  
 عمر علي ١ — ٢٢٦  
 عمر عمر ١ — ٣٢  
 عمر بك لطفى ٢ — ٢٥٩  
 عمر محمد الهجراسي ٢ — ١١٩  
 عمر مراد بك ٢ — ١٣٧  
 عمر مكرم ١ — ٢٤٩  
 عواد علي حسن ٢ — ١١٩  
 عوض مرسال ١ — ٢٢٦  
 عوض سيد أحمد ١ — ٢٢٦  
 عيداروس زيد جمعه ٢ — ٧٨  
 عيسى أحمد ١ — ٢٣١  
 عيسى الشويري ٢ — ١٢٠  
 عيسى مثنون ٢ — ١١٩  
 عيسوي محمد مارية ٢ — ١١٩

علي حسن ١ — ٢٥٦  
 حسن بكري ٢ — ١٤٢  
 حسن سليمان ٢ — ٨١  
 حسن علي ١ — ٢٢٣  
 حسن هدايت ٢ — ٤٣  
 الدكتور علي رامز ١ — ٢٦٢  
 علي رفاعي بك ١ — ٢٥٠  
 زيتون ٢ — ٢٢  
 سرور الزنكلوني ١ — ٢٠٤  
 الشايب ٢ — ١٢٠  
 شعراوي باشا ١ — ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ،  
 ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٦٧ ،  
 ٢٥٠ ، ٢٥١  
 ١٣٨ ١٢٥ — ٢  
 شقير ٢ — ١٢٥  
 صادق ١ — ٣٤  
 الملازم الثاني علي عبد الجواد ٢ — ٩٤  
 علي عبد العزيز ١ — ٢٢٣  
 عبد الطيف ٢ — ١٢٠  
 عسكر ١ — ٢٢٦  
 علي أبو سليم ٢ — ٧٩  
 علي البنا ٢ — ١٢٠  
 علي جابر ١ — ٢٢٦  
 علي دياب ٢ — ٧٩  
 علي الرازي ٢ — ٧٩  
 عوض الله ١ — ٢٢٤  
 علي مصطفى ١ — ٢٢٣  
 عمر بك ٢ — ٤٢  
 غنيم ٢ — ٨١  
 فايد ٢ — ٩٢  
 فرحات ١ — ٢٠٨  
 فهمي ١ — ٧٠  
 فهمي خليل ١ — ٣١  
 ٢ — ٤٣  
 فهمي كامل ١ — ٣١  
 ١٧١ ، ١٣٥ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ٥٢ — ٢



البطريق كيرلس ١ — ٢٤٩  
الافتتنت كولونل كيلنج ٢ — ٢٦

( ل )

اللاى اللنى ٢ — ٤٩  
لجنة الثورة ١ — ٢٠٣ ، ٢١٧  
لجنة موظفى الحكومة ٢ — ١٤ ، ١٥ ، ١٦  
١٧ ، ١٨ ، ١٩  
لطفية الجندى ١ — ٢٤١  
ملوم السعدى المصرى ١ — ٢٥٠  
البريجدير جنرال لوصون ٢ — ٨٧  
المستر لويد جورج ١ — ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٦٦  
١٦٩ ، ٢ ، ٢٤ ، ٥١  
لويس فانوس ٢ — ١٠٥  
لويس فيليب ١ — ١٣١  
السيرلى ستاك باشا ١ — ٤٣  
ليتو سروو ١ — ٢١١

( م )

الكابتن مارشان ١ — ١١٦  
مارى ميرم ١ — ١٨٩  
مؤتمر برست ليتوفسك ٢ — ٥٩  
المؤتمر الدولى الاشتراكى ٢ — ٥٥ ، ٦٠ ، ٦١  
٩١  
مؤتمر السلام بجنيف ٢ — ٥٤  
مؤتمر السلام فى الهائى ٢ — ٥٤ ، ٥٨  
مؤتمر السلام الدولى العام ١ — ١٣٥ ، ١٦١  
١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٦٨  
٢ — ٣١  
مؤتمر الشبيبة المصرية ٢ — ٥٤  
مؤتمر فرسائى ١ — ٦١ ، ١٢٦ ، ١٥٩  
١٦٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢  
٢ — ٣ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠  
٣٤ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١

كرمة أحمد أبو اصبع ١ — ١٨٩

كرمة أحمد بك ندا ١ — ١٨٨

كرمة اسماعيل أباطة باشا ١ — ١٨٨

كرمة اسماعيل رمزى بك ١ — ١٨٩

كرمة أمين باشا سيد احمد ١ — ١٨٩

كرمة أمين باشا الشمسى ١ — ١٨٨

كرمة الشيخ الأنصارى ١ — ١٨٨

كرمة توفيق باشا ١ — ١٨٨

كرمة السيد أباطة باشا ١ — ١٨٩

كرمة شوقى باشا ١ — ١٨٨

كرمة صالح بك فريد ١ — ١٨٨

كرمة عبد الفتاح بك اللوزى ١ — ١٨٨

كرمة عبد الله بك الطوير ١ — ١٨٩

كرمة عبد المحيد بك رضوان ١ — ١٨٨

كرمة عثمان باشا مرتضى ١ — ١٨٨

كرمة محمد بك أنور ١ — ١٨٨

كرمة محمد بك رشاد ١ — ١٨٨

كرمة محمد الشورابى باشا ١ — ١٨٩

كرمة محمد بك منيب ١ — ١٨٨

كرمة محمود بك أباطة ١ — ١٨٩

كرمة محمود سائى البارودى باشا ١ — ١٨٨

كرمة محمود نصيف بك ١ — ١٨٨

كرمة مصطفى بك الباجورى ١ — ١٨٨

الافتتنت كولونل كللى ١ — ٣٩

الأمير كمال الدين حسين ١ — ٤٤ — ٢

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩

مستر كنج لوز ١ — ٧٨

الأستاذ كوشرى ١ — ١١٤

الجنرال كونجريف ٢ — ١١٢

مستر كيتل ١ — ٩٨

الدكتور كيننج ١ — ١٧١

اللورد كيرزون ١ — ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

٢٥٣

٢ — ١٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٨٩ ، ١٠٧

١١١ ، ١٢٥ ، ١٦٩

- ٧٤ ، ٧٢ — ٢ محمد أبو زيد علي ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٩٠ ، ٩١ ،  
 محمد أبو السعود ٢ — ١٢ ١٤٨ ، ١١٠  
 محمد أبو شادي بك ١ — ٢٠٤ ٩٠ — ٢ مؤتمر لوزان  
 ١١٥ ، ٤٣ — ٢ ٥٤ — ٢ المؤتمر الوطني المصري  
 محمد افندي أبو شادي ٢ — ٨ ٢٢٦ — ١ مبروك مبروك  
 محمد أبو طائلة ٢ — ٤٢ ٧٩ — ٢ متبولي السيد أبو حور  
 الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي ١ — ٢٤٩ ، ٢٥٩ ١٣٨ — ٢ متولي حزين بك  
 ١٢٠ ، ١١٩ — ٢ ٢٢٣ — ١ متولي العوضي  
 محمد أبو الوفا ١ — ٣٣ ٨٧ — ١ مجلة الايكونومست  
 أحمد بهاء ٢ — ٨٤ ٥٦ — ١ مجلة السكوت مرماري رفيو  
 أحمد الخاني ٢ — ٤٣ ٥٩ — ٢ مجلة النشرة المصرية  
 أحمد الشيبيني ٢ — ١١٩ ٨٨ ، ٨٢ — ١ مجلس الشيوخ  
 محمد احمد الطوخى ٢ — ١١٩ ٥٨١ — ١ مجلس الشيوخ الأمريكي  
 أحمد عبد العاطي ١ — ٢٥٦ ١٤٨ ، ٥١ ، ٥٠ — ٢  
 أحمد القطيشي ٢ — ١١٩ ٩٨ — ١ } مجلس العموم البريطاني  
 أحمد نصار ٢ — ٧٢ ٨٩ — ٢ }  
 أحمدى ٢ — ١١٩ ٢٥٢ — ١ } مجلس اللوردات  
 الإسلامبولي ٢ — ٤٢ ١٠٧ ، ٨٩ ، ٣٥ — ٢ }  
 ١٦٩  
 الدكتور محبوب ثابت ١ — ٢٠٤  
 عمرز أحمد الحارقي ١ — ٣٣  
 محفوظ جاد ٢ — ٧٣  
 محمد ابراهيم ٢ — ٧٣  
 محمد ابراهيم ٢ — ١١٩  
 محمد ابراهيم ١ — ٢١٣ }  
 ٤٣ — ٢ }  
 محمد ابراهيم البيوي ٢ — ١١٩  
 محمد ابراهيم جمعة ٢ — ٢٨٥  
 محمد ابراهيم خالد ٢ — ٧٦  
 محمد ابراهيم راشد ١ — ٢١٦  
 محمد ابراهيم سالم زويل ٢ — ١٤٢  
 محمد ابراهيم سليمان ٢ — ٨٧ ، ٨٦  
 محمد ابراهيم عبد الله ٢ — ٧١  
 محمد ابراهيم عبيد ٢ — ٧٤ ، ٧٢  
 محمد أباطه ٢ — ٤٢  
 الدكتور محمد أبو زيد توني ٢ — ٧٦

- محمد الخطيب ٢ — ١١٩  
 الشيخ محمد الحشاب ١ — ٢٤١  
 محمد خليفة ١ — ٢١٤  
 » خليل (متوفى) ١ — ٣٣  
 » خليل (تاجر) ١ — ٣٤  
 » خليل ٢ — ٩٤  
 الدكتور محمد خليل عبد الحائق ١ — ٢٦٢  
 الأمير محمد داود ٢ — ٨٦  
 محمد درويش التهامي ١ — ٢١٦  
 » درويش العصار ٢ — ١٢٠  
 » راضي ٢ — ٤٣  
 » رجب ٢ — ٧١  
 » رحى ٢ — ٧٧  
 » بك رشاد ١ — ١٢٩  
 » رشوان بك الزمرى ٢ — ١٣٨  
 » رفعت الميزاني ٢ — ٠  
 » بك رمضان ١ — ٢٣٥ ، ١٨٠  
 الدكتور محمد رياض ١ — ٢٦٢  
 محمد زردق ٢ — ٧٩  
 محمد زكى الإبراشي ٢ — ٢١  
 محمد زكى عارف ٢ — ٤٢  
 محمد زكى على ١ — ١٧٩ ، ١٠٣ ، ٣١  
 محمد زكى عمر ٢ — ٤٢  
 » سالم رضوان ١ — ٢٢٣  
 » سامي ١ — ٣٢  
 » سامي ٢ — ٨٨ ، ٨٦  
 » السباعي المصري ١ — ٢٥٠  
 » سبيع الذهبي ٢ — ١١٩  
 » سعد ١ — ٢٢٥  
 » سعد بركة ٢ — ١١٩  
 » سعد الورداني ٢ — ٧٧  
 » سعيد باشا ٢ — ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ١٥  
 ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٧٠ ، ٧٣ ،  
 ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ،  
 ١١٠ ، ١٣٦  
 محمد سلام حسن ١ — ٢٦٢
- محمد توفيق رفعت باشا ٢ — ١٤٤  
 » توفيق عمران ١ — ٢٧٢  
 » توفيق نسيم باشا ٢ — ٣٧ ، ٣٩ ، ١٠٥ ،  
 ١٢٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥  
 محمد جاد ٢ — ٧٢ ، ٧٤  
 » جيرة ١ — ٢٢٧  
 » جبريل ١ — ١٧٨  
 » الجزائر ١ — ٢٥٦  
 » جمعة ٢ — ١٢  
 » حافظ رمضان بك ١ — ١٧٩  
 » حسن البشبيشي ٢ — ٧٨  
 » حسن البنا ٢ — ٤٢  
 » حسن الجزاوي ٢ — ٨٠  
 الحاج محمد حسن شعاعته ١ — ٢١٧  
 محمد حسن الصانع ١ — ١٨٤  
 » حسن محمود ٢ — ٧٢ ، ٧٤  
 » حسن مراد ١ — ٢٢٣  
 » حسين ٢ — ١١٩  
 » حسين يونس ٢ — ٧٩  
 » حسين ١ — ٢٥٦  
 » حسين ٢ — ٧٢  
 الملازم الأول محمد حسين أحمد السبع ٢ — ٧٦  
 محمد حسين العرارجي ٢ — ٩٥  
 » حسين عفيفي ١ — ٢١٦  
 » حشمت ٢ — ٧٧  
 » حفي بلال ٢ — ١٢٠  
 » الحلبي ٢ — ١١٩  
 » حلمي الجيار ٢ — ٨٨ ، ٨٦  
 » حلمي عيسى ٢ — ٢٢  
 » حماد خليفة ٢ — ١٢٠  
 » حمدي ٢ — ٤٣  
 » حمدي بك ٢ — ٨٢ ، ٤٣  
 » حميد ١ — ٣٢  
 » محمد الحنبلي ٢ — ١١٩  
 » خالد باشا ١ — ٣٢  
 » الحضرجي ٢ — ٧٨

- محمد عبد الخالق مذكور ١ - ١٢٦ ، ٢٥٠ ،  
٢٥١  
٢ - ١٣٩ ، ١٣  
محمد عبد الدائم ١ - ٢٢٧  
» عبد الرحمن الجدبلي ٢ - ٨٨ ، ٨٦  
محمد عبد الرحمن الصباحي ٢ - ٤٣  
» عبد العظيم ٢ - ٨٣  
» عبد الغني السندوني ١ - ٢٢١  
» عبد اللطيف دراز ١ - ٢٠٤  
٢ - ١١٩ ، ١٠٧  
محمد عبد الله ١ - ٢٢٧  
» عبد الله عنان ١ - ٣٣  
» عبد الله محمد ٢ - ١١٩  
» عبد الحميد ١ - ٢٠٨  
» عبد الحميد بدر ١ - ٢٠٤  
» عبد الحميد العبد ١ - ١٠٣  
» عبد المنعم الصعیدی ١ - ٢٢٣  
» عبد الهادي الجندي ٢ - ٣٢  
» عثمان ١ - ٢١٤  
» عثمان ١ - ٢٢٦  
» عثمان أباطة بك ٢ - ١٣٩  
» مجيبة ١ - ٢١٨  
» عرفة ١ - ٢٢١  
» عزازي ١ - ٢٢٧  
» عزام بك ٢ - ١٣٩  
» عزت البيوي ١ - ١٧٤ ، ١٧٥  
» عز العرب ١ - ١٨٣ ، ٢٥٠  
» عزى ١ - ٣٣  
» عزى الصياد ٢ - ٧٩  
» عطا الله ١ - ٢٢٧  
» عفيفي ١ - ٢٢٥  
محمد علام ١ - ٢٣٠  
» ٢ - ٧٥  
» علام بك ٢ - ١٣٨  
» علم الدين ١ - ٢٢٥  
» علي ٢ - ٧٧  
» علي ٢ - ٨١
- محمد سلام منصور ١ - ١٧٨  
» سليم ١ - ٤٣  
» سليمان محمد ١ - ٢١٤  
» سمك ١ - ٢١٥  
» السيد أبو علي ١ - ٢٥٠  
» ٢ - ١٣٨  
» سيد عبد الرسول ١ - ١٧٨  
» السيد غرب ١ - ٢٠٨  
» السيد واكد ١ - ٣٢  
» الشاعر ٢ - ١١٩  
» الشافعي ١ - ٣١  
الشيخ محمد شاكر ٢ - ١٣٨  
محمد شاهين سمرة ١ - ٢٢٣  
» الشايب ٢ - ١١٩  
» شبراخيت ٢ - ١٢  
» شحاته ٢ - ٧٦  
» شريمي ٢ - ١١٩ ، ١٣٩  
» شعبان ١ - ٢٢٣  
» شفيق باشا ٢ - ٢٥١ ، ١٠٥ ، ١٣٠ ،  
١٤٤  
محمد شكري كيرشاه ١ - ٢٠٤  
» شكري باشا ١ - ١٥١  
» ٢ - ٢٥  
» شكري طلحة ٢ - ٢٢  
» شمس الدين ١ - ٣٤  
» شمس الدين ١ - ٢٦٢  
» صادق أبو هيف ٢ - ٩٥  
» صبري أبو علم ١ - ٣٢  
» صبري منصور ٢ - ٤٣  
» صدقي ٢ - ٨١  
» صفوت ٢ - ٤٣  
» عاطف بركات ٢ - ٢١  
» عامر العربي ١ - ٢١٦  
» عباده ١ - ٢١٤  
» عباس رفعت ١ - ٣٢  
» عبد الخالق العثمري ٢ - ١١٩

محمد بك فريد ١ - ٦ ، ٣١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،  
٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ،  
٩٤ ، ٩٨ ، ١٢٥ ، ١٢٥ ، ٢٣٧ ،  
٢٣٩  
٢ - ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٦ ، ١٢٥ ،  
١٢٦ ، ١٢٧  
محمد فريد { ١ - ٣٤  
٢ - ٤٣ }  
فريد الضمرغاي ٢ - ١٣٠  
فريد كمال ١ - ٣٢  
فضالي ٢ - ٤٣  
فهيمى ٢ - ٢٢  
فهيمى كرامة ١ - ٣٣ ، ٣٢  
فايد حسن ٢ - ٧١  
القرشى محمد نور ١ - ٢٢٣  
قطبي ٢ - ٢٢  
كامل برادة ١ - ٢٦٢  
كامل البندارى ١ - ١٨٠  
كامل حسين ١ - ١٨٠ ، ٢٠٤  
٢ - ٤٣  
محمد كامل محمد ٢ - ٤٤  
البكباشى محمد كامل محمد ٢ - ٧٥  
محمد كامل محمود ١ - ٣٣  
الكردى ١ - ٢٠٧  
كمال أبو جازية ٢ - ١٣٩  
الكنانى ١ - ٢٢١  
ليب عطية ٢ - ٢٢  
لطفى المسلى { ١ - ٣٠٤  
٢ - ٨٦ ، ٨٧ }  
ماضى ٢ - ٧٨  
مأمون عبد المعطى ١ - ٢٢١  
مبارك ١ - ٢٦٢  
محفوظ ٢ - ١٠٧  
محمد البحرى ٢ - ٧٩  
حسين ١ - ٢٥٦  
الزاواوى ١ - ٢٥٦

الأمير محمد على ابراهيم ٢ - ١٢٧ ، ١٢٨ ،  
١٨١ ، ١٨٢  
محمد على البراوى ٢ - ١٢٠  
على رحى ١ - ٢٢٩  
على زيدان ١ - ٢١٦  
على سليمان بك ٢ - ١٣٩  
على الشحات ١ - ٢٢١  
على صادق ١ - ٣٢  
على عامر ١ - ٢١١  
عثمان ٢ - ١٠٢  
على علوية باشا ١ - ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٢٥ ،  
٢٥٠ ، ٢٥١  
٢ - ١٢  
محمد على غزلان ١ - ١٧٩  
على الفشن ٢ - ٧٩  
على الكبير ١ - ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣ ،  
٦٠ ، ٦٨ ، ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٣١ ،  
١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٨  
٢ - ٤ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ١٣٦  
محمد على محمود ٢ - ٧٢ ، ٧٤  
على المسنى ٢ - ٧٨  
على مكاوى ٢ - ٧١ ، ٧٤  
على وافي ١ - ٢٢٤  
عمر دمرداس ١ - ٣٣  
محمد عوض خبريل { ١ - ٣١  
٢ - ٤٣ }  
محمد عوض محمد { ١ - ٤١  
٢ - ٤٣ }  
العبونى ٢ - ٧٩  
غنيم الشيال ١ - ٢٢٣  
غنيم عبدون ٢ - ٧٨  
فؤاد حسنى ١ - ١٨٠  
فؤاد جدى ١ - ٣١ ، ٣٢ ، ٢٣  
فؤاد عفت ٢ - ٨٠  
نغرى ١ - ٢٢٣  
قرحات ١ - ٢٢٧



- محمد المهدي ١ — ٢٢١  
 محمد المهدي علي ٢ — ١١٩  
 محمد المرغني ٢ — ٨٧  
 الشيخ محمد ناجي ١ — ١٨٣ ، ٢٤٩  
 محمد نافع باشا ١ — ٢٥٠  
 » نافع ٢ — ٤٣  
 » النجدي ٢ — ١١٩  
 » نجيب سري ٢ — ٨٣  
 » نصر الدين ١ — ٣٢  
 » هلالى اسماعيل ٢ — ٧١ ، ٧٤  
 » وهبه ١ — ٢٢٧  
 » بس الجندي ٢ — ١١٩  
 » بك يوسف ١ — ١٧٩  
 » يوسف ١ — ٢٠٤  
 الشيخ محمد يوسف ٢ — ٤٣  
 محمد يوسف ٢ — ٨٧  
 محمد ابراهيم الدسوقي } ١ — ٣١  
 } ٢ — ٤٣  
 » ابراهيم مجلان ٢ — ٧٩  
 » أبو حسين باشا ٢ — ١٣٨  
 » أبو العلاء ٢ — ٧٢  
 » أبو العيون } ١ — ٢٠٤  
 } ٢ — ٤٣ ، ١٠٧  
 » أبو الفتح ١ — ١٠٤  
 » أبو النجا ١ — ٢٤١  
 » أبو النصر بك ١ — ١٢٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥١  
 ٢ — ١٤ ، ٥٢  
 محمود الإبري باشا ٢ — ١٣٨  
 » أحمد ١ — ٢١١  
 » أحمد العريبي ٢ — ١٢  
 » الإمام ٢ — ١١٩  
 » بسبوني } ١ — ١٨٠  
 } ٢ — ٨٢  
 » جاد المولى ٢ — ١٠٢  
 » الجزيري ٢ — ١١٩  
 » حبيب ٢ — ٢٢
- محمد محمد سمك ٢ — ٧٩  
 » عبد الوهاب ٢ — ٨٣  
 » القروي ١ — ١٧٨  
 » كمونة ٢ — ٧٨  
 » محمود ١ — ٣٣  
 » المدلل ٢ — ١١٩  
 » المرعشلى ١ — ١٧٨  
 » هلالى ٢ — ١٢٠  
 » محمود باشا ١ — ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٦٦ ،  
 ١٦٨  
 ٢ — ٥ ، ١٣ ، ٦٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،  
 ١٦٥ ، ١٦٧  
 محمد محمود بك ٢ — ١٣٧  
 » محمود خليل بك ١ — ١٧٩  
 » محمود شادى ١ — ٢١٦  
 » مخلوف ٢ — ١٢٠  
 » مرزوق ٢ — ٨٤  
 » مرسي سالك ٢ — ١٢  
 » مرسي شحانة ٢ — ٧١ ، ٧٣  
 » مرسي محبوب ٢ — ٧١ ، ٧٣  
 » مسعود ١ — ٢٢٧  
 » المصري ١ — ١٢  
 » مصطفى حجاب ١ — ٢١٥  
 » مصطفى السيد ١ — ٢١٦  
 » مصطفى الشرفاوى ١ — ٢١٧  
 » مصطفى عهدي ٢ — ٤٣  
 » مصطفى كمال الديق ١ — ٣٢  
 » المصالحى ٢ — ٨٦ ، ٨٨  
 » مكاوى ٢ — ٤٢  
 » المنسى ١ — ٢٢١  
 » منصور ١ — ٢٠٨  
 » منصور ٢ — ١٣  
 » منصور عطا الله ١ — ٢٦٧ ، ٢٦٩ ،  
 ٢٧٠  
 محمد منظور الدالى ١ — ٢٦٣  
 محمد النياوى ٢ — ١٣٩

- محمود حسن ٢ — ٢٢  
 حسن درويش ١ — ٣٢  
 حسن مراد ١ — ٢٢٣  
 الفريق محمود حلمي باشا ٢ — ٢٥  
 محمود حلمي لهيطة ٢ — ٣٣  
 خليل باشا ١ — ٢٥٠  
 الديناري ٢ — ١١٩  
 رمضان صادق ٢ — ٩٤  
 اليوزباشي محمود رياض ٢ — ٤٣  
 محمود زكي ١ — ١٨٤  
 زكي ٢ — ٢٢  
 الدكتور محمود سامي ١ — ٢٤٠  
 محمود سامي ٢ — ٢٢  
 سامي جنبينه ١ — ٣٢  
 السجيني ١ — ٢٠٨  
 سليمان باشا ١ — ٢٥٠ ، ٢٠٥  
 ٢ — ١٧٠ ، ١٣٦ ، ١٠٧ ، ١٠٦  
 محمود السيد فتاوي ٢ — ١٠٣  
 السيد منصور ٢ — ٩٤  
 السيد نجم ١ — ٢٦٣  
 صدق باشا ١ — ٢٥٠  
 الطوخي الفلكي ٢ — ٤٢  
 الطويل ١ — ٢١٥  
 ٢ — ٧٨  
 عباس ٢ — ٢٢  
 الدكتور محمود غنيد الرازي ١ — ٢٢٩  
 ٢ — ٧٧  
 محمود عبد الرحمن ٢ — ١٤٣  
 عبد السلام ١ — ٢٠٤  
 ٢ — ٨٧  
 بك عبد النبي ١ — ٢٤٣ ، ٢٤١  
 عبد الوهاب ١ — ٢٥٦  
 عبده عيد ٢ — ٤٢  
 علي عامر ٢ — ١٢  
 علي ناصر ١ — ٣٣  
 العمري ١ — ١٧٥  
 محمود عنایت ١ — ٣٤  
 الغمراوي ٢ — ١١٩  
 نظري باشا ٢ — ١٤٤ ، ٤٥  
 فهمي الزارع ١ — ٣٢  
 فهمي النقراشي ٢ — ٤٢  
 ماهر ١ — ٢٦٢  
 محمد ١ — ٢٢٧  
 محمد ١ — ٢٢٦  
 محمد سرموح ٢ — ١٢  
 محمد القروي ١ — ١٧٨  
 محمود موسى ١ — ٣٢  
 مذكور ١ — ١٨٤  
 مطلقني ٢ — ١٢  
 مصطفي ٢ — ٩٤  
 مطاوع ١ — ١٧٨  
 مفتاح أحمد ٢ — ٧٤ ، ٧١  
 نصرت ١ — ٢٢٨  
 نصير ١ — ٢٤٠  
 جام ٢ — ١٣٩  
 وهدان ١ — ٣٣ ، ٢٢  
 يونس ١ — ٢٢١  
 محي الدين حامد ٢ — ١٢  
 مدام رفائيل بغدادی ١ — ١٨٨  
 مدحت باشا ١ — ٦١  
 مدحت بكر باشا ٢ — ٦٣  
 مدرسة السيد بك كشك ١ — ٢١٧  
 مرزوق محمد اسماعيل ١ — ٢١٦  
 مرسى فرحات ١ — ٣٣  
 مرسى محمد قر ١ — ٢٢٣  
 مرسى نجيب القزق ٢ — ٧٨  
 مرقس حنا بك ٢ — ١١٥  
 القمس مرقس سرجيوس ١ — ٢٠٤  
 ٢ — ١٠٥ ، ٤٣  
 مرقس سميكه باشا ٢ — ١٣٩  
 مشروع برونييت ١ — ٧٠  
 المصري السعدي بك ٢ — ١٣٩

معاهدة لندن سنة ١٨٨٥ ، ٢ — ٥٨  
معاهدة لوزان ٢ — ١٨٧ ، ٩٠  
معوض السخاوى ٢ — ١١٩  
المتر مكسويل ٢ — ٨٦  
اللورد ملتر ١ — ٤٠ ، ٥٠ ، ٧٧ ، ٧٩ ،  
١٩٢ ، ١٢٥  
٢ — ٣٦ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ،  
٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،  
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،  
١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،  
١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،  
١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،  
١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٣ ،  
١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،  
١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،  
١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،  
٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ،  
٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،  
٢٢٦  
السير ملن شيتهم ١ — ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ،  
١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٤٧ ،  
١٧٤ — ٢  
منا بدوى إبراهيم ٢ — ٩٦  
منادزى محمد المرسى ١ — ٢٢٣  
الرئيس منو ١ — ٥٨  
منصور أبو بكر ١ — ٢٢٧  
منصور حسين ١ — ١٧٨  
الأمير منصور داود ٢ — ١٢٧ ، ١٢٨  
منصور على الديب ١ — ٢١٣  
منصور فهمى جرجس ١ — ٢١٦  
منصور يوسف باشا ٢ — ١٣٨  
منفتاح ٢ — ١٤٧  
منير جرجس عبد الشهيد ٢ — ٨٧  
المهدى ١ — ١١٦  
موسى أمين ١ — ٢١١  
موسى شريف ٢ — ١٢٠

مصطفى الاييارى ٢ — ٧٨  
مصطفى أحمد سليم ٢ — ٨  
مصطفى أحمد الشرفاوى ١ — ٢٦٢  
مصطفى بدر زيد ٢ — ١٢٠  
ب كبير بك ٢ — ١٣٩  
حلمى ٢ — ٧٤ ، ٧٢  
حمدى ١ — ٣١  
سعيد ٢ — ٢٢  
الشوربجى ١ — ٣١ ، ١٠٣  
شوقى ٢ — ٢٢  
شيداوى ٢ — ٨٢  
عبد الرازق ٢ — ١١٩  
فرويز ٢ — ١١٩  
الفاياني ١ — ٢٠٥ ، ٢٠٤ }  
٢ — ١٠٧ ، ٤٢ }  
كامل ١ — ٦ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٨٩ ،  
٢٣٦  
٢ — ٥٣ ، ١٢٦  
مصطفى ماهر أمين ١ — ١٧٥ ، ٢١٠  
محمد عيد ٢ — ١٢٠  
محمد مأمون ٢ — ١٢٠  
محمد هاشم ١ — ٢١٦  
مسعود حسين ٢ — ٧١  
منير ٢ — ٢٢  
التجاس باشا ١ — ١٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠ ،  
٢٥١  
٢ — ١٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٨٤ ،  
معاهدة الاستانة سنة ١٨٨٨ ، ١ — ١٢١ ،  
١٢٢  
٢ — ٣٠ ، ٥٨ ، ٩٠ ، ١٥٥ ، ٢٧٢ ،  
معاهدة باردو وقصر سعيد ٢ — ١٧٥  
معاهدة سيفر ٢ — ٩٠ ، ١٨٧  
معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، ١ — ١١ ، ١٠٨ ،  
١١٣ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ،  
١٤٣ ، ١٥٢  
٢ — ١٠٠

- المستر هارمسورث } ٢٣٣ - ١  
٨٩ - ٢  
المدير هالتون ١ - ١٨٢  
البريجادير جنرال هدلتون ١ - ٢٢٩ ، ٢٣٢  
هدى شعراوى } ١٨٨ - ١  
١١٦ - ٢  
المستر هرست ٢ - ٩٢ ، ١١٢ ، ١٤٩  
هلالى جنيدى ٢ - ٧٢ ، ٧٤  
هلالى على منصور ٢ - ٧٢  
هام على ١ - ١٧٨  
هميسون جارى ٢ - ٢٤  
المستر هندرسن ٢ - ٦٠ ، ٦١  
هنرى كامبل باerman ١ - ٦٥  
هنرى مكماهون ١ - ١٠ ، ٢٦ ، ٤٢ ، ٤٣  
هنداوى على زهرة ١ - ٢٢٣  
المارشال هندنبرج ١ - ١٩٠  
المستر هورزنتل ١ - ٧٨  
اللفتننت كولونل هيرل ١ - ٢٣١  
مستر هيتز ١ - ١١٢ ، ١٥٦

( و )

- المسيو وادنجتون ١ - ١٢٣ ، ١٢٩  
واصف غالى باشا ١ - ١٢٦  
واقعة طوسون ١ - ٣٦  
واقعة الرمانة ١ - ٣٧  
المستر والتون ١ - ١٧٠  
الميجر جنرال وطن ١ - ٦ ، ٦٨ ، ١٥٠ ،  
١٦٥  
٢ - ٢٧ ، ٦٢ ، ١١٢  
الوفد المصرى ١ - ٦ ، ٧ ، ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ،  
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،  
١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،  
١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،  
١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،  
١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ،

- موسى محمد الخليفة ٢ - ١٢  
موقعة التل الكبير ٢ - ٥٨  
ميثاق الراحة ٢ - ٥٦  
ميخائيل جرجس ١ - ١٨٠  
ميشيل لطف الله بك ٢ - ١٣٩

( ن )

- نازلى ٢ - ٤٠  
ناشد غريال ٢ - ٨٦  
نابليون } ١ - ١٢٥ ، ٢٠٣  
٢ - ٤٢ ، ٥٧  
الدكتور نجيب اسكندر ٢ - ٢٢  
نجيب بطرس غالى باشا } ١ - ٢٥٠  
٢ - ١٧٧  
نجيب جرجس ٢ - ٧  
الدكتور نجيب محفوظ ١ - ٢٦٢  
الدكتور نجيب مقار ١ - ٢٦٢  
نجية عبد الله ١ - ٢٣١  
نصر الدين زغلول ١ - ١٧٩  
نصر فريد بك ١ - ٣١  
نظير على ١ - ٢٢٧  
نemat محمد ١ - ٢٢٧  
نعمان لبراهيم ١ - ٢٢٧  
نعيمه بنت على ٢ - ٩٦  
نعيمه عبد الحميد محمد ١ - ٢٦٢  
السيدة نفيسة ٢ - ٦٩  
نقابة المحامين } ١ - ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢  
٢ - ٩٦  
نوبار باشا ١ - ١١٥  
المسيو نوتوفنش ١ - ١٢٢  
نور الدين ٢ - ٨٣  
المستر نيكلسون ٢ - ١١٣

( هـ )

- المستر هاتون ١ - ١١٩

٢ - ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٩١ ، ١٤٧ ، ١٤٨

(ى)

ياقوت عبد النى ٢ - ٨٦ ، ٨٨  
 يحيى ابراهيم باشا ١ - ١٨١ ، ١٨٢  
 ٢ - ٥٣ ، ٨٨ ، ١٠٥  
 يحيى مصطفى عبد التواب ٢ - ٧٩ ، ٨٠  
 اليد السوداء ٢ - ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤  
 يعقوب صبرى ١ - ٣١  
 يمن بنت صبيح ١ - ٢٢٦  
 يوسف أحمد الجندى ١ - ٣٢ ، ٢٠٤ ، ٢١٧  
 يوسف أصلان قطاوى ٢ - ١٣٩  
 يوسف حسين القاضى ٢ - ٤٢  
 يوسف الرمالي ٢ - ١٢٩  
 يوسف سابا باشا ١ - ٢٥٠  
 يوسف سليمان باشا ٢ - ١٤٤  
 الشيخ يوسف عاشور ١ - ٢١٩  
 يوسف عبد الغفار ٢ - ٨٠  
 الأمير يوسف كمال ٢ - ١٢٧ ، ١٢٨  
 يوسف مبروك ١ - ٢٧٢  
 يوسف مرسى ٢ - ٩٦  
 يوسف وهبه باشا ١ - ٢٩ ، ٤٨ ، ٢٤٩  
 ٢ - ٩ ، ١٨ ، ٣٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١  
 ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١١٠  
 يونس صالح بك ٢ - ٤٣ ، ١١٥

١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٣٥  
 ٢ - ٤ ، ١٣ ، ١٤ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٦  
 ٣٧ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٩  
 ٨٥ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤  
 ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٤٩  
 ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٤  
 ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٨٩  
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠  
 ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦  
 الملازم وللى ١ - ٢٣٠  
 وهبه مينا ٢ - ٢٢  
 الجزائر وللى } ١ - ١١٣  
 } ٢ - ٥٦  
 السير ولیم برونيث ١ - ٥٠ ، ٧٠ ، ٧١  
 ١٥٣  
 السير ونجت ١ - ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٢  
 ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨  
 ٩٩ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٦  
 ١٦٥ ، ٢٤٥  
 ٢ - ٦٢ ، ١٩٥  
 ويصا واصف ٢ - ١٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧  
 المارشال ويفل ١ - ١٢  
 الرئيس ويلسن ١ - ٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠  
 ٩٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٤  
 ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠

هذا هو ترتيب الأسماء في هذا الكتاب حسب الحروف الهجائية  
 كما هو الحال في جميع الكتب المطبوعة

هذا هو ترتيب الأسماء في هذا الكتاب حسب الحروف الهجائية

هذا هو ترتيب الأسماء في هذا الكتاب

هذا هو ترتيب الأسماء في هذا الكتاب

## للمؤلف :

### حقوق الشعب

يتضمن شرح المبادئ والنظريات والقواعد الدستورية وحقوق الإنسان - طبع

سنة ١٩١٢

### نقابات التعاون الزراعي

يتضمن تاريخ التعاون الزراعي ومنشآته في أوروبا ، ونشأة التعاون في مصر وتاريخه ،

ونظامه وعلاقته بالنهضة الاقتصادية والاجتماعية - طبع سنة ١٩١٤

### الجمعيات الوطنية

صحيفة من تاريخ النهضات القومية ، يتضمن تاريخ الانقلابات السياسية والنهضات

القومية في طائفة من البلدان ، مع شرح أصول الدساتير ، والنظم البرلمانية فيها ، والمقارنة

بينها - طبع سنة ١٩٢٢

### تاريخ الحركة القومية

الجزء الأول : يتضمن ظهور الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث ، وبيان الدور

الأول من أدوارها ، وهو عصر المقاومة الأهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر ،

وتاريخ مصر القومي في هذا العهد

الجزء الثاني : من إعادة الديوان في عهد نابليون إلى ولاية محمد علي

### عصر محمد علي

يتناول تاريخ مصر القومي في عهد محمد علي

## عصر إسماعيل

الجزء الأول : يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل  
الجزء الثانى : وفيه ختام الكلام عن عهد إسماعيل

## الثورة العراقية

والاحتلال الإنجليزى

## مصر والسودان

فى أوائل عهد الاحتلال

تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢

## مصطفى كامل

باعت الحركة الوطنية

تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨

## محمد فريد

رمز الإخلاص والتضحية

تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ إلى ١٩١٩

## ثورة سنة ١٩١٩

تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١

الجزء الأول : يشتمل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، و بيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة ، وتطور الحوادث من بعد انتهاء الحرب إلى شوب الثورة فى مارس سنة ١٩١٩ ، ثم وقائع الثورة فى القاهرة والأقاليم

الجزء الثانى : وفيه الكلام عن مهادنة الثورة ، واستمرارها ، ومحاكلات الثورة ،  
ولجنة ملنر ، والحوادث التى لابستها ، ومفاوضات ملنر ، واستشارة الأمة فى مشروع ملنر ،  
والتبليغ البريطانى بأن الحماية علاقة غير مرضية ، وتناجى الثورة فى حياة مصر القومية

### فى أعقاب الثورة

الجزء الأول : تاريخ مصر القومى من ابريل سنة ١٩٢١ إلى وفاة « سعد زغلول »  
فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧

الجزء الثانى : تاريخ مصر القومى من وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ إلى وفاة الملك أحمد  
فؤاد سنة ١٩٣٦

الجزء الثالث : تاريخ مصر القومى من ولاية فاروق عرش مصر فى ٦ مايو سنة ١٩٣٦  
إلى سنة ١٩٥١

### مذكراتى

١٨٨٩ — ١٩٥١

خواطرى ومشاهداتى فى الحياة

### شعراء الوطنية

فى مصر

تراجهم . وشعرهم الوطنى . والمناسبات التى نظموا فيها قصائدهم

### أربعة عشر عاما فى البرلمان

مجموعة أعمالى وأقوالى فى مجلس النواب سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥

وفى مجلس الشيوخ من سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٥١



